

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي
(٨١٣ـ٨٧٤ هـ)

الجزء الثاني عشر

الطبعة الثانية
(مصورة عن الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)

النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة



دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

(٨١٣ ـ ٨٧٤ هـ)

الجزء الخامس عشر

الطبعة الثانية
(مصورة عن الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. محمد صابر عرب

ابن تغرى بردى ، يوسف بن تغرى بردى ، 1410 - 1470.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة/ تأليف
جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى. -
ط 2 ، مصورة. - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية،
الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث ،
-[2006]
مج 15 ؛ 29 سم.
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.
تدمك 1- 0456 - 18 - 977

٩٦٢

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٦/١٦٢٦١
I.S.B.N. 977 - 18 - 0456 - 1

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يبدأ الجزء الخامس عشر من هذا الكتاب الكبير من حوادث يوم الخميس ١٩ رجب من سنة ٨٣٦ هـ (١٤٣٣ م)، وهو تاريخ سفر السلطان الأشرف بَرْسباى إلى آمِد، وذلك على رأس حملة حربية ضد تركمان الشاة البيضاء (آق قيونلو)؛ وينتهي بنهاية السنة الثالثة عشرة من سنوات حكم السلطان أبي سعيد جَقْمَق، وهي سنة ٨٥٤ هـ (١٤٥٠ م)، وبعبارة أخرى يتناول هذا الجزء سنوات العهد الأخير من سلطنة برسباى، ثم سلطنة يوسف ابنه، الذي حكم أربعة وتسعين يوماً، ثم معظم سلطنة جقمق.

أما الخلفاء المعاصرون لهؤلاء السلاطين فهم:

١ — المعتضد بالله داود (٨١٥ — ٨٤٥ هـ).

٢ — المستكفي بالله سليمان (٨٤٥ — ٨٥٥ هـ).

٣ — القائم بأمر الله حمزة (٨٥٥ — ٨٥٩ هـ).

واعتمدت في تحقيق هذا الجزء الخامس عشر، على صور شمسية بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٣، وهي منقولة عن الأجزاء المخطوطة المحفوظة بمكتبة «آياصوفيا» بالقسطنطينية رقم ٤٣٩٨، ٤٤٩٩؛ ولذا يرمز لهذه النسخة من المخطوطة بحرف (ا)، وهذا الجزء الخامس عشر، يقابل القسم الأول من الجزء السابع من هذه المخطوطة، بالإضافة إلى نحو

خمس ورقات من القسم الثانى منها ، وذلك لتكملة وفيات السنة الثالثة عشرة من سلطنة جقمق ، وهى السنة التى انتهى بها هذا الجزء كما تقدم .

كما اعتمدت فى التحقيق على طبعة كاليفورنيا التى نشرها المستشرق وليام بوبر .

وتنبغى الإشارة هنا إلى أن طبعة كاليفورنيا لم تستخدم هذه المخطوطة ، وهى التى اعتمدت عليها وجعلتها أصلا للتحقيق ، والدليل على ذلك كثرة الفقرات التى توجد فى هذه المخطوطة ولا توجد فى تلك الطبعة ، ويكفى دليلا على هذه الكثرة ، أن الخمسين ورقة الأولى من المخطوطة ، فيها ست عشرة فقرة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ، فيما عدا الكلمات .

ويوجد بهامش هذه المخطوطة عناوين لبعض الموضوعات الهامة الواردة بالمتن ، فضلا عن استدراكات لما وقع للناسخ من سهو أو خطأ بالمتن أيضا .

وقد أشرت إلى ذلك كله فى مواضعه وحرصت على إيراد هذه العناوين الهامشية فى فهرس خاص ، كما جاءت بالأصل دون تغيير ، وهذا بالإضافة إلى العناوين الكبيرة الواردة خلال الصفحات .

وقد استعنت فى تحقيق هذا المتن ، بالمصادر التى تناولت هذه السنوات من التاريخ المصرى ؛ ومن أهم هذه المصادر : المنهل الصافى ، وحوادث الدهور ، وكلاهما لابن تغرى بردى ؛ ثم : المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) وابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) والعينى (ت ٨٥٥ هـ) صاحب الفضل فى توجيه ابن تغرى بردى إلى الاشتغال بالتاريخ ، وابن شاهين (٨٧٢ هـ) والسخاوى (ت ٩٠٢ هـ) والسيوطى (ت ٩١١ هـ) وابن إياس (ت ٩٣٠ هـ) وغيرهم . (انظر قائمة المراجع) .

وشرحت ما دعت الضرورة لشرحه من ألفاظ لغوية ونظم إدارية ومصطلحات وألقاب .

ومما يؤخذ على ابن تغرى بردى ، فى بعض المواضع ، أنه يشير أحيانًا إلى أنه فصَّل فى كتبه الأخرى ، بعضَ ما أوجز فى كتاب «النجوم» ، واتضح فى بعض الحالات ، بعد الرجوع إلى ما أحال عليه ، أنه لم يورد ذلك التفصيل ، الذى أشار إليه ، وأنّ ما أورده ، لم يزد عما ذكره فى « النجوم » . وقد أشرت إلى ذلك فى مواضعه (انظر حوادث السنة الحادية عشرة من سلطنة جَقْمَق) .

أما بعد ، فإنى أرجو أن أكون قد وُفقت — بمساهمتى فى تحقيق كتاب النجوم الزاهرة — إلى أداء بعض ما علىّ من واجب نحو تراثنا القومى .

والله الموفق والهادى إلى الصواب .

٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ هـ
٣٠ يونيو سنة ١٩٧٠ م

د . إبراهيم على طرخان

[٣] ذكر سفر السلطان الملك الأشرف

[برسباى] إلى آمد

لما كان يوم الخميس تاسع عشر شهر رجب من سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، الموافق لأول فصل الربيع ، وانتقال الشمس إلى بُرْج الحَمَل ، ركب السلطان(١) الملك الأشرف بَرْسْباى من قلعة الجبل بيقية أمرائه(٢) ومماليكه ، وعبّى أطْلابه(٣) ، وتوجه فى الساعة الثالثة من النهار المذكور إلى مُخيَّمه بالرَّيْدانيّة(٤) ، [خارج القاهرة](٥) ، تجاه مسجد التِّبْن(٦) ، فسار فى موكب جليل إلى الغاية ، وقد خرج الناس لرؤيته ، إلى أن وصل إلى مخيمه ، وصحبته من الأمراء المقدمين : الأمير جَقْمَق العلائى أمير آخُور(٧) ، والأمير

---

(١) هذه الكلمة مستدركة من الناسخ فى هامش المخطوطة ا ، وسوف يدأب المحقق على وضع مثل هذه الكلمات أو العبارات أو الحروف فى أماكنها من المتن دون الإشارة إليها ، إلا ما تدعو الضرورة إلى ذكره .

(٢) فى ا (امرايه) ، وهذه الصيغة وأشباهها مكررة فى كثير من صفحات المخطوطة ، وسوف يضعها المحقق فى صيغتها الصحيحة دون تعليق ، ما عدا عند الضرورة .

(٣) أطلاب جمع طُلْب ، وهو لفظ كردى ، ومعناه الكتيبة التى تبلغ مائتى فارس (انظر المقريزى : كتاب السلوك – تحقيق زياده – حـ١ ص ٢٤٨ حاشية ٢).

(٤) راجع الجزء العاشر من النجوم الزاهرة ص٧ حاشية ٥ ؛ والجزء الثانى عشر ص ٢ حاشية ٢ ؛ وانظر السلوك حـ١ ص ١٣٧ حاشية ٦ .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة حـ٦ ص ٦٩١ – طبعة كاليفورنيا – تحقيق وليام بوبر W. Popper ، وسوف يكتفى المحقق بالإشارة إلى نسخة بوبر هذه فيما يلى ، بعبارة (طبعة كاليفورنيا) .

(٦) يقع هذا المسجد خارج القاهرة قريبا من المطرية ، وكان يعرف باسم مسجد البئر ، وكذلك عرف باسم مسجد الجميزة ، وبنى عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، ونسب إلى الأمير تبر أحد كبار الأمراء زمن الأستاذ كافور الإخشيدى ، ثم حرفته العامة إلى مسجد التبن ، غير أن لهذا التحريف أساسا معقولا ، وهو أن تبر هذا ثار ضد جوهر الصقلى فى جمع من الكافورية ، فقبض عليه وسلخ جلده بعد موته وحشى تبنا وصلب . (انظر المقريزى : المواعظ والاعتبار حـ ٢ ص٤١٣ ؛ السلوك حـ١ ص ٦٨٤ حاشية ١ ؛ وراجع النجوم الزاهرة حـ١٢ ص ١٩٨ حاشية ٢)

(٧) الأمير جقمق العلائى هذا ، هو الذى صار سلطانا فيما بعد ، وحكم من ٨٤٢ إلى ٨٥٧ هـ / ١٤٣٨–١٤٥٣ م .

أرْكَمَاس الظاهرى الدَّوَادار ، والأمير تِمْراز القُرْمُشى رأس نوبة النُّوَب ،والأمير يَشْبُك السُّودونى المعروف بالمُشدّ(١) ، والأمير جانِمْ أخو(٢) الملك الأشرف ، والأمير جانى بك الحَمْزاوى ،فهؤلاء(٣) من مقدمى الألوف ؛ وسافر معه جماعة كثيرة من أمراء الطبلخاناه، مثل الأمير قَرَاخُجَا الشعبانى الظاهرى بَرْقوق، ثانى رأس نوبة ، والأمير قَرَا سُنْقُر مِنْ(٤) عبدالرحمن الظاهرى برقوق ، والأمير قَرَاجَا الأشرفى شادّ الشرابخاناه(٥)، والأمير تَمُرْ باى التَّمُرْبغَاوى الدوادار الثانى ، والأمير شيخ الرُّكْنى الأمير آخور الثانى ، والأمير خُجَا سُودون السَّيْفى بَلاط الأعرج ، أحد رؤوس النوب ، والأمير تَغْرى بَرْدى البَكْلَمْشى المُؤْذى(٦) ، أحد رؤوس النوب ، فهؤلاء الذين يحضرنى الآن أسماؤهم(٧).

وسافر معه عدة كبيرة من الأمراء العشرات ، وخلع(٨) على الأمير حسين بن أحمد

---

(١) المشد والمشدون ، موظفون تتصل اختصاصات وظائفهم غالباً بالشئون المالية ، فقد ذكر المقريزى بصدد حديثه عن اختصاصات وظيفة ناظر الدولة ، أنه يقوم مقام الوزير إذا غاب ويتقدم إلى « شادّ الدواوين بتحصيل الأموال وصرفها فى النفقات والكلف» . (خطط حـ٢ ص ٢٢٤) .

(٢) فى ا (أخى) .

(٣) فى ا (فهولا) .

(٤) كثيرا ما ورد حرف الجر (من) مقترنا بكثير من أسماء المماليك ، وقد استُخدم هذا الحرف للدلالة على أنواع مختلفة من التبعية المملوكية ، وأولها : مرادف لكلمة (ابن) ، مثل الأمير سودون من عبد الرحمن الظاهرى برقوق ؛ وثانيها للدلالة على تبعية الشخص لسيده أو أستاذه ، مثل طوخ من تمراز الناصرى فرج ، نسبة لأستاذه المقر السيفى تمراز الناصرى ؛ وثالثها للدلالة على تبعية الشخص للتاجر الذى جلبه أو باعه أول مرة ، مثل خشقدم من ناصر الدين ، نسبة للتاجر ناصر الدين ؛ وقد ينسب الشخص لمتبوعه بدون هذا الحرف . (انظر السخاوى : الضوء اللامع حـ١ ص ٢٧٠–٢٧٢ ، حـ٢ ص ٣١٦ ، حـ٣ ص ٧ ، ٣٠–٣٤ ، ٤٤ ؛ ١٧٥ ، ٢٧٥–٢٧٦ ، حـ٦ ص ٢٣٥ ؛ التبر المسبوك ص ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ؛ المنهل الصافى حـ١ ورقة ١٩٤ ، حـ٢ ورقة ٢٩٤ ، م ٢ من نفس الجزء ورقة ١٥٥–١٥٧ ؛ النجوم الزاهرة حـ١٢ ص ٨٠–٨١ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور حـ١ ص ٢٥٩ ، ٣٢٨ ، حـ٢ ص ٣ ، ١٦ ، ٩٠٤)

(٥) الشرابخاناه من ملحقات القصر السلطانى وبها أنواع الأشربة . (انظر نهاية الأرب حـ٨ ص ٢٢٤–٢٢٥ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى حـ٥ ص ٤٥٨ ؛ ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١٢٤ ، ١٢٦–١٢٧ ؛ السلوك حـ١ ص ١٩٠ حاشية ٣ ، ص ٤٥٨ حاشية ٢) .

(٦) فى ا (المودى) .

(٧) فى ا (اسماهم) .

(٨) فى ا (وأخلع) ، وقد دأب المؤلف على استخدام هذه الصيغة فى كل الصفحات وسوف يضعها المحقق فى الصيغة الصحيحة دون إشارة أو تعليق .

المدعو تَغْرِى بَرْمَش ، باستقراره فى نيابة الغيبة ، ورسم له بسكنى باب السلسلة[1] والحكم بين الناس . ورسم باستقرار الأمير آقبغا التمرازى ، أمير مجلس ، بإقامته بالقاهرة ، وبسكنه بقصر بكتمر عند الكبش ، والأمير يَرْدبك الإسماعيلى قَصْقَا الحاجب الثانى . وعيَّن أيضاً عدة من أمراء العشرات والحجاب بالإقامة بالقاهرة ، واستقر بالقلعة [المقام][2] الجمالى يوسف ابن السلطان الملك الأشرف ، وهو أعظم مقدمى الألوف ، والأمير خُشْقَدَم الظاهرى الزمام الرومى ، والأمير تَنْبَك البَرْدبكى نائب قلعة الجبل ، والأمير إينال الظاهرى أحد رؤوس النوب المعروف بأَبْزَى[3] .

وخلع على الأمير إينال الششمانى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة باستقراره أميرَ حاجِّ الموسم ، وخلع على الوزير الأستادار الصاحب كريم الدين بإقامته بالقاهرة ، وأن يتوجه أمينُ الدين إبراهيم بن الهَيْصَم[4] ، ناظر الدولة صُحبَةَ السلطان .

وبات السلطان ليلة الجمعة بالرَّيْدانية ، واشتغل بالمسير من الغد ، فى يوم الجمعة ، بعد الظهر إلى البلاد الشامية ، ومعه مَن ذكرنا من الأمراء والخليفةُ المُعْتَضِد بالله داود والقضاةُ الأربعة ، وهم : قاضى القضاة شهابُ الدين أحمد بن حَجَر الشافعى[5] ، وقاضى القضاة بدرُ الدين محمود العَيْنْتَابى الحنفى[6] ، وقاضى القضاة شمسُ الدين محمد البساطى

(١) باب السلسلة أحد أبواب القلعة (راجع النجوم الزاهرة جـ٧ ص ١٦٣ حاشية ١ ، جـ ٩ ص ٥٣ حاشية ٤ ، ص ٩٩ حاشية ٣ ؛ وانظر المواعظ والاعتبار جـ١ ص ٤٥٧ ، جـ٢ ص ٤٦٢) .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا ، وهذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٣) فى ا (أبزا) . (٤) فى ا (الهيصم) .

(٥) شهاب الدين أحمد بن حجر المتوفى عام ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩م : له ترجمة وافية ذكرها ابن تغرى بردى فيما يلى (انظر حوادث الدهور جـ١ ورقة ٨٤–٨٥ ؛ المنهل الصافى جـ١ ورقة ١٠٢–١٠٧ ، وحذان المرجمان لابن تغرى بردى ؛ انظر كذلك السخاوى : التبر المسبوك ص ٢٣٠–٢٣٦ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور جـ٢ ص ٣٢–٣٣ ؛ راجع النجوم الزاهرة جـ١١ ص ١٤٢–١٤٣ ؛ زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ص ١٧–٢٠) .

(٦) بدر الدين محمود العينتابى : من أئمة العلماء والمؤرخين فى مصر ، توفى سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م . (انظر : ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ٧ ص ٢٨٦–٢٨٨ ؛ السخاوى : التبر المسبوك ص ٢٧٥–٢٨٠ ؛ المنهل الصافى جـ٣ ورقة ٣٢٧–٣٢٩ ، حوادث الدهور جـ١ ورقة ١٩٥ ؛ زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر ص ٢٠–٢١) .

المالكى ، وقاضى القضاة محبُّ الدين أحمد البغدادى الحنبلى .

ومن مباشرى الدولة : القاضى كمالُ الدين محمد بن البارِزِى كاتب السر ، وزين الدين إبراهيم ابن كاتب جَكَم ناظر الخواصّ ، والقاضى شرفُ الدين أبوبكر الأشقر نائب كاتب السر ، وأئمة السلطان الذين يصلُّون به الخمس ، وتديمُه ولىُّ الدين بن قاسم الشِّيشِينى ؛ فهذا الذين سمحت القريحةُ بذكرهم . وكان سفر السلطان فى الغد من يوم خروجه من القاهرة ، بخلاف عادة الملوك — انتهى .

وسار السلطانُ بعساكره ، لا يتجاوز فى سيره المنازلَ ، إلى أن وصل إلى مدينة غزة ، فى أول شعبان ، بعد أن خرج نائبُها[1] الأميرُ إينال العلائى الناصرى ، أعنى الملك الأشرف إينال ، إلى ملاقاته هو وأعيانُ غزة ؛ ودخل السلطان إليها فى موكب عظيم [سلطانى][2] ، وأقام بها ، إلى أن رحل منها فى يوم الخميس رابعه ، بعد أن [ ] نزل بالمَسْطَبة خارج غزة ثلاثة أيام ؛ وسار إلى جهة دمشق ، ونحن فى خدمته ، إلى أن وصل إلى مدينة دمشق فى يوم الاثنين خامس عشر شعبان ، واجتاز بمدينة دمشق بأبهة السلطنة وشعار الملك فى موكب جليل ، وحمل الأميرُ جَارَقُطْلُو[3] نائبُ الشام القُبَّةَ والطَّيرَ على رأسه ، إلى أن نزل بالدَّهْليز السلطانى بمنزلة بَرْزَة[4] خارج دمشق ، وكذلك جميعُ أمرائه وعساكره نزلوا[5] بخيامهم بالمنزلة المذكورة ، ولم ينزلوا بمدينة دمشق ، شفقةً على أهل دمشق[6] .

وأقام السلطان بمخيَّمه خمسةَ أيام ، وركب فيها غيرَ مرة ، ودخل دمشق ، وطلع

(١) فى ا (بها) .
(٢) أضيف ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (قطلى) ، وقد دأب المؤلف على استخدام هذه الصيغة ، فى معظم صفحات الكتاب ، غير أن الصيغة المشهورة هى قطلو ، وقد استخدمها المؤلف كذلك فى مواضع قليلة ، ولذا سوف يستخدم المحقق الصيغة المشهورة دون الإشارة إلى غيرها (انظر عقد الجمان للعينى ج٢٣ ق ٤ ورقة ٦٣٢ ، ٦٤٩) .
(٤) برزة قرية من غوطة دمشق (راجع النجوم الزاهرة ج١١ ص ٢٦٤ حاشية ٤ ؛ السلوك ج١ ص ٤٢٣ حاشية ٤ ؛ معجم البلدان ج٢ ص ١٢٤) .
(٥) ، (٦) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

إلى قلعتها مراراً ؛ ثم رحل السلطان من دمشق بأمرائه وعساكره ، فى يوم السبت عشرينه ، يريد البلاد الحلبية ، فحصل للعسكر بُعَيْض مَشَقَّة لعدم إقامته بدمشق ، من أجل راحة البهائم . ولم يعلم أحدٌ قصدَ السلطان فى سرعة السير لماذا [؟] وسار حتى وصل إلى حمص ثم إلى حماه ، فخرج الأمير جُلْبان نائب حماه إلى ملاقاة السلطان بعساكر حماه ، فأقام السلطان بظاهر[1] حماه المذكورة ثلاثة أيام ، ثم رحل منها يريد حلب . ولم يدخل السلطان حماه بأبهة السلطنة كما دخل دمشق لما سبق ذلك من قواعد الملوك السالفة : أن السلطان لايدخل أبداً من مدن البلاد الشامية بأبَّهة السلطنة إلادمشق وحلب ثم مصر، وباقى البلاد يدخلها على عادة سفره إلا الملك المؤيَّد شيخ ، فإنه لما سافر إلى البلاد الشامية فى واقعة نَوْرُوز الحافظى[2]، عمل بحماه الموكبَ السلطانىَّ ودخلها بأبهة السلطنة ، وحمل على رأسه القبةَ والطيرَ الأميرُ الكبيرُ ، استقلالاً[3] بنائبها ، فإنه لا يحمل القبة والطير على رأس السلطان إلا أحدُ هؤلاء الأربعة : الأمير الكبير ، أو ابن السلطان ، أو نائب الشام ، أو نائب حلب .

وكان لعمل الملك المؤيَّد الموكبَ بحماه سببٌ ، وهو أنه كان فى أيام إمرته ، فى الدولة الناصرية [فرج] لما حاصر الأميرَ نَوْرُوزَ الحافظى بها تلك المدة الطويلة ، وقع فى حقِّه من أهل حماه أمورٌ شنيعةٌ ، صار فى نفسه من ذلك حَزازةٌ[4]، فلما ملكَ البلادَ وتسلطن، أراد أن يُنْكيهم[5] بما هو فيه من العظمة ، ويُريهم ما آل أمره إليه — [انتهى][6].

وسار السلطان [الملك][7] الأشرف من حماه إلى أن وصل إلى حلب فى يوم الثلاثاء، خامس شهر رمضان ، ودخلها على هيئة دخوله إلى دمشق ، بأبهة السلطنة ؛ وحملَ القُبَّةَ

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (بعساكر) ، والصواب ما أثبت بالمتن عن ا .

(٢) انظر مزيدا من أخبار نوروز الحافظى فى ابن إياس : بدائع الزهور حـ١ ، ص ٢٠٨ وما بعدها.

(٣) بمعنى أن نائب حماه دون مقام من يحمل القبة على رأس السلطان .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (حزاز) .

(٥) نكى العدو ، وفيه نكاية ، قتل وجرح (القاموس المحيط) : ولعل المراد تهديدهم وإرهابهم .

(٦) ، (٧) الإضافات عن طبعة كاليفورنيا .

والطيْرَ على رأسه ، الأميرُ [سيف الدين][1] قَصْرُوه [بن عبد الله][2] ، مِن[3] تِمْراز نائب حلب ؛ وشَقّ السلطانُ مدينة حلب فى موكب عظيم ، إلى أن خرج منها على هيئته ، ونزل بمخيمه بظاهر حلب برأس العَيْن[4] ، ونزل معه جميع عساكره بخيامهم ، ولم ينزل أحد منهم بمدينة حلب . فأقام السلطان بمكانه المذكور خمسة عشر يوماً ، يركب فيها ويدخل إلى حلب ويطلع إلى قلعتها .

وكانت إقامةُ السلطان بحلب هذه المدة ، ليَرِد عليه بها قُصّادُ الأمير عثمان بن طُرْعلى ، المدعو قَرَايلُك[5] ، فى طلب الصلح ، فلم يَرِد عليه أحد ممن يعتمد السلطان على كلامه ، فعند ذلك تهيأ السلطان للخروج إلى جهة آمِد .

وسار من حلب فى يوم الاثنين ، حادى عشرين شهر رمضان ، مُخففاً من الأثقال والخيام المائلة ؛ ونزل القضاة بمدينة حلب ، وصحب الخليفةَ أميرَ المؤمنين المعتضد داود ، وهو فى تَرْسيم الأمير قَرَاسُنْقُر العبد الرحمانى[6] ، أحد أمراء الطبلخاناه ، كما هى العادة فى مَشْيِ بعضِ الأمراء مع الخلفاء فى الأسفار ، كالتَّرْسيم عليه ، وهذا[7] أيضاً من القواعد القديمة .

---

(١) ، (٢) ما بين حواصر عن السخاوى : الضوء اللامع حـ٦ ص ٢٢٢.

(٣) راجع شرح هذا المصطلح فى ص ٨ تعليق ٤ .

(٤) رأس العين . مدينة مشهورة من مدن الجزيرة (راجع النجوم الزاهرة حـ١٢ ص ٣١ حاشية ٣ ؛ وانظر معجم البلدان حـ٤ ص ٥٠٢–٥٠٦) .

(٥) عثمان قرايلك هو المؤسس الحقيقى لدولة الشاة البيضاء التركمانية ، أو دولة آق قيونلو ، وأصل هذه الدولة منحة ظفر بها عثمان من تيمورلنك حوالى سنة ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ، فى أرض أرمينية ومنطقة الفرات العليا ، مقابل خدمات عثمان تيمورلنك ؛ وورد اسم قرايلك فى ابن إياس (بدائع الزهور حـ ٢ ص ١٩–٢٠) وقرا ملك . وكانت دولة الشاة البيضاء هذه فى أغلب أيامها معادية لدولة المماليك ، وكثيرا ما أغارت على بلاد الدولة المملوكية .(انظر القرمانى : أخبار الدول ص ٣٢٦–٣٢٩ ؛ ابن عربشاه : عجائب المقدور فى أخبار تيمور ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ؛ السلوك – المخطوط – حـ ٣ ص ٤٢–٤٣ ؛ **Malcolm, Sir J.**: *The History of Persia*, pp. 318-326 ؛ وانظر مادة وآق قيونلو» فى دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م ٢ ص ٤٨١–٤٨٤) .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (العبد رحمانى) ، والمثبت عن ا ؛ على أن الصواب فى النسبة إلى عبد الرحمن لغويا ، (رحمانى) .

(٧) فى ا (وهو) .

واستمر السلطان فى سيره بجميع عساكره ، غير أنهم فى خِفّة من أثقالهم ، إلى أن وصل البِيرَة ، وقد نصب جسر المراكب على بحر الفرات لتعدية العساكر السلطانية عليه إلى جهة الشرق ، فنزل السلطان فى البر الغربى الذى جهة حلب ، وأقام بمخيمه ، وأمر الأمراء أن تعدى إلى تلك الجهة بأَطْلابها قبله ، ثم يسير السلطان بالعساكر بعدهم لئلا تزدحم[1] العساكر على الجسر المذكور ، لأن الجسر ، وإن كان محكمًا ، فهو موضوع على المراكب ، والمراكب مربوطة موثوقة[2] بالسلاسل ، فهو على كل حال ، ليس بالثابت تحت الأقدام ، ولا بد أن يَرْتَجّ عند المرور عليه ؛ وكانت[3] سَعَةُ الجسر بنحو أن يمر عليه قطاران[4] من الجمال المحملة — انتهى .

فأخذت الأمراءُ فى التعدية إلى جهة البيرة[٥]— والسلطانُ بعساكره فى خيامهم — إلى أن انتهى حالُ الأمراء ، فأذِنَ السلطانُ عند ذلك للعساكر بالمرور على الجسر المذكور إلى البيرة من غير عجلة ، فكأنه استحثهم على السرعة ، فحمّلوا جمالهم[5] للتعدية ، ووقع بينهم أمور وضراب ومخاصمة بسبب التعدية ، يطول شرحها ، إلى أن عدّى غالبهم . فعند ذلك ركب السلطان بخواصّه ومرّ على الجسر المذكور إلى أن عدّاه ، ونزل بقلعة البيرة فى يوم السبت سادس عشرين شهر رمضان ، ونزلت العساكر المصرية[6] والشامية[7] على شاطئ بحر الفرات وغيره ، فأقام السلطان بالبيرة إلى أن رتب أمورها وترك بها أشياء كثيرة من الأثقال السلطانية ، ورحل منها فى أواخر شهر رمضان المذكور إلى جهة آمِدْ حتى نزل على مدينة الرُّها فى ليلة عيد الفطر ، فوجدناها[8] خرابًا خالية من أهاليها وأصحابها لم يسكنها

(١) فى طبعة كاليفورنيا (تزوحم) ، والمثبت من ا .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (موثقة) ، وما هنا عن ا .
(٣) فى ا (وكان) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (قطران) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (أجمالهم) ، والمثبت عن ا .
(٦) فى ا (المصرى) .
(٧) فى ا (الشامى) .
(٨) فى ا (فوجدها) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، وهو الأنسب ، إذ أن أبا المحاسن كان مرافقا السلطان برسباى فى حملته على آمد (انظر ما يلى بالمتن) .

إلا من عجز[١] عن الحركة من ضعف بدنه أو لقلة[٢] ماله . ونزل السلطان على ظاهرها من جهة الشرق وعيّد بها عيد الفطر ، ودخلت أنا إلى مدينة الرُّهَا وطلعت إلى قلعتها ، فإذا هي مدينة لطيفة ، وقلعتها[٣] في غاية الحسن ، على أنها صغيرة جداً .

ثم أصبح السلطان يومَ عيد الفطر . وقد اشتغل بالمسير إلى جهة آمد ، وإلى الآن لم يعرف لقَرَايُلُك خبر ، والأقوال فيه مختلفة ، فمن الناس من يقول إنه تهيأ ويريد قتالَ العساكر السلطانية ، ومن الناس من يقول إنه دخل إلى آمِد وحصّنها ، ومن الناس من يقول إنه ترك بمدينة آمد ابنَه بعد أن حصنها ، وتوجه إلى قلعة أَرْقَنِين[٤] ، وأرقنين على يسار المُتَوجِّه إلى آمد . وسار السلطان بعساكره من الرُّها وعليهم الأسلحة وآلة الحرب ، إلى أن نزل على آمد في يوم الخميس ثامن شوال ؛ وقبل نزول السلطان عليها صفَّ عساكرَه عدةَ صفوف ، ووراءهم الثقل والخدم ، حتى ملأوا[٥] الفضاء طولاً وعرضاً . ومشى السلطان هو والخليفة ، ومباشرو[٦] الدولة حولها بغير سلاح ، يوهم أن المباشرين المذكورين هم قضاة الشرع ، لكون لبسهم على هيئة لبس الفقهاء ، وليس بينهم وبين القضاة فرق ، بل كان فيهم مثلُ القاضى كمال الدين [بن البارِزى][٧] كاتب السر ، وهو أفضل من قضاة كثيرة ، وسار السلطان بهم أمام عسكره .

وقد هال أهلَ آمِد ما رأوه من كثرة العساكر وتلك الهيئة المزعجة التي قل أن يجتمع في عساكر الإسلام مثلها ، من ترادف العساكر بعضها على بعض ، حتى ضاق عليهم اتساع

(١) في ا (عجز)
(٢) في ا (لعله) .
(٣) في ا (وقلعها) .
(٤) أرقنين بلدة بأطراف آسيا الصغرى ؛ وقد أشار إليها أبو فراس الحمداني في شعره :

إلى أن وردنا أرقنين نسوقها وقد نكلت أعقابنا والحاصر

وذكر البعض هذه البلدة بالفاء (أرفنين) ، والصيغة الأولى أشهر (انظر ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ١٩٤) .
(٥) في ا (ملا) .
(٦) في ا (ومباشرى) .
(٧) أضيف ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

تلك البرارى ، وخلف العساكر المذكورة الأطْلابُ المائلة ، والكُوسات تدق ، والبوقات تزعق ، وقد تجاوز عددَ أطْلاب الأمراء ، لكثرة ما اجتمع على السلطان من العساكر المصرية والنواب بالبلاد الشامية وأمراء التركمان والعربان ؛ فكانت عدة الأطلاب التى بها الطبول والزمور تزيد على مائة طُلْب ، ما بين أمراء مصر المقدمين وبعض الطَّبْلَخَانات ونائب دمشق وأمرائها ، وهم عدة كثيرة ، ونائب حلب وأمرائها وطرابلس وأمرائها ، وكذلك حماه وصَفَد وغزة ونواب القلاع[1] وأمراء التركمان[2] الذين تُضْرَب على بابهم الطبول[3] ، فدقت عند قدوم السلطان جميع طبول هؤلاء وزعقت الزمور يداً واحدة ، فانطبق الفضاء طبلا وزمراً حربية ، هذا مع كثرة البَراشِم[4] والأجراس المعلقة على خيول الحرب المُلبَّسة بالعدد الكاملة وقلاقل الجمال .

وعند القرب من مدينة آمِد ، أخذت العساكر تلمّ حتى أشرف أجناد كثيرة على الهلاك[5] من عِظَم ازدحام بعضهم على بعض ، ومع هذا أعرض[6]

---

(١) فى ا (القلاع) . (٢) فى ا (وامرا) .

(٣) من المعروف فى النظام الإقطاعى المملوكى ، أنه ليس من حق كل أمير أن يدق بالطبل على بابه ، وهذا امتياز أدبى يتبع رتبة الأمير ، وأول رتبة تخوِّل لصاحبها دق الطبول على بابه كل مساء ، رتبة أمير أربعين ، بمعنى أن من حقه أن يشترى أربعين مملوكا على الأقل ليشترك بهم فى جيش السلطان ، ويعطى من الأقطاع ما يكفى لإقامتهم وتجهيزهم ، وعرفت هذه الرتبة كذلك فى المصطلح الإقطاعى المملوكى باسم «إمرة طبلخاناه» . وليس هذا فقط ، بل يختلف عدد الطبول باختلاف الرتبة ، فصاحب إمرة طبلخاناه ، من حقه أن يدق على بابه بثلاثة أحمال طبلخاناه ونفيرين ، ثم قلّ هذا العدد فصار طبلين وزمرين ؛ وفوق هذه الرتبة أمير مائة ومقدم ألف ، وهى أعلى رتبة فى الجيش الإقطاعى المملوكى ، ومعنى ذلك أن من حقه أن يشترى مائة مملوك على الأقل ، وأن يقود ألفاً من أجناد الحلقة فى جيش السلطان ، والطبول التى تُدق على بابه : ثمانية أحمال طبلخاناه وطبلان دهل وزمران وأربعة أنفرة ، وإذا كان هذا المقدم أتابكا للعساكر ، أى قائدا عاما ، بعد السلطان بطبيعة الحال ، ضوعف هذا العدد . وأما السلطان ، وهو رأس المدرج الهرمى فى النظام الإقطاعى المملوكى ، فله : أربعون حملا طبلخاناه وأربعة طبول دهول وأربعة زمور وعشرون نفيرا ؛ على أن عادة دق الطبول على أبواب الأمراء بطلت عندما دخل العثمانيون مصر (١٥١٧ م) .

(انظر : ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١١٣ ، ١٢٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٢٨٢ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور حـ ٣ ص ١٧٨ ؛ ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الأتراك (مخطوط) حـ١ ص ٧٦-١٤٢ ؛ العمرى : مسالك الأبصار (مخطوط) حـ٢ ورقة ٣٨٣) .

(٤) براشم جمع بُرْشوم وهو البرقع (القاموس المحيط) .

(٥) هذه الكملة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (غرض) .

العساكر مدَّ العين ، وصار الرجل من العسكر إذا تكلم مع رفيقه لا يسمع رفيقُه كلامَه إلا بعد جهد كبير لعظم الغوغاء ، فاندهل أهلُ آمد مما عاينُوا من كثرة هذه العساكر وشدة بأسها وحسن زِيِّهم ، ومن التَّجَمُّل الزائد فى العُدد والآلات والخيول والأسلحة ، والكثرة الخارجة عن الحد فى العَدد .

وكان قَرَايُلُك قبل أن يخرج(١) من مدينة آمِد ، أمر أن يُطلق الماء على أراضى آمد من خارج البلد من دِجلة ، ففعلوا ذلك فارتطمت(٢) خيولُ كثيرٍ من العسكر بالماء والطين ، فلم يكترث أحد بذلك ، ومشى العسكر صفًّا واحداً ، وخلف كل صف صفوف لاتعدّ . واستمروا فى سيرهم المذكور[٦] إلى أن حاذوا خندق آمد ، وقد بُهِتَ أهلُها لما داخلهم من الرُّعْب والخوف مما طرقهم من العساكر ، ولم يَرْمِ منهم أحدٌ بسهم فى اليوم المذكور إلا نادراً ، ولا علا(٣) أحدٌ منهم على شُرُفات البلد إلا فى النادر أيضاً ، وصاروا ينظرون العساكرَ من الفروج التى بين الشرفات(٤) .

ولم يكن لآمِد المذكورة قلعة بل سور المدينة لاغير ، إلا أنه فى غاية الحسن من إحكام بنيانه ، وكل بدنة بالسور المذكور تحمى البدنة الأخرى ، فلهذا يصعب(٥) حصارُها ، ويبعد أخذُها عَنْوَة ؛ فوقف العسكر حول آمد ساعة .

ثم مال السلطان بفرسه إلى جهة بالقرب من مدينة آمد ، ونزل به فى مخيمه ، وأمر الناس بالنزول فى منازلهم ، وأمرهم بعدم قتال أهل آمد ؛ على أن أوباش القوم تراموا بالسهام قليلاً ، فتوجه كل واحد(٦) إلى مخيمه ، ونزل الجميع بالقرب من آمد ، كالحلقة عليها ، غير أنهم على بعد منها ، بحيث أنه لايلحقهم الرمى من السور ، وأحدقت العساكر بالمدينة من جهتها الغربية ، وكان الموضع الذى نزلنا به هو أقرب الجهات(٧) للمدينة المذكورة .

---

(١) فى ا (يخرج) .
(٢) أى وحلت ، وفى الأصل : ارتقصت .
(٣) فى ا (علي) وفى طبعة كاليفورنيا (غلا) .
(٤) فى ا (الشرافات) .
(٥) فى ا (يصيب) .
(٦) فى ا (كل أحد) .
(٧) فى طبعة كاليفورنيا (الأماكن) ، والمعنى واحد .

ونزل السلطان بمخيمه وقد ثبت عنده رحيل قَرَايُلُكْ من آمِد ، وأنه ترك أحدَ أولاده بها ، فأقام بمخيمه إلى صبيحة يوم السبت عاشر شوال ، فركب[١] وزحف بعساكره على مدينة آمد بعد أن كلمهم السلطان فى تسليمها قبل ذلك ؛ وترددت الرسل بينه وبينهم ، فأبى مَن بها من الإذعان[٢] لطاعة السلطان وتسليم المدينة إلا بإذن قرايلك .

ولما زحف السلطان على المدينة اقتحمت عساكر السلطان خندق آمد ، وقاتلوا مَن بها قتالاً شديداً ، حتى أشرف القوم على الظفر وأَخْذ المدينة ، ورُدم غالبُ خندق مدينة آمد بالحجارة والأخشاب .

وبينما الناس فى أشد[٣] ما [هم][٤] فيه من القتال ، أخذ السلطان فى مَقْت المماليك وتوبيخهم ، وصار كلما جُرح واحد من عساكره وأُتى له به يزدريه ويهزأ[٥] به ، وينسب القوم للتراخى فى القتال .

ثم لبس هو سلاحه بالكامل ، وأراد أن يقتحم المدينة بنفسه حتى أعاقه عن ذلك أعيان أمرائه ، وهو راكب على فرسه ، وعليه السلاح الكامل من الخوذة إلى الركب ، واقف على فرسه بمُخَيَّمه حيث يجلس ، والناس وقوف ورُكبان بين يديه ، تعِده بالنصر والظفر فى اليوم المذكور ، وإن لم يكن فى هذا اليوم فيكون فى الغد[٦] ، وتَذْكُر له أن القلاع لا تؤخذ[٧] فى يوم ولا فى[٨] يومين ، وهو يتكلم بكلام [معناه][٩] : أن عساكره تتهاون[١٠] فى قتال أهل آمِد ، فلا زالت الأمراء به ، حتى خلع عن رأسه خوذتَه ولبس

(١) فى ا (ركب) .
(٢) فى ا (الاعانه) .
(٣) فى ا (أسد) .
(٤) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (يهزوا) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (فى عد) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (لا يوحد) .
(٨) حرف (فى) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٩) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .
(١٠) فى طبعة كاليفورنيا (تهاون) ، والمثبت عن ا .

تحقيقةً على العادة ، واستمر القَرْقَل[١] عليه ، إلى أن تَرَضَّاه الأمراء ، وخلع قَرْقله[٢] ، فحمى[٣] الحر واشتدت القائلة وسئمت[٤] الناسُ من القتال ، هذا مع ما بلغهم من غضب السلطان ، بعد أن لم يُبقوا ممكنًا[٥] فى القتال ؛ وقد أُثخنت جراحاتُ الأمراء والمماليك من عظم القتال .

كل[٦] ذلك والسلطان ساخط عليهم بغير حق ، فعند ذلك فتر عزم القوم عن القتال[٧] من يومئذ ، وما أرى هذا الذى وقع إلا خذلانا[٨] من الله تعالى لأمر سبق، وإلا فالعساكر الذين[٩] اجتمعوا[١٠] على آمِد ، كان يمكنهم أخذ عدة مدن ، مثل آمد وغيرها .

ولما انقضى القتال ، وتوجه كل واحد إلى مخيمه ، وهو غير راض فى الباطن ، وجد[١١] أهلُ آمد راحة كبيرة بعودة القوم عنهم ، وباموا ريقهم ، وأخذوا فى تقوية أبراج المدينة وسورها ، بعد أن كان أمرهم قد تلاشى ، مما دهمهم من شدة قتال مَن لا قِبَل لهم بقتاله. ونزل السلطان بمخيمه ، وندب الأمراء [والعساكر][١٢] للزحف[١٣] على هيئة ركوبهم يومَ السبت ، فى يوم الثلاثاء ، وهو أيضًا فى حال غضبه ، فابتدأ الأمير قَصْرُوه نائب حلب ، والأمير مُقبل نائب صَفَد ، والأمير جَقْمَق العلائى الأمير آخُور ،

(١) القَرْقَل مفرد والجمع القرقلات ، وهو غطاء للرأس يتخذ من صفائح الحديد المنشاة بالديباج الأحمر والأصفر (انظر السلوك جـ١ ص ٧٤٧ حاشية ٤) .
(٢) فى ا (خوذته) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (حمى) .
(٤) فى ا (سامت) .
(٥) فى ا (ممكن) .
(٦) ، (٧) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (خذلان) .
(٩) فى ا (الذى) .
(١٠) فى ا (اجتمعت) .
(١١) فى ا (وجدوا) .
(١٢) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .
(١٣) فى ا (بالزحف) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت هو الصحيح لغويا .

فى الكلام مع السلطان فى تسكين غضبه ، وقالوا : « يامولانا السلطان ، القلاع [كما فى علم السلطان][(١)] ، ماتؤخذ فى يوم [واحد][(٢)] ، ولا فى شهور[(٣)] ؛ وثَمّ من القلاع ما[(٤)] حاصره تَيمُور لَنْك مع كثرة عساكره ، عشرَ سنين . يامولانا السلطان ، الحصونُ ماتُبنى إلا للمنع ، ولولا ذاك مابنى أحد حصنا ، وقد اجتهد مماليك السلطان وأمراؤه[(٥)] فى القتال، وجُرح الغالب منهم» .

وكان ممن جُرح من الأعيان : الأمير [٧] تَغْرى بَرْدى المحمودى ، رأس نوبة النوب ، وهو كان يوم ذاك أتابكَ العساكر[(٦)] بدمشق ، والأمير سُودون مِيق ، أحد مقدمى الألوف بديار مصر ، والأمير تَنْبَك من سيِّدى بك الناصرى المعروف بالبَهْلَوَان ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ؛ وأما من المماليك والخاصكيَّة فكثير . فكان آخر كلام السلطان للأمراء : « إن العساكر تركب صحبة الأمراء فى يوم الثلاثاء ، وتزحف على المدينة ، ويكون الذى يركب مع الأمراء للزحف ، المماليك القَرَانيص[(٧)] ، وأنا ومماليكى

(١) ، (٢) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (شهر) ، والمثبت عن ا .

(٤) فى ا (من) .

(٥) فى ا (امرائه) .

(٦) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ومثبتة عن ا .

(٧) المماليك القرانيص فريق من الجيش المملوكى فى مستوى أمراء الخمسات ، وهم — كما وصفهم ابن شاهين — القديمو الهجرة ، غير أنهم بقوا فى إمراتهم دون ترقية ، وهذا هو السبب فى أن هذا الفريق ظل حاقدا كثير الثورات ، حتى قيل إن من أسباب هزيمة الغورى فى مرج دابق سنة ١٥١٦ م ، عدم ولاء هذا الفريق للسلطان ، وإن كان الأمير علان زعيم القرانصة لم يتقاعد عن أداء واجبه بعد مقتل الغورى ، وظل القرانيص مادة الفتن والخيانات حتى فى العصر العثمانى (انظر ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١١٣ – ١١٥ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور ﺣ٣ ص ٤٧ ؛ ابن زنبل الرمال : كتاب تاريخ السلطان سليم خان . ص ١٦–١٨ ؛ الجبرتى : عجائب الآثار ﺣ١ ص ٤٢٢ – ٤٢٣ ؛ زيادة : نهاية سلاطين المماليك (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) م ٤ مايو ١٩٥١) .

الأَجْلاب[1] نكون خلفهم » ، أراد بذلك عدم معرفة مماليكه بطرق الحرب ، فحمل الناس كلامه على أنه يفعل ذلك شفقةً على مماليكه ، وأنه يريد هلاك من سواهم .

وقامت قيامة القوم ، وتنكرت القلوب على السلطان فى الباطن ، وتطاولت[2] أعناق أمرائه إلى الوثوب عليه ، واتفق كثير منهم على ذلك لولا أن بعضهم مات من جراحه ، وتخوّف بعضهم أيضاً من بعض ، وعدم موافقة جماعة أخر من أعيان الأمراء لذلك .

وكان ممن اتُّهم بالوثوب، على ماقيل، الأتابك جَار قُطْلُو نائب الشام، وطَرَبَاى نائب طَرَابُلُس، ومقبل نائب صَفَد، وتَغْرِى بَرْدِى المحمودى — مات بعد أيام من جرح أصابه — وسُودون مِيق — مات أيضاً من جرح أصابه — والأمير جانِبِك الحمزاوى — مات فى عوْد الملك الأشرف إلى مصر بعد أن ولاه نيابة غزة على كره منه ، وجماعة كثيرة غير هؤلاء ، على ما قيل .

وكان الذى لم يوافقهم على الوثوب ، الأمير قصروه والأمير إينال الجَكَمى أمير سلاح ، والأمير جَقْمَق الأمير آخور ؛ وأما الأمير سُودون من عبد الرحمن أتابك العساكر ، فلم يكن[3] من هؤلاء[4] ولا من هؤلاء ، لطول مرضه : من يوم خرج من مصر وهو فى محفة ، وكل ذلك لم يتحققه أحدٌ ، غير أن القرائن الواقعة بعد ذلك تدل على صدق هذه المقالة — انتهى .

ولما خرج الأمراء من عند السلطان ، بعد أن امتثلوا ما رسِمَ به من الزحف فى

(١) الأجلاب أو الجِلْبان أو المشتريات أو المشتروات : فريق من المماليك اشتراهم السلطان أو الأمير المملوكي ، بقدر ما تسمح به رتبته فى الإمرة ، وإقطاعه المخصص لهذه الرتبة ، وهم عند السلطان جزء من المماليك السلطانية ، وعند غيره من الأمراء فريق من أجناده أو مماليكه ؛ وكان هؤلاء الأجلاب موضع إيثار عند أستاذهم دائما . (انظر ابن إياس : بدائع الزهور ح ٢ ص ٨٩ ، ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ٣١٣ ، ح ٤ ص ١٣٦ ؛ النويرى : نهاية الأرب ح ٨ ص ٢٠٦-٢٠٧ ؛ زبدة كشف الممالك ص ١٠٤-١٠٥ ؛ النجوم الزاهرة ح ٩ ص ٤٤ ؛ العمرى : مسالك الأبصار ح ٢ ق ٣ ورقة ٣٨٢-٣٨٤) .

(٢) ف ا (وتطاول) .

(٣) ف ا (فلن) .

(٤) ف ا (من هولا) .

يوم الثلاثاء ، بلغ السلطانَ عن الأمراء والمماليك نوع مما ذكرناه ، فاضطرب أمره وصار يحاصر[١] [المدينةَ][٢] وهو فى الحقيقة محصور من احتراسه من أمرائه ومماليكه ، وأخذ فى الندم على سفره[٣] ، وفتر عزمه عن أخذ المدينة فى الباطن ، وضعف عن تدبير القتال .

كل ذلك والموكب السلطانى يُعمل فى كل يوم ، والأمراء تحضره ، ويركب السلطان ويسير إلى حيث شاء[٤] ، ومعه الأمراء والنواب ، غير أن البواطن معمورة بالغش ، ويمنعهم من إظهار مافى ضمائرهم موانع ؛ هذا والقتال مستمر فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ، بين العسكر السلطانى وبين أهل آمِد ، غير أنه لم يقع يوم مثل[٥] يوم السبت المذكور ، وقتل خلائق من الطائفتين كثيرة ، وصار السلطان يضايق أهل آمد بكل ما[٦] وصلت قدرته إليه ، هذا وقد قَوِى أمرُهم واشتد بأسُهم لِما بلغهم من اختلاف عساكر السلطان ، وصاروا يصيحون من أعلى السور : «الله ينصر جارْ قُطْلُو» ، وانطلقت[٧] ألسنتهم بالوقيعة والسبّ والتوبيخ ، من السلطان إلى مَن[٨] دونه .

وبينما السلطان فيماهو فيه، قدم عليه الأمير دُولات شاه الكُرْدى صاحب أَكِل[٩] من ديار بكر ، فأكرمه السلطان وخلع عليه .

---

(١) فى ا (محاصر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (سره) ، والمثبت عن ! .

(٤) فى ا (سا) .

(٥) فى ا (مل) .

(٦) فى ا (بكلما) .

(٧) فى ا (وانطلق) .

(٨) ساقط فى طبعة كاليفورنيا ومثبت عن ا .

(٩) أكِل من قرى ماردين ، وينسب إليها أبو بكر بن قاضى أكل الشاعر ، وهو الذى مدح الملك المنصور صاحب حماه بقصيدة مطلعها :

ما بال سلمى بخلت بالسلام ... ما ضرّها لو حيّت المستهام

(ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢١٧) .

ثم لما بلغ الملكَ الأشرف أحمد ابن الملك العادل سليمان ابن المجاهد غازى ابن الكامل محمد ابن العادل أبى بكر ابن الأوحد عبد الله ابن المعظم توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين [أيوب][1] ابن [السلطان][2] الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شاذى الأيوبى ، صاحبَ حصن « كَيْفَا » قدومُ السلطان الملك الأشرف إلى آمِد ، خرج من الحصن فى قليل من عسكره فى أوائل ذى القعدة ، يريد التدوم[3] على السلطان ،[4] فاعترضه فى مسيره جماعة من أعوان قَرَا يُلُك على حين غفلة ، وقد نزل عن فرسه لصلاة العصر ، وقاتلوه إلى أن قُتِل الملك الأشرف المذكور من سهم أصابه ، وانهزم بقيةُ من كان معه وانتُهبوا ، فقدم جماعة[5] منهم [على الملك][6] الأشرف ، وعرّفوه بقتل الملك الأشرف صاحب الحصن ، فعظم عليه ذلك إلى الغاية .

ومن هذا اليوم أخذ السلطان فى أسباب الرحيل عن آمد ، غير أنه صار يترقب [٨] حركة يرحل بها لتكون لرحيله[7] منسوحة . ثم ندب السلطان جماعة كبيرة من التركمان والعربان من عسكره لتتبع قتلة الملك الأشرف صاحب الحصن . وكان منذ نزل السلطان على آمد و[8] أتباعُ العسكر السلطانى من التركمان والعربان تعيث[9] وتنهب فى قرى آمِد وغيرها ويأتون[10] بما يأخذونه للعساكر المذكورة ،

(١) ، (٢) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (التقدمة) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا تقديم كلمة عن أخرى دون تغيير فى المعنى .
(٦) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (برحيله) .
(٨) حرف (و) ساقط فى طبعة كاليفورنيا ومثبت عن ا .
(٩) فى ا (تعيب) .
(١٠) فى ا (ويأتوا) .

وصارت الغلمان تخرج من الوِطاق إلى جهات آمِد وتحصد الزروع[١] وتأتى بها الأجناد، حتى صار أمام خيمة كل جندى جرن كبير من الزرع ، وهو الذى قام بعلوفة خيول العسكر فى طول مدة الإقامة على آمد ، ولولا ذلك لكان لهم شأن آخر .

ولما ندب السلطان الجماعة المذكورة لتتبع قتلة الملك الأشرف وغيره ، خرجوا إلى جهة من الجهات فوافوا جماعة كبيرة من أمراء قَرَايُلُك وقاتلوهم حتى هزموهم ، وأسروا منهم جماعة كبيرة من أمراء قَرَايُلُك وفرسانه وأتوا بهم إلى السلطان ، وهم نيف على عشرين نفساً ، فأمر السلطان بقيدهم فقيدوا .

ثم توجهوا ثانياً فوافقوا جماعة أخر ، فقاتلوهم أيضاً وأسروا منهم نحو الثلاثين ، ومن جملتهم قَرَا محمد أحد أعيان أمراء قَرَايُلُك؛ فأحضر السلطان قَرَا محمد وهدده بالتوسيط[٢] إن لم يُسلم له آمِد ، فأخذوا[٣] قَرا محمد المذكور ومرُّوا إلى تحت سور المدينة ، فكلمهم قَرا محمد المذكور فى تسليم المدينة ، فلم يلتفتوا إليه ، فأخذوه وعادوا ، فأصبح السلطان وسَّط منهم تحت سور آمد عشرين رجلا ، من جملتهم قَرَا محمد المذكور .

واتفق فى توسيط هؤلاء غريبة ، وهو أن بعضهم حُمل للتوسيط فاضطرب من أيدى حَمَلته فوقع منهم إلى الأرض ، فقام بسرعة وهرب إلى أن ألقى بنفسه إلى الخندق، بعد أن تبعه جماعة ، فلم يقدروا على تحصيله ؛ ثم خرج من الخندق وقد أُرخى إليه من سور آمِد حبل[٤] ، وتشبث به إلى قريب الشرفة ، فانقطع الحبل فوقع إلى الأرض ، ثم جُرّ ثانياً إلى أعلى المدينة ونجا ، وقيل إنه مات بعد ثلاثة أيام من طلوعه ، والله أعلم .

---

(١) فى ا (الزرع) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) التوسيط هو القطع نصفين ، ووسَّطه توسيطا قطعه نصفين (القاموس المحيط) .
(٣) فى ا (وأخذوا) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (حبلا) .

ثم بلغ السلطانَ أن قَرَا يُلُك نزل من قلعة أَرْقَنِين[١] بجماعة من عساكره، يريد أن يكبس على السلطان فى الليل أو يتوجه بهم إلى حلب. فندب السلطان جماعة من الأمراء والمماليك فى عمل السَّيْزَك[٢] بالنوبة، فى كل ليلة لحفظ العساكر؛ ثم رسم السلطان للأمير قُطْلُو نائب الشام بالتوجه لقَرَا يُلُك بقلعة أَرْقَنِين، وندب معه جماعة من النواب والأمراء والعساكر المصرية — وكنت أنا معهم — فخرجنا من الوطاق السلطانى فى الليل بجموع كثيرة، وجددنا[٣] فى السير حتى وافينا قَرَا يُلُك وهو بمخيمه تحت قلعة أرقنين بين الظهر والعصر، وكان غالب العسكر قد تخلف بعدنا، فتقدم بعض العسكر السلطانى من التركمان والعربان، ومثل الأمير مُقبل الحُسامى نائب صَفَد وآقْبُغَا الجمالى المعزول عن الأستادارية وجماعة أُخَر من الأعيان من أمراء مصر والشام، واقتتلوا مع القرا يُلُكية قتالاً جيداً إلى أن [كانت][٤] الكسرة فينا، وقتل منا جماعة كثيرة من التركمان والعربان وأمراء دمشق وغيرهم، مثل الأمير تَمُرْباى الجَقْمَقِى أحد أمراء دمشق، [والأمير][٥] بخت خُجَا أيضاً من أمراء دمشق، وجرح أكثر من كان معنا من الخاصكية والمماليك، كل ذلك وسنجق السلطان إلى الآن لم يصل إلينا.

وأما جارُقُطْلُو، فإنه لما قوى الحرّ عليه نزل على نهر بالقرب من أَرْقَنِين ليروى خيوله[٦] منه، وصار الرائد[٧] يرد عليه بأن القوم قد التقوا مع عساكر قَرَا يُلُك، وهم[٨] فى قلة وقد عزموا على القتال، فلم يلتفت إلى ذلك وسار على هينته، فتركه[٩] بعض

(١) راجع ما سبق ص ١٤ حاشية ٤ .
(٢) اليزك لفظ فارسى معناه الطلائع (انظر المقريزى : السلوك ج ١ ص ١٠٥ حاشية ٣)
(٣) فى ا (وجذبنا) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (خيله) ، ولا فرق يذكر .
(٧) فى ا (الرايد) .
(٨) فى طبعة كاليفورنيا (وهو) ، والمثبت عن ا .
(٩) فى ا (فنزل) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

عساكره وساقوا[١] حتى لحقوا بمن تقدمهم وقاتلوا القَرَايُلُكية ، وهم من تقدم ذكرهم ممن قتل من أمراء دمشق .

ولما أن بلغ مَن معنا من الأمراء المصريين ما وقع لجماعتنا ، ساقوا أيضاً حتى وافى[٢] جماعةً منهم العسكر السلطانى ، فعند ذلك تراجع القوم وكروا على القَرَايُلُكية وهزموهم[٣] أقبح هزيمة ، وتعلق قَرَايُلك بقلعة أرْقَنِين وتحصّن بها ، ونُهبت عساكره وتمزقوا كل ممزق . ثم عدنا إلى جهة الوِطاق بآمِد فى آخر النهار المذكور على أقبح وجه ممن باشر القتال ، وهم القليل ، وأما غالب [٩] العسكر فلم ير القتال بعينه .

وصار الأميرُ أزْبَك جُحَا[٤] بين يدى السلطان يثنى[٥] على التركمان والعربان ، ويقول : « يامولانا هؤلاء هم العسكر الذى ينتصر الملوك بهم لا غيرهم » ؛ فعظم ذلك على طائفة من المماليك إلى الغاية ، وشنعوا القالة فيه لكونه تكلم الحق ، ومن يومئذ تحقق السلطانُ ما قيل عن جارْقُطْلُو من تقاعده عن قتال قَرَايُلك ، وأكثرَ أهلُ آمِد من هذا اليوم الدعاء للأمير جارْقُطْلُو المذكور من أعلى السور ، حتى خرجوا عن الحد ، فلم يدر الناس هل كان ذلك مكيدة من مكايد قَرَايُلك ليوقع الخلف[٦] بين العسكر بسبب ذلك ، أم كان ذلك عن حقيقة[٧] ، والله أعلم .

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (وساروا) ، والمثبت هو الأنسب عن ا .
(٢) فى ا (وافا) .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (وهزمهم) .
(٤) فى ا (سحا) ، وفى طبعة كاليفورنيا (شجا) ، والصواب هو المثبت عن المنهل الصافى (حـ ١ ورقة ١٩٣–١٩٤) . وكلمة جُحا لقب أُلحق بالأمير أزْبَك . يقول ابن تغرى بردى فى المنهل : «وكان عنده — أى عند الأمير أزبك — مروة وكرم مع خفة روح ومجون ودعابة ، ولهذا سمى بجحا » ، وأوضح هذه اللفظة ، بما لا يدع مجالا للشك ، حين قال : « جُحا » بتقديم الجيم .
(٥) فى ا (يبى) .
(٦) فى ا (الحلف) .
(٧) فى ا (حقيقه) .

هذا والسلطان مجتهد فى عمارة قلعة من الخشب تجاه أبراج آمِد ، ومَكاحِل[١] النفط تُرمى فى كل يوم بالمدافع والنَاجَنيق[٢] منصوبة ، يُرمى بها أيضا على الأبراج ، وأهل آمِد فى أسوأ ما يكون من الحال ؛ هذا مع عدم التفات السلطان لحصار آمد الالتفاتَ الكلى ، لشغل خاطره من جهة التفاته[٣] [إلى][٤] اختلاف عساكره ، وهو بتلك البلاد بين يدى عدوه ، وقد تورط فى الإقامة على حصار آمد ، والشروع ملزم . وطالت إقامته على آمد بعساكره نحو خمسة وثلاثين يوما ، وقد ضاق الحال أيضاً على أهل آمِد ، فعند ذلك ترددت الرسل بين السلطان وبين قَرَايُلُك فى الصلح ، وكان قرايلك هو البادئ فى ذلك ، حتى تم وانتظم[٥] الصلح بينهما على أن قرايلك يقبّل الأرض للسلطان ، ويخطب باسمه فى بلاده ويضرب السكة على الدينار والدرهم باسمه ، فأجاب إلى ذلك ، فأرسل إليه السلطانُ حمى[٦] القاضى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر ، وأرسلتُ أنا معه بعضَ أعيان مماليك الوالد ممن كان فى صحبتى من المماليك السلطانية ، فتوجه إليه القاضى شرف الدين المذكور بالخلع والفرس الذى جهزه السلطان إليه بقماش ذهب ، ونحو ثلاثين قطعة من القماش السكندرى .

ولما بلغ قَرَايُلُك مجىء القاضى شرف الدين ، نزل من قلعة أرقَنِين بمخيمه ، ولقى القاضى شرف الدين المذكور ، وسلم عليه ، ثم قام وقبّل الأرض فألبسه القاضى شرف الدين

---

(١) المكاحل ، وتعرف كذلك بمكاحل البارود ، هى المدافع التى يُرمى عنها بالنفط ، وبعضها يُرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر ، وبعضها يُرمى عنه ببندُق من حديد ، من زنة عشرة أرطال بالمصرى إلى ما يزيد عن مائة رطل (صبح الأعشى حـ٢ ص ١٤٤) .

(٢) كذا فى ا وفى طبعة كاليفورنيا ، ولغويا الجمع : مجانيق أو منجنيقات أو مجانق ، وكذلك وردت صيغة أخرى للجمع وهى "منجنوقات ، والمفرد مَنْجنيق ، وهى لفظة فارسية معربة معناها « أنا ما أجودنى » ؛ والمنجنيق آلة ترمى بها الحجارة ، وكانت معروفة منذ العصر الجاهلى ، وأول من استعملها فى الإسلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى حصار الطائف . ووردت صورة المنجنيق فى كتاب الفروسية والمناصب الحربية لمؤلفه نجم الدين حسن الرماح – مخطوطة بمكتبة الحرم المكى رقم ٥٠ ؛ (انظر القاموس المحيط وتاج العروس)

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) اقتضت العبارة إضافة هذا الحرف .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (وانقسم) ، والمثبت عن ا .

(٦) فى ا (حموى) .

الخلعة ، وكانت كامِليَّةَ مُخْمَلٍ كَفَوِيًّ[١] بِمَقْلَب سَمُّور ، وفَوْقانيًّا[٢] بوجهين أحمر وأخضر[٣] ، بطرازعر يض إلى الغاية . ثم قدم له الفرس صحبة الأوجاقى[٤] ، فقام إليه[٥] ، فأمره القاضى شرف الدين بتقبيل حافر الفرس ، فامتنع من ذلك قليلا ، ثم أجاب بعد أن قال : « والله إن هذه عادة تعيسة » ، أو معنى ذلك .

ثم أخذ[٦] فى الكلام مع القاضى شرف الدين ، فأخذ القاضى[٧] شرف الدين يعظه ويحذره مخالفة السلطان وسوء عاقبة ذلك ، فقال : « وأنا من أين ! والسلطان من أين ! أنا رجل تركمانى فى جهة من الجهات !» . ثم شرع[٨] يذكر قلة رأى السلطان فى مجيئه[٩] إلى بلاده ، وقال : « أنا يكفينى نائب حلب ، وهو بعض نواب السلطان ، [و][١٠] ما عسى كان يفعل السلطان لو أخذ آمد ؟ وكل شىء فى آمد ما يساوى بعض ما تكلفه » ، ثم قال : « والله لو أعطانى السلطان نصف ما ذهب من الكلف فى نعل خيوله وخيول عساكره ، لرضيتُ ودخلتُ فى طاعته » ، ثم قال : « لو كان مع السلطان أمير من جنس هذا — وأشار إلى مملوك الوالد الذى توجه مع القاضى شرف الدين — ما خلاه يجىء[١١] إلى هنا » ، وكان المملوك المذكور تتريًّا[١٢] ، فقال شرف الدين : « بلى ، مع السلطان جماعة من جنسه » ، فقال : « لا والله ، كان عندكم واحد نفيتموه إلى القدس

(١) مخمل كفوى : لعله نسبة إلى مدينة كيفى الواقعة بين آمد وجزيرة ابن عمر بديار بكر .
(٢) فى ا (فوقانى) .
(٣) فى ا (احمر) .
(٤) الأوجاقى أو الأوشاقى : هو الذى يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة (انظر السلوك حـ ١ ص ٤٣٣ حاشية ٣) .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (فأقام) ، والمثبت عن ا .
(٦) فى ا (أخذ) .
(٧) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (سرع) .
(٩) فى ا (مجيه) .
(١٠) حرف (و) مثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(١١) فى ا (يجى) .
(١٢) فى ا (تترى) .

بَطَّالا[١]، يعنى بذلك[٢] الأميرَ قَرَامُراد خُجَا الشَّعْبانى ، أمير جانْدار ، وأحد مقدمى الألوف . ثم قام قَرَايُلُك وقلع الخِلْعَة من عليه وألبسها بعضَ حواشيه ؛ ثم فعل بالكامِلِيَّة أيضاً كذلك ؛ وانفض المجلس ، و بات شرف الدين تلك الليلة عنده ، ولم يجتمع به غير المرة الأولى .

وعند السفر دخل إليه من الغد وسلم عليه ، فأنعم عليه قَرَايُلُك بأربعة أكاديش يساوى ثمنها[٣] أربعة آلاف درهم فلوساً عند صاحب[١٠] الغرض ، وعاد القاضى شرف الدين إلى السلطان ، فاجتمعتُ به قبل السلطان[٤] ، وعرّفنى جميع ما حكيتُه ؛ فاتفقنا على جواب نَمَّقْنَاه يحسُن ببال السلطان ، من جنس كلام قرايُلك ، لا يخفَى على الذوق السليم معناه . فلما دخل إلى السلطان وأعاد عليه الجوابَ المذكورَ سُرَّ السلطانُ قليلا بذلك ، وعظم سرور من حضر من القوم ، ومعظم سرورهم بعودهم إلى بلادهم وأوطانهم سالمين مما هالهم مما[٥] كانوا فيه من المشقة ، وقد اعتادوا بالترف والأمن وقلة[٦] القتال .

وفى الحال أخذ السلطان فى أسباب الرحيل ، ورحل فى ليلة الخميس ثالث عشر ذى القعدة فى النصف الثانى من الليل من غير ترتيب ولا تَطْليب[٧] ، ولا تعبىء ، ورحلت العساكر من آمِد كالمنهزمين لا يلوى أحد على أحد ، بل صار كل واحد يسير على رأيه .

وعند رحيل القوم أطاق الغلمان النيران فى الزروع المحصودة برسم عليق خُيُول الأجناد ،

---

(١) البَطَّال من الأجناد والأمراء ورجال القلم ، هو : العاطل من أعمال الدولة ووظائفها وإقطاعاتها ، عقاباً أو استعفاءً ، وقد يسمح السلطان البطال بتناول أجر ، عُرف فى المصطلح باسم «المعلوم» . والبطالين من الأمراء زى معين ، وأحيانا يعاد البطال إلى العمل عند الحاجة ، والأمثلة أكثر من أن تحصى (انظر النجوم الزاهرة ج ٨ ص ٣٦٤ — ٣٦٧ ؛ السلوك ج ١ ص ٧٣ حاشية ١ ؛ بدائع الزهور ج٢ ص ٤٨ ؛ ابن الفرات ص ٣١٩ ، ٣٥٩ ؛ النسخة المخطوطة من السلوك ج٣ ص ٣٢١—٣٢٢) .

(٢) يوجد فى ا بعد كلمة (بذلك) حرف (عن) ولا وضع له ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (تساوى كلها) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، ولا فرق يذكر .

(٤) فى ا (فاجتمعت به قبل ذلك) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (ما) .

(٦) فى ا (وعدم) ، والمثبت أنسب ، وهو عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) المقصود بالتطليب ، هو ترتيب العساكر فى أطلاب ، أى فى كتائب ، وذلك لاستعجال القوم وسأمهم من المقام والحرب .

فإنه كان كل واحد(١) من الأجناد صار أمام خيمته جرن كبير مما يحصده غلامه ويأتيه به من زروع(٢) آمد ، فلما انطلق النار(٣) فى هذه الأجران ، انطبق الوطاق بالدخان(٤) إلى(٥) الجو ، حتى صار الرجل لاينظر إلى الرجل الذى بجانبه .

ورحل الناس على هذه الهيئة مسرعين ، مخافة أن يسير السلطان ويتركهم غنيمة لأهل آمد وبالله لو نزلوا فى ذلك الوقت لأمسكوا من اختاروا مَسْكَه(٦) قبضاً باليد ، ولو أرادوا النهب لغنموا وسعدوا إلى الأبد ، لأن السلطان سار قبل رحيل نصف عسكره . وسار القوم من آمد إلى جهات متفرقة ، إلى أن طلع النهار ، وقد تمزقت العساكر فى طرقات متعددة ، لاتعرف طائفة خبر طائفة أخرى ، لبعد مابينهم من المسافة . فتوجه أتابكُ العساكر سُودون من عبد الرحمن ، وهو مريض ملازم ركوبَ المحفة ، من طريق مارْدِين السالكةَ إلى مدينة الرُّهَا ، ومعه طائفة كبيرة ممن تبعه من العسكر السلطانى ، وتوجهت طائفة أخرى من العسكر من الطريق التى(٧) سلكناها فى الذهاب إلى آمد من جهة قلعة أرْقَنِين التى(٨) بها قرايلك ، وتبعهم خلائق وعدة أطلاب .

فافترق الأمراء من مماليكهم وأطلابهم ، وتشتت شملُهم ، وسار السلطان من الطريق الوسطى من على الجبل المعروف قَرَاضاغ(٩) ، وهذا الطريق أقرب الطرق كالمفازة ، غير أنه عسر المسلك إلى الغاية من الطلوع والنزول وضيق الطرقات . وكنت أنا معه بهذا الطريق المذكور(١٠) ، وأكل السبع رجلا(١١) من غلماننا ، ووقع ذلك لجماعة أخر ، واصطادت الناس السباع من الأوكار ، وسرنا حتى نزلنا عن الجبل إلى

(١) فى طبعة كاليفورنيا (كل جندى) ، ولا فرق يذكر .
(٢) فى ا (روزع) .
(٣) فى ا (النيران) .
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) هذا الحرف ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) كلمة (مسكه) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ومثبتة عن ا .
(٧) فى ا (الذى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (الذى) .
(٩) فى ا (قراطاغ) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(١٠) فى ا (المذكوره) . (١١) فى ا (رجل) .

فضاء[١] غربى الجبل المذكور ، ومسافة للوضع الذى نزل السلطان به عن أرْقَنِين التى بها قَرَا يُلُك مقدار نصف بريد[٢] تخميناً .

وعند نزول السلطان بالمنزلة المذكورة ، علم بمن فقده من عساكره ، وتأمل مَن معه منهم ، فإذا هم[٣] على النصف من عسكره ، وأيضاً فيهم الذى تاه عن جماله ، ومنهم من لايعرف طُلْبَه أين ذهب ، وهو الأمير قَرْقَماس الشَّعبانى حاجب الحجاب ، نزل بالمنزلة المذكورة وليس معه غير أصحابه وطائفة نحو خمسة أنفس وهجّان وغلام ، فَنَصَبَ السِّيبَة[٤] واستظل تحتها من الشمس ، وقد سار طُلْبُه بجميع مماليكه ورَخْتِه[٥] من جهة لا يعرف[٦] متى تعود إليه ، ومثلُه فكثير من الأجناد والأمراء .

فلما رأى الملك الأشرف نفسه فى قلة من عساكره ، ولم يبق معه إلا شرذمة قليلة ، ولم يعلم أين ذهب الباقون ، شقّ عليه ذلك وتخوّف من كَبْس قَرَا يُلُك عليه فى الليل ، ولم يجد بُدًّا من المبيت فى المكان المذكور ، لتمزق عساكره . فلما أن دخل الليل ، ندب السلطانُ الأميرَ جَقْمَق العلائى الأميرَ آخورَ الكبيرَ ومعه جماعة لحفظ العسكر فى الليل ، فركب الأمير جقمق بمماليكه ومن انضاف إليه وضرب البَرَك[٧] على العسكر ، وقام بحفظه أحسن قيام إلى الصباح .

قلت : ومن تلك الليلة [المذكورة][٨] علمتُ منها[٩] حالَ قَرَا يُلُك وهمَّتَه ،

---

(١) فى ا (فضا) .

(٢) البريد : كلمة اختُلف فى أصلها ، فقيل : إنها عربية مشتقة من برد أو أبْرَد بمعنى أرسل ، وقيل : إنها فارسية معربة من «بريد دم» أى «مقصوص الذنب» ، لأن الفُرس من عادتهم أن يقصوا ذنب الخيول والبغال التى يتخذونها فى البريد ، علامةً لها ، وعن المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى : أن هذه الكلمة أصلها لاتينى Veredus أى الدابة التى يركبها العامل فى نقل مكاتبة من مكان إلى آخر ، ثم نقلت مجازا إلى المسافة المقطوعة . والراجح أن الأصل فارسى . والبريد يساوى أربعة فراسخ ، وطول الفرسخ ثلاثة أميال ، وطول الميل ٢٠٠٠ ذراع . (انظر : نظير حسان : نظام البريد فى الدولة الإسلامية ص ١٩—٢١ ؛ صبح الأعشى حـ ١٤ ص ٣٦٦ ؛ ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ١٢٥ ؛ الخطط حـ ١ ص ١١٩) .

(٣) فى ا (وهو) .

(٤) فى ا (السيبه) . والسيبة هى المظلة ، كما هو مشروح بالمتن .

(٥) الرَّخْت لفظ فارسى معناه : المتاع (انظر السلوك حـ ١ ص ١٩٠ حاشية ٤ ؛ صبح الأعشى حـ ٥ ص ٤٧١) .

(٦) فى ا (لايعرف) .

(٧) راجع حاشية ٢ ص ٢٤ فيما سبق .

(٨) التكملة عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) هذا اللفظ ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

فإنه لو كان فيه بقية ما تَرَكَ عساكرنا فى تلك الليلة بخير ، [١١] لأن الصلح الذى كان وقع بينه وبين السلطان [الملك] الأشرف كلا شيء[١] : كان فَسْخَ مجلس لاغير ، وقد بلغه ماوقع لعسكرنا من الشتات والتفرق ، وعلم بجميع[٢] مانحن فيه ، لقرب[٣] المسافة بيننا ، وما تركَ الإيقاعَ بنا إلا عجزاً وجبناً وضعفًا . وأيضًا مَن كان بمدينة آمِد ، لو كان فيهم منعة وقوة بعد ما عاينوا ماوقع لعسكرنا عند الرحيل من التمزق وعظم الاضطراب ، لنزلوا واستولوا على جماعة كبيرة[٤] من العسكر ، وباقى العسكر لايعرفون بذلك ، من عظم الغوغاء وشُغل كل واحد بنفسه ، مع شدة سواد الليل وظلمته — انتهى .

ولما أصبح السلطانُ بكرةَ يوم الجمعة بهذه المنزلة المذكورة ، سار منها يريد مدينة الرُّهَا ، حتى وصلها بمن معه من العسكر ، وأقام بها ، حتى اجتمع به من كان ذهب من عساكره فى الطرقات . وأخذ السلطان فى إصلاح أمر مدينة الرها ، وطلب الأميرَ إينال العلائى الناصرى نائب غزة ، وأراد أن يخلع عليه بنيابة الرها ، فامتنع من ذلك أشد امتناع وأفحش فى الرد وخَاشَنَ السلطانَ فى اللفظ ، وصمم على عدم القبول لذلك ؛ فغضب السلطان منه ، واشتد حنقه وهم بالإيقاع به ، فخشى عاقبةَ ذلك من عِظَم شوكة إينال المذكور ، وأخذ يُثنى[٥] على نفسه من كونه يحكم[٦] على أمرائه ومماليكه وأشياء من هذا المعنى ، إلى أن قال : «أنا حكمى مايسمعه إلا مماليكى» ، وطلب الأميرَ قَرَاجا الأشرفى شادَّ الشراب خاناه وخلع عليه باستقراره فى نيابة الرها ، وخلع على القاضى شرف الدين نائب كاتب السر باستقراره كاتبَ سرِّ الرُّها ، وخرجا من بين يدى السلطان [بالخلع][٧] على كره.

ثم لما توجه الأميرُ إينال العلائى نائب غزة إلى مخيمه ، كلمه الناس من أصحابه

(١) فى ا (كلاسى) .
(٢) فى ا (بجمع) .
(٣) فى ا (لعوب) .
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (سى) .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (حكم) .
(٧) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

فيما وقع منه من تمنّعه ومُخاشَنته فى الـكلام مع السلطان ، أو كأنّه خشى عواقب ماوقع منه ، فاعتذر من خراب مدينة الرُّهَا ، وأنه ليس بها ما يقوم بأوده ، وبلغ السلطانَ ذلك فضمن له ما طلبه ، وخلع عليه من يومه المذكور باستقراره فى نيابة الرُّهَا ؛ ثم استعفى شرفُ الدين من كتابة سر الرها ، فأعفى بعد أن حمل خمسمائة دينار للخزانة الشريفة ، ثم أمر السـلطانُ المماليكَ السلطانية بدفع مامعهم من الشعير[١] [للأمير][٢] إينال المذكور ليـكون له حاصل بالرها ، فبعث كل واحد منهم بشىء من عليق خيوله ، فاجتمع من ذلك شونة كبيرة . ثم أنعم السلطان على الأمير إينال المذكور بأشياء كثيرة ، وأصلح أمره ، وسار بعساكره عن الرها ، إلى أن نزل البِيرة . قلت : وإينال هذا هو الملك الأشرف ، سلطان زماننا .

ولـما نزل السـلطان بالبِيرة أقام بها إلى أن عَدَّت عساكره الجسر الذى نصب على بحر الفرات[٣] إلى البر الغربى ، ثم عدى السـلطان إلى البر الغربى [المذكور][٤] وأقام به يومَه ، ورحل من آخر النهار المذكور بعساكره ، حتى وصل إلى حلب فى خامس عشر ذى القعدة ، ونزل بظاهرها بالمنزلة التى[٥] نزل بها فى ذهابه إلى آمِد ، ونزل[٦] حوله جميع عساكره ، بعد أن أجهدهم التعب ، وماتت خيولهم ، وتلفت أموالهم من غير فائدة ولا قيام حرمة ، غير أن لسان الحال ينشد قول القائل : [الوافر][٧]

مَشيناها خُطًى كُتِبَتْ علينا ومن كُتِبَت عليه خُطًى مَشاها

(١) فى ا (لسعير) .
(٢) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (الفراة) .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (الذى) .
(٦) فى ا (ورل) .
(٧) أنواع بحور الشعر المذكورة بين الحواصر ليست موجودة بالأصل ، وقد أثبتها طبعة كاليفورنيا بين حواصر ، وسنجرى هنا على ما جاء فى طبعة كاليفورنيا .

وأقام السلطان بحلب نحو العشرة أيام ، وأمر النواب بالبلاد الشامية بالمسير إلى محل كفالتهم ؛ وخلع على الأمير جانِبك الحزاوى ، أحد مقدمى الألوف باستقراره فى نيابة غزة ، عوضاً عن إينال العلائى ، المنتقل إلى نيابة الرُّها ، فامتنع جانِبك الحزاوى من ذلك امتناعاً كُلِّيًا ؛ فألبسه الخلعة كرها . قيل : إن جانِبك المذكور ، لما لبس الخلعة وخرج[1] هزرأسه وأمسك لحية [نفسه][2] كالمتَوعِّد ؛ وبلغ الأشرف ذلك ، فقال : «حتى يصل[3] إلى غزة» ، فمات بالقرب من بعلبك .

وكان جانِبك ممن اتهم بالمالأة مع الأمراء فى آمِد ، وتكلم الناس فى موت جانِبك المذكور : أنه اغتيل بالسم لقول[١٢][الملك][4] الأشرف فى حقه : «حتى يصل إلى غزة» ، فقلت لبعض الإخوان : «يمكن أن يكون [ذلك][5] من طريق الكشف والولاية[6] والكرامة» ، فضحك الحاضرون ، وانفض المجلس . ثم خلع السلطان على الأمير قانى باى الأبو بكرى الناصرى ، المعروف بالبَهْلوان ، أتابك حلب ، بانتقاله إلى أتابكية دمشق ، بعد موت الأمير تَغْرِى[7] بَرْدى المحمودى بآمِد ، من جرح أصابه فى حصار آمِد ، وكان المحمودى أيضاً ممن اتهم بالوثوب على [الملك][8] الأشرف . وخلع على الأمير قُطُج[9] من تِمراز ، أحد مقدمى ألوف حلب ، باستقراره أتابكَ حلب ، عوضاً عن قانى باى المذكور[10] ؛ وخلع السلطان على الأمير كَمَشْبُغَا[11] الأحمدى الظاهرى ، أحد أمراء

(١) فى ا (وسرح) . (٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (تصل) .
(٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (تعرى) .
(٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (قطح) .
(١٠) فى ا (الدلور) .
(١١) كشبغا بمعنى فحل فضة ؛ ولشرح ذلك : من الملحوظ على الأسماء والألقاب التركية التى انتشرت فى عصر السلاطين المماليك . أنها كثيرا ما تطلق لتدل على معنى من معانى القوة . وقد أوضح القلقشندى هذا بقوله : «وغالبا ما يسمون باسم بَغَا ، ومعناه بلغتهم الفحل ، إما مفردا ، وهو قليل ، وإما موصوفا بحيوان من الحيوانات ، مقدمين الصفة على الموصوف ، مثل طَيْبُغَا بمعنى فحل مُهر ، أو موصوفا بمعدن من المعادن مثل أَلْطُنْبُغَا بمعنى فحل ذهب ... » (انظر صبح الأعشى ج٥ ص ٤٢٥-٤٢٦) .

العشرات ورأس نوبة، بتوجهه إلى الديار المصرية، مبشرا بعود السلطان إلى الديار المصرية.

وصار السلطان يركب ويسير بحلب، وطلع إلى قلعتها غير مرة، إلى أن خرج منها في يوم الخميس خامس ذى الحجة من سنة ست وثلاثين المقدم ذكرها، يريد جهة دمشق، وسار حتى نزل بحماه، وأقام بها أياماً، ثم رحل منها بعساكره إلى جهة دمشق حتى دخلها في يوم الخميس تاسع عشر ذى الحجة، ونزل بقلعتها، ونزلت عساكره بمدينة دمشق، ودام بدمشق إلى أن برز منها يوم السبت ثامن عشرين ذى الحجة، يريد الديار المصرية، بعد أن خلع على جميع نواب البلاد الشامية باستمرارهم، ولم يحرك ساكن في الظاهر والله متولى السرائر. ثم سار السلطان حتى وصل غزة، وقد استقر في نيابتها من دمشق الأمير يُونُس الرُّكْنى، أحد مقدمى الألوف بدمشق، وكان يونس المذكور وليها مرة أخرى قبل ذلك.

وأقام السلطان بغزة ثلاثة أيام، ثم رحل منها يريد القاهرة، حتى وصلها في يوم الأحد العشرين من محرم سنة سبع وثلاثين وثمانمائة، ودخل في موكب عظيم[(١)] جليل من باب النصر بأبهة الملك وشعار السلطنة، وعلى رأسه القبة والطير، تولى حمْلَه الأميرُ الكبير سودون من عبد الرحمن وهو مريض، وقد ساعده جماعة من حواشيه في حملها. وشق السلطان القاهرة وقد زينت لقدومه أحسن زينة، وسار حتى نزل بمدرسته التي أنشأها بخط العَنْبَرِيين[(٢)] من القاهرة، وصلى بها ركعتين، ثم ركب منها وسار حتى خرج من باب زويلة، وطلع إلى القلعة بعد أن خرج المقام الجمالى يوسف ولده إلى ملاقاته بالخانقاه، وعاد معه. وكان لقدومه يوم مشهود[(٣)]، وسر الناس بسلامته، وعاد السلطان إلى مصر بعد أن أتلف في هذه السفرة نحو الخمسمائة ألف دينار من النقد، وتلف له من

(١) كلمة (عظيم) ساقطة في طبعة كاليفورنيا.

(٢) خط العنبريين نسبة لتجار العنبر، ولهم سوق يعرف باسمهم، وهو الذى أنشأه السلطان قلاوون. وكان للعنبر إذ ذاك سوق رائجة بمصر «لا يكاد يوجد بأرض مصر امرأة، وإن سفلت، إلا ولها قلادة من عنبر، وكان يتخذ منه المخاد والكلل والستور وغيرها...». والعنبر ليس هو ذلك الطيب المعروف المأخوذ من الحيوان البحرى المعروف بهذا الاسم (القاموس المحيط)، وإنما هو، كما يبدو من وصف المقريزى، نوع من الحرير أو خيوط الحرير أو الغزل الفاخر (راجع الخطط جـ٢ ص ١٠٢–١٠٣).

(٣) في ا (يوما مشهودا).

السلاح والمتاع والخيل والجمال والبغال مثل ذلك ، وأنفق الأمراء بمصر والشأم والعساكر المصرية والشأمية مثل ذلك ، وتلف لأهل آمِد وما حولها من الغلال والزراعات والمواشى شىء كثير[١] إلى الغاية ، وقتل أيضاً خلائق ، ومع هذا كله كانت سفرة كثيرة[٢] الضرر قليلة النفع .

ولم ينل أحد فى هذه السفرة غرضا من الأغراض ، ولا سكنت فتنة ولا قامت حرمة ، ولا ارتدع عدو . ولهج غالب الناس بأن السلطانَ سعدُه لا يعمل إلا وهو بقلعة الجبل[٣] ، وحيثما تحرك بنفسه بطل سعده ، وعدُّوا حركته مع التركمان فى نيابته بطرابلس ، ثم واقعته مع الأمير جقمق نائب الشام لما أمسكه جقمق وحبسه ، ثم سفرته [هذه][٤] إلى آمد ؛ قلت : الحركات والسكون بيد الله ، والحرب سجال : يوم لك ويوم عليك ، والدهر تارة وتارة ، والغَيْبُ مُسْتَرٌ ما هو مُخَبَّرٌ[٥] — انتهى .

ولما طلع السلطان إلى القلعة خلع على الأمراء ، وأخذ فى إصلاح أمره ، وخلع على التاج بإعادته إلى ولاية القاهرة ، بعد عزل دُولات خُجا الظاهرى ، ثم خلع السلطان على الأمير آقْبغَا الجمالى المعزول عن الأستادَّارِيَّة قبل تاريخه ، باستقراره فى ولاية الوجه القبلى ، عوضا عن داوُد[٦] التركمانى ، وكان السلطان أنعم على آقْبغَا[٧] المذكور بإمرة عشرة بعد موت الأمير تنبك من سيدى بك[١٣] المعروف بالبهلوان بآمِد .

ثم فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع [الأول][٨] من سنة سبع وثلاثين المذكورة ، رسم السلطان بإخراج الأمير الكبير سُودون مِن عبد الرحمن إلى القدس بطَّالا ،

(١) فى ا (شيئا كثيرا) .
(٢) فى ا (كبيرة) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (سعده لا يعمل إلا وهو بقلعته) دون حاجة لذكر كلمة (الجبل) ، غير أن إثبات كلمة الجبل عن ا ، يزيد العبارة وضوحا ودقة .
(٤) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) العبارة الواردة فى ا (ولعيد مُسَيَّر ما هو مُخَيَّر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا أنسب لسياق العبارة .
(٦) فى ا (دوادار) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (أقبما) .
(٨) عن طبعة كاليفورنيا .

فاستعفى من السفر، وسأل أن يقيم بداره بطَّالا ، فأجيب إلى ذلك ، ولزم داره إلى ما يأتى ذكره . وأنعم السلطان بأقطاعه على الديوان المفرد ، ولم يقرر أحداً غيره فى أتابكية العساكر بديار مصر[1] ؛ وهذا شىء لم نعهد بمثله .

وضرب رَنْك[2] السلطان على البيمارستان المنصورى بالقاهرة ، وكانت العادة جرت من مدة سنين ، أن كل من يلى الإمرة الكبرى ، يكون هو الناظر على البيمارستان المذكور ، فلما فقدت[3] هذه الوظيفة ، تكلم السلطان على نظرها ، وضرب اسمه على بابها .

ثم فى يوم السبت أول شهر ربيع الآخر ، خلع السلطان على دُولات خُجا المعزول عن ولاية القاهرة ، باستقراره فى ولاية المنوفية والقليوبية ، ثم فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر [المذكور][4] ركب السلطان من قلعة الجبل ونزل إلى الصيد ، وعاد فى خامسه .

ثم فى يوم الاثنين عاشره خلع السلطان على الأمير إينال الششمانى الناصرى ، ثانى رأس نوبة ، باستقراره فى نيابة صفد ، بعد موت الأمير مُقبل الحُسامى الدوادار ، ومقبل أيضا هو أحد من اتهم[5] بالوثوب على السلطان فى آمِد . ثم فى حادى عشره خلع السلطان

(١) فى طبعة كاليفورنيا (بالديار المصرية) ، والمثبت عن ا . وقد وردت هذه العبارة أكثر من مرة بما يخالف عبارة طبعة كاليفورنيا لفظا ، وسوف يضعها المحقق بحسب ورودها فى ا ، دون إشارة لما فى طبعة كاليفورنيا تجنبا للتكرار .

(٢) الرنك لفظ فارسى بمعنى اللون ، واستخدم بمعنى الإشارة أو الشعار أو الرمز الذى يتخذه الأمير أو السلطان المملوكى لنفسه ، وكذلك للدلالة على وظيفة الأمير . والأصل المباشر لرنوك المماليك هو أساتذتهم الأيوبيون ؛ وقد يمثل الرنك معنى من المعانى التى يهواها الأمير أو السلطان ، كالشجاعة التى تمثلها السلطان بيبرس فى الأسد ، فاتخذ الأسد رنكا له ونقشه على نقوده . ومن أمثلة الرنوك الدالة على مهنة أصحابها : الدواة والمقلمة لكتاب السر والدوادارية ، والكأس للساقى ، والسيف والخنجر للسلاح دار ، والإبريق أو البُقْجة للطشتدار وهكذا (للمزيد عن موضوع الرنوك وأصولها انظر : السلوك جـ ١ ص ٦٧٢ حاشية ٤ ؛ صبح الأعشى جـ ٤ ص ٦١–٦٢ ؛ محمد مصطفى : بحث عن الرنوك بمجلة الرسالة عدد ٤٠٠ مارس ١٩٤١ ص ٢٦٨–٢٧١ ؛ النجوم الزاهرة جـ٧ ص ٤ ؛ طرخان : دولة المماليك الجراكسة ص ٣٢٤–٣٢٩ ؛ لنفس المؤلف : تاكيتوس والشعوب الجرمانية (ترجمة) ص ٥٢–٥٣ وحاشية ١٢٨ :
ARTIN,Y. *Contribution à l'Etude du Blason en Orient* ; Mayer, L.A., Saracenic Heraldry

(٣) فى ا (فقدت) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (اتهم) . والمثبت عن ا .

على آقبغا الجمالي [المقدم ذكره][1] باستقراره كاشف الوجه البحري عوضا عن حسن بك ابن سالم الدُّوكَرِى ، وأضيف إليه كشف الجسور أيضا . ثم في ثالث عشره ، ركب السلطان ونزل إلى البيمارستان المنصوري للنظر في أحواله ، فنزل به وأقام ساعة ثم ركب وعاد إلى القلعة .

ثم في يوم الأحد ثامن عشرين جمادى الأولى خلع السلطان على حسين الكُرْدى ، باستقراره كاشف الوجه القبلي ، بعد قتل آقبغا الجمالي في خامس عشرينه في حرب كان بينه وبين عرب البحيرة[2] ، وقتل معه جماعة من مماليكه ومن العربان ، ثم خلع السلطان

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) المعروف عن ثورات العربان في مصر المملوكية أنها مزمنة وعنيفة ، رغم تمتع زعماء العربان بالإقطاعات الوفيرة والاستقلال المحلي المحدود ، بل ووراثة المشيخات في قبائلهم ونواحيهم مما لم يتح لأمراء المماليك أنفسهم . والسبب الأساسي في ثورات العربان ، بجميع أقاليم مصر وخارجها ، هو الكراهة العنصرية للمماليك الذين حكموا وسادوا وهم أصلا رقيق . وترجع هذه الكراهة إلى عصر الأيوبيين ، وربما إلى عهد أقدم من ذلك ، إلى ذلك العهد الذي طرد فيه الخليفة المعتصم العباسي الجند العرب ؛ من ديوان الجيش في القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي ، وأحل محلهم الترك . وظلت مشكلة العربان قائمة منذ بداية العصر المملوكي حتى نهايته ، فعملوا منذ البداية على تعويق قيام سلطنة المماليك وهدمها في مهدها ، ومن أقوالهم : « إنا أحق بالملك من المماليك ، وقد كفانا أنا خدمنا بني أيوب ، وهم خوارج خرجوا على البلاد » . وقالوا كذلك : « نحن أصحاب البلاد » . وذكر المقريزي في الإعراب : أن زعيم عرب الجعافرة — في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي — « أنف من سلطنة المماليك الأتراك وجمع رهطه وثار في سلطنة أيبك ... »

وظل العرب يتربصون الدوائر بالمماليك ؛ وما فتن عربان البحيرة إلا صورة من هذه الثورات المستمرة ، من ذلك ثوراتهم في عام ٧٨٣ هـ / ١٣٨١ م ونهبهم محصولات الإقطاعات المملوكية زمن برقوق . وفي مطلع حكم قايتباي قعل زعيما عرب البحيرة وهما : الجويلي ومرعى ، الشنائع في ذلك الإقليم ، حتى أقسم الجويلي أنه « لا يمكّن أحداً من أرباب الدولة أن يأخذ خراجا من بلاد الغربية والبحيرة » . ولشدة بأس عربان البحيرة ، لم يجرؤ رجال الحملة التي أعدت لقمعهم في ذلك الوقت ، على الخروج إليهم ؛ وفي أحلك الساعات التي تقرر فيها مصير الإمبراطورية المملوكية برمتها ، رفض السلطان طومان باى اشتراك العربان معه في الجهاد الأخير ، رغم حاجته إلى مزيد من القوات في ذلك الوقت ، فرد من تطوع منهم إلى بلادهم ، وطومان باى هو الذي وقع ضحية الخيانة المشهورة من عربان البحيرة . وامتد حقد العرب على المماليك حتى نهاية العصر العثماني ودخول نابليون (انظر : المقريزي : الإعراب ورقة ٩٣ ؛ ابن إياس : بدائع الزهور جـ١ ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٣٤٠ ، جـ٢ ص ٩٥ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ، ١٨٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٨ ، جـ٣ ص ٩٩ ، ١١٤ ، ١٤٥ ؛ النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٣٦ ، ٦٠–٦١ ؛ السلوك — مخطوط — جـ٣ ص ١٣ ؛ الجبرتي : عجائب الآثار جـ ٣ ص ١٤–١٥) .

على الوزير الأستادار كريم الدين ابن كاتب المناخ ، كامليَّة بفرو وسمّور [بمقلب سمّور] (١) لتوجهه إلى البحيرة ، وصحبته حسين الكردى المقدم ذكره ، لعمل مصالحها واسترجاع ما نهبه أهل البحيرة من متاع آقبغا الجمالى بعد قتله ، وكتب إليهم السلطان بالعفو عنهم ، وأن آقبغا تعدى عليهم فى تحريق بيوتهم وسبى أولادهم ونحو ذلك ، قصد السلطان تطمينهم ، عسى أن يؤخذوا من غير قتال ولا فتنة .

ثم أمر السلطان بعدِّ مَن بالإسكندرية من القزّازين وهم الحُيَّاك ، فأُحصى فى يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة [المذكورون](٢) ، فبلغت عِدَّتُهم ثمانمائة نول ، بعد ما بلغت عدتهم فى أيام نيابة ابن محمود الأستادار فى سنة بضع وتسعين وسبعمائة أربعةَ عشر ألف نول ونيفًا ، فانظر إلى هذا(٣) التفاوت فى هذه السنين القليلة(٤) ، وذلك لظلم ولاة الأمور ، وسوء(٥) سيرتهم ، وعدم معرفتهم ، لكونهم يطمعون(٦) فى النزر اليسير بالظلم ، فيفوتهم أموال كثيرة مع العدل ؛ والفرق بين العامر والخراب ظاهر .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب ، أدير محمل الحاج على العادة فى كل سنة . ثم فى سابع عشرين [شهر](٧) رجب المذكور ، قدم الأمير بَرْبغَا التتمى الحاجب الثالث بدمشق ، إلى القاهرة بسيف الأمير جَارْقُطْلو نائب الشام(٨) ، وقدمات بعد مرضه خمسة وأربعين يومًا ، فى يوم تاسع عشره ، فعين السلطان عوضه لنيابة دمشق ، الأميرَ قَصْرُوه مِن تمراز نائب حلب ، وكتب له بذلك . ثم(٩) فى يوم تاسع عشرينه ، عين السلطان

(١) ، (٢) أضيف ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (وهذه) .
(٤) فى ا (العليله) .
(٥) فى ا (وهو) .
(٦) فى ا (يطمعو) .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى طبعة كاليفورنيا (دمشق) ، ولا فرق يذكر .
(٩) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

الأمير خُجا سُودون السيفى بلاط الأعرج ، أحد أمراء الطبلخاناه ، ورأس نوبة ، أن يتوجه إلى قصروه بالتقليد والتشريف .

وفى اليوم خلع السلطان على الأمير قَرْقَاس الشعبانى الناصرى ، المعروف أهرام ضاغ[1] ، حاجب الحجاب ، باستقراره فى نيابة حلب عوضاً عن قصروه ، وأن يكون مُسَفِّرَه الأميرُ شاد بك الجكمى أحدُ أمراء الطبلخانات ورأس نوبة . [١٤] وخلع السلطان على الأمير يَشْبَك السُّودونى ثم الظاهرى طَطَر المعروف بالمُشِدّ باستقراره حاجبَ الحجاب عوضاً عن قرقاس المذكور ، وأنعم بإقطاع قرقاس على الأمير آقبغَا التمرازى أمير مجلس ، وخلع عليه باستقراره أمير سلاح ، وبإقطاع آقبغَا على الأمير يَشْبَك المذكور . وخلع السلطان على الأمير إينال الجَكَمى أمير سلاح ، باستقراره أتابك العساكر ، وكانت شاغرة من يوم لزم سُودون من عبد الرحمن بيته ، واستقر عوضه فى إمرة سلاح ، آقبغا التمرازى المقدم ذكره . وخلع السلطان على الأمير جَقْمَق العلائى الأمير آخور باستقراره أميرَ مجلس ، عوضاً عن آقبَغَا التمرازى ، [المقدم ذكره] [2] . وخلع على الأمير حسين ابن أحمد المدعو تَغْرِى بَرْمَش باستقراره أميرَ آخور ، عوضاً عن جقمق العلائى .

فخرج الجميع ، وعليهم الخلع والتشاريف ، وجلسوا على المسطبة التى يجلس عليها مقدم المماليك عند باب السر[3] ، فى انتظار الخيول التى أخرجها السلطان لهم ، بسروج الذهب والكنابيش ماخلا تَغْرِى بَرْمَش ، فإنه فارقهم من داخل القصر ، ونزل إلى باب السلسلة وتسلمه من وقته ، فقعدوا[4] الجميع على المسطبة صفاً واحداً ، [و][5] جلس فوق الجميع إينال الجكمى ، ثم تحته قرقاس نائب حلب ، ثم آقبغَا التمرازى ، الذى استقر أميرَ سلاح ، ثم الأمير جقمق الذى استقر أمير مجلس ، ثم الأمير يشبك المولّى حاجبَ الحجاب ،

(١) ورد هذا المصطلح (أهرام ضاغ) فى أكثر من موضوع ، وقد شرحه ابن تغرى بردى فيما بعد فقال : « ومعنى أهرام ضاغ : أى جبل الأهرام ، سمى بذلك قديما لتكبره وتعاظمه » (انظر ترجمة هذا الأمير فيما يلى ، تحت حوادث السنة الأولى من سلطنة جقمق ، وهى سنة ٨٤٢ هـ) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) باب السر أحد أبواب القلعة ، ويطل على سوق الخيل . (انظر المواعظ والاعتبار حـ٢ ص ٢١٢) .

(٤) كذا فى الأصل وفى طبعة كاليفورنيا .

(٥) أضيف حرف (و) لتقويم العبارة .

إلى أن حضرت الخيول وركبوا ، ونزل[1] كل واحد إلى داره .

فلما نزل جَقْمَق العلائى إلى داره ، عرّفه أصحابه وحواشيه أن وظيفة الأمير آخورية كانت خيراً له[2] من وظيفة أمير مجلس ، وإن كان ولابد فيولّى[3] أميرَ سلاح ، فيكون ما فاته من منفوع الأمير آخورية ، يتعوّضه من قيام الحرمة بوظيفة أمير[4] سلاح . وبلغ السلطان ذلك ، فرسم فى الحال إلى آقبغا التمْرازى أن يكون أمير مجلس على عادته ، وتكون الخلعة التى لبسها خامة الرضى[5] والاستمرار ، وأن يكون جقمق أمير سلاح ؛ ونزل الأمر إلى كل منهما بذلك ، فامتثلا المرسوم [الشريف][6] ، واستمر كل منهما على ما قرره السلطان ثانياً .

وفى اليوم المذكور رسم السلطان بإخراج الأمير سُودون من عبدالرحمن إلى ثغر دمياط ، وسببه أن السلطان لما بلغه[7] موت جارقُطْلُو ، استشار بعض خواصه فيمن يوليه نيابة الشأم ، فذكروا له سُودون من عبد الرحمن ، وأنه يقوم للسلطان بمبلغ كبير من ذهب فى نظير ذلك . وكان فى ظن السلطان أن سودون من عبد الرحمن قد استَرختْ أعضاؤه ، وتعطلت حركته من طول تمادى المرض به ، وقد أمن من جهته ما يخشيه[8] ، فقال السلطان : سُودون من عبد الرحمن تلف ، ولم يبق فيه بقية لذلك ، فقالوا : يامولانا السلطان ، هو المتكلم فى ذلك . فلم يحملهم السلطان على الصدق ، وأرسل إليه فى الحال يعرض عليه نيابة الشأم ، فقبل ، وقال : مهما أراد السلطان منى فعلته له ؛ فلما عاد الجواب على السلطان بذلك علم أن غالب ما به تضاعُف ، وأن فيه بقية لكل شىء ؛ فأمر فى الحال بإخراجه إلى ثغر دمياط . ثم خلع السلطان على الأمير بُرْبغَا التَّنَمى أحد حجاب دمشق ، وأعاده إلى دمشق .

ثم فى يوم الخميس سابع شعبان من سنة سبع وثلاثين المذكورة ، خلع

(١) فى ا (ونزلوا) .
(٢) فى ا (خير) .
(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (امرة) وما هنا عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .
(٥) فى ا (الرضا) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (بلغه) . (٨) أى (يخشاه) .

السلطان على الأمير [الكبير](١) إينال الجكمى باستقراره فى نظر البيمارستان المنصورى على العادة(٢) ، وكانت تولية إينال المذكور للإمرة الكبرى بغير إقطاع الأتابكية ، بل باستمراره على(٣) إقطاعه القديم ، غير أنه أنعم السلطانُ عليه بقرية حجّة ومردّة من أعمال نابلس ، وكانت من جملة إقطاع الأمير الكبير ، ثم خلع عليه بنظر البيمارستان المذكور ، فهذا الذى حصل له من جهة الأتابكية ؛ ولم ينله منها إلا مجرد الاسم فقط .

وفى شهر رجب وشعبان ، قرر السلطان على جميع بلاد الشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة وسائر الوجه القبلى ، خيولا تؤخذ من أهل النواحى ، فكان يؤخذ(٤) من كل قريةٍ خمسةُ آلاف درهم فلوساً ، عن ثمن الفرس المقرر عليها ، ويؤخذ من بعض النواحى عشرةُ آلاف عن ثمن فرسين ، [١٥] ويحتاج أهل الناحية إلى مغرم آخر لمن يتولى أخذَ ذلك منهم ، فنزل بسبب ذلك على فلّاحى القرى(٥) بلاء(٦) الله المُنْزَل . وأحصى كُتّاب ديوان الجيش قرى أرض(٧) مصر العامرة كلها قبليها وبحريها(٨) ، فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية ، وقد ذكر المسبّحى(٩) فى تاريخه : أنها كانت فى القرن الرابع : عشرةَ آلاف قرية عامرة ، فانظر إلى تفاوت ما بين الزمنين ، مع أمن هذا الزمان وكثرة فتن ذلك(١٠) الزمان ، غير أن السبب معروف والسكات أجمل .

ثم فى يوم الخميس رابع عشر شعبان ، برز قرقماس نائب حلب إلى محل كفالته وعليه جمل كبيرة من الديوان ؛ ثم فى تاسع عشر شعبان ختن السلطانُ ولدَه المقامَ الجمالىَّ يوسف ،

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) ، (٣) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا ومثبت عن ا .
(٤) فى ا (يو خذ) .
(٥) فى ا (القرى) .
(٦) فى ا (بلا) .
(٧) فى ا (أهل) ، واثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (وبحرها) .
(٩) فى ا (المسيحى) .
(١٠) فى ا (تلك) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت هو الأصح .

وختن معه نحو الأربعين صبياً ، بعد ما كساهم وعمل لذلك مُهِمًّا هائلا[١] للرجال بالحوش السلطانى ، وللنساء[٢] بالدور بالقلعة[٣] .

ثم فى يوم السبت ثالث عشرينه ، قُيِّد [الوزير][٤] كريم الدين ابن كاتب المناخ ، بعد أن كان استعفى غير مرة من إحدى الوظيفتين : إما الوزارة[٥] [أ]و[٦] الأستادّارية ، فلم يُعفه السلطان ، فلما تسحّب فى هذا اليوم ، طلب السلطانُ [أمينَ الدين][٧] إبراهيمَ ابن الهَيْصَم ، ناظرَ الدولة ، وخلع عليه باستقراره وزيراً عوضاً عن الصاحب كريم الدين المذكور .

ثم فى يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان المذكور ، ظهر الصاحبُ كريم الدين المذكور[٨] ، وطلع إلى القلعة ، فخلع عليه السلطان سَلاَّريا[٩] من قماشه . ثم طلع [كريمُ الدين] من الغد ، فخلع عليه [السلطانُ] ثانياً خلعة جليلة[١٠] ، باستمراره على وظيفة الأستادّارية ؛ ونزل إلى داره فى موكب جليل ، وقد سُرَّ به غالب أعيان الدولة ، فإن السلطان ، كان ألزم زينَ الدين عبدالباسط بوظيفة الأستادّارية ، فقال له : « يا مولانا

(١) فى ا (هائلا)

(٢) فى ا (النسا) .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (من القلعه) ، وما هنا عن ا .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (الوزر) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا ، وقد وردت هذه الكلمة بصور مختلفة فى أكثر من موضع بالمتن ، فتارة الوزر وتارة الورز وتارة الوزارة . ومادة هذه الكلمة الأصلية (وَزَرَ) ، والوِزر بالكسر : الإثم والثقل والحمل الثقيل ، ومنها الوزير ، وهو حَبَأ الملك الذى يحمل ثقله ويعينه برأيه ، وقد استوزره فتوزّر له ووازَرَه ، وحالُه الوزارة بالكسر والفتح — والجمع أوزار ووزراء . وعليه فالصواب وجهان : الوِزْر والوزارة . فأما الوزر فلا شك أنها تصحيف أو خطأ من الناسخ ، ولذلك سيدأب المحقق على تصحيح هذه اللفظة واستعمال كلمة الوزارة دون الإشارة إلى الصيغة الإملائية الخاطئة أو المحرفة بالمتن .

(٦) ، (٧) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) فى طبعة كاليفورنيا (المتقدم ذكره) والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .

(٩) فى ا (سلارى) : والسلاّرى ما ينسب للأمير سيف الدين سلار التترى الأصل ونائب السلطنة زمن بيبرس الجاشنكير فى الدولة المملوكيّة الأولى ، وقد نسب لهذا الأمير الكثير من الملابس والأسلحة وآلات الخيل ، وظلت تنسب إليه حتى نهاية عصر المماليك ، (انظر بدائع الزهور حـ١ ص ١٥٥) .

(١٠) وردت عبارة (خلعة جليلة) فى طبعة كاليفورنيا متأخرة عن موضعها التى أثبتت فيه بالمتن ، والمثبت عن ا .

السلطان ، ما يليق بي هذه الوظيفة» ، فقال: « يليها دوادارك جانبك » ، فتبرم أيضاً من ذلك ، فحاشنه السلطان في الكلام وأهانه ، فأوعد بحمل مبلغ كبير من المال مساعدة للأستادّار ، ثمّ حسّن للسلطان في الباطن ولاية القاضي سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص ، أستادّاراً ، وكلّمه السلطان في ذلك ، فأبى سعد الدين إبراهيم أيضاً ، وأخذ يستعفي ؛ وبينما هم في ذلك ، ظهر كريمُ الدين ، فتنفّس[1] خناقُ عبدالباسط وغيره بظهور كريم الدين واستمراره على وظيفته .

وقدم الخبرُ في هذا الشهر من مكةَ [المشرّفة][2] ، بأن الوباء[3] ، قد اشتد بها وبأوديتها ، حتى بلغ عدة من يموت بمكة[4] ، في اليوم خمسين نفساً ، ما بين رجل وامرأة .

وفي شهر رمضان المذكور تحرك عزم السلطان على السفر إلى جهة آمِد ، لقتال قرايُلك ، وكتب إلى بلاد الشأم بتعبئة الإقامات من الشعير وغيره على العادة ، وكان سبب حركة السلطان لذلك ، لما ورد عليه الخبر في يوم ثامن عشره ، أن الأمير إينال العلائيّ نائب الرها ، كان بينه وبين أعوان قَرايُلك وقعة هائلة[5] . وسببه أن بعض عساكر حلب أو عساكر الرُّها خرج يُسيِّر فرسه ، فلما كان بين بساتين الرها ، صادف طائفة[6] من التركمان ، فقاتلهم وهزمهم ؛ وبلغ [ذلك][7] الأميرَ إينال ، فخرج مسرعاً من مدينة الرها ، نجدةً لمن تقدم ذكره ، فخرجت عليه ثلاثة[8] كمائن[9] من القَرايلكية ، فقاتلهم ، فكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها من الفريقين عدة .

---

(١) في ا (فتنفس) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) في ا (الوبا) .

(٤) في ا (عله) .

(٥) ، (٦) في ا (هايله ، طايفه) .

(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) في ا (ثلاث) .

(٩) في ا (كا ين) .

فلما بلغ السلطانَ ذلك ، شق عليه ، وعزم على السفر ؛ ثم كتب السلطانُ إلى سائر البلاد الشامية ، بخروج نواب الممالك[1] للحاق[2] الأمير قَرْقَمَاس[3] نائب حلب بالرُّها ؛ ثم بطل ذلك ، وكتب بمنعهم من المسير ، حتى يصح عندهم نزول قَرَايُلك على الرها بعساكره وجموعه[4] ، فإذا صح لهم ذلك ، ساروا لقتاله .

وفى يوم الثلاثاء ثالث[5] عشرين شوال ، كتب السلطان باستقرار خليل بن شاهين الشَّيخى ، ناظر الإسكندرية وحاجبها ، فى نيابة الإسكندرية ، مضافاً على النظر والحجوبية ، عوضاً عن الأمير جانِبك[6] [السيفى يَلْبُغَا] [7] الناصرى [فرج][8] [المعروف][9] بالثور[10] .

وفى شوال هذا ، قدم على السلطان الخبر من بغداد ، على يد قاصد كان السلطان وجّهه قبل ذلك لكشف أخبار الشرق ، وأخبر : أن أصبهان بن قرا يوسف[11] ، لما

---

(١) فى ا (الماليك) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، فضلا عن سياق الكلام .

(٢) فى ا (لحوق) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وهو الأصوب (انظر القاموس المحيط) .

(٣) ورد اسم هذا الأمير فى ا متأخراً عن وصفه الذى أثبت فيه بالمتن ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (بجماعته وعساكره) والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (جاندار) . والمثبت هو الصواب عن ا (انظر ما يلى) .

(٧) انظر ما يلى ص ٤٨ س ٤ .

(٨) عن الضوء اللامع .

(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

(١٠) فى طبعة كاليفورنيا (النور) ، والمثبت عن ا والضوء اللامع (ج٣ ص ٥٦) .

وترجع تسميته بالثور إلى أنه لما ولى بتفر جِدَّة ، عزم على هدم المصطبة التى كانت بها ، يقول أبو المحاسن : « فكلمه بعض أعيان الناس فى عدم هدمها ، فأبى إلا هدمها ، وكان هذا شأنه : لا يسمع لأحد ، ولهذا سمى جانبك الثور » (انظر المنهل الصافى ج ٢ ورقة ٤٦٠–٤٦١)

(١١) قرا يوسف أشهر أمراء دولة الشاة السوداء التركمانية ،أو دولة قراقيونلو ، ومعنى هذه الكلمة الأخيرة : أصحاب الشاة السوداء ، وقد ظهرت هذه الدولة فى المنطقة الواقعة جنوب بحيرة وان واستقرت أملاكها فى بعض أرمينية وأذربيجان وعاصمتها تبريز ، ومؤسسها قرا محمد تُورمُش بن بَيْرام خوجه عام ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨ م ، إلا أن أشهر أمرائها أبو نصر قرايوسف نويان بن محمد ؛ وكانت علاقة الشاة السوداء بمصر المملوكية أقرب إلى الصداقة منها إلى العداء ، بل إنها ساعدت المماليك خلال غزوة تيمورلنك ، وضد منافستها دولة الشاة البيضاء . (انظر : القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول ص ٣٣٦ ؛ زامباور ج ٢ ص ٣٨٢ ؛

SYKES, *History of Persia*, pp. 139-140 ; MALCOLM, *op. cit.* pp. 316-318)

مَلَكَ بغداد من أخيه شاه محمد بن قَرايوسف ، أساء[1] السيرة ، بحيث[١٦]أنه أخرج جميع أهل بغداد منها بعيالهم ، بعد أن أخذ جميع أموالهم ، من جليل وحقير فتشتتوا بنسائهم[2] وأولادهم فى نواحى الأقطار ، وصارت بغداد ليس بها سوى نحو ألف رجل من جند أصبهان المذكور لاغير ، وأنه لم يبق بها سوى ثلاثة أفران تخبز الخبز[3] فقط ، ولم يبق بها سكان ، ولا بيعة ، ولا أسواق . فكان فعل أصبهان هذا أقبح من فعل أخيه شاه محمد ، فإن شاه محمد لما تنصّر ومال إلى دين النصرانية ، قتل العلماء وأباد الفقهاء والصلحاء لاغير ، وترك من دونَهم . فجاء هذا الزنديق الفاسق ، تجاوز[4] فعل شاه محمد من أنه أخرج جميع أهل بغداد ؛ وكان غرض أصبهان بذلك أن يخرب بغداد ، حتى لا يبقى لأخيه إسكندر ولاغيره طمع فيها ، فمد يده فى ذلك ، حتى صارت بغداد خرابا يبابا لا يأويها إلا البوم — انتهى .

قال : وإنه أخرب أيضا الموصل ، حتى صارت مثل بغداد وأعظم ، من أنه سلب نعم أهلها وأمر بهم فأخرجوا منها وتفرقوا فى البلاد ، واستولت عليها العربان ، فصارت الموصل منزلة من منازل العرب ، بعد أن كانت تضاهى دار السلام .

قال — أعنى القاصد : وأن أصبهان أيضا أخذ أموال أهل المَشْهَد[5] ، وأزال نعمهم وتشتتوا فى البلاد .

قلت : لا أعلم فى طوائف التركمان ولا فى أوباش عساكر جَغْتاى[6] ، ولا فى

(١) فى ا (أسا) .
(٢) فى ا (بنسايهم) .
(٣) فى ا (تخبز الخبز) .
(٤) فى ا (عاور) .
(٥) فى ا (المشهد) .
(٦) جغتاى بن جنكيز خان ، تولى هو وسلالته من بعده حكم بلاد ما وراء النهر ، وعرفوا بخانات ما وراء النهر . وتوفى جغتاى عام حوالى ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م . (زامباور جـ ٢ ص ٣٥٩–٣٧١) .

جهّال التتّار ، أوحش سريرة ، ولا أقبح طريقة ولا أسوأ سيرة ، ولا أضعف دينا[١] ولا أعدم مروءة ، ولا أقل نخوة ولا أبشع خبراً[٢] من هؤلاء الزنادقة الكفرة الفسقة ، أولاد قرايُوسف ، وعندى أن النصارى أمثل من هؤلاء ، فإنهم متمسكون بدين على زعمهم[٣] ، وهؤلاء زنادقة لا يتدينون بدين ، كفرة ملحدون[٤] .

حدّثنى الأمير على باى المؤيدى العجمى رحمه الله — بعد عوده من عند أصبهان المذكور ، لما أرسله [السلطان الملك][٥] الظاهر جقمق ، فى الرُّسْلِيّة إليه — بأشياء : منها أنه كان يمد السماط بين يديه فى بكرة أيام شهر[٦] رمضان ، وأنه سأل على باى فى الأكل معه من جملة عساكره ، فامتنع ، فقال له : « [أمير علىّ باى] [٧] ، بِتُتْعِبْ نفسك سخرةً . بنى آدم ، هو مثاله[٨] مثال الزرع : يطلع ويكبر ، ثم يحصد ويزول إلى الأبد ، وما ثم شيء غير ذلك ، نخلّ عنك ما أنت فيه ، وكل واشرب » .

قال : ثم سألت عن أصبهان من بعض خواصّه ، عن أحواله ، فكان من جملة ماقاله : أنه لم يتعبد علىَ ملة من الملل منذ بلغ الحُلم ، إلى يومنا ، بخلاف أخيه شاه محمد ، فإنه كان أولاً أيام أبيه قرايُوسف ، يصوم ويصلى ويُظهر الإسلام[٩] والتنسك إلى أن مات أبوه [فـ][١٠] أظهر الميل إلى دين النصرانية ، وصار يتعبد علَى ملتهم .

(١) فى ا (دين) .
(٢) فى ا (خبر) .
(٣) فى ا (زعمهم) .
(٤) فى ا (ملحدين) .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) كلمة (شهر) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (مثل له) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .
(٩) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

فهذا الخبر عن شاه محمد وأصبهان ، وأضف إليهما إسكندر أيضا ، فإنه كان أيضا من هذه المقولة فى الباطن ، ثم من بعدهم[١] أخوهم[٢] جهان شاه بن قَرا يُوسف ملك تبريز فى زماننا هذا ، فإنه أيضا عَلَى طريقهم من الفسق والفجور والانهماك فى المسكرات ، وجميع أفعاله فى الباطن تقارب أفعال إخوته ، غير أنه يظهر خلاف ذلك ، لئلا ينفر الناس عنه وتسوء القالة[٣] فيه ؛ وقد استوعبنا أحوال هؤلاء الفَسَقة فى تاريخنا « المنهل الصافى [والمستوفى بعد الوافى] »[٤] بأوسع من هذا ، فلْيُنظر هناك[٥] .

ثم فى يوم الأربعاء أُول ذى القعدة ، توجه الأمير جقمق العلائى أمير سلاح ، إلى مكة المشرفة حاجًّا ، وسار معه كثير ممن قدم من المغاربة وغيرهم ، وبسَط يده بالإحسان إليهم ذهابا وإيابا .

قال المقريزى : وفى هذه السنة ، يعنى عن سنة سبع وثلاثين ، طلّق رجل من بنى مهدىّ من أَرض البلقاء امرأةً وهى حامل ، فنكحها رجل غيره ، ثم فارقها فنكحها رجل ثالث ، فولدت عنده ضفدعا فى قَدْر الطفل ، فأخذوه ودفنوه خوف العار .

ثم فى يوم الاثنين ثالث محرم سنة ثمان وثلاثين[٦] وثمانمائة ، قدم قاصد قَرا يُلك صاحب آمِد ، بكتاب قَرا يُلك ومعه تسعة أكاديش[٧] ، تقدمةً للسلطان ، ودراهم قليلة عليها اسم السلطان[٨] لاغير ، فلم يحسُن ذلك ببال أَحد .

---

(١) فى ا (بعده) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الكلام .

(٢) فى ا (أخوه) .   (٣) فى ا (العاله) .

(٤) أضيف ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) راجع المنهل الصافى ح١ ق ٢ ورقة ٧ .

(٦) فى ا (وثمانين) ، والصواب ما أثبت عن طبعة كاليفورنيا (انظر ما يلى) .

(٧) أكاديش مفردها أكديش ، وهو لفظ فارسى الأصل ، ومعناه : الإنسان أو الحيوان الذى يكون أبوه من جنس وأمه من جنس آخر ؛ وقد استعمله المؤرخون للدلالة على الرجل الذى لا ينتسب إلى أصل واحد ، وعلى الحصان غير الأصيل (السلوك ح١ ص ٧٠٣ حاشية ١) .

(٨) المعروف أن قرايلك كان كثير السخرية بسلطنة المماليك ، وأنه كان يرسل رموز ولائه وخضوعه بطريقة وقحة ساخرة ، ولذا كانت هذه النقود التى أرسلها من أسباب إثارة غضب السلطان وعزمه على الانتقام ، غير أن الانتقام تأجل إلى حين (انظر طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ١٢٣) .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر المحرم [سنة ثمان وثلاثين المذكورة][١] ، أمسك السلطانُ الأميرَ بردبك الإسماعيلى ، أحد أمراء الطبلخانات ، وحاجب ثانى ، وأخرجه إلى دمياط ، وأنعم بإقطاعه على الأمير تنرى بردى البكلمشى المعروف بالمؤذى ، أحد رؤوس النوب ، وخلع عَلَى الأمير جانبك السيفى [١٧] يَلْبُغَا الناصرى المعروف بالثور ، المعزول قبل تاريخه عن نيابة الإسكندرية ، باستقراره حاجبا ثانيا عوضا عن بردبك الإسماعيلى المقدم ذكره .

وفى هذا الشهر أيضا خلع السلطان على دُولات خُجا وأُعيد إلى ولاية القاهرة عوضا عن التاج بن سيفة الشوبكى .

ثم فى يوم الخميس سابع عشرين المحرم ، عملت الخدمة السلطانية بالإيوان المسمى دار العدل[٢] من قلعة الجبل ، بعدَ ما هجرت مدة ، لقدوم رسول القان معين الدين شاه رُخ[٣] بن تيمور ملك الشرق ، وأحضر الرسول المذكور إلى الموكب بدار العدل

(١) أضيف ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) الإيوان المسمى بدار العدل ، هو من إنشاء السلطان قلاوون ، وجدده ابنه الأشرف خليل، ثم هدمه ابنه الملك الناصر محمد وأعاد بناءه ، وظل على ما هو عليه إلى زمن المقريزى وابن تغرى بردى (القرن الخامس عشر الميلادى) وكان الناصر محمد قد زاد فيه وجعل له قبة جليلة وأقام به عمدا عظيمة ، نقلها إليه من بلاد الصعيد ورخمه ونصب فى صدره سرير الملك ، وعمله من العاج والأبنوس ورفع سمك هذا الإيوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة ، وجعل بالإيوان باب سر من داخل القصر . وكان يجلس فيه مرتين فى كل أسبوع ؛ مرة فى يوم الاثنين والأخرى فى يوم الخميس ، ومعه أمراء الدولة وكبارها ، وفيه كان الجنود يقفون بين يديه . وهذا الإيوان غير دار العدل القديمة التى كان السلطان بيبرس أنشأها عام ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م تحت القلعة ، ليجلس فيها لعرض العساكر فى كل اثنين وخميس ؛ ثم زالت هذه الدار وبنى مكانها الطبلخانات السلطانية (خطط جـ٢ ص ٢٠٥–٢٠٧) .

(٣) ترجع تسمية شاه رخ بهذا الاسم ، إلى أن خبر ولادته بلغ أباه تيمور وهو يلعب الشطرنج ، فأطلق عليه فى الحال اسم شاه رخ بمعنى الملك والقلعة . وقد حكم شاه رخ بعد أبيه من ٨٠٧ إلى ٨٥٠ هـ / ١٤٠٥–١٤٤٧ م . وأول علاقة قامت بين شاه رخ ودولة المماليك ، كانت زمن السلطان برسباى ، حين أرسل شاه رخ عام ٨٣٤ هـ / ١٤٢٩ سفيراً من قبله إلى سلطان مصر يطلب منه إرسال بعض مؤلفات العلماء المصريين منها : فتح البارى فى شرح البخارى لابن حجر العسقلانى ، وهو فى ثلاثة عشر مجلدا ، وكذلك طلب تاريخ المقريزى ، كما طلب السماح له بكسوة الكعبة .

(راجع زامباور جـ٢ ص ٤٠١–٤٠٢ ، د . زيادة : المؤرخون فى مصر ص ١٧ ؛ SYKES, *Op. Cit'* pp. I34-I37 ; WIET, G. *L'Egypte Arabe* (Hist. de la Nation Egyptienne, T. IV), pp. 564-5.)

وقد هاله ما رآه من حسن زى هذا الموكب ، وكان الرسول المذكور من أشراف شيراز يقال له السيد تاج الدين [على ، لخضر](١) تاج الدين المذكور إلى بين يدى السلطان ، ولم يقبِّل الأرض لكونه من السادة الأشراف .

ودفع ما على يده(٢) من الكتاب ، ثم قدَّم ما معه من الهدية ، فتضمن كتابُه وصولَه هديةَ السلطان المجهزة إليه ، وأنه نذر أن يكسو الكعبة [البيت الحرام](٣) ، وطلب أن يبعث إليه من يتسلمها ويعلقها من داخل البيت .

وتاريخ الكتاب ، في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ، وكان قدوم القاصد من هراة إلى هُرْمُزْ ومن هُرْمُزْ إلى مكة ، ثم قدم صحبة [ركب](٤) الحاج ، فأنزله السلطان [بمكان](٥) ، وأجرى عليه ما يليق به من الرواتب ، واشتملت هدية شاه رُخْ [المذكور](٦) على ثمانين ثوب حرير(٧) أطلس ، وألف قطعة فَيْرُوزَج ، ليست بذلك مبلغ(٨) قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار لا غير .

ثم في يوم السبت سادس صفر ، عقد السلطان مجلسا(٩) بين يديه ، بالقضاة الأربعة(١٠) ، بسبب نذر شاه رخ بن تيمور أن يكسو الكعبة ؛ فلما جلسوا للكلام ، بعد أن سألهم السلطان في معنى ذلك ، أجاب قاضى القضاة بدر الدين محمود العَيْنى الحنفى ، بأن نذره لا ينعقد ، فلم يتكلم أحد ، وانفض المجلس على ذلك ، وصار السلطان يقول :

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى أ (ورفع على ما بيده) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ، (٥) ، (٦) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى أ (أطلس حرير) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ولا فرق يذكر .
(٨) فى أ (فبلغ) والمثبت عن طبعه كاليفورنيا .
(٩) فى أ (مجلس) .
(١٠) فى أ (الأربع) .

للعينى[١] مندوحةٌ فى منع شاه رُخْ من الكسوة .

ثم عيّن السلطانُ الأميرَ أَقْطُوه الموساوى المَهْمَنْدار[٢] أحد أمراء العشرات[٣] ، [الظاهرى برقوق][٤] للتوجه[٥] إلى[٦] شاه رخ بردِّ[٧] الجواب ، صحبة قاصده[٨] الشريف تاج الدين[٩] — انتهى .

ثم فى يوم الإثنين خامس عشر[١٠] [المذكور][١١] ، ثارت مماليك السلطان الأَجْلاب[١٢] ، سُكّان الطِّباق بقلعة الجبل ، وطلبوا القبض على مباشرى الدولة ، بسبب تأخر جوامكهم ، ففر المباشرون منهم ، ونزلوا إلى بيوتهم ، فنزل فى أثرهم جمع كبير منهم ، ومضوا إلى بيت عبد الباسط ناظر الجيش ونهبوه ، وأخذوا ما قدروا عليه . ثم خرجوا وقصدوا بيت الوزير [أمين الدين][١٣] بن الهَيْصَم ، وبيت الأستادّار كريم الدين ابن كاتب المناخ ، ونهبوهما أيضاً ، ولم يقدروا على قبض أحد من هؤلاء الثلاثة لفرارهم منهم ، وغلقت الأسواق وخاف كل أحد [على][١٤] بيته .

هذا وقد صمم المماليك على الفتك بعبد الباسط ، والعجب أن السلطان لم يغضب لعبد الباسط بل انحرف عليه ، وأمر بنفيه إلى الإسكندرية لكسر الشر ، ولم يقع منه فى حق مماليكه المذكورين أمر من الأمور ، إما لمحبته فيهم ، أو لبغضه فى عبد الباسط ، ولزم

---

(١) فى أ (العينى) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) ، (٣) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى أ (بالتوجه) .
(٦) ، (٧) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) ، (٩) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(١٠) فى أ (عشرين) والصواب ما أثبت بالمتن عن طبعة كاليفورنيا فضلا على سياق الحديث ، وتتبع تواريخ الحوادث فيما سبق .
(١١) عن طبعة كاليفورنيا .
(١٢) فى طبعة كاليفورنيا (الجلبان) والمعنى واحد .
(١٣) ، (١٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

عبد الباسط داره ؛ وتردد الناس للسلام عليه ، والسلطان مصمم على سفره إلى [ثغر][(١)] الإسكندرية .

وأصبح الناس يوم الثلاثاء سادس عشره ، وإذا بهَجّة عظيمة ، فغُلقتْ جميع شوارع المدينـــة لإشاعة كاذبة بأن المماليك [قد][(٢)] نزلوا ثانياً لنهب بيت عبد الباسط ، فاضطرب الناس ، وهرب عبد الباسط من داره ، وانزعج إلى الغاية ، فـكان هذا اليوم أعظم وأشنع من يوم النهب . ثم ظهر للناس أن المماليك لم يتحركوا ولا نزل أحد منهم ، وأما عبد الباسط ، فإنه لازال يسعى ويتكلم له خواص السلطان فى عدم خروجه إلى الإسكندرية حتى تم له ذلك ، وطلع إلى القلعة فى يوم سابع عشره ، بعد أن التزم عبد الباسط بأن يقوم للوزير من ماله بخمسمائة[(٣)] ألف درهم مصرية تقوية له ، وأن السلطان يساعد أستاداره كريم الدين بعليق المماليك شهراً[(٤)] ، هذا بعد أن قدم عبد الباسط للأشرف تقدمة من المال فى خفية من الناس لإقامة حرمته ، ولم يخف ذلك عن[(٥)] أحد ، وأخذ أمر عبد الباسط فى انحطاط ، وصار السلطان يهدده إن لم يل الأستادارية هو [١٨] أو مملوكه جانبك ، وهو يتبرم من ذلك كله .

ثم استعفى الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم من الوزارة[(٦)] ، فعين السلطانُ شمسَ الدين بن سعد الدين بن قطارة القبطى لنظر الدولة ، وألزمه بتكفية يومه . ورسم السلطان بطلب أرْغُون شاه النَّوْرُوزى من دمشق ، وهو يومئذ أستادار السلطان بها[(٧)] ، ليستقر فى الوزارة ، عوضاً عن ابن الهيصم على عادته قديماً ، بعد ما عرض السلطان الوزارة على الأستادار كريم الدين ابن كاتب المناخ ، فأبى كريم الدين قبول ذلك ، وقال : يا مولانا السلطان ، يختار السلطان إما أكونُ وزيراً أو أستَادّاراً ، وأما جمعهما[(٨)] معاً

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (عما به) .
(٤) فى أ (سهر) .
(٥) فى أ (عند) والمثبت من طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .
(٦) راجع حاشية ٥ ص ٤٢ .
(٧) فى طبعة كاليفورنيا (بدمشق) والمثبت من أ ، والمعنى واحد .
(٨) فى طبعة كاليفورنيا (جمعها) .

فلا أقدر على ذلك . فغضب السلطان عليه وهم بضربه ومَسْكه ، فضمنه القاضى سعدالدين ابن كاتب جَكَمْ ، ناظر الخاص ، ونزل الجميع إلى دورهم ، إلى أن عملت مصالح الجماعة .

فلما كان يوم السبت عشرين صفر خلع السلطان على أستاداره الصاحب كريم الدين باستمراره ، وخلع على الصاحب أمين الدين بن الهَيْصَم باستقراره فى نَظَر الدولة على عادته قديماً كما كان قبل الوزارة ، وألزمه بتكفية الدولة إلى حين قدوم أرْغُون(١) شاه من الشام ، وانفض الموكب . فلما نزل الصاحب أمين الدين بالخلعة إلى داره ، اختفى فى ليلة الاثنين ولم يُعْلَم له خبر ، فأصبح السلطان فى يوم الاثنين ثانى عشرينه ، أمسك الصاحب كريم الدين الأستادار ، وخلع فى الحال على جانبك دوادار عبد الباسط باستقراره أستادارا عوضاً عن الصاحب كريم الدين [بن كاتب المناخ] ،(٢) فلبس جانبك الخلعة ، ولم يقدر عبدالباسط أن يتكلم فى حقه كلمة واحدة ، وكان قصد [الملك](٣) الأشرف ، أنه متى تكلم أو(٤) تمنع عبدالباسط من ذلك ، قبض عليه ، فأحس عبدالباسط بالشر ، فكف عن الكلام ، ثم ألزم السلطانُ القاضى سعدَ الدين إبراهيم ابن كاتب جَكَمْ ناظر الخواص بوظيفة الوزارة ، فلم يوافق على ذلك ، وانفض المجلس على ذلك .

وفى هذا اليوم خرج قاصد شاه رخ ، الشريف تاج الدين ، من الديار المصرية إلى جهة مُرْسِلِه ، وصحبته الأمير أقطوه الموساوى ، وعلى يده هدية من السلطان إلى شاه رخ [المذكور](٥) ، وكتاب جواب [كتابه](٦) يتضمن منعه من كسوة الكعبة ، بأن العادة [قد](٧) جرت قديماً وحديثاً ، أن لا يكسو الكعبة إلا ملوك مصر ، والعادة قد اعتبرت فى الشرع فى مواضع ، وأن للكسوة أوقافا(٨) تقوم بعملها ، لا يحتاج إلى مساعدة فى ذلك ؛ وإن أراد الملك وفاء نذره ، فليبع الكسوة ويتصدق بثمنها(٩) فى

---

(١) كلمة (أرغون) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) ، (٣) ما بين المواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) ، (٦) ، (٧) ما بين المواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى أ (أوقاف) . (٩) فى طبعة كاليفورنيا (ثمنها) .

فقراء مكة ، فهو أكثر ثوابا[1] ، حيث يتعدى نفع ذلك إلى جماعة كبيرة ، وأشياء من هذه المقولة .

ثم في يوم الخميس خامس عشرينه ، بعد انقضاء الموكب من القصر ، و[2] توجه السلطان إلى الحوش على العادة ، غضب على القاضي سعد الدين إبراهيم[3] ناظر الخواص ، بسبب تَمَنُّعِه من ولاية الوزارة ، وأمر به فضرب [بين يديه][4] ضربا مبرحا ، ثم أقيم ، ونزل إلى داره . ثم طلب السلطانُ [الصاحبَ][5] كريم الدين ابن كاتب المناخ من محبسه بالقلعة ، وأمر به ، فعرِّى من ثيابه ، وضربه بالمقارع زيادة على مائة شِيب[6] ، ثم ضربه على أكتافه بالعصى ضربا مبرحا ، وعُصرت رجلاه بالمعاصير[7] ، ثم أُعيد إلى محبسه يومه ؛ وأُنزل من الغد في يوم الجمعة على بغل[8] في أسوإ حال ، ومُضى به إلى بيت التاج[9] والى القاهرة كان[10] ، وهو يومئذ شادُّ الدواوين ، ليورد ما أُلزم به ، بعد أن حوسب ، فوقف عليه خمسة وخمسون ألف دينار ذهبا ، صولح عنها بعشرين ألف دينار ، [فنزل إلى بيت التاج وأخذ في بيع موجوده وإيراد المال المقرر عليه ، إلى أن

(١) في (أ) ثواب .

(٢) حرف (و) ساقط في طبعة كاليفورنيا .

(٣) هذا الاسم (إبراهيم) ساقط في طبعة كاليفورنيا .

(٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) الشِّيب بالكسر سير السوط (القاموس المحيط ، النجوم الزاهرة جـ١٢ ص ٢٢) .

(٧) المعاصير جمع : معصرة ، هي آلة التعذيب ، وكانت مكونة من خشبتين مربوطتين ببعضهما ، يوضع بينهما وجه المعاقب أو رأسه أو رجلاه أو عقباه ، ثم تشد الخشبتان شدا وثيقا ، وكثيرا ما أدى ذلك إلى كسر العظم المحصور بين الخشبتين (انظر السلوك جـ١ ص ٧٤٠ حاشية ٣) .

(٨) في أ (بغل) .

(٩) في أ (التاح) .

(١٠) كثيرا ما يرد فعل (كان) مؤخرا بعد اسم المملوك أو الأمير ووظيفته ، وهذا الاستعمال مصطلح معروف في أساليب العربية ، وتدل على معنى الوظيفة السابقة ، والتفسير بصدد الاسم الوارد بالمتن أنه كان يشغل وظيفة والى القاهرة سابقا .

أفرج عنه فى ثامن عشر ربيع الأول، بعد ما حُمِّل نحو العشرين ألف دينار، وضمنه فيما بقى أعيان الدولة .] (١)

ثم فى يوم الثلاثاء أول شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وثلاثين المذكورة، خلع السلطان على القاضى سعد الدين ناظر الخواص، خلعة الرضى والاستمرار على وظيفته نظر الخواص، وخلع على أخيه القاضى جمال الدين يوسف ابن القاضى كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب جكم باستقراره وزيراً، على كره منه، بعد تمنع زائد؛ وكان منذ تغيب ابن الهيصم، [لا يلى الوزارة أحد](٢)، والقاضى سعد الدين ناظر الخاص يباشرها، ويسدد أمورها من غير لبس تشريف، فغرم فيها جملة كبيرة، لعجز جهاتها عن مصارفها، والقاضى جمال الدين يوسف [المذكور](٣)، هو يوسف(٤) عظيم الدولة فى زماننا هذا، وناظر جيشها وخاصِّها كان(٥)، رحمه الله تعالى.(٦) وهى أول ولاياته(٧) للمناصب الجليلة على ما يأتى ذكر ولاياته(٨) لغيرها مفصلا، فى هذا الكتاب وغيره.

وخلع [١٩] السلطان على شمس الدين بن قطارة باستقراره ناظرَ الدولة، فكان الوزيرُ وناظرُ الدولة فى طرفى نقيض، فالوزير فى الغاية من حسن الشكالة والزى البهيج، وسنه دون العشرين سنة، وناظر الدولة فى الغاية من قبح الشكالة والزى الردىء وسنه نحو السبعين(٩) سنة — انتهى.

ثم فى يوم الأحد رابع شهر ربيع الآخر، قدم الأميرُ أرْغُونُ شاه النوروزى الأعور، أستادّار السلطان بدمشق إلى مصر بطلب حسبما تقدم ذكره، ليلى الوزارةَ. وطلع

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى أ، وأضيف عن طبعة كاليفورنيا.
(٢)، (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا.
(٤) هذا الاسم ساقط فى طبعة كاليفورنيا.
(٥) راجع تفسير هذه الكلمة فى ص ٥٣ حاشية ١٠ .
(٥)، (٦) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا.
(٧)، (٨) وردت كلمة (ولاياته) المثبتة بالمتن، فى صيغة المفرد بطبعة كاليفورنيا، والأنسب ما أثبت عن أ .
(٩) فى أ (السبعون).

إلى القلعة من النذ بتقادم جليلة ، وخُلع عليه باستمراره على أستادّارية السلطان بدمشق ، على عادته . وفي هذا الشهر تكرر ركوب السلطان إلى الصيد غير مرة .

ثم في جمادى الأولى وقع الشروع في حركة السلطان إلى السفر ، لقتال قَرَايُلُك والفحص أيضا عن جانِبك الصُّوفي . وفي خامس عشره خلع على دُولات خُجا(١) والي القاهرة باستقراره في ولاية منفلوط ، وشغرت الولاية إلى يوم الأحد سابع عشره ، فاستقر(٢) فيها علاء الدين على بن الطَّبْلاوي .

ثم في يوم السبت أول جمادى الآخرة ، خلع السلطان على الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ باستقراره كاشفَ(٣) الوجه القبلي ، ورسم السلطان أن يستقر محمد الصغير المعزول عن الكشف قبل تاريخه دوادارَ الصاحب كريم الدين ، وأميرُ عليٍّ الذي كان كاشفاً بالوجه القبلي والوجه البحري رأسَ نوبته ، ونزل إلى داره من القلعة في موكب جليل ، كل ذلك والصاحبُ(٤) كريم الدين لم يغيّر(٥) زيّه من لبس الكتبة ، ولم يلبس الكَلَفْتاه(٦) ، ولا تقلد بسيف .

وكان الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم قد خرج من اختفائه ، وطلع إلى السلطان بشفاعة الأمير إينال الأبو بكرى الأشرفى الخازندار ، فطلبه السلطان في هذا اليوم وخلع عليه باستقراره شريكا لعبد العظيم بن صدقة الأسلمى في نظر ديوان المفرد .

ثم في يوم الأحد سادس [عشر](٧) جمادى الآخرة [المذكورة](٨) أمسك السلطانُ القاضيَ سعدَ الدين إبراهيم ناظرَ الخاص ، وأخاه الصاحبَ جمال الدين يوسف ،

---

(١) في أ (حجا) .
(٢) في أ (استقر) .
(٣) في أ (كاشفا) .
(٤) في أ (والسلطان) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) في طبعة كاليفورنيا (يتغير) والمثبت عن أ ، ولا فرق يذكر .
(٦) الكَلَفْته والكَلَفْتاه والكَلَفْتَه وكذلك كَلَّوتَه ، كلها بمعنى واحد ، وهى غطاء الرأس تلبس وحدها أو بعمامة (انظر السلوك جـ١ ص ٤٩٣ حاشية ١ ، ففيها تفصيل واف) .
(٧) ، (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

ورسم عليهما ، ثم أفرج عنهما من النذ ، وخلع على سعد الدين المذكور باستمراره ، وأعفى الصاحب جمال الدين من الوزارة ، بعد أن ألزمهما بحمل ثلاثين ألف دينار . وألزم السلطانُ تاجَ الدين عبد الوهاب بن الشمس نصر الله الخطير ابن الوجيه توما ناظر الإسطبل بولاية الوزارة ، وخلع عليه من الغد في يوم الثلاثاء ثامن عشره ، فباشر ابنُ الخطير هذه الوزارةَ أقبح مباشرة من العجز والتشكى والقلق وعدم القيام بالكلف السلطانية ، مع قيام السلطان معه وإقامة حرمته ، وهو مع ذلك[1] لا يزداد في أعين الناس إلا بهدلة . وظهر منه في أيام مباشرته الوزارةَ حدةٌ زائدة ، وطيش وخفة ، بحيث أنه جلس مرة للمباشرة ، فكثر الناس عنده لقضاء[2] حوائجهم فضاق خلقه منهم ، فقام إلى باب الدخول ، وضم جميع سَرامِيج[3] الناس الذين[4] كانوا في مجلسه في ذيله ، وخرج حافياً إلى خارج داره وألقاهم إلى الأرض ، ودخل بسرعة[5] والناس[6] تنظر إليه[7] ، وقال : اخرجوا إلى سَرَامِيجكم لا يأخذوها فقال له بعضهم : تعيش رأس مولانا الصاحب . وسخر الناس من ذلك مدة طويلة ، وهو إلى الآن في قيد الحياة ، يتشحط[8] في أذيال الخمول — انتهى .

ثم في يوم الأربعاء تاسع عشر جمادى الآخرة [المذكورة][9] ، أنعم السلطان على تِمْراز المؤيدى الخازندار بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، بعد موت الأمير أُزْكَمَاس الجُلْبانى ، وأنعم بطبلخانة تِمْراز المذكور على الأمير سُنْقُر العزى الناصرى نائب

---

(١) في أ (ذاك) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .
(٢) في أ (لقضا) .
(٣) السراميج ، لعلها السراميز ، ومفردها : سرموزة بمعنى : الحذاء ، وهي لفظة فارسية (انظر السلوك جـ ١ ص ٢٩٤ حاشية ٣) .
(٤) في أ (اللى) .
(٥) في طبعة كاليفورنيا (سرعه) .
(٦) ، (٧) ما بين هذين الرقمين ساقط في طبعة كاليفورنيا .
(٨) في ا (سحط) .
(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

حمص، بعد[1] عزله عن نيابة حمص بالأمير طفرق أحد أمراء دمشق .

ثم فى يوم الأحد ثالث عشرينه خرجت تجريدة من القاهرة إلى البحيرة[2] ، ومقدم العساكر الأمير الكبير إينال الجكمى ، والأمير جقمق أمير سلاح ، والأمير يَشْبك حاجب الحجاب ، والأمير قانى باى الحمزاوى ، فى عدة من الأمراء ، وسبب ذلك أن لبيداً[3] قدم منها[4] طائفة إلى السلطان بهدية ، وسألوا أن ينزلوا البحيرة ، فلم يجابوا إلى ذلك ، ولكن خلع عليهم وتوجهوا ، فعارضهم أهل البحيرة فى طريقهم ، وأخذوا منهم خلعهم . [٢٠] وكان السلطان يلهج كثيراً بإخراج تجريدة إلى البحيرة ، فبلغهم ذلك فأخذوا حذرهم[5] . واتفق مع ذلك أن شتاء[6] هذه السنة لم يقع فيه المطر[7] المعتاد بأراضى مصر ، فقدمت طائفة من لبيد إلى البحيرة لِمَحْل بلادهم ، وصالحوا أهل البحيرة ، وساروا إلى مُحارِب وغيرها بالوجه القبلى لرعى الكشيح من أراضى البور من أعمال الصعيد ، وكان السلطان قد كتب إلى كاشف الصعيد ، بأن لا يمكنهم من المراعى حتى يأخذ منهم مالا ، فغضبوا من ذلك وأظهروا الخلاف ، فخرجت إليهم هذه التجريدة المقدم ذكرها .

وفى هذا الشهر ندب السلطانُ قاضىَ القضاة شهابَ الدين بن حَجَر أن يكشف عن شروط واقفى المدارس والخوانِك[8] ، ويعمل بها ، فسرّ الناس بذلك غاية السرور ،

---

(١) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى أ (الحيرة)
(٣) فى أ (لبيد) .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (منهم) والمثبت عن أ ، ولا فرق يذكر .
(٥) فى أ (حذرهم) .
(٦) فى أ (شتا) .
(٧) فى أ (مطر) ، وما هنا عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق العبارة .
(٨) الخوانك أو الخوانق ، كلمة فارسية معناها « بيت » . وحدثت الخوانق فى الإسلام حوالى القرن الخامس الهجرى ، وفيها يتفرغ الصوفية للعبادة والتبتل ، ويسمى شيخ الخانقاه بالشيخ أو شيخ الشيوخ ، ويُعَيَّن بتوقيع من السلطان ، وأول من لقب بهذا اللقب : شيخ خانقاه سعيد السعداء التى بناها صلاح الدين الأيوبى . ولهذه الخوانق أوقاف النفقة عليها ، ويختلف نصيب الفرد من الصوفية من المخصصات بحسب الأوقاف الجارية على الخانقاه وعدد من فيها من الصوفية وبحسب مايقرره الواقف ، والمتوسط عادة =

وكثر الدعاء للسلطان بسبب ذلك ، فبدأ أولا بمدرسة الأمير صَرْغَتْمُش[1] بخط الصليبة ، وقرأ كِتاب وقفها ، وقد حضر معه القضاة الثلاثة ، فأجمل ابنُ حجر فى الأمر فلم يعجب الناسَ ذلك ، لاستيلاء المباشرين[2] على الأوقاف ، والتصرف فيها بعدم شرط الواقف ، وضياع مصالحها ، فشدّ فى ذلك وأراد عزل جماعة من أرباب وظائفها ، فروجع فى ذلك ، وانفض المجلس ، وقد اجتهد الأَكَلَةُ فى السعى بإبطال ذلك ، حتى أبطله السلطان .

قلت : ولو ندب السلطانُ لهذا الأمر أحدَ فقهاء الأمراء والأجناد الذين هم أهل الدين والصلاح ، لينظر فى ذلك بالمعروف ، لكانت هذه الفِعْلة تقاوم فتحه لقبرس ، لضياع مصالح أوقاف الجوامع والمساجد بالديار المصرية والبلاد الشامية ، لاستيلاء الطَّمَعة عليها ، وتقرير من لا يستحق فى كثير من وظائفها ، بغير شرط الواقف ، ومنع من يستحق العطاء بشرط الواقف ، ولهذا قررت الملوك السالفة وظيفة نظر الأوقاف لهذا المعنى وغيره ، فتُرِك ذلك ، وصار الذى يلى نظر الأوقاف شريكا[3] لمن تقدم ذكره ، فيما يتناولونه من ريع[4] الأوقاف ، والكلام فيما يعود نفْعُه عليه من جهة حل وقف وبيعه أو لواحد

—

= أن يأخذ الصوفى فى اليوم نحو رطل لحم ضأن وأربعة أرطال خبز ، ورطل حلوى ورطلين زيت زيتون ورطلين صابون ، وفى الشهر ٤٠ درهما فضة ، وفى السنة ثمن كسوة وتوسعة فى رمضان والعيدين ومواسم عاشوراء ورجب وشعبان ، وكلما ظهرت فاكهة صرف لهم مبلغ لشرائها ، وتُبيَّض قدورهم فى رمضان . وبالخانقاه خبز ومطبخ وحمام وخزانة للسكر والأشربة والأدوية ، وبها الطبائعى (طبيب باطنى) والجرائحى (جراح) والكحال (طبيب العيون) ومصلح الشعر . (انظر صبح الأعشى جـ١١ ص ٢٧٢–٢٧٦ ؛ خطط جـ ٢ ص ٤١٤–٤٢٦) .

(١) مدرسة الأمير صرغتمش بخط الصليبة بجوار جامع الأمير أبى العباس أحمد بن طولون ، وافتتحت هذه المدرسة فى موكب حافل عام ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م . ورتب لها صاحبها مدرس الفقه ، وهو يقابل ما نعرفه اليوم باسم أستاذ الكرسى أو أستاذ المادة ، فى المصطلح الجامعى ، وجعلها الأمير صرغتمش وقفا على الفقهاء الحنفية ، كذلك رتبَ فيها درسا للحديث ، وقد تغنى الشعراء بجمالها . (انظر الخطط جـ ٢ ص ٤٠٣–٤٠٦) .

(٢) فى أ (المباشرون) .

(٣) فى أ (شريك) .

(٤) فى أ (ربع) .

استولى على جهة وقف ، وأكله بتمامه ، فيعبث خلفه ويُبْلِصُه[1] فى شىء له ولأعوانه ، ويترك الذى قُرِّرت هذه الوظيفة بسببه ، من قديم الزمان ، وهو ما تقدم ذكره ، من النظر فى أمر الأوقاف والعمل بمصالحها[2] فيما يعود نفعه على الوقف وعلى أرباب وظائفه من الفقهاء والفقراء والأيتام وغير ذلك ؛ فلا قوة إلا بالله .

ثم فى يوم الاثنين ثامن شهر رجب ، أدير المحمل على العادة فى كل سنة .

ثم فى يوم الأربعاء خامس عشر شعبان ، وصل سيف الأمير طَرَبَاى نائب طَرَابُلُس ، فرسم السلطان بنقل الأمير جُلْبَان ، نائب حماه ، إلى نيابة طرابلس ، عوضاً عن طرباى ، وأصبح من الغد فى يوم الخميس سادس عشر شعبان ، خلع السلطان على الأمير قانى باى الحمزاوى أحد مقدمى الألوف باستقراره فى نيابة حماه ، وأنعم بإقطاع قانى باى الحمزاوى وتقدمته ، على الأمير خُجَا سُودون السَّيْفى بلاط الأعرج ، وأضاف طبلخانة خجا سُودون المذكور إلى الدولة ، تقويةً للوزير التاج الخطير .

وفى هذا الشهر خرج الأمير قَرْقَمَاس الشعبانى نائب حلب منها بالعساكر ، ونزل العَمْق[3] ، على ما سنحكيه بعد عوده إلى حلب مفصلا[4] .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع شوال قدم على السلطان كتاب القان شاه رُخ ملك الشرق ، يتضمن الوعيد ، وأنه عازم على زيارة القدس الشريف ، وأرعد فى كتابه وأبرق ، وأنكر على السلطان أخذ الرشوة من القضاة ، وأخذ المكوس من التجار ببندرجدة ، وتعاطيه نوع المتجر ، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه ولا استوعب الكتاب لآخره ، بل طلب التاج ابن سيفة وخلع عليه بإعادته إلى ولاية القاهرة ، عوضاً عن علاء الدين علىّ بن الطبلاوى بحكم عزله ولزومه داره ، بعد ما غرم جملة مستكثرة ، فكان حاله كقول القائل : [الرمل]

---

(١) تبلّص الشىء بمعنى طلبه فى خفاء ، وهو الاختلاس (القاموس المحيط) .

(٢) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) العَمْق بلدة بنواحى حلب ، وهى كثيرة الخيرات (ياقوت : معجم البلدان ج٦ ص ٢٢٤) .

(٤) انظر ما يلى ص ٦١ .

وركب الأهــــوال فى زَوْرَته ثم ما سَــــلَّمَ حتى ودَّعا

ثم فى ثامن عشره ، خرج محمل الحاج صحبة أمير الحاج الأمير تَمُرْباى التَّمُرْبغَاوى الدوادار الثانى ، وأمير الركب الأول ، الأمير صلاح الدين محمدُ بن نصر الله محتسب[(١)] القاهرة . وحجت فى هذه السنة خَوَنْد[(٢)] فاطمه بنت [الملك][(٣)] الظاهر[٢١] ططَر ، زوجة السلطان [الملك][(٤)] .

وفى هذا الشهر ظهر الأميرُ جانِبك الصوفى ببلاد الروم ، وكان السلطانُ — من يوم فر من سجن الإسكندرية إلى يومنا هذا — لم يقف له على خبر ، بعد أن اجتهد فى تحصيله غاية الاجتهاد ، وأودى بسببه خلائق لا تدخل تحت حصر ، فأخذ السلطانُ فى خبره وأعطى ، إلى أن قدم عليه فى أواخر هذا الشهر كتاب الأمير قرقماس نائب حلب بذلك ، وكان خبر معرفة[(٥)] قَرَقَمَاس بظهوره ، أنه وصل معه إلى حلب فى يوم الثلاثاء

(١) المعروف فى عصر السلاطين المماليك : أن وظيفة الحسبة لا يليها إلا أحد العلماء من رجال القلم أمثال المقريزى ، والعينى ، وابن العديم ، غير أن هذه القاعدة لم تطّرد ، فقد وليها بعض الأمراء المماليك من رجال السيف ، وأول من وليها منهم الأمير منكلى بغا الشمسى ، من قبل السلطان المؤيد شيخ عام ٨١٦ هـ/١٤١٣م ، ومنهم هذا الأمير ، المذكور بالمتن ، وغيره . وفى أواخر عصر المماليك وليها جان بُردى الغزالى وهو من مماليك السلطان قايتباى ، وذلك زمن الغورى : كذلك وليها الأمير ماماى زمن طومان باى .

ومهمة المحتسب ونوابه ، مراقبة أرباب الحرف المختلفة فى الحوانيت والأسواق ، والنظر فى المكاييل والموازين ، ويدخل فى عمله كذلك ، كما يقول المقريزى ، إلزام «رؤساء المراكب أن لايحملوا أكثر من وسق السلامة» وإنذار «معلمى المكاتب بألا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا فى مقتل ، وكذلك معلمى العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس » ؛ ومن أعمال المحتسب جباية الضريبة المعروفة باسم «المشاهرة» و « المجامعة » وهى ضريبة غير ثابتة ، وفى حالة جبايتها من الأسواق ، يترك المحتسب البيع حرا ، فيتغالى التجار فى الأسعار ، بحجة توفية ما عليهم من هذه الضريبة ، وكثيرا ما تعرض المحتسب للإيذاء من جانب العامة والمماليك الجلبان بصفة خاصة ، بسبب التسعير الجبرى ، وكذلك من جانب السلطان إذا حدث ارتفاع فى الأسعار ، فيضرب المحتسب لأنه «لم ينظر فى أحوال المسلمين » ، (انظر السلوك حـ١ ص ١٢٠ حاشية ٢؛ بدائع الزهور حـ ١ ص ٣٥٩ ، حـ ٣ ص ١٢ : ١٣ ، ٩٣ ، ١٢٤ ، ٢٥٨ ، ٢٩٣ ؛ طرخان : الجراكسة ص ٢٧٣-٢٧٥) .

(٢) خَوَنْد أو خاوَنْد ، لفظ فارسى أوتركى يطلق على الذكر والأنثى ، بمعنى مالك أوصاحب ، ومنها خوندكى بمعنى الأكبر ، واستعملت بمعنى الكبير فى عصر المماليك ، ولقب به السلطان وزوجاته وكبار المماليك (القاموس الفارسى ؛ السلوك حـ ٠ ص ٢٢٤ حاشية ٢) .

(٣) ، (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى أ كلمة (خبر) مقدمة على كلمة (معرفة) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وهو الأنسب .

حادي عشر شوال ، رجل تركماني يقال له محمد ، كان قبض عليه قَرْقَمَاس بالعَمْق[1]، ومعه كتاب جانِبك المذكور ، في سابع شوال ، إليه وإلى غيره ، فسجنه قرقماس بقلعة حلب ، وجهز الكتاب في ضمن كتابه إلى السلطان ، فلما بلغ السلطان ذلك وتحققه ، انزعج غاية[2] الانزعاج .

ثم قدم كتاب الأمير بَلَبَان نائب درندة[3] أنه ورد عليه كتاب الأمير جانِبك الصُّوفي يدعوه إلى طاعته ، فقبض على قاصده وحبسه ، وأرسل بكتابه إلى السلطان .

ثم في يوم السبت سابع عشرين ذي القعدة ، عاد الأمير قَرْقَمَاس نائب حلب إليها ، بعد ما كانت غيبته عنها بالعَمْق ومَرْج دابق وعِينْتَاب خمسة وسبعين يوماً ، وقد فاته أخذ قَيْصَرِيَّة لاستيلاء إبراهيم بن قِرمان عليها ، وكان قصد السلطان أَخْذَها ، واستنابة أحد من أمراء السلطان بها.

قلت : ولنذكر ما وعدْنا بذكره لسبب سفر قرقماس نائب حلب منها ، وسببه أن الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان صاحب لارِنْدة وقُونية من بلاد الروم[4] ، أراد أخذ مدينة قيصرية من الأمير ناصر الدين محمد بن دُلْغادر ، وقد تغلب عليها ناصر الدين المذكور ، وأخذها من بني قِرمان وولى عليها ابنه سليمان ، فترامى ابن قرمان في هذه الأيام على السلطان بأن يملّكه قيصرية ، ووعد بعشرة آلاف دينار في كل سنة ، وثلاثين[5] بُخْتِيًّا[6] وثلاثين[7] فرسا ، سوى خدمة أركان الدولة ، فكتب السلطان إلى نائب حلب أن يخرج إلى العَمْق ويجمع العساكر لأخذ قَيْصَرِيَّة ،

---

(١) راجع ما سبق ص ٥٩ حاشية ٣ .

(٢) في طبعة كاليفورنيا (عليه) والمثبت عن أ .

(٣) درندة أو درندا : بلدة بآسيا الصغرى ، ضمن بلاد إمارة دلغادر التركمانية (القرماني : أخبار الدول ص ٣٣٩–٣٤٠ ؛ زامباور ﺣ٢ ص ٢٣٥ ؛ الجراكسة ص ١١٧–١١٨) .

(٤) بنو قرمان ، أمراء تركمان بآسيا الصغرى ، وأول أمير فيهم هو كريم الدين قرمان بن نُوره ، ظهر في مطلع الدولة المملوكية الثانية (الجراكسة) ، وشملت إمارتهم : لارندة وسيواس وقونية وقرمان وأرمناك وما حولها (انظر أخبار الدول ص ٢٩٢–٢٩٣ ؛ زامباور ﺣ٢ ص ٢٣٦ ؛ الجراكسة ص ١١٨).

(٥) ، (٧) في أ (ثلاثون) .

(٦) البُخْت بالضم ، الإبل الخُراسانية (القاموس المحيط) .

فخرج قرقماس إلى العمْق ، وجمع تركمان الطاعة وكتب إلى ابن قرْمان : أن يسير بعسكره إلى قيصرية .

فلما بلغ ابن دُلْغادر خروج عسكر حلب لأخذ قيصرية منه ، بعث فى الحال بامرأته خديجة خاتون بتقدمة للسلطان ومعها مفاتيح قيصرية ، وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بها ، وأن يفرج عن ولدها فياض المقبوض عليه قبل تاريخه من سجنه بقلعة الجبل ، ووعد لذلك أيضاً بمال . فقدمت خديجة خاتون المذكورة فى أواخر شوال إلى مصر ، وقدَّمت ما معها من الهدية ، وتكلمت بما هو غرض زوجها ، فقبل[1] هديتها وأفرج [لها][2] عن ولدها فياض ، وخلع عليه بنيابة مرعش .

وبينما السلطان فى ذلك ، كان نزول قرقماس نائب حلب فى يوم الاثنين أول ذى القعدة ، من العساكر على عِينْتاب ، فأتاه الخبر : بأن حمزة بن دُلغادر[3] خرج عن طاعة السلطان بمن معه وتوجه إلى ابن عمه سليمان بن ناصر الدين بك ابن دُلغادر ، بعد ما بعث إليه وحلّفه ، وأن دوادار جانِبك الصُّوفى ومحمد بن كندغدى بن رمضان التركمانى وصلا إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دُلْغادر ، بأبُلُسْتَين وحلَّفاه ، أنه إذا قدم عليه الأمير جانبك الصوفى لا يسلمه إلى أحد ولا يخذله ، وأن جانبك كان عند الأمير إسفنديار[4] أحد ملوك الروم ، فسار من عنده يريد سليمان بن دُلْغادر ، فخرج إليه سليمان ، وتلقاه[5] هو وأمراء التركمان .

وقبل أن يصل هذا الخبر إلى السلطان ، جهز خديجة خاتون إلى العود إلى زوجها ناصر الدين بك ، فخرجت خديجة ومعها ولدها فياض ، وسارت والسلطان ليس له علم بما وقع لابن دُلغادر مع جانِبك الصُّوفى ، واستمر قَرْقَمَاس على عِينْتَاب ، إلى أن بلغه أن الأمير صارم الدين

---

(١) فى أ (فقبلت) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (دلغادر) .
(٤) هذا الأمير هو مبارز الدين إسفنديار بن بايزيد ، من الأمراء التركمان بآسيا الصغرى ، ويشتهر هؤلاء الأمراء باسم « الإسفندياريين » وأملاكهم فى قسطمونى وسينوب وبُرْغلو وغيرها . وهذا الأمير هو الثامن فى سلسلة حكام هذه الإمارة ، تولى عرشها عام ٨٠٥/١٤٠٢ م (وتوفى عام ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩م ، وكان معاصرا السلطان محمد الفاتح العثمانى ، والسلطان الأشرف برسباى ، وأول عهد السلطان جقمق (زامباور جـ ٢ ص ٢٢٤).
(٥) فى أ (فتلقاه) وما بينا من طبعة كاليفورنيا .

إبراهيم بن قرمان جمع عساكره ونزل على قَيْصَرِيَّة ، فوافقه أهلها وسلموها له ، وفر سليمان بن ناصر الدين بك منها ، فبلغه ظهور جانبك الصوفى ، وأنه اجتمع عليه الأميرُ أسلماس بن كبك ، ومحمد بن قطبكى ، وهما من أمراء التركمان ، ونزلوا على مَلَطْية .

فقدم سليمان على أبيه ناصر الدين [٢٢] بأبلستين ، ولم يبلغهما إلى الآن خبر الإفراج عن ولده فياض ، وخروجه من مصر مع أمه خديجة . وأخذ ناصر الدين بك يدارى السلطنة ليفرج عن ابنه فياض ، وندب ابنه سليمان لقتال أعوان جانبك الصوفى ، كل ذلك قبل أن يرد عليه جانبك الصوفى بمدة ، وقيل إنه كان أتاه خفية ، وبينما هم فى ذلك وصلت خديجة خاتون وولدها فياض إلى زوجها ناصر الدين محمد بن دُلغادر ، فبلغ ناصر الدين مراده بالإفراج عن ولده ، وترك مداراة السلطان ، وانضم على جانبك الصوفى حسبما نذكره فى مواضعه من هذه الترجمة إن شاء الله تعالى . وبلغ ذلك قرقاس نائب حلب ، فعاد من سفرته بغير طائل .

ومن يومئذ اشتغل فكر السلطان الملك الأشرف بأمر جانبك الصُّوفى ، وتحقق أمره بعد ما كان يظنه ، وأخذ فى عزل جماعة من النواب ممن يُخشَى شرهم ، وتخوف من قَرْقَاس تخوفا عظيما فى الباطن ، لئلا[1] يميل إلى جانبك الصوفى ، فأول ما بدأ به السلطان ، أن عزل الأمير قانْصُوه النَّوْرُوزى عن نيابة طرسوس ، ونقله إلى حجوبية الحجاب بحلب عوضاً عن الأمير طُوغَان[2] السيفى تنرى بردى أحد مماليك الوالد ، ونقل طوغان المذكور إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، واستقر الأمير جمال الدين يوسف ابن قلدر فى نيابة طَرَسُوس عوضاً عن قانصوه .

ثم فى صفر من سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، ورد الخبر على السلطان : أن شاه رخ ابن تيمورلنك أرسل إلى السلطان مراد بك ابن عثمان ، متملك الروم ، وإلى الأمير صارم الدين إبراهيم بن قِرْمان المقدم ذكره ، وإلى قرايُلُك وأولاده ، وإلى ناصر الدين بك ابن دُلغادر ، بخِلَع ، على أنهم نوابُه فى ممالكهم ، فلبس الجميع خِلَعه ، فشق ذلك

(١) فى أ (ليلا) .
(٢) فى أ (طوعان) .

على السلطان من كَوْن ابن عثمان[1] لبس خلعته ، حتى قيل له : إنه فعل ذلك فى مجلس أنسه استهزاء به . قلت : لبس الخلعة والقُشار ما إليه .

ثم فى يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الأول من سنة تسع وثلاثين المذكورة ، خلع السلطان على القاضى شرف الدين أبى بكر نائب كاتب السر باستقراره فى كتابة سر حلب ، عوضاً عن زين الدين عمر بن السفاح ، بعد امتناع شرف الدين من ذلك أشد امتناع . وسبب ذلك : أن ابن السفاح المذكور كتب إلى السلطان مراراً عديدة بالحَطّ على قَرْقَمَاس نائب حلب ، وأنه يريد الوثوب على السلطان والخروج عن الطاعة ، وآخر ما ورد كتابه بذلك فى نصف صفر من هذه السنة ، [أعنى سنة تسع وثلاثين ، فلما وقع ذلك كتب السلطان إلى الأمير قرقماس المذكور بالحضور ، وقد يئس السلطان من حضوره][2] لما قوى عنده من خروجه عن الطاعة ، وقلق السلطان قلقاً زائداً بعد ما[3] طلبه خوفاً من عدم حضوره ، فلم يكن بأسرع من مجىء نجّاب قرقماس نائب حلب المقدم ذكره ، فى خامس عشرين صفر ، يستأذن فى قدوم قرقماس إلى الديار المصرية ، وقد بلغه شىء مما رُمى به ، فغضب السلطان عند ذلك على زين الدين عمر بن السفاح ، ورسم بعزله واستقرار شرف الدين المذكور عوضه ، وتحقق السلطان أنه لو كان قرقماس مخامراً ، لما استأذن فى الحضور ، فسرّ السلطان بذلك ، وكتب له الجواب بأنه تقدم الطلب له .

وأما قرقماس فإنه لما ورد عليه الطلب من السلطان ، خرج على الفور من حلب على الهجن فى خواصه ، وسار حتى قدم إلى خارج القاهرة فى يوم الجمعة سادس شهر ربيع الأول المذكور ، وطلع من الغد إلى القلعة ، فلم يخلع السلطان عليه خلعة الاستمرار لكونه استعفى عن نيابة حلب ، فما صدق السلطان بأنه تلفظ بذلك .

(١) فى أ (عس) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) حرف (ما) ساقط فى طبعة كاليفورنيا ومثبت من أ .

ولما كان يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الأول ، خلع السلطان على الأمير الكبير إينال الجَكَمى أتابك العساكر بالديار المصرية باستقراره فى نيابة حلب عوضاً عن الأمير قَرْقَمَاس الشعبانى المذكور[1] ، وخلع على الأمير جَقْمَق العلائى أمير سلاح باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية عوضاً عن إينال الجكمى ، وخلع على قرقماس نائب حلب باستقراره أمير سلاح عوضاً عن الأمير جقمق العلائى . وكان استقرار إينال الجكمى [٢٣] بعد الأتابكية فى نيابة حلب ، بخلاف القاعدة ، غير أن السلطان أكرمه غاية[2] الإكرام ، ووعده بنيابة دمشق ، لطول مرض الأمير قصروه نائب الشأم ، وبالغ حتى أنه أمرَّ له إن مات قصروه قبل وصول إينال إلى حلب فليقم بدمشق ، حتى يرسل إليه السلطان بنيابتها ، وظهر أيضاً للناس أنه لم يولّه نيابة حلب إلا لثقته به ؛ [ثم][3] خرج الأمير إينال إلى محل كفالته فى ثالث عشره .

ثم فى سابع عشره خلع السلطان على الأمير الكبير جقمق العلائى بنظر البيمارستان المنصورى على العادة ، وورد الخبر على السلطان : أن بمدينة بروسا ، التى يقال لها بُرْصَا من بلاد الروم ، وباءً عظيما[4] دام بممالك الروم نحو أربعة أشهر .

ثم ورد الخبر على السلطان بأن الأمير ناصر الدين بك ابن دُلغادر قبض على الأمير جانبك الصوفى فى سابع عشر [شهر][5] ربيع الأول ، وكان السلطان قدم عليه من البلاد الشامية كتاب ، وفى ضمنه كتاب من عند شاه رُخْ بن تَيْمُورلنك ، يتضمن تحريض جانبك الصُّوفى على أخذ البلاد الشامية ، وأنه سيقدم عليه ابنه[6] أحمد جُوكى[7] وبابا حاجى نجدةً له على قتال سلطان مصر ، فقبض على حامل هذا الكتاب

(١) فى طبعة كاليفورنيا (المقدم ذكره) والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .

(٢) فى أ (عانه) .

(٣) فى أ (و) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، ولا فرق يذكر .

(٤) فى أ (وبا عظيم) .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) الهاء فى ابنه تعود على شاه رخ بن تيمورلنك ، وأحمد جوكى هو ابن شاه رخ (انظر ما يلى)

(٧) فى أ (لوجى) .

وحبس ، فلما بلغ السلطان ذلك كتب إلى نواب البلاد الشامية بالتأهب والاستعداد لنجدة نائب حلب الأمير إينال الجكمى إذا استدعاهم ، ولم يكترث السلطان بقبض جانبك الصوفى وقال : هذه حيلة .

وكان من خبر جانبك الصوفى والقبض عليه وهو خلاف ما نقل عنه قبل ذلك لاختلاف الأقوال فى أمره ، نخبره من هذا الوجه : أنه لما فر[1] من الإسكندرية ، دخل القاهرة بعد أمور ، ودام بها سنين مختفياً[2] فى حاراتها وظواهرها ، إلى أن خرج منها متنكراً وسار إلى البلاد الشامية ، ثم إلى بلاد الروم ، فظهر بتُوقات[3] فى شوال من السنة الماضية : أعنى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، فقام متوليها الأمير أرْكج باشا بمعاونته وأكرمه[4] وأنعم عليه ، وكتب إلى ناصر الدين محمد بن دُلْغادر نائب أَبُلُسْتَيْن ، وإلى أسلماس بن كبك ، وإلى محمد بن قطبكى ، وإلى قرايلك ونحوهم من أمراء التركمان بالقيام معه والاستعداد لنصرته ، فانضم على جانبك الصُّوفى عند ذلك جماعة كبيرة . فتهيأ وخرج بهم من توقات ، فوافاه الأمير قُرْمُش الأعور أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية المتقدم ذكره فى واقعة جانبك الصُّوفى لما قبض عليه بالقاهرة .

وكان من خبر قُرْمُشْ المذكور ، أن الملك الأشرف أمسكه بعد أن قبض على الأمير جانبك الصُّوفى بمدة يسيرة ، وحبسه بثغر الإسكندرية ، ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، فلما خرج الأمير تَنْبك البَجَاسى عن طاعة [الملك][5] الأشرف وافقه قرمش هذا وبقى من حزبه ، إلى أن انكسر البجاسى وقبض عليه ، فاختفى[6] قرمش المذكور ولم يظهر له خبر إلى هذا اليوم ، فكأنه كان مختفياً بتلك

(١) فى أ (سافر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى أ (مختف) .
(٣) تُوقات مدينة بآسيا الصغرى (راجع زامباور ج٢ ص ٢٢٠) .
(٤) كلمة (وأكرمه) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى أ (اختفى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

البلاد ، فلما ظهر أمر جانبك الصُّوفى توجه إليه — انتهى .

وسار الأمير جانبك الصُّوفى بمن انضم عليه ، ومعه الأمير قُرْمُش ، من تُوقات إلى الأمير محمد بن قرايُلُك صاحب قلعة جركشك ، فأكرمهم محمد المذكور وقوامهم ، فشنُّوا منها الغارات على مدينة دوركى وضايقوا أهلها ونهبوا نواحيها ، فاتفق ورود كتاب شاه رُخ ملك الشرق على قرايُلُك يأمره[1] بالسير بأولاده وعساكره لقتال إسكندر بن قَرا يوسف سريعاً عاجلا ، فكتب[2] قَرَايُلُك إلى ولده محمد بالقدوم عليه لذلك ، فترك محمدٌ جانبك الصُّوفىَّ ومن معه على دوركى وتوجه إلى أبيه .

فسار جانبك إلى أسلماس وابن قطبكى ، واجتمعوا ونزلوا على مَلَطْية وحصروها ، وكادهم سليمان بن ناصر الدين بك ابن دُلغادر ، وكتب إلى جانبك : أنه معه ؛ فكتب إليه أنه يقدم عليه ، وكان تقدم بينهما مكاتبات حسبما تقدم ذكره ، ومواعدات (بمجىء)[3] جانبك إلى أَبُلُسْتَيْن[4] ، فلم يقع ذلك وأرسل جانبك إليه بالقدوم عليه مع الأمير قرمش الأعور ، فأكرمه سليمان ، وركب وسار [٢٤] مع الأمير قرمش فى مائة وخمسين فارساً إلى جهة جانبك الصوفى ، حتى قدم عليه ، فتلقاه جانبك وعانقه وعادا بمن معهما على حصار مَلَطْية ، فأظهر سليمان من النّصاحة ما أوجب ركون جانبك إليه ، فأخذ سليمان فى الحيلة على جانبك المذكور بكل ما تصل قدرته إليه ، ولازال به حتى خرج جانبك معه فى عدة من أصحابه ليستريحا بمكان للنزهة فيه ؛ وربتبا[5] قُرْمُش وبقية العسكر على حصار مَلَطْية ، فلما نزل[6] سليمان وجانبك للنزهة ورأى أن حيلته تمت ، وثب جماعة سليمان على جانبك الصُّوفى وقيدوه وأركبوه[7]

(١) ، (٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا.

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) أَبُلُسْتَيْن أو البُستان أو أبلستان ، مدينة مشهورة بآسيا الصغرى وهى عاصمة إمارة بنى دُلغادر التركانية (ياقوت : معجم البلدان حـ١ ص ٨٦ ؛ القرمانى : أخبار الدول ص ٢٣٩).

(٥) فى أ (وركبا) .

(٦) فى أ (جلس) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) فى طبعة كاليفورنيا (وأركبه) ، والمثبت عن أ .

على أكديش ، وسار به ليلته و(1) من الغد حتى وصل إلى بيوته بأُبُلُسْتَيْن وحبسه عنده ؛ فلم يفطن قُرْمُش وأصحابه بمسك جانبك ، حتى جاوز جانبك بلادًا بعيدة ، ولما قبض سليمان على جانبك الصُّوفى أرسل يُعرِّف السلطانَ بذلك ويطلب من يأتيه من قبل السلطان ويتسلمه — انتهى .

وأما السلطان لما بلغه خبر القبض على جانبك الصُّوفى ، لم يحمل ذلك على الصدق وأخذ فيما هو فيه ، فورد عليه فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر سيفُ الأمير قَصْرُوه نائب الشأم ، على يد الأمير علىّ بن إينال باى بن قجماس ، فعيَّن السلطانُ الأميرَ إينال الجَكَمى نائب حلب إلى نيابة دمشق عوضًا عن قَصْرُوه ، ورسم لتَغْرى بَرْمَش الأمير آخور الكبير بنيابة حلب عوضًا عن إينال الجكمى ، غير أنه لم يخلع على تغرى بَرْمش المذكور إلا بعد أيام حسبما يأتى ذكره .

ثم فى ثالث عشره نودى بعرض أجناد الحلقة ليستعدوا للسفر إلى الشام ولا يُعفَى أحد منهم ، وجمع السلطانُ قضاةَ القضاة بين يديه وسألهم فى أخذ أموال الناس للنفقة المتحوجة(2) لقتال شاه رُخ بن تيمور ، فكثر الكلام وانفضوا من غير أن يفتوه بذلك ، فقيل إن بعض الفقهاء قال : « كيف نفتيه بأخذ أموال المسلمين ، وكان لبس زوجته يوم طهور ولدها — يعنى [الملك](3) العزيز يوسف — ما قيمته ثلاثون ألف دينار ، وهى بدلة واحدة ، وإحدى نسائه ! » ، ولم يعرف القائل لذلك من هو من الفقهاء ، غير أنه أشيع ذلك فى أفواه الناس . ولما بلغ الناس ذلك كثر قلقهم من هذا الخبر .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر [شهر](4) ربيع الآخر المذكور ابتدأ السلطان بعرض أجناد الحلقة ، فتجمع بالحوش السلطانى منهم عدة مشايخ وأطفال وعُميان ، وعُرضوا على السلطان فقال لهم : « أنا ما أعمل كما عمل الملك المؤيَّد شيخ من أخذ المال منكم ، ولكن اخرجوا

(1) حرف (و) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(2) فى آ (المتوجه) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمراد : النفقة اللازمة .
(3) ، (4) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

جميعكم ، فمن قدر منكم على فرس ركب فرساً ، ومن قدر على حمار ركب حماراً » ؛ فنزلوا على ذلك إلى بيت الأمير أركماس الظاهرى الدوادار الكبير ، فحل بهم عند ذلك بلاء الله المنزل ، وتحكم فيهم الأُكَلَة ، وصاروا فى أيديهم كالفريسة فى يد فارسها ، وذلك لعدم معرفة أركماس المذكور بالأحكام ، وقلة دربته بالأمور — فإنه كان رجلا غُتْمِيًّا لا يعرف باللغة التركية فكيف اللغة العربية ؟ — ففاز المتموّلون وتورط المفلسون .

قلت : وعُدَّت[١] هذه الفعلة من غلطات [الملك][٢] الأشرف ، كونه يندب[٣] لهذا الأمر المهم[٤] مثل أركماس هذا ، وقد تقدم أن الملوك السالفة كانت تندب لهذا الأمر[٥] مثلَ الأمير طشتمر الدوادار ، ومثل سُـــودون الشَّيْخُونى ، ومثل يونس الدوادار ، وآخرهم جقمق دوادار المؤيد ، وكل واحد من هؤلاء كان شأنه مع من يعرضه كالطبيب الحاذق العارف بمرض من يعالجه : ينظر إلى وجه المعروض عليه ، ويسأله عن إقطاعه[٦] وعن متحصله[٧] سؤالاً لا يخفاه بعد [ذلك][٨] شىء من حاله ، فعند ذلك ينظر فى أمره بفراسته ، إن كان إقطاعه يقوم بسفره ألزمه بالسفر غصباً على رغم أنفه ، لا يسمع فى أمره رسالة ولا شفاعة ، وإن كان لا يقوم بسفره ألزمه بالإقامة ، وندبه لحفظ جهة من الجهات ، ومشى فى جميع عرضه على ذلك . وقد انتصف الناس من كونه ألزم كلَّ واحد بما هو فى قدرته ، فكان هذا العرض بخلاف [٢٥] هذا جميعه : تُرِكَ فيه مَنْ إقطاعُه يعمل فى السنة مائة[٩] ألف ، حيث هو من جهته رجل من أرباب الشوكة أو باذل مال ، وأُلزم بالسفر مَنْ إقطاعه يعمل فى السنة[١٠] خمسة آلاف درهم فلوساً ، كونه فقيراً ولا عصبية له — انتهى .

---

(١) فى أ (وعد) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (لايندب) بالنفى ، والمثبت هو الصواب عن أ .
(٤) ، (٥) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) ، (٧) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) ، (١٠) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

وبينما السلطان فى ذلك ورد عليه كتاب أصْبَهان بن قَرَا يوسف صاحب بغداد، يشتمل على التودد. وأنه هو وأخاه[1] إسكندر يقاتلان شاه رُخ؛ وتاريخه قبل قدوم أحمد جوكى بن شاه رُخ وبابا حاجى بعساكر شاه رخ، وقبل موت قرايلُك.

ثم فى سابع عشره قدم أيضاً قُصَّاد إسكندر بن قرا يوسف صحبة الأمير شاهين الأيدكارى الناصرى أحمد حجاب حلب، وعَلَى يدهم رأس الأمير عثمان بن طُرْعَلى المدعو قَرَايلُك، ورأس ولديه وثلاثة رؤوس أخر، وكان السلطان توجه فى هذا اليوم إلى الصيد، فقدم من الغد يوم الخميس ثامن عشره، فأمر بالرؤوس الستة فطيف بها على رماح، وقد زينت القاهرة لذلك فرحاً بموت قَرَايلُك، ثم علقت الرؤوس على باب زويلة ثلاثة أيام.

وكان من خبر موته أنه لما سار إسكندر بن قرا يوسف من تِبْرِيز لقتاله إلى أن نزل بالقرب من أَرْزَن[2]، وبلغ قرايلُك مجيئه[3]، جهز ابنه على بك ومعه فرقة من العسكر وهو تابعهم، فالتقوا هم وإسكندر فاستظهر عسكر قرايلُك فى أول الأمر، ثم إن إسكندر ثبت وحمل عليه بمن معه حملة رجل واحد عَلَى عسكر قرايلُك فكسرهم، وذلك خارج أَرْزَن الروم المذكورة، فعند ما انهزم قرايلُك ساق إسكندر خلفه، فقصد عسكر قرايلُك أَرْزَن الروم، ليتحصنوا بها لخيل بينهم وبينها؛ وقبل أن يتجاوزوا عنها، أرمى قرايلك بنفسه إلى خندقها ليفوز بمهجته، وعليه آلة الحرب، فوقع عَلَى حجر فشج دماغه. ثم قام فحُمل إلى قلعة أَرْزَن الروم بحبال فدام بها أياماً قليلة، ومات فى العشر الأول من صفر فى هذه السنة، بعد أن أقام فى الأمر نيفاً وخمسين سنة، ومات وقد قارب المائة سنة من العمر، ودفن خارج أَرْزَن الروم، فتتبع إسكندر بن قرا يوسف قبره، حتى

---

(١) فى أ (وأخوه).

(٢) فى أ (ارون)، وأَرْزَن هى المعروفة باسم أرزن الروم، وهى بلدة بأرمينية فى الشمال الشرق من خلاط. واسمها الأصل Theodosiopolis ثم سماها العرب قاليقلا أيام الفتوح الإسلامية الأولى؛ ويرجع اسم أرزَن الروم إلى سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م حين هدم السلاجقة بلدة أرزن، وهى قرب خلاط أيضا، فخرج أهلها الأرمن إلى قاليقلا، وأطلقوا عليها أرزن الروم (انظر السلوك حـ١ ص ٢٠٤ حاشية ٢ وما بها من مراجع).

(٣) فى أ (مجيه).

عرفه ونبش عليه وأخرجه وقطع رأسه ورأس ولديه وثلاثة رؤوس أخر من أمرائه ممن ظفر به إسكندر فى الوقعة ، وأرسل الجميع مع قاصده إلى الملك الأشرف ، حسبما تقدم ذكره . هذا ما كان من موتة قرايلك ، ويأتى بقية ترجمته وأصلهُ فى الوفيات [من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى][1].

ثم فى [يوم][2] السبت عشرينه خلع السلطان على الأمير حسين بن أحمد البهسنى[3] المدعو تغرى برْمش ، الأمير آخور الكبير باستقراره نائبَ حلب ، عوضاً عن الأتابك إينال الجَكَمى وسافر من الغد إلى محل كفالته[4] ، وتولى الأميرَ آخورية عوضه الأميرُ جانم الأشرفى ، وكتب بانتقال الجكمى إلى نيابة الشام عوضاً عن قَصْرُوه بحكم وفاته[5] .

[و][6] فى هذا اليوم حضر قصاد إسكندر بن قرا يوسف بين يدى السلطان بكتابه ، فقرئ وأجيب بالشكر والثناء ، وحمل إليه مالًا وغيره من القماش السكندرى ما قيمته عشرة آلاف دينار ، ووعده بسير السلطان إلى تلك البلاد . ثم نزل السلطان إلى الإسطبل السلطانى وعرضه بنفسه ، وأرسل إلى الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ وإلى الأمير يلخجا بمال كثيرة ، وكان ندبهما للسفر إلى بندر جدة .

ثم فى تاسع عشرين [شهر][7] ربيع الآخر المذكور توجه الأمير شاد بك الجكمى ، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ، إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دُلغادر بمال وخيل وقماش سكندرى وغير ذلك ، وإلى ولده سليمان بمثل ذلك ، وكتب لهما أن يسلما شاد بك المذكورَ الأميرَ جانبك الصُّوفى ليحمله إلى قلعة حلب ، فسار شاد بك فى هذا اليوم ؛ تأتى بقية أمره فى عوده .

---

(١) ، (٢) أضيف ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى آ (البهنسى) والصواب البَهَسْنَى نسبة إلى بلدة بَهَسْنَا أو بهسَنى الواقعة فى أملاك إمارة دلغادر التركانية بآسيا الصغرى (زامباور حـ ٢ ص ٢٣٥) .
(٤) ، (٥) فى العبارة الواقعة بين هذين الرقمين بعض الاضطراب فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن آ .
(٦ ، ٧) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى خلع السلطان على جوهر الصفوى[١] الجُلْبَانى اللَّالَا[٢] باستقراره زِمامَ الدار ، بعد موت خُشْقَدَم الظاهرى الرومى ، وكانت شاغرة من يوم مات خشقدم المذكور .

[٣٦] ولما[٣] كان يوم السبت ثامن عشر جمادى الآخرة[٤] المذكورة برز الصاحب كريم الدين والأمير يلخجا الساقى ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، بمن معهما[٥] من الحاج إلى ظاهر القاهرة ، ثم ساروا فى تاسع عشره إلى جهة مكة المشرفة .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الآخرة المذكورة[٦] خلع السلطان علَى السيفىّ آقباى اليَشْبَكى الجاموس أحد دوادارية السلطان الأجناد باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضاً عن خليل بن شاهين الشَّيْخى بحكم عزله .

ثم فى ثانى عشرينه وصل الأمير أقطوه الموساوى الظاهرى بَرْقُوق المتوجه فى الرسالة إلى شاه رُخ بن تيمورلنك ، وقدم من الغد إلى القاهرة الشيخ[٧] صفا رسول شاه رُخ المذكور بكتابه ، فأنزل وأجرى عليه الرواتب ؛ ثم ورد الخبر على السلطان : أن رسل أصبهان بن قرا يُوسف صاحب بغداد سارت إلى القان معين الدين شاه رُخ ، وهو مقيم على قراباغ[٨] بدخوله تحت طاعته وأنه من جملة خدمه ، فأقامت رسله ثلاثين يوماً لا تصل إلى شاه رُخ ، ثم قدموا بين يديه فأجابه بالإنكار على أصبهان المذكور من كونه أخرب

(١) فى أ (جوهر) مؤخرة عن (الصفوى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، ولا فرق يذكر .

(٢) اللالا لفظ فارسى معناه الشخص المكلف بالعناية بالأطفال وجمعه : لالات ؛ ومن عادة اللالات ألا يُظهروا الأولاد للناس إلا بعد أن يتجاوز سن الواحد منهم سبع سنوات (السلوك جـ١ ص ١٨ ٤ حاشية ٢ ؛ النسخة المخطوطة من السلوك جـ٣ ص ٢٦١ ؛ زبدة كشف الممالك ص ١١١ ؛ النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٨٥) .

(٣) فى أ (فلما) .

(٤) فى أ (الآخر) والتأنيث أشهر .

(٥) فى أ (معهم) .

(٦) فى أ (جمادى الآخر المذكور) .

(٧) فى أ (شيخ) .

(٨) راجع النجوم الزاهرة جـ١٢ ص ٢٦٤ حاشيه ٥ .

العراق وبغداد(١) وأبطل مسير الحج من بغداد ، ثم أمره بعمارة بغداد وأن يعمرها ، وإلا قصد(٢) مشى عليه وأخرب دياره ، وأكثر له من الوعيد ، وأنه أمهله فى ذلك مدة سنة ؛ وكان أصبهان بعث بهدية فأخذها ولم يعوضه عنها شيئاً(٣) وإنما جهز له خلعةً بنيابة بغداد وتقليداً ، ثم خلع(٤) على رسله وأمرهم بالعود إليه وتبليغه ما ذكره لهم بتمامه وكماله . قلت : وفى الجملة أن جور أولاد تيمورلنك أحسن من عدل بنى قرا يوسف .

ثم فى يوم السبت ثانى [شهر](٥) رجب أحضر السلطان [الملك الأشرفُ](٦) الشيخَ صفا رسول شاه رُخ إلى بين يديه ، وهو جالس عَلَى المقعد(٧) بالإسطبل السلطانى ، بمن معه من قصاد شاه رُخ ، وقرئ كتابه فإذا هو يتضمن : أنه يأمر السلطان أن يخطب له ، ويضرب السكة باسمه ؛ ثم أخرج الشيخُ صفا خلعةَ السلطان بنيابة مصر ، ومعها تاج ليلبسه(٨) السلطان ، وخاطب السلطانَ بكلام(٩) لم يسع السلطان معه صبراً .

وعند ما رأى السلطانُ الخلعةَ أمر بها فمزقت تمزيقاً ، وأمر بالشيخ صفا المذكور فضرب ضرباً مبرحاً خارجاً(١٠) عن الحد ، ثم أقيم بعد ذلك وأمر به فسحب إلى بركة ماء بالإسطبل ، فألقى فيها منكوساً وغمس فيها غير مرة حتى أشرف عَلَى الهلاك ، وكان الوقت شتاء شديد البرد . كل ذلك ولم يستجرئ(١١) أحد من الأمراء أن يتكلم فى أمر الشيخ صفا بكلمة واحدة من نوع الشفاعة لشدة غضب السلطان ، ولقد لازمتُ الملك الأشرف

(١) فى أ (أخرب بغداد والعراق) والمعنى واحد .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (وإلا فعل) ، والمثبت عن أ .
(٣) هذه الكلمة مطموسة فى أ ومثبتة عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى أ (أخرج) والصواب ما أثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ، (٦) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى طبعة كاليفورنيا (المقعده) والمثبت عن أ ، وليس بينهما خلاف لغوى ، إذ المَقْعَد والمَقْعَدَة مكان القُعُود أو الجلوس (القاموس المحيط) .
(٨) فى أ (يلبسه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى س (ليس) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(١٠) فى أ (خارج) .
(١١) فى أ (ولم يستجر) .

كثيراً من أوائل سلطنته إلى هذا اليوم ، [و](١) لم أره غضب مثلها [قبلها](٢) .

ثم طلب السلطان الشيخَ صفا المذكور وحدثه بكلام طويل ، محصوله يقول لصفا : إنك تتوجه إلى شاه رُخ وتذكُر له ما حلّ بك من الإخراق والبهدلة والعذاب ، وأنه قد ولّانى نيابةَ مصر إلا أنا فإنى لا أرتضيه شِحنةً(٣) لى على بعض قرى أقل أعمالى ، وإن كان له قوةٌ فهو يُظْهِر(٤) ذلك بعد هذا الإخراق بك ويمشى على أعمالنا(٥) ، وإن لم يأت فى العام القابل فكل ما(٦) يأتى منه بعد ذلك فهو من المهملات ، ويظهر عجزه وضعف حالته وكثرة فشاره لكل أحد .

ثم رسم السلطان بإخراجه مع رفقته فى البحر الملح إلى مكة ، فتوجهوا وحجّوا ثم عادوا إلى شاه رخ وبلغوه ذلك فلم يتحرك بحركة ، وهاب ملوكَ مصر بهذه الفعلة إلى أن مات ولعمرى(٧) لقد كانت هذه الواقعة من الملك الأشرف حسنة من حسناته التى قامت بفعلتها حرمة العساكر المصرية إلى يوم القيامة .

قلت : ولا أعرف للملك الأشرف فعلة فعلها فى أيام سلطنته أحسن ولا أعظم ولا أجل من إقدامه على هذا الأمر ، من ضرب قاصد [٢٧] شاه رُخ وتمزيق خلعته ، فإنه خالف فى ذلك جميع أمرائه وأرباب دولته ، لأن الجميع أشاروا عليه بالمحاسنة فى رد الجواب ، إلا هو ، فإن الله عز وجل وفقه إلى ما فعل ولله الحمد ؛ ومن يومئذ عظم أمر [الملك](٨) الأشرف وتلاشى أمر شاه رُخ فى جميع بلاد الإسلام .

ثم خلع [السلطان](٩) على شيخ الشيوخ بخانقاه سِرْيَاقُوس محب الدين [محمد](١٠)

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) الشِّحْنَة والشِّحْنَكِيَّة والشِّحْنَجِيَّة ، هى رئاسة الشرطة ، ويُسمى متوليها صاحب الشِّحْنَة أو شحنة وجمعه شحانى (السلوك حـ١ ص ٣٥ حاشية ١ ، ص ٤٠ حاشية ٥ وص ٩٧٩ حاشية ٣) . ولعل المراد بهذه العبارة : « ... وأنه – مع توليته لى نيابة مصر – لا أرتضيه شحنة لى ... إلخ » .

(٤) فى أ (تظهر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى أ (اعمالها) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى أ (فكلما) .

(٧) حرف (و) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٨) ، (٩) ، (١٠) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

ابن الأشقر ، باستقراره فى كتابة السر بالديار المصرية(١) عوضاً عن القاضى كمال الدين ابن(٢) البارزى بحكم عزله .

وثم جهز السلطان تجريدة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى البلاد الشامية ، بسبب ظهور جانبك الصوفى وغيره ، وقد بلغ السلطان أن ابن دلغادر أطلق جانبك الصوفى .

ثم فى حادى عشر [شهر](٣) رجب المذكور قدم الأمير شاد بك الجكمى من بلاد أبلستين لأخذ جانبك الصوفى بغير طائل ، بعد أن قاسى شدائد من عظم البرد والمطر والثلوج ، حتى أنه هلك من أصحابه جماعة كبيرة من ذلك ، وكان من خبر شاد بك : أنه لما وصل إلى ناصر الدين بك ابن دلغادر ، تلقاه وأكرمه وأخذ ما معه من الهدية والتحف والمال .

قلت : الدورة على هذا لا [على](٤) غيره .

ثم أخذ ناصر الدين بك ابن دلغادر يسوِّفُ بالأمير شاد بك من يوم إلى يوم ، إلى أن طال الأمر وظهر لشاد بك أنه(٥) لا يمكنه منه ، فكلمه فى ذلك فاعتذر ناصر الدين [بك](٦) بعد[م](٧) تسليمه من أنه يخاف من أن يعاير بذلك ، وأيضاً مما ورد عليه من كتب شاه رخ وغيره من ملوك الأقطار بالتوصية عليه وأشياء من هذه المقولة ؛ والمقصود : أنه منعه منه ، ثم أطلقه وأعاده إلى حاله الأول وأحسن ، فعظم ذلك على السلطان إلى الغاية ، ولم أسأل الأمير شاد بك هل اجتمع بالأمير جانبك الصوفى عند ابن دلغادر أم لا .

ولما أن عاد شاد بك من عند ابن دلغادر(٨) من غير قضاء حاجة اضطرب الناس ، وتحدث كل أحد بما فى نفسه من المغيبات ، وكثر القلق وأخذ السلطان يستحث

(١) فى أ (بمصر) والمعنى واحد .
(٢) كلمة (ابن) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) ما بين الحواصر ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى أ (أن) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) كلمة (دلغادر) مصححة بهامش المخطوطة أ ، اذ وردت بالمتن خطأ (ابن قرمان) ، وكذلك فى طبعة كاليفورنيا (ابن قرمان) ، والصواب ما أثبت بالمتن .

الأمراء[1] المجردين فى السفر . وأدير محمل الحاج فى يوم الاثنين خامس عشرين [شهر][2] رجب من غير لعب الرمَّاحة[3] على العادة فى كل سنة ، لشغل خاطر السلطان .

[ثم فى يوم الأربعاء خامس عشرين شعبان ، برز الأمراء المجردون من القاهرة إلى الريدانية خارج القاهرة][4] ، وهم : الأمير الكبير جَقْمَق العلائى الناصرى الظاهرى ، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار ، والأمير يشبك السودونى المشد ، وهو يومذاك حاجب الحجاب ، والأمير تَنْبك البرديكى نائب القلعة كان ، والأمير قرا خُجا الحسنى ، والأمير تَغْرى بَردى البَكْلَمُشى المؤذى[5] والأمير خُجا سُودون السيفى بلاط الأعرج ، فأقاموا إلى يوم سابع عشرينه ، وسافروا إلى جهة البلاد الشامية ؛ ثم نقل حسن بن أحمد البهسنى نائب القدس إلى حجوبية الحجاب بحلب ، بسفارة أخيه تَغْرى بَرْمَشْ نائب حلب ، عوضاً عن الأمير قانصوه النوروزى ، بحكم انتقال قانصوه إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق .

ثم فى يوم الاثنين سابع [شهر][6] رمضان خلع السلطان على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين الشيخى المعزول عن نيابة الإسكندرية ، باستقراره وزيراً بالديار المصرية ،

---

(١) المثبت عن أ . وفى طبعة كاليفورنيا (وكثر قلق السلطان ، وأخذ يستحث الأمراء) ، ولا فرق يذكر .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) جرت العادة عند إدارة المحمل وعرض الكسوة قبيل السفر إلى الحجاز فى موسم الحج فى كل سنة ، أن يقوم فريق من فرسان الرمَّاحة باللعب بالرمح والمبارزة ، ويتكون هذا الفريق من رئيس يلقب معلم الرمَّاحة وهو من المقدمين ، ومعه أربعة أعوان من أمراء الطبلخاناه ، يلقب الواحد منهم باسم «باش» ، ومع هؤلاء أربعون فارسا ؛ وفى هذه المناسبة يلبسون الزى الأحمر ، وبعد اللعب ينزلون عن خيولهم ويقبلون الأرض بين يدى السلطان .

(ابن إياس : بدائع الزهور حـ٤ ص ٧٢ ، ٣٩١) .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى أ (المؤيدى) ، والمثبت هو الصواب عن ابن إياس (بدائع الزهور حـ٢ ص ٢٥ ، وعن طبعة كاليفورنيا) .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

عوضاً عن التاج الخطير الأُسْلَمى .

ثم فى يوم الخميس رابع عشرين [شهر](١) رمضان قدم إلى القاهرة الأمير أسلماس ابن كبك التركمانى مفارقاً لجانبك الصُّوفى ، فأكرمه السلطان وأنعم عليه ، ثم خلع عليه فى يوم الخميس أول شوال خلعة السفر ورسم بتجهيزه .

ثم فى يوم الخميس ثامن شوال عزل السلطانُ [الوزيرَ](٢) خليل بن شاهين الشيخى عن الوزارة ، وألزم الصاحبَ أمين الدين بن الهَيْصَم بشدّ أمور الدولة ، ومراجعة عبد الباسط فى جميع أحوال الدولة ، فشت الأحوال .

قلت : وهذا كان قصد السلطان أن يلقى الأستَادّارِيّة والوزارة فى رقبة عبدالباسط ، وقد وقع ذلك — انتهى .

ومن [يوم](٣) ذلك ، أخذ عبدُ الباسط يحسّن [٢٨] للسلطان طلبَ الصاحبِ كريم الدين ابن كاتب المناخ وإعادته للوزارة ، فيقول له السلطان : «هذا شىء صار يتعلق بك ، افعل [فيه](٤) ما شئت » ؛ فكتب فى يوم تاسعه بإحضار الصاحب كريم الدين من(٥) بندر جدة على يد نجّاب بعد فراغ شغله ليلى الوزارة .

حدثنى الصاحبُ كريم الدين(٦) قال : « كان أولاً إذا كتب إلىّ عبد الباسط ورقة فى حاجة ، يخاطبنى فيها مخاطبة ليست بذاك ، إلى أن أضيف إليه التكلم فى الوزارة وطُلِبتُ(٧) من بندر جدة ، فصارت كتبه تأتينى بعبارة عظيمة وتَرَقُّق زائد وتَحَشُّم كبير ، فلما أن قدمتُ وعدتُ إلى الوزارة ، امتنع مما كان يفعله معى فى ولايتى الأولى من الإفراجات التى كان(٨) لا يخلو يوم(٩) إلا ويأتينى شىء منها ، فصار فى ولايتى هذه كلما قيل له أن يرسل إلىّ لأُفرِج(١٠) له عن شىء ، يقول : خَلُّوه! يكفيه الذى هو فيه ، نحن

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ، (٦) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى أ (فطلبت) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى أ (كانت) .
(٩) فى أ (يوما) .
(١٠) فى أ (ليفرج) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الكلام .

يجب علينا مساعدته » ؛ قلت له : « فكان يساعد ؟ » ، قال : « أى والله ! غصباً ومروءة » _ انتهى .

ثم فى سابع عشرين شوال ، كتب بعزل الأمير إينال العلائى الناصرى نائب الرُّها وقدومه إلى القاهرة . وخلع [السلطان][1] على الأمير شادبك الجَكَمى أحد أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة ثانى باستقراره فى نيابة الرُّها على إقطاعه ، عوضا عن إينال المذكور . وكتب أيضاً بعزل الأمير إينال الششمانى الناصرى عن نيابة صَفَد ، وأن يتوجه إلى القُدس بطالا . وأن يستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير تَمْراز المؤيدى أحد مقدمى الألوف بدمشق .

ثم فى أواخر ذى القعدة قدم الخبر على السلطان : أن شاه رخ بن تيمورلنك رحل عن مملكة أذربيجان ، وهى تِبْرِيز ، بعد أن استناب عليها جهان شاه بن قَرَا يوسف عوضاً عن أخيه إسكندر ، وزوّج جهان شاه المذكور أيضاً بنساء إسكندر المذكور بحكم الشرع ، لكون إسكندر كان فى عصمته أزيد من ثمانين امرأة .

ونزل شاه رُخْ فى أواخر ذى القعدة على مدينة السلطانية ، وعزم [على][2] أن[3] لا يرحل عنها إلى ممالكه حتى يبلغ غرضه من إسكندر بن قَرَا يوسف ، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك وأخذ فيما هو فيه من أمر جانِبك الصُّوفى ، غير أنه صار فى تخوف من أن يُرْدِفَ شاه رُخ جانبك الصوفى بعسكر ، إذا تم أمره من إسكندر .

وأما العسكر المجرد من مصر وغيرها فإنه لما توجه إلى حلب ، سار منها نائبها تَغْرى بَرْمَش البَهْسَنى بعساكر حلب ، وصحبته الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حماه بعساكر حماه . ونزل على عِينْتاب ، وقد نزل جانبك الصوفى على مَرْعَش ، فتوجهوا إليه من الدَّرْبند أمام العسكر المصرى ، ونزلوا على بَزَرْجِقْ _ يعنى : سويقة باللغة العربية _ ثم عدوا الجسرَ ، وقصدوا ناصر الدين بك ابن دُلْغادر نائب أُبُلُسْتَيْن من طريق دَرْبَند كِينُوك ، فلم يقدروا على سلوكه لكثرة الثلوج ، فمضوا إلى دَرْبَنْد آخر من عمل بَهَسْنا ، وساروا منه بعد مشقة يريدون أبلستين ، وساروا حتى طرقها تَغْرى بَرْمَش المذكور بمن معه فى يوم

(١ ، ٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (أنه) والمثبت عن آ ، ولا فرق يذكر .

الثلاثاء تاسع شهر رمضان، فلم يدرك ناصر الدين بن دُلْغادر بها، فأمر تَغْرى بِرمش بنهب أبلستين وإحراقها فنهبت[1] وأحرقت بأجمعها، ثم أمر العسكر بنهب جميع قراها وإحراقها[2] فنهبوها وأخذوا منها شيئاً كثيراً، ثم عاد نائب حلب بمن معه والأغنام تساق بين يديه بعد أن امتلأت أيدى العساكر من النهب، وترك أَبُلُسْتَيْن خراباً قاعاً صفصفاً، وعاد إلى حلب بعد غيبته عنها خمسين يوماً، كل ذلك وأمراء مصر بحلب.

ثم بلغ تَغْرى بَرْمَش بعد قدومه إلى حلب: أن ناصر الدين بن دُلْغادر نزل [بالقرب][3] من كِينُوك فجهز إليه أخاه حسناً[4] حاجب حجاب حلب، وحسن هو الأسن، ومعه مائة وخمسون فارساً إلى عينتاب تقويةً للأمير خُجا سُودون، وقد نزل بها بعد أن انفرد عن العسكر المصرى [٢٩] من [يوم][5] خرج من الديار المصرية، فتوجه حسن المذكور بمن معه إلى خُجَا سُودون وأقام عنده، فلما كان يوم رابع عشرين ذى الحجة من سنة تسع وثلاثين المذكورة، وصل إليهم الأمير جانبك الصُّوفى، ومعه الأمير[6] قرمش الأعور، والأمير كَمَشْبُغَا[7] المعروف بأمير [عشرة][8] أحد أمراء حلب، وكان توجه من حلب وانضم على جانبك الصُّوفى قبل تاريخه بمدة طويلة، ومعه أيضاً أولاد ناصر الدين بك ابن دُلْغادر الجميع، ما عدا سليمان، فنزلوا على مرج دُلُوك[9]، ثم ركبوا وساروا منه إلى قتال خُجا سُودون بعينْتاب، فركب خُجا سُودون أيضاً

(١)، (٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا.
(٣)، (٥) عن طبعة كاليفورنيا.
(٤) فى أ (حسن).
(٦) كلمة (الأمير) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.
(٧) راجع ص ٣٣ حاشية ١١.
(٨) عن طبعة كاليفورنيا.
(٩) دُلُوك بليدة بنواحى حلب، وهى التى صارت تعرف باسم عين تاب أو عينتاب، وأضحت دلوك ورُسْتَاقها أى من لواحقها وقراها، وكان بدلوك وقعة لأبى فراس بن حمدان مع الروم، وقال بعضهم يذكرها:

وإنى إن نزلت على دُلُوك تركتك غيرَ متَّصل النظام

(ياقوت: معجم البلدان ج٤ ص ٦٨؛ القاموس المحيط؛ السلوك ج١ ص ١٨١ حاشية ١).

بمماليكه وبمن معه من التركمان والعربان وقاتلهم آخر النهار ، وباتوا ليلتهم .

وأصبحوا يوم الثلاثاء خامس عشرين ذى الحجة تقدم حسن حاجب الحجاب بمن معه من التركمان والعربان أمام خُجَا سُودون ، فتقدم إليهم جانبك الصُّوفى بمن معه ، وهم نحو الألفى فارس ، فقاتلته العساكر المذكورة وقد تفرقوا [فرقتين][1] : فرقة عليها خُجا سُودون وحسن حاجب الحجاب المقدم ذكره ، وفرقة عليها الأمير تَمُرباى اليوسفى المؤيدى دوادار السلطان بحلب ، وتركمان الطاعة فى كل فرقة منهما .

وتصادم الفريقان فكانت بينهم وقعة هائلة انكسر فيها جانبك الصُّوفى ، وأُمْسِكَ الأمير قُرْمُش الأعور ، والأمير كَمَشْبُغَا أمير عشرة ، وهما كانا جناحى مملكته ، وثمانية عشر فارساً من أصحاب جانبك الصوفى ، وانهزم جانبك فى أناس وتبعهم العساكر فلم يقدروا عليهم فعادوا ؛ فأخذ خُجَا سُودون قُرْمُش وكَمَشْبُغَا بمن معهما ، وقيّد الجميع وسيّرهم إلى حلب ؛ وكتب بذلك إلى السلطان . فقدم الخبر على السلطان فى صفر من سنة أربعين وثمانمائة ، ومع المخبر رأس الأمير قُرْمُش الأعور ورأس الأمير كمشبغا أمير عشرة ، وأنه وسّط من قبض معهما بحلب ، فشهر الرأسان بالقاهرة ، ثم ألقيا فى سراب الأقذار بأمر السلطان ، ولم يدفنا . ودقت البشائر لذلك أياما ، وفرح السلطان بذلك أياما[2] ، وأرسل إلى نائب حلب وإلى خُجا سُودون بالشكر والثناء . ومن يوم ذاك ، أخذ أمر جانبك الصُّوفى فى إدبار ، بعد ما كان اجتمع عليه ملوك وخلائق ، لقلة سعده .

قلت : كان جانبك الصُّوفى خاملا لا يتحرك بحركة إلا وانعكست عليه طول عمره ؛ وقد استوعبنا أحواله فى تاريخنا « المنهل الصافى »[3] ، ويأتى من ذكره هنا أيضا نبذة فى الوفيات وغيرها إن شاء الله تعالى .

ثم فى أول شهر ربيع الأول من سنة أربعين المذكورة ، رسم السلطان بعزل تَمْراز المؤيدى عن نيابة صفد لسوء سيرته وكثرة ظلمه ؛ ونقله إلى نيابة غزة ، عوضا عن

(١) عن طبعة كاليفورنيا . (٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) راجع المنهل الصافى ج٢ ورقة ٤٥٨–٤٦٠ .

الأمير يونس الرُّكْني ؛ ونقل يونس المذكور إلى نيابة صَفَد عوضا عن تِمْراز المذكور ، أعنى أن كلا منهما ولى عن الآخر ، وحمل إليهما التقليدَ والتشريفَ الأميرُ دُولات باى المحمودى الساقى أحدُ أمراء العشرات ورأس نوبة ، بسفارة صهره الأمير جانِم الأشرفى الأمير الآخور الكبير .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول المذكور ، خلع السلطان على الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ ، بعد قدومه من بندر جُدَّة ، باستقراره وزيراً على عادته ، وكانت شاغرةً من مدة طويلة ، ويقوم بمصارفها الزينى عبدُ الباسط ابن خليل .

ثم أرسل السلطان يطلب الأمراء المجردين إلى الديار المصرية ، بعد ما أنعم على الأمير الكبير جَقْمَق بألف دينار ، وعلى كل مقدم ألف أيضاً [من المجردين][1] بخمسمائة دينار ؛ فقدموا القاهرةَ فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى من سنة أربعين [المذكورة][2] ، وطلعوا إلى القلعة وقبلوا الأرض ، وخلع السلطان عليهم الخلع السنية ، وأركبهم خيولا بقماش ذهب . وتأخر عن الأمراء المذكورين ، الأمير خُجَا سُودون ، وكانت هذه عادته ، إلى أن قدم فى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة [من سنة أربعين المذكورة][3] وطلع[4] [٣٠] إلى القلعة وخلع السلطان عليه وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة زيادة على ما بيده من تقدمة ألف . ثم خلع السلطانُ على القاضى كمال الدين ابن البارِزِى باستقراره قاضى قضاة دمشق ، عوضاً عن السراج عمرو بن موسى الحمصى ، مسئولا فى ذلك مرغوباً فى ولايته .

ثم فى يوم الخميس عاشر شهر رجب من سنة أربعين المذكورة ، خلع السلطان على الأمير إينال العلائى الناصرى ، المعزول عن نيابة الرها ، وهو يوم ذاك من جملة مقدمى الألوف بالديار المصرية ، باستقراره فى نيابة صَفَد عوضاً عن الأمير يونس الركنى ،

(١) ، (٢) ، (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (وطلعوا) .

ورسم بتوجه يونس المذكور إلى القدس بطالا . وخلع على الأمير طُوخ من تِمراز المعروف بِبَنى بازق[١] ، أن يستقر مُقَدَّمَ الأمير إينال [المذكور . ثم فى رابع عشر شهر رجب المذكور ، أنعم بإقطاع الأمير إينال][٢] وتقدمته على الأُمير قراجا الأشرفى شادّ الشراب خاناة ؛ وأنعم بطبلخانة قراجا علَى الأمير إينال الأبو بكرى الأشرفى الخازندار ، وخلع عليه باستقراره شاد الشراب خاناة عوضه أيضاً ؛ وخلع السلطان على الأمير[٣] [السيفى][٤] علىّ باى [الساقى][٥] الخاصكى الأشرفى باستقراره خازندارًا عوضًا عن إينال المذكور .

ثم فى يوم الأحد عاشر [شهر][٦] رمضان عمل السلطان مشورة[٧] بالأمراء ، لما ورد عليه الخبر بأن ناصر الدين بك[٨] بن دُلْغادِر ونزيله جانِبك الصوفى زحفا بمن معهما على بلاد ابن قرمان ، فاتفق رأى الجميع على سفر السلطان إلى بلاد الشام . وأخذ الأمراء فى أهبة السفر ، ثم انتقض ذلك بعد أيام ، وكتب لنواب الشام بالسير إلى نحو بلاد ابن قرمان نجدةً لابن قرمان ، فإن القوم أخذوا آق شهر[٩] ونازلوا قلاعاً أخر .

ثم فى يوم الخميس خمس شوال خلع السلطان على قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى وأعيد إلى قضاء القضاة بالديار المصرية ، عوضاً عن الحافظ شهاب الدين بن حجر .

ثم فى يوم الثلاثاء أول ذى القعدة ، قدم سيف الأمير تَمُرْباى اليوسفى المؤيدى

---

(١) بنى بازق أو بوفى بازق ، لفظة تركية معناها طويل الرقبة أو غليظ الرقبة (انظر الضوء اللامع ح٤ ص ٩ ؛ التبر المسبوك ص ٩٣ ؛ انظر ما يلى) .

(٢) ، (٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) فى ا (بشوره) . والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) كلمة (بك) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٩) آق شهر بلدة فى آسيا الصغرى ، وتكتب أحيانا أقشهر أو آقچشهر ، وكانت ضمن أملاك إمارة بنى آيدين التركانية ، وتحولت بين أكثر من إمارة (راجع زامباور ح٢ ص ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١)

دوادار السلطان بحلب ؛ وفيه أيضاً قدم سيفُ الأمير آقْباى اليَشْبَكى الجاموس نائب الإسكندرية ، بعـــد موتهما ، فخلع السلطان فى ثالثه علَى الزينى عبد الرحمن[١] ابن علم الدين داوُد[٢] بن الـكُوَيْز أحد الدوادارية الصغار باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضاً عن آقبـاى اليشبكى بحكم وفاته .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحجة خلع السلطان على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ، باستقراره كاتبَ السر الشريف بالديار المصرية ، بعد عزل القاضى محب الدين بن الأشقر ، مضافاً لما بيده من حسبة القاهرة ونظر دار الضرب ونظر الأوقاف ومنادمة السلطان ؛ ونزل فى موكب جليل وقد لبس العمامة المدورة والفرجية هيئة[٣] أرباب الأقلام وترك زى الأجناد ، فإنه كان فى[٤] مبدأ أمره على هيئة الأجناد ، وكانت ولايته بغير خاطر عبد الباسط بل على رغم أنفه[٥] .

ثم فى ليلة الأحد تاسع محرم سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، بُلِّغ الزينى عبد الباسط والوزير كريم الدين والقاضى سعد الدين ناظر الخاص بأن المماليك السلطانية على عزم نهب[٦] دورهم فوزعوا ما عندهم واختفوا[٧] ، ثم طلعوا إلى الخدمة السلطانية على تخوف ، وقد بلغ السلطانَ ذلك فأخذ يتوعدهم ويدعو عليهم بالطاعون ، فلم يلتفت منهم أحد إلى كلامه ، ونزل عدة كبيرة منهم فى يوم الأحد سادس عشره إلى دار عبد الباسط وإلى بيت مملوكه جانبك الأستادّار ودار الوزير كريم الدين ، ونهبوا ما وجدوا فيها وأخشوا إلى

---

(١) مصححة بهامش أ .
(٢) فى أ (دوادار) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (هيه) .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (من) والمثبت عن أ ، ولا فرق يذكر .
(٥) كلمة (أنفه) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) كلمة (نهب) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى طبعة كاليفورنيا (واحتفوا) وكذلك فى أ ، والمثبت هو الصواب من سياق الكلام .

الغاية ، ولم يعترضوا لأحد فى الطرقات خوفاً من العامة[١] .

ثم فى ثانى عشرين المحرم ورد الخبر على السلطان بأن نائب دُوركى توجه فى[٢] خامس عشر المحرم ، فى عدة نواب تلك الجهات وغيرهم[٣] فى نحو ألفى فارس ، وساروا حتى طرقوا بيوت الأمير ناصر الدين بن دُلْغادِر ، وقد نزل هو والأمير جانبك الصوفى بمكان على بعد يومين من مَرْعَش فنهبوا ما هناك وأحرقوا ، ففرّ ابن دلغادر وجانبك الصوفى فى نفر قليل ، وذلك أن جموعهما كانت مع سليمان بن ناصر الدين

---

(١) المقصود بالعامة فى المجتمع الإقطاعى المملوكى : سكان المدن باستثناء رجال القلم وطبقة المماليك ، حتى أن «مياسير» التجار كانوا يعرفون أحياناً باسم «مياسير العامة» ، وأما السواد الأعظم من العامة فهم دون مياسير العامة ثروة ومكانة ، حتى تصل إلى زمرة الحرافيش أو الزعر أو العيّاق ، وهؤلاء أدنى مراتب العامة ، ممن لا عمل ثابت لهم أو تعطلوا أو انخرطوا فى «عناصر الحرامية» . وربما أطلقت كلمة العوام وأريد بها فى أغلب الأحيان هذه الطبقة السفلى ، فيقال : نهب العوام بيت الأمير أقلاق ، ونادى الأمير القلاقى الثائر فى العوام لإحراق بيت منافسه ووعدهم كذا وكذا إلخ ... ولقد استعان المماليك بالعوام استعانة إيجابية ، فأنفقوا فيهم الأموال وبذلوا لهم الوعود ، خلال منافساتهم وفتنهم ، وهكذا فعل برقوق حين وزع المال على العوام ، واستعان بهم يلبغا الثائر فى القبض على السلطان برقوق ووعد من يحضره منهم خلعة وألف دينار ، وخلال الصراع بين الثائرين يلبغا ومنطاش ، زمن برقوق ، تفانى العامة فى خدمة منطاش . ثم إن عوام الكرك هم الذين أطلقوا سراح برقوق من سجنه ، على غير رغبة الأعيان . وهكذا كان العوام عنصراً فعالا فى المجتمع المملوكى . وتتنقل العوام بين الخصوم من وقت لآخر ، ولم يترددوا البتة فى الانقلاب ضد صاحبهم إن أحسوا بإدبار أمره ، فحين أدبر أمر يلبغا وأقبل سعد منطاش ، تفانى العوام فى مظاهرة الأخير ، وكان منطاش يقول لهم : «أنا واحد منكم وأنتم إخواننا وأصحابنا» وتولى فريق من العوام معاونته بالأحجار والمقاليع ، بينما وقف فريق آخر منهم للقبض على أعوان يلبغا ، فإذا رأوا واحداً استجوبوه : ناصرى ؟ – نسبة إلى يلبغا الناصرى – أم منطاشى ؟ والويل لمن قال إنه ناصرى ، إذ كان يعرّى وينهب ويؤتى به إلى منطاش . وعندما أدبر أمر منطاش لسوء تصرفاته ، انقلبوا ضده ؛ ولم يتردد عوام حلب فى نهب فلول العساكر المملوكية المهزومة فى مرج دابق ١٥١٦ م جزاءً لما ارتكبوه فى حلب خلال الاستعداد لقاء سليم العثمانى . والخلاصة أن العوام كانوا قوة يخشى بأسها ويحسب حسابها خلال ذلك العصر الصاخب بالفتن والمنافسات .

(انظر : المقريزى : إغاثة الأمة – نشر زيادة والشيال ص ٧٢ – ٧٣ ؛ السبكى : معيد النعم ص ١٤٣ – ١٧٢ ؛ بدائع الزهور ح ١ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٧٨ ؛ ح ٢ ص ٢٢٦ ؛ طرخان : مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٢٥٠ وما بعدها ؛

POLIAK, *A. N. Les Revoltes Populaires en Egypte à l'Epoque des Mamlukes* (Extrait de la Revue des Etudes Islamiques, 1934) .

(٢) حرف (فى) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (وغيرهم) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .

ابن دُلْغادِر على حصار قَيْصَرِيَّة الروم ، فسرّ [٣١] السلطان بذلك وأرسل إلى نائب دوركى بخلعة وشَــكره . ثم قدم الخبر على السلطان أن الأمير إينال الجَكَمى نائب الشام خرج من دمشق بعساكرها يريد حلب ، وقد سارت جميع نواب الشام ليوافوا نائب حلب ويتوجهوا الجميع مدداً لابن قرمان ، بعد أن أرسل إينال الجكمى تقدمةً هائلة للسلطان . ووصلت التقدمة المذكورة إلى القاهرة فى يوم السبت سابع صفر المذكور ، وهى ذهب نقد عشرة آلاف دينار ، وخيول مائتا[1] فرس ، منها ثلاثة أرؤس بسروج ذهب وكنابيش[2] زَرْكَش ، وسَمُّور عشرة أبدان ، ووَشَق عشرة أبدان ، وقاقُم عشرة أبدان ، وسنجاب مائة بدن ، وَبَعْلَبَــكى خمسمائة ثوب ، وأقواس حَلْقَة مائة قوس ، وجمال بخاتى ثلاث قطر[3] ، وجمال عراب ثلاثمائة جمل ، وثياب صوف مربع مائة ثوب .

ثم فى يوم السبت خامس شهر ربيع الأول ، خلع الســـلطان على الأمير خليل ابن شاهين الشيخى المعزول عن نيابة الإسكندرية والوزارة قبل تاريخه ، باستقراره فى نيابة الـكَرَك ، وسار إليها من وقته .

ثم فى يوم السبت تاسع عشر [شهر][4] ربيع الأول المذكور من سنة إحدى وأربعين المذكورة ، خلع السلطان على الصاحب جمال الدين يوسف ابن القاضى كريم الدين عبد الـكريم ابن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جَكَمَ ، باستقراره ناظرَ الخاص الشريف بعد موت أخيه القاضى سعد الدين إبراهيم الآتى ذكره فى الوفيات [إن شاء الله تعالى][5] .

ثم فى شهر ربيع الآخر كملت عمارة الجامع الذى أنشأه السلطان بخانقاه سِرْيَاقُوس على الدرب المسلوك ، وطوله خمسون ذراعاً [فى عرض خمسين ذراعاً][6] ، ورتب فيــه

---

(١) فى أ (مائتى) .

(٢) الكنابيش جمع كُنْبُوش ، وهى البرذعة تجعل تحت سرج الفرس . ومن معانيها أيضا الغاشية وهى السرج أو الغطاء المزركش الذى يوضع على ظهر الفرس ؛ والكَنْبُوش بالفتح ، اللثام أو الخمار الذى يستعمله أهل المغرب لتغطية وجوههم اتقاء لبرودة هواء الصباح ورطوبته (انظر السلوك حـ١ ص ٢١٤ حاشية ٥ وص ٤٥٢ حاشية ٥ ؛ النجوم الزاهرة حـ٩ ص ٧٦) .

(٣) أى ثلاث مجموعات من الإبل . وقَطَرَ الإبل قَطْراً أو قطَّرها قرَّب بعضها إلى بعض على نسق ، وجاءت الإبل قطاراً أى مقطورة (القاموس المحيط) .

(٤) ، (٥) ، (٦) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

إماماً للصلوات الخمس ، وخطيباً وقراء يتناوبون(١) القراءة ، وأرباب وظائف من المؤذنين والفراشين ؛ وجاء الجامع المذكور فى غاية الحسن ، إلا أن سقوفه واطئة قليـلا .

ثم فى يوم السبت ثالث جمادى الأولى ، ركب السلطان من قلعة الجبل إلى الصيد ، بعد ما شق القاهرة ، وخرج من باب القنطرة ؛ وهذه أول ركبة ركبها للصيد فى هذه السنة ، وتداول ذلك منه فى هذا الشهر غير مرة .

وفيه قدم الأمير تِمْراز المؤيَّدى نائب غزة والسلطان يتصيد ، وعاد السلطان فى خامسه وشق القاهرة حتى خرج من باب زَوِيلة ومضى إلى القلعة ، ثم أصبح من الغد أمسك تِمْراز المؤيدى المذكور وقيّده وأرسله إلى سجن الإسكندرية فسجن بها ، وذلك لســـوء(٢) سيرته ولـكمين كان عنده من(٣) [الملك](٤) الأشرف ، فإن تمراز هذا كان ممن ركب مع الأمير تَـنْبَك البَجَاسى نائب الشام ، ثم اختفى وظهر وأنعم عليه السلطان بإقطاع بدمشق ، ثم نقله إلى إمرة مائة بعد سَفرة آمِد لشجاعة ظهرت منه فى قتال القَرَايُلُـكية ، ثم نقـله إلى نيابة صَفَد فلم تُحمد سـيرته فعزله وولاه نيابة غَزة ، فشُكى منه أيضاً ورُمى بعظائم فطلبه وأمسكه ثم قتله بعد مدة . فـكان ماعاشه من يوم واقعة البَجَاسى ليوم تاريخه فائدة .

ولمـا أن مسك السلطانُ تمرازَ استدعى الأميرَ جَرِبَاش الـكريمى قاشق من ثغر دمياط ليوليه نيابة غزة ، فقدم(٥) جَرِباش وامتنع عن نيابة غزة(٦) فرسم له بالعود إلى الثغر بطالا كما كان أولا . ثم فى سابع عشره خلع السلطان على [الأمير](٧)

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (يتنوبون) ، والمثبت عن أ .
(٢) فى أ (لسو) .
(٣) المثبت عن أ ، وفى طبعة كاليفورنيا (ولكمين كان منه عن ...)
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ، (٦) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

آقْ بَرْدى(١) السيفى قَجْمَاس أحد أمراء العشرات باستقراره فى نيابة غزة عوضاً عن تمراز المذكور ، بمال بذله فى ذلك .

وقدم الخبر على السلطان بموت جانِبك الصوفى ، واختلفت الأقاويل فى أمره إلى أن كان يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى من سنة إحدى وأربعين المذكورة ، قدم(٢) مملوكُ(٣) تَغْرِى بَرْمَش نائب حلب إلى القاهرة برأس الأمير جانبك الصوفى ، فدُقت البشائر لذلك وسرَّ السلطانُ غاية السرور بموته ولهجت الناس أن السلطان تم سعده ، [وقد قيل](٤) : [المتقارب]

إذا تَمَّ أمرٌ بَــــدا نَقْصُهُ

تَوَقَّ زوالاً إذا قِيــــل تَمّ

[٣٢] فأمر السلطان بالرأس فطيف(٥) بها على رمح بشوارع القاهرة ، والمَشَاعِلِيّ(٦) ينادى عليها : « هذا جزاء(٧) من يخالف على الملوك ويخرج عن الطاعة ! » ، ثم ألقيت فى قناة سراب .

وكان من خبر موت جانبك [الصوفى](٨) المذكور أنه لما كُبس عليه وعلى ابن دُلْغادِر نائب دوركى ، فى محرم هذه السنة كما تقدم ، وانكسر هو وابن دلغادر ، فمتته(٩) ابن دُلغادر وافترقا من يومئذ ، فسار ابن دلغادر على وجهه يريد بلاد الروم وقد تشتت شمله ، وقصد جانبك الصوفى أولادَ قَرَايُلُك : محمداً

(١) تكتب آق بردى أحيانا كلمة واحدة : أقبردى .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (فقدم) .
(٣) كلمة (مملوك) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى أ (فطيفت) .
(٦) المشاعلى هو المكلف بأعمال الإضاءة ، واستُعمل هذا المصطلح فى عصر المماليك كذلك ليدل على الجلاَّد المنوط به تنفيذ حكم الإعدام فى المحكوم عليه (انظر السلوك جـ١ ص ٥٢٥ حاشية ٢ ؛ بدائع الزهور جـ٣ ص ١٠٤-١٠٥) .
(٧) فى أ (جرا) .
(٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى أ (فمعته) .

ومحمودًا[١] ، وقدم عليهما فأكرماه وأنزلاه عندهما . فأخذ تَغْرِى بَرْمَش نائب حلب يُدَبِّر عليه بكل ما تصل القدرة إليه ، ولا زال حتى استمالها ، أعنى[٢] محمداً ومحموداً ابنى قَرَايُلُك ، ووعدهما بجملة مال إن قبضا على جانبك المذكور[٣] ، يحمل إليهما خمسة آلاف دينار ، فمالا إليه ووعداه أن يقبضا على جانبك المذكور[٤] ، فعلم[٥] جانبك بالخبر فشاور أصحابه فى ذلك فأشاروا عليه بالفرار إلى جهة من الجهات ، فبادر جانبك وخرج من عندهما ومعه عشرون فارساً من أصحابه لينجو بنفسه . وبلغ ذلك القَرَايُلُكية فركبوا وأدركوه فقاتلهم فأصابه سهم سقط منه عن فرسه ، فأخذوه وسجنوه عندهم وذلك فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، فمات من الغد فقُطِع رأسه وحمل إلى السلطان ، فهذا القول هو المشهور .

وقيل إن جانبك الصوفى مات بالطاعون عند أولاد قَرَايُلُك بعد أن أوعدهما تغرى برمش بالمال المقدم ذكره ، ولم يقبلا منه ذلك واستمرا على إكرامه . فلما مات جانبك الصوفى بالطاعون أخفيا ذلك وقطعا رأسه وبعثا به[٦] إلى تَغْرِى بَرْمَش . قلت : والقول الأول هو المتداول بين الناس . ويأتى بقية ذكر جانبك الصوفى فى الوفيات [من هذا الكتاب][٧] فى محله [إن شاء الله تعالى][٨] .

قال المقريزى ، بعد أن ساق نحو ما حكيناه بالمعنى ، واللفظ مخالف : وحُملت إليه الرأس — يعنى عن [الملك][٩] الأشرف — فكاد يطير فرحاً وظن أنه قد أمن ، فأجرى الله على الألسنة أنه قد انقضت[١٠] أيامه وزالت دولته فكان كذلك هذا ، وقد قابل نِعم[١١] الله عليه فى كفاية عدوه بأن تزايد عتوه وكثر ظلمه

---

(١) فى أ (محمد ومحمود) .
(٢) فى أ (يعنى) ، والمعنى واحد .
(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى أ (ففطن) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ؛ ولا فرق يذكر .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (بها) .
(٧) ، (٨) ، (٩) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(١٠) فى طبعة كاليفورنيا (تنقضّى) ، والمعنى واحد .
(١١) المثبت عن طبعة كاليفورنيا ، وفى أ (نعمة) بالمفرد ، والأنسب صيغة الجمع .

وساءت[1] سيرته فأخذه الله أخذاً وبيلاً، وعاجله بنقمته فلم يُهَنَّهْ — انتهى كلام المقريزى .

قلت : وما عسى الملكُ الأشرفُ كان يظلم فى تلك المدة القصيرة ؟ فإن خبر جانبك الصوفى ورد عليه فى سابع عشر جمادى الأولى[2] وابتدأ بالسلطان مرضُ موته من أوائل شعبان ، ولزم الفراش من اليوم المذكور ، وهو ينصل ثم ينتكس إلى أن مات فى ذى الحجة . غير أن الشيخ تقى الدين المقريزى رحمه الله كان له انحرافات[3] معروفة عنه وهو معذور فى ذلك ، فإنه أحد من أدركنا من أرباب الكمالات فى فنه ومؤرخ زمانه ، لا يدانيه فى ذلك أحد ، مع معرفتى بمن عاصره من مؤرخى العلماء ؛ ومع هذا كله كان مَبْعُوداً فى الدولة ، لا يُدْنيه السلطان مع حسن محاضرته وحلو منادمته . على أن [الملك][4] الظاهر برقوق كان قرّبه ونادمه وولاه حسبة القاهرة فى أواخر دولته ، ومات [الملك][5] الظاهر فلم يَمْش حالُه على من جاء بعده من الملوك وأبعدوه من غير إحسان ؛ فأخذ هو أيضاً فى ضبط مساوئهم وقبائحهم ، فمن أساء لا يستوحش . على أنه كان ثقة فى نفسه ديّناً خيّراً ؛ وقد قيل لبعض الشعراء : إلى متى تمدح وتهجو ؟ فقال : ما دام المحسن يحسن والمسىء يسىء — انتهى .

ثم فى يوم الجمعة ثامن جمادى الآخرة ورد الخبر على السلطان بأن إسكندر بن قَرَا يوسف ، نزل قريباً من مدينة تِبْريز ، فبرز إليه أخوه جهان شاه بن قرا يوسف المقيم بها من قِبَل شاه رُخْ بن تَيْمُورلنك ، فكانت بينهما وقعة هائلة انهزم فيها إسكندر إلى قلعة ألِنْجا من عمل تِبْرِيز فنازله[6] جهان شاه إلى أن حصره بها أياماً ، وأن الأمير حمزة بن قَرَايُلُك متملّك ماردين وأرْزَن أخرج أخاه على بك من مدينة آمِد وملكها منه ، فقلق السلطان من هذين الخبرين وعزم على أن يسافر بنفسه إلى البلاد

(١) فى أ (سات) .
(٢) فى أ (الأول) .
(٣) فى أ (انحرافات) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، لأنه الأشهر فى التعبير فى عصر المماليك .
(٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (فنازلها) ، والمثبت عن أ .

الشامية ، وكتب [٢٣] بتجهيز الإقامات بالشام ، ثم أبطل ذلك بعد أيام . ورسم فى يوم السبت سابع شهر رجب بخروج تجريدة من الأمراء إلى البلاد الشامية ، وعيّن ثمانية نفر من الأمراء مقدمى الألوف : وهم قَرْقَمَاس أمير سلاح ، وأَقْبُغَا التَّمْرازى أمير مجلس ، وأزْكَمَاس الظاهرى الدوادار الكبير ، وتمِرْاز القُرْمُشى رأس نوبة النوب ، ويَشْبَك السُّودونى حاجب الحجاب ، وجانِم الأشرفى الأمير آخور الكبير ، وخُجاَ سُودون وقَرَاجا الأشرفى .

ثم فى يوم الاثنين تاسع شهر رجب نودى بأن أحداً[1] من العبيد لا يحمل سلاحاً ولا يمشى بعد المغرب ، وأن المماليك السلطانية لا يتعرض لأحد من العبيد ، وكان سبب هذه المناداة أنه لما أدير المحمل فى يوم الخميس خامس [شهر][2] رجب المذكور ، فلما كان أول ليلة من الزينة نزل جماعة كبيرة من[3] المماليك الأشرفية الذين بالأطباق من قلعة الجبل وأخذوا فى نهب الناس وخطف النساء[4] والصبيان ، فاجتمع عدد كبير من العبيد السود وقاتلوا المماليكَ الأجلاب ، فقُتل من العبيد خمسةُ نفر وجُرح عدة من المماليك ، وخطفت العمائم وأخذت الأمتعة ، ثم أخذت المماليكُ تتتبع العبيد فقتلوا منهم جماعة ، وقد كَفت[5] العبيدُ أيديهم عن قتالهم خوفاً من السلطنة ، واختفى كثير من العبيد وقلّ مَشْىُ المماليك فى الليل إلى أن نودى لهم بهذه المناداة ، فسكن[6] الشر ومشى كُلٌّ من الطائفتين على حاله الأول ؛ ثم رسم السلطان بمنع المماليك من النزول من الأطباق إلى القاهرة إلا لضرورة .

ثم فى عاشر [شهر][7] رجب أنفق السلطان على الأمراء المجرَّدين لكل أمير ألفى دينار أشرَفية .

---

(١) فى أ (أحد) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى أ (كف) ، ولا فرق يذكر .
(٦) فى أ (وسكن) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم فى يوم الأربعاء ثامن عشره ركب السلطان من قلعـــة الجبـل ، ونزل إلى خليج الزَّعْفَران فنزل به وأكل السماط ، ثم ركب فى يومه وعاد إلى القلعة ، فأصبح من الغد متوعكَ البدنِ ساقطَ الشهوة للغذاء ، ولزم الفراش ، وهذا أوائل مرضه الذى مات منه ؛ غير أنه تعـافى بعض أيام ، ثم مرض ثم تعافى حسبما يأتى ذكره .

وورد الخبر فيه بوقوع الوباء فى بلاد الصعيد ؛ واستُهلّ شعبانُ يوم الاثنين والسلطانُ مريض ، فأخرج فيه مالا وفرّقه على الفقراء والمساكين . فلما كان يوم الثلاثاء تاسعه[1] تعافى السلطان وخلع على الأطباء لعافيته ، وركب من الغد ونزل من القلعة إلى القرافة وتصدّق على أهل القرافتين ، وعاد وهو غير صحيح البـــدن . ثم فى يوم السبت ثالث عشر شعبان المذكور ، نزل السلطان من القلعة إلى خارج القاهرة ، وعاد ودخل من باب النصر ، ثم نزل بالجامع الحاكمى ، وقد قيل له إنّ بالجامع المذكور دعامة قد ملئت ذهبًا ، ملأها الحاكم بأمر الله لمعنى أنه إذا خَرِب يُعَمَّر بما فى تلك الدعامة ، فلما بلغ [الملكَ][2] الأشرف ذلك شرهت نفسه لأخذ المال [المذكور][3] ، فقيل له إنك تحتاج إلى هدم جميع الدعائم التى بالجامع المذكور حتى تظفر بتلك الدعامة المذكورة ، ثم لا بد لك من عمارتها ، ويُصْرَفْ على عمارتها[4] جمـــلة كثيرة لاتدخل تحت حصر ، فقال السلطان ما معناه إن الذى نأخذه من الدعامة يُصرف على عمارة ما نهدمه ، ولا ينوبنا غير تعب السر ؛ وركب فرسه وعاد إلى القلعة .

ثم فى يوم الخميس خامس عشرين شعبان [المذكور][5] برز الأمير قَرْقَمَاس أمير سلاح ، [وقد][6] صار مقدمَ العساكر ، وصُحبتُهُ من تقدم ذكره من الأمراء ، إلى الريدانية [خارج القاهرة][7] من غير أن يرافقهم فى هذه التجريدة أحد من المماليك السلطانية ، فأقاموا

(١) فى أ (سابعه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الحديث (راجع أول الفقرة) .

(٢) ، (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى أ (ويصرف على ذلك) ، والمثبت أوضح وهو عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) ، (٦) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

بالريدانية إلى أن سافروا منها فى يوم السبت سابع عشرين شعبان ، وهذه التجريدة آخرُ تجريدة جرّدها الملك الأشرف من الأمراء ، وكتب السلطان إلى الأمير إينال الجَكَمى نائب الشام وغيره من النواب أن يسافروا صُحبةَ الأمراء المذكورين[1] إلى حلب ، ويستدعوا [٣٤] حمزة بك بن قَرَايُلُك إلى عندهم ، فإن قدم عليهم خلع عليه بنيابة السلطنة فيما يليه من أعمال ديار بكر ، وإن لم يقدم عليهم مشوا عليه بأجمعهم وقاتلوه حتى أخذوه ، قلت[2]: [الطويل]

أيَا دارَها بالْخَيْفِ إنّ مزارَها قريبٌ ولكنْ بين ذلك أهْوالُ

ثم قدم الخبرُ على السلطان بأن محمد بن قرايلك توجَّه إلى أخيه حمزة بك المقدم ذكره ، باستدعائه ، وقد حقد عليه حمزةُ قتلَه للأمير جانبك الصوفى . فإن حمزة لما بلغه نزول جانبك الصوفى على أخويه محمد ومحمود وكتب فى الحال إلى أخيه محمد هذا بأن يبعث بالأمير جانبك الصوفى إليه مكرماً مبجلا ، أراد حمزة يأخذ جانبك إلى عنده ليخوف به الملك الأشرف ، فمال محمد إلى ما وعد به تَغْرى بَرْمَش نائبَ حلب وقتل جانبك الصوفى وبعث برأسه إليه ، فأسرَّها حمزةُ فى نفسه وما زال بعد أخاه المذكور ويمنّيه إلى أن قدم عليه ، وفى ظن محمد أن أخاه حمزة يولّيه بعضَ بلاده ، فما هو إلا أن صار فى قبضته قتَلَه فى الحال .

قلت : هذا شأن الباغى ، الجزاء من جنس عمله ، وذلك أنه مثل[3] ما فَعل بجانبك الصوفى فُعل به — انتهى .

ثم فى يوم الثلاثاء أول شهر رمضان ظهر الطاعون بالقاهرة وظواهرها ، وأول[4] مابدأ فى الأطفال والإماء[5] والعبيد والمماليك ، وكان الطاعون أيضا قد عمَّ البلاد الشامية بأسرها .

(١) المثبت عن طبعة كاليفورنيا ، وفى أ (الأمير المذكور) فى صيغة المفرد .
(٢) كلمة (قلت) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (كما) بدلا من مثل ، وما أثبت بالمتن عن طبعة كاليفورنيا ، ولا فرق يذكر .
(٤) فى أ (وأما) .
(٥) فى أ (والاما) .

ثم فى يوم الأربعاء ثالث عشرين [شهر](١) رمضان [المذكور](٢) خُتمت قراءةُ البخارى بين يدى السلطان بقلعة الجبل ، وقد حضر قضاةُ القضاة والعلماء والفقهاء على العادة ؛ هذا وقد تخوف السلطان من الوباء فسأل من حضر من الفقهاء عن الذنوب التى ترتكبها الناس ، هل يعاقبهم الله بالطاعون ؟ فقال له بعض الجماعة : إن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون ، وأن النســاء يتزيّنّ ويمشين فى الطرقات ليلا ونهاراً ؛ فأشار آخر أن المصلحةَ منعُ النساء من المشى فى الأسواق ، فنازعه آخر فقال : لا تُمنَع إلا المتبهرجات ، وأما العجائز ومَن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع مِن تعاطِى حاجتها . وتباحثوا فى ذلك بحثاً كبيراً ، إلى أن مال الســلطان إلى منعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقاً ، ظنًّا من السلطان أن بمنعهن(٣) يرتفع الطاعون . ثم خلع السلطان على من له عادة بلبس الخلعة(٤) عند خَتْم البخارى(٥) .

ثم أمرهم باجتماعهم عنده من الغد ، فاجتمعوا يوم الخميس واتفقوا على ما مال إليه السلطان ، فنودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما بمنع جميع النســاء بأسرهن من الخروج من بيوتهن ، وأن لا تمرّ امرأة فى شارع ولا فى سوق البتة ، وتُهدِّد من خرجت من بيتها بالقتل وأنواع البهدلة ، فامتنع جميع النساء من الخروج قاطبة ، [فمنعن](٦) فتياتهن وعجائزهن وإماءهن من الخروج إلى الطرقات . وأخذ والى القاهرة والحجّاب فى تتبع الطرقات وضرْب من وجدوا من النساء ، وتشددوا فى الردع والضرب والتهديد ، فامتنعن بأجمعهن ؛ فعند ذلك نزل بالأرامل أرباب الصنائع

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (بمنعهم) .
(٤) فى أ (الخلع) بصيغة الجمع ، والأنسب ما أثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) جرت عادة السلاطين المماليك على الاحتفال بختم البخارى ، إذ كان يجتمع بالقلعة طائفة من الفقهاء لقراءة كتاب البخاري ، ويختم بحفل كل ثلاثة شهور ، وفى هذا الحفل يخلع السلطان على القضاة ومشايخ العلم ، كما تفرق (الصُّرر) على الفقهاء (زبدة كشف الممالك ص ٩٠-٩٢) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

ومن(١) لايقوم عليها أحد لقضاء حاجتها ومن تطوف على الأبواب تسأل الناس(٢) من الضر والحاجة ، بأس شديد .

ثم فى يوم السبت سادس عشرينه أفرج السلطانُ عن جميع المسجونين حتى أرباب الجرائم ، وأغلقت السجون بالقاهرة ومصر ، وانتشرت السرّاقُ والمفسدون فى البلد ، وامتنع من له عند شخص حق أنه يطالبه .

قلت : كان حال الملك الأشرف فى هذه الحركة كقول القائل : [الخفيف]

رامَ نَفعًا فضَرَّ مِن غيرِ قصدٍ
ومِنَ البِرِّ ما يكونُ عقوقا

ثم فى سابع عشرينه عزم السلطانُ على أن يولى الحسبةَ لرجل ناهض ، فذُكر له جماعة فلم يرضَهم ، ثم قال : « عندى واحد ليس بمسلم(٣) ، ولا يخاف الله » ، وأمر فأُحضر إليه دُولات خُجَا الظاهرى [برقوق](٤) المعزول [٣٥] عن ولاية القاهرة قبل تاريخه غير مرة ، فخلع عليه باستقراره فى حسبة القاهرة عوضاً عن القاضى صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين بن نصر الله كاتب السر بحكم عزله ، وكان رغبة السلطان فى ولاية دُولات خُجا هذا بسبب النساء ، لما يعلم من شدته وقلة رحمته وجبروته .

وعندما خلع عليه حرّضه على عدم إخراج النسوة إلى الطرقات ؛ هذا بعد أن تكلم جماعة كبيرة من أرباب الدولة مع السلطان بسبب ما حل بالنسوة من الضرر لعدم خروجهن ، فأمر السلطان عند ذلك فنودى بخروج الإماء لشراء حوائج مواليهن(٥) من الأسواق وأن لا تنتقب واحدة منهن بل يكنّ سافرات عن وجوههن ، قصد بذلك حتى لا تتنكر إحداهن(٦) فى صفة الجوارى وتخرج إلى الأسواق ، وأن تخرج العجائز

(١) ، (٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (لمسلم) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن الضوء اللامع (ج٣ ص ٢٢١) والمنهل الصافى (ج٢ ورقة ١٩٣) .
(٥) فى أ (مولاهن) .
(٦) فى أ (أحد منهن) .

لقضاء أشغالهن ، وأن تخرج النساء إلى الحمامات ولا يقمن بها إلى الليل ، وصار دُولات خُجَا يشد على النسوة ، وعاقب منهن جماعة كبيرة حتى انكفّ الجميع عن الخروج البتة .

وأهلّ شوال يوم الخميس وقد حلّ بالناس من الأنكاد والضرر مالا يوصف من(١) تزايد الطاعون ، وتعطل كثير من البضائع المبتاعة على النسوة لامتناعهن من المشى فى الطرقات ، وأيضاً مما نزل بالنسوة من موت أولادهن وأقاربهن ، فصارت المرأة يموت ولدها فلا تستطيع أن ترى قبره خوفاً من الخروج إلى الطرقات ، ويموت أعز أقاربها من غير أن تزوره فى مرضه ، فشقّ ذلك عليهن إلى الغاية ، هذا مع تزايد الطاعون .

قلت : كل ذلك لعدم أهلية الحكام واستحسان الولاة على الخواطئ ، وإلا فالحرة معروفة ولو كانت فى الخمّارة ، والفاجرة معروفة ولو كانت فى البيت(٢) الحرام ، ولا يخفى ذلك على الذوق السليم ؛ غير أن هذا كله وأمثاله لولاية المناصب غير أهلها ، وأما الحاكم النحرير الحاذق الفطن إذا قام بأمر نهض به وتتبع الماء من مجاريه ، وأخذ ما هو بصدده حتى أزاله فى أسرع وقت وأهون حال ، ولا يحتاج ذلك إلى بعض ما الناس فيه ، وهو ذهاب الصالح بالطالح والبرىء مع(٣) الجرم ، وتحكم مثل هذا الجاهل فى المسلمين الذى هو من مقولة من [قال](٤) : [الطويل]

ولَوْ شا رَبُّكَ لَخَصَّهُمْ بثلاثةٍ قُرونٍ وأذْنابٍ وشَقّ حوافِرِ

---

(١) فى أ (حتى) ، والمثبت أنسب ، وهو عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى أ (المسجد) ، وفى طبعة كاليفورنيا (البيت) ، والمعنى واحد .

(٣) فى أ (من) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا ، ومكانها فراغ فى أ .

وما أحسن قول أبى الطيب المتنبى فى هذا المعنى : [الطويل]

ووضْعُ النّدى فى موضع السيف بالعُلا(١)

مُضِرٌّ كوضْعِ السيفِ فى موضِعِ النّدى

انتهى .

كل ذلك والسلطانُ شهوتُهُ ضعيفة عن الأكل ، ولونه مصفر ، وآثار المرض تلوح على وجهه ، غير أنه يتجلد [كقول القائل](٢) : [الكامل]

وتَجَلُّدِى للشامتين أُرِيهِمُ أَنّى لريْبِ الدّهر لا أَتَضَعْضَعُ

ثم فى هذا اليوم خلع السلطان على الأمير أَسَنْبَغَا [بن عبد الله الناصرى](٣) الطَّيّارى(٤) باستقراره حاجباً ثانياً ، عوضاً عن الأمير جانِبك [السيفى يَلْبَغَا](٥) الناصرى المعروف بالثور ، بحكم وفاته بمكة المشرَّفة [فى](٦) حادى عشر شعبان .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس شـــوال المذكور ، خلع السلطان على قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر ، وأعيد إلى القضاء بعد عزل القاضى علم الدين صالح البُلْقِينى ، بعد أن ألزم أنه يقوم لعلم الدين صالح المذكور بما(٧) حمله إلى الخزانة الشريفة ، وقد بدا للسلطان أنه لا يولّى بعد ذلك أحداً من القضاة بمال ، مما داخله من الوهم بسبب عظم الطاعون وأيضاً لمرضٍ تمادى به(٨) .

وفيه ركب السلطان من قلعة الجبل ونزل إلى خليج الزعفران وأقام به يومَه فى مخيّمه يتنزه ، ثم ركب وعاد إلى القلعة فى آخر النهار بعد أن تصدّق على الفقراء بمال

(١) فى طبعة كاليفورنيا (العلى) .
(٢) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن المنهل الصافى .
(٤) الطيّارى نسبة إلى سيده الأمير سودون الطيّار (المنهل الصافى حـ١ ورقة ٢٢٢) .
(٥) ، (٦) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى أ (ما) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى طبعة كاليفورنيا (له) ، والمثبت عن أ .

كثير ، فتكاثرت الفقراء على متولى الصدقة وجذبوه حتى أرموه عن فرسه ، فغضب السلطانُ من ذلك وطلب سلطانَ الحرافيش[1] وشيخَ الطوائف وألزمهما بمنع الجُعَيْدِيَّة من السؤال فى الطرقات [٣٦] وألزمهم بالتكسّب ، وأن من يشحذ منهم قبض عليه وأخرج لعمل الحفير . فامتنعوا من الشحاذة ، وخلت الطرقات ، ولم يبق من السُّؤَّال إلا العميان والزَّمْنَى[2] وأرباب العاهات .

قلت : وكان هذا من أكبر المصالح ، وعُدّ ذلك من حُسن نظر الملك الأشرف فى أحوال الرعية ، فإن هؤلاء الجُعَيْدِيَّة غالبهم قوىّ سوىّ صاحب صنعة فى يده ، فيتركها ويشارك ذوى العاهات الذين[3] لا كسب لهم إلا السؤال ولولا ذلك لماتوا[4] جوعاً ، وأيضا أن غالبهم يجلس بالشوارع ويتمنىّ ، ثم يقسم على الناس بالأنبياء والصلحاء وهو يتضجر من قسوة قلوب الناس ويقول : لى مقدار كيت وكيت باقول فى حب رسول الله أعطونى هذا القدر[5] اليسير فلم يعطنى أحد . ويجتاز به وهو يقول : «ذلك اليهودى والنصرانى!» ، فيسمعون لمقالته[6] فى هذا المعنى . وهذا من المنكرات التى [لا][7] ترتضيها الحكام ، وكان من شأنهم أنهم إذا سمعوا هذا القول أخذوا القائل وأوجعوه بالضرب والحبس والمناداة على الفقراء بعدم التقسيم

(١) الحرافيش جمع حَرْفُوش وحَرَنْفَش كغضنفر ، وهو الجافى الغليظ المتهيىء للشر والسافل من الناس ، ومن معانيها : الفقراء والمتشردون والمتسولون وكذلك الجعيدية ، وكثيرا ما كان يقع هؤلاء فريسة الطواعين وأحداث الغلاء ، فمثلا فى غلاء سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م أمر السلطان بيبرس فى الدولة المملوكية الأولى ، بتوزيع الحرافيش على الأمراء وأخذ لنفسه ٥٠٠ حرفوش وأعطى السعيد ابنه ٥٠٠ ، وأعطى نائبه ٣٠٠ ووزع الباقى على الأمراء ، ورسم أن يعطى كل منهم فى اليوم رطلين خبز (انظر : دول الإسلام ص٢٨ ؛ بدائع الزهور جـ٢ ص١٠٣ ؛ القاموس المحيط ؛ DOZY, *Supplement aux Dictionnaires Arabes*)

(٢) فى ا (الزمنا) ، والزمنى هم أرباب العاهات والأمراض المزمنة .

(٣) فى ا (الذى) .

(٤) فى الأصل (لما تواجعوا جوعاً) ، ولعله خطأ من الناسخ .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (النزر) والمعنى واحد .

(٦) فى ا (فيسمعوا مقالته) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

فى سؤالهم[١] ، والتحجر عليهم بسبب ذلك فلم يلتفت أحد منهم إلى ذلك ، حتى ظهر للسلطان[٢] بعض ما هم عليه فى هذه المرة فمنعهم ، فما كان أحسن هذا لو دام واستمر — انتهى .

كل ذلك والسلطان يتشاغل بركوبه وتنزهه مما به من التوعك وهو لا يظهره . فلما كان يوم الأربعاء سابع شوال انتكس السلطان ولزم الفراش ، كل ذلك ودُولات خُجَا محتسبُ القاهرة يتتبع النسوة ويردعهن بالعذاب والنكال ، حتى أنه ظفر مرة بامرأة وأراد أن يضربها فذهب[٣] عقلها من الخوف وتلفتْ وحُملتْ إلى بيتها مجنونة ، وتم بها ذلك أشهرا ؛ وامرأة أخرى أرادت أن تخرج خلف جنازة ولدها فمنعت من ذلك فأرمت بنفسها من أعلى الدار فماتت .

ثم فى يوم الجمعة تاسع شوال اتفق حادثة غريبة ، وهو أن العامة لهجت بأن الناس يموتون يوم الجمعة بأجمعهم قاطبة وتقوم القيامة ، فتخوَّف غالب العامة من ذلك . فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة المذكور حضر الناس إلى الصلاة ، وركبت أنا أيضا إلى جامع الأزهر ، والناس تزدحم على الحمامات ليموتوا على طهارة كاملة ؛ فوصلتُ إلى الجامع وجلست به ، وأذّن المؤذنون ، ثم خرج الخطيب على العادة ورقى[٤] المنبر ، وخطب وأسمع الناس إلى أن فرغ من الخطبة الأولى ، وجلس للاستراحة بين الخطبتين فطال جلوسه ساعة كبيرة ، فتقلّق[٥] الناس إلى أن قام وبدأ فى الخطبة الثانية ، وقبل أن يتم كلامه قعد ثانيا واستند إلى جانب المنبر ساعة طويلة كالمغشى عليه ، فاضطرب الناس لما سبق من أن [الناس تموت][٦] فى يوم الجمعة بأجمعهم ،

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (السؤال) ، والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر . ولعل المؤلف يقصد بعبارته هذه (نهىَ الفقراء عن القَسْم على الناس عند سؤالهم ، والحجر على من يفعل ذلك منهم) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (إلى السلطان) .

(٣) فى ا (ذهب) .

(٤) فى ا (ورقا) .

(٥) فى ا (فتلق) .

(٦) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .

وظنوا صدق المقالة وأن الموت أول ما بدأ بالخطيب . وبينما الناس فى ذلك قال رجل : «الخطيب مات! » ، فارتج [الجامع](١) وضج الناس(٢) وتباكوا ، وقاموا إلى المنبر وكثر الزحام على الخطيب ، حتى أفاق وقام على قدميه ونزل عن(٣) المنبر ودخل إلى المحراب ، وصلى من غير أن يجهر بالقراءة ، وأوجز فى صلاته حتى أتم الركعتين . وقدمت عدة جنائز فصلى عليها(٤) الناس ، وأمهم بعضهم . وبينما الناس فى الصلاة على الموتى إذا الغوغاء(٥) صاحت بأن الجمعة ما صحت ،والخطيبُ صلى بعد أن انتقض وضوؤه(٦) لما غُشى عليه ؛ وتقدم رجل من الناس وأقام وصلى الظهر أربعا . وبعد فراغ هذا الذى صلى أربعًا قام جماعة أخر وأمروا فأذّن المؤذنون بين يدى المنبر ، وطلع رجل إلى المنبر وخطب خطبتين على العادة ونزل ليصلى ، فمنعوه من التقدم إلى المحراب وأتوا بإمام الخمس فقدّموه حتى صلى بهم جمعة ثانية . فلما انقضت صلاتُه بالناس قام آخرون وصاحوا بأن هذه الجمعة الثانية لم تصح ، وأقاموا الصلاة وصلى بهم رجل آخر الظهر أربع ركعات ، فكان فى هذا اليوم بجامع الأزهر إقامة الخطبة مرتين وصلاة الظهر مرتين ، فقمتُ أنا فى الحال وإذا بالناس تطيّر على السلطان بزواله من أجل إقامة خطبتين فى موضع [٣٧] واحد [فى يوم واحد](٧) .

هذا ومرض السلطان فى زيادة ونمو ، وكلما ترجّح قليلا خلع على الأطباء ودقّت البشائر ، إلى أن عجز عن القيام فى(٨) العشر الثانى من شوال ، هذا وقد كثر الموت بالمماليك السلطانية ثم بالدور السلطانية ؛(٩) ومات عدة من أولاد السلطان والحرم

(١) و (٢) فى ا (فارتج الناس وضجوا) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (من) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (عليه) .
(٥) فى ا (والغوغا) .
(٦) فى ا (وضوه) .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى طبعة كاليفورنيا (من) ، والمثبت عن ا .
(٩) فى ا (السلطانى) .

والجوارى ، وخرج الحاجُّ فى يوم الاثنين تاسع عشره صُحبةَ أمير الحاج آقبُغَا من مامِش[١] الناصرى المعروف بالتركمانى[٢] ، ونزل إلى بِركة الحاج ، فمات به عدة كبيرة من الحجاج منهم ابن أميرِ الحاج وابنته فى الغد . وبعده[٣] فى يوم الأربعاء حادى عشرينه ، ضُبط عدة من صُلّى عليه من الأموات بالمصليات فزادت عدّتهم على ألف إنسان .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشرينه خلع السلطان على الأطباء لعافيته وفرح الناس ، وبينما هم فى ذلك إذْ وسَّط السلطانُ طبيبَيْه فى يوم السبت رابع عشرينه ، وهما اللذان[٤] خلع عليهما بالأمس . وكان من خبر الأطباء أنه لما خلع السلطان عليهما بالأمس ، وأصبح السلطان من الغد فرأى حاله فى إدبار ، وكان قد قلق من طول مرضه ، فشكا ما به لرئيس الأطباء العفيف الأسلمى فأمر له بشىء يشربه ، فشربه السلطان فلم يوافق مزاجه وتقيأه لضعف معدته . وكان خَضِر الحكيم كثيراً ما يَتَحَشَّر[٥] عند رؤساء الدولة ، حتى صار يداخل السلطانَ فى أيام مرضه اقتحاماً على الرئاسة ، واستمر يلاطف السلطان مع العفيف . وأصبح العفيف طَلَع إلى القلعة ، ودخل على عادته ، وإذا بالسلطان[٦] قد امتلأ عليه غضبًا ، وقد ظن فى نفسه أن الحكماء مقصرون فى علاجه ومداواته ، وأنهم أخطأوا فى التدبير والملاطفة ، فحال ما وقع بصره على العفيف سبّه ونهره . وكان فى المجلس القاضى صلاح الدين بن نصر الله كاتب السر ، والصفوى جوهر الخازندار وعدة أخر من الأمراء الخاصكية ، ثم قال له السلطان : « إيش هذا الذى أسْقَيْتَنِى البارحة ؟ » . فقال العفيف : « هو[٧] كيت وكيت يا مولانا

(١) فى ا (ماس) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (التركمان) ، والمثبت عن ا .

(٣) فى ا (ثم) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (اللذى) .

(٥) فى الأصل (يتحشر) ، ولعل المقصود بهذا التعبير أن خضرا الحكيم كان كثير التردد على رجال الدولة تملقا وزلفى .

(٦) فى ا (وأما السلطان) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) المثبت عن طبعة كاليفورنيا وفى ا (ما هو) .

السلطان ، واطلب الأطباء واسألهم هل هو موافق أم لا » ، فلم يلتفت السلطان إلى كلامه وطلب عمر بن سيفا والى القاهرة وأمره بتوسيطه ، فأخذه وخرج وتماهل فى أمره حتى تأتيه الشفاعة . وبينما العفيفُ فى ذلك إذ طلع(١) خَضِر الحكيم وهو مسرع ، كونَ العفيف قد سبقه إلى مجلس السلطان ، فكلمه العفيف فى أن السلطان إذا سأله عما وصفه له العفيف فى أمسه لا يعترض عليه ، ليسكن بذلك غضب السلطان(٢) . فحالَ ما دخل خضر(٣) المذكور على السلطان أمر بتوسيطه أيضاً ، فأخذ من بين يدى السلطان أخذاً مزعجاً وأضيف إلى العفيف ، وهو يظن أن ذلك من حنق السلطان ، وليس الأمر على حقيقته . وتربّص الوالى فى أمرهما(٤) ، فأرسل السلطانُ من استحثه فى توسيطهما ، هذا بعد أن وقف ندماء السلطان إلى الأشرف(٥) وقبّلوا له الأرض غير مرة ، وقبّلوا يده مراراً عديدة بسببهما والشفاعة فيهما وسألوه أن يعاقبهما(٦) [بالضرب](٧) ، فأبى(٨) إلا توسيطهما . وأخذ السلطان يستحث الوالى برسول بعد رسول من الخاصكية ، والوالى يتنقل بهما(٩) من مكان إلى آخر تسويفاً ، إلى أن أتى بهما(١٠) إلى الحدرة عند باب الساقية من قلعة الجبل . وبينما عمر(١١) فى ذلك أتاه رجل من قبل السلطان ، وقال له : « أمرنى السلطانُ أن أحضر توسيطَهما أو تحضر تجيب السلطانَ بما تختاره من الجواب عن ذلك » ؛ فلم يجد عمر بدًّا من أن أخذ العفيف

(١) فى طبعة كاليفورنيا (انطلع) .

(٢) المثبت عن طبعة كاليفورنيا وفى ا عبارة مضطربة غير واضحة : (لكونه سلن بذلك غضب السلطان)

(٣) كلمة (خضر) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (أمرهم) .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (السلطان) .

(٦) فى ا (يعاقبوها) .

(٧) من طبعة كاليفورنيا .

(٨) فى ا (فأبا) .

(٩) ، (١٠) فى ا (بهم) .

(١١) فى طبعة كاليفورنيا (وبينما هم) ، والمثبت من ا .

أولا وحمله ، فاستسلم ولم يتحرك حتى وُسِّط . فلما رأى[١] خضر ذلك طار عقله وصاح وهو يقول : « عمر ! الحكيم اتوسَّط !(٢) عندى للسلطان ثلاثة آلاف دينار ويدعنى أعيش » ، فلم يلتفت الوالى إلى كلامه وأمر به فأخذ ؛ فدافع عن نفسه بكل ما تصل قدرته إليه وخاف خوفا شديداً ، فتكاثروا عليه أعوان الوالى حتى حملوه وهو يتمرَّغ[٣] ، فوُسِّط توسيطا معذبا لتَلَوِّيه واضطرابه ؛ [٤] ثم حملا إلى أهليهما . فعند ذلك تحقق الناس عظم ما بالسلطان من المرض وشنعت القالة فيه ؛ ومن يومئذ تزايد مرض [٣٨] السلطان وصارت الأطباء متخوفة من معالجته ، ولا يصفون[٥] له شيئا حتى يكون ذلك بمشورة جماعة من الأطباء ، واستعفى أكثرهم ، وحُمل الرسائل على عدم الطلوع لملاطفته[٦] .

واستمر السلطان ومرضه يتزايد ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة ، جمع السلطان الخليفةَ والقضاة الأربعة[٧] والأمراء وأعيان الدولة ، وعهد بالسلطنة إلى ولده المقام الجمالى يوسف ، وكتب العهدَ القاضى شرفُ الدين أبو بكر نائب كاتب السر ، لمرض كاتبِ السر القاضى صلاح الدين بن نصر الله بالطاعون . وجلس السلطان بالمقعد الذى أنشأه على باب الدَّهِيشة[٨] المطل على الحوش السلطانى ، وقد أُخرج إليه

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (فلما حضر) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (عمر حكم توسط) ، والمثبت عن ا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (يتمزغ) ؛ ويتمرغ لغويا بمعنى يتقلب ويتلوى من وجع يجده (القاموس المحيط) .

(٤) راجع عقد الجمان حـ ٢٢ ق ؛ ورقة ٦٨٦ .

(٥) فى ا (يصفوا) .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (لملاطفة السلطان) ، والمعنى واحد .

(٧) فى ا (الأربع) .

(٨) باب الدهيشة نسبة إلى القاعة المعروفة بهذا الاسم فى قلعة الجبل ؛ وهى التى بناها السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤ م ، وسميت بالدهيشة لأنها تدهش كل من نظر إليها لفخامة بنائها وحسن زخرفها وجمال فرشها ، وسبب بنائها كما يقول المقريزى ، أن السلطان بلغه وأن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه ، عمَّر بحماه دهيشة لم يُبن مثلها ، فقصد مضاهاته ، (انظر الخطط حـ ٢ ص ٢١٢ ؛ وراجع النجوم الزاهرة حـ ١٠ ص ٨٩ حاشية ٤) .

محمولا من شدة مرضه وضعف قوته ، ووقف بين يديه الأميرُ خُشْقَدَم اليَشْبَكى مُقدم المماليك السلطانية بالحوش ، ومعه غالب المماليك السلطانية : الجِلْبان والقَرانيص، وجلس بجانب السلطانِ الخليفةُ المعتضدُ بالله أبو الفتح داوُد ، والقضاة والأمير الكبير جَقْمَق العلائى ، ومن تأخر عن التجريدة من الأمراء بالديار المصرية .

وقام عبدُ الباسط ، لغيبة كاتب السر صلاح الدين بن نصر الله وشدة مرضه بالطاعون، وابتدأ بالكلام[(١)] فى عهدِ السلطانِ بالمُلك من بعده لابنه المقام الجمالى يوسف،وقد حضر أيضا يوسف المذكور[(٢)] مع أبيه فى المجلس ، فاستحسن الخليفة هذا الرأى وشكر السلطانَ على فِعله لذلك ، فقام فى الحال القاضى شرفُ الدين أبو بكر [سبط][(٣)] ابن العجمى نائب كاتب السر بالعهد إلى بين يدى السلطان . وأشهد السلطانُ على نفسه ، أنه عهد بالمُلك إلى ولده يوسف من بعده ، وأمضى الخليفةُ العهدَ ، وشهد بذلك القضاةُ ، وجعل الأميرَ الكبيرَ جَقْمَق العلائى هو القائم بتدبير أمر مملكة المقام الجمالى يوسف ، وأشْهَد السلطانُ على نفسه بذلك أيضاً فى العهد . ثم التفت السلطانُ إلى جهة الحوش، وكلم الأميرَ خُشْقَدَم مقدمَ المماليك — وقصد يُسمع ذلك القول للمماليك السلطانية الجِلْبان — بكلام طويل ، محصوله يعتب عليهم[(٤)] فيما كانوا يفعلونه فى أيامه وأنه كان تغير عليهم ودعا عليهم ، فأرسل الله [تعالى][(٥)] عليهم الطاعون فى سنتى ثلاث وثلاثين ثم إحدى وأربعين فمات منهم جماعة كبيرة ، والآن قد عفا[(٦)] عنهم . ثم أوصاهم بوصايا كثيرة ، منها أن يكونوا فى طاعة ولده ، وأن لا يغيروا على أحد من الأمراء ، وأن لا يختلفوا فيدخل فيهم الأجانب فيهلكوا ، وأشياء من ذلك كثيرة سمعتُها من لفظه لكن لم أحفظ

---

(١) فى ا (الكلام) دون استخدام حرف الجر ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (عليه) ، والمثبت عن ا .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (عفى) .

أكثرها لطول الكلام .

ثم(١) أخذ يعرّف الجميع(٢) : القرانيص والجلْبان ، أنه يموت وأنه كان عندهم ضيفا وقد أخذ فى الرحيل عنهم ؛ وبكى فأبكى الناسَ وعظم الضجيج من البكاء ، ثم أمر لهم بنفقة لجميع المماليك السلطانية قاطبة ، لكل واحد ثلاثين دينارا ، فقبل الجميع الأرض وضجوا له بالدعاء بعافيته وتأييده ؛ كل ذلك وهو يبكى وعقله صحيح وتدبيره جيد . وفى الحال جلس كاتبُ المماليك واستدعى اسمَ واحدٍ واحدٍ ، وقد صُرّت النفقةُ المذكورة ، حتى أخذوا الجميع النفقة ، فحسُن ذلك ببال جميع الناس ، وكانت جملة النفقة مائة وعشرين(٣) ألف دينار ؛ وانفضّ المجلس ، وحُمل السلطان وأعيد إلى مكانه .

ثم فى يوم الجمعة سابع ذى القعدة خلع السلطان على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله باستقراره فى كتابة السر بعد موت [ولده](٤) صلاح الدين محمد بن حسن بن نصر الله بالطاعون ، وخلع أيضا فى اليوم المذكور علَى نور الدين علىّ السُّوَيفِىِّ إمام السلطان باستقراره محتسب القاهرة بعد موت دُولات خُجَا بالطاعون ، وفرح الناس بموته كثيراً .

وتزايد الطاعون فى هذه الأيام بالديار المصرية وظواهرها حتى بلغ [عدة](٥) من صُلى عليه بمصلاة باب(٦) النصر فقط فى يوم واحد أربعمائة ميت ، وهى من جملة إحدى عشرة مصلاة بالقاهرة وظواهرها .

وأما الأمراء المجرَّدون إلى البلاد الشامية ، فإنهم كانوا فى هذا الشهر رحلوا من أبُلُسْتَين وتوجهوا إلى آق شهر(٧) ، حتى نزلوا عليها وحصروها وليس لهم علم بما السلطانُ فيه .

---

(١) ، (٢) هذه العبارة الواقعة بين هذين الرقمين ، بعض الاضطراب . فقد وردت فى ا (ثم أخذ الجميع يعرفهم القرانيص ...) ، واثبتت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (عشرون) .

(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) كلمة (باب) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٧) راجع الحاشية رقم ٩ ص ٨٢ من هذا الجزء .

ثم اشتد مرض السلطان فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ذى القعدة واحتجب عن الناس ، ومُنع الناس قاطبةً من الدخول عليه ، سوى الأمير إينال الأبوبكرى [٣٩] الأشرفى شادّ الشراب خاناه ، وعلى باى الأشرفى الخازندار ، وجوهر اللالاَ الزِّمام ؛ وصار إذا طلع مباشرو الدولة إلى الخدمة السلطانية على العادة يعرّفهم هؤلاء بحال السلطان ، وليس أحد من أكابر الأمراء يطلع إلى القلعة ، لمعرفتهم بما السلطانُ فيه من شدة المرض، وأيضاً لكثرة الكلام فى المملكة . وقد صارت المماليك طوائف ، وتركوا التّسيير إلى خارج القاهرة وجعلوا دأبهم التسييرَ بسوق الخيل تحت القلعة[١] والكلام فى أمر السلطان . وبطلت العلامةُ[٢] ، وتوقف أحوال الناس لاختلاط عقل السلطان من غلبة المرض عليه ، وخيفت السبل ونقل الناس[٣] أقمشتهم من بيوتهم إلى الحواصل مخافة من وقوع فتنة . وأخذ الطاعون يتناقص فى[٤] هذه الأيام وهو أوائل ذى الحجة ، ومرض السلطان يتزايد . وكان ابتداء مرض السلطان ضعف الشهوة للأكل ، فتولد له من ذلك أمراض كثيرة آخرها نوع من أنواع الملنخوليا ، وكثر هذيانه وتخليطه فى الكلام ، ولازمه الأرق والسهر مع ضعف قوته .

هذا مع أن المماليك فى هذه الأيام صاروا طائفة وطائفة: فطائفة منهم يريدون أن يكون الأمير الكبير جَقْمَق العلائى هو مدبر المملكة كما أوصاه الملك الأشرف ، وهم الظاهرية البرقوقية والناصرية والمؤيَّدية والسَّيفية ؛ وطائفة وهم الأشرفية ، يريدون الاستبداد بأمر ابن أستاذهم ، كل ذلك من غير مفاوضة فى الكلام . وبلغ الأميرَ إينال الأبو بكرى المُشدّ ذلك، وكان أعقل المماليك الأشرفية وأمثلهم وأعلمهم، فأخذ فى إصلاح الأمر بين الطائفتين ، بأن طيَّب[٥] المماليكَ الأشرفية إلى الحَلْف على طاعة ابن السلطان والأمير الكبير جَقْمَق العلائى ، حتّى أذعنوا ورضوا . فتولى تحليفَهم القاضى شرفُ الدين نائب كاتب السر

(١) المثبت عن ا ، وفى طبعة كاليفورنيا بعض خلاف لفظى لم يغير فى المعنى شيئا .

(٢) المقصود بالعلامة، توقيع السلطان بالشعار الذى يتخذه لنفسه مثل «الله أملى» ، وهذه كانت علامة السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى الدولة المملوكية الأولى .

(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (يطيب) بصيغة المضارع .

وحلّف الجميعَ ، ثم نزل عبدُ الباسط إلى الأمير الكبير جَقْمَق وحلّفه على طاعة السلطان ، وبعد تحليفه نزل إليه الأميرُ إينالُ المُشِدّ والأميرُ علىّ باى الخازندار ، وقبّل كلٌ منهما يده بمن معهما من أصحابهما ، فأكرمهم جقمقُ ووعدهم بكل خير ، وعادوا[١] إلى القلعة وسكن الناس وبطل الكلام بين الطائفتين .

فلما كان يوم الأربعاء عاشر ذى الحجة ، وهو يوم عيد النحر ، خرج المقامُ الجمالى يوسف ولىَ العهد الشريف وصلّى صلاةَ العيد بجامع القلعة ، وصلى معه الأمير الكبير جَقْمَق العلائى وغالب أمراء الدولة ، ومشوا فى خدمته بعد انقضاء الصلاة والخطبة ، حتى جلس على باب الستارة ، وخلع على الأمير الكبير جقمق وعلى من له عادة بلبس الخلع فى يوم عيد النحر . ثم نزلوا إلى دورهم ، وقام المقام الجمالى ونحر ضحاياه بالحوش السلطانى . هذا وقد حصل للسلطان نُوَب كثيرة من الصرع حتى خارت قواه ولم يبق إلا أوقات يقضيها : واستمر على ذلك والإرجاف يتواتر بموته فى كل وقت ، إلى أن مات قبيل عصر يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة [من][٢] سنة إحدى وأربعين وثمانمائة[٣] . وسنّه يوم مات بضع وستون سنة تخمينا ، فارتجت القلعة لموته ساعة ثم سكنوا . وفى الحال حضر الخليفةُ والقضاة الأربعة[٤] والأمير الكبير جقمق العلائى وسائر أمراء الدولة ، وسلطنوا المقامَ الجمالى يوسف ولقبوه بالملك العزيز يوسف . حسبما يأتى ذكره فى محلّه . ثم أخذ الأمراء فى تجهيز السلطان ، فجُهز وغُسل وكُفن بحضرة الأمير إينال الأحمدى الفقيه الظاهرى [برقوق][٥] أحد أمراء العشرات بوصية السلطان له ، وهو الذى أخرج عليه كُلْفَةَ تَجْهيزه وخَرْجَته من مال كان الأشرفُ دفعه إليه فى حياته ، وأوصاه أن يحضر غسله وتكفينه ودفنه .

---

(١) فى ا (وعدوا) .
(٢) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (المذكورة) ، والمثبت عن ا ، والمعنى واحد .
(٤) فى ا (الأربع) .
(٥) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

ولما انتهى أمر تجهيز [الملك][1] الأشرف حُمل من الدور السلطانية إلى أن صُلى عليه بباب القلعة من قلعة الجبل ، وتقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد[2] ابن حجر ، لكون الخليفة كان [خَلَع][3] عليه خلعةَ[4] أطْلَسَيْن التى[5] خلعها عليه الملكُ [٤٠] العزيز . ثم حُمل من المصلى على أعناق الخاصْكية والأمراء الأصاغر ، إلى أن دُفن بتربته التى أنشأها بالصحراء خارج القاهرة ؛ وحضرتُ أنا الصلاةَ عليه ودفْنه ، وكانت جنازته مشهودة بخلاف جنائز الملوك ، ولم يقع فى يوم موته اضطراب ولا حركة ولا فتنة ، ونُزل إلى قبره قبيل المغرب . وكانت مدة سلطنته بمصر سبع عشرة[6] سنة تنقص أربعة وتسعين يوماً ، وتسلطن بعده ابنهُ الملك العزيزُ يوسف المقدم ذكره بعهد منه إليه .

وخلَّف الملكُ الأشرف من الأولاد[7] العزيزَ يوسفَ وابناً[8] آخرَ رضيعاً أو حملا[9] ، وهما فى قيد الحياة إلى يومنا هذا . فأما العزيز فسجون بثغر الإسكندرية ، وأما الآخر فاسمه أحمد عند عمه زوج أمه الأمير قَرْقَمَاس الأشرفى رأس نوبة ، وهو الذى تولى تربيتَه ، ومن أجل المقام الشهابى أحمد هذا كانت الفتنة بين المماليك الأشرفية والمماليك الظاهرية فى الباطن ، لما أراد الظاهريةُ إخراجه إلى الإسكندرية . وأما من مات من أولاد [الملك][10] الأشرف فكثير ، وخلَّف من الأموال والتحف والخيول والجمال[11] والسلاح شيئاً كثيرا إلى الغاية . [و][12] كان سلطانا جليلا سَيُوساً مدبرا عاقلا شهما متجملا فى مماليكه

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) إضافة يقتضيها السياق .
(٤) ، (٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (سبعة عشر سنة) .
(٧) فى ا (أولاده) .
(٨) فى ا (وابن) .
(٩) فى ا (أو حمل) .
(١٠) عن طبعة كاليفورنيا .
(١١) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(١٢) عن طبعة كاليفورنيا .

وخيوله ، وكانت صفته أشقرطوالا[١] نحيفا رشيقا مُنوّر الشيبة بهيّ الشكل ، غير سبّاب ولا فحّاش فى لفظه ، حسن الخلق لين الجانب حريصاً على إقامة ناموس الملك ، يميل إلى الخير ، يحب سماع تلاوة القرآن العزيز حتى أنه رتب عدة أجواق تقرأ عنده فى ليالى المواكب[٢] بالقصر السلطانى دواما . وكان يكرم أرباب الصلاح ويُجل مقامهم ، وكان يُكثِر من الصوم صيفاً وشتاء[٣] ؛ فإنه كان يصوم فى الغالب يوم الثالث عشر [من الشهر][٤] والرابع عشر والخامس عشر ، يديم على ذلك . وكان يصوم أيضا أولَ يوم فى الشهر وآخرَ يوم فيه[٥] ، مع المواظبة[٦] على صيام يومى الاثنين والخميس فى الجمعة ، حتى أنه[٧] كان يتوجه فى أيام صومه إلى الصيد ويجلس على السماط[٨] وهو صائم ويطعم الأمراء والخاصّكية بيده ، ثم يغسل يديه بعد رفع السِّماط كأنه واكَل القوم . وكان لا يتعاطى المسكرات ولا يحب من يفعل ذلك من مماليكه وحواشيه . وكان يحب الاستكثار من المماليك حتى أنه زادت عدة مماليكه المشتروات على ألفى مملوك ، لولا ما أفناهم طاعون سنة ثلاث وثلاثين ثم طاعون سنة إحدى وأربعين هذا ، فمات فيهما من مماليكه خلائق . وكان يميل إلى جنس الجراكسة على غيرهم فى الباطن ، يظهر ذلك منه فى بعض الأحيان ، وكان لا يحب أن يُشهر عنه ذلك لئلا تنفر الخواطر منه ؛ فإن ذلك مما يُعاب به على الملوك . وكانت مماليكه أشبه الناس بمماليك [الملك][٩] الظاهر برقوق فى كثرتهم ، وأيضا فى تحصيل فنون الفروسية ؛ ولولم يكن من مماليكه إلا الأمير إينال

---

(١) المثبت عن ا ، وكثيرا ما تستخدم هذه الصيغة فى عصر المماليك ، وفى طبعة كاليفورنيا (طويلا) .
(٢) فى ا (الموكب) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (فى الصيف والشتاء) ، والمثبت عن ا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (منه) .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (المواضبه) .
(٧) كلمة (أنه) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (الصماط) .
(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

الأبو بكرى الخازندار ثم المُشِدّ ، لكفاه فخرًا لما اشتمل عليه من المحاسن ؛ ولم يكن في عصرنا من يدانيه فكيف يشابهه ؟ — انتهى .

وإلى الآن مماليكُه هُم معظم عسكر الإسلام، وكانت أيامه في غاية الأمن والرخاء من قلة الفتن وسفر التجاريد ، هذا مع طول مدته في السلطنة . وعمّر في أيامه غالبَ قرى مصر قبليّها وبحريّها مما كان خرب في دولة [الملك][1] الناصر فرج ، [ثم][2] في دولة [الملك][3] المؤيّد شيخ لكثرة الفتن في أيامهما[4] ، وترادف الشرور والأسفار إلى البلاد الشامية وغيرها في كل سنة . ومع هذا كله كان [الملكُ][5] الأشرفُ مُنَغَّص العيش من جهة الأمير جانبك الصوفي من يوم فرّ من سجنه بثغر الإسكندرية في سابع شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة ، إلى أن مات جانبك قبل موته في سنة أربعين و[ثمانمائة][6] حسبما تقدم ذكره .

وكان الأشرفُ يتصدّى [للأحكام][7] بنفسه ، ويقتدي في غالب أموره بطريق [الملك][8] المؤيّد شيخ ، غير أنه كان يعيب على المؤيد سَفَهَ لسانه ، إلا [الملك][9] الأشرف فإنه [٤١] كان لا يسفه على أحد من مماليكه ولا خدمه جملة كافية ، فكان أعظم ما شتم به أحدًا أن يقول له :«حمار ! »،وكان ذلك في الغالب [يكون][10] مزحًا . ولقد داومتُ[11] خدمتَه من[12] أوائل سلطنته إلى أن مات ، ما سمعتُه أفحش في سب واحد بعينه كائن من كان . وفي الجملة كانت محاسنُه أكثرَ من مساوئه ، وأما ما ذكره عنه الشيخُ تقي الدين المقريزي في تاريخه من المساوئ ، فلا أقول إنه مغرض في ذلك بل أقول بقول القائل : [الطويل]

من (١) إلى (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) في ا (أيامهم) .
من (٥) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) في ا (الأحكام) .
(٩) ، (١٠) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(١١) في طبعة كاليفورنيا (دامت) .
(١٢) في ا (في) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا هو الأنسب .

ومن ذا الذى تُرضِى سجاياه كلُّها ... كفى المرء فَخْرًا أن تُـعَدَّ معايبُه

وكان الأليق الإضراب عن تلك المقالة الشنعة فى حقه من وجوه عديدة ، غير أن الشيخَ تقى الدين كان يَنكر[1] عليه أموراً ، منها انقيادُه إلى مباشرى دولته فى مظالم العباد ، ومنها شدةُ حرصه على المال وشرهه فى جمعه ، وأنا أقول فى حق [الملك][2] الأشرف ما[3] قلته فى حق [الملك][4] الظاهر برقوق فيما تقدم ، فهو بخيل بالنسبة لمن تقدّمه[5] من الملوك ، وكريم بالنسبة لمن جاء بعده إلى يومنا هذا ؛ وما أظرف قول من قال : [الكامل]

ما إن وصلتُ إلى زَمانٍ آخر ... إلا بكيتُ على الزمانِ الأوّل

وأما قول المقريزى : « وانقيادُه لمباشريه » — يشير بذلك إلى الزينى عبد الباسط — فإنه كان يخاف على مالِه منه ، فلا يزال يحسّن له القبائح فى وجوه تحصيل المال ، ويهوّن عليه فِعلَها حتى يفعلها الأشرفُ وينقاد إليه بكلّيته ، وحسّن له أمورًا[6] لو فعلها الأشرفُ لكان فيها زوالُ مُلْكه ، ومالَ الأشرفُ إلى شىء منها لولا معارضة قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى له فيها عندما كان يسامره بقراءة التاريخ ، فإنه كان كثيراً ما يقرأ عنده تواريخ الملوك السالفة وأفعالهم الجميلة ، ويذكر له ما وقع لهم من الحروب والخطوب والأسفار والمحن ، ثم يفسر له ذلك باللغة التركية ، وينمقها بلفظه الفصيح ، ثم يأخذ فى تحبيبه لفعل الخير والنظر فى مصالح المسلمين ، ويرجعه عن كثير من المظالم ، حتى لقد[7] تكرر من الأشرف قولُه فى الملأ : « لولا القاضى العينى ما حَسُن إسلامنا ، ولا عرفنا كيف نسير فى المملكة » . وكان الأشرفُ اغتنى بقراءة العينى له فى التاريخ عن مشورة الأمراء فى المهمات ، لما تدرب بسماعه للوقائع السالفة

(١) فى ا (ينظر) .
(٢) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى الأصل (كما) .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (تقدم) .
(٦) فى ا (أمور) .
(٧) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

للملوك ؛ قلت : وما قاله الأشرفُ فى حق العينى هو الصحيح ، فإن الملك الأشرف كان أميًّا صغير السن لما تسلطن ، بالنسبة لملوك الترك الذين[1] مسّهم الرق، فإنه تسلطن[2] وسنُّه يوم ذاك نيف على أربعين سنة ، وهو غِرٌّ لم يمارس التجارب ، ففقّهه العينى بقراءة التاريخ ، وعرّفه بأمور كان يعجز عن تدبيرها قبل ذلك ، منها : لما كُسرت مراكبُ الغزاة فى غزوة قُبْرُس ، فإن الأشرف كان عزم على تبطيلها فى تلك السنة ويسيّرها فى القابل ، حتى كلّمه العينى فى ذلك ، وحكى له عدة وقائع صَعُب أولها وسهُل آخرها ، فلذلك كان العينى هو أعظمَ ندمائه[3] وأقربَ الناس إليه ، على أنه كان لايداخله فى أمور المملكة البتة ، بل كان مجلسُه لا ينقضى معه إلا فى قراءة التاريخ ، وأيام الناس وما أشبه ذلك ؛ ومن يوم ذاك حُبّب إلىّ التاريخ وملتُ إليه واشتغلتُ به — انتهى .

وقد تقــــدم الكلام على أصل[4] الملك الأشرف وكيف ملّكه [السلطانُ الملك][5] الظاهر برقوق ، وعلى نسبته بالدُّقْمَاقى فى أول ترجمته ، فلا حاجة للعيادة هنا ثانيا .

انتهى ترجمة الملك الأشرف بَرْسْباى رحمه الله تعالى .

(١) فى ا (الذى) .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (ندماوه) .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف برسباى [على مصر](١)

وهى سنة خمس وعشرين وثمانمائة؛ على أن الملكَ الصالح محمد ابن [الملك](٢) الظاهر ططَر، حكم منها إلى ثامن شهر [ربيع](٣) الآخر، ثم حكم [فى](٤) باقيها [الملكُ](٥) الأشرفُ هذا.

وفيها — أعنى سنة خمس وعشرين المذكورة — توفى الشيخُ الإمامُ العالمُ بدر الدين محمود ابن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الأقصرائى الحنفى فى ليلة الثلاثاء خامس المحرم، ولم يبلغ الثلاثين من العمر، وكان بارعاً ذكيا فاضلا فقيها مُشارِكاً فى عدة فنون، حسن المحاضرة، متقربا من الملوك. وكان [٤٢] يجالس الملكَ المؤيَّدَ شيخاً(٦) وينادمه، ثم عظم أمره عند [الملك](٧) الظاهر ططَر واختص به [إلى](٨) الغاية، وتردد الناس إلى بابه، ورُشح إلى الوظائف السنية(٩)، فعاجلته المنية(١٠) ومات بعد مدة يسيرة.

وتوفى الشيخُ علاء الدين علىّ ابن قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى الشافعى، فى ليلة الأحد ثالث المحرم وقد أناف على ستين سنة، بعد أن ناب فى الحكم ودرّس بعدة مدارس وبرع فى الحساب والفرائض.

وتوفى الأمير سيفُ الدين آق خُجَا بن عبدالله(١١) الأحمدى الظاهرى، وهو يلى

من (١) إلى (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا.
(٦) فى ا (شيخ).
(٧)، (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا.
(٩)، (١٠) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا.
(١١) يلاحظ أن اسم (عبد الله) قد ورد كثيرا فى أسماء المماليك والأمراء، باعتباره أبًا لمن اقترن اسمه به، وكانت كثرة وروده داعية البحث والتقصى؛ وفسر السخاوى هذا الاسم — الذى غدا مصطلحا فى العصر المملوكى — تفسيرا معقولا، فقال بصدد ترجمة الأمير سيف الدين جقمق (ت ٨٢٤ هـ): «وسمى بعضُهم والده عبد الله، وهو اسم لمن لا يعلم اسمه غالبا» (الضوء اللامع جـ ٣ ص ٧٤). وهذا =

الكشف بالوجه القبلى فى العشرين من المحرم . وكان تركى الجنس ، أصله من مماليك [الملك] (١) الظاهر برقوق وترقى حتى صار من جملة أمراء الطبلخاناه وحاجبا ثانيا(٢)، وتولى الكشف بالوجه [القبلى] (٣) ومات(٤) هناك . ولم يكن من المشكورين .

وتوفى الشيخ المحدّثُ شمس الدين محمد بن أحمد بن معالى الحِبْتى الحنبلى الدمشقى فى يوم الخميس ثامن عشرين المحرم ، وكان يقرأ البخارى عند السلطان ، وهو أحد فقهاء الحنابلة

=تفسير معقول ،لأن مصادر الحصول على المماليك متنوعة، فهم من بلاد مختلفة ومن أسواق متباينة وأجناس شتى ، وجاءوا بطرق متنوعة ، كالبيع والإهداء أو الأسر فى الحروب ، كما أن غالبهم جلب صغير السن ، لا يعرف أسرته فى أغلب الأحيان ، فضلا عن تداوله رقيقا كالسلعة من يد إلى يد ، واختلاف تبعيته بين وقت وآخر ، لذلك يبدو أن العرف جرى فى العصر المملوكى ، على أن يسمى أبو المملوك اسما إسلاميا عاما هو «عبد الله» . وقد ألحق هذا الاسم ببعض السلاطين الذين لم تعرف أسماء آبائهم — مثل السلطان المؤيد شيخ المحمودى (ت٨٢٤ هـ) ، فقيل إنه : شيخ بن عبد الله المحمودى ، والمعروف أن شيخا هذا جاء إلى مصر وهو فى سن الثانية عشرة تقريبا ومات جالبه فاشتراه محمود تاجر المماليك ، وهو الذى انتسب إليه (شذرات الذهب حـ٧ ص ١٦٤—١٦٥ ؛ المنهل الصافى حـ٢ م ٢ ورقة ١٨٩) .

ثم إن السلطان برسباى نفسه لم يعرف اسم ابيه ، ولم يشتهر بأنه ابن عبد الله ، على حين ألحق اسم عبد الله بأخى برسباى ، وهذا الأخ هو الأمير سيف الدين يشبك بن عبد الله (ت ٨٣٣ هـ) (انظر حوادث السنة التاسعة من سلطنة برسباى فيما يلى ، وهى سنة ٨٣٣ هـ) . وبرسباى جلبه بعض التجار وهو صغير السن ، فاشتراه الأمير دقماق المحمدى نائب ملطية ، مع جملة مماليك صغار وقدمه إلى الظاهر برقوق إلخ ... (بدائع الزهور حـ٢ ص ١٥—١٦ ؛ المنهل الصافى حـ٢ م ٢ ورقة ٨٧) . كذلك السلطان جقمق نفسه المتوفى عام ٨٥٧ هـ ، قيل فى اسمه إنه جقمق بن عبد الله العلائى الظاهرى (شذرات الذهب حـ٧ ص ٢٩١ — ٢٩٢) . وهناك عدد كبير أكثر من أن يحصى من المماليك والأمراء الذين ألحق هذا المصطلح بأسمائهم ، منهم الأمير يخشباى بن عبد الله (ت ٨٤٢ هـ) (الضوء اللامع حـ١٠ ص ٢٦٨) ، الأمير طوخ بن عبد الله الناصرى (ت ٨٤٣ هـ) (الضوء اللامع حـ٤ ص ٩) ؛ كذلك الأمير تغرى برمش بن عبد الله الجلالى (ت ٨٥٢ هـ) (شذرات الذهب حـ ٧ ص ٢٧٣—٢٧٤) ، والأمير شاد بك بن عبد الله الجكمى (ت ٨٥٤هـ) (التبر المسبوك ص٣٢٩) وهكذا ..

(١) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى أ (حاجب ثانى) .

(٤) فى أ (وتوفى ومات) .

وأحد ندماء [الملك] المؤيد شيخ وأصحابه قديماً ، وولّاه مشيخة المدرسة الخرّوبية(١) بالجيزة .

وتوفى مقرئُ زمانه العلامة شمس الدين محمد بن على بن أحمد المعروف بالزراتيتى الحنفى ، إمام الخمس بالمدرسة الظاهرية برقوق ، فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة وقد جاوز سبعين سنة ؛ بعد أن كُفَّ بصره وانتهت إليه الرئاسة فى الإقراء بالديار المصرية ورُحل إليه من الأقطار .

وتوفى الأمير بدر الدين حسن بن السيفى سودون الفقيه الظاهرى صهر [الملك](٢) الظاهر طَطَر وخال ولده الملك الصالح المقدم ذكره ، وهو أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر بقلعة الجبل فى حياة والده سودون الفقيه . وكان والده سودون الفقيه حمو [الملك](٣) الظاهر [ططر](٤) جنديا لم يتأمّر ، وصار ولدُه حسن هذا أميرَ مائة ومقدمَ ألف ؛ فلم تطل أيامُه فى السعادة فإنه كان أولا بخدمة صهر [ه](٥) [الملك الظاهر](٦) طَطَر ؛ فلما تسلطن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه دفعة واحدة ؛ ثم نقله بعد مدة يسيرة إلى إمرة مائة وتقدمة ألف فعاجلته المنية ومات بعد مرض طويل . قلت — وهو مثل — : « إلى أن يسعد المُعْتَرّ(٧) فرغ عمره » . وكان حسن المذكور شاباً جميلا حسن الشكالة ، إلا أنه كان بإحدى عينيه خلل .

وتوفى الشيخ الإمام العالم برهان الدين إبراهيم بن أحمد(٨) بن على البيجورىّ الشافعى فى يوم السبت رابع عشر [شهر](٩) رجب وقد أناف على السبعين سنة ، ولم يخلف بعده أحفظ منه لفروع فقه مذهبه ، مع قلة الاكتراث بالملبس والتقشف وعدم الالتفات إلى الرئاسة .

---

(١) أنشأ هذه المدرسة كبير الخرارية بدر الدين محمد بن محمد بن على الخروبى التاجر ، بعد سنة خمسين وسبعمائة من الهجرة ، وكان العالم الجليل الشيخ سراج الدين عمر البلقينى قد عمل معيدا فى هذه المدرسة فترة من الزمن (خطط ج٢ ص ٣٦٩) .

من (٢) إلى (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) المعتر هو الفقير (القاموس المحيط) .

(٨) كلمتا (ابن أحمد) ساقطتان فى طبعة كاليفورنيا .

(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

وتوفى مقدم العشير[1] بالبلاد الشامية ، بدر الدين حسن بن أحمد المعروف بابن بشاره فى سابع ذى الحجة ؛ وكان له رئاسة ضخمة بالنسبة لأبناء جنسه وثروة ومال كثير .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم خمسة أذرع وسبعة أصابع ، مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً ونصف .

***

(١) العشير وجمعها عشران ، اسم أطلق على بدو الشام . وأطلق أيضا على الدروز ، وعشير الشام فرقتان هما القيسية واليمنية ، وهما لا تتفقان قط . وكانوا كثيرى الخروج والثورات ضد سلطنة المماليك ، فمثلا ثاروا زمن قلاوون فى الدولة المملوكية الأولى ، فقمعهم ورتب أمرا بالبلاد الساحلية لردع العشران (السلوك ج ١ ص ٦٨٩ حاشية ٣ ؛ تاريخ بيروت ص ٣٥-٣٦) .

السنة الثانية من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر](١)

وهى سنة ست وعشرين وثمانمائة :

[فيها](٢) توفى قاضى القضاة بالمدينة النبوية ، ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح فى ليلة السبت رابع عشرين صفر ، وكان من الفقهاء أعيان أهل المدينة .

وتوفى تاج الدين فضـــل الله بن الرملى القبطى ناظر الدولة فى يوم حادى عشرين صفر ، بعد ما باشر وظيفة نظر الدولة عدة سنين وسئل بالوزارة غير مرة فامتنع واستمر على وظيفته ، ومات وقد أناف على الثمانين سنة . قال المقريزى : وكان من ظَلَمة الأقباط وفُسّاقهم .

وتوفى الأمير ناصر الدين بك محمد بن على بك بن قَرَمان مُتَمَلِّك بلاد قَرَمان(٣) فى صفر ، من حجر أصابه فى حربه مع عساكر خوندكار مراد بك بن عثمان متملك بُرُصًّا ؛ وكان ابن قَرَمان هذا أُسر فى أيام [الملك](٤) المؤيد شيخ حسبما ذكرناه فى ترجمة [الملك](٥) المؤيد ، وحُبس بقلعة الجبل ، إلى أن أفرج عنه [الملك](٦) الظاهر طَطَر بعد موت [الملك](٧) المؤيد شيخ(٨) حسبما ذكرناه فى ترجمة المؤيد(٩) [٤٣] ووجَّهه إلى بلاده أميراً عليها ؛ وأولاد قَرَمان هؤلاء هم [من](١٠) ذرية السلطان علاء الدين كَيقُبَاد السلجوقى ، المقدم ذكره فى هذا التاريخ فى محله — انتهى .

وتوفى الأمير علاء الدين قُطْلُوبغَا بن عبد الله التَّنَمِيّ أحد أمراء الألوف بالديار

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) قَرَمَان أو قَرَمان إقليم ومدينة بآسيا الصغرى .

من (٤) إلى (٧) إضافات عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) ، (٩) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

المصرية ثم نائب صفد ، بطّالا بدمشق فى ليلة السبت سادس عشر[1] [شهر][2] ربيع الأول ، وأصله من مماليك [الأمير][3] تَنَم الحسنى نائب الشام ، ورقّاه [الملك][4] المؤيد ، لكون الملك[5] المؤيد كان تزوج بنت تَنَم فصار لذلك حواشى تَنَم كأحد أصحابه .

وتوفى قاضى القضاة مجد الدين سالم المقدسى الحنبلى فى يوم الخميس تاسع عشرين[6] ذى القعدة وقد بلغ الثمانين وتكسّح وتعطّل عدة سنين ، وكان معدودا من فقهاء الحنابلة وخيارهم .

وتوفيت خَوَنْد زينب بنت [السلطان][7] الملك الظاهر برقوق وزوجة [الملك][8] المؤيد شيخ ثم من بعده الأتابك قُجُقْ العيساوى[9] ؛ وماتت تحته فى ليلة السبت ثامن عشرين [شهر][10] ربيع الآخر ، وهى آخر من بقى من أولاد [الملك][11] الظاهر برقوق لصلبه ؛ وأمها أم ولد رومية .

وتوفى الأمير سيف الدين تَنْبك بن عبد الله العلائى الظاهرى المعروف بتَنْبك مِيق نائب الشام بها فى يوم الاثنين ثامن شعبان ، وتولى نيابة دمشق من بعد الأمير تنبك البجاسى نائب حلب الآتى ذكره ، وكان تَنْبك مِيق أصلُه من مماليك الملك الظاهر برقوق وترقى بعد موته إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف فى دولة [الملك][12] المؤيد شيخ ، ثم صار رأس نوبة النوب ، ثم أمير آخور كبيراً ، ثم ولّاه نيابة دمشق بعد مَسْك آقبَاى المؤيدى ثم عزله بعد سنين وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، ولازال على ذلك حتى خلع عليه [الملك][13] الظاهر طَطَر

(١) فى أ (عشرين) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) ، (٣) ، (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى أ (عشر) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) ، (٨) ، (١٠) ، (١١) ، (١٢) ، (١٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) فى أ (الشعبانى) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .

باستقراره فى نيابة دمشق ثانيا بعد جَقْمَق الأَرْغُون شَاوى الدوادار ، فأقام على نيابة دمشق إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان من أكابر المماليك الظاهرية غير أنه لم يُشهر بدين ولا شجاعة .

وتوفى الحافظ قاضى القضاة ولى الدين أبو زُرْعَة أحمد بن الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين [بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن إبراهيم][1] العراقى الشافعى مصروفًا عن القضاء ، فى يوم الخميس سابع عشرين شعبان ، ومولده فى ثالث ذى الحجة سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، واعتنى به والده الحافظ زين الدين عبد الرحيم وأسمعه الكثير ونشأ وبرع فى علم الحديث ، ثم غلب عليه الفقه فبرع فيه أيضًا ، وأفتى ودرّس سنين ، وتولى نيابة الحكم بالقاهرة ، ثم تنزه عن ذلك ولزم داره مدة طويلة ، إلى أن طلبه السلطان وخلع عليه باستقراره قاضى قضاة الديار المصرية بعد وفاة شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البُلْقِينى فى شوال سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، فباشر القضاء بعفة وديانة وصيانة إلى أن صُرِف بقاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى فلزم داره إلى أن مات ، ولم يخلف بعده مثله فى جمعه بين الفقه والحديث والدين والصلاح ، وله مصنفات كثيرة ذكرناها[2] فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى » إذ هو محل الإطناب فى التراجم[3] .

وتوفى الرئيس علم الدين داود بن عبد الرحمن بن الكُوَيز[4] الكَرَكى الأصل الملكى كاتب السر الشريف بالديار المصرية ، فى يوم الاثنين سلخ شوال ولم يبلغ

(١) ما بين الحاصرتين عن المنهل الصافى جـ ١ ورقة ٧٩ .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (ذكرها) والمثبت عن أ .

(٣) ذكر ابن تغرى بردى فى «المنهل الصافى» (جـ١ ورقة ٧٩—٨٠) أن لأبى زرعة هذا تواليف كثيرة ، من ذلك كتاب «الإطراف بأوهام الأطراف» ، و«الدليل القويم على صحة جمع التقديم» ؛ وله كذلك تذييل على الكاشف للحافظ الذهبى ، وتذييل آخر على تذييل والده على العبر للذهبى أيضا ؛ وكتب تعقيبات على الرافعى وشرح منهاج البيضاوى واختصر الكشاف للزمخشرى الخ .. (راجع المنهل الصافى) ..

(٤) فى أ (الكوير) .

الخمسين سنة ، ودفن خارج القاهرة ، وكان اتصل بخدمة [الملك](١) المؤيد بالبلاد الشامية وخدم فى ديوانه وعُرف به ، فلما تسلطن ولاه بعد مدة نظر الجيش بالديار المصرية سنين إلى أن نقل إلى كتابة السر فى أيام [الملك](٢) الظاهر طَطَر بعد عزْل صهره القاضى كمال الدين البارزى بسعيه فى ذلك ، فلم يُشكر على فعلته ، ونُقل كمال الدين المذكور إلى وظيفة نظر الجيش عوضا عنه . وقد تقدم ذلك كله فى أصل ترجمة الملك الأشرف متصلا فلينظر هناك ؛ ودام علم الدين هذا فى وظيفة كتابة السر سنين إلى أن مات فى التاريخ المقدم ذكره . وكان عاقلا دينا رئيسا ضخما وجيها فى الدول ، غير أنه كان عاريًا من كل علم وفن ، لا يعرف إلا قلم الدِّيوَنة كما هى عادة الكتبة ، وتولَّى كتابةَ السر من بعده جمالُ الدين يوسف بن الصفى الكَرَكى ، فعظمت المصيبة بولاية جمال الدين [٤٤] هذا لهذه الوظيفة الشريفة التى هى الآن أعظم رتب المتعممين ، لكونه غاية فى الجهل وعديم المعرفة بهذا الشأن وغيره .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ثمانية أذرع وعشرة أصابع ؛ مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة وعشرون أصبعاً .

* * *

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر] [١]

وهى سنة سبع وعشرين وثمانمائة :

[فيها][٢] خرج الأمير تَنْبَك البَجَاسى عن الطاعة وهو على نيابة دمشق ، وقاتله سودون من عبد الرحمن وظفر به وقطع رأسه وبعث به إلى الديار المصرية ، وقد تقدم ذكر ذلك كله فى أصل ترجمة [الملك][٣] الأشرف ، ويأتى ذكر تَنْبَك البَجَاسى فى وفيات هذه السنة .

وفيها قبض الملك الأشرف على الأتابك بَيْبُغَا المظفرى وحبسه بالإسكندرية ، وقد تقدم أيضاً .

وفيها مات قتيلا الأمير تنبك بن عبد الله البَجَاسى نائب الشـام ، بعد خروجه عن الطاعة فى أول شهر ربيع الأول ؛ وهو أحد من ترقى فى الدولة الناصرية [فرج][٤] ثم ولاه [الملك][٥] المؤيد شيخ نيابة حماه ، فخرج عن طاعته مع الأمير قانى باى العلائى نائب الشام والأمير إينال الصصلانىّ نائب حلب وغيرهما من النواب ، ودام معهما إلى أن انكسرا وقبض عليهما فَفَرّ تنْبَك هذا مع من فر من الأمراء إلى قَرا يوسف ببلاد الشرق ، فقام عنده هو والأمير سُودون من عبد الرحمن والأمير طَرَباى إلى أن قدموا على الأمير طَطَر بالبلاد الشامية فى دولة [الملك][٦] المظفر أحمد ، ثم لما تسلطن طَطَر ولاه نيابة حمـــاه ثانياً ، ثم نقله [الملك][٧] الأشرف إلى نيابة حلب بعد تَغْرى بَرْدى أخى قَصْرُوه ، وتولى بعده نيابة حماه [أغاتُه جَارْ قُطْلُو . والعجيب أن جَارْقُطْلُو المذكور كان أغاةَ تَنْبَك البَجَاسى ، وولى بعده نيابة حماه][٨] مرتين :

من (١) إلى (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

الأولى في الدولة المؤيدية والثانية في دولة ططر ، ثم نقل تَنْبك البَجَاسى إلى نيابة الشام بعد موت الأمير تنبك مِيق فلم تطل مدته بها وخرج عن الطاعة ؛ وتولى سُودون مِن عبد الرحمن نيابة الشام عِوضَه وقاتله حسبما تقدم ذكره حتى ظفر به وقتله ، وكان تَنْبك شاباً جميلا شجاعاً مقداماً ، وهو أستاذ [جميع][1] البَجَاسِيَّة أمراء زماننا هذا بمصر والشام .

وتوفى الإمام العلامة شرف الدين يعقوب بن جلال الدين رسـولا بن أحمد ابن يوسف التّبّانى[2] الحنفى شيخ شيوخ خانقاه شيخون ، فى يوم الأربعاء سادس عشر صفر ؛ وكان فقيهاً بارعا فى العربية والأصول وعلمى المعانى والبيان والعقليات ، واختص [بالملك][3] المؤيد شيخ اختصاصاً كبيراً ، وتولى نظر الكسوة ووكالة بيت المال ومشيخة خانقاه شيخون ، وأفتى ودرّس واشتغل وصنّف عدة سنين ، وكان معدوداً من علماء الحنفية .

وتوفى الوزيرُ تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين بن عبدالله المعروف بابن كاتب المناخ فى يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الأولى وهو غير وزير ، وابنه الصاحب كريم الدين [عبد الكريم][4] قد ولى الوَزَر فى حياته ؛ وكان جد أبيه باشرَ دين النصرانية ثم حسن إسـلام آبائه ، وكان مشكور السيرة فى ولايته للوزارة لكنه استجد فى أيام ولايته مكس الفاكهة[5] ، ثم عزل بعد مدة يسيرة وصار ذلك

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) التبانى نسبة إلى بلدة تُبّان ، ويقال لها تُوبَن كذلك ، وهى من قرى ماوراء النهر من نواحى نَسَف (ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ٣٥٨) .

(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) مكس الفاكهة : ضريبة تؤخذ من تجار الفاكهة . والمكوس فى مصطلح مؤرخى مصر الإسلامية : كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أولموظفى الدولة خارجا عن الخراج الشرعى ، وتسمى هذه المكوس كذلك: المال الهلالى ، تمييزا لها عن المال الخراجى الذى يجبى مسانهة ، أما المال الهلالى فهو طارئ ويستأدى مشاهرة كأجر الأملاك المستقفة . يقول المقريزى : «وأول من أحدث بمصر مالا سوى مال الخراج هو أحمد بن محمد بن مدبر ، لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين : فإنه كان من دهاة الناس وشياطين الكتاب ، فابتدع فى مصر بدعا صارت مستمرة من بعده لاتنتقض ، فأحاط بالنطرون وحجّر عليه ، بعد ما كان مباحا لجميع الناس،وقرر على الكلأ الذى ترعاه

فى صحيفته إلى يوم القيامة ؛ قلت : هذا هو الشقى الذى ظلم[1] الناسَ لغيره .

وتوفى الأمير سيف الدين سُودون بن عبد الله الظاهرى المعروف بالأشْقر ، وهو أحد أمراء دمشق ، بها فى جمادى الأولى . وكان ولى شاد الشراب خاناة فى الدولة الناصرية ، ثم صار فى الدولة المؤيدية رأس نوبة النوب ثم أمير مجلس ثم نُـكب وانحط قدره وحبس سنين ، إلى أن أخرجه الأمير ططر وأنعم عليه بإمرة عشرين بالقاهرة ، فدام على ذلك إلى أن أخرجـه [الملك][2] الأشرف [بَرْسباى][3] إلى الشأم على إمرة مائة وتقدمة ألف ، فدام بدمشق إلى أن مات ؛ وكان غير مشـكور السيرة فى دينه ودنياه .

وتوفى الملك العادل فخر الدين أبو المفاخر سليمان ابن الملك الـكامل شهاب الدين غازى ابن الملك العـادل مجير الدين محمد ابن الملك الـكامل سيف الدين أبى بكر ابن شادى ، وقيل : ابن محمد بن تقى الدين عبد الله ابن الملك المعظم غياث الدين تُوران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين [٤٥] أيوب ابن السلطان الملك الـكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان الأيوبى صاحب حصن كيفا من ديار بكر ، وملَكَ بعده الحصنَ ابنُه الملكُ الأشرف ؛ وكان العادل

= البهائم مالا سماه المراعى ، وقرر على ما يطلع الله من البحر مالا وسماه المصايد ، إلى غير ذلك . فانقسم حينئذ مال مصر إلى خراجى وهلالى ، وكان الهلالى يعرف فى زمنه وما بعده بالمرافق والمعاون . وبلغت حصيلة هذه الأموال الهلالية فى مصر مائة ألف دينار فى كل سنة ، ولكن ابن طولون ألغاها ، ثم أعيدت زمن الفاطميين وصارت تعرف بالمكوس ، وأبطلها صلاح الدين ؛ وفى عصر المماليك صارت تفرض وتقطع وتلغى ثم تعاد وهكذا ، وكان سلاطين المماليك ينظرون إلى إلغائها كنوع من التقرب إلى الله ، لمغفرة الذنوب ، غير أن إقرارها والإكثار منها كان أقرب إلى الاستمرار .

(انظر : السلوك جـ١ ص ٨٥ حاشية ٣ ، ص ٢٦٧ حاشية ٤ ، جـ ٢ ص ١٥١–١٥٢ ؛ خطط جـ٢ ص ١٠٣–١٠٨ ؛ صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦٨ ، النجوم الزاهرة جـ٩ ص ٤٥–٤٦) .

(١) فى ا (يظلم) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

أديباً شاعراً عاقلا ، وله نظم جيد ذكرناه فى ترجمته فى « المنهل الصافى »[١] .

وتوفى خطيب مكة جمال الدين أبو الفضل ابن قاضى مكة محب الدين أحمد ابن قاضى مكة أبى الفضل محمد النويرى الشافعى المكى فى شهر ربيع الآخر بمكة ، وهو والد صاحبنا الخطيب أبى[٢] الفضل محمد[٣] النويرى ، وهم من أعيان فقهاء مكة أباً[٤] عن جد .

وتوفيت[٥] خَوَنْد الكبرى فاطمةُ زوجةُ السلطان الملك الأشرف وأمّ ابنه المقام الناصرى محمد فى خامس عشر جمادى الآخرة ، وكانت قبل الأشرف تحت الأمير دُقْماق المحمدى ، الذى ينتسب إليه الأشرف بالدُّقْماقى ، وكان والدها من أعيان تجار القرم ، وكانت من الخيِّرات ، ودفنت بقبة المدرسة الأشرفية بخط العنبريين ، وكان لها مقام كبير عند زوجها الملك الأشرف .

وتوفى الملك الناصر أحمد ابن الملك الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس

---

(١) مما ذكره ابن تغرى بردى فى ترجمة الملك العادل هذا (فى المنهل الصافى ح٢ ورقة ١٢٢-١٢٣) : «أنه كان مشكور السيرة محببا للرعية، وهذا مع الفضيلة التامة والذكاء والمشاركة الحسنة ، وله نظم ونثر وديوان شعر لطيف » .

ومن شعره :

أريمان الشباب عليك منى ... سلام كلما هب النسيم
سرورى مع زمانك قد تناءى ... وعندى بعده وجد مقيم
فلا برحت لياليك الغوادى ... وبدر التم لى فيها نديم

وله أيضا :

لم يطرق الغمض جفنى بعد فرقتكم ... وقد كسا السقم جسمى بعدكم حللا
أقضى نهارى كئيب القلب مكتئبا ... لا أرعوى قط فى يوم لمن عذلا

(٢) فى ا (ابو) .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (أب) .
(٥) فى ا (وتوفى) .

ابن الملك المجاهد علىّ ابن[١] الملك المؤيد داود[٢] بن الملك المظفر يحيى ابن الملك المنصور عمر ابن رسول ، التركانى الأصل اليمنى المولد والمنشأ والوفاة ، صاحب بلاد اليمن ومدن ممالكه : زبيد وتعز وعدن والمُهْجَم وحَرَض وجِبْلة والمنصورة والمحالب والجُوَّة والدُّمْلُوَة وقوارير والشحر وغيرهم (كذا) . وكان موته فى سادس عشر جمادى الآخرة بصاعقة سقطت عليهم بحصن قوارير خارج مدينة زَبِيد ، فارتاع الملكُ الناصر هذا من ذلك ولزم الفراش أياماً إلى أن مات ، وأقيم بعده فى ممالك اليمن الملك المنصور عبد الله ؛ وكان الناصر هذا من شرار ملوك اليمن .

وتوفى قاضى القضاة وشيخ الشيوخ بالجامع المؤيدى شمسُ الدين محمد بن عبد الله ابن سعد العبسى الديرى الحنفى المقدسى بالقدس ، وقد توجه إليه زائراً فى يوم عرفة ؛ ومولده فى سنة أربع وأربعين وسبعمائة بالقدس ، وهو والد شيخ الإسلام سعد الدين سعد الديرى ، وكان إماماً فى الفقه وفروعه ، بارعاً فى العربية والتفسير والأصول والحديث ، وأفتى ودرّس سنين بالقدس ؛ ثم طلبه [الملكُ][٣] المؤيد فى سنة تسع عشرة وثمانمائة ، وولاه قاضىَ قضاة الحنفية بعد موت قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن العديم مسؤولا فى ذلك ، فباشر القضاء بعفة وديانة وصيانة عدة[٤] سنين ، إلى أن تركه رغبةً ، وولى مشيخة الجامع المؤيدى داخل باب زويلة إلى أن مات فى التاريخ المتقدم ذكره .

وتوفى الشيخُ الصالح الزاهد المسلك أبو بكر بن عمر بن محمد الطرينى الفقيه المالكى ، فى يوم عيد النحر[٥] بالتربية بمدينة المحلة [من الوجه البحرى من أعمال

---

(١) ، (٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (وعدة) .
(٥) جاء فى ا كلمة (الفطر) قبل كلمة (النحر) ، ولا وضع لها .

القاهرة ،](١) ولم يخلّف بعده مثله فى كثرة العبادة والتقشف وترك الدنيا ولذّتها حتى لعلّه مات من قلة(٢) الغذاء ، وكان يُقصد للزيارة من البلاد البعيدة ، وله كرامات ومصالح ، (٣) يعرفه كل أحد .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وعشرون أصبعا ؛ مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعاً وأربعة عشر أصبعا .

***

(١) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (علة) ، وفى طبعة كاليفورنيا (قلة) .
(٣) فى ا (وصالح) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر][(١)]

وهى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة :

[فيها][(٢)] كانت أول غزوات الملك الأشرف التى[(٣)] سيّرها فى البحر حسبما تقدم ذكره .

وفيها قُتل الأمير تَغْرى بَرْدى [بن عبدالله][(٤)] المؤيدى المعروف بأخى قصروه نائب حلب — كان — بقلعة حلب ، بعد أن حُبس بها مدة فى شهر ربيع الأول ؛ وأصله من مماليك [الملك][(٥)] المؤيد شيخ وأحد خاصكيته ، ثم أمّره المؤيدُ عشرةً ، ولما مات [الملك][(٦)] المؤيد أنعم عليه الأمير طَطَر فى دفعة واحدة بإمرة مائة وتقدمة ألف وجعلهُ أميرَ آخور كبيراً عوضاً عن طوغان الأمير آخور ، ثم ولاه نيابة حلب فعصى فى أواخر دولة طَطَر وخرج عن الطاعة ، فولى تَنْبك البَجَاسى عوضه فى نيابة حلب ؛ ومات ططر فتوجه تَنْبك إليه وقاتله وهزمه [٤٦] وملك حلب ، ثم حاصره بقلعة بهسنا حتى أخذه بالأمان وحمله إلى قلعة حلب فحبس بها إلى يوم تاريخه ؛ وكان شاباً طائشاً خفيفاً غير مشكور السيرة ، [و][(٧)] اقتحم الرئاسة فنالها فلم يمهله الدهر وأُخذ قبل أن تتم سنتُه .

وتوفى قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن علىّ ابن التاجر بدر الدين أبى الثناء محمود بن أبى الجود أبى بكر الحموى الحنبلى المعروف بابن مُغْلى ، قاضى قضاة الديار المصرية ، فى يوم الخميس العشرين من المحرم وقد قارب السبعين سنة ؛ وأصله من سَلَمْية ، وكان آباؤه يعانون المتجر ، وولد هو بحماه وطلب العلم وقدم القاهرة شابا فى زى التجار فى سنة إحدى وتسعين ، ثم عاد إلى حماه وأكب على طلب العلم ،

(١) ، (٢) ، (٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (التى) .

(٦) ، (٧) إضافات عن طبعة كاليفورنيا .

حتى برع واشتهر بكثرة الحفظ حتى أنه كان يحفظ فى كل مذهب من المذاهب الأربعة كتاباً فى الفقه ، ويحفظ فى مذهبه كثيراً إلى الغاية ، مع مشاركة جيدة فى الحديث والنحو والأصول والتفسير ؛ وتولى قضاء حماه فى عنفوان شبيبته ودام بها[1] إلى أن طلبه [الملكُ][2] المؤيد وولاه قضاء الديار المصرية ؛ ونزل[3] بالقاهرة فى جوارنا بالسبع قاعات[4] وسكن بها إلى أن مات . حدثنى صاحبُنا قاضى القضاة جلالُ الدين أبو السعادات محمد بن ظهيرة قاضى مكة بها ، قال : قدمت القاهرة فدخلتُ إلى ابن مُغْلى هذا فإذا بالقاضى ولى الدين السَّفْطى عنده ؛ فسلمتُ وجلستُ ، فأخذ السَّفْطى يثنى على ابن مُغْلى ويعرفنى بمقامه فى كثرة العلوم ، وكان[5] مما قاله : مولانا قاضى القضاة يحيط علمه بالمذاهب الأربعة ؛ فقال ابن مغلى : يا قاضى ولى الدين ، أسأْتَ فى التعريف! لم لا قلتَ بجميع مذاهب السلف؟ قال : فمن يومئذ لم أجتمع به . قلت : كان عنده زهو وإعجاب بنفسه ، لغزير فضله وكثرة ماله . وقد وقع له مع العلامة نظام الدين يحيى السيرامى الحنفى بحث[6] بحضرة السلطان الملك المؤيد ، فقال له القاضى علاء الدين المذكور[7] : يا شيخ نظام الدين ، أسمِعْ مذهبك . وسرد المسألة من حفظه — وهذه كانت عادته ، وبذلك كان يقطع العلماء فى الأبحاث — فجاراه الشيخُ نظام الدين فى المسألة ولازال ينقله من شىء إلى شىء حتى دخل به إلى علم المعقول ، فارتبك ابن مُغْلى ، واستظهر الشيخُ نظام الدين وصاح عليه فى الملأ : مولانا قاضى القضاة.

---

(١) فى ا (به) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (وتولى) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الكلام .

(٤) بنيت هذه القاعات بالقلعة وتطل على الميدان وباب القرافة ، وكان السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فى الدولة المملوكية الأولى ، هو الذى أنشأها وأسكنها سراريه ، فيذكر عنه أنه مات عن ألف ومائتى وصيفة مولدة ، سوى من عداهن من بقية الأجناس . ومكان هذه القاعات اليوم هو سراى الجوهرة (انظر : خطط المقريزى ﺟ ٢ ص ٢١٢؛ وراجع النجوم الزاهرة ﺟ٩ ص ١١١ ، ص ١٨١ حاشية ١).

(٥) فى ا (فكان) .

(٦) فى ا (بحثا) .

(٧) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

حِفْظُه(١) طاح، هذا مقام التحقيق. فلم يردّ عليه — انتهى.

والذى اشتهر به ابن مُغْلى كثرة المحفوظ(٢). حكى بعض طلبة العلم، قال: استعار منى ابن مُغْلى أوراقًا نحو عشرة كراريس، فلما أخذها منى احتجت إلى مراجعة شىء منها فى اليوم المذكور، فرجعت إليه وقلت له: أريد أنظر فى الكراريس نظرة ثم خذها ثانيًا، فقال: ما بقى لى بها حاجة، قد حفظتُها؛ ثم ألقاها إلىّ وسَرَدها من حفظه، فأخذتُها وعدت وأنا متعجب من قوة حافظته.

وتوفى الأديب الشاعر زين الدين شعبان بن محمد بن داوُد الآثارى فى سابع جمادى الآخرة، وكان ولى حسبة مصر القديمة فى الدولة الظاهرية برقوق بمال عجز عن أدائه، ففرّ إلى اليمن واتصل بملوكها لفضيلة كانت فيه من كتابة المنسوب ونظم الشعر ومعرفة الأدب فأقام باليمن مدة ثم عاد إلى مكة وحج وقدم القاهرة، ثم رحل إلى الشام ثم عاد إلى مصر فمات بعد قدومه إليها بأيام قليلة. وكان له نظم جيد، من ذلك ما قاله فى مدح قاضى القضاة جلال الدين البُلْقينى لما عُزل عن القضاء بالقاضى شمس الدين الهَرَوِىّ، واتفق مع ذلك زينة القاهرة لدَوَران المحمل، فتغالى فى الزينة شخص يسمى الترجمان، وعلق على باب بيته حمارًا بسُرٍّ يأقات على رؤوس الناس، بأحسن هيئة؛ وتردد الناس إلى الفرجة على الحمار المذكور أفواجًا، فقال شعبان هذه الأبيات: [الوافر]

أقام الترجمانُ لسانَ حالٍ عن الدنيا يقول لها(٣) جهارا:
زمانٌ فيه قَدْ وَضَعُوا جَلالاً عن العَلْيا وقد رَفَعُوا حِمارا

وتوفى الشيخ الإمام الأديب الشاعر العلامة بدر الدين محمد [أبى بكر](٤) بن عمر بن أبى بكر [بن محمد بن سليمان بن جعفر](٥) الدَّمَامِينى المالكى الإسكندرى [٤٧] شاعر

(١) فى ا وفى طبعة كاليفورنيا (حفظ).
(٢) فى ا (الحفظ) وما هنا عن طبعة كاليفورنيا.
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (لنا) والمثبت عن ا.
(٤)، (٥) ما بين الحواصر عن « المنهل الصافى » جـ ٣ ورقة ٩٧.

عصره بمدينة كربركا[(١)] من بلاد الهند ، فى شعبان عن[(٢)] نحو سبعين سنة ، وكان مولده ومنشأه بثغر الإسكندرية ، وبرع فى الأدبيات وقال الشعر الفائق الرائق ، وعانى دَوْلَبَة عمل القماش الحرير بإسكندرية ، فتحمل الديون بسبب ذلك ، حتى ألجأته الضرورة إلى الفرار[(٣)] ، فذهب إلى الهند ، فأقبل عليه ملوكها وحسن حاله بها ، وأثرى وكثر ماله ، فلم تطل أيامه ، حتى مات . ومن شعره : [السريع]

لاما عِذَارَيْك هُما أَوْقعا ... قَلْبَ المحبِّ الصَّبِّ فى الحَيْن
فجُدْ له بالوَصْل واسْمَحْ به ... فَفِيكَ قد هَامَ بِلامَيْن

وله ، سامحه الله[(٤)] : [البسيط]

قُلتُ له والدُّجى مُوَلٍّ ... ونَحْنُ بالأُنْس فى التَّلاق
قد عَطَسَ الصبحُ يا حبيبى ... فلا تُشَمِّتْهُ بالفِراقِ[(٥)]

وله أيضا[(٦)] ، غفر الله له[(٧)] : [الرجز]

بَدا وقد كان اختفى ... [الرَّقيبُ][(٨)] مِنْ مَرَاقِبِه
فقلتُ : هذا قاتلى ... بِعَيْنِه وحَاجِبِه

[وله] : [الرمل]

---

(١) كربركا بإقليم الدكن بالهند ، والاسم الصحيح لها كَلْبَرْگَه Kulbarga ، وفى هذا الإقليم حكم ملوك آل بهمان Bahmani (راجع LANE-POOLE, *Muhammadan Dynasties*, pp. 304-306).

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (على) ، والمثبت عن أ .

(٣) ومما وقع له فى القاهرة قبل فراره ، أن شخصا يسمى الحافظى ، كان الدمامينى مدينا له ، فلزمه هذا الدائن ، «واشتكاه وأباده» ، فكتب الدمامينى إلى السلطان الملك المؤيد شيخ يشكو له هذا الشخص ويشير إلى اشتغال السلطان بفتنة الأمير نوروز الحافظى الخارج على السلطان :

أيا ملك العصر ومَن جودُه ... فرض على الصامت واللافظِ
أشكو إليك الحافظى المعتدى ... بكلِّ لفظ فى الدجى غايظ
وما عسى أشكو وأنت الذى ... صحّ لك البغى من الحافظ

إلخ .. (انظر المنهل الصافى ج٣ ورقة ٩٧-٩٨) .

(٤) جملة (سامحه الله) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى أ (بالفراق) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) ، (٧) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٨) عن طبعة كاليفورنيا .

قُمْ [بنا](١) نركبْ طِرْفَ اللَّهْوِ سَبْقًا للمـــدام
واثنِ يا صـــاحِ عنـــانى لكُمَيْتٍ ولِجـــام(٢)

وتوفى الأمير سيف الدين أبو بكر حاجب حُجّاب طرابلس [بها](٣) ، وكان يُعرف بدوادار الأمير جَكَمَ نائب طرابلس ، أظنه تركمانيا ، فإنى رأيت كلامه يشبه ذلك ، ولا عرفت أصله .

وتوفى الأمير سيف الدين طُوغَان بن عبد الله الأمير آخور ، قتيلا بقلعة المَرْقَب فى ذى الحجة ، وكان أصله تركمانيًّا مكّاريًّا لبنال الأمير طُولُو الظاهرى نائب صفد ، ثم تنقل فى الخدم حتى اتصل بالملك المؤيد شيخ أيام إمرته ، وترقى عنده ليقظة كانت فيه ، حتى صار أميرَ آخورِه ، فلما تسلطن أمّره وولّاه حجوبية دمشق ، ثم نيابة صفد ، ثم جعله أمير مائةٍ ومقدمَ ألفٍ بالديار المصرية ، وأميرَ آخورٍ كبيراً بعد الأمير تَنْبك مِيق لما نُقل إلى نيابة دمشق بعد مَسْك آقباى . ولما ولى الأمير آخورية نالته السعادة وعظُم فى الدولة ، إلى أن عيّنه المؤيد للسفر صُحبة الأتابك أَلْطُنْبُغَا القَرْمُشى إلى البلاد الشامية من جملة من عيّنَه من الأمراء . ومات [الملك](٤) المؤيد ، فوقع(٥) ما حكيناه من اضطراب المملكة الشامية وعصيانِ جَقْمَق ، فانضم(٦) طُوغان هذا مع جقمق ، ولا زال من حزبه إلى أن انكسر وتوجه معه إلى قلعة صَرْخَد . ولما قُبض على جقمق ، قُبض على طُوغان هـذا معه ونُفى إلى القدس ، ثم أمسك ثم أطلق ، ورُسم له أن يكون بطّالا بطَرَابُلُس فدام بها

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) انظر المنهل الصافى جـ٣ ورقة ٩٧-٩٨ .
والكُمَيْت على وزن زُبَيْر ، لون ليس بأشقر ولا أدهم ، أو هو الذى يخالط حمرته قنوء أى شدة الحمرة ، ويكون فى الخيل والإبل وغيرها ، فيقال فرس كميت ومهرة كميت وبعير كميت وناقة كميت ، (القاموس المحيط ؛ تاج العروس) ، والمقصود بالكميت فى هذا البيت الفرس الكميت .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى أ (وقع) والمثبت من طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (انضم) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

مدة ، فبلغ السلطانَ عنه ما أوْجَبَ القبضَ عليه وحبْسَه بالمَرْقَب ، ثم قتله فى التاريخ المقدم ذكره ؛ وكان لافارسَ الخيل ولا وجهَ العرب .

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله ابن عبد الرحمن[1] بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر التَّنُوخى الحموى الشهير بابن العطار ، فى ثالث عشر شوال بالخليل عليه السلام ، وهو متولٍّ[2] نظرَه ، ومولده فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة بحماه ، وبها نشأ ، وتولى حجوبيتَها ، ثم نُقل إلى دمشق ، وولى دوادارية الأمير قانى باى نائب الشام [بأمره][3] إلى أن نوّه القاضى ناصر الدين ابن البارزِى بذكره ، واستقدمه إلى القاهرة لمصاهرة كانت بينهما ، فولاه [الملك][4] المؤيد نيابة الإسكندرية ، إلى أن عزله الأمير طَطَر فى الدولة المُظَفَّريَّة ، وتعطل فى داره سنين حتى ولاه [الملك][5] الأشرف نظر القدس والخليل ؛ فدام به إلى أن مات ؛ وكان فاضلا عاقلا سَيُوساً حلو المحاضرة ، يذاكر بالتاريخ والشعر ، وهو والد صاحبنا الشهابى أحمد بن العطار[6] رحمه الله .

---

(١) فى أ (عبد الرحيم) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى الأصل متولى .

من (٣) إلى (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) الشهابى أحمد بن العطار هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن العطار الشاعر ، وله شعر كثير فى المناسبات المختلفة ، فمدح الأمراء والسلاطين ، وتكلم فى الأحداث الجارية فى عصره ، وله مصنفات كثيرة ، منها : كتاب نزهة الناظر فى المثل السائر ، وكتاب: عنوان السعادة فى المدائح النبوية ، ولطائف الظرفاء ، وفوائد الأعصار فى مدائح النبى المختار ، والمسلك الفاخر ، ومرجز فى أمر النصارى واليهود ، وبديع المعانى فى أنواع التهانى ، والدر الثمين فى حسن التضمين ، وحسن الاقتراح فى وصف الملاح ، وقد ذكر فى هذا الكتاب الأخير ألف مليح ووصفهم . ولد العطار بالقاهرة عام ٧٤٦ هـ وتوفى عام ٧٩٤ هـ .

ومن طرائف شعره ، وقد رُشِّح لوظيفة ناظر جيش مدينة سيس بآسيا الصغرى ، قوله:

طلبتُ رزقا قيل رُحْ ناظراً ... جيوشَ سيس ، قلت: رأى تميس

لو أن ذا الحكام فى سلطة ... ما طلبوا أنى أبق بسيس

وقوله فى التندر بالأقباط الذين ظفروا بمناصب كبرى فى الدولة المملوكية :

قالوا: ترى الأقباط قد رزقوا ... حظا وأضحوا كالسلاطين

وتملكوا الأتراك ، قلتُ لهم : ... رزق الكلاب على المجانين

(انظر المنهل الصافى جـ١ ورقة ١٤٥ — ١٤٦ ؛ وراجع النجوم الزاهرة جـ١٢ ص ١٢٨) .

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد البيرى الشافعى ، شيخ خانقاه سعيد السعداء[1] ، فى يوم الجمعة رابع عشرين ذى الحجة [على][2] نحو الثمانين سنة ، وهو أخو جمال الدين يوسف البيرى الأستادّار المقدم ذكره فى [٤٨] الدولة الناصرية فرج .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم خمسة أذرع وعشرة أصابع ؛ مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً سواء .

(١) خانقاه سعيد السعداء : أنشأها صلاح الدين عام ٥٦٩ هـ /١١٧٣ م بالقاهرة ، وكانت داراً لرجل من رجال الدولة الفاطمية ، يسمى عنبراً أو قنبرا ويلقب بسعيد السعداء ، وهو أحد الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر . وكانت أول خانقاه تبنى فى مصر ، وعرفت كذلك باسم « دويرة الصوفية » وينعت شيخها بشيخ الشيوخ ، ثم استعير هذا اللقب وصار يطلق على شيخ كل خانقاه أخرى (راجع المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٤١٥–٤١٦) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الخامسة من سلطنة [الملك](1) الأشرف

برسباى [على مصر](2)

وهى سنة تسع وعشرين وثمانمائة .

فيها كان فتح قبرس وأخذ ملكها أسيراً حسبما تقدم ذكره فى أصل ترجمة الأشرف هذا مفصلا . [وفيها](3) توفى شيخ الإسلام وأحد الأئمة الأعلام ، سراج الدين عمر [ابن على](4) بن فارس شيخ شيوخ خانقاه شيخون ، المعروف بقارئ الهداية(5) فى شهر ربيع الآخر ، بعد أن انتهت إليه رئاسة مذهب أبى حنيفة فى زمانه ، هذا مع من كان فى عصره من العلماء ، كان بارعاً مفنّناً فى الفقه وأصوله وفروعه ، إماماً فى العربية والنحو ، وله مشاركة كبيرة فى فنون كثيرة ؛ وهو أول من أقرأنى القرآن بعد موت الوالد . ومات وقد صار المعول على فتواه بالديار المصرية ، بعد أن تصدى للافتاء والإقراء عدة سنين وانتفع به غالب الطلبة . وكان مقتصراً فى ملبسه ومركبه ، يتعاطى حوائجه من الأسواق بنفسه ، مع جميل السيرة وعظم المهابة فى النفوس ، يهابه حتى السلطان ، مع عدم التفاته لأهل الدولة بالكلية ، حتى لعلى لم أنظره دخل لأحد منهم فى عمره ، وهو مع ذلك لا يزداد إلا عظمة ومهابة .

من (1) إلى (3) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(4) عن عقد الجمان وطبعة كاليفورنيا .

(5) شرح بدر الدين العينى سبب شهرته بقارئ الهداية . فقال إنه « قرأ الهداية فى مذهب الحنفية على الشيخ الإمام العلامة علاء الدين السيرامى ، فى المدرسة البرقوقية بين القصرين ، وكان قد قرأ الهداية قبل ذلك مرتين أو ثلاثا ، فلذلك سمى قارئ الهداية ، وكانت شهرته بذلك » .

(عقد الجمان جـ ٢٢ ، ق ٣ ورقة ٥٩٤) .

ولما ولّاه [الملكُ][1] الأشرف مشيخةَ[2] الشيخونية مسئولا فى ذلك، أراد الشيخُ سراج الدين المذكور أن يحضر إلى الخانقاه المذكورة ماشياً ، وكان سكنه[3] بالمدرسة الظاهرية ببين القصرين ، وامتنع من ركوب الخيل ، فأرسل إليه [الملك][4] الأشرف فرساً وألزمه بركوبها ، فلما ركبها أخذ بيده عصاة يسوقها بها ، حتى وصل إلى الخانقاه المذكورة فنزل عنها كما ينزل عن الحمار[5] برجليه من ناحيـــــة واحدة ، هذا كله وعليه من الوقار والأبهة ما لم تنلها أصحاب الشكائم ولا كبار العمائم ؛ وهو أحد من أدركنا من الأفراد الذين مشوا على طريق فقهاء السلف رحمه الله [تعـالى] . وتولى[6] بعده [فى][7] مشيخة الشيخونية قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التَّفَهْنى[8] الحنفى بعد عزله عن القضاء بقاضى القضاة بدر الدين محمود العينى .

وتوفى الشيخ المعتقد خليفة المغربى نزيل جامع الأزهر فى حادى عشرين المحرم ، فجاءةً فى الحمام ، [بعد ما كان انقطع بالجامع المذكور مكبًّا على العبادة نيفاً وأربعين سنة ، وكان للناس فيه اعتقاد كبير][9] ويُقصد للزيارة والتبرك به . ولما مات خلف مالاً له صورة ، وكانت جنازته مشهورة .

وتوفى الأمير سيف الدين إينال بن عبـد الله النَّوْرُوزى أمير سلاح فى أول شهر

(١) ، (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (شيخ) والمثبت عن أ .

والشيخونية هى الخانقاه التى بناها الأمير سيف الدين شيخو العمرى فى سنة ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م ، وبنى معها حمامين وعدة حوانيت يعلوها بيوت لسكنى العامة ، ورتب بها دروسا على المذاهب الأربعة ، ودرسا لحديث ودرسا لإقراء القرآن بالقراءات السبع ؛ ورتّب للطلبة فيها الطعام واللحم والخبز فى كل يوم والصابون فى كل شهر (انظر المواعظ والاعتبار جـ٢ ص ٤٢١) .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (مسكنه) ، ولا فرق يذكر .

(٥) فى أ (الحمار) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (وتزل) والمثبت عن أ .

(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) التَّفَهْنى نسبة إلى تَفَهْنا وهى قرية بمركز زفتى ، وتسمى أيضا تفهنا العزب (السلوك جـ١ ص٥٨٩ حاشية ٣) .

(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

ربيع الآخر بالقاهرة ، وأصله من مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظى ودواداره ، ثم ولى بعده نيابةَ غزة ثم حماه ثم طرابلس، إلى أن نقله [الملك][(1)] الأشرف إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وخلع عليه باستقراره أميرَ مجلس ، ثم أميرَ سلاح ، فاستمر على ذلك إلى أن مات وفى نفسه أمور ، فأخذه الله قبل ذلك . وكان متجملا فى ملبسه ومماليكه ومركبه وسماطه إلى الغاية ، وفيه مكارم وحب للعظمة مع ظلم وخلق سيئ وقلة دين وبطش بحواشيه ومماليكه وغلمانه وإظهار جبروت . وهو صهرى ، زوج أختى خَوَنْد فاطمة ومات عنها ، ولكن الحق يقال على أى وجه كان ؛ وفرح الناس بموته كثيراً وأولم السلطان [الملك الأشرف][(2)] بَرْسباى .

وتوفى السيد الشريف حسن بن عجلان بن رُمَيْثَة ، واسم رُمَيْثَة مُنجِد ابن أبى نُمَىّ محمد بن أبى سعد حسن بن أبى عزيز قتادة بن إدريس بن مُطاعن ابن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علىّ بن عبد الله بن محمد ابن موسى بن عبد الله بن الحسن المُثَنّى بن أبى محمد الحسن السبط ابن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فى يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة بالقاهرة ، ودُفن بالصحراء بحوش [الملك][(3)] الأشرف بَرْسباى وقد أناف على الستين سنة . ومولده بمكة ، وولى إمارتها فى دولة [الملك][(4)] الظاهر برقوق فى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، ثم ولى سلطنة الحجاز كله : مكة والمدينة والينبوع من قِبَل الملك الناصر [٤٩] فرج فى شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، واستناب عنه بالمدينة الشريفة وخطب له على منبرها . وطالت أيامه فى السعادة ، على أنه وقع له أمور وحوادث ومحن ، وحمله ذلك على فعل أشياء ليست بمشكورة ، من مصادرة التجار ، وأخذ الأموال ؛ وقد ذكرنا أمر خروجه من مكة وقدومه مع الأمير

من (١) إلى (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

تغرى بردى المحمودى إلى القاهرة ، فى أصل هذه الترجمة واستقراره فى إمرة[1] مكة على عادته ، إلى أن مات بها قبل أن يتوجّه إلى مكة . واستقر[2] بعده فى إمرة مكة ابنُه الشريف بركات الآتى ذكره فى محله .

وتوفى العلامة قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد ابن فضل الله بن محمد الرّازى الهَرَوِى الشافعى بالقدس فى ثامن عشر ذى الحجة ، ومولدُه بهراة سنة سبع وستين وسبعمائة ، وكان إماماً بارعاً فى فنون من العلوم ، وكان يقرئ على مذهب أبى حنيفة ومذهب الشافعى ، والعربية وغلى[3] المعانى والبيان ، ويذاكر بالأدب والتاريخ ، ويستحضر كثيرا من الأحاديث حفظاً . وصحب تيمور لنك مدة طويلة ثم قدم القاهرة ، وصحب الوالد ، وولى قضاء الشافعية بالديار المصرية مرتين فلم ينتج أمره فيهما لبغض أولاد العرب له ، كما هى عادة المباينة بين أولاد العرب والأعاجم ، وتعصبوا عليه وأبادوه وجحدوا علومه . وولى كتابة السر [أيضاً][4] بالديار المصرية أشهراً[5] ، ثم عُزل ونُكب ووقع له أمور فى ولايته القضاء فى المرة الثانية ، إلى أن تولى نظر القدس والخليل ، إلى أن مات هناك . وكان شيخاً ضخما طوالا أبيض اللحية مليح الشكل ، غير أنه كان فى لسانه مَسَكَةٌ تمنعه عن الطلاقة ، وله مصنفات تدل على غزير علمه واتساع نظره وتبحره فى العلوم[6] .

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد ابن حسن[7] بن غانم بن محمد بن على الطائى البساطى المالكى وهو غير قاض ، فى يوم الاثنين العشرين من جمادى الآخرة ، عن ثمان وثمانين سنة ، وكان فقيها مشاركا

(١) ، (٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (وعلم) .
(٤) من طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى أ (اشهر) .
(٦) راجع عقد الجمان جـ ٢٣ ، ق ٢ ورقة ٥٩٥–٥٩٦ .
(٧) فى أ (حسين) ، والمثبت من المنهل الصافى جـ ٣ ورقة ٤٤٤ وعن طبعة كاليفورنيا .

في فنون ، وعنده معرفة بالأحكام وسياسة ودربة بالأمور ؛ وقد تولى قضاء الديار المصرية سنين كثيرة ، وولى حسبة القاهرة أشهراً ، ثم صُرف ولزم داره إلى أن مات .

وتوفى الأمير الكبير سيف الدين قُجُقْ بن عبد الله العيساوى الظاهرى أتابك العساكر بالديار المصرية ، فى تاسع شهر رمضان ، وهو أحد المماليك الظاهرية وممن أنشأه [الملك][1] الناصر فرج ، وصار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ، ثم ولى حجوبية الحجاب فى الدولة المؤيدية [شيخ][2] ، ثم أُمسك وحُبس إلى أن أطلقه الأمير طَطَر وولاه أميرَ مجلس ثم صار أميرَ سلاح فى أوائل دولة الملك الصالح ، ثم صار أتابكَ العساكر بالديار المصرية بعد مسك الأتابك يبغا [بن عبد الله][3] المظفرى ، إلى أن مات فى التاريخ المذكور . وكان قُجُق أميراً عاقلا عارفاً بفنون الفروسية رأسا فى ركوب الخيل ولعب الكرة ، مع بخل وشح زائد وحسن شكالة ، وكان تركى الجنس رحمه الله تعالى .

وتوفى تاج الدين محمد بن أحمد المعروف بابن المكلَّلة وبابن جَمَاعة ، فى ثامن شهر ربيع الآخر ، وكان ولى حسبة القاهرة بالمال فلم تطل مدته وعُزل عنها .

وتوفى القاضى شمس الدين محمد بن عبد الله أَحد أعيان موقِّعى الدست[4] بالديار

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) انظر الضوء اللامع حـ٣ ص ٢٢ ، وانظر فيما يلى حوادث السنة التاسعة من سلطنة برسباى .

(٤) الدَّسْت هو دست السلطان أو مرتبة جلوسه ، ومُوَقِّعُ الدست هو الكاتب الذى يجلس للكتابة بين يدى السلطان ، أى بالقرب من مرتبة جلوسه أو دسته . وموقعو الدست أو كتاب الدست ، فريق من كتاب ديوان الإنشاء ، عرفوا بالموقِّعين لتوقيعهم على جوانب القصص ، وكان عددهم ثلاثة فى أول عصر المماليك ثم ازدادوا بالتدريج حتى أربوا على العشرين خلال عصر الجراكسة . وهناك فريق آخر من كتاب ديوان الإنشاء يعرفون باسم «كُتَّاب الدَّرْج» لأنهم يكتبون فى درج الورق، وهو الورق المستطيل المكون من عدة أوصال ، وهؤلاء يكتبون ما يوقع به كتاب الدست ، وازداد عددهم تدريجيا حتى أربوا على المائة ، وكتاب الدست أرفع منزلة من كتاب الدرج (انظر السلوك حـ١ ص ٤٨٩ حاشية ٣ وما بها من مراجع) .

المصرية المعروف بابن كاتب السَّمْسَرة وبابن العمرى ، فى يوم الأربعاء العشرين من شعبان ، وكان له وجاهة فى الدولة ، معدوداً من أعيان الديار المصرية رحمه الله [تعالى] (١) .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم أربعة أذرع وخمسة أصابع ؛ مبلغ الزيادة عشرون ذراعا سواء كالسنة الخالية .

(١) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى(١) على [مصر](٢)

وهى سنة ثلاثين وثمانمائة

[فيها](٣) توفى الشيخ الإمام المعتقد زاهد وقته وفريد عصره، أحمد بن إبراهيم ابن محمد اليمنى الأصل الرومى البُرُصّاوى(٤) المولد والمنشأ، المصرى الدار والوفاة، المعروف بابن عرب الحنفى، فى ليلة الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول بخلوته بخانقاه شيخون، فغسّل بها وحُمل إلى مصلاة المؤمنى على رؤوس الأصابع، [٥٠] ونزل السلطان [الملك](٥) الأشرف وحضر الصلاة عليه، وأمّ بالناس قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى، ثم حُمل وأعيد إلى الشيخونية فدفن بها؛ وكان له مشهد عظيم إلى الغاية، وأُبيع بعده ما كان عليه من الثياب بأثمان غالية للتبرك بها.

قلت: وابن عرب هذا أعظم من أدركناه من العُبّاد الزهاد فى الدنيا وعدم الاجتماع بالملوك ومَن دونهم، والاقتصار فى الأكل والملبس؛ وكان أولا ينسخ للناس بالأجرة، وهو مكب على طلب العلم والعبادة سنين طويلة، إلى أن استقر من جملة صوفية خانقاه شيخون(٦)، بمبلغ ثلاثين درهما [فى](٧) الشهر(٨)، فتعفّف بذلك عن النسخ، وانقطع عن مجالسة الناس، وسكن بخلوة فى الخانقاه المذكورة وأعرض عن كل أحد، وأخذ فى الاجتهاد فى العبادة، واقتصر على ملبس خشن حقير إلى الغاية، وصار يقنع بيسير القوت ولا ينزل من خلوته إلا ليلا لشراء قوته،

(١) اسم السلطان ساقط فى طبعة كاليفورنيا.
(٢)، (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا.
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (البرماوى) والمثبت هو الصواب عن ا.
(٥) عن طبعة كاليفورنيا.
(٦) راجع ما ذكر عن هذه الخانقاه ص ١٣٤ حاشية ٢.
(٧) استلزم سياق الكلام إضافة حرف الجر (فى) لتقويم العبارة.
(٨) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.

ثم يعود إلى منزله فى كل ثلاثة أيام مرة واحدة بعد عشاء الآخرة . وكان من شأنه إذا حاباه أحد من السُّوقَة فيما يشتريه من قوته ، تركه وما حاباه به . فلما عُرف منه ذلك ترك الباعة محاباته ووقفوا عندما يشير إليهم به . وكان فى كل شهر خادم الخانقاه يحمل إليه الثلاثين درهما[1] فلا يأخذها إلا عدداً ، لأن المعاملة بالفلوس وزناً[2] حدثت بعد انقطاعه عن الناس ، وكان لا يعرف إلا المعادَدَة[3] ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً البتة . وكان يغتسل بالماء البارد صيفاً وشتاء فى بكرة نهار الجمعة ، ويمضى إلى صلاة الجمعة من أول نهار الجمعة ، ويأخذ فى الصلاة والقراءة . وكان يطيل قيامه فى الصلاة بمقدار أن يقرأ فى كل ركعة حزبين من غير أن يُسمع له قراءة ولا تسبيح ، وكان لا يُرى نهاراً إلا عند ذهابه يوم الجمعة إلى الجامع ، وكان يُعجز السلطان ومَن دونه فى الاجتماع به ؛ ويحكى عنه كرامات كثيرة ، ذكرنا بعضها فى ترجمته فى المنهل الصافى ، رحمه الله تعالى ونفعنا ببركته[4] .

---

(١) فى أ (درهم) .

(٢) كلمة (وزنا) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) المقصود بالوزن والمعادة فى النقود فى عصر السلاطين المماليك ، أن الفلوس كانت أولا فى مطلع ذلك العصر : تقدر بالعدد ثم تطور أمرها حتى قُوِّمت بالوزن ، فكان كل ٤٨ فلساً عداً تقدر قيمتها بدرهم نُقْرة ، ثم تقرر بعد ذلك أن يكون الرطل من الفلوس وزنا ، بدرهمين نُقْرة عداً. والدرهم المعروف باسم النُقرة ، أجود أنواع الدراهم ، اذ يتكون من ثلثى فضة وثلث نحاس ووزنه ١٦ قيراطا. واحتوى الرطل على عدد من الفلوس تراوح بين ٢٤،٣٦-٤٠ فلسا تقريبا ، تبعا لوزن الفلس ، والعادة أن يكون وزن الفلس مثقالا ، ووزن المثقال ٢٤ حبة خروب أو من ٧٢ إلى ٨٤ حبة شعير . ولكن الوزن لم يثبت ، بل تناقص فى أواخر عصر المماليك ، حتى قدر كل ١١٨ رطلا من الفلوس بمبلغ ٥٠٠ درهم نقرة أى نقص وزن الفلس إلى مقدار النصف تقريبا (انظر إغاثة الأمة ص ٧٠ ؛ صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤٣–٤٤٤ ؛ مسالك الأبصار ج٢ ورقة ٢٧٦ ؛ الكرمل ص ٧٦ ، ٧٧ ، ١٥٦ ، ١٦١ ؛ إنباء الغمر ج١ ص ٦٦٥–٦٦٦ ؛ النجوم الزاهرة ج٩ ص ٧٧–٧٨) .

(٤) من كرامات هذا الشيخ ، عن أبى المحاسن (فى المنهل الصافى – طبعة دار الكتب ج١ ص ٢٠٣–٢٠٥) : « من ذلك ما أخبرنى من أثق به من بعض أهل الخانقاه ، أنه اشترى فى بعض الأحيان كنافة ، وصبَّ فوقها خلاً ، فرآه ذلك الرجل والشيخ لا يشعر به ، والشيخ يقول لنفسه : « ما تأكل إلا كنافة ! كل ! » فتقدم ذلك الرجل من الشيخ ، وكان يعرفه قديما ، وقال : أنا آكل معه من هذه الكنافة تبركا . فقال له الشيخ : بسم الله ، كل يافلان . فصار الرجل يأكل الكنافة بعسل غاية الحلاوة ، والشيخ يأكل معه ، إلى أن فرغا معا » . ورُئى مرة بسطح الخانقاه وقد مد يده وفيها فتات الخبز والطيور تأكل مما فى يده ، إلخ .

وتوفى الأمير سيف الدين قَشْتَمْ بن عبد الله المؤيدى الدوادار ، الذى كان ولى نيابة الإسكندرية فى دولة [الملك](١) المظفر أحمد ، ثم قبض عليه وأخرج بعد مدة إلى حلب على إمرة بها ، واستمر بحلب إلى أن خرج مع نائبها الأمير قصروه لقتال التركمان ، فقُتل فى المعركة فى المحرم . وكان غير مشكور السيرة ، وهو أخو إينال المؤيدى المعروف بأخى قَشْتَمْ ؛ وكلاهما ليس بشىء ، من المهْمَلين .

وتوفى الشيخ المحدِّث الفاضل شهابُ الدين أحمد بن موسى بن نصير المتبولى المالكى(٢) فى يوم الأربعاء ثامن شهر(٣) ربيع الأول ، عن خمس وثمانين سنة . وقد حدّث عن عمر ابن [الحسن بن مزيد المعمر المسند الرحلة زين الدين أبى حفص المراغى الحلبى الشهير بابن](٤) أميله ، وست العرب(٥) ، وجماعة ؛ وناب فى الحكم سنين [رحمه الله تعالى](٦)

وتوفى الشيخ شهابُ الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن الزعيفرينى(٧) الدمشقى الشاعر فى شهر ربيع الأول ، وكان ينظم الشعر ، ويكتب المنسوب ، ويتكلم فى معرفة علم الحرف(٨) ، ويتكلم أيضاً فى المغيبات ، ومال إليه بسبب ذلك جماعة من الأكابر ،

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا

(٢) كلمة (المالكى) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) كلمة (شهر) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) ولد ابن أميله سنة ٦٨٠ هـ وتوفى عام ٧٧٨ هـ ، والإضافة عن المنهل الصافى (حـ ٢ ورقة ٤٧٢–٤٧٣) .

(٥) ست العرب هى ابنة الجمال إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن عبد العزيز بن أبى جرادة ، حدّثت عام ٨٢٩ هـ/ ١٤٢٥م بإجازتها من أبى محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن المهندس ، وأخذ عنها المحب محمد بن الشحنة (الضوء اللامع حـ١٢ ص ٥٦) .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) فى طبعة كاليفورنيا (الزعفرينى) والمثبت عن أ وعن المنهل الصافى (حـ١ ورقة ١٧٣) .

(٨) علم الحرف أو علم أسرار الحروف ، شرحه ابن خلدون فى مقدمته (ص ٥٦١–٥٦٥) ، وخلاصة شرحه : أن غلاة المتصوفة زعموا أن طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الأسماء ، وقسموا الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف : اختصت كل طبيعة بطائفة من الحروف ؛ وهذه الطبائع هى : النارية والهوائية والمائية والترابية .

وقال هؤلاء الغلاة : إن الألف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ، وهكذا على التوالى فى بقية الحروف ، ولذلك تعين لعنصر النار سبعة حروف هى : ا – هـ – ط – م – ف – ش – ذ ، =

وأثرى[1]، وامتُحن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وقطع الملك الناصر لسانه وعقدتين من أصابعه، ورفق به المشاعلى عند قطع لسانه فلم يمنعه ذلك من الكلام.

وكان سبب هذه المحنة أنه نظم لجمال الدين الأستادار ملحمة[2] أوهمه أنها ملحمة[3] قديمة، وأنه يملك مصر؛ وبلغ ذلك الملكَ الناصرَ [فرج][4] فأمر به ماذكرناه.

ولما قُطعت أصابعه، صار يكتب بعد موت [الملك][5] الناصر بشماله، فكتب مرة إلى قاضى القضاة صدر الدين على [بن محمد][6] بن الآدمى [الدمشقى][7] الحنفى يقول: [الطويل]

لقد[8] عِشْتُ دهرًا فى الكتابة مُفْرَدًا
أُصَوِّرُ منها أَحْرُفًا تُشْبِهُ الدُّرَّا

وقد عاد خطى اليومَ أضعفَ ما تَرَى[9]
وهــذا الذى يَسَّر اللهُ لليُسْرَى

فأجابه قاضى القضاة صدر الدين المذكور: [الطويل]

لَئنْ فَقَدتْ يمنــاك حُسْنَ كِتابةٍ
فــلا تحتمِلْ همًّا ولا تعتقد عُسْرًا

— ولعنصر الهواء سبعة هى: ب – و – ى – ن – ض – ت – ظ.
ولعنصر الماء سبعة هى: ج – ز – ك – ص – ق – ث – غ.
ولعنصر التراب سبعة هى: د – ح – ل – ع – ر – خ – ش.
ثم قالوا: إن الحروف النارية لدفع الأمراض الباردة ولمضاعفة قوة الحرارة، والمائية لدفع الأمراض الحارة من حميات وغيرها.

ويقول بعض العارفين بهذا العلم: «ولا تظن أن سر الحروف مما يتوصل إليه بالقياس العقلى، وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهى».

(١) فى أ (أثرا).
(٢)، (٣) فى أ (ملحة) والمثبت من طبعة كاليفورنيا.
(٤)، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا.
(٦) عن المنهل الصافى.
(٧) عن النجوم الزاهرة حـ١١ ص ٢٤٩.
(٨) فى طبعة كاليفورنيا (لو) والمثبت من أ.
(٩) فى أ (ترا).

[٥١] وأبشِرْ ببِشرٍ دائمٍ ومَسَرَّةٍ
قد يَسَّر اللهُ العظيمُ لك اليُسْرى[١]

وتوفى الأمير الطواشى الرومى شِبْل الدولة كافور الصَّرْغَتْمُشى زمام دار السلطان وقد قارب الثمانين سنة من العمر، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر[٢] ربيع الآخر، وأصله من خدام الأمير صَرْغَتْمُش الأشرفى، ثم أخذه الأتابك منْكلى بُغَا الشمسى وأعتقه. وترقى إلى أن ولاه الملك الناصر فرج زمامَ داره، فدام على ذلك إلى أن عُزل بعد موت الملك المؤيد بمرجان الخازندار الهندى، ثم أعيد إليها بعد مدة. وهو صاحب[٣] التربة العظيمة بالصحراء، وبها خطبة وعمارة[٤] هائلة، وله مدرسة أخرى أنشأها بخط حارة الديلم من القاهرة. وتولى بعده الزمامية الأمير الطواشى خُشْقَدَم الظاهرى الخازندار.

وتوفى الشيخ الأديب البارع المفنن بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد المعروف بالبَشْتَكى الظاهرى المذهب، فى يوم الاثنين ثالث عشرين جمادى الآخر، فجاءة[٥] فى حوض الحمام. وكان من تلامذة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى الأدب، وكان أحد الأفراد فى كثرة النسخ: كان ينسخ فى اليوم خمس كراريس، فإذا تعب اضطجع على جنبه وكتب كما يكتب وهو جالس، فكتب مالا يدخل تحت حصر، وكثيرًا ما يوجد ديوان شعر ابن نباتة بخطه[٦]؛ [ومن شعره]:[٧] [الوافر]

(١) فى أ (اليسرا).
(٢) كلمة (شهر) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.
(٣) المثبت عن أ؛ وفى طبعة كاليفورنيا (التى أنشأ) بدلا من كلمة (صاحب) المثبتة بالمتن. ولعل ناشر طبعة كاليفورنيا أضاف هذه العبارة، بدليل أنه أشار فى الهامش إلى خلو المخطوطة التى اعتمد عليها من هذه الكلمة.
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (عمائر) فى صيغة الجمع والمثبت عن أ، ولا فرق يذكر.
(٥) فى أ (فجأة).
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (إلا بخطه) والمثبت عن أ.
(٧) عن طبعة كاليفورنيا.

وكنتُ إذا الحوادثُ دنَّستْنى فَرَغْتُ إلى المُدامة والنَّديم [١]
لأغسِلَ بالكؤوس الهَمَّ عَنى لأن الراح[٢] صابونُ الهُموم[٣]

وكان بينه وبين ابن خطيب داريَّا[٤] أهاجىٌّ ومكاتبات ، ثم بينه و بين شرف الدين عيسى العالية المعروف بعويس[٥] ؛ [وفيه يقول عويس المذكور][٦] : [المتقارب]

[أ][٧] يامَعْشَرَ الصَّحْبِ مِنِّى اسْمَعُوا مقالى وكُسٌّ أُخْتِ مَن يَنتَكى
ألا فالْعَنُوا آكلين الحشيش وبُولوا على شارب البَشْتَكى

قلت : والبشتكى ضرب من المسكرات مثل التَّمُرْبغَاوى والشُّشُش . [وله أيضا فيه][٨] :

محبت جندى لوغيَّه فى السكر وأنواع الشروب[٩]
كيف ما أجى ألقاه سكران والبشتكى تَحْتو مكبوب

وتوفى قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجّى بن موسى بن أحمد بن سعد الحسبانى السّعدى الدمشقى الشافعى ، قاضى قضاة دمشق وكاتب السر بالديار المصرية ، مذبوحا على فراشه ببستانه بالنَّيْرَب[١٠] خارج دمشق ، فى ليلة الأحد مستهل ذى القعدة ، عن ثلاث

(١) فى أ (النديمى) .
(٢) فى أ (الخمر) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (الهموى) .
(٤) داريّا قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة ، والنسبة إليها دارانى ، على غير قياس ، وبها قبر أبى سليمان الدارانى وابنه سليمان ، وهما من العبّاد الزهاد ، وظهر فى هذه القرية كذلك عدد من العلماء والصلحاء (ياقوت : معجم البلدان حـ٤ ص ٢٤) .
(٥) فى أ (بعولس) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
من (٦) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى أ (المشروب) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(١٠) النيْرَب قرية مشهورة من قرى دمشق على بعد نصف فرسخ وسط البساتين ، وهى أنزه موضع رآه الحموى ، ويقال إن فى هذا الموضع مصلى الخضر عليه السلام ، وقد أشار إليها أبو المُطاع وجيه الدولة ابن حمدان فى شعر له وسمَّاها النَّيْرَبَيْن ، بلفظ التثنية ، فقال :

وستين سنة ، ونسب قتله للزينى عبد الباسط ، والشريف شهاب الدين أحمد كاتب سر دمشق ثم مصر ؛ وكان القاضى نجم الدين فقيها بارعا فاضلا كريما حشما وقوراً ، له مكارم وأفضال وسؤدد[1]، وهو أحد أعيان أهل دمشق وفقهائهم [رحمه الله تعالى][2]. وقد تقدم ذكر محنته[3] عندما ولى كتابة سر مصر فى ترجمة [الملك][4] الأشرف [هذا][5] ، فلينظر هنالك .

وتوفى الملكُ المنصور عبدالله ابن الملك الناصر أحمد ابن الملك الأشرف إسماعيل ، صاحب اليمن فى جمادى الأولى بها ، وأقيم بعده أخوه الملكُ الأشرف[6] إسماعيل ثم خُلع بعد مدة ، وأقيم بعده الملك الظاهر هِزَبْر الدين يحيى ابن [الملك][7] الأشرف إسماعيل فى ثالث شهر رجب ؛ وقد تقدم ذكر نسبه فى ترجمة والده من هذا الكتاب فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة[8] . وفى أيام هؤلاء الملوك ، تلاشى أمر اليمن ، وطمع فيها كل أحد .

وتوفى القاضى بدرُ الدين محمد بن محمد[9] بن محمد [بن إسماعيل بن على البدر أبو عبد الله القرشى][10] القلقشندى الشافعى أمين الحكم بالقاهرة ، فى يوم الاثنين[11] رابع عشرين المحرم ؛ وكان مولده أيضاً فى أول المحرم من سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، وكانت لديه فضيلة وعنده مشاركة .

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها ... فلى بجنوب الغوطتين شجونُ
فما ذكرتها النفس إلا استخفنى ... إلى برد ماء النيربين حنين
وقد كان شكّى للفراق يروعنى ... فكيف يكون اليوم وهو يقين ؟
(انظر معجم البلدان حـ ٨ ص ٣٥٥) .

(١) فى ا (وسودد) .

(٢) ، (٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (محنه) بصيغة الجمع ، والمثبت عن ا .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (الأحمد) والمثبت هو الصواب عن ا .

(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) راجع حوادث السنة الثالثة من سلطنة برسباى فيما سبق .

(٩) كلمة (ابن محمد) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ومثبتة عن ا .

(١٠) عن الضوء اللامع .

(١١) فى ا (الأحد) والمثبت بالمتن هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن مراجعة التواريخ السابقة ، إذ أن المحرم سنة ٨٣٠ هـ بدأ يوم السبت . (انظر كذلك عقد الجمان حـ٢٣ ق ٤ ورقة ٥٩٨) .

وتوفى القاضى تقى الدين محمد بن زكى الدين عبد الواحد بن عماد الدين محمد ابن قاضى القضاة علم الدين أحمد الإخنائى المالكى أحـــد نوّاب الحكم بالقاهرة وهو بمكة ، فى ثالث ذى الحجة ، عن ثلاث وستين سنة ، وكان من بيت فضل وعلم ورئاسة .

[٥٢] أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم أربعة أذرع وخمسة أصابع ؛ مبلغ الزيادة عشرون ذراعًا سواء .

السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر](١)

وهى سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة .

[و](٢)فيها توفى أميرُ الملاَ عذرا بن نُـعَيْر بن حَيّار بن مُهَنّا مقتولا فى الحرم .

وتوفى الأمير الفقيه سيف الدين بَـكْتَمُر بن عبد الله السعدى(٣) ، أحد أمراء الطبلخانات بالديار المصرية ، فى يوم الخميس ثالث عشر [شهر](٤) ربيع الأول ، بسكنه بدار أستاذه القاضى سعد الدين إبراهيم بن غُراب بخط قنطرة طُقُزْدمر ، ولم يخلِّفْ بعده فى أبناء جنسه مثله بل ولا فى غير أبناء جنسه ، لما اشتمل عليه من المحاسن : كان فاضلا دينا عاقلا شجاعاً بارعاً فى فنون الفروسية ، انتهت إليه الرئاسة فى حمل المُقَيَّرة(٥) ورمى النُّشّاب فى زمانه ، هذا مع البشاشة والكرم وحسن الشكل والتواضع وحسن المحاضرة وجودة المشاركة فى كل علم وفن ، مع الفصاحة فى اللغة التركية والعربية ، والدين المتين والعفّة عن المنكرات والفروج ؛ ولا أعرف من يدانيه فى محاسنه ، فكيف يشابهه ! وكان طوالا جسيما ضخما ذا قوة مفرطة ، مليح الشكل ، واللحية مدورة بادية الشيب ، قبض مرة بأكتاف شخص من أعيان الخاصكيِّة المشاهير بالقوة ، وهزَّه وأفلته ، ثم قال له : مابقى

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) حرف (و) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) كلمة (السعدى) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) ذكر وليام بوبر أن المقيرة والقيّارة مقرعة أو سوط لها سير من شعر مفتول (النجوم الزاهرة حـ٦ – طبعة كاليفورنيا – ص ١١١) ؛ وفى القاموس المحيط : القَيّر ، كَهَيِّن ، هو الحاذق من الرماة ، وهو لفظ معرّب .

فيك شيء يا فلان ، فلم ينطق ذلك الرجل بكلمة وذهب خجلا لكثرة دعاويه ، فقلت لبكتمر :هذا الذى أنت فيه من كثرة الإدمان، قال:منذ[1] بلغتُ الحُلُمَ وأنا متزوج ، غير أننى لا أهمل نفسى ، فقلت له : هذه منح إلاهيّة . ولما مات أنعم [السلطان][2] بطبلخانته على الأمير قُجْقَار جَقْتاى السيفى بَكْتَمُر جِلَّق ، ومات بكتمر السعدى هذا وسنه نحو خمسين[3] سنة تخمينا ، وكان رومى الجنس رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير سيف الدين جانبك [بن عبد الله][4] الأشرفى الدوادار الثانى وعظيم دولة أُستاذه الأشرف بَرْسْباى فى يوم الخميس سابع عشرين [شهر][5] ربيع الأول ، وسنه نحو خمسة وعشرين[6] سنة تخمينا ، ودفن بمدرسته التى أنشأها بخط القربيين خارج باب زويلة على الشارع ، ثم نقل منها بعد مدة إلى تربة[7] أستاذه بالصحراء ، وحضر السلطانُ غسلَه ثم الصلاةَ عليه ؛ وكان أُشيع عنه أن نفسه تحدثه بالمُلك ، فعاجلته المنية . وكان أصله من مماليك [الملك][8] الأشرف برسباى ، اشتراه صغيراً فى أيام إمرته وقاسى[9] معه خطوبَ الدهر أيامَ حبسه بقلعة المَرْقَب وغيرها ، ولما تسلطن [الملك][10] الأشرف عرف له ذلك مع محبته له ، فرقّاه وأنعم عليه بإمرة عشرة وجعله خازنداراً ، ثم أرسله بتقاليد الأمراء نواب الشأم : تَنْبَك البجَاسى وغيره ، ثم أنعم عليه بعد حضوره بإمرة طبلخاناة ، وخلع عليه بالدوادارية الثانية عوضاً عن [الأمير][11] قَرْقَمَاس الشعبانى الناصرى بحكم انتقاله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف ، فعظُم فى الدولة ونالته السعادة ، حتى تزايد أمره وخرج عن الحد من كثرة إنعامه وإظهار الجميل والأخذ بالخواطر ، حتى ركن إليه غالب أعيان الدولة من الخاصكيّة ،

(١) فى طبعة كاليفورنيا (منه) والمثبت عن ا .
(٢) ، (٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (خمسون) .
(٦) فى ا وفى طبعة كاليفورنيا (عشرون) .
(٧) فى ا (التربه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .
(٨) ، (١٠) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (قاسا) .
(١١) عن طبعة كاليفورنيا .

وكثر تردداد[١] الناس إليه ، وصار أكابر الدولة مثل عبد الباسط وغيره تتردد أيضاً إليه[٢] إلى خدمته ، [إذا سمح لهم بذلك ، وله عليهم الفضل][٣] ؛ وصار أمرُه فى نمو وزيادة ، وقصده الناس من الأقطار لقضاء حوائجهم . وبينما هو[٤] فى ذلك وقد اشتغل الناس به وأشير إليه بالأصابع ، وقد مرض ولزم الفراش مدة ونزل [السلطان][٥] إلى عيادته مرة ، ثم رسم بطلوعه إلى القلعة ، فحُمل إليها وتولى السلطان تمريضه ، فأفاق قليلا وترعرع ، فأُنزل إلى داره - وكان سكنه بالدار التى فى[٦] سوق القبو الحسينى[٧] ، وللدار باب من حدرة البقر ، وهى الآن سكن الأمير يَشْبك الفقيه المؤيدى ؛ وعند نزوله إليها عاوده المرض ، ونزل إليه ثانيا فوجده كما قيل : [السريع]

لم يبــــقَ إلا نَفَسٌ خافِتٌ ومُقْلَةٌ إنسانُها باهِـــتُ
يَرْثى له الشَّامتُ مِمَّا به ياويحَ من يَرْثى له[٨] الشَّامِتُ

[٥٣] وبعد طلوعه مات فى تلك الليلة ، فنزل السلطان إلى داره وحضر غسلَه - كما تقدم - والصلاةَ عليه .

وكان أميراً شابا حلو الشكالة ، للقِصر أقرب ، أخضر اللون مليح الوجه صغير اللحية مدوَّرها ، فصيحاً ذكياً حاذقا ، متحركا متجمّلا فى مركبه وملبسه وسماطه إلى الغاية ، يكتب كتابة ضعيفة ويقرأ ، إلا أنه كان عارياً لم يسبق له اشتغال ، وما كان دأبه إلا فيما هو فيه من الأمر والنهى وتنفيذ الأمور ؛ واتُّهم السلطان بموته ، والله أعلم بحاله .

وتوفى الشيخ المعتقد الصالح سعيد المغربى نزيل جامع الأزهر ، به ، فى يوم

(١) فى طبعة كاليفورنيا (تردد) والمثبت عن ا ، والمعنى واحد .
(٢) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (هم) والمثبت عن ا .
(٥) أضيفت هذه الكلمة لاقتضاء المعنى .
(٦) فى ا (من) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى طبعة كاليفورنيا (الحسنى) والمثبت هو الصواب عن ا .
(٨) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول، بعد أن جاور بجامع الأزهر عدة سنين . وكان للناس فيه اعتقاد كبير ، وله كرامات ويُقصد للزيارة والتبرك بدعائه ؛ زرتُه غير مرة ، ومات وقد علا(١) سنه وطال مرضه ، وترك نحو الألفى دينار ما بين ذهب وفضة وفلوس .

وتوفى الأمير سيف الدين أُزْدَمُر [بن عبد الله](٢) من على جان الظاهرى المعروف بأزْدَمُر شايا ، فى سادس [شهر](٣) ربيع الآخر ، وهو أحد أمراء حلب بعد أن تنقل فى عدة إمريات بالشأم ومصر ، وصار أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر ، ثم أُخرج إلى نيابة ملطية ، ثم نقل إلى إمرة بحلب إلى أن مات بها . وقد تقـدم التعريفُ بحاله عند إخراجه من مصر فى ترجمة [الملك](٤) الأشرف ، ومات وسنُّه نيف على خمسين سنة . وكان من سيئات(٥) الدهر : لم يشهر(٦) بدين ولا كرم ولا شجاعة ولا معرفة ولا عقل ، مع كبر وجبروت وظلم وسـوء خلق ، وكان قصيراً نحيفاً أصفرَ دميا حقيراً فى الأعين ، وعُدَّ إخراجه من مصر [من](٧) محاسن [الملك الأشرف](٨)

وتوفى الأمير [سيف الدين](٩) كَمَشْبُغَا [بن عبد الله](١٠) الجمالى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات بطّالا ، فى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، وقد علا سنه ؛ وكان من أكابر المماليك الظاهرية [برقوق](١١) وممن تأمّر فى أيام أستاذه . وكان تركى الجنس عاقلا فقيهاً ديّناً خيراً عفيفاً عن المنكرات والفروج ، وطالت أيامُه فى الإمرة ، وتولى نيابة قلعة الجبل فى الدولة الناصرية [فرج](١٢) ، واستمرّ من جملة

---

(١) فى ا (على) .
من (٢) إلى (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (سيات) .
(٦) فى ا (يشهد) .
من (٧) إلى (١٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

أمراء الطبلخانات فى صدر من الدولة الأشرفية [بَرْسباى](١) إلى أن أخرج [الملكُ](٢) الأشرفُ إقطاعَه ، فلزم داره على أحسن وجه إلى أن مات وهو فى عشر(٣) الثمانين .

وتوفى الأمير الكبير سيف الدين يَشْبُك بن عبد الله(٤) الساقى الظاهرى الأعرج(٥) أتابك العساكر بالديار المصرية ، فى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة ؛ وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق ومن أعيان خاصكيَّتِه ، وصار ساقياً فى أيام أستاذه الظاهر .

ثم ثار على الملك الناصر فى أيام تلك الفتن ، ووقع له أمور وحروب انصاب فى بعضها بجرح أصابه ، بطل منه شقته وصار يعرج منه عرجاً فاحشاً ، ثم عوفى ، وانتمى للأمير نَوْرُوز الحافظى إلى أن ولّاه نيابةَ قلعة حلب(٦) ، إلى أن أمسكه [الملكُ](٧) المؤيدُ شيخ وحبسه بعد قتل نَوْرُز ؛ ثم نفاه إلى مكة بطّالا سنين عديدة ، إلى أن استقدمه [الملك](٨) الظاهر طَطَر [إلى القاهرة](٩) ، ومات قبل أن ينعم عليه بإمرة ؛ فأنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضاً عن قُرْمُش الأعور دفعة واحدة ، ثم صار أمير سلاح ، ثم ولى أتابكيةَ العساكر بعد الأمير قُجُق العيساوى ، فاستمر على ذلك إلى أن مات [فى التاريخ المقدم ذكره](١٠)

وكان من رجال الدهر عقلا وحزما ودهاء(١١) ومعرفة وتدبيراً ، مع مشاركة جيدة فى الفقه والقراءات(١٢) ، ومعرفة تامة بفنون الفروسية وأنواع اللاعيب ، كالرمح

---

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (عره) .
(٤) كلمة (ابن عبد الله) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) انظر ما يلى لتفسير هذه الكلمة .
(٦) فى ا (صفد) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .
من (٧) إلى (١٠) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(١١) فى ا (ودها) .
(١٢) فى ا (وقرات) .

والنّشاب وغيره ، وكان يكتب المنسوب ويحفظ القرآن . وكانت نفسه تحدثه بأمور ، فإنه كان يكثر من ذكر أخبار تيمور لنك وشدة بأسه لكونه كان أعرج(١) ، وقد صار أمره إلى ما صار ، وهو الذى حسّن [للملك](٢) الأشرف الاستيلاء على بندر جدة ، والقبض على حسن بن عجلان ، ولو عاش لحسّن له أخذ اليمن كله(٣) . وتولى الأتابكية بعده الأمير جارقُطْلُو [٥٤] الظاهرى(٤) .

وتوفى بدر الدين حسن كاتب سر دمشق وناظر جيشها ، بها ، فى يوم الأربعاء لستٍّ بقين من جمادى الآخرة ؛ وكان أصله من سَمَرة دمشق ، وخدم عند الأمير بَكْتَمُر جِلّق نائب دمشق ، ثم ترقّى إلى أن جمع له بين كتابة سر دمشق ونظر جيشها ، بسفارة الأمير أَزْبَك المحمدى الدوادار الكبير ، كون أَزْبَك كان متزوجا ببنت زوجته .

وتوفى الشيخ الإمام العالم المفنن شمس الدين محمد بن عبد الدائم بن موسى البرماوى الشافعى ، أحد فقهاء الشافعية ومدرس المدرسة الصلاحية بالقدس الشريف ، فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة وقد أناف على ستين سنة ، بعد ما أفتى وأشغل عدة سنين .

وتوفى القاضى بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد البُرْدَيْنى الشافعى أحد نواب القضاة الشافعية(٥) ، فى يوم الاثنين خامس عشرين [شهر](٦) رجب وقد أناف على الثمانين سنة ، وكان قاضى سوء لم يُشْهَر بعلم ولا دين .

أمر النيل [فى هذه السنة](٧) : الماء القديم ثلاثة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة : عشرون ذراعاً سواء .

---

(١) فى ا (اعرجا) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (أحد نواب الحكم الشافعى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .
(٦) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الثامنة من سلطنة[1] الملك الأشرف

برسباى [على مصر][2]

وهى سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة :

[فيها][3] توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارَنْبارى[4] الشافعى أحد فقهاء الشافعية ، فى ليلة الأحد حادى عشر [شهر][5] ربيع الأول ، وقد أناف على التسعين سنة ، وكان بارعا فى الفقه وأصوله والعربية والحساب مشاركا فى عدة فنون ، وخطب ودرّس وأفتى وأقرأ عدة سنين بدمياط والقاهرة .

وتوفى القاضى نور الدين على الصَّفَّطى وكيل بيت المال وناظر الكسوة ، فى ليلة الثلاثاء سلخ جمادى الآخرة ، وكان يباشر الشهادةَ بديوان العلائى آقْبَغَا التَّمْرازى أمير مجلس ، وعند أستاذه تِمْراز من قبله .

وتوفى الشريف عجلان بن نُعَيْر بن منصور بن جَمَّاز بن منصور بن جماز بن حمّاد ابن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنأ بن حسين بن مهنأ بن داود بن قاسم بن عبد الله ابن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، مقتولا فى ذى الحجة ، بعدما ولى إمارةَ المدينة النبوية غيرَ مرة .

وتوفى الأديبُ المعتقد نور الدين على بن عبد الله الشهير بابن عامرية ، فى يوم

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (ولاية) والمثبت عن ا .
(٢) ، (٣) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) بارنبار بليدة قرب دمياط على خليج آشموم ، وهى مكتوبة كما ينطقها عوام مصر ، إلا أنها تكتب فى الدواوين «بِيَنُوْ نَبَارَة» (ياقوت : معجم البلدان حـ ١ ص ٣٤ ؛ رمزى : القاموس الجغرافى حـ١ ص ١٤٠) .

الخميس سادس عشر [شهر][(١)] ربيع الآخر بمـــدينة النحريرية بالغربية من أعمال القاهرة ؛ وكان شاعرا أديبا مُكثراً ، وأكثر شعره فى المدائح النبوية .

وتوفى الواعظ المُذَكِّر شهابُ الدين أحمد بن عمر بن عبد الله المعروف بالشابّ التائب بدمشق ، فى يوم الجمعة ثانى عشر [شهر][(٢)] رجب عن نحو سبعين سنة ؛ وكانت لديه فضيلة ، ورحل إلى البلاد ، وصحب المشايخ ، ونظم الشعر على قاعدة الصوفية ، وحصل له قبول تام من الناس .

وتوفى العبد الصالح شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الصوفى ، بعد ما عمى بسنين ، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم ، ومولده فى سنة تسع وأربعين .

قال المقريزى : وهو أحد من صَحِبته من أهل العبادة والنسك ، ورأسَ مدةً ، واتصل بالملك الظاهر برقوق ، ووَلِى نظرَ البيمارستان المنصورى بالقاهرة ، وجال فى الأقطار ورحل إلى بغداد والحجاز واليمن والهند رحمه الله تعالى[(٣)] .

وتوفى الأمير شمس الدين محمد بن سعيد المعروف بسويدان ، أحد أئمة السلطان ، فى يوم الاثنين سابع صفر ؛ وكان أبوه عبداً أسودَ ، سكن القرافة ووُلد له ابنه هذا ، وحفظ القرآن الكريم وقرأ مع الأجواق فأعْجبَ الملكَ الظاهر برقوق صوته فجعله أحد أئمته ، واستمر على ذلك إلى دولة [الملك][(٤)] الناصر فرج فولاه حسبة القاهرة ، ثم عزله بعد مدة فعاد كما كان أولا ، يقرأ فى الأجواق عند الناس ويأخذ الأجرة على ذلك ، وصار رئيس جوقة واستترأتُه[(٥)] أنا كثيراً ، وكان أسودَ اللون طوالا .

وتوفى الشيخ المعتقد [محمد بن عبد الله بن حسن بن الموّاز فى يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول][(٦)] .

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) كلمة (تعالى) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (واستقريته) .
(٦) ما بين الحاصرتين مستدرك بهامش ا .

[وتوفى] (١) الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله(٢) الشَّطَنُوفى الشافعى فى ليلة الاثنين سادس عشرين [شهر](٣) ربيع الأول وقد قارب الثمانين ، وبرع فى الفقه والفرائض وغير ذلك ودرّس عدة سنين وانتفع به جماعة كبيرة من الطلبة .

وتوفى القاضى بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مُزْهِر الدمشقى النابلسى كاتب السر [٥٥] الشريف بالديار المصرية ، بها ، فى ليلة الأحد سابع عشرين جمادى الآخرة عن نحو الخمسين سنة ؛ وكان من بيت رئاسة ، وَلِى أبوه كتابةَ سر دمشق ، وباشر بدرُ الدين هذا كتابة الإنشاء بدمشق ، واتصل بخدمة الأمير شيخ المحمودى نائب دمشق .

فلما قدم شيخ إلى مصر بعد قتل [الملك](٤) الناصر فرج ، قدم ابن مُزْهِر هذا معه مع من قدم من الشاميين ، ولما تسلطن شيخ ولّاه نظر الإسطبل السلطانى فدام على ذلك سنين ، ثم ناب عن القاضى كمال الدين محمد بن البارزى فى كتابة السر ، وقام بأعباء الديوان فى أيام علم الدين داوْد بن الكُوَيز ومَن بعده ، إلى أن خلع عليه [السلطان الملك](٥) الأشرفُ بَرْسباى باستقراره كاتبَ السر [الشريف](٦) بالديار المصرية ، فباشر الوظيفة بحرمة وافرة ، وأثرى(٧) وكثر ماله ، إلى أن مات فى التاريخ المذكور . قال : وخلف مالا كثيراً لطمع كان فيه وشح .

وتوفى الشريف خَشْرَم بن دُوغَان(٨) بن جعفر بن هبة الله بن جَمّاز بن منصور بن جَمّاز بن شيحة الحسينى ، أمير المدينة ، مقتولا أيضا فى حرب فى ذى الحجة .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم خمسة أذرع وسبعة أصابع ، مبلغ الزيادة : تسعة عشر ذراعا وستة عشر أصبعا .

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) كلمة (ابن عبد الله) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
من (٤) إلى (٦) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (وأثرا) .
(٨) فى ا (دوقان) وفى طبعة كاليفورنيا (دوغان ودوتان) ، والمثبت بالمتن هو الصواب عن عقد الجمان (حـ ٢٢ ق ٤ ورقة ٦٢٥) .

السنة التاسعة من سلطنة[1] [الملك][2] الأشرف

برسباى [على مصر][3]

وهى سنة ثلاث وثلاثين [وثمانمائة] :[4]

فيها كان الطاعون العظيم الذى لم نُدرك بمثله بمصر وقراها ، بل وبغالب البلاد الشامية ، حسبما ذكرناه فى ترجمة [الملك][5] الأشرف هذا فى وقته .

وكان هذا الطاعون أعظم من هذه الطواعين كلها وأفظعها ، ولم يقع بالقاهرة ومصر بعد الطاعون العام الذى كان سنة تسع وأربعين وسبعمائة[6] نظير هذا الطاعون ؛ وخالف هذا الطاعونُ الطواعين الماضية فى أمور كثيرة ، منها أنه وقع فى الشتاء وارتفع فى فصل الربيع ، وكانت الطواعين تقع فى فصل الربيع وترتفع فى أوائل الصيف ، وأشياء غير ذلك ذكرناها فى محلها[7] .

[وفيها][8] توفى القاضى شرف الدين أبو الطيب محمد ابن القاضى تاج الدين

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (ولاية) .

من (٢) إلى (٥) ، (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) كان هذا الطاعون الذى أشار إليه ابن تغرى بردى فى المتن ، زمن السلطان الناصر حسن فى الدولة المملوكية الأولى ، ووقع سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ، وكان مروعا ، حتى قيل إنه كان « يخرج من القاهرة فى كل يوم ما ينوف عن عشرين ألف جنازة ، وقد ضبط فى شهر شعبان ورمضان ، فبلغ عدة من مات فيهما من الناس ، نحو تسعمائة ألف إنسان ، وكادت مصر أن تخرب فى تلك السنة ، ووقع الطعن أيضا فى القطط والكلاب والوحوش ؛ ولقد شوهد كثير من الوحوش وهى مطروحة فى البرارى ، وتحت إبطها الطواعين ، وكذلك الخيل والجمال والحمير وسائر الحيوان ، حتى الطيور مثل النعام وغير ذلك» (انظر بدائع الزهور حـ١ ص ١٩٠-١٩١) .

وفى هذا الطاعون يقول الصلاح الصفدى :

لما افترست أصحابى يا عام تسع وأربعينا
ما كنت والله تسعا بل كنت سبعًا يقينا

وتبارى الشعراء فى وصفه ، ويبدو أن هناك مبالغة فى تقدير عدد من ماتوا بهذا الطاعون .

(راجع المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ص ١٧ وما يليها) .

(٧) الفقرة من أول عبارة (وكان هذا الطاعون) حتى كلمة (محلها) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

عبد الوهاب بن نصر الله الفَزّى الأصل، المصرى، في ليلة الأربعاء سابع عشر ربيع الأول، ودفن بالصحراء، ومات بغير الطاعون[1]؛ ومولده في ليلة السبت حادى عشرين ذى القعدة سنة سبع وتسعين وسبعمائة، ونشأ بالقاهرة واشتغل يسيراً وخدم الأميرَ ططَر مُوَقِّعاً[2] عدةَ سنين، فلما تسلطن رشحه لنظر الجيش فلم يتم له ذلك، ووَلِى نظرَ الكسوة، ونظر أوقاف الأشراف، ثم نظر دار الضرب إلى أن مات. وكان شابا كريما وفيه محبة لأهل العلم والفضل[3] والصلاح، إلا أنه كان فيه حدة[4] مزاج وبادرة مع تدين وتحشُّم.

وتوفى الأمير سيف الدين أُزْبَك [بن عبد الله][5] المحمدى الظاهرى برقوق[6] الدوادار الكبير، بالقدس بطَّالا، في يوم الثلاثاء سادس عشر [شهر][7] ربيع الأول؛ وهو أحد المماليك الظاهرية [برقوق][8] وترقَّى إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بدمشق، ثم قبض عليه [الملك][9] المؤيد شيخ بعد واقعة نَوْرُوز وحبسه سنين، إلى أن أطلقه في أواخر دولته، وأنعم عليه بإقطاع هيِّن بدمشق أميرَ عشرة.

فلما أن صار الأمر إلى [الأمير][10] ططَر أنعم عليه بإمرة طبلخاناة بديار مصر، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف، ثم رأس نوبة النُّوب بعد الأمير قصروه [من تِمْراز][11] في

---

(١) في طبعة كاليفورنيا (طاعون) بدون ال التعريف ، ولا فرق يذكر . وأورد بن إياس بعض أخبار هذا الطاعون (٨٣٣ هـ) ، فقال : « وكانت قوة عمله في الغرباء والأطفال والمماليك والعبيد والجوارى ، فمات فيه من الناس مالا يحصى عددهم ، حتى قيل : انتهى من مات في يوم واحد إلى أربعة وعشرين ألف جنازة ؛ حتى ضج الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضا ، وفي ذلك يقول القائل :

قد نقص الطاعون ثلث الورى ... وأهلك الوالد والوالدة

كم منزل كالشمع سكانه ... أطفأهموا في نفخة واحدة

(بدائع الزهور جـ٢ ص ١٨-١٩) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٢٧ فيما سبق .

(٣) في طبعة كاليفورنيا تقديم كلمة عن أخرى ما لا يغير في المعنى شيئا ، والمثبت عن ا .

(٤) هذه الكلمة ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٥) ، ومن (٧) إلى (١١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) كلمة (برقوق) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

أوائل الدولة الأشرفية ، ثم نقل إلى الدوادارية الكبرى بعد سُودون من عبد الرحمن ، لما نقل إلى نيابة دمشق بعد عصيان تَنْبَك البجَاسى ، فدام فى الدوادارية إلى أن أشيع عنه أنه يريد الوثوب على السلطان ، ولم يكن لذلك صحة ، فأخْرَجَه السلطان إلى القدس بطّالا ، ومُسْفِّره الأمير قَرَاخُجا الحسنى رأس نوبة ، فدام بالقدس إلى أن مات .

وكان أميرا ضخماً عاقلا حشما مهابا دينا عفيفاً عن المنكرات والفروج ، خليقا للإمارة ، وهو أحد من تولى تربيتى رحمه الله [تعالى](١) ، ولقد كان به تجمُّل فى الزمان وأهله .

وتوفى القاضى كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جَكَمَ ، ناظر الخاصّ [الشريف](٢) فى ليلة الجمعة العشرين من [شهر](٣) ربيع الأول بغير طاعون ودفن بالقرافة ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمصلاة المؤمنى ؛ وتولى ابنُه القاضى [٥٦] سعد الدين إبراهيم وظيفةَ نظر الخاص من بعده ، وقد تطاول أعناق بنى نصر الله وغيرهم إلى الوظيفة فلم يلتفت السلطانُ إلى أحد ، وولاها لسعد الدين المذكور .

وكان القاضى كريم الدين المذكور رئيساً حشما متواضعا كريما بشوشا هيِّنا ليِّنا ساكتا عاقلا ، باشر فى ابتداء أمره استيفاء الدولة(٤) ، ثم نظر الدولة(٥) ، وغيرهما من خدم أعيان الأمراء ، آخرهم [الملك](٦) الأشرف بَرْسْباى ، إلى أن طلبه [السلطان الملك](٧) الأشرف وولاه نظر الخاص [الشريف](٨) بعد عزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله عنها ، واستقراره أستادارًا ، فى يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الأولى سنة

من (١) إلى (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) وظيفة استيفاء الدولة يتولاها موظف يلقب باسم «مستوفى الدولة» وهو من كتاب الأموال بالدواوين ، وعمله كما يصفه القلقشندى : «ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك» (السلوك ﺟ١ ص ١٩٢ حاشية ١)

(٥) وظيفة «نظر الدولة» يتولاها موظف يعرف باسم «ناظر الدولة» أو «ناظر الدواوين» ، وعمله مشاركة الوزير فى التصرفات عامة ، وكذلك النظر فى المالية وأرزاق أصحاب القلم من الموظفين خاصة ، وتشمل تصرفاته سائر شئون الدولة بمصر والشام ، ويطلق عليه أحيانا لقب «ناظر النظار» أو «الصاحب الشريف» ومقره ديوان النظر (انظر السلوك ﺟ١ ص ٥٣ حاشية ٤) .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا

ثمان وعشرين وثمانمائة ، وكان ذلك آخر عهد بنى نصر الله بهذه الوظيفة . واستقر فى نظر الدولة من بعده أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم .

وباشر القاضى كريم الدين الوظيفة بحرمة وافرة ، ونالته السعادة وعظم فى الدولة وأثرى ، ومشى حال الخاص فى أيامه ، حتى قيل إنه منذ وَلِى الخاص إلى أن توفى لم يبطل الواصل عنه يوماً واحداً ، مبالغةً فى إقبال سعده وتيامُن الناس بولايته ، ومات من غير نكبة [رحمه الله تعالى][1] .

وتوفى الأمير [سيف الدين][2] كَمُشْبُغَا بن عبد الله القيسى المزوّق الظاهرى منفياً بدمشق ، فى رابع عشر [شهر][3] ربيع الآخر وقد ناهز الستين سنة من العمر ؛ وأصله من مماليك [الملك][4] الظاهر برقوق ، ورقاه [الملك][5] الناصر فرج إلى أن جعله أميرَ آخور كبيراً مدة يسيرة ، ثم عزله [الملك][6] الناصر أيضاً ، ثم وقع له أمور وانحطّ قدره فى دولة [الملك][7] الأشرف بَرْسْباى ، وتولى كشف البَر ، وساءت[8] سيرته من كثرة ظلمه وقلة دينه مع الإسراف على نفسه ؛ وفى الجملة فمُستراحٌ منه ومن مساوئه .

وتوفى السيد الشريف على بن عنان بن مغامس بن رُمَيْثة ، تقدّم أن اسم رميثة منجد بن أبى نُمَىّ ، وقد ذكرنا بقية نسبة فى ترجمة الشريف حسن بن عجلان وغيره ، [فليُنظر هناك][9] . وكانت وفاته بقلعة الجبل فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة بالطاعون ، وكانت لديه فضيلة ، ويذاكر[بـ][10]الشعر وغيره .

وتوفى الأمير الكبير سيف الدين بَيْبُغَا بن عبد الله المظفَّرى ، وهو أمير مجلس ، فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الآخرة بالطاعون ، وهو أحد أعيان المماليك الظاهرية

من (١) إلى (٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا « مات » .
(٩) ، (١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

[برقوق](١) وممن ترقى فى الدولة الناصرية [فرج](٢) حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ، وصـــار من يوم ذاك(٣) ينتقل فى الإمرة(٤) والحبوس شاماً ومصراً وإسكندريةً ، فـكان حاله أشبه بقول القائل : [المتقارب]

[و](٥) يومٍ سمينٍ ويومٍ هزيلٍ
ويومٍ أمَـــــرّ من الحنظله
وليـــلٍ(٦) أبيتُ جليسَ الملوك
وليـــلٍ(٧) أبيتُ على مَزْبــلَه

إلى أن خلع عليه الأشرفُ [بَرْسْباى](٨) باستقراره أتابكَ العساكر بالديار المصرية بعد الأمير طَرَبَاى ، فأقام على ذلك نحو ثلاث سنين أو دونها ، وقَبض عليه [الملكُ](٩) الأشرف وحبسه أيضاً بالإسكندرية ، وذلك لبادرة كانت فيه ، ومخاشنة فى كلامه مع الملوك ، مع سلامة الباطن ، ولذلك كان كثيراً ما يُحبس ثم يُفرج عنه .

وقد تقدم التعريفُ بحاله عندما أمسكه [الملكُ](١٠) الأشرفُ(١١) فى أصل ترجمة الأشرف(١٢) مستوفاةً ، فدام بَيْبُغَا المذكور فى السجن مدة طويلة ، ثم أطلقه السلطانُ(١٣) وسيّره إلى دمياط بطّالاً ، ثم نقله إلى القدس فلم تطل مدته ، وطلبه السلطان(١٤) وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وخلع عليه باستقراره أميرَ مجلس . ولما وَلى إمرةَ مجلس ، صار يقعد على ميسرة السلطان فوق أمير سلاح ، مراعاةً لما سبق له من الرئاسة من الأتابكية وغيرها ، وكون أمير سلاح كان الأمير إينال الجَـكَمى

(١) ، (٢) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (ذلك) ، ولا فرق يذكر .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (الأمر)
(٦) ، (٧) فى ا (ليلا) .
من (٨) إلى (١٠) عن طبعة كاليفورنيا .
(١١) ، (١٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(١٣) ، (١٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

ـــ أحد السَّيْفِيَّة (١) ـــ ينظره في عينه أنه مملوكُ بعض خُجْداشِيَّته (٢) . وكان يَبْبَغا (٣) أميراً جليلا شجاعاً مهاباً مقداما ، مع كرم وسلامة باطن وفحش في خطابه ، [من غير سفه على عادة جنس الأتراك ، ومع هذا كله كان فيه دعابة حلوة يُحْتَمَل بها فحش خطابه وانحرافه] (٤) ، وهو أعظم من رأيناه من الملوك في أبناء جنسه [رحمهُ الله] (٥) .

وتوفى الأمير سيف الدين يردبك [السيفى] (٦) يَشْبك بن أَزْدَمُر المعروف بالأمير آخور ، وهو أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية في يوم الأحد (٧) عاشر جمادى الآخرة بالطاعون ، وهو في الكهولية ، وكان (٨) خدم بعد موت أستاذه يَشْبك ابن أَزْدَمُر [٥٧] عند (٩) الأمير طَطَر وصار أميرَ آخوره ، فلما تسلطن ولّاه الأميرَ آخوريةَ الثانية بإمرة طبلخانة دفعةً واحدة ، ودام على ذلك سنين إلى أن نقله [الملك] (١٠) الأشرف إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ؛ فدام على ذلك إلى أن مات . وكان شابا أشقرَ مليح الشكل حلو الوجه معتدل القامة عاقلا حشما ساكتا كريما متواضعا وقوراً ، قل أن ترى العيون مثله ، وهو والد صاحبنا الزينى فرج ابن يُرْدبك أحد الحجاب بالديار المصرية .

---

(١) السيفية : هم إحدى الفرق الثلاث التى تتكون منها فرق المماليك السلطانية . وهؤلاء السيفية هم المنسوبون للأمراء مقدمى الألوف ، إلا أنهم نقلوا إلى الديوان السلطانى لسبب من أسباب النقل كوفاة أستاذهم أو نفيه أو قتله . ومن أمثلة السيفية : الجكمية نسبة للأمير جكم والنوروزية نسبة للأمير نوروز . والفرقتان الأخريان من المماليك السلطانية : المشتروات أو الجلبان أو الأجلاب ، والمماليك السلطانية المنسوبون للسلطان السابق . وهؤلاء جميعا يقيمون بطباق القلعة وهم أصحاب الجوامك والرواتب مشاهرة على وجه العموم (زبدة كشف الممالك ص ٢٧ ؛ خطط جـ٢ ص ٢١٣-٢١٤) .

(٢) الخجداش أو الخشداش : معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش ، بمعنى الزميل ، والخشداشية فى عصر المماليك هم الذين نشأوا عند أستاذ واحد ويقابلها فى الفرنسية camarades ؛ ومن القواعد المعروفة عند المماليك أن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده (السلوك ١ ص ٣٨٨ حاشية ١)

(٣) فى ا (يلبغا) .

من (٤) إلى (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٨) هذه الكلمة مطموسة غير واضحة فى ا والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) مكان هذه الكلمة بياض فى ا والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

وتوفى المقامُ الناصرى محمد ابن السلطان [الملك](١) الأشرف بَرْسْباى [صاحب الترجمة](٢) فى يوم الثلاثاء سادس عشرين جمادى الأولى بالطاعون وقد ناهز الاحتلام، ودفن بمدرسة والده الأشرفية بخط العَنْبَريين من القاهرة ، وأمه خَوَنْد فاطمة من أولاد تجار القِرْم(٣) ، وكانت قبل [الملك](٤) الأشرف تحت أستاذه الأمير دُقْماق المحمدى .

وكان المقام الناصرى [المذكور](٥) من أحسن الناس شكلا ، تظهر فيه مخايل النجابة والسكون والعقل .

وتوفى المقامُ الناصرى محمد ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن [السلطان الملك الظاهر](٦) برقوق ابن [الأمير](٧) أنَص [الجاركسى](٨) بسجن الإسكندرية فى يوم الاثنين حادى عشرين جمادى الآخرة بالطاعون ، وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، وأمه أم ولد مولَّدة تسمى عاقولة ، ودفن بالإسكندرية ثم نقل منها إلى تربة جده بالصحراء فيما أظن .

وتوفى الشيخُ الإمام العالم العلامة ، فريد عصره ووحيد دهره ، نظام الدين يحيى ابن العلامة سيف الدين يوسف بن محمد بن عيسى السيرامى الحنفى شيخ الشيوخ بالمدرسة الظاهرية البرقوقية ، فى جمادى الآخرة(٩) بالطاعون ، وتولى مشيخةَ الظاهرية من بعده ولدُه عضدُ الدين عبد الرحمن، أخذها عن أبيه ، وكان أبوه أخذها عن أبيه أيضا . وكان الشيخ نظامُ الدين إماماً مفنناً بارعاً فى المعقول والمنقول عارفا بالنطوق والمفهوم ، مشاركا فى فنون كثيرة ، وأفتى ودرَّس وأشغل سنين عديدة إلى أن مات .

وتوفى السلطانُ الملك الصالح محمد ابن [السلطان](١٠) الملك الظاهر طَطَر ، والسلطانُ الملك

---

(١) ، (٢) ومن (٤) إلى (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (القوم) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (الآخر) .
(١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

المظفرُ أحمد ابن [السلطان] [١] الملك المؤيد شيخ ، والخليفةُ المستعين بالله العباسى ، الثلاثةُ بالطاعون ، كلاهما فى إسكندرية ، والصالح بقلعة الجبل ، وقد تقدم ذكر ذلك فى ترجمتهم غير أننا ذكرناهم هنا فى[٢] جملة من مات بالطاعون ، ولهذا لم يحرر يوم وفاتهم لأنه تقدم [— انتهى][٣].

وتوفى الأمير الطواشى زين الدين مَرْجان[٤] الهندى المسلمى خازندار [الملك][٥] المؤيد شيخ بالطاعون فى سادس جمادى الآخرة ، وكان أصله من خدام التاجر ابن مسلم المصرى[٦] ، ثم اتصل بخدمة [الملك][٧] المؤيد شيخ[٨] أيام إمرته واختص به ، فلما تسلطن جعله خازنداراً ، ثم أمره بالتكلم فى وظيفة نظر الخاص عوضا عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصرالله فتكلّم عليها أياماً . ومات المؤيد ، وأعيد ابنُ نصر الله ، ثم ولّاه الأمير طَطَر زماماً بعد[٩] أن قبض عليه بدمشق ، ثم أطلقه ، فدام فى وظيفة الزمامية إلى أن عزله [الملك][١٠] الأشرف بَرْسْباى ونكبه وصادره[١١] فتُحُومل[١٢] ولزم داره إلى أن مات . وكان من المُهْمَلين أرباب الحظوظ .

وتوفى الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الوزير

---

(١) ، (٣) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (من) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (كافور) والمثبت هو الصواب عن ا ؛ وقد أشار پوپر إلى الاسم الصواب بالهامش لكنه لم يثبته بالمتن . (انظر النجوم الزاهرة – طبعة كاليفورنيا – جـ٦ ص ٥١٤ ، ٥٤٣) وورد اسم مرجان الهندى فى مواضع كثيرة – فى طبعة كاليفورنيا – فمثلا ورد فى ص ٥١٤ من الطبعة المذكورة : أنه فى سنة ٨٢٤ م خلع السلطان على الطواشى مرجان الهندى الخازندار باستقراره زماماً ، وفى ص ٥٤٣ : قبض على الطواشى مرجان الهندى وهكذا .. أما الأمير كافور الهندى فهو شخص آخر ، كان من خدام الملك الناصر محمد بن قلاوون فى الدولة المملوكية الأولى وتولى الزمامية للسلطان حسن ومات سنة ٧٨٦ هـ – ١٣٨٤ م (انظر ابن إياس : بدائع الزهور جـ١ ص ٢٦٢) .

(٦) فى ا (المصراتى) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) ، (١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٩) فى ا (بعض) .

(١١) فى ا (صادر) .

(١٢) فى ا (فحومل) .

تاج الدين عبد الرزّاق بن أبى الفرج ، بعد ما عزل عن الأستادارية ، فى يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة بالطاعون ، ودفن على أبيه بمدرسته ببين السورين[١] خارج القاهرة . وكان شابًّا جميلا عاقلا ساكنا قليل الشر بالنسبة إلى آبائه وأقاربه ، كثير الشر بالنسبة إلى غيرهم . باشر الأستادارية بقِلّة حرمة وعدم التفات أهل الدولة إليه ، وقاسى فى مباشرته خطوبَ الدهر ألوانًا من العجز والقلّ وبيع موجوده وأملاكه ، إلى أن أعفى فلم تطل أيامه ومات .

وتوفى السيد الشريف شهاب الدين أحمد[٢] بن علاء الدين على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى الدمشقى ، كاتب السر الشريف بالديار المصرية ، فى ليلة الخميس ثامن جمادى الآخرة بالطاعون ، ومولده فى شوال سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق وبها نشأ ، وتولى عدة وظائف بدمشق مثل كتابة السر [٥٨] وقضاء الشافعية ونظر الجيش ، ثم طُلب إلى مصر ووَلى كتابةَ سرها فلم تطل أيامه ومات .

وتولى أخوه الشريف عماد الدين أبو بكر كتابةَ السر من بعده ، فركب إلى القلعة ثم مرض من يومه قبل أن يلبس خلعة كتابة السر ، ومات بالطاعون أيضا فى ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رجب ولم يبلغ الأربعين سنة ، وكان أحسن سيرةً من أخيه شهاب الدين صاحب الترجمة .

وتوفى السيد الشريف سرداح بن مقبل بن نخبار[٣] بن مقبل بن محمد بن راجح ابن إدريس بن حسن بن قتادة بن إدريس ، ومن هنا يُعرف نسبه من نسب حسن ابن عجلان ؛ مات فى أواخر جمادى الآخرة بالطاعون .

وتوفى الأمير الطواشى افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الأَرْغُونى[٤] شاوى الحبشى مقدم المماليك السلطانية بالطاعون ، فى يوم الاثنين ثانى [شهر][٥] رجب

(١) فى ا (الصورين) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (نحبار)
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (الأرغون) والمثبت عن ا (انظر ما يلى) .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

ودفن بتربته التي أنشأها بالصحراء ، وتولى عوضَه التقدمةَ نائبُه خُشْقَدَم اليَشْبكي الرومي، وتولى نيابةَ المقدم الطواشي فيروز الركني الرومي الجدار . وأصل ياقوت هذا من خدام الأمير أَرْغُون شاه أمير مجلس الظاهر برقوق ، تنقل في الخِدم إلى أن صار مقدم المماليك السلطانية ، وكان دينًا خيِّراً جميل الطريقة محمود السيرة ، سافر أميرَ حاجّ المحمل مرتين رحمه الله تعالى .

وتوفي الأمير سيف الدين يَشْبك بن عبد الله أخو الملك الأشرف بَرْسْباى في رابع [شهر][1] رجب بالطاعون ودفن بالتربة الأشرفية ، بعد أن صار من جملة أمراء الألوف أياما ؛ فإن السلطان كان أنعم عليه في أول قدومه إلى مصر في حدود سنة ثلاثين وثمانمائة بإمرة طبلخاناة دفعة واحدة ، فدام على ذلك إلى أن توفي الأمير بردبك الأمير آخور المقدم ذكره بالطاعون ، فأنعم[2] على يَشْبك هذا بتقدمته فمات هو أيضا بعد أيام ، وقد تقدم في أصل ترجمة [الملك][3] الأشرف ذكر هذا الطاعون وعِظمه ، وأنه كان ينتقل على الإقطاع الواحد الخمسةُ والستةُ من المماليك في مدة يسيرة ، والكل يموتون[4] بالطاعون [— انتهى][5] .

وأظن يَشْبك[6] أنه كان أسَنَّ من السلطان الأشرف ، فإنه لما استقدمه من بلاده مع جملة أقاربه[7] قام له واعتنقه ، وعرض عليه الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، وكان لا بأس به في أمثاله مع قصر مدة إقامته بالديار المصرية .

وتوفي الشيخ نصر الله بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل العجمي الحنفي ، في ليلة الجمعة سادس [شهر][8] رجب وهو في عشر الثمانين . وكان جميل الهيئة مقربا من خواطر الملوك ، ورشح لكتابة السر ، وكان يكتب المنسوب ويتكلم في علم التصوف

---

(١) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) في ا (أنعم) .
(٤) في ا (يموتوا) .
(٥) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) ، (٧) ما بين هذين الرقمين ساقط في طبعة كاليفورنيا .

على طريق ابن عربى ، ويعرف علم الحَرْف[١] على زعمه ، مع مشاركة فى فنون ، وصحب الوالدَ مدة ، وهو الذى نوه بذكره وأنعم عليه بِرِزْقَةٍ[٢] هائلة ، وهى التى[٣] أوقفها نصرُ الله المذكور على داره التى[٤] جعلها بعد موته مدرسةً بالقرب من خان الخليلى بالقاهرة .

وتوفى القاضى فخر الدين ماجد — ويدعى أيضا[٥] عبد الله بن السَّديد أبى الفضائل بن سناء الملك — المعروف بابن المزوّق ، فى ليلة الخميس ثانى عشر [شهر][٦] رجب ، بعد أن تولى نظرَ الجيش ، ثم كتابة السر بالديار المصرية فى دولة [الملك][٧] الناصر فرج ، بسفارة سعد الدين إبراهيم بن غراب ، ثم عزل وتولى نظر الإسطبل

---

(١) راجع حاشية ٨ ص ١٤١ .

(٢) الرزقة ، والرزق أصلا : هى الأطيان التى يمنحها الخلفاء والسلاطين إلى بعض الناس بمقتضى حجج شرعية ، رزقةً بلا مال ، أى معفاة من الضرائب ، وتعرف هذه الأراضى باسم الرزق أو أراضى رزقة . وقد كثرت زمن المماليك ، وروعى فى التوزيع الإقطاعى ، استثناؤها من المساحات المقطعة ، كأن يقال : بإقليم الشرقية مدينة الدحمون من كفور العلاقمة ، مساحتها ١٤٩٠ فدانا بها رزق ٦٠ فدانا ، وهى من إقطاع الأمير يشبك ، وطلخا بالغربية مساحتها ٦٢٠ فدانا ، بها رزق ٢٥ فدانا ، وهكذا .

وقد تنحل هذه الرزق عن أصحابها بعد وفاتهم وتعود إلى الدولة ، كما فعل الناصر محمد بن قلاوون خلال الدولة المملوكية الأولى ، عندما ارتجع الرزق من واضعى اليد عليها ، وهى التى كانت بيد بيبرس الجاشنكير وصحبه . ويعرف الموقوف منها باسم « الرزق الإحباسية » . وقد بلغت الرزق الإحباسية على عهد الناصر محمد بن قلاوون ١٣٢ ألف فدان ، ويشرف عليها دوادار السلطان ومعه ناظر الأحباس الملقب بناظر « الأحباس المبرورة » . ويقال إن أول من دوّن فى مصر ديوانا للأحباس الإمام الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١ م) ، إذ أفرد لها ديوانا مستقلا عن ديوان الجيش . وتعرضت الرزق — الموقوف منها وغير الموقوف — للحل والإقطاع أكثر من مرة خلال عصر المماليك ، ووقعت محاولات لحلها فى مطلع العصر العثمانى فى مصر .

(انظر التحفة السنية لابن الجيعان ص ١٧—١٨ ، ٨٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ؛ النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٥٣—٥٤ ؛ خطط جـ ٢ ص ٢٩٤—٢٩٦ ؛ صبح الأعشى جـ ٦ ص ٣٨ ؛ بدائع الزهور جـ ٣ ص ٣٠٤—٣٠٥ ؛ السلوك (مخطوط) جـ ٣ ص ١٥ ؛ ابن نجيم : رسالة فى بيان الإقطاعات وحلها ومن يستحقها ص ٢٣٩ ؛ الصفتى : عمية الرحمن فى صحة إرصاد الجوامك والأطيان ص ٢٢٠) .

(٣) ، (٤) فى ا (الذى) .

(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) ، (٧) عن طبعة كاليفورنيا .

السلطانى ثم عزله عنه أيضاً ، وانحطّ قدره فى الدولة إلى أن نكبه [السلطان][(١)] الملك الأشرف وأمسكه وضربه بالمقارع بسبب الأتابك جانِبك الصوفى ، وقاسى بسببه أهوالا[(٢)] ثم لزم دارَه على أقبح حالة من الخوف والرجيف إلى أن مات .

وتوفى الشيخ الإمام العالم الفقيه زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات القِمنى[(٣)] الشافعى العالم المشهور ، فى ليلة الجمعة ثالث عشر [شهر][(٤)] رجب بالطاعون عن ثمانين سنة ؛ وكان من أعيان فقهاء الشافعية وفضلائهم ، وله سمعة وصيت وتّرداد للأكابر ، وأفتى ودرّس بعدة مدارس سنين [كثيرة] [(٥)] .

وتوفى الأمير سيف الدين هابيل بن عثمان الدعو قَرَايُلُك بن طُرْعَلى التركمانى الأصل بسجنه بقلعة الجبل ، فى يوم الجمعة ثالث عشر [شهر][(٦)] رجب المذكور . وكان قُبض على هابيل [٥٩] هذا وهو نائب لأبيه قَرَايُلُك بمدينة الرُّها فى واقعة بين العساكر المصرية وبينه ، حسبما تقدم ذكره كله فى أصل هذه الترجمة . ولما قُبض عليه حُمل إلى القاهرة فحبسه [الملك] [(٧)] الأشرف بالبرج بقلعة الجبل ، إلى أن مات بالطاعون بعد أن سأل أبوه السلطانَ فى إطلاقه غيرَ مرة .

وتوفى الشيخ الإمام العالم العلامة صدر الدين أحمد ابن القاضى جمال الدين محمود ابن محمد بن عبد الله القَيْصَرِى الحنفى المعروف بابن العجمى ، شيخ الشيوخ بخانقاه شيخون ، فى يوم السبت رابع عشر [شهر][(٨)] رجب بالطاعون ، بعد أن وَلى نظرَ

(١) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (أهوال) .

(٣) القمنى نسبة إلى قرية قمن بمصر الوسطى ، ونسب إليها جماعة من أهل العلم ، وهى المعروفة حاليا باسم قمن العروس مركز الواسطى ببنى سويف (ياقوت : معجم البلدان ج٧ ص ١٦١ ؛ الدليل الجغرافى لمصلحة المساحة ص ٦٣) .

(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

من (٦) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .

جيش دمشق وحِسبةَ القاهرة غيرَ مرة ، وعدة وظائف دينية ، ودرّس بعدة مدارس آخرها إستقراره فى مشيخة الشيخونية وتدريسها . وكان إماماً بارعاً فاضلا فقيها نحويا مفننا فى علوم كثيرة ، معدوداً من علماء الحنفية ، مع الذكاء[1] وحسن التصور وجودة الفهم ، رحمه الله تعالى .

وتوفى القاضى جلالُ الدين محمد ابن القاضى بدر الدين محمد بن مُزْهِر فى يوم الاثنين سادس عشرين [شهر][2] رجب ولم يبلغ العشرين سنة من العمر ، وكان وَلى كتابةَ السر بالديار المصرية [بعد وفاة أبيه أشهراً صورةً ، والقاضى شرفُ الدين أبو بكر بن العجمى نائب كاتب السر][3] هو المتكفل بمهمات ديوان الإنشاء ، إلى أن عزله السلطان وخلع عليه بعد مدة بتوقيع المقام الناصرى محمد ابن السلطان ، فماتا جميعا فى هذا الطاعون . وكان جلال الدين [المذكور][4] من أحسن الشباب شكلا[5] .

وتوفى القاضى زين الدين محمد بن شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميرى المالكى فى يوم الأربعاء ثالث شعبان ، بعدما وَلى حِسبةَ القاهرة ونظر البيمارستان المنصورى ؛ وكان معدوداً من الرؤساء .

وتوفى شمسُ الدين محمد بن المعلمة السكندرى المالكى فى سابع شعبان ، وكان يشارك فى العربية وغيرها ؛ وولى حسبةَ القاهرة فى وقت ، وكان مسرفا على نفسه .

وتوفى الأميرُ مُدْلِج بن علىّ بن نُعَيْر بن حَيّار بن مُهَنّا أمير آل فضل مقتولا فى ثانى شوال بظاهر حلب .

---

(١) فى ا (الذكا) .
من (٢) إلى (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) أورد العينى له ترجمة وافية (راجع عقد الجمان حـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٣٦) .

وتوفيت خَوَنْد هاجَر — زوجة [الملك](١) الظاهر برقوق وبنت الأتابك مَنْكَلي بغَا الشمْسى — فى رابع [شهر](٢) رجب ، وكانت تُعرف بخَوَنْد الكمكيين ، [لسكنها بخُط الكَمْكيين بالقاهرة](٣) وأمها خَوَنْد فاطمة بنت [الملك](٤) الأشرف شعبان [بن حسين بن محمد بن قلاوون](٥) وماتت وهى أعظم نساء عصرها رئاسةً وعراقة .

وتوفى القاضى تقى الدين يحيى ابن العلامة شمس الدين محمد الكِرْمانى الشافعى فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة ، وكان بارعًا فى عدة فنون . وقدم من بغداد قبيل سنة ثمان مائة ومعه شرح أبيه على صحيح البخارى ، ثم صحب [الملك](٦) المؤيد شيخ أيام تلك الفتن ، وسافر(٧) معه إلى طرابلس وغيرها وتقلب معه فى سائر تقلباته ، ثم قـــدم معه القاهرة ، فلما تسلطن أقره فى نظر البيمارستان [المنصورى](٨) ، وكان قبل السمع ، ثم عزل ولزم داره حتى مات .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع ؛ مبلغ الزيادة عشرون ذراعًا ونصف ذراع .

من (١) إلى (٦) ، (٨) إضافات عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) فى ا (سار) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

السنة العاشرة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر][١]

وهى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة .

[فيها][٢] توفى الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار نائب الإسكندرية المعروف بابن الأقطع ، بعد أن قدم القاهرةَ مريضاً فى يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ، وكان أبوه أوجاقياً فى الإسطبل السلطانى ، وقيل بل كان أقطعَ [٣] يتكسب بالتَّكَدِّى[٤] ، وهو الأقرب . ونشأ ابنه أحمد هذا تبعاً عند بعض الأجناد ، ثم ترقى حتى خدم جنديا عند جماعة من الأمراء ، إلى أن صار دواداراً ثانيا عند الأمير على باى المؤيدى ، ثم اتصل بخدمة [الملك][٥] الأشرف وصار عنده دواداراً ، فلما تسلطن جعله من جملة الدوادارية الصغار ، واختص بالسلطان ونالته السعادة ، ثم أمّره عشرةً وجعله زَرَدْكاشاً[٦] كبيرا ، ثم نقله إلى نيابة الإسكندرية بعد عزل آقبُغَا التمرازى فلم تطل مدته ومات بعد مرض طويل.

ولم أدر لأى معنى كانت خصوصية أحمد هذا وعلىّ بن لخيمة السَّلاخُورى[٧] بالسلطان ، [٦٠] مع ما اشتملا عليه من الجهل المفرط وقبح الشكالة ودناوة الأصل . وكان

---

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى الأصل (أقطعا) ، والتصويب من طبعة كاليفورنيا ؛ والأقطع لغويا هو المقطوع اليد .

(٤) التكدى هو التسول .

(٥) إضافة عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) الزردكاش هو صانع الأسلحة عامة ، ويعمل الزردكاشية فى الزردخاناه أى بيت الزرد ، أو السلاح خاناه وهى بيت السلاح ، ويشتمل هذا البيت على جميع أنواع الأسلحة من السيوف والقسى والنشاب والرماح والدروع المتخذة من الزرد . (انظر السلوك ١ ص ٧٤٧ حاشية ١ وما بها من مراجع) .

(٧) السلاخورى أو المراخورى كلمة فارسية مركبة من لفظين : أحدهما ميرا بمعنى الكبير والثانى آخور بمعنى العلف ، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب ، بمعنى آخر : هو المشرف على العلف بالاصطبلات السلطانية أو اصطبلات الأمير (انظر زبدة كشف الممالك ص ١٢٦ ؛ صبح الأعشى ج٤ ص ٤٦٠ ؛ السلوك ج١ ص ٤٣٨ حاشية ٣) .

على السُّلَّاخُورى يبدل القاف بالهمزة كما هي عادة أوباش الناس(١) من العامة ، وكان أحمد إذا تكلم أيضاً يتلفّظ بألفاظ العامة السوقة . وقد جالسته بالخدمة السلطانية كثيراً فلم أجد له معرفة بفن من الفنون ولا علم من العلوم ، وكان إذا أخذ يتلاطف ويتذاوق يصحِّف ويقول: بتسرد شيّ ؟ فأعرّفه — فيما بيني وبينه — بأنه يقول : تسرت ، وأوضّح له [أنها](٢) تصحيفة تشرب ، فيفهمها بعد جهد كبير . ثم إذا طال الأمر ينساها ويقولها أيضاً بالدال ، وأظنه (٣) دام على ذلك إلى أن مات .

ومع هذا كان في نفسه أمور ، وله دعاوى بالعرفان والتَّمَعْقُل ، لاسيما إذا تمثل بأمثال العامة السافلة ، فيتعجب من ذلك الأتراك ، ويُثْنَى على ذوقه ومعرفته وغزير علمه وحسن تأديه في الخطاب ، وأولهم [السلطان الملك](٤) الأشرف بَرْسْباى(٥) فإنه كان كثيرا ما يقتدى برأيه ويفاتحه في الكلام ، فيكلم أحمدَ في أمور المملكة بكلام لا يعرف هو معناه ، ويسكت من عداه من أرباب [الدولة و](٦) المعرفة ، فأذكر أنا عند ذلك قول أبي العلاء المعرى حيث قال : [الطويل]

فوا عجباً كم يَدَّعى الفضلَ ناقصٌ(٧) ... ووا أسفًا كم يدَّعى النَّقْصَ فاضلُ(٨)

وتوفى الشيخ الإمام العالم المفنن مجد الدين إسماعيل بن أبي الحسن على بن عبد الله البرماوى الشافعى ، في يوم الأحد خامس عشر [شهر](٩) ربيع الآخر ، عن أربع وثمانين سنة . وكان إماماً في الفقه والعربية والأصول وعدة فنون ، وتصدى للإقراء والتدريس عدة سنين .

---

(١) كلمة (الناس) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) في ا (وأظنها) .

(٤) ، (٦) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) هذه الكلمة ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٧) في طبعة كاليفورنيا (ناقصا) .

(٨) في طبعة كاليفورنيا (فاضلا) .

(انظر حوادث الدهور ح٢ ق ٢ ورقة ٢٣٥ ، وراجع كذلك شروح سقط الزند ، السفر الثاني) .

(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

وتوفى الصاحبُ الوزيرُ تاجُ الدين عبد الرزاق بن إبراهيم بن الهَيْصَم ، فى يوم الخميس العشرين من ذى الحجة ، بعد ما وَلِى الوزارة والأستادارية ونظر ديوان المُفْرد مراراً عديدة ، وهو من بيت كبير فى الكتبة قيل إنهم من ذرّية المقوقس صاحب مصر قبل الإسلام ، والله أعلم .

وتوفى الشيخُ سراجُ الدين عمر بن منصور البَهَادُرِى الفقيه الطبيب الحنفى فى يوم السبت ثانى عشر شوال ، بعد ما برع فى الفقه والنحو وانتهت إليه الرئاسة فى الطب ، وناب فى الحكم عن القضاة الحنفية بالقاهرة ؛ ومات ولم يخلف بعده مثله فى التقدم فى علم الطب ومتونه .

وتوفى القاضى برهانُ الدين إبراهيم بن علىّ بن إسماعيل — المعروف بابن الظريف — أمين الحكم بالقاهرة ، فى يوم السبت خامس شوال عن نحو ستين سنة ؛ وكان معدودًا من بياض الناس[1] .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع ؛ مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً ، وكان الوفاء ثامن عشرين أبيب قبل مسرى بيومين ، وهذا من خرق العادة ؛ فسبحانه[2] يفعل ما يشاء ويختار[3] .

---

(١) بياض الناس هم الأثرياء من طبقة العامة ، وقد نُعت مياسير التجار بهذه الصفة . يقول المقريزى فى وصف تجار سوق الحوائصيين — وهم باعة الحوائص، وهى المناطق التى يشدها الأمير فى وسطه — : « وما برح تجار هذا السوق من بياض العامة » .

(انظر المواعظ والاعتبار ج٢ ص ٩٩ ، وراجع حاشية ١ ص ٨٤ من هذا الجزء) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (سبحانه) .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (يحكم ما يريد) ، بدلا من (ويختار) والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .

السنة الحادية عشر[ة] من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر][١]

وهى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة .

[فيها][٢] توفى القاضى شرفُ الدين عيسى بن محمد بن عيسى الأَقْفَهْسى[٣] الشافعى، أحد عظماء نواب الحُكم بالديار المصرية، فى ليلة الجمعة سادس عشرين جمادى الآخرة . ومولده فى سنة خمسين[٤] وسبعمائة ؛ وكان إمامًا فقيها بارعا فى الفقه وفروعه مُشارِكاً فى عدة فنون، وتولى الحكم عن قاضى[٥] القضاة عماد الدين الكَرَكى فى سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ؛ وشُكرت سيرته وحُمدت طريقته لتحريه فى الأحكام، ولعفته عما[٦] يُرمى به قضاة السوء[٧]، ولقد شاهدت منه من التثبت فى أحكامه مالم أشاهده من قضاة[٨] زماننا، رحمه الله [تعالى][٩] .

وتوفى السلطان حسين بن علاء الدولة ابن السلطان أحمد بن أُوَيْس، قتيلا بيد الكافر أَصْبَهان بن قَرَا يوسف التركمانى فى ثالث صفر، بعد أن حصره سبعة أشهر، حتى أخذه وقتله، وانقرضت بقتله دولة بنى أُوَيْس الأتراك من العراق[١٠] وصار عراقا[١١] العرب والعجم بيد إسكندر بن قرا يوسف وإخوته، وهم كانوا سببا لخراب

---

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) أقفهس أو أقفهص بلدة بصعيد مصر في كورة البهنسا ؛ وينطقها العوام : الأقفاص وينسب إليها الأقفاصى (ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٣١٢ ؛ مراصد الاطلاع جـ١ ص ٨٤) .

(٤) فى ا (خمس) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (قضا) .

(٦) فى ا كلمة مرسومة هكذا (سى) .

(٧) ، (٨) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

(١٠) انظر زامباور جـ٢ ص ٣٧٧-٣٧٨ .

(١١) فى ا (عراق) .

تلك الممالك التى كانت كرسى الإسلام ومنبع العلوم ، أعنى بنى قرا يوسف .

وتوفى القاضى شهاب الدين أحمد ابن القاضى صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر المعروف [٦١] بابن السَّفَّاح الحلبى الشافعى ، كاتب سر حلب ثم كاتب سر مصر وبها مات ، فى ليلة الأربعاء رابع عشر [شهر][١] رمضان عن ثلاث وستين سنة ، بعد أن باشر فيها كتابة[٢] سر حلب سنين عديدة بعـــد أخيه وأبيه[٣] ، وصار لشهاب الدين هذا رئاسة بحلب وتمكُّن ، فلما وَلى كتابة سر مصر ابتلعه المنصب ولم يظهر لمباشرته نتيجة ، وانحطّ قدره فى الدولة بحيث أن المصريين صاروا يسخرون منه ، لأنه كان يكلم نفسه فى حال ركوبه بين الناس فى الشوارع وفى جلوسه أيضاً بين الملأ بكلام كثير ، ويغضب بعضَ الأحيان من نفسه ويشير بالضرب بيده وبلسانه من غير أن يفهم أحد كلامه ، وكان يتم ذلك منه حتى فى الصلاة ، ومع هذا كان فيه بعُيْض حدة ونزاقة ، مع[٤] دين وعفة وصيانة[٥] ، مع أنه كانت بضاعته من العلوم مُزْجاةً ، وخطه فى غاية القبح ، و[٦] يظهر من كلامه عدم ممارسته للعلوم[٧] .

ووقع بينه وبين قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن العز البغدادى الحنبلى مفاوضة فى بعض[٨] مجالس السلطان لمعنى من المعانى ، فكان من جملة كلام ابن السَّفَّاح[٩] هذا ، أن قال : ريِّع الوَقف — وشدّد الياء — فقال عز الدين المذكور : اسكت يا مرماد [١٠] ، فضحك السلطان ومن حضر ، وانتصف عليه الحنبلى . فلما نزلا من القلعة ، سألت من عز الدين عن قوله مرماد ، فقال : الأتراك كثيراً ما يلعبون

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (كاتبه) .
(٣) فى ا (وابنه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ، (٥) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) حرف (و) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) راجع عقد الجمان حـ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٥٠-٦٥١ .
(٨) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (السفاح) .
(١٠) انظر ما يلى .

الشطرنج ، وقد صار بينهم أن الذى لا يعرف شيء يسمى مرماد ، فقصدت الكلام بما اعتادوه وعرّفتهم أنه لا يعرف شيء ، وأنه جاهل بما يقول ، وتم لى ما قصدته .

ولما مات ابن السَّفّاح تولى كتابةَ السر من بعده الصاحبُ كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ ، ومع عدم أهلية الصاحب كريم الدين لهذه الوظيفة تتج فيها أمرُه وهابته الناس ، ونفّذ الأمورَ أحسنَ من ابن السَّفّاح .

وتوفى قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التَّفَهْنِى(١) الحنفى(٢) ، وهو غير قاض ، فى ليلة الأحد ثامن شوال بعد مرض . ومولده فى سنة أربع وستين وسبعمائة(٣) ، ونشأ فقيراً مملقاً ، واشتغل حتى برع فى الفقه والأصول والعربية وشارك فى فنون ، وأفتى ودرّس وناب فى الحكم سنين كثيرة ، ثم استقل بوظيفة القضاء ، ولم تُشكر سيرته فى ولايته لحدة كانت فيه وسوء خلقه ، مع القيام فى حَظّ(٤) نفسه ، وقصته مشهورة مع الميمونى لما كفّره التَّفَهْنِى هذا وحكم بإراقة دمه فى الملأ بالمدرسة الصالحية . ولما حكم بإراقة [دم](٥) الميمونى [المذكور](٦) أراد ابن حجر ينفّذ حكمه ، فقال(٧) ابن حجر : قاضى القضاة منفاظ(٨) ، حتى يسكن خلقه . وانفضّ(٩) المجلس وتلاشى حكم التَّفَهْنِى ، وعاش الميمونى بعد ذلك دهراً ، بعد أن أوسعه الميمونى إساءةً(١٠) فى المجلس ، وهو يقول له : اتّق الله يا عبد الرحمن ، أونسيت قبقابك

(١) تَفَهْنا بليدة بمصر من ناحية جزيرة قوسنيا (قويسنا) (ياقوت : معجم البلدان حـ٢ ص ٣٩٨ ؛ مراصد الاطلاع حـ١ ص ٢٠٨) .

(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا وفى طبعة كاليفورنيا (حط) .

(٥) ، (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) فى ا (وقال) .

(٨) فى ا (متناص) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) فى ا (والقس) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(١٠) فى ا (اساه) .

الزحّاف (١)وعامتك القطن ؟ والتفهى يُصفِّر ويكرر حكمه بإراقة دمه .

وكان سبب إبقاء اليهودى فى هذه القضية أنه شهد بعض الحكماء أنه يعتريه شىء فى عقله فى الأوقات ، فأبقى لذلك ؛ وكان أيضاً للناس فيه اعتقاد ، فإنه يكثر التلاوة ، ولقراءته(٢)موقع فى النفوس ، وعلى شيبته(٣) نور ووقار ؛ وأنا ممن كان يعتقده — انتهى .

وتوفى جينوس بن جاك بن بيدو بن أنطون بن جينوس(٤) متملك قبرس وصاحب الواقعة مع المسلمين ، وقد تقدم ذكر غزوه و الظفر به وقدومه إلى مصر فى أوائل هذا الجزء مفصلا(٥) ، ثم ذكر عوده إلى بلاده وملكه(٦) ، وتولى ابنه قبرس من بعده .

وتوفى الصاحب علم الدين يحيى — المعروف بأبى كمّ القبطى — فى ليلة الخميس ثانى عشرين [شهر](٧) رمضان وقد أناف على السبعين سنة ، بعد أن ولى الوزارة فى دولة [الملك](٨) الناصر فرج .

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (الزحاف) .

(٢) فى ا (ولقراته) وفى طبعة كاليفورنيا (ولقرائه) .

(٣) فى الأصل (شيبه) .

(٤) جينوس هذا (Janus) ، هو سليل أسرة لوزنيان Lusignan الفرنجية (الفرنسية) الصليبية التى حكمت قبرص ومملكة بيت المقدس الصليبية ، وهو الملك الثالث عشر فى سلسلة ملوك قبرص من هذه الأسرة . وقد ذكر ابن تغرى بردى — كما هو واضح بالمتن — أن جينوس هو ابن جاك بن بيدو الخ . ؛ وجاك أبو جانوس هو نفسه جيمس الأول James (١٢٨٢ — ١٣٩٨) ، وورود اسم جيمس هذا فى بعض الكتب العربية بلفظ (جاكم) ، وكلمة (بيدو) المذكورة بالمتن تحريف لكلمة بطرس (Pedro أو Pierre أو Peter) ؛ أما الترتيب الذى ذكره أبو المحاسن فى المتن ، فيبدو أنه غير صحيح ، كما أن اسم جينوس الأخير لم يرد ذكره فى سلسلة ملوك قبرص .

(راجع : ALASTROS, Cyprus in History, pp. 167-8, 185-211, 234-263; RUNCIMAN, A History of Crusades, Vol. III, pp. 66-67, 149, 179-184, 441; Appendix III, (Genealogical Trees — Royal Houses of Jerusalem and Cyprus).

(٥) راجع الجزء الرابع عشر من النجوم الزاهرة من هذه الطبعة .

(٦) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٧) ، (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

وكان قد حسن إسلامه وترك معاشرة النصارى وحج وجاور بمكة ، وصار يكثر من زيارة الصالحين الأحياء والأموات ، وانسلخ من أبناء جنسه انسلاخاً كليا ، بحيث أنه كان لا يجتمع بنصرانى إلا عن ضرورة عظيمة . وكان دأبه الأفعال الجميلة ،[1] رحمه الله [تعالى][2]

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم لم يظهر ، فإنها حولت[3] هذه السنة إلى سنة ست وثلاثين [وثمانمائة] .

---

(١) وردت فى طبعة كاليفورنيا عبارة (وما كان دأبه إلا الأفعال الجميلة) ، والمثبت عن ا .

(٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) المقصود بتحويل السنين ، هو تقديم السنة الخراجية سنة ، للتوفيق بينها وبين السنة الشمسية ، لأن السنة الخراجية – وهى السنة القمرية – هى المعتمد عليها فى جباية الخراج ، والسنة الشمسية هى التى تضبط بها الزروع والثمار . والمعروف أن السنة القمرية تنقص عن السنة الشمسية بمقدار أحد عشر يوما وسدس يوم تقريبا ، ولذلك تنقص السنة القمرية عن السنة الشمسية سنة كاملة تقريبا كل ثلاث وثلاثين سنة ، فإذا مضت ثلاث وثلاثون سنة ، حولت هذه السنة إلى تلو السنة التى بعدها أى إلى السنة الخامسة والثلاثين وتلغى السنة الرابعة والثلاثون : وهو إلغاء نظرى ، كما يقول ابن أبى الفضائل : تحويل بالكلام ، تنطق به ألسنة الأقلام .

والسبب فى ذلك : أنه قد يحدث أن توافق مواعيد تحصيل الخراج أول السنة الهلالية ، ثم تزحف هذه المواعيد ، بسبب التفاوت بين السنة الشمسية والسنة الخراجية ، حتى تكون فى وسط السنة الهلالية أو أواخرها أو فى السنة التالية وهكذا ، وحينئذ يجبى الخراج المستحق عن السنة الماضية فى السنة التى بعدها ، فتدعو الضرورة إلى تحويل السنة الخراجية السابقة إلى التى بعدها ، بعد أن يجبى خراج سنتين دفعة واحدة ، ويلغى خراج السنة السابقة ، وبذلك ينتقل خراج السنة الثالثة والثلاثين إلى السنة الخامسة والثلاثين ، ويلغى خراج السنة الرابعة والثلاثين ، للتوفيق بين السنة الخراجية والسنة الشمسية . (انظر : صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٥٤–٥٥ ، ٥٧–٥٨ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٨ ؛ المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ٢٧٣ ؛ السلوك جـ ١ ص ٨٤٥ حاشية ١ ؛ النهج السديد ص ٦٠٠ ؛ نزهة الأنام ورقة ٢٣٤–٢٣٥) .

السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك[1] الأشرف

برسباى [على مصر][2]

وهى سنة ست وثلاثين وثمانمائة :

فيها كانت سفرة السلطان الملك الأشرف هـــذا إلى آمد ، وعاد فى أوائل سنة سبع وثلاثين ، وقد تقدم ذكر ذلك كله .

وفيها توفى قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى المالكى بدمشق، فى يوم الثلاثاء حادى عشر صفر ؛ وكان ولى فى دولة [الملك][3] المؤيد [شيخ][4] قضاء المالكية بالديار المصرية ، وكان قليل العلم[5].

وتوفى التاجر نور الدين على بن جلال الدين محمد الطُّنْبَذى[6] ، فى ليلة الجمعة رابع عشر صفر ، عن سبعين سنة ، وترك مالا كثيراً لم يبارك الله فيه لذريته من بعده ، ولم يُشْهر نور الدين هذا بكرم ولا دين ولا علم .

وتوفى الأمير علاء الدين مَنْكَلى بُغَا الصلاحى الظاهرى المعروف بالعجمى ، أحد الحجاب بالديار المصرية ، فى ليلة الخميس حادى عشر [شهر][7] ربيع الأول ، بعد مرض طال به سنين ؛ وكان أحد الدوادارية الصغار فى أيام أستاذه [الملك][8] الظاهر برقوق ، وتوجه رسولا إلى تيمور[9] لنك فى دولة [الملك][10] الناصر فرج ، ثم ولى حسبة القاهرة فى دولة [الملك][11] المؤيد شيخ ، ثم صار من جملة الحجاب إلى أن مات .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

من (٢) إلى (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (الطنبذى) ، وطَنْبَذَة قرية من أعمال البهنسا من صعيد مصر ، وهى المعروفة اليوم باسم طنبدى مركز مغاغة بمحافظة المنيا (انظر ياقوت معجم البلدان حـ ٦ ص ٦١ ؛ الدليل الجغرافى لمصلحة المساحة)

(٧) ، (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) ذكر أبو المحاسن فى المنهل الصافى (حـ١ ورقة ٤١٤—٤٣١) أن تيمور لنك يسمى كذلك تيمور كوركان ، ومعنى هذه الكلمة الأخيرة باللغة العجمية صهر الملوك .

(١٠) ، (١١) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

وكان فقيهاً صاحب محاضرة حلوة ومجالسة حسنة ، ويذاكر بالشعر باللغات الثلاث[١] : العربيـــة والعجمية والتركية ، ويكتب الخط المنسوب ، ويحضر مجالس الفقراء ، ويرقص في السماع ويميل إلى التصوف ، جالسته[٢] كثيراً وأسعدت من محاسنه رحمه الله[٣].

وتوفى الأمير تَغْرِى بَرْدِى بن عبد الله المحمودى الناصرى ، رأس نوبة النوب أولا ، ثم أتابك دمشق آخراً ، من جرح أصابه في رجله بسهم من مدينة آمد ، مات منه بعد أيام قليلة بآمد ، مات منه[٤] في شوال ودفن بآمد ، ثم نقل منها في سِحْلِيَّة عند رحيل العسكر ، وساروا به إلى الرها ، فدفن بها لمشقة نالت العساكر من ظهور رائحتـه .

وكان أصله من مماليك [الملك][٥] الناصر فرج ، وممن تأمّر في دولة أستاذه فيما أظن . ثم انتمى للأمير نوروز الحافظى بعد موت أستاذه ، إلى أن أمسكه [الملك][٦] المؤيد شيخ . وحبسه بعد قتل نوروز ، فدام في السجن سنين إلى أن أخرجه المؤيد في أواخر دولته . فلما آل الأمر إلى الأمير طَطَر أنعم عليه بإمرة طبلخاناة ، ثم نقل إلى تقدمة ألف بعد موت طَطَر . ثم صار رأس نوبة النوب بعد الأمير أَزْبَك المحمدى بحكم انتقال أَزْبَك إلى الدوادارية الكبرى ، بعد ولاية سودون [من][٧] عبد الرحمن لنيابة دمشق ، عند ما خرج تَنْبَك البَجَاسى عن الطاعة . كل ذلك في سنة ست وعشرين وثمانمائة ، ودام المحمودى على ذلك سنين ، سافر فيها أميرَ حاج المحمل ، وقدم بالشريف حسن بن عجلان ، ثم توجه إلى غزوة قبرس وقدم بملكها أسيراً .

---

(١) في ا (الثلاثة) .

(٢) ، (٣) ما بين هذين الرقمين ساقط في طبعة كاليفورنيا .

(٤) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٥) ، (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) في ا سودون عبد الرحمن ، بدون استخدام حرف (من) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .

وقد تقدم ذكر ذلك كله فى أول هذا الجزء ، ثم بعد عوده من قبرس بمدة يسيرة أمسكه السلطان وحبسه بسجن الإسكندرية ، ثم نقله إلى ثغر دمياط بطالا ، ثم أنعم عليه بأتابكية دمشق عوضاً عن قانى باى الحمزاوى ، بحكم انتقال الحمزاوى إلى تقدمة ألف بمصر ، ثم سافر المحمودى صحبة السلطان إلى آمد ، فأصيب بسهم فمات منه حسبما ذكرناه . وكان أميراً جليلا شجاعاً مقداما طوالا رشيقا مليح الشكل ، كثير التجمل فى ملبسه ومركبه ومماليكه ، وهو أول من لبس التخافيف الكبار العالية من الأمراء ، وتداول الناس ذلك من بعده حتى خرجوا عن الحد ، وصارت التخفيفة الآن تلف شبه الكلفتاه حتى تصير كالطبق المائل ؛ وعندى أنها غير لائقة ، وللناس فيما يعشقون مذاهب .

وتوفى الأمير [سيف الدين][1] ســـودون بن عبد الله الظاهرى ، المعروف سُودون ميق ، أحد أمراء الألوف بالديار المصرية ، من جرح أصابه بآمد ، من سهم من مدينتها ، لزم منه الفراش أياماً[2] ، ومات أيضاً فى أواخر شوال .

وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق الصغار ، وصار خاصكياً ، ومن جملة الدوادارية فى دولة [الملك][3] المؤيد شيخ ، ثم ترقى إلى أن صار من جملة أمراء الطبلخانات ورأس نوبة ، ثم نقـــل إلى الأمير آخورية الثانية ، كل ذلك فى دولة [الملك][4] الأشرف برسباى ، فدام على ذلك سنين ، إلى أن أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ، فاستمر على ذلك إلى أن مات . وكان متوسط السيرة فى غالب خصاله ، لا بأس به ، رحمه الله .

وتوفى الأمير سيف الدين جانبك بن عبد الله الحمزاوى ، بعد أن ولى نيابة غزة ، فمات قبل أن يصلها فى عوده من آمد ، فى ذى الحجة . وكان أصله من [٦٣] مماليك الأمير

(١) ، (٣) ، (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (أيام) .

سُودون الحمزاوى الدوادار الكبير فى الدولة الناصرية ، ثم تنقل فى الخدم من بعد أستاذه ، إلى أن ولى نيابة بعض القلاع بالبلاد الشامية ؛ ولما خرج قانى باى نائب الشام[1] وانضم معه غالب نواب البلاد الشامية ، كان جانبك هذا ممن انضم عليه وهرب بعد مسك قانى باى مع من هرب من الأمراء إلى قرايوسف ، ثم قدم أيضاً معهم على الأمير ططر بدمشق فأنعم عليه ططر بإمرة بدمشق ، ثم صار حاجب حجاب طرابلس مدة سنين ، ثم نقل إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وسافر صحبة السلطان إلى آمد ، وبعد عوده خلع السلطان [عليه][2] بحلب بنيابة غزة عوضاً عن الأمير إينال العلائى الناصرى المنتقل إلى نيابة الرُّها ، لكونها كانت خراباً ليس بها ما يقوم بكلفته ، وقد حكينا ذلك فيما سبق . وكان جانبك هذا ممن اتُّهِم بأنه يريد الوثوب على السلطان ، فلما وصل السلطان إلى حلب أقرّه فى نيابة غزة على كره منه ، فهز رأسه وأمسك لحيته بعد لبسه الخلعة[3] ، وبلغ الأشرف ذلك على ما قيل ، فقال : حتى يصل إلى غزة ، فمات حول بعلبك .

وكان شيخاً طوالا مشهوراً بالشجاعة ، غير أنى لم أعرف منه إلا الإسراف على نفسه والانهماك فى السكر ، وأما لفظه وعبارته ففى الغاية من الجهل والإهمال ، ومن ركوبه على الفرس كنت [أعرف][4] أنه لم يمارس أنواع الفروسية كالرمح والبرجاس وغيره ، وبالجملة فإنه كان من المهملين ، وقد خفف [الله][5] بموته ، عفا الله عنه .

وتوفى الأمير سيف الدين تنبك بن عبد الله ، من سيِّدى بك الناصرى ، أحدُ أمراء العشرات ورأس نوبة ، المعروف بالبَهْلوان[6] ، من جرح أصابه

---

(١) فى ا تكرار لعبارة (ولما خرج قانباى نائب الشام) فى غير ضرورة .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (الخلعه) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) كلمة البهلوان ، لقب يطلق على من يجيد فن الصراع ، وقد أطلق على كثير من أمراء المماليك بهذا المعنى (الضوء اللامع ج ٣ ص ٧٦)

بآمد فى شوال أيضاً بها ، وكان عارفاً بفن الصراع من الأقوياء[1] فى ذلك ، مع تكبر وشمم وادعاء زائد ، وقد حكى لى عنه بعض أصحابه : أنه كان إماما فى فن الصراع ، ويجيد لعب الرمح لا غير ، وليس عنده من الشجاعة والإقدام بمقدار القيراط من صناعته ، وأظنه صادقا فى نقـله لأن سحنته [كانت][2] تدل على ذلك .

وتوفى الملك الأشرف شهاب الدين أحمد ابن الملك العادل سليمان ابن الملك المجاهد غازى ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر ابن الملك الأوحد عبد الله ابن الملك المعظم توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر [ابن السلطان الملك الكامل محمد صاحب مصر ، ابن السلطان الملك العادل أبى بكر صاحب مصر ، ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذى بن مروان][3] الأيوبى صاحب حصن كَيْفا ، قتيلا بيد أعوان قرايلك ، بين آمد والحصن ، وقد سار من بلده حصن كَيْفا ، يريد القدوم على السلطان الملك الأشرف برسباى على آمد ، فقتل فى طريقه غدراً ، فإنه كان خـرج من الحصن بغير استعداد لقتال ، وإنما تهيأ للسلام على الملك الأشرف ، وبينما هو فى طريقه أدركته بعض الصلوات ، فنزل وتوضأ وقام فى صلاته ، وإذا بالقرايلكية طرقوه هو وعساكره بغتة ، وقبل أن يركب أصابه سهم قتل منه ، وَوَجدَ السلطان الملك الأشرف عليه كثيراً وتأسف لموته . وكان ابتداء ملكه بحصن كَيْفا ، بعد موت أبيه العادل فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، وكان فاضلا أديباً بارعاً ، وله ديوان شعر ، ووقفت على كثير من شعره ، وكتبت منه نبذة كبيرة فى ترجمته فى المنهل الصافى[4] .

---

(١) فى الأصل (الأقوية) .

(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) جاء فى المنهل الصافى (جـ ١ ص ٢٩٠ – تحقيق الاستاذ أحمد يوسف نجاتى) حاشية ١ : وقال شمس الدين السخاوى : وقفت على ديوانه – ديوان شهاب الدين أحمد الأيوبى صاحب حصن كَيْفا – وهو يشتمل على توائح فى أبيه وغزل وزهديات وغير ذلك ، ومن نظمه :

وتولى بعده سلطنةَ الحصن ابنُه الملك الكامل صلاح الدين خليل .

وتوفى القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين الدمشقى ، كاتب سر دمشق بها ، فى ذى القعدة ، وتولى كتابة السر من بعـــده القاضى نجم الدين [يحيى][1] ابن المدنى ناظر جيش حلب ، قلت : لا أعرف من أحوال تاج الدين هذا شيئاً ، غير أنى علمت بولايته ثم بوفاته .

وتوفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غلام الله بن أحمد بن محمد الكوم ريشى[2] ، فى سادس عشرين [شهر][3] صفر ، وقد أناف على خمسين سنة . وكان أستاذاً فى علم الميقات ، ويحل التقويم من الزيج ، ويشارك فى أحكام النجوم ؛ ومات ولم يخلف بعده مثله فى فنونه ، رحمه الله .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع ؛ مبلغ الزيادة عشرون ذراعاً وخمسة أصابع .

بدا حبى وقد خضب اليدين ... فأتلف مهجتى بالحاجبين
وبين النوم والجفن اختلافٌ ... كما بين الذى أهوى وبينى
ترفّق يا حبيب القلب واعطف ... لتنعم بالرضا عنى بعينى
إذا رُمتُ السلو رأيتُ قلبى ... يجرّره الجمالُ بقائدين
وإن أذنبتُ ذنبا يا غزالى ... أرى لك عند قلبى شافعين

الخ ...

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) كوم الريش من ضواحى القاهرة ، واسمها الأصلى ياق ، وصفها المقريزى بأنها كانت من أجل متنزهات القاهرة ، ورغب أعيان الناس فى سكناها للتنزه بها ، واتخذها الكثير من الأمراء سكنا لهم ، كما كان يسكنها نحو الثلثمائة من الجند السلطانى . ولما خربت رثاها المقريزى شعرا :

قفراً كأنك لم تكن تلهو بها ... فى نعمة وأوانس أتراب

ثم علق على ما آل إليه أمرها بقوله تعالى : « وكذلك أخذُ ربك . إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد » — ١٠٢ سورة هود .

ومكان كوم الريش الآن الزاوية الحمراء بضواحى القاهرة . لكنها تتبع القليوبية إداريا . (المواعظ والاعتبار جـ ١ ص ١٣٠ ، راجع النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٢٠٢ حاشية ٤ ؛ الدليل الجغرافى لمصلحة المساحة ؛ محمد رمزى : القاموس الجغرافى جـ ١ ص ٣٩٣-٣٩٤ ، ٤٧٦) .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك(١) الأشرف

برسباى [على مصر] (٢)

وهى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة(٣) :

وفيها [٦٤] توفى الأمير سيف الدين مُقبل بن عبد الله الحُسامى الدوادار ، نائب صفد بها ، فى يوم الجمعة تاسع عشرين شهر ربيع الأول ، وأصله من مماليك شخص يسمى حسام الدين لاجين ، من أمراء دمشق أو(٤) البلاد الشامية ، ثم خدم عند الملك المؤيد شيخ أيام إمرته ، فاختص به لغزير(٥) محاسنه ؛ ولما تسلطن المؤيد ، جعله خاصكيًّا رأسَ نوبة الجَمدَاريّة ، وحج على تلك الوظيفة ، ثم بعد قدومه ، أنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم جعله أميرَ طبلخاناه ودواداراً ثانياً بعد جقمق الأرْغُون شَاوى(٦) ، بحكم انتقال جقمق إلى الدوادارية الكبرى بعد انتقال آقباى المؤيدى إلى نيابة حلب بعد عصيان إينال الصصلانى ، ثم بعد سنين نقله إلى الدوادارية الكبرى بعد جقمق أيضا بحكم انتقاله إلى نيابة الشام(٧) بعد عزل الأمير تَنْبك ميق وقدومه إلى القاهرة أميرَ مائة ومقدمَ ألف ، فدام مُقبل على ذلك إلى أن مات الملك المؤيد ، وآل الأمر إلى الأمير طَطَر ، وأمسك قُجقَار القَرْدَمى فرّ مُقبل المذكور من القاهرة ، ومعه السيفى(٨) يَلخُجَا من مامش(٩) الساقى الناصرى ومماليكه إلى جهة البلاد الشامية ،

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) العنوان كله من أول (السنة الثالثة عشرة) إلى نهايته ، مستدرك بهامش ا ، وليس مكتوبا فى موضعه بالمتن .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (دمشق والبلاد الشامية) .

(٥) فى ا (لعزر) .

(٦) وردت هذه الكلمة فى متن ا (شاه) ومستدرك صوابها (شاوى) وهو المثبت بالمتن ، بهامش المخطوطة .

(٧) فى ا (دمشق) والمثبت من طبعة كاليفورنيا والمعنى واحد .

(٨) فى ا (السعى) .

(٩) فى ا (ماش)

فاتهم العُربان أرباب الإدراك عن التوصل إلى قَطْيا ، وقاتلوهم[١] بعد أن تكاثروا عليهم .

وكان مُقبل من الشجعان ، فثبت لهم ولا زال يقاتلهم وهو منهزم منهم إلى الطِّينَة ،[٢] فوجدوا بها مركبا فركبوا فيه ، وتركوا ما معهم من الخيول والأثقال أخذوها العرب ، وساروا فى البحر إلى الشام ، واجتمع مقبل مع الأمير جقمق وصار من حزبه ، ووقع له أمور ذكرناها فى ترجمة [الملك][٣] المظفر أحمد ، إلى أن آل أمرُه أنه أمسك وحُبس ، ثم أُطلق ، وولى حجوبية دمشق .

ثم نقله [الملك][٤] الأشرف إلى نيابة صفد ، بعد عصيان نائبها الأمير إينال الظاهرى ططَر ، فاستمر فى نيابة صفد إلى أن مات . وكان رومى الجنس شجاعا مقداما رأسا فى رمى النشاب ، يُضرب برميه المثل ، وكان أستاذه الملك المؤيد يُعجب به ، وناهيك بمن كان يُعجب [الملك][٥] المؤيد به من المماليك .

وتوفى قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمود بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز الدمشقى الحنفى ، المعروف بابن كِشْك ، بدمشق ، فى ليلة الخميس سابع[٦] [شهر][٧] ربيع الأول ، بعد أن ولى قضاء الحنفية بدمشق سنين كثيرة ، وجمع بينها وبين نظر الجيش بدمشق فى بعض الأحيان ، وطُلب لكتابة سر مصر فأبى وامتنع واستعفى من ذلك حتى أعفى .

وكان من أعيان أهل دمشق فى زمانه ، [و][٨] لم يكن فى الشاميين من يدانيه

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (قاتلهم) .

(٢) الطِّينة بُليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر ، ينسب اليها أبو الحسن على بن منصور الطينى ؛ وكانت نقطة عسكرية لحراسة الحدود ، وسميت بالطينة لوقوعها فى أرض رخوة تعاودها مياه البحر فى بعض الأوقات ، ولا تزال آثار قلعة الطينة باقية إلى اليوم شرق بور سعيد على بعد ٢٤ كيلو مترا منها (ياقوت : معجم البلدان جـ٦ ص ٨١ ؛ وراجع النجوم الزاهرة جـ١٠ ص ٢٢١ حاشية ١) .

(٣) (٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (سادس) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الحوادث وتتبع تواريخها .

(٧) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .

فى العراقة والرئاسة ، وقد رشح بعض[١] أجداده من بنى العز لخطابة جامع تَنْكِز[٢] عند ما عمره[٣] تنكز[٤] ، وهم بيت علم وفضل ورئاسة ، ليس بالبلاد الشامية من هو أعرق منهم غير بنى العديم الحلبيين ، ثم بعد بنى العز هؤلاء بنو[٥] البارِزى الحمويون[٦] — انتهى .

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين محمد بن على بن أبى بكر الشَّيْبِى الشافعى المكى[٧] قاضى قضاة مكة وشيخ الحَجَبَة بباب الكعبة ، بها ، فى ليلة الجمعة ثامن عشرين [شهر][٨] ربيع الأول ، عن نحو سبعين سنة ، وهو قاض . وكان خيّراً ديّناً مشكور السيرة سمحاً متواضعاً بارعا فى الأدب ، وله مشاركة جيدة فى التاريخ وغيره ، لما[٩] رآه ، فإنه كان رحل إلى اليمن وغيره وجال فى البلاد ، رحمه الله .

وتوفى الأمير سيف الدين آقبَغَا بن عبد الله الجمالى الأستادّار وهو على كشف البحيرة ، قتيلا بيد العرب فى واقعة كانت بينه وبينهم ، فى حادى عشرين [شهر][١٠]

---

(١) فى ا (بعد) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (دنكز) والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .

(٣) فى ا (عمر) .

(٤) أورد ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى (حـ١ ورقة ١٥٦–١٥٧) قصة تعمير مسجد تنكز وحقد بعض من له غرض فى تولية الخطابة لغير الكشك ، وخلاصتها : أن الأمير تنكز نائب الشام رشح ابن الكشك للخطابة فى جامعه الذى بناه ، واتفق أن توجه تنكز لينظر عمارة الجامع ، وكان المرخمون بصحن الجامع يصلون الرخام ، فقال تنكز : والله صحن مليح . فأجابه بعض الحاقدين ، ليصرفه عن ترشيح ابن الكشك ، وقال : أى والله يا خوند ، الا ما يصلح أن يكون فى مثل هذا الصحن كشك ! فضحك تنكز وفطن لهدفه . كما أن ابن الكشك تعرض لهجاء بعض شعراء عصره ، من ذلك :

الكشك فظ غليظ محرك للسواكن

أبواه در وتمر نعم الجدود واكن !

(٥) فى ا (بنى) .

(٦) فى ا (الحمويين) . راجع عقد الجمان حـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٦١٩ .

(٧) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٨) عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) فى طبعة كاليفورنيا (عما) والمثبت عن ا .

(١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

ربيع الآخر ؛ وكان أصله من مماليك الأمير كَمَشْبُغَا الجمالى أحد أمراء الطبلخانات المقدم ذكره فى سنة ثلاث وثلاثين ، وكان يسافر إلى إقطاعه ، ثم تعانَى البَلْص(١) ولا زال يترقى إلى أن ولى الكشف بعدة أقاليم ، ثم ولى الأستادّارية مرتين حسبما تقدم ذكره . كل ذلك فى حياة أستاذه كَمَشْبُغَا الجمالى ، ونُكِب فى ولايته الثانية وامتُحن وضرب وصودر ، ثم سافر مع [الملك](٢) الأشرف إلى آمد فظهر منه هناك شجاعة وإقدام فى قتال القَرَايُلُكية ؛ فأنعم عليه السلطان بإقطاع تَنْبَك البهلوان بعد موته ، ثم ولاه بعد قدومه [٦٥] إلى مصر كشف [الوجه](٣) القبلى ، ثم نقله إلى كشف الوجه البحرى فقُتل هناك .

وكان وضيعاً من الأوباش ، لا يشبه فعلُه أفعالَ المماليك فى حركاته وسكونه ولا فى قتاله ، على أنه كان مشهوراً بالشجاعة ، وشجاعته كانت مشتركة بجنون وسرعة حركة ، وكان أهوجَ(٤) قليل الحشمة ، ليس عليه رونق ولا أُبَّهة ؛ وكان إذا تكلم يكرر فى كلامه اسم « دا » غير مرة . بحيث أنه كان يتكلم الكلمة الواحدة ثم يقول اسم « دا » ، وفى الجملة أنه كان من الأوغاد ، ولولا أنه ولى الأستادارية ما ذكرته فى هذا الكتاب ولا غيره .

وتوفى الأمير الكبير سيف الدين جَارِقُطْلُو(٥) بن عبد الله الظاهرى أتابك العساكر بالديار المصرية ، ثم كافل المملكة الشامية بها ، فى ليلة الاثنين تاسع عشر

(١) تعانى البَلْص ، أى صار من حملة الأجناد البلاصيّة ، وهؤلاء يخدمون عادة عند الكشاف ، ويتولون جباية الضرائب . والمفرد بلاصى والجمع بلاصيّة ؛ وقد وردت هذه الكلمة فى مواضع كثيرة ، ففى طبعة كاليفورنيا (جـ٦ ص ٦٥١-٦٥٢) أن هذا الأمير المذكور بالمتن أصله «من الأوباش ، من مماليك كشبغا الجمالى ، ثم خدم بلاصياً عند الكشاف ، ثم ترقى حتى ولى الكشف الخ ... » .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) اقتضى السياق إضافة هذه الكلمة ، لزيادة الإيضاح ، واقتضت هذه الإضافة تعريف الكلمة التالية لها .

(٤) فى الأصل (أهوجا)

(٥) فى متن ا (قطلى) واستدركت الصيغة المشهورة بالهامش .

[شهر](١) رجب ، وهو فى عشر السبعين ، وأصله من مماليك [الملك](٢) الظاهر برقوق ، ومن إنيات(٣) سُودون الماردانى ، وتأمّر فى الدولة الناصرية ، ثم ولى فى الدولة المؤيدية نيابة حماه ، ثم نيابة صفد ، ثم أعاده الأمير طَطَر إلى نيابة حماه ثانيا بعد إنيه تَنبَك البَجَاسى لما نقل إلى نيابة طرابلس ، فدام بحماه إلى أن نقله [الملك](٤) الأشرف إلى نيابة حلب بعد إنيه تنبك البجاسى أيضا ، لما نقل تَنبَك إلى نيابة الشام(٥) ، بعد موت تنبك مِيق ، فدام جَارْقُطْلُو فى نيابة حلب إلى أن عزله [الملك](٦) الأشرف ، واستقدمه إلى القاهرة أميرَ مائة ومقدمَ ألف ، ثم خلع عليه باستقراره أميرَ مجلس ، ثم نقله إلى الأتابكية بالديار المصرية بعد موت الأمير يَشْبك الساقى الأعرج ، فدام على ذلك سنين إلى أن ولاه [الملك](٧) الأشرف نيابة دمشق بعد عزل سودون من عبد الرحمن عنها ، واستقر سودون من عبد الرحمن أتابكا عوضه(٨) فاستمر على نيابة دمشق إلى أن مات فى التاريخ المقدم ذكره .

وكان أميراً جليلاً مهاباً شهماً متجملا فى جميع أحواله ، وكان قصيراً بطيناً أبيض الرأس واللحية ، وفيه دعابة وهزل مع إسراف على نفسه ، وسيرته(٩) مشكورة

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) ، (٤) ، (٦) ما بين الحواجز من طبعة كاليفورنيا .

(٣) إنيات جمع ومفردها إنى أو إنيا ، ومعناها الزميل أو الخجداش أو الخشداش . وقد وردت هذه الكلمة بصيغة المفرد والجمع ، فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، كما هو واضح بالمتن ، فمثلا : الأمير برسبغا المحمدى إنى برسبغا الدوادار (ح٦ من طبعة كاليفورنيا ص ٥١٢) ، وكذلك « جمع له الأمير يشبك جماعة من إنياته من المماليك المؤيدية ومن أصحابهم » (ص ٥٢٨ من الطبعة المذكورة سابقا) ، وفى ص ٥٥٥ : أن برسباى عندما كان مملوكا صغيرا زمن برقوق ، سكن الطباق ، وصار « إنيًّا للأمير جركس القاسمى المصارع » كما صار « تمراز القرمشى إنيا ليلبغا الناصرى » وهكذا . (راجع حاشية ٢ ص ١٦١ فيما سبق عن الخجداش) .

(٥) أشار وليام بوبر فى هامش طبعة كاليفورنيا (ح٦ ص ٥٦٦) إلى بعض هذه العبارة واحتمال سقوطها من المتن ، لكنه لم يثبتها بالمتن .

(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) فى ا (عنده) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) فى ا (وسيره) .

في ولايته ؛ قلت : كان ظلمه على نفسه لا على غيره ، والله تعالى يسامحه بمنه وكرمه .

وكان له خصوصية زائدة عند [الملك][(١)] الأشرف بَرْسْباى ، بحيث أنى سمعته مراراً يبالغ فى شىء[(٢)] لا يفعله بقوله : لو سألنى جارْ قُطْلُو فى هذا ما فعلته ؛ وكان إذا جلس قاضى القضاة بدر الدين العينى عند السلطان فى ليالى الخدم ، وأخذ فى قراءة شىء من التواريخ ، يشير إليه السلطان بحيث لا يعلم جارْ قُطْلُو ، فينتقل بما هو فيه إلى شىء من الوعظيات ، ويأخذ فى التشديد على شرّاب[(٣)] الخمر وما أشبه ذلك ، ويبالغ فى حقهم ، والأشرف أيضاً يهوّل الأمر ويستغفر ، فإذا زاد عن الحد يقول جَارْ قُطْلُو : [يا قاضى][(٤)] ، ما تذكر إلا شَرَبة الخمر وتبالغ فى حقهم بأنواع العذاب؟ ليش ما تذكر[(٥)] القضاة وأخذهم الرشوة والبراطيل وأموال الأيتام[(٦)] ؟ .. يقول ذلك بحدة وانحراف حلو ، فلما يسمع [الملك][(٧)] الأشرف كلامه يضحك وينبسط هو وجميع أمرائه ؛ وكان يقع له أشياء كثيرة من ذلك — انتهى .

[(٨)]وتوفى السيد الشريف رميثة بن محمد بن عجلان مقتولاً خارج مكة فى خامس رجب بعد أن ولى إمرة مكة فى بعض الأحيان ، فلم تحمد سيرته وعزل[(٩)] .

وتوفى الشيخ الإمام الأديب الشاعر المفنن تقى الدين أبو بكر بن على بن حِجَّة — بكسر الحاء المهملة — الحموى الحنفى الشاعر المشهور ، صاحب القصيدة البديعية[(١٠)] وشرحها وغيرها من المصنفات . مات بحماه ، فى خامس عشرين شعبان ، ومولده

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (سر) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (شربة) والمثبت عن ا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (ثم لا تذكر) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ولا فرق يذكر .
(٦) فى ا (الأيام) .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) ، (٩) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(١٠) فى ا (البديعه) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

سنة سبع وسبعين وسبعمائة . وكان أحد ندماء الملك (١) المؤيد وشعرائه وأخصائه، وولى إمامة(٢) عدة وظائف دينية ، وعظم فى الدولة ، ثم خرج من مصر بعد موت [الملك](٣) المؤيد إلى مدينة حماه واستوطنها ، إلى أن مات بها . وكان بارعاً فى الأدب(٤) ونظم القريض وغيره من ضروب الشعر ، مفنناً لا يجحد فضله إلا حسود ؛ ومن شعره مُضَمِّناً مع حسن التورية : [الرجز]

سرنا وليلُ شَعْرِه مُنْسَدِلٌ   وقد غدا بِتَوْمِنا مُضفَّرَا
فقال صبحُ ثَغْرِه مُبْتَسِماً   عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى(٥)

(٦)وله عفا الله عنه(٧) : [الخفيف]

فى سويداء مُقْلةِ الحبِّ نَادى(٨)   جَفْنُهُ وهو يَقْنُصُ الأُسْدَ صَيْدَا
لا تقولوا ما فى السُّوَيْدا رِجَالٌ   فأنا اليومَ من رجالِ سُوَيْدَا(٩)

قلت : وهذا بعكس ما قاله ابن نباتة والصلاح الصفدى ؛ فقول ابن نباتة : [السريع]

من قال بالمُرْدِ فإنى امرؤٌ(١٠)   إلى النسا مبلى ذوات الجمال
ما فى سويدائى إلا النسا(١١)   ما حياتى ؟ ما فى السُّويدا رجال !

---

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (أيامه) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (السرا) .
(٦) ، (٧) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (نادا) .
(٩) فى ا (السويدا) .
(١٠) فى ا (امر) .
(١١) فى ا (النساء) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

[وقول الصفدى :

المقبـــلةُ الكحلاء[1] أجفانُها تَرْشُقُ فى وَسْط فؤادى نبالْ
وتقطع الطُّرْقَ[2] على سلوتى حتى حسبنا فى السُّويدا رجالْ][3]

ومن نظم الشيخ تقى الدين [أيضا] ، قوله : [المنسرح]

أرشفنى ريقَـــه وعانقنى وخَصْرُه يلتوى من الرِّقه
فصرتُ من خَصْرِه وريقَتِه أهيمُ بين الفراتِ والرَّقّه[4]

ومما كتب إليه قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى ، مُضَمِّنًا لشعر أمرئ القيس : [الطويل]

أحِنُّ إلى تلك السجايا وإنْ نَأتْ حَنينَ أخى ذكرى حبيب ومنزلِ
وأذكرُ ليلاتٍ بِكُمْ قد تَصَرَّمَتْ بدارِ حبيبٍ لا بِدَارةِ جُلْجُلِ[5]
شكوتُ إلى الصَّبْرِ[6] اشتياقى فقال لى :
تَرَفَّقْ ولا تَهْلِكْ أَسًى وتَجمَّـــلِ[7]
فقلتُ له : إنى عليكَ مُعَوِّلٌ وهل عند رَبْعٍ دارسٍ من مُعوَّلِ ؟

فأجابه الشيخ تقى الدين بن حِجَّة المذكور بقوله :

سَرَتْ نَسْمةٌ منكمْ إلىَّ كأنَّها بِريحِ الصَّباجاءتْ[8] بِرَيَّا القَرَنْفُلِ[9]

(١) فى المنهل الصافى (مقلته السوداء) والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .
(٢) فى ا (الطريق) .
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط فى طبعة كاليفورنيا ومثبت عن ا وعن المنهل الصافى (جـ٢ ورقة ٦٥-٧٣) وعن النجوم الزاهرة جـ١١ ص ٢٠ ؛ فقد ورد هذان البيتان بصدد ترجمة الصفدى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) .
(٤) الرَّقه مدينة فى أعالى الفرات .
(٥) فى ا (جلجل) .
(٦) فى الأصل (صبر) وما أثبتناه لتقويم الوزن .
(٧) المثبت عن ا وعن المعلقة نفسها ، وفى طبعة كاليفورنيا (اساء تحمّل) .
(٨) فى ا (رحات) .
(٩) فى ا (بزى القرنفل) .

فقلتُ لليلٍ مُذْ بدا صُبْحُ طُرْتِها: ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ
ورَقَّتْ فأشعارُ امرئ القيسِ عندها كجلمود صخرٍ حطَّه السيلُ من علِ

فقلت[1]: قِفا نضحكْ لرقَّتها على[2]

« قِفانبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ »

وتوفى ملك الغرب[3] وسلطانها، أبو فارس عبد العزيز [المتوكل][4] ابن أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى[5] بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد ابن عمر المِنْتَاتى الحَفْصى، فى رابع عشر ذى الحجة، عن ست وسبعين سنة، بعد أن خُطب له بفاس وتلمسان وما والاهما من المدن والقرى، إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وأياماً[6].

وكان خير ملوك زمانه شجاعة ومهابة وكرماً وجوداً وعدلاً وحزماً وعزما ودينا، وقام من بعده فى الملك حَفيده المنتصر أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبى عبد الله محمد بن أبى فارس المذكور.

وتوفى سلطان بَنْجالَة[7] من بلاد الهند، جلال الدين أبو المظفر محمد بن فَنْدو ؛

---

(١) مكان هذه الكلمة خال فى ا ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (علا) .
(٣) فى ا (العرب) .
(٤) عن زامباور (حـ١ ص ١١٧) .
(٥) (ابن يحيى) مكرر مرتين فى ا ، والمثبت هو الصواب من زامباور (حـ١ ص ١١٧) وعن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (وايام) .
(٧) المعروف عن ملوك بنغاله أو بنجاله ، كما يسميها ابن تغرى بردى وابن بطوطة ، أنهم حكموا إحدى الدول الإسلامية السبع التى انقسمت اليها إمبراطورية محمد بن طغلق (ت ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م) ؛ وكان حكام بنغاله يحكمون أولا من قبل سلاطين دهلى ، ولما استقلت بنغاله ، صار هؤلاء الحكام يلقبون أنفسهم بالسلاطين ، والأسرة السلطانية التى ينتسب إليها السلطان جلال الدين — المذكور بالمتن — هى أسرة راجه كانس ، وأول سلاطينها شهاب الدين بايزيد شاه ثم راجه كانس شاه ، وقد حكماها فى عام ٨١٢ هـ ، وجاء بعدها جلال الدين محمد شاه بن راجه كانس وهو الذى اعتنق الإسلام (راجع LANE-POOLE, Op. Cit., p. 304 ؛ زامباور حـ٢ ص ٤٢٧ ؛ عقد الجمان حـ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٧٥–٦٧٦)

وكان فَنْدو يعرف بكاس . كان أبوه[1] فندو المذكور كافراً ، فأسلم جلال الدين هذا ، وحسُن إسلامه ، وبنى الجوامع والمساجد [وعمَّر][2] أيضاً ما خرب في أيام أبيه ، من المدن ، وأقام شعائر الإسلام ، وأرسل بمال إلى مكة ، وبهدية إلى مصر ، وطلب من الخليفة المعتضد بالله [أبى الفتح داوُد][3] تقليداً بسلطنة الهند ، فبعث إليه الخليفة [الخلعة][4] والتشريف مع بعض الأشراف ، فوصلت الخلعة إليه ولبسها ، ودام بعدها إلى أن مات ؛ وأقيم بعده ولدُه المظفَّر أحمد شاه ، وعمره أربع عشرة[5] سنة .

وتوفى صاحب بغداد شاه محمد بن قرا يوسف بن قرا محمد ، في ذى الحجة مقتولاً على حصن من بلاد القان شاه رُخ بن تيمورلَنْك ، يقال له شنكان ، وأقيم بعده على مُلك بغداد أميرزه علىّ [ابن][6] أخى قرا يوسف . وكان شاه محمد المذكور ردىء [٦٧] العقيدة يميل إلى دين النصرانية — قبَّحه الله ولعنه — وأبطل شعائر الإسلام من دار السلام وغيرها بممالكه ، وقتل العلماء وقرَّب النصارى ، ثم أبعدهم ، ومال إلى دين المجوس وأخرب البلاد وأباد العباد ، أسكنه الله سَقَر ومن يلوذ به من إخوته وأقاربه ممن هو على اعتقاده ودينه .

وتوفى الشيخ الإمام أبو الحسن على بن حسين بن عروة بن زكنون[7] الحنبلى الزاهد الورع في ثانى جمادى الآخرة خارج دمشق ، وقد أناف على الستين سنة ، وكان فقيهاً عالماً ، شرح مسند الإمام أحمد ، وكان غاية في الزهد والعبادة والورع والصلاح[8] ، رحمه الله .

أمر النيل في هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وثلاثة أصابع ؛ مبلغ الزيادة : سبعة عشر ذراعاً وسبعة عشر إصبعا .

---

(١) في ا (أباه) .
من (٢) إلى (٤) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) في ا (عشر) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) في ز (كنون) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) في ا (الصلاه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر](١)

وهى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة :

[فيها](٢) توفى سلطان كَرْبُرْجه(٣) من بلاد الهند شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بَهْمَن فى شهر [رجب](٤) بعد ما أقام فى مُلك كربرجه أربع عشرة(٥) سنة . وتسلطن من بعده ابنُه ظفر شاه ، واسمه أيضا أحمد ؛ وكان السلطان شهاب الدين هذا من خير ملوك زمانه(٦) وله مآثر بمكة معروفة ، رحمه الله تعالى(٧) .

وتوفى الأمير الكبير سيف الدين طَرَبَاى بن عبد الله الظاهرى جَقْمَق نائب طَرَابُلُس ، فى بكرة نهار السبت رابع شهر رجب(٨) ، من غير مرض ، فجأة ،

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ورد هذا الاسم فيما سبق (كربركا) ، راجع حاشية رقم ١ ص ١٢٩ من هذا الجزء.
(٤) ما بين الحاصرتين عن زامباور (ج٢ ص ٤٣٧) .
(٥) فى ا (عشر) .
(٦) المعروف عن البهمانيين Bahmani Dynasty أنهم حكموا بالدكن من بلاد الهند ، وعرفوا كذلك باسم ملوك كلبرگه Kulbarga ، وشمل سلطانهم : أحسن أباد ورنكل وبيدر . وأول هؤلاء الملوك حسن كانكو (جانجى) علاء الدين ظفر خان ، ولى العرش سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م وتوفى سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م ؛ والملك المشار إليه بالمتن هو التاسع فى سلسلة البهمنيين ، وهو الذى نقل العاصمة إلى أحمد أباد بيدر .
(راجع زامباور ج٢ ص ٤٣٧ ؛ LANE POOLE, Op. Cit., pp. 316-319.)
(٧) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) المثبت عن ا وعن طبعة كاليفورنيا ، لكن يلاحظ أن ٤ من شهر رجب (٨٣٨ هـ) لا توافق يوم السبت المذكور بالمتن ، وإنما توافق يوم الخميس ، وأن السبت يوافق ٦ رجب ، فقد ورد فيما سبق (ص ٥٩) أن المحمل أدير فى يوم الاثنين ٨ رجب (٨٣٨ هـ) ، وفى نفس الصحيفة أن الأمير سيف الدين طرباى وصل إلى مصر فى يوم الأربعاء ١٥ شعبان من نفس السنة . وبالرجوع إلى ترجمة هذا الأمير فى المنهل الصافى (ج٢ ورقة ٢٢١-٢٢٣) وفى الضوء اللامع (ج ٤ ص ٧) ، اتضح أن الأمير طرباى ظل على نيابة طرابلس حتى وفاته فجأة ، ولذلك يحتمل أن وفاته وقعت فى شهر شعبان وليست فى شهر رجب كما هو وارد بالمتن .

بعد صلاة الصبح وهو جالس بمصلاه ؛ وقد تقدم من ذكره نبذة كبيرة فى ترجمة الملك الصالح محمد بن ططَر ، بما وقع له مع جانبك الصوفى ، ثم مع الملك الأشرف ، حتى قبض عليه وحبسه بالإسكندرية مدة طويلة ، ثم أخرجه إلى القدس ، ثم ولاه نيابة طرابلس ، فدام به إلى أن مات .

وكان أميراً ضخماً جميلاً شهماً مقداماً ديّناً خيّراً معظّما فى الدول ، لم يُشهر عنه تعاطى شىء من القاذورات ، غير أنه كان يقتحم الرئاسة ، وفى أمله أمور ، فمات قبلها . وهو أحد أعيان المماليك الظاهرية [برقوق][1] ورؤوس الفتن فى تلك الأيام ، وكان أكبر منزلة من [الملك][2] الأشرف برْسباى قديما وحديثا ، وكان بينهما صحبة أكيدة عرفها له الأشرف ، وأخرجه من السجن وولاه طرابلس ، ولو كان غيره ما فعل معه ذلك ، لما سبق بينهما من التشاحن على الملك — انتهى .

وتوفى السلطان أميرزه إبراهيم بن القان معين الدين شاه رخ ابن الطاغية تَيْمُور [لَنْك][3] كُوْرْكان[4] ، صاحب شيراز ، فى شهر رمضان . وكان من أجل ملوك جَغْتاى[5] وأعظمهم ؛ كان يكتب الخط المنسوب إلى الغاية فى الحسن ، يقارب فيه ياقوتا المستعصمى[6] ، ووجد عليه أبوه[7] شاه رخ كثيراً ، وكذلك أهل شيراز .

ثم فى السنة أيضا[8] ، توفى[9] أخوه[10] باى سُنْقُر بن شاه رُخْ بن تيمور

من (١) إلى (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) كوركان أو كورخان بمعنى واحد ، ومعناها « صهر الملوك » ، وكذلك يلقب تيمورلنك بـ (قطب الدين) (راجع زامباور حـ٢ ص ٤٠١ ؛ المنهل الصافى حـ١ ورقة ٤١٤–٤٣١ ، وانظر ما سبق ص ١٧٨ حاشية ٩) .

(٥) جغتاى هو : ابن جنكيز خان ، توفى حوالى شوال سنة ٦٣٩ هـ .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (المتصمى) ، والصواب هو المثبت من ا . وياقوت هذا هو ابن عبد الله المستعصمى جمال الدين أبو المجد الرومى الطواشى صاحب الخط المنسوب ، وكان أستاذه الخليفة المستعصم قد رباه فبرع فى الأدب والنظم والنثر وانتهت إليه الرئاسة فى الخط المنسوب (راجع النجوم الزاهرة حـ٨ ص ١٨٧–١٨٨)

(٧) ، (٨) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٩) فى ا (وتوفى) ، غير أن سياق العبارة اقتضى حذف حرف الواو .

(١٠) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

صاحب مملكة كرمان ، فى العشر الأول من ذى الحجة . وكان باى سُنْقُر ولىّ عهد أبيه[1] شاه رخ فى الملك ، وهو أشجع أولاد شاه رخ وأعظمهم إقداما وجبروتا[2] ، وهو والد من بقى الآن من ملوك جغتاى بممالك العجم ، وهم : بابور وعلاء الدولة ومحمد ؛ والجميع أولاد باى سُنْقُر هذا ، تولى تربيتهم جدّتهم كهرشاه خاتون لحبّها لأبيهم باى سنقر دون جميع أولادها ، ولهذا المعنى كان قدّمه شاه رُخ على ولده ألُوغ بك صاحب سَمَرْقَنْد ، كل ذلك لميل زوجته كهرشاه إليه ، على أن ألُوغ بك أيضا ، ولدُها بكرُها ، غير أنها ما كانت تُقدّم على باى سُنْقُر أحداً من أولادها — انتهى .

وتوفى الشريف زُهير بن سليمان بن ريان بن منصور بن جمّاز[3] بن شيحة الحسينى ، فى محاربة كانت بينه وبين أمير المدينة النبوية مانع بن على بن عطية بن منصور ابن جمّاز بن شيحة ، فى شهر رجب ، وقتل معه عدة من بنى حسين . وكان زهير المذكور من أقبح الأشراف سيرة[4] ، كان خارجا عن الطاعة ، ويخيف[5] السبيل ، ويقطع الطريق ببلاد نجد والعراق وأرض الحجاز فى جمع كبير ، فية نحو الثلثمائة فارس وعدة رماة بالسهام[6] ، وأعيا الناسَ أمرُه ، إلى أن أخذه الله وأراح الناس منه .

وتوفى الَحطِّىُّ ملك الحبشة الكافر صاحب أمْحَرَة من بلاد الحبشة[7] ، وممالكه متسعة [٦٨] جداً بعد أن وقع له مع السلطان سعد الدين صاحب جَبَرْت حروب .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم[8] خمسة أذرع واثنان وعشرون إصبعا ؛ مبلغ الزيادة : عشرون ذراعا وثمانية عشر إصبعاً .

(١) فى ا (ابنه) . (٢) فى ا (وجبروت) .

(٣) فى ا (حمار) . (٤) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى الأصل (ويخاف) .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (بالسهم) فى صيغة المفرد ، والمثبت عن ا .

(٧) الملك المشار إليه بالمتن هو المعروف فى سلسلة ملوك الأسرة السليمانية فى الحبشة باسم بادل ثان ، الذى لم تزد مدة حكمه عن ثمانية شهور ، وتوفى عام ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤ م ، وخلفه الملك المشهور فى تاريخ الحبشة وتاريخ العلاقات المصرية الحبشية . وهو زرء يعقوب Zara Yacob ، وفى الكتب العربية زَرْءَ يعقوب ، وحكم من ١٤٣٤ إلى ١٤٦٨ م . (انظر :

BUDGE, *A History of Ethiopia*, Vol. I. p. 303: KAMMERER, *Essai sur l'histoire antique d'Abyssinie*, pp. 366-7.

وانظر : طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى — مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عدد ٨ سنة ١٩٥٩ — ص ٦٠ ؛ المقريزى : الإلمام ص ١٩) .

(٨) فى ا (العليل) .

السنة الخامسة عشرة من سلطنة الملك(١) الأشرف

برسباى [على مصر](٢)

وهى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة :

[وفيها](٣) توفى ملك تونس من بلاد إفريقية بالمغرب ، السلطانُ المنتصر بالله أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى فارس عبد العزيز ، المقدم ذكره ، ابن أحمد المِنْتاتى الحَفْصى(٤) ، فى يوم الخميس حادى عشرين صفر(٥) بتونس . وكان مَلَكَ بعد جده أبى فارس ، فلم يَتَهَنَّ بالملك لطول مرضه ، وكثرت الفتن فى أيامه وعظم سفك الدماء ، إلى أن مات . وأقيم فى مملكة تونس من بعده أخوه شقيقه عثمان ، فقَتل عدة من أقاربه وغيرهم .

وكان من خبر المنتصر أنه ثَقُل فى مرضه حتى أُقعد ، وصار إذا سار إلى مكان يركب فى عمّاريّة(٦) على بغل ، وتردد كثيراً فى أيام مرضه إلى قصره خارج تونس للنزهة به ، إلى أن خرج يوما ومعه أخوه أبو عَمرو عثمان المقدم ذكره ، وهو يوم ذاك صاحب قسطنطينة ، وقد قدم عليه [الخبر](٧) وولاه الحكم بين الناس ، ومعه أيضا القائدُ محمد الهلالى ، فصار لهما مرجعُ أمور الدولة بأسرها ، وحجبا(٨) المنتصرَ هذا عن كل أحد . فلما صارا معه فى هذه المرة إلى القصر المذكور ، تركاه به ، وقد أغلقا عليه ، يوهمان أنه نائم ، ودخلا المدينة . واستولى أبو عَمرو عثمان المقدم ذكره على تخت الملك ، ودعا الناس إلى طاعته ومبايعته ، والهلالىُّ قائم بين يديه ،

---

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) ، (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) السلطان أبو عبد الله محمد المنتصر الحفصى : هو الثامن عشر فى سلسلة ملوك آل حفص بتونس
(راجع : ابن خلدون ج٦ ص ٢٧٥ ؛ زامباور ج١ ص ١١٥–١١٨ ؛ القرمانى ص ٢٥٤–٢٥٥) .

(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) العمّارية هودج يحمل على الدابة (DOZY, *Supplement aux Dictionnaires Arabes*)

(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) فى ا (وحجبا) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الكلام .

فلما ثبّت دولتَه ، قبض أيضا على الهلالىّ وسجنه وغيّبه عن كل أحد . ثم التفت إلى أقاربه ، فقَتل عمّ أبيه وجماعةً كبيرة من أقاربه ، فنفرت عنه قلوب الناس ، وخرج عليه الأميرُ أبو الحسن ابن السلطان أبى فارس عبد العزيز متولى بِجَايَة وحاربه ، ووقعَ له معه أمور يطول شرحها ، إلى أن مات أبو عمرو المذكور حسبما يأتى ذكره فى محله ؛ وأما المنتصرُ فإنه قُتل بعد خلعه بمدة ، وقيل مات من شدة القهر .

[وفيها][(١)] توفى قاضى القضاة الشريفُ ركن الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الحنفى الدمشقى ، المعروف بدُخان[(٢)] ، قاضى قضاة دمشق بها ، فى ليلة الأحد سابع المحرم ، وقد أناف على ستين سنة ؛ وكان فقيهاً حنفياً ماهراً بارعاً فى معرفة فروع مذهبه ، وله مشاركة فى عدة فنون ، ونشأ بدمشق ، وبها تفقّه وناب فى الحكم ، ثم استقلّ بالقضاء [بعد موت ابن الكِشْك][(٣)] ، وحُمدت سيرته ، وهو ممن وَلِىَ القضاء بغير سعى ولا بذل ، ولو لم يكن من[(٤)] محاسنه إلا ذاك لكفاه فخراً ، مع عريض جاهه بالشرف .

وتوفى التاجُ بن سَيْفا الشُّوبَكى الدمشقى القازانى الأصل ، والى القاهرة ، فى ليلة الجمعة حادى عشرين[(٥)] [شهر][(٦)] ربيع الأول بالقاهرة ، وقد أناف على ثمانين سنة ، وهو مُصِرّ على المعاصى والإسراف على نفسه وظُلم غيره ، والتكلم بالكفريات . وكان من قبائح الدهر ، ومن سيئات [الملك][(٧)] المؤيَّد شيخ [المحمودى][(٨)] ، لما اشتمل عليه من المساوئ ؛ وقد ذكر التريزى عنه أموراً شنعة ،

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (دخان) ، ويقال له كذلك الدخاخى (راجع عقد الجمان جـ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٧٤).

(٣) عن شذرات الذهب (جـ٧ ص ٢٣١).

(٤) فى ا (فى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (حادى عشر) ، والمثبت هو الصواب عن ا؛ ذلك أن ليلة الجمعة لا توافق ١١ ربيع أول لسنة ٨٣٩هـ ، فقد سبق فى ص ٦٤ ، ٦٥ بصدد حوادث هذا الشهر من السنة المذكورة ، أن يوم الجمعة يوافق ٦ ربيع أول ، ويوم الاثنين يوافق ٩ منه وهكذا ؛ جاء تاريخ وفاة الأمير الوارد بالمتن ؛ وبمراجعة تواريخ هذه الفترة ، ما بين ليلة الجمعة حادى عشرين ربيع أول وليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع آخر ، اتضح أن التاريخ المثبت بالمتن هو الصواب .

من (٦) إلى (٨) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

واستوعبنا نحن أيضاً أحواله فى ترجمته من تاريخنا « المنهل الصافى[1] [والمستوفى بعد الوافى]»[2] . وكان[3] من جملة ما قاله الشيخ تقى الدين المقريزى [رحمه الله][4] فى حقه : وكان وجودُه عاراً على بنى آدم قاطبة ؛ قلتُ : وهو من قبيل من قيل فى حقه : [الكامل]

قومٌ إذا صَفَع النعالُ قَذالَهم[5]
قال النعالُ : بأى ذنب نُصفَعُ ؟

وتوفى الأمير سيفُ الدين قَصْروه بن عبد الله من تِمْراز الظاهرى ، نائب دمشق ، فى ليلة الأربعاء ثالثِ [شهر][6] ربيع الآخر ، وكان أصلُه من مماليك [الملك][7] الظاهر برقوق من إنيات جَرِباش الشيخى من طبقة الرَّفْرَف ، وترقى بعد موت أستاذه الظاهر ، إلى أن صار من جملة أمراء العشرات ، ثم أمسكه [الملك][8] المؤيد وحبسه مدة ، ثم أطلقه فى أواخر دولته ، ولما آل التحدث فى المملكة للأمير طَطَر ، أنعم على قَصْرُوه المذكور بإمرة مائة وتقدمة ألف ، ثم صار رأسَ نوبة النُّوَب ، ثم أميرَ آخورٍ كبيراً فى أواخر دولة الملك الصالح محمد بن طَطَر ، ودام على ذلك سنين ، إلى أن نقله السلطانُ [الملك الأشرف][9] بَرْسْباى[10] إلى نيابة طَرَابُلُس [٦٩] بعد عزل إينال النَّوْرُوزى وقدومه القاهرة على إقطاع قَصْرُوه المذكور ، واستقر فى الأميرآخورية بعده الأمير جَقْمَق العلائى ، فدام قَصْرُوه على نيابة طَرَابُلُس سنين ،

(١) أشار ابن تغرى بردى ، فيما ذكره فى ترجمة التاج بن سيفا ، فى المنهل الصافى ، إلى أنه كان يعمل فى مطلع حياته بنّاءً بحمامات دمشق (راجع المنهل ج٢ ورقه ٣٨٣–٣٨٤) .

(٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا « كانت » .

(٤) ، (٦) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (قفاهم) والمثبت عن ا .

(٨) ، (٩) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(١٠) اسم برسباى ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

ثم نُقل [بعد سنين][(١)] إلى نيابة دمشق ، بعد موت الأتابك جارْقُطْلُو أيضاً ، فدام في نيابة دمشق إلى أن مات في التاريخ المقدم ذكره .

وكان أميراً عاقلاً مدبراً سَيُوساً معظَّماً في الدول ، وهو أحد من أدركناه من عظماء الملوك ورؤسائهم[(٢)] ، وهو أحدُ من كان سببا لسلطنة [الملك][(٣)] الأشرف بَرْسباى ، وأعظمُ من قام معه حتى وثب على المُلك ، وهو أيضا أستاذُ كل من[(٤)] يُدْعى بالقَصْرَوِى ، لأننا لا نعلم أحداً سُمى بهذا الاسم ، ونالته السعادةُ غيرَه ، وتولى بعده نيابةَ دمشقَ الأميرُ إينال الجَكَمى .

وتوفى الأميرُ فخر الدين عثمان المدعو قَرَايُلُك ابن الحاج قُطْلُبك ، ويقال : قطلبك ابن طرعلى التركى الأصل التركمانى صاحب مارْدِين وآمِد وأرْزَنْ وغيرها[(٥)] من ديار بكر ، في خامس صفر ، بعد أن انهزم من إسكندر بن قرايوسف ، وقصد قلعة أرْزَن بخيل بيته وبينها ، فرمى بنفسه في خندق المدينة لينجو بمهجته فوقع على حجر فشج دماغه[(٦)] ، ثم حُمل إلى أرْزَن فمات بها بعد أيام ، وقيل بل غرق في الخندق المدينة ، ومات وقد ناهز المائة سنة من العمر فدفن خارج[(٧)] مدينة أرْزَن الروم ، فنبش إسكندر عليه وقطع رأسه وبعث بها إلى الملك الأشرف ، فطيف بها ، ثم علقت أياماً .

وكان أصل أبيه من أمراء الدولة الأُرْتُقِيَّة الأتراك[(٨)] ، ونشأ ابنهُ عثمان هذا

(١) ، (٣) التكملة عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (راسهم) .
(٤) فى ا (كلمن) .
(٥) فى ا (غيرهم) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (دغامه) .
(٧) فى ا (بخارج) .
(٨) بنو أرْتُق أو الدولة الأرتقية ، تنتسب إلى أرْتُق بك بن أكْسَب التركمانى : من الأمراء الذين خدموا السلاجقة ، وأول ملوك الدولة الأرتقية ظهوراً هو الأمير معين الدين سُقْمان بن أرتق (ت ٤٩٥ هـ/ ١١٠٢م) ، ولى القدس نيابة عن تُتُش أخى السلطان ملكشاه السلجوقى (ت ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢ م) ، إذ كان ملكشاه أقطع الشام كله وما يفتح لأخيه تاج الدولة تُتُش ، فأقطع هذا بدوره فلسطين إلى سُقْمان ، وبعد رحيل =

بتلك البلاد ، ووقع له مع ملوك الشرق وقائع ، ثم اتصل بخدمة تيمور لَنْك ، وكان جاليشه [1] لما قدم إلى البلاد الشامية فى سنة ثلاث وثمانمائة ، وطال عمره ولقى منه أهلُ ديار بكر وملوكُها شدائد ، لا سيما ملوك حصنُ كيفا الأيوبية ، فإنهم كانوا معه فى ضنك [2] وبلاء ، وتداول حروبه وشروره مع الملوك سنين طويلة ، وكان صبَّاراً على القتال ، طويل الروح على محاصرة القلاع والمدن ، يباشر الحروب بنفسه . ومع هذا كله لم يُشهر بشجاعة ، وكان فى الغالب ينهزم ممن يقاتله ، ثم يعود إليه غير مرة حتى يأخذه إما بالمصابرة أو بالغدر والحيلة ، وكذا وقع له مع القاضى برهان الدين أحمد صاحب سِيواس [3] ، ومع بير عمر [4] حتى قتلهما . ومع هذا [5] ، إنه كان من أشرار [6] الملوك ، غير أنه خير من بنى قَرايوسف ، لتمسُّكه بدين الإسلام ، واعتقاده فى الفقراء والعلماء . ولما مات خلَّف عدة أولاد [وأولاد الأولاد] [7] ، وهم إلى الآن ملوك ديار بكر ، وبينهم فتن [8] وحروب تدوم [9] بينهم إلى أن يفنوا جميعاً إن شاء الله تعالى [10] .

= سقمان عن فلسطين أمام الغزو الفاطمى ، توجه إلى العراق . وقام لهذه الأسرة فرعان : يحكم أحدهما فى ماردين والثانى فى حصن كيفا (انظر القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣١–١٣٢ ؛ السلوك حـ١ ص ٨٦ ، ٢٤٥ ؛ النجوم الزاهرة حـ٥ ص ١٠٦ ، ٢٧٩ ؛ زامباور حـ٢ ص ٣٤٤–٣٤٥ ؛ القرمانى ص ٢٧٧–٢٧٩) .

(١) الجاليش بمعنى الراية أو مقدمة الجيش أو الطليعة (انظر السلوك حـ١ ص ١٢٤ حاشية ١ ، ص ٦٢٨ حاشية ٤ ، ص ٦٩٢ حاشية ٤) .

(٢) فى ا (ضنك) .

(٣) القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس ، كان وزيرا للأمير علاء الدين محمد بن أرتنا صاحب سيواس وغيرها بآسيا الصغرى ، وبعد موت هذا الأمير سنة ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م ، بويع برهان الدين أميرا على هذه الإمارة ، واتخذ لقب سلطان ، وقُتل فى معركة حربية أمام قرايلوك عثمان أواخر عام ٨٠٠ هـ / ١٣٨٠ م (انظر زامباور حـ٢ ص ٢٣٢–٢٣٣) .

(٤) بير محمد بن عمر شيخ بن تيمورلنك ، قتل عام ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م . (زامباور حـ٢ ص ٤٠٢)

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (وفى الجملة) ، والمثبت عن ا .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (أشرّ) ، والمثبت عن ا .

(٧) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) فى طبعة كاليفورنيا (قتل) .

(٩) فى ا (تداول) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(١٠) راجع المنهل الصافى حـ٢ ورقة ٢٧٢–٢٧٤ ؛ عقد الجمان حـ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٧١ .

وتوفى الشريفُ مانع بن عطية بن منصور بن جَمَّاز بن شِيحة الحسينى أميرُ المدينة النبوية ؛ وقد خرج للصيد خارجَ المدينة فى عاشر جمادى الآخرة ، وثب عليه الشريف حيدر بن دوغان بن جعفر بن هبة الله بن جماز بن منصور بن شيحة وقتله بدم أخيه خَشْرَمْ بن دوغان [بن جعفر بن هبة الله بن جماز بن منصور الحسينى] أمير المدينة . وكان [الشريف][1] مشكور السيرة ، غير أنه كان على مذهب القوم[2] .

وتوفى الشيخ المُسَلِّك زين الدين أبو بكر بن محمد بن علىّ الخافى الهَرَوى العجمى ، فى يوم الخميس ثالث شهر رمضان بمدينة هَرَاة[3] ، فى الوباء ، وكان أحد أفراد زمانه . و « خاف »[4] : قريةٌ من قرى[5] خُراسان بالقرب من مدينة هَرَاة ؛ قلت : وفى الشيخ زين الدين نادرة : وهى[6] أنه عجمى واسمه أبو بكر ، وهذا من الغرائب ، ومن لم يستغرب ذلك يأتِ[7] بعجمى يكون اسمه أبا بكر أو عمر ، سُنِّيًّا كان أو شيعيًّا[8] .

وتوفى القاضى بدرُ الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز ، أحد أعيان الفقهاء الشافعية ونواب الحكم ، المعروف بابن الأمانة ، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان ومولده فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة تخميناً ، وكان فقيهاً بارعاً فى الفقه والأصول والعربية ، كثيرَ الاستحضار لفروع مذهبه ، وأفتى ودرّس سنين ، وناب فى الحكم مدة طويلة ، وشُكرت سيرته ، وكان فى لسانه مَسكَةٌ تمنعه عن سرعة الجواب[9] ، رحمه الله .

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) كان أشراف المدينة فى صراع دموى حول منصب الشريف ، ومنهم من كان يقطع السبل وينهب ما تصل إليه يده (راجع حوادث هذه السنة وغيرها فيما سبق) .
(٣) فى ا (الرها) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (وحان) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (قرا) .
(٦) فى ا (وهو) .
(٧) فى ا (يأتى) .
(٨) انظر عقد الجمان حـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٧٦ .
(٩) فى طبعة كاليفورنيا (الكلام) ، والمثبت عن ا .

وتوفيت[١] خَوَنْد جُلْبان بنت يَشْبك طَطَر الجاركَسية زوجة [السلطان][٢] الملك الأشرف [بَرْسباى][٣] ، وأمُّ ولده [الملك][٤] العزيز يوسف ، فى يوم الجمعة ثانى شوال ، بعد مرض طويل ، ودفنت بتربة السلطان [الملك][٥] الأشرف بالصحراء خارج الباب المحروق[٦] . كان [الملك][٧] الأشرف اشـتراها فى أوائل سلطنته واستولدها ابنَه الملك عبد العزيز يوسف [٧٠] ، فلما ماتت خَوَنْد الكبرى أمُّ ولده محمد المقدم ذكرها تزوجها السلطان وأسكنها قاعة العواميد ، فصارت خَوَنْد الكبرى ونالتها السعادة . وكانت جميلة عاقلة حسنة[٨] التدبير ، ولو عاشت إلى أن مَلَكَ ابنُها لقامت بتدبير دولته أحسن قيام .

وتوفى أحمد جُوكى ابن القان معين الدين شاه رُخ بن[٩] تيمورلَنْك ، فى شعبان ، بعد مرض تمادى به عدة أيام ، فعظم مصابه على أبيه شاه رُخ[١٠] ووالدته كهرشاه خاتون ، فإنهما فقدا ثلاثةَ أولادٍ ملوكٍ فى أقل من سنة ، وهم : السلطان إبراهيم صاحب شِيراز ، وباى سُنْقُر صاحب كرمان المقـدم ذكرهما فى السنة الخالية ، وأحمد جُوكى هذا فى هذه السنة .

وتوفى السلطانُ ملكُ بِنْجالة من بلاد الهند ، الملكُ المظفّر شهاب[١١] الدين أحمد شاه ابن السلطان جلال الدين محمد[١٢] شاه بن فندوكاس ، فى شهر ربيع الآخر ،

(١) فى طبعة كاليفورنيا (توفى) .

من (٢) إلى (٤) ، (٥) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) الباب المحروق سمى كذلك لأن الأمراء الذين فروا من مصر عقب مقتل زعيمهم الفارس أقطاى عام ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م على يد السلطان أيبك ، أحرقوه ، وكان يعرف باسم باب القراطين . (راجع النجوم الزاهرة جـ٩ ص ١٨٧ حاشية ١ ، جـ١١ ص٨ حاشية ٤ ؛ وانظر السلوك جـ١ ص ٣٩١ حاشية ١ ؛ خطط جـ١ ص ٣٨٣ ؛ صبح الأعشى جـ٣ ص ٣٥٤) .

(٨) فى ا (حسنت) .

(٩) ، (١٠) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(١١) فى زامباور (جـ٢ ص ٤٢٧) شمس الدين ، وكذلك فى LANE POOLE, Op. Cit., p. 307.

(١٢) فى ا (أحمد) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا وعن زامباور (جـ٢ ص ٤٢٧) .

وثب عليه مملوك أبيه كالو، الملقب مصباح خان ثم وزير خان، وقتله واستولى على بنْجالة؛ وقد تقدم وفاةُ[١] أبيه فى سنة سبع[٢] وثلاثين وثمانمائة [من هذا الكتاب][٣].

أمرُ النيل فى هذه السنة: الماء القديم أحد عشر ذراعًا وعشرةُ أصابع؛ مبلغُ الزيادة: عشرون ذراعًا ونصف ذراع[٤].

(١) فى طبعة كاليفورنيا (ذكر)، والمثبت عن .

(٢) فى أ (ثلاث)، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا وعما سبق فى حوادث عام ٨٣٧ هـ فى هذا الكتاب (راجع ما سبق).

(٣) عن طبعة كاليفورنيا.

(٤) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا

السنة السادسة عشرة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر](١)

وهى سنة أربعين وثمانمائة :

[فيها](٢) كانت الواقعة بين الأمير خُجَا سُودون أحد أمراء السلطان ، وبين الأتابك جانِبك الصوفى ، وانكسر جانِبك ، وأُمسك قُرْمُش الأعور الظاهرى وكَمَشْبُغَا أميرُ عشرة ، وقُتلا حسبما تقدم ذكرهما فى ترجمة [الملك](٣) الأشرف .

وكان قُرْمُش [المذكور](٤) من أعيان المماليك الظاهرية [برقوق](٥) وترقّى حتى صار أميرَ مائةٍ ومقدمَ ألفٍ بالديار المصرية ، وانضم على جانِبك الصوفى أولا وآخراً ، وقَبض عليه [الملكُ](٦) الأشرف وحبسه بالإسكندرية ، ثم أطلقه وأرسله إلى الشام أميرَ مائةٍ ومقدمَ ألفٍ بها .

فلما عصى البَجَاسى صار من حزبه ، ثم اختفى بعد كَسرة البَجَاسى إلى أن ظهر ، لما سمع بظهور جانِبك الصوفى وانضم عليه وصار من حزبه ، إلى أن واقع خُجَا سُودون وانكسر وقُبض عليه .

وأما كَمَشْبُغَا أميرُ عشرة فإنه كان أيضاً من المماليك الظاهرية [برقوق](٧) ومن جملة أمراء حلب ، فلما بلغه خروج جانِبك الصوفى سار إليه وقام بنصرته ، وقد تقدم ذكر ذلك كله ، غير أننا نذكره هنا ثانياً لكون هذا محلَّ الكشف عنه والإخبار بأحواله .

وتوفى الشيخُ الأديب زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله المِرْوَزِىّ الأصل الحموى ، المعروف بابن الخَرّاط ، أحد موقِّعى الدَّسْت بالقاهرة وأعيان الشعراء ، فى ليلة الأثنين أول المحرم بالقاهرة ، عن نحو ستين سنة ، ودفن

من (١) إلى (٧) عن طبعة كاليفورنيا .

من الفد . وكان صاحبنا وأنشدنا كثيراً من شعره . [ومن شعره][١] فى مليح على شفته أثر بياض : [البسيط]

لا والذى صاغَ فوق الثَّغر خاتَمَه
ما ذاك صدعُ بياضٍ فى عَقَائقِه[٢]
وإنما الـــبَرْقُ للتَّوْديع قَبَّلَهُ
أبقى به لُـمْعَةً من نُورِ بارقِهِ

وتوفى قاضى القضاة شمسُ الدين محمد ابن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمود الدمشقى الحنفى ، المعروف بابن الكِشْك ، قاضى قضاة دمشق ، فى يوم الثلاثاء ثالث[٣] عشر [شهر][٤] ربيع الأول بدمشق ؛ وقد تقدم ذكر وفاة أبيه فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة من هذا الجزء[٥] .

وتوفى قاضى القضاة شهابُ الدين أحمد بن محمد بن صلاح الشافعى المصرى ، المعروف بابن المُحَمَّرة[٦] بالقدس ، على مشيخة الصلاحية ، فى يوم السبت سادس عشر [شهر][٧] ربيع الآخر ، ومولده فى صفر سنة تسع وستين وسبعمائة [بالمُقَيَّر][٨] خارج القاهرة ، [وتكسَّب بالجلوس فى حانوت الشهود سنين][٩] . وكان فقيهاً بارعاً مفَنَّناً كثير الاستحضار لفروع مذهبه ، وأفتى ودرَّس سنين ، وناب فى الحكم ،

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (عقايقه) .
(٣) فى ا (رابع) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (الكتاب) ، والمثبت عن ا والمعنى واحد .
(٦) ذكر ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى (جـ ١ ورقة ١٢٦) أن المحمَّرة نسبة إلى التحمير من الحمرة ؛ ويعرف كذلك بابن مُحمَّره (راجع كذلك عقد الجمان جـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٨٢)
(٧) و (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) عن المنهل الصافى .

وتولى مشيخةَ خانقاه سعيد السعداء[١] ، ثم قضاء دمشق ، ثم مشيخةَ الصلاحية بالقدس ، إلى أن مات[٢] ؛ [وكان يُنسب إلى البخل العظيم] [٣] .

وتوفى الأميرُ الوزير سيف الدين أرْغُون شاه بن عبد الله النَّوْرُوزى الأعور أستادّارُ السلطانِ بدمشق بها ، فى حادى عشرين [شهر][٤] رجب ، وقد جاوز الستين سنة[٥] تخميناً ، بعد ما ولىَ الوزارةَ بالديار المصرية ، والأستادّارية غيرَ مرة ، وكان من الظَّلَمَة الغشم[٦] الفَسَقَة ؛ كان شيخاً طوالا أعورَ فصيحاً باللغة العربية ، عارفاً بفنون المباشرة وتنويع المظالم .

وتوفى الأميرُ حمزة بك بن على بك بن دُلْغَادِر مقتولاً بقلعة الجبل فى ليلة الخميس سابع عشر جمادى الأولى .

وتوفى الأميرُ سيف الدين برديك بن عبد الله الإسماعيلى الظاهرى [برقوق][٧] وهو يومَ ذاك أحدُ أمراء العشرات ، فى جمادى الأولى بالقاهرة . [٧١] وكان جعلَه [الملكُ][٨] الأشرفُ أميرَ طبلخاناة وحاجباً ثانياً ، ثم نفاه مدة ، ثم أعاده إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة عشرة ، وكان لا للسيف ولا للضيف ، يأكل ما كان ويُضيق المكان .

وتوفى القاضى شمس الدين محمد بن يوسف بن صلاح الدمشقى المعروف بالحلاوىّ ،

---

(١) راجع ما ذكر عن هذه الخانقاه فيما سبق .

(٢) نقل ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى عن المقريزى أن أبا صاحب الترجمة وعمه كانا من سماسرة الغلال بساحل بولاق (المنهل جـ١ ورقة ١٤٤–١٤٥) .

(٣) عن عقد الجمان .

(٤) تكملة عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) ، (٦) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٧) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .

وكيل بيت المال ، فى ليلة الخميس سادس شوال ، ومولده فى سنة خمس وستين وسبعمائة بدمشق ، وقدم القاهرة ، واتصل بسعد الدين بن غراب ، ورشحه سعدُ الدين لكتابة السر ، ثم تردد لجماعة من الأكابر بعد سعد الدين وأخيه فخر الدين ابنى غراب ، مثل بدر الدين الطوخى الوزير وغيره ؛ وكان حلو المحاضرة حسن المذاكرة ، مع قصر الباع فى العلوم ، وكان كبير اللحية جداً ، يُضرب بطول لحيته المثل ، ولما مات سعدُ الدين بن غراب وأخوه فخر الدين ، ثم توفى الوزير بدر الدين الطوخى أيضاً ، قال فيه بعض شعراء العصر : [البسيط]

إن الحلاوىَّ لم يَصْحَبْ أخا ثِقَةٍ
إلا محا شُؤْمُه مِنْهم(١) محاسِنَهم
السَّعْدُ والفَخْرُ والطُّوخِىُّ لازَمَهم
فأصبحوا لا تَرَى إلا مساكِنَهم

فزاد الحافظُ شهاب الدين أحمد بن حجر [بأن قال :](٢)

وابنُ الكُوَيْزِ وعن قُربٍ أخُوه ثوَى
والبدرُ ، والنجمُ رَبِّ اجْعَلْه ثامِنَهم

قلت : يعنى بابن الكُوَيْز صلاحَ الدين بن الكويز ، وبأخيه(٣) علمَ الدين ، وبالبدر بدرَ الدين بنَ محب الدين المشير ، وبالنجم القاضى نجمَ الدين عمر بن حجّى .

وفى طول لحيته يقول(٤) صاحبُنا الشيخُ شمس الدين الدَّجْوِىّ ، من أبيات كثيرة ، أنشدنى غالبها ، أضربتُ عن ذكرها لفحش ألفاظها ، غير أننى أعجبنى منها براعتها : [البسيط]

---

(١) فى ا (منه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (أخيه) : والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (قول) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

ظن الحلاوىُّ جَهْلاً أن لِحْيَتَهُ تُغْنيه فى مجلس الإفتاء والنَّظَرِ
وأشْعَرِيَّتُها طولاً قد اعْتَزَلَتْ بالعَرْضِ باحثةً فى مَذْهب القَدَرِ

[وتوفى](١) الأميرُ قَرْقَمَاس بن عذرا بن نُعَيْر بن حيّار بن مُهنّا [فى هذه السنة](٢) .

وتوفى الشيخُ شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان ابن عمر الأبوصيرى(٣) الشافعى ، أحد مشايخ الحديث ، فى ليلة الأحد ثامن عشرين المحرم .

وتوفى صاحبُ صَنعاء اليمن الإمامُ المنصور نجاح الدين أبو الحسن على ابن الإمام صلاح الدين محمد بن على بن محمد بن على بن منصور بن حجاج بن يوسف الحسينى العلوى الشريف فى سابع صفر ، بعد ما أقام فى الإمامة بعد أبيه ستًّا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأضاف إلى صنعاء وصَعْدة عدة من حصون الإسماعيلية ، أخذها منهم بعد حروب وحصار . ولما مات قام من بعده ابنُه الإمامُ الناصر صلاح الدين محمد بعهده إليه فمات بعد ثمانية وعشرين يوماً ، فأجمع الزيدية بعده على رجل منهم يقال له صلاح ابن على بن محمد بن أبى القاسم وبايعوه ولقبوه بالمهدى ، وهو من بنى [عمرو](٤) عم الإمام المنصور . قلت : والجميع زيدية بمعزل عن أهل السنة .

أمر النيل [فى هذه السنة](٥) : الماء القديم ستة أذرع وثمانية عشر أصبعاً ؛ مبلغ الزيادة : تسعة عشر ذراعاً وستة أصابع .

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (اليوصيرى) .
(٤) و (٥) إضافتان عن طبعة كاليفورنيا .

السنة السابعة عشرة من سلطنة الملك الأشرف

برسباى [على مصر][1]

وهى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة .

[فيها][2] كانت وفاة الأشرف المذكور فى ذى الحجة حسبما تقدم ذكره .

[و][3] فيها كان الطاعونُ بالديار المصرية وكان[4] مبدؤه من شهر رمضان وارتفع فى ذى القعدة فى آخره ، ومات فيه خلائق من الأعيان والرؤساء وغيرهم ، لكنه فى الجملة كان أضعف من طاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة[5] .

[وفيها][6] توفى القاضى سعدُ الدين إبراهيم ابن القاضى كرم الدين عبد الكريم ابن سعد الدين بركة ، ناظر الخاص الشريف [وابنُ ناظر الخاص][7] المعروف بابن كاتب جَكَمَ ، فى يوم الخميس سابع عشر [شهر][8] ربيع الأول ، بعد مرض طويل وسنه دون الثلاثين سنة ؛ وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمنى[9] [من تحت القلعة][10] ودُفن عند أبيه بالقرافة .

وكان شاباً عاقلا سيُوساً كريما مدبراً ، ولى الخاص صُغَيِّراً[11] بعد وفاة أبيه ، فباشر بحرمة ونفذ الأمور وساس الناس وقام بالكلف السلطانية أتم قيام ، [٧٢] لاسيما لما سافر [الملك][12] الأشرف إلى آمِد فإنه تكفل عن السلطان بأمور كثيرة تكلف فيها كلفة كبيرة ، كل ذلك وسيرته مشكورة ، إلا أنه كان منهمكا فى اللذات التى تهواها النفوس ، مع ستر وتجمل ؛ سامحه الله [تعالى][13] .

من (١) إلى (٣) من طبعة كاليفورنيا .

(٤)،(٥) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

من (٦) إلى (٨) و(١٠) من طبعة كاليفورنيا .

(٩) كلمة (المؤمنى) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(١١) هكذا وردت مضبوطة بطبعة كاليفورنيا .

(١٢) ، (١٣) من طبعة كاليفورنيا .

وتولى نظرَ الخاص من بعده أخوه الصاحبُ جمال الدين يوسف ابن القاضى كريم الدين عبد الكريم ، وهو مستمر على وظيفته مضافةً لنظر الجيش وتدبير الممالك فى زماننا هذا[١] ، إلى أن مات[٢] حسبما يأتى ذكره فى مواطن كثيرة من هذا الكتاب [وغيره إن شاء الله تعالى][٣].

وتوفى الأمير الكبير سيف الدين جانِبك بن عبد الله الصوفى الظاهرى صاحب الوقائع والأهوال والحروب ، فى يوم الجمعة خامس عشرين[٤] [شهر][٥] ربيع الآخر بديار بكر وقُطعت رأسه وحُملت إلى مصر وطيف بها على رمح ثم ألقيت فى قناة سراب ، وقد تقدم ذكر ذلك كله مفصلا فى مواضع كثيرة وما وقع للناس بسببه بالديار المصرية والبلاد الشرقية ، غير أننا نذكر هنا أصله ومنشأه إلى أن مات ، على طريق الإيجاز :

كان أصله من مماليك [الملك][٦] الظاهر برقوق الصِّغار ، وترقَّى فى الدولة الناصرية [فرج][٧] إلى أن صار أميرَ مائة ومقدمَ ألف ، ثم ولاه الملكُ المؤيد رأسَ نوبة النُّوَب ، ثم نقله بعد مدة إلى إمرة سلاح ، ثم أمسكه وحبسه إلى أن أطلقه الأمير طَطَر بعد موت المؤيد ، وأنعم عليه بإمرة وتقدمة ألف ثم خلع عليه باستقراره أميرَ[٨] سلاح بعد مسك قُجْقار القُرْدَمى ، ثم خلع عليه بعد سلطنته باستقراره[٩] أتابكَ العساكر بالديار المصرية ، ثم أوصاه الملك الظاهر ططر عند موته بتدبير مُلك ولده الملك الصالح محمد .

ومات [الملكُ][١٠] الظاهر ططر ، فصار جانبك المذكور « نظامَ المُلك » و« مدبرَ الممالك » ، فلم يحسن التدبير ولا استمال أحداً من أعيان خُجْداشِيَّته من الأمراء ، فنفروا

(١) فى طبعة كاليفورنيا (إلى يومنا هذا) ، والمثبت عن ا ولا فرق يذكر .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٥) ، (٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (عشر) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) ، (١٠) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) ، (٩) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

عنه الجميع ومالوا إلى الأمير طَرَبَاى وبَرْسْباى حسبما ذكرنا ذلك كله مفصلا مشبعاً[1] ؛ ولا زالوا فى التدبير عليه حتى خذلوه فى يوم عيد النحر ، بعد ما لبس آلة الحرب هو والأمير يَشْبك الجَكَمى الأمير آخور ، وأنزلوه من باب السلسلة بإرادته راكباً وعليه آلةُ الحرب إلى بيت الأمير بَيْبُغَا المظفَّرى ، فحال دخوله إلى البيت قُبض عليه وقُيِّد وحمل إلى القلعة ، ثم إلى ثغر الإسكندرية ، [بعد أن كان مُلك مصر فى قبضته ، وأُمسك معه يَشْبك الجَكَمى أيضاً وحُبس بثغر الإسكندرية][2] ، كل ذلك فى أواخر ذى الحجة من سنة أربع وعشرين .

ودام جانبك فى سجن الإسكندرية مكرما مبجلا ، إلى أن حسَّن له شيطانُه الفرارَ منه فأوسع الحيلة فى ذلك ، حتى فر من سجنه[3] فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، فعند ذلك حلَّ به وبالناس بلاءُ الله المنزل المتداول سنين عديدة ، ذهب فيها أرزاق جماعة ، وحبس فيها جماعة كثيرة من أعيان الملوك وضُرب فيها جماعة من أعيان الناس وأماثلهم بالمقارع ، وجماعة كثيرة من الخاصكية أيضاضُربوا بالمقارع [والكسارات][4] ، وأما ما قاساه الناس من كبس البيوت ونهب أقمشتهم[5] وما دخل عليهم من الخوف والرجيف فكثير إلى الغاية ، ودام ذلك نحو العشر سنين . فهذا ما حل بالناس لأجل هروبه .

وأمّا ما وقع له فأضعاف ذلك ، فإنه صار ينتقل من بيت إلى بيت والفحص مستمر عليه فى كل يوم وساعة ، حتى ضاقت عليه الدنيا بأسرها وأراد أن يسلم نفسه غير مرة ، وقاسى أهوالا كثيرة إلى أن خرج من مصر إلى البلاد الشامية وتوصل إلى بلاد الروم حسبما حكيناه ، وانضم عليه جماعة من التركمان الأمراء وغيرهم ، وقاموا

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) المثبت عن طبعة كاليفورنيا وفى ا (منه) والمعنى واحد .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (أقمشهم) .

بأمره أحسن قيام حتى استفحل أمره ، فغلب خموله وقلة سعادته تدبيرهم واجتهادهم ، إلى أن مات .

وكان شجاعاً فارساً مغنّنا مليح الشكل رشيق القد كريماً رئيساً ، إلا أنه كان قليل السعد محول الحركات مخذولا في حروبه ، حُبس غير مرة ونفد عمره على أقبح وجه ، ما بين حبْس وخوْف وذل وشَتات وغربة ، إلى أن مات بعد أن تعب وأتعب وأراح بموته[1] واستراح .

وتوفى الأميرُ سيف الدين تِمْراز المؤيدى نائب صَفَد ثم نائب غزة مخنوقاً [٧٣] بسجن الإسكندرية ، في[2] ثالث عشرين جمادى الآخرة ، وكان أصله من مماليك [الملك][3] المؤيد شيخ وخاصكيّته ، وكان مقرباً عنده ثم تغير عليه لأمر اقتضى ذلك ، وضربه وأخرجه إلى الشام على إقطاع هيّن بطَرَابُلُس ، ثم نُقل بعد موت [الملك][4] المؤيد إلى إمرة بدمشق . فلما كانت وقعة تَنْبَك البَجَاسى وافقه على العصيان ، فلما ظفر [الملك][5] الأشرف بالبَجَاسى فر تِمْراز هذا واختفى مدة ، ثم ظفر به وسُجن بقلعة دمشق ، ثم أطلق وأنعم عليه بإقطاع بها ، ثم نقله الأشرف إلى إمرةِ مائة وتقدمةِ ألف بدمشق ، ثم أقره في نيابة صَفَد فلم تُشكر سيرتُه ورُمى بعظائم ، فعزله السلطان وولاه نيابةَ غزة عِوضاً عن يونس الرُّكنى . وانتقل يونس إلى نيابة صَفَد ، فلما ولى غزة أساء السيرة [أيضاً][6] وظلم وعسف وأفحش في القتل وغيره ، فطلبه السلطان إلى الديار المصرية وأمسكه وحبسه بالإسكندرية ثم قتله خنقا ؛ ولا أعرف من أحوال تِمْراز غير ما ذكرته أنه مذموم السيرة كثير الظلم .

وتوفى الأمير جانِبك بن عبد الله السيفي يَلْبُغَا الناصرى المعروف بالثور ، أحد

(١) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .
(٢) في ا (إلى) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
من (٣) إلى (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

أمراء الطبلخاناه والحاجب الثانى ، وهو يلى شَدَّ بندر جُدَّة بمكة ، فى حادى عشر شعبان . وكان أميراً ضخما متجملا فى مركبه وملبسه ومماليكه ، وهو الذى أخرب السطبة التى كانت ببندر جدة التى كان مَن طلع عليها (١) واستجار بها لم يؤخذ [منها] (٢) ، ولو كان ذنبه ما عسى أن يكون ، حتى [و] (٣) لو قتل نفسا وطلع فوقها لا يؤخذ منها .

وكانت هذه العادة قديما بجدة ، فأخرب جانِبك [المذكور] (٤) السطبةَ المذكورة ، ووقع بينه وبين عرب تلك البلاد وقعة عظيمة قتل فيها جماعة . وانتصر جانِبك المذكور ومشى له ما قصده من هدم السطبة المذكورة ومُحى أثرُها إلى يومنا هذا ، يرحمه (٥) الله [تعالى] (٦) على هذه الفعلة ، فإنها من أجل (٧) الأفعال وأحسنها دنيا وأخرى ، ولم ينتبه لذلك مَن جاء (٨) قبله من الأمراء حتى وفَّقه الله تعالى لمحو هذه السنَّة القبيحة التى كانت ثلمة فى الإسلام وأهله (٩) . قلت : كم ترك الأولُ للآخر .

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن خضر بن داوُد بن يعقوب الشهير بالمصرى، الحلبى الأصل الشافعى ، أحد موقِّعى الدَّسْت بالقدس [الشريف] (١٠) ، فى يوم الأحد النصف من [شهر] (١١) رجب ؛ وكان ديِّنا خيرا وله رواية عالية سنن ابن ماجة وحدّث وأسمع سنين .

وتوفى شيخ الإسلام علامةُ الوجود علاءُ الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن محمد بن محمد (١٢) البخارى العجمى الحنفى ، الإمام العالم الزاهد المشهور ،

(١) فى طبعة كاليفورنيا (عليه) .
(٢) ، (٣) ، (٤) ، (٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (رحمه) بصيغة الماضى .
(٧) فى طبعة كاليفورنيا (أجل) .
(٨) فى ا (جا) .
(٩) راجع المنهل الصافى حـ١ ورقة ٤٦٠-٤٦١ .
(١٠) ، (١١) عن طبعة كاليفورنيا .
(١٢) انظر : الضوء اللامع حـ٩ ص ٢٩١ - ٢٩٤ ؛ شذرات الذهب حـ ٧ ص ٢٤١-٢٤٢ ؛ عقد الجمان حـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٩٠-٦٩١ .

فى خامس [شهر][1] رمضان بدمشق . [وسمّاه بعضُهم عَلِيًّا وهو غلط][2] ، ومولده فى سنة تسع وسبعين وسبعمائة ببلاد العجم ، ونشأ بمدينة بخارى[3] ، وتفقّه بأبيه وعمه علاء الدين عبد الرحمن ، وأخذ الأدبيات والعقليات عن العلامة سعد الدين التفتازانى وغيره ، ورحل فى شبيبته فى طلب العلم إلى الأقطار ، واشتغل[4] على علماء عصره إلى أن برع [فى المعقول والمنقول والمفهوم والمنظوم واللغة العربية ، [وترقى فى التصوف والتسليك][5] وصار إمامَ عصره ، وتوجه إلى الهند واستوطنه مدة[6] ، وعظم أمره عند ملوك الهند إلى الغاية ، لما شاهدوه من غزير علمه وعظيم زهده وورعه .

ثم قدم إلى مكة المشرفة وأقرأ[7] بها مدة ، ثم قدم إلى الديار المصرية واستوطنها سنين كثيرة وتصدّى للإقراء والتدريس ، وقرأ عليه غالبُ علماء عصرنا من كل مذهب وانتفع الجميعُ بعلمه وجاهه وماله ، وعَظم أمرُه بالديار المصرية بحيث أنه منذ قدم القاهرة إلى أن خرج منها لم يتردد إلى واحد من أعيان الدولة حتى ولا السلطان ، وتردد إليه جميع أعيان أهل مصر من السلطان إلى من دونه ؛ كل ذلك وهو مُكب على الأشغال ، مع ضعف كان يعتريه ويلازمه فى كثير من الأوقات ، وهو لا يبرح عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام فى ذات الله بكل ما تصل قدرته إليه .

ثم بدا له التوجهُ إلى دمشق فسار إليها ، بعد أن سأله السلطانُ فى الإقامة[8] بمصرَ [غير مرة][9] فلم يقبل ؛ وتوجه [٧٤] إلى دمشق وسكنها إلى أن مات بها .

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن الضوء اللامع .
(٣) فى ا (بخارا) .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) عن الضوء اللامع حـ٩ ص ٢٩١–٢٩٤ .
(٦) أقام فى بلاد كلبركه بالهند .
(٧) فى ا (وأقرى) .
(٨) فى ا (بالإقامه) .
(٩) عن طبعة كاليفورنيا .

ولم يخلف بعده مثله ، لأنه كان جمع بين العلم والعمل مع الورع الزائد والزهد والعبادة والتحرى فى مأكله ومشربه من الشبهة وغيرها ، وعدم قبوله العطاء من السلطان وغيره ، وقوة قيامه فى إزالة البدع ومخاشنته لعظماء الدولة فى الكلام ، وعدم اكتراثه بالملوك واستجلاب خواطرهم ، وهو مع ذلك لا يزداد إلا مهابة وعظمة فى قلوبهم ، بحيث أن السلطان كان إذا دخل عليه لزيارته يصير فى مجلسه كآحاد الأمراء ، من حين يجلس عنده إلى أن يقوم عنه ، والشيخُ علاء الدين يكلمه فى مصالح المسلمين ويعظه بكلام غير مُنَمَّق ، خارج عن الحد فى الكثرة ، والسلطانُ[1] سامع له مطيع . وكذلك لما سافر السلطان إلى آمِد ، أولَ ما دخل إلى دمشق ركب إليه وزاره وسلّم عليه ، فهذا شىء لم نره وقع لعالم من علماء عصرنا جملة كافية. وهو أحد مَن أدركْناه من العلماء الزهّاد العبّاد، رحمه الله [تعالى][2] ونفعنا بعلمه وبركته .

وتوفى الشيخُ الإمام العالم[3] العلامة علاء الدين على بن موسى بن إبراهيم الرومى الحنفى فى قَدْمته الثانية إلى مصر ، فى يوم الأحد العشرين من شهر رمضان بالقاهرة ، وكان وَلِىَ مشيخةَ المدرسة الأشرفية المستجدة بخط العَنبَرِيِّين بالقاهرة ، ثم تركها وسافر إلى الروم ، ثم قدم بعد سنين إلى مصر ثانيا وأقام بها إلى أن مات .

وكان بارعاً فى علوم كثيرة محققا بحاثاً إماما فى المعقول والمنقول ، تخرَّج بالشيخين : الشريف الجُرْجَانى والسعد التفتازانى ، إلى أن برع وتصدى للإقراء والتدريس مدة طويلة ، ووقع له أمور طويلة مع فقهاء الديار المصرية ، وتعصبوا عليه ، وهو ينتصف عليهم وأبادهم ، لأنه كان عارفاً بعلم الجدل، كان يُلزم أخصامه بأجوبة مُسكتة ، ولهذا حطّ عليه بعض علماء عصرنا بأن قال : كان يُفحش فى اللفظ ، ولم ينسبه إلى جهل بل ذكر عنه [العلم][4] الوافر ، والفضلُ ما شهدت

(١) فى ا (والملك) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

به الأعداء ؛ ولا أعلم فيه ما يُنقصه غير أنه كان مستخفا بعلماء مصر ، لا ينظر أحداً منهم فى درجة الكمال .

وكان مما يقطع به أخصامه فى المباحث أنه كان حضر عدة مباحث بين الجُرْجانى والتفتازانى وغيرهما من العلماء ، وحفظ ما وقع بينهم من الأجوبة والأسئلة[1] ، وصار يسأل الناس بتلك الأسئلة والقومُ ليس[2] فيهم من هو [فى][3] تلك الطبقة ، فكلُّ من سأله سؤالا من ذلك وقف وعجز عن الجواب المرضى وقصر ، فيتقدم عند ذلك الشيخُ علاء الدين ويذكر الجواب فيعجب كل أحد . وبالجملة فإنه كان عالمًا مفننًا ، رحمه الله [تعالى][4] .

وتوفى القاضى ناصرُ الدين محمد بن بدر الدين حسن الفاقوسى الشافعى ، أحد أعيان موقِّعى الدَّسْت بالديار المصرية ، فى ليلة الاثنين تاسع شوال بالطاعون ، عن بضع[5] وسبعين سنة ؛ وكان حشما وقوراً ، وله فضل وأفضال ، وحدّث سنين ، وسمع منه خلائق ، وكان معدوداً من الرؤساء[6] بالديار المصرية . وكان مولده بالقاهرة فى ليلة الجمعة خامس عشرين صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، والفاقوسى نسبة إلى قرية بالشرقية من أعمال مصر تسمى منية الفاقوس .

وتوفى الأميرُ سيف الدين آقْبَرْدى بن عبد الله القَجْمَاسى نائب غزة بها ، وكان أصلهُ من مماليك الأمير قَجْماس والدِ إينال باى ، ترقَّى بعدَه إلى أن صار أميرَ عشرةٍ بمصر ودام على ذلك سنين كثيرة ، إلى أن وَلِىَ نيابةَ غزة بالبذل[7] بعد أن قُبض تِمْراز المؤيدى ، فلم تطل مدته ومات ، وكان تركى الجنس غير مشكور السيرة .

وتوفى دُولات خُجَا الظاهرى ، والى القاهرة ثم محتسبها ، بالطاعون فى يوم السبت

(١) فى أ (الاساله) .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (بعض) .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (رؤساء) من غير تعريف .
(٧) البَذْل هو الرِّشْوَة .

أول ذى القعدة . وكان أصلُه تركى الجنس من أوباش مماليك الظاهر برقوق ، أعرفه قبل أن يلى الوظائف وهو من جملة حرافيش المماليك السلطانية ، ثم ولّاه [الملكُ][(1)] الأشرف الكشفَ ببعض الأقاليم فأباد المفسدين وقويت حرمتُه ، فمن يومئذ صار ينتقل من وظيفة إلى أخرى ، حتى وَلِىَ القاهرة مرتين وعدة أقاليم ، ثم ولّاه حِسبةَ [٧٥] القاهرة .

وقد تقدم من ذكره نبذة كبيرة فى ترجمة [الملك][(2)] الأشرف ، وفى الجملة أنه كان ظالمًا فاجرًا فاسقا غشومًا شيخًا جاهلا[(3)] ضالا[(4)] خبيثًا ، عليه من الله ما يستحقه ، ولولا أنه شاع ذكرُه لكثرة ولاياته وأرّخه جماعة من أعيان المؤرخين ، ما ذكرتُه فى هذا الكتاب وتنزّهته عن ذكر مثله .

وتوفى الأميرُ — ثم القاضى — صلاحُ الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله الفُوِّىُّ الأصل المصرى ، كاتبُ السر الشريف بالديار المصرية ، بالطاعون فى ليلة الأربعاء خامس ذى القعدة . [و][(5)] مولده فى [شهر][(6)] رمضان سنة تسعين وسبعمائة ، ونشأ بالقاهرة تحت كنَف والده الصاحب بدر الدين ، وتزيّا بزى الجند ووَلِى الحجوبية فى دولة [الملك][(7)] الناصر فرج ، ثم وَلِى الأستادّارية فى الدولة المظفّرية ثم عُزل ، ثم أعيد إليها بعد سنين ، ثم عُزل بأبيه ، وصودر ولزم داره سنين طويلة هو ووالده ، إلى أن ولاه [الملكُ][(8)] الأشرف بعد سنة خمس وثلاثين حِسبةَ القاهرة .

وأخذ صلاحُ الدين بعد ذلك يتقرب بالتحف والهدايا للسلطان ولخواصه ، إلى أن اختص به ونادمه ، وصار يبيت عنده فى ليالى البطالة بالقلعة ، وحج أميرَ الركْب

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (ظالما) .

من (٥) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .

الأول ، وعاد فولاّه كتابةَ السر على حين غفلة ، بعد عزل القاضى محب الدين محمد بن الأشقر ، من غير سعى ، فى يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحجة سنة أربعين وثمانمائة ، وتركَ زىَّ الجند ولبس زىَّ الفقهاء ، وصار يُدعى بالقاضى بعدَ الأمير ، فباشر كتابةَ السر بحُرمة وافرة وعَظُم فى الدولة ، فلم تطل أيامه ومات فى حياة والده ، واستقر والدُه عوضَه فى كتابة السر .

وكان صلاحُ الدين حشما متواضعاً كريماً ، يكتب المنسوب ، إلا أنه كان من الكَذَبة الذين⁽¹⁾ يُضرب بكذبهم المثل ، يحكى عنه من ذلك أشياء كثيرة ، ورأيتُ أنا منه نوعاً ، غير أن الذى حُكى [لى]⁽²⁾ عنه أغرب ، وقد جربتُ أنا كذِبَه بأنه لا يضر ولا ينفع ، وهو أن غالبَ كذبِه كان على نفسه ، فيما وقع له قديماً وحديثاً ، فهذا شىء لا يضر أحداً ، ولعل الله أن يسامحه فى ذلك .

وتوفى الشهابى أحمد بن [على]⁽³⁾ ابن الأمير سيف الدين قَرَطاى بن عبد الله سِبْط بَكْتَمُر الساقى ، بالطاعون فى ليلة الاثنين عاشر ذى القعدة . ومولده فى يوم الأحد ثالث عشرين شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة بالقاهرة ، ومات ولم يخلف بعده مثله فى أبناء جنسه ، لفضائل جُمعت فيه ، من حسن كتابة ونظم القريض ، وحلو محاضرة وجودة مذاكرة ؛ وكان سميناً جداً لا يحمله إلا الجياد من الخيل ، رحمه الله تعالى⁽⁴⁾ . [ومن شعره]⁽⁵⁾ : [المجتث]

حِىٌّ المُعذَّرُ وَافَى⁽⁶⁾ [من]⁽⁷⁾ بعد هَجْرٍ بِوَصْلِ

---

(١) فى أ (اللى)
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن المنهل الصافى جـ١ ورقة ٩٣ .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) ، (٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى أ (وافا) .

وقال : صِفْ لى عِذَارِى فقلتُ : يا حِبُّ نَمْلِى[١]

وله [أيضاً][٢] فى مليح يسمى خصيب[٣] : [الطويل]

رعى اللهُ أيامَ الرَّبيع ورَوْضها بها الوردُ يزهو مثل خَدِّ حبيبى
وإنّى وحقِّ الحُبِّ[٤] ليس تَرَحُّلى سوى لمكانٍ ممرعٍ وخَصيبِ

وتوفى الأميرُ إسكندر بن قَرَا يوسف صاحبُ تِبْرِيز مشتتاً عن بلاده بقلعة ألنْجا[٥] ، ذبَحه ابنهُ شاه قوماط[٦] فى ذى القعدة خوفاً من شره ؛ وملَك بعده البلادَ أخوه جهان شاه بن قرا يوسف . وكان شجاعاً مقداماً[٧] قوياً فى الحروب ، أباد قرايُلك فى مدة عمره ، وتقاتل مع شاه رُخ بن تيمور لَنْك غيرَ مرة ، وهو ينهزم على أقبح وجه . وكان إسكندر أيضاً على قاعدة أولاد قرا يوسف : لا يتدين بدين ، إلا أنه كان أحسنَ حالا من أخويه شاه محمد وأصبهان ؛ وقد مرَّ من ذكر إسكندر هذا وإخوته جملة كبيرة تعرف منها أحوالهم .

وتوفى نورُ الدين على بن مُفلح وكيلُ بيت المال ، وناظر البيمارستان [المنصورى][٨] فى يوم الجمعة ثانى عشرين ذى القعدة ، بالطاعون . وكان معدوداً من بياض الناس[٩] ، وله تردداد إلى الرؤساء ، غير أنه كان عارياً من العلوم .

---

(١) وله فيمن اسمه إبراهيم :

إن ابراهيم أورى فى الحشا منه ضراما
ليت قلبى يلقاه نال بردا وسلاما

(المنهل الصافى حـ١ ورقة ٩٣-٩٤)

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى أ (البيت) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والمنهل الصافى .

(٥) ألنجا من أعمال تبريز .

(٦) فى أ (قوناس) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٨) عن طبعة كاليفورنيا .

(٩) راجع ما سبق ص ٨٤ حاشية ١ ، ١٧٢ حاشية ١ .

وتوفى الأميرُ الكبير سُودون من عبد الرحمن نائبُ [٧٦] الشام ثم أتابك العساكر بالديار المصرية بَطّالا بثغر دمياط فى يوم السبت العشرين من ذى الحجة ؛ لم يخلف بعده مثله حشمةً ورئاسة وعقلا وتدبيراً وشكالة .

وقد مرَّ من ذكره فى واقعة الأمير قانى باى نائب الشام فى الدولة المؤيدية أنه كان نائبَ طرابلس ، ووافق قانى باى المذكور ، وانهزم بعد قتل قانى باى إلى قرا يوسف بالشرق ، وأنه كان وَلِىَ نيابةَ غزة فى الدولة الناصرية فرج ، وتقدمةَ ألفٍ بالقاهرة ، وأنه قدم على الأمير ططر بعد موت المؤيد ، واستقر بعد سلطنة [الملك][١] الأشرف دَواداراً كبيراً عوضاً عن الأشرف المذكور ، ثم نقل إلى نيابة دمشق بعد عصيان تَنْبَك البَجَاسى فدام مدة يسيرة ، ثم نقل إلى أتابكية العساكر بالديار المصرية عوضاً عن جارقُطْلُو [بحكم انتقال جارقُطْلُو][٢] إلى نيابة دمشق عِوضَه ، ثم مرض وطال مرضه إلى أن أخرج عنه السلطانُ إقطاعَه وعَزَله عن الأتابكية ، ثم سيّره بعد مدة أشهر إلى ثغر دمياط بطّالا فدام به إلى أن مات . وكان أجلَّ المماليك الظاهرية [برقوق][٣] ، وهو أحد من أدركناه من ضخماء الملوك وعظمائهم ، مع حسن الشكالة والزى البهيج رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة وعشرون أصبعاً ؛ مبلغ الزيادة : عشرون ذراعا وخمسة عشر أصبعا[٤]

من (١) إلى (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) انتهى هنا الجزء السادس من طبعة كاليفورنيا ، ويبدأ الجزء السابع بسلطنة العزيز بن برسباى .

ذكر سلطنة الملك العزيز [يوسف] (١)

ابن السلطان(٢) الملك الأشرف بَرْسباى الدُّقْماقى(٣)

السلطانُ الملك العزيز جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك الأشرف [سيف الدين أبى نصر](٤) بَرْسْباى الدُّقْماقى الظاهرى الجاركسى ، التاسع من ملوك الجراكسة وأولادهم ، والثالث والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، تسلطن بعد موت أبيه بعهدٍ منه إليه ، فى آخر يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة قبل غروب الشمس بنحو ساعة ، ولبس خلعةَ السلطنة من باب الستارة بقاعة الجبل ، وقد تكامل حضورُ الخليفة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة ، وبايعه الخليفةُ المعتضد بالله داوُد وفوّض عليه خلعةَ السلطنة السوادَ(٥) الخليفتى ، وركب من باب الستارة وجميعُ الأمراء مشاة بين يديه ، حتى نزل على باب القصر السلطانى من قلعة الجبل ، ودخل إليه وجلس على سرير الملك وعمرُه يومئذ أربعُ عشرة سنة وسبعة أشهر ، وقبّل الأمراء الأرض بين يديه على العادة ونودى بسلطنته بالقاهرة ومصر ، ثم أخذ الأمراء فى تجهيز والده فجُهز وغُسل وكُفن وصُلى عليه ، ودفن بالصحراء حسبما ذكرناه فى ترجمته ، ولقبوه بالملك العزيز وتم أمرُه فى المُلك ودُقّت الكُوسات(٦) بالقلعة .

وكان خليفةَ الوقت يومَ سلطنته ، المعتضدُ بالله داوُدُ العباسى ؛ والقضاة : قاضى القضاة شهابُ الدين أحمد بن [علىّ] بن حجر الشافعى ، وقاضى القضاة بدرُ الدين محمود العينى الحنفى ، وقاضى القضاة شمسُ الدين محمد البساطى المالكى ، وقاضى القضاة محبُّ الدين أحمدُ بن نصر الله البغدادى الحنبلى .

---

(١) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا (حـ ٧) .

(٢) ، (٣) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى أ (السود) .

(٦) الكُوسات من رسوم السلطان وآلاته ، وهى صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يدق بأحدها على الأخرى بإيقاع مخصوص» (انظر السلوك حـ١ ص ١٢٦ حاشية ٣) .

ومن الأمراء أصحاب الوظائف من المقدمين ، وغالبهم كان مجرداً بالبلاد الشامية ، فالذين (١) كانوا بالديار المصرية : الأمير الكبير أتابك العساكر جَقْمَق العَلَائى، والأمير قَرَاخُجَا الحسنى ، والأمير تَنْبَك من بَرْدبك الظاهرى ، والأمير تَغْرِى بَرْدى البَكْلَمُشى المعروف بالمُؤذى ؛ والذين(٢) كانوا بالتجريدة بالبلاد الشامية : مقدم العساكر الأمير قَرْقَمَاس الشعبانى الناصرى أمير سلاح ، وآقْبُغَا التَّمْرازى أمير مجلس ، وأَرْكَمَاس الظاهرى الدوادار الكبير ، وتِمْراز القُرْمُشى الظاهرى رأس نوبة النُّوَب، وجانِم الأشرفى الأمير آخور الكبير ، ويَشْبَك السُّودونى حاجب الحجاب ، وخُجَا سُودون السَّيفى بلاط الأعرج ، وقَرَاجا الأشرفى ، لتتمة ثمانية من مقدمى الألوف ، فجملة الحاضرين والمسافرين ثلاثة عشر أميراً من المقدمين .

وأما من كان من أصحاب الوظائف من أمراء الطبلخاناه والعشرات : فشادُّ الشراب خاناه عظيم المماليك الأشرفية إينال الأبو بكرى الأشرفى الفقيه العالم ، ونائب القلعة تَنْبَك السَّيفى نَوْرُوز الخضرىّ المعروف بالجَقْمَقى كلا شىء ، والحاجب الثانى أَسَنْبُغَا الناصرى [٧٧] المعروف بالطَّيَّارى ، والزَّرَدْكَاش تَغْرِى بَرْمَش السيفى يَشْبَك بن أَزْدَمُر ، فهؤلاء وإن كانوا أمراء طبلخاناه وعشرات فمنازلُهم منازلُ مقدمى الألوف ، لأن الأعصار الخالية كان لا يلى كلَّ وظيفة من هـذه الوظائف إلا مقدم ألف ، ويظهر ذلك من لبسهم الخِلعَ فى المواسم وغيرها ؛ وكان الدوادار الثانى تَمُرْ بَاى السيفى تَمُرْبُغَا المشطوب ، ورأس نوبة ثانى طوخ مِن تمراز الناصرى ، والأمير آخور الثانى يخشباى المؤيدى ثم الأشرفى ، والخازندار على باى الساقى الأشرفى وهو أمير عشرة ، وأستادّار الصحبة مُغُلْباى الجَقمق(٣) أمير عشرة ، والزمام الطواشى الحبشى جوهر الجُلْبَانى اللالاَ ، والخازندار الطواشى الحبشى جوهر القُنُقْبَائى أمير عشرة أيضاً ، ومقدم المماليك الطواشى الرومى خُشْقَدَم اليَشْبَكى أمير طبلخاناه ، ونائبه فَيْرُوز الرُّكْنى أمير عشرة .

---

(١) ، (٢) فى أ (فالتى) .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

ومباشرو الدولة كاتب السر الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الفُوِّىّ ، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ، والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ ، وناظر الخاص الشريف الصاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب جَكَم ، والأستادّار جانِبك مملوك عبد الباسط صورةً — ومعناها أستاذه عبد الباسط ، ولولا مخافة أن أتَّهم بالنسيان لوظيفة الأستادارية ما ذكرناه هنا — ومحتسب القاهرة القاضى الإمام نور الدين على السُّوَيْفى أحد أئمة السلطان ، ووالى القاهرة عمر الشَّوْبَكى .

و [مَن][1] عاصرَه من ملوك الأقطار وأمراء الحجاز ونواب البلاد الشامية وغيرها : فممالك العجم بيد القان مُعين الدين شاه رُخْ بن تيمور لَنْك ، وهو صاحب خُراسان وجُرْجان وخُوارَزْم وما وراء النهر ومازِنْدران وجميع عراق العجم وغالب ممالك الشرق ، إلى دِلى من بلاد الهند ، وإلى حدود أَذْرَبِيجان التى كرسيُّها مدينة تِبريز ؛ وصاحب تبريز يومئذ إسكندر بن قَرا يوسف ، وقد تشتّت عنها منهزماً من شاه رُخ ؛ وقُتل فى هذه السنة أخوه أصْبَهان بن قَرا يوسف صاحب بغداد وغالب عراق العرب[2] ، وقد خربت تلك الممالك فى أيامه وأيام أخيه شاه محمد ؛ وملوك ديار بكر [من وائل][3] عدة كبيرة ، فصاحب مارْدِين وآمِد وأَرْزَنْ وأَرْقَنين وغيرهم أولاد قَرايُلُك ؛ وحصن كَيْفا بيد الملك الكامل صلاح الدين خليل الأيوبى ، وقلعة أَكِلّ بيد دُولات شاه الكُرْدى ، والجزيرة بيد عمر البختىّ ، وإقليم شَماخى بيد السلطان خليل ، والروم بيد ثلاثة ملوك ، أعظمهم السلطان مراد بك بن محمد بن عثمان صاحب بُرُصَا ، وأَدْرِنابُولى[4] ، وغيرها .

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى أ (العجم) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) هى مدينة أدرنة بالبلقان ، واسمها الأصلى Adrianopolis أو Adrianople وقد اتخذها العثمانيون عاصمة لهم زمن السلطان أورخان فى القرن الرابع عشر الميلادى .

وبجانبٍ آخر : إِسْفَنْديار[١] بن أبى يزيد ، وباقى أطراف الروم مع السلطان إبراهيم بن قِرْمان ، مثل لارِنْده وقونية وغيرهما ؛ وبلاد المغرب : فصاحب تونس وبِجَاية وبلاد إفريقية أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله محمد ابن مولاى أبى فارس عبد العزيز الحَفْصى ، وبلاد تِلِمْسان والغرب الأوسط : أبو يحيى بن أبى حَمُّود ، [و][٢] بممالك فاس ثلاثة[٣] ملوك : أعظمهم صاحب فاس ، وهو أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد بن إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن المرينى ، وملك أندلس أبو عبد الله محمد بن الأَيسر ابن الأَمير نصر ابن السلطان أبى عبد الله بن نصر المعروف بابن الأَحْمر صاحب غِرْناطة .

وصاحبُ مكة المشرفة زينُ الدين أبو زُهَيْر بركات بن حسن بن عَجْلان الحسينى[٤] ؛ وأميرُ المدينة الشريف إميان بن مانع بن على الحسينى ؛ وأميرُ الينبوع الشريف عقيل بن زبير بن نَخْبار . وبلاد[٥] اليمن : القاهر يحيى ابن الملك الأشرف إسماعيل من بنى رسول[٦] ، وهو صاحب تَعِزّ وعدن وزَبِيد وما والاها[٧] ؛ وصاحبُ صنعاء وبلاد صَعْدة الإمامُ صلاح الدين محمد ؛ وبلادُ الفرنج ستٌّ عشرة[٨] مملكة يطول الشرح فى تسميتها[٩] ؛ وبلاد الحبشة : الحَطِىُّ الكافر ومُحاربُه ملك المسلمين شهابُ الدين أحمد بن بِدْلاى[١٠] ابن السلطان سعد الدين أبى البركات محمد

(١) راجع ما سبق ص ٦٢ حاشية ٤ .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (ثلاث) .
(٤) فى ا (الحسنى) .
(٥) فى ا (وبلاد) .
(٦) راجع حوادث الدهور ح١ ق ٢ ورقة ٣٩٧–٤٠١ .
(٧) فى ا (والاهم) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (ستة عشر) .
(٩) فى ا (تسميتهم) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(١٠) السلطان شهاب الدين أحمد بن بدلاى – وفى عقد الجمان بدلان – هو سلطان مملكة عدال الإسلامية بالحبشة ، وهى إحدى ممالك الطراز الإسلامى بالحبشة ، وكانت هذه المملكة مع غيرها من الممالك الإسلامية فى صراع مستمر ضد ملك الحبشة ، والملك الحبشى المعاصر للسلطان بَدْلاى هو زره يعقوب (١٤٣٤–١٤٦٨ م) (انظر الإلمام ص ١٨–٢٠ ؛ عقد الجمان ح٢٣ ق ٤ ورقة ٦٧٨ ؛ طرخان : الممالك الإسلامية بالحبشة ص ٦١ ؛ TRIMINGHAM, *Islam in Ethiopia*, p. 76.)

ابن أحمد بن على بن ناصر الدين محمد بن دلحوى بن منصور بن عمر بن ولَشْمَع[1] الجَبَرْتى[2] الحنفى .

ونوابُ البلاد الشامية : نائب [٧٨] دمشق الأتابك إينال الجَكَمى ، ونائب حلب حسين بن أحمد البَهْسَنِى المدعو تَغرى بَرْمَش ، ونائبُ طرابلس جُلْبَان الأميرُ آخور ، [وفى معتقده أقوال كثيرة][3] ، ونائبُ حماه قانى باى الحمزاوى ، ونائبُ صَفَد إينال العلائى الناصرى ، أعنى السلطان الملك[4] الأشرف إينال ؛ ونائبُ غزة آقْبَرْدِى القَجْماسى ، ومات بعد أيام ؛ ونائبُ الكَرَك خليلُ بن شاهين ؛ ونائبُ القدس طُوغَان العثمانى ؛ ونائبُ مَلَطْيَة حسن بن أحمد أخو نائبِ حلب ؛ وحسن الأكبر — انتهى .

قلت : وفائدةُ ما ذكرناه هنا من ذكر أصحاب الوظائف من الأمراء وغيرهم ، يظهر بتغيير الجميع وولاية غيرهم بعد مدة يسيرة فى أوائل سلطنة [الملك][5] الظاهر جَقْمَق ، لتعلم تقلبات الدهر وأن الله على كل شىء قدير .

وأما ذكرُ ملوك الأطراف وغيرهم فهو نوع استطراد لا يخلو من فائدة ، وليس فيه خروج عما نحن بصدده — انتهى .

* * *

ولما تم أمرُ السلطانِ الملك العزيز ونودى بسلطنته وبالنفقة على المماليك السلطانية فى يوم الاثنين خامس عشر ذى الحجة ، لكل مملوك مائة دينار ، سكَنَ قلقُ الناس وسُرُّوا جميعاً بولايته ، ولم يقع فى ذلك اليوم هرج ولا فتنة ولا حركة ، واطمأنت

(١) المثبت من الإلمام ص ٩-١١ وفى ا (ولسع) ، كذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) الجبرتى نسبة إلى جبرة أو جَبَرْت ، وهى نفسها المعروفة باسم «أوفات» ، إحدى ممالك الطراز الإسلامى بالحبشة (صبح الأعشى حـ٥ ص ٣٢٥ ؛ الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ص ٣٨) .
من (٣) إلى (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

الناس ، وباتوا على ذلك وأصبحوا فى بيعهم وشرائهم[1] ؛ غير أن المماليك صاروا فرقًا[2] مختلفة ، والقالةُ موجودة بينهم فى الباطن .

ولما كان يومُ الأحد رابع عشر ذى الحجة ، حضر الأمراء والخاصكيَّةُ للخدمة بالقصر على العادة ، وأنعم السلطانُ الملك العزيز على الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله بجزيرة الصابونى[3] زيادةً على ما بيده ، وكتب إلى البلاد الشامية ولجميع الممالك بسلطنته .

ثم فى يوم[4] الاثنين ابتدأ السلطان بنفقة المماليك السلطانية بعد أن جلس بالمقعد الملاصق [لقاعة][5] الدَّهيشة المطل على الحوش السلطانى ، وبجانبه الأمير الكبير جَقْمَق العلائى وبقية الأمراء . وشرع السلطانُ فى دفع النفقة إلى المماليك السلطانية ، لكل واحد مائة [دينار][6] ، كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم بالسوية ، فحسُنَ ذلك ببال الناس وكثر الدعاء للسلطان وعطفت القلوب على محبته . ثم عيّن للتوجه إلى البلاد الشامية للبشارة الأميرَ إينال الأحمدىَ الظاهرى الفقيه أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وعلى يده مع البشائر كُتُب للأمراء المجردين بالبلاد الشامية تتضمن موتَ [الملك][7] الأشرف وسلطنةَ ولده الملك العزيز هذا .

ثم قدم رسول الأميرِ حمزة بن قَرَايُلُك صاحبِ ماردين وأرْزَن وصُحْبته شمسُ الدين القَلَمْطَاوى ، ومعهما هدية وكتاب يتضمن دخولَ حمزة [المذكور][8] فى طاعة السلطان ، وأنه أقام الخطبة وضرب السكةَ إلى السلطان ببلاده ، وأنه صار من

(١) فى ا (شراهم) .
(٢) فى ا (فرق) .
(٣) تقع هذه الجزيرة تجاه رباط الآثار (ساحل أثر النبى) ، وكان نجم الدين أيوب قد أوقف هذه الجزيرة وقطعة من بركة الحبش ، فجعل نصف ذلك على الشيخ الصابونى وأولاده ، والنصف الآخر على صوفية بمكان بجوار قبة الإمام الشافعى ، (انظر المواعظ والاعتبار ج٢ ص ١٨٥ ، ٤٢٩ ؛ وراجع النجوم الزاهرة ج١٠ ص ١٢٩ حاشية ٢) .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
من (٥) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .

جملة نواب السلطان ، وكان الأمراء الجردون[١] كاتبوه فى دخوله فى طاعة السلطان فأجاب ؛ وفى جملة الهدية دراهم ودنانير بسكة السلطان [الملك][٢] الأشرف بَرْسْبَاى ، فخلع على قاصده وأكرمه .

ثم خلع السلطانُ فى يوم الثلاثاء سادس عشر ذى الحجة على الأمير طُوخ مازِى الناصرى — ثانى رأس نوبة — باستقراره فى نيابة غزة بعد موت آقْبَرْدِى التَجْمَامى .

كل ذلك والسلطان يطيل السكوتَ فى المواكب السلطانية [و][٣] لا يتكلم فى شئ من الأمور ، وصار المتكلمَ فى الدولة ثلاثةُ أنفس : الأميرُ الكبير جَقْمَقْ العلائى ، والأميرُ إينال الأبو بكرى الأشرفى شادّ الشراب خاناه ، والزينى عبد الباسط ناظر الجيش ؛ فمشى الحال على ذلك أياماً ثلاثة[٤] .

فلما كان يوم السبت العشرين من ذى الحجة ، وقع بين الأمير إينال الأبو بكرى المذكور وبين جَكَمَ الخاصْكِى — خال [الملك][٥] العزيز — مقاوضة آلت إلى شر ؛ وابتدأت الفتنة من يومئذ ، وعظّم الأمر بينهما[٦] مَن له غرض فى إثارة الفتن لغرض من الأغراض . وكان سبب الشر إنكار جَكَم على إينال لتحكمه فى الدولة ، وأمره ونهيه ، وكونه صار يبيت بالقلعة ، فغضب إينال أيضا ونزل إلى داره ، ومال إليه جماعة كبيرة من إنْيَاته بطبقة الأشرفية . ثم نزل عبدُ الباسط إلى داره من الخدمة ، فتجمع عليه جماعة كبيرة من المماليك الأشرفية وأحاطوا به وأوسعوه سبًّا ، وربما أراد بعضهم ضربَه والأخراقَ به ، لولا ما خلّصه [٧٩] بعض من كان معه من أمراء المؤيدية بأن تضرع للمماليك المذكورين ووعدهم بعمل المصلحة حتى تفرقوا عنه ، وتوجه إلى داره على أقبح وجه .

---

(١) فى ا (المجردين) .
(٢) ، (٣) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى (بينهم) .

واستمر من هذا اليوم الكلمةُ مختلفة وأحوالُ الناس متوقفة ، وصار كل من المماليك الأشرفية يريد أن يكون هو المتكلم فى الدولة ، ويقدم إنياته وبجماهم خاصكيةً. كل ذلك والأميرُ الكبير جَقْمَق سامع لهم ومطيع ، وصار يدور معهم كيف ما أرادوا، وإينال المشدُّ يزداد غضبُه ويُكثر من القالة ، لتحكم جَكَم فى الباطن ، والشر ساكن فى الظاهر ، والمملكةُ مضطربة ليس للناس [فيها][1] من يُرْجَع إلى كلامه.

فلما كان يوم السبت سابع عشرين ذى الحجة أنعم السلطان الملك العزيز على الأتابك جَقْمَق العلائى بإقطاعه الذى كان[2] بيده فى حياة والده ، بعد أن سأل السلطانُ الأتابكَ جقمق فى ذلك غير مرة ، وأنعم بإقطاع الأتابك جقمق على الأمير تمراز القُرْمُشى رأس نوبة النُّوب ، وهو أحد الأمراء المجردين إلى البلاد الشامية ، وأنعم بإقطاع تمراز المذكور على تَمُرْباى التمربغاوى الدوادار الثانى ، والجميع تَقَادِمُ ألوف لكن التفاوت فى كثرة الخراج وزيادة المُغَلّ فى السنة .

وأنعم بإقطاع تمرباى المذكور علَى الأمير على باى الأشرفى الساقى الخازندار ، وأنعم بإقطاع طوخ مازى الناصرى — المنتقل إلى نيابة غزة قبل تاريخه — على الأمير يخشباى الأشرفى الأمير آخور الثانى ، وأنعم بإقطاع يخشباى المذكور على الأمير يَلْخُجَا مِن مامش الساقى الناصرى رأس نوبة ، والجميع أيضاً طبلخاناة .

وأنعم بإقطاع يَلْخُجا الساقى علَى السيفى قانى باى الجاركسى وصار أمير عشرة ، بعد أن جهد الأتابكُ جَقْمَق فى أمره وسعى فى ذلك غاية السعى ، وأرسل بسببه إلى عبد الباسط وإلى الأمير إينال المشد غير مرة حتى تم له ذلك . وخلع السلطانُ على الأمير إينال الأبو بكرى للشد باستقراره دواداراً ثانياً عوضا عن تَمُرْباى . كل ذلك والقالة موجودة بين جميع العسكر ظاهراً وباطنا .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

ثم أصبح من الغد فى يوم الأحد خلع السلطان على الأمير على باى الخازندار ، باستقراره شادّ الشراب خاناه ، عوضًا عن إينال الأبو بكرى .

ثم فى يوم الاثنين استقر دَمُرْداش الأشرفى ، أحد أصاغر المماليك الأشرفية ، والىَ القاهرة عوضًا عن [عمر][1] الشُّوبَكى ، وانفض الموكب ونزل الأتابكُ إلى جهة بيته . فلما كان فى أثناء الطريق اجتمع عليه جماعةَ كبيرة من المماليك الأشرفية وطلبوا منه أرزاقا ، فأوعدهم وخادعهم وتخلص منهم ، فتوجهوا إلى الزينى عبد الباسط ناظر الجيش فاختفى منهم ، وقد صار فى أقبح حال منذ مات [الملك][2] الأشرف ، من الذلة والهوان وبما داخله [من][3] الخوف من المماليك الأشرفية من كثرة التهديد والوعيد ، وقد احتار فى أمره وهم على الهروب غير مرة .

واستهلت سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة يوم الثلاثاء ، وقد ورد الخبر بقدوم عرب لَبِيد إلى البحيرة ، فندب السلطانُ تغرى بردى البَكْلَمُشى المؤذى[4] أحدَ مقدمى الألوف ، فخرج من القاهرة فى يوم الجمعة رابع المحرم وصحبته عدة من المماليك السلطانية[5] . وفى هذا اليوم خلع السلطانُ على خاله جَكَم باستقراره خازنداراً كبيراً عوضاً عن على باى الأشرفى ، واستمر على إقطاع جنديته من غير إمرة .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر المحرم نزل الطلبُ إلى شيخ الشيوخ سعد الدين سعد الديرى ، وخلع عليه باستقراره قاضىَ قضاة الحنفية بالديار المصرية بعد عزل قاضى القضاة بدرالدين محمود العينى ، بعد تمنع كبير وشروط منها : أنه لا يقبل رسالةَ أحد منهم — أعنى أكابر الدولة — وأنه لا يتجوّه عليه فى شىء ، وأشياء غير ذلك ؛ ونزل إلى داره بالجامع المؤيدى وقد سر الناس بولايته غاية السرور .

---

٢ من (١) إلى (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن بدائع الزهور — ٢ ص ٢٥ ، وعن طبعة كاليفورنيا ، وفى ا (المؤيدى) .

(٥) عن بعض أخبار عرب لبيد ، راجع معجم قبائل العرب لعمر رضا كحاله (— ٣ ص ١٠٠٩) .

وفيه أنعم السلطانُ على سبعة من الخاصكية ، لكل منهم بإمرة عشرة ، وهم : قانم من صَفَر خُجَا المؤيَّدى المعروف بالتاجر أحد الدوادارية ، وجَكَم النَّوْرُوزى المجنون ، وقانبك الأبو بكرى الأشرفى الساقى ، وجانبك الساقى الأشرفى المعروف بِقلق سيز[1] ، وجانم الأشرفى أحد الدوادارية المعروف برأس نوبة سيّدى ، وجرباش الأشرفى رأس نوبة [٨٠] الجدارية المعروف بمُشِدّ سيّدى ، والسابع ما أدرى : أهو جَكَم خال [الملك][2] العزيز أوهو آقبَرْدِى المظفّرى الظاهرى [برقوق][3] رأس نوبة الجدارية ؟

وفيه أيضا خلع السلطان على مراد قاصد الأمير حمزة بك بن قرايُلك ورسم بسفره وصحبته شمسُ الدين القَلَمْطاوى أحد موقّعى حلب ، وجهز السلطان صحبتهما مبارَك شاه البريدى وعلى يده جوابُ كتابِ الأمير حمزة بشكره والثناء عليه ، وتشريف له بنيابة السلطنة بممالكه ، وفرس بقماش ذهب ، وهدية هائلة ، ما[4] بين قماش سكندرى وسلاح وغيره ، ونسخة يمين ، وأجيب الأمراء المجردون أيضاً عن كتبهم ، ورسم لهم أن يسرعوا فى الحضور إلى الديار المصرية .

وفى هذه الأيام كثر الكلام بين الأمراء والخاصكية بسبب التوجه إلى البلاد الشامية وحمل تقاليد النواب بالاستمرار ، إلى [أن كان][5] يوم السبت تاسع عشر المحرم خلع السلطانُ على الأمير أَزْبَك[6] السيفى قانى باى[7] أحد أمراء العشرات ورأس نوبة — المعروف بجُحا — وعين لتقليد الأمير إينال الجَكَمى نائب الشأم ، باستمراره على عادته ، وكان تقدم أن السلطان خلع على الأمير إينال الفقيه بتوجهه إلى نائب حلب ، وخلع السلطانُ على إينال الخاصكى بتوجهه إلى الأمير جَلْبان نائب طرابلس ،

(١) يكتب هذا الاسم أحيانا كلمة واحدة : قلقسيز .
(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (من) .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (يزبك) .
(٧) يكتب قانى باى أحيانا : قانبك .

وعلى دُولات باى الخاصْكى [بالتوجه][1] إلى قانى باى الحمزاوى نائب حماه ، وعلى يَشْبَك الخاصكى بالتوجه إلى إينال العلائى الناصرى نائب صَفَد ، كل ذلك والنواب فى التجريدة صحبة الأمراء المصريين .

[و][2] فى هذا اليوم حل بالزينى عبد الباسط أمور غير مرضية من بعض المماليك الأشرفية فى وقت الخدمة السلطانية ، هذا بعد ما نزل به قبل تاريخه فى هذه الأيام من[3] أنواع من المكاره ، ما بين تهديد ولَكْم وإساءة ، احتاج من أجلها إلى بذل الأموال لهم وإن يحميه منهم ليخلص[4] من شرهم ، فلم يتم له ذلك .

ثم فى ثالث عشرين المحرم قدم ركب الحاج إلى القاهرة ، وأمير [حاج][5] المحمل آقْبُغَا من مامِش الناصرى المعروف بالتركانى[6] ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، بعد أن حل بالحاج من البلاء مالا مزيد عليه ، من أخذهم وأخذ أموالهم ونهبهم ، وقد فعلت الأعراب بهم ما فعله التَّمُرِيَّة[7] فى أهل البلاد الشامية ، ومعظم المصيبة كانت بالركب الغَزّاوى ، فلم يلتفت أحد من أهل الدولة لذلك[8] ، لشغل كل واحد بما يرومه من الوظائف والإقطاعات وغيرها[9] ، ودَعْ الدنيا تخرب ويحصل له مرادُه .

ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين[10] المحرم قدم إلى القاهرة مماليك نواب البلاد

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) هذا الحرف ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (يخلص) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) بشرح صاحب القاموس المحيط كلمة تركانى فيقول إن التركان جيل من الترك ، سموا كذلك لأنه آمن منهم مائتا ألف فى شهر واحد ، فقالوا : ترك إيمان ، ثم خفف فقيل : تركان .
(٧) التمرية هم جيش تيمورلنك .
(٨) فى ا (بذلك) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (وعيرها) .
(١٠) فى ا (عشر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وعن سياق الحديث فيما يلى .

الشامية ، وعلى أيديهم مطالعاتٌ تتضمن أنهم ملكوا مدينة أرزَنْكان[(١)] وأنه خُطب بها باسم [السلطان][(٢)] الملك الأشرف بَرْسْباى ، ولم يعلموا إذ ذاك بموته .

ثم فى يوم الخميس أول صفر عُملت الخدمةُ السلطانية ونزل كل واحد إلى داره ، فلما كان عبدُ الباسط بالقرب من باب الوزير تجمع عليه عدة من المماليك الأشرفية وتحاوطوه وأوسعوه سَبًّا ووعيدا ، وهَمُّوا به ، وأراد [بعضهم][(٣)] ضربَه ، حتى منعه عنه من كان معه من الأمراء ، وتخلص منهم وولى هاربا يريد القلعة ، حتى دخلها وهم فى أثره ؛ فامتنع بها فأقام بالقلعة يومَه كلَّه وبات بها وهو يطلب الإعفاء من وظيفتى نظر الجيش والأستادارية .

وأصبح السلطانُ من الغد جلس بالحوش السلطانى على الدِّكَّة ، وطلع الأميرُ الكبير جَقْمَق نظامُ الملك واستدعى عبدَ الباسط إلى حضرة السلطان ، والسلطان على عادته من السكات لا يتكلم فى شىء من أمور المملكة ، وليس ذلك لصغر سنِّه ، وإنما هو لأمر يريده الله تعالى . فلما حضر عبدُ الباسط كلّمه الأميرُ الكبير فى استمراره على وظيفته ، فشكا[(٤)] له ما يحلُّ[(٥)] به ، فلم يلتفت إلى شكواه وخلع عليه باستمراره ، وعلى مملوك جانبك باستمراره على وظيفته الأستادارية ، ونزلا إلى دورهما ومعهما جماعة كبيرة .

ثم فى يوم الأحد رابع صفر ورد على السلطان كتابُ الأمير إينال الجَكَمى نائب الشام بوصوله بالعساكر المصرية والشامية من البلاد الشمالية إلى حلب ، وأن الأمير حسين بن أحمد المدعو تَغْرِى بَرْمَشْ نائب حلب تأخر عنهم لما بلغه موتُ [الملك][(٦)]

(١) أرزنكان أو أرزنجان : بلدة مشهورة كثيرة الخيرات فى أرمينية ، وأغلب أهلها من الأرمن وفيها مسلمون ، والمسلمون أعيان أهلها ، وعرفت هذه البلدة بانتشار الخمر والفسق فيها (معجم البلدان ١ ص ١٩٠) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا . وفى ا (وأرادوا ضربه) .

(٤) فى ا (فشكى) .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (يحط) .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

الأشرف ، وأنه أراد أن يكبس على الأمراء المصريين ، فبلغهم ذلك فاحترزوا على نفوسهم [٨١] منه إلى أن دخلوا إلى حلب .

ثم فى يوم السبت عاشر صفر رسم [السلطانُ] (١) بأن تقتصر الخدمة السلطانية على أربعة أيام فى الجمعة ، وأن تكون الخدمة بالقصر فقط عندما يحضر الأتابكُ جَقْمَق ، وأن تبطل خدمة الحوش لغيبة الأتابك منه ، وهذا ابتداء أمر الأتابك جقمق وظهوره فى الدولة ، لكثرة من انضم عليه من الطوائف من الأمراء وأعيان المماليك السلطانية .

ثم قدم كتاب نائب حلب يتضمن رحيل العساكر من حلب إلى دمشق فى سادس عشرين المحرم، وأنه قدم إلى حلب بعدهم فى ثامن عشرينه ، وأنه كان تخوَّف من الأمراء المصريين أن يقبضوا عليه فلهذا تخلف عنهم ، وأنه فى طاعة السلطان وتحت أوامره ، فلم يجب بشىء لشغل أهل الدولة بما هم فيه من تنافر قلوب بعضهم من بعض ، وقد وقع أيضاً بين المماليك الأشرفية [وبين خُجداشيهم ، وأعظمهم الأمير إينال الأبو بكرى الدوادار الثانى .

فلما كان يوم الاثنين ثانى عشر تجمع المماليك الأشرفية] (٢) بالقلعة يريدون قتل الأمير إينال الأبو بكرى الدوادار الثانى (٣) [المقدم ذكره] (٤)، ففرَّ منهم بحماية بعضهم له ، ونزل إلى داره ، فوقفوا خارج القصر وسألوا الأمير جَقْمَق بأن يكون هو المستبد فى الأمر والنهى والتحكم فى الدولة ، وأن ترفع يد إينال وغيره من الحكم فى المملكة، فأجاب إلى ذلك ووعدهم بكل خير، ونزل . وقد اتسع للأتابك جقمق — بهذا الكلام — الميدانُ ، ووجد لدخوله فى المملكة باباً كبيراً ، فإنه كان عَظُم جَمْعُه قبل ذلك لكنه كان تَخَشَّى كثرةَ المماليك الأشرفية ، فلما وقع الآن بينهم المباينةُ خفَّ عنه أمرُهم قليلا وقَوِىَ أمرُه ؛ كل ذلك ولم يظهر منه الميل للوثوب على [الملك] (٥).

(١)،(٢)،(٤)،(٥) من طبعة كاليفورنيا .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

العزيز بالكلية ، غير أنه يوافق القوم فى الإنكار على فعل المماليك الأشرفية وكثرة شرورهم لاغير .

ولما كان صباح النهار المذكور ، وهو يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر ، وقف جماعة كبيرة(١) من الأشرفية تحت القلعة بغير سلاح ووقع بينهم وبين خُجْداشيَّتهم الذين هم من طبقة الأشرفية من إينَات(٢) إينال وإخوته ، وقعةٌ هائلة بالدبابيس ، ثم انفضوا وعادوا من الغد فى يوم الأربعاء إلى مكانهم بسوق الخيل .

فلما وقع ذلك تحقق المماليكُ القَرَانيصُ وقوعَ الْخُلف بين المماليك الأشرفية ، فقاموا عند ذلك وتجمعوا عند الأمير الكبير ، ومعهم الأمير إينال المذكور بإنْياته وخُجْداشيَّته من المماليك الأشرفية وهم جمع كبير أيضاً ، وتكلموا مع الأمير الكبير بالقيام فى نصرة إينال المذكور ، وليس ذلك مرادهم وإنما قصدُهم غير ذلك ، لكنهم لم يجدوا مندوحة لغرضهم أحسنَ من هذه الحركة ، وأظهروا الميل الكلى إلى نصرة إينال ، وصاروا له أصدقاء وهم فى الحقيقة أعدى العِدى(٣) ، فمال الأتابكُ جَقْمَقُ إلى نُصرة إينال لكوامن كانت عنده من القوم ، وقد صار بهذه القضية فى عسكر هائل وجمع كبير من المماليك الظاهرية [برقوق](٤) وهم خُجْداشيته ، والمماليك الناصرية [فرج](٥) والمماليك المؤيدية شيخ والسَّيْفية وعالم كبير من المماليك الأشرفية أصحاب إينال .

وبقى العسكر قسمين : قسم مع الأمير الكبير جَقْمَق ، وهم مَن ذكرنا ومعظم الأمراء من مقدمى الألوف ، وغالب أمراء الطبلخانات والعشرات ، ما خلا جماعة من أمراء الأشرفية ؛ وقسم آخر بالقلعة عند السلطان الملك العزيز ، وهم أكثر المماليك الأشرفية ، وعندهم الخليفة والخزائن والزَّرَدْخانة ، إلا أنهم جهال بمكايد الأخصام

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) راجع الحاشية ٣ ص ١٨٨ فيما سبق .
(٣) فى ا (العدا) .
(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

ووقائع الحروب ، لم تمر بهم التجارب ولا مارسوا الوقائع . وأعظم من هذا أنهم لم يقرِّبوا أحداً من الأكابر وأرباب المعرفة ، فضلُّوا وأضلوا وذهبوا وأذهبوا وأضعفوا بسوء تدبيرهم قواهم ، وتركوا الملك باختلاف آرائهم[1] لمن عداهم ، على ما سيأتى بيان ذلك كله فى محله .

هذا ، وكل من الطائفتين يدَّعى طاعةَ الملك العزيز غير أن الخصم[2] هو إينال ، وقد التجأ إلى الأمير الكبير جَقْمَق نظام المُلك فقبله الأمير الكبير بمن معه ، وقام فى الظاهر بنصرة إينال أتم قيام وفى الحقيقة إنما هو قام بنصرة نفسه ، وقد ظهر ذلك لكل أحد حتى لإينال غير أنه صار يستبعد ذلك لعظم خديعة جقمق له ، وأيضا لأنه أحوجه الدهر أن يكون من حزبه ، كما قيل :

وما مِن حُبِّه أحنو عليه ولكنْ بُغْضُ قومٍ آخرين

[٨٢] ولما وقع ذلك استفحل أمر الأتابك ، وتكاثف جمعه ، ومعظم من قام فى هذه القضية معه المماليكُ المؤيَّدية ، وقد أظهروا ما كان فى ضمائرهم من الأحقاد القديمة فى الدولة الأشرفية ، وأخذوا فى الكلام مع الأتابك وتقوية جنابه على الوثوب بالمماليك الأشرفية الذين بقلعة الجبل ، وهو يتثاقل عن ذلك حتى يتحقق من أمرهم ما يثق به ، وصار يعتذر لهم بأعذار كثيرة : منها قلة المال والسلاح ، وأن الذين[3] بقلعة الجبل أقوياء بالقلعة والمال والسلطان والسلاح . فقالوا : هو ما قلت ، غير أن هؤلاء جهلة لا يدرون الوقائع ولا مقاومة الحروب ولا أمر العواقب ، ونحن أعرف بذلك منهم ، وجمعنا يقاتل معك من غير أن تبذل لهم الأموال .

ولا زالوا به حتى أذعن لهم ، بعد أن بلغه عن بعضهم أنه يقول عنه : « الأمير

(١) فى ا (اراهم) .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (الخطم) .
(٣) فى ا (الذى) .

الكبير دقن المرأة » ، وأشياء غير ذلك ، كونه لا يوافقهم على الركوب ، وأنهم يقولون : « إن كان الأمير الكبير ما يوافقنا أقمنا لنا أستاذاً غيره » .

ولما وافقهم الأمير الكبير على الركوب ، أشاروا عليه بعدم الطلوع إلى الخدمة السلطانية من الغد في موكب يوم الخميس خامس عشر صفر ، فقبل منهم ذلك وأصبح يوم الخميس المذكور وقد كثر جمعه ، وتحول من داره التي تجاه الكبش على بركة الفيل ، إلى بيت نوروز الحافظي تجاه مصلاة المؤمني ، وقد اجتمع عليه خلائق من المماليك من سائر الطوائف وعليهم السلاح الكامل وآلة الحرب . وقبل أن يركب الأمير الكبير جقمق عند وضع رجله في الركاب قال : « هذا دقن المرأة يركب [حتى][1] ينصر إيش تفعل الرجال الفحول » فصاحوا بأجمعهم : « نقاتل بين يديك إلى أن نفنى أو ينصرك الله على من يعاديك » .

ثم سار بجموعه حتى وافى البيت المذكور فوقف على باب الدار ، وقد اجتمع عليه جمع من المماليك والزُّعْر[2] والعامة ، فوعدهم الأميرُ الكبيرُ بالنفقة والإحسان إليهم ، كل ذلك ولم يقع إلى الآن قتال . فلما تحقق المماليكُ الأشرفية ركوبَ الأمير الكبير ، ورأوهم من أعلى قلعة الجبل ، أخرجوا السلطانَ من الدور إلى القصر المطل على[3] الرُّمَيلة واجتمعوا عليه بالقصر وغيره ، وقد لبسوا السلاح أيضاً .

وكان كبراء الأشرفية الذين[4] بالقلعة عند الملك العزيز ، من أمراء الأشرفية وغيرهم جماعة : منهم الأمير يخشباى الأشرفي الأمير[5] آخور الثاني ، وعلى باى شادّ الشراب

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) الزّعارة لغويا شراسة الخلق ، وزعرور سيىء الخلق ، وفي المصطلح كذلك ، فقد استعمل هذا اللفظ في عصر المماليك للدلالة على المفسدين وقطاع الطرق الذين يتعرضون للمارة ولا سيما في الأماكن المهجورة . يقول المقريزي بصدد حديثه عن حكر الأمير آقبغا أستادار السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنه كان « عزونا يقطع فيه الزُّعّار الطريق على المارة من القاهرة إلى مصر » (خطط حـ ٢ ص ١١٦ ؛ القاموس المحيط) .

(٣) في ا (إلى) .

(٤) في ا (التي) .

(٥) في ا (الامور) .

خاناة وتَنْبَك النَّوْرُوزِى المعروف بالجَقْمَقِى نائب قلعة الجبل ، وخُشْكَلْدى من سيِّدى بك الناصرى رأس نوبة ، وكُزُل السُّودونى المعلم رأس نوبة ، وَجكَم الخازندار خال [الملك][(١)] العزيز ، وجُماعة أخر ممن تأخر فى أمسه من المماليك الأشرفية ، ومعظم الخاصْكِيَّة الأشرفية ، أصحاب الوظائف وغيرهم ، ما خلا من نزل منهم مع الأمير إينال الأبو بكرى ، واستعدوا لقتال الأمير الكبير ومن معه ، وباتوا تلك الليلة ، بعد أن تناوشوا فى بعض الأحيان بالرمى بالنشاب ، ولم يقع قتال فى مقابله .

وأصبحوا فى [(٢)] يوم الجمعة سادس عشر صفر على ما باتوا عليه ، واستمر كل طائفة من الفريقين على تعبيتهم إلى بعد صلاة العصر ، فزحف بعض[(٣)] أصحاب الأمير الكبير إلى باب القرافة ، وهدموا جانباً من سور ميدان القلعة وغيره ، ودخلوا إلى الميدان ، فنزل إليهم طائفة من السلطانية ركبانا ومشاة وقاتلوهم مواجهة ، حتى هزموهم وأخرجوهم من الميدان ، وتراموا بالنشاب ساعة فحال بينهم الليل ، وبات كل طائفة منهم على حــــذر . وتوجهت الأشرفية الذين بالقلعة ، وفتحوا [باب][(٤)] الزردخانة السلطانية ، وأخذوا من السلاح الذى بها ما أرادوا ، ونصبوا[(٥)] مكاحل النفط على سور القلعة ، وأخذوا فى أهبة القتال .

حتى أصبحوا يوم السبت سابع عشر صفر وقد استفحل أمر السلطانية من عصر أمسه ، فتجمعت الجَقْمَقِيَّة وابتدأوا بقتال السلطانية ، فوقع بين الطائفتين قتال بالنشاب والنفوط ، فهلك من العامة خلائق ممن كان من حزب الأمير جَقْمَق ؛ كل ذلك وأمر السلطانية[(٦)] يقوى إلى بُعيد[(٧)] الظهر ، فلاحَ[(٨)] عليهم الخذلانُ من غير أمر

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى طبعة كاليفورنيا (وأنصبوا) .
(٦) فى ا (السلطان) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الكلام .
(٧) فى ا (بعد) .
(٨) فى ا (لاح) .

يوجب [٨٣] ذلك ، ومشت القضاة(١) بين السلطان والأمير الكبير جَقْمَق غير مرة ، في الصلح والكفّ عن القتال وحقن دماء المسلمين ، وإخماد الفتنة .

هذا وقد ترجح جهة الأمير الكبير جَقْمَق ، وطمعت عساكرُه في السلطانية ، فقال الأمير الكبير : أصطلح بشرط أن يرسل السلطان إليّ بأربعة نفر ، وهم : جَكَم خال [الملك](٢) العزيز الخازندار ، وتَنَم الساقي ، وأُزْبَك البواب ، ويَشْبَك الفقيه الأشرفي الدوادار ؛ فأذعن السلطان ومَن عنده لذلك بعد كلام كثير ، فنزل(٣) الأربعة من القلعة ، بعد صلاة العصر من يوم السبت المذكور ، مع من كان تردد في الصلح ، وساروا حتى دخلوا بيتَ الأمير الكبير ، فحالَ وقع بصره عليهم قبض عليهم واحتفظوا بهم .

وركب الأميرُ الكبير فرسه وساروا معه أعيانُ أصحابه إلى أن صار في وسط الرُّمَيْلة تجاهَ باب السلسلة ، فنزل عن فرسه بعد أن فُرش [له](٤) ثوب سرج جوخ ، وقبّل الأرضَ بين يدي السلطان الملك العزيز لكونه أرسل إليه أخصامه ، ثم ركب في أصحابه وعاد إلى بيته بالكبش ومعه المقبوضُ عليهم ، إلى أن نزل بداره في موكب جليل إلى الغاية .

وأخذ أمرُ [الأمير](٥) الكبير [جَقْمَق](٦) من هذا اليوم في زيادة وقوة ، وأمرُ [الملكِ](٧) العزيز ومماليكِ أبيه [الأشرفية](٨) في نقص ووهن(٩) وإدبار

وأصبح بكرة يوم الأحد ثامن عشر صفر أرسل الأميرُ الكبير إلى السلطان(١٠)

---

(١) في طبعة كاليفورنيا (القصاد) والمثبت من ا
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) في ا (فنزلت) .
من (٤) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) في ا (وهم)
(١٠) في ا (السلطان) .

فى طلب جماعة أخر من المماليك الأشرفية ، فنزل إليه الأميرُ يخشباى الأمير آخُور الثانى ، والأميرُ على باى شادّ الشراب خاناه ، وهما من عظماء القوم والمشار إليهما من القلمية الأشرفية ، وقبّلا يد الأمير الكبير جَقْمَق ، فأكرمهما الأميرُ الكبير ووعدهما بكل خير ، ثم أمر فى الحال بطلب [الأمير] الطواشى خُشْقَدَم اليَشْبَكى مقدم المماليك السلطانية فحضر إليه وقبّل يده ، فأمره الأميرُ الكبير أن يتقدم بنزول جميع من فى الأطباق من المماليك الأشرفية وهـدّده إن لم يفعل ذلك ، فاستبعد الناس وقوعَ ذلك لكثرة المماليك الأشرفية وشدة بأسهم .

فلما طلع خُشْقَدَم وأمرهم بالنزول أجابه الجميع بالسمع والطاعة ، ونزل صبيان طبقة بعد طبقة إلى بيت الأمير الكبير ، وقد حضر عنده قضاةُ القضاة الأربعة[1] وأهل الدولة وأعيانها ، وحلّفوا الأميرَ الكبير على طاعة السلطان ، ثم حلّفوا المماليكَ الأشرفية على طاعة الأمير الكبير ، وحكم قاضى القضاة سعدُ الدين [بن][2] الديرى الحنفى بسفك دم من خالف هذا اليمين .

وعند انقضاء الحلف ، أمر الأمير الكبير بنزول جميع المماليك الأشرفية من أطباقهم بالقلعة إلى إسطبلاتهم ، ما خلا المماليك الصغار فاعتذروا عن قلة مساكنهم بالقاهرة ، فلم يقبل الأمير الكبير أعذارهم وشدّد عليهم ، والناس تظن غير ذلك ، فخرجوا . وفى الحال أخذوا فى تحويل متاعهم ونزلوا من الأطباق ، بعد أن ظن كل أحد منهم أنه لا بد له من إثارة فتنة وشر كبير تسفك فيه دماء كثيرة قبل نزولهم ، فلم يقع شىء من ذلك ، ونزلوا من غير قتال ولا إكراه ؛ وخلت الطباق منهم فى أسرع وقت خذلاناً[3] من الله تعالى ، وتركوا السلطانَ والخزائن والسلاح والقلعة ، ونزلوا من غير أمر يوجب النزول ، وهم نحو الألف وخمسمائة نفر ، هذا خلاف من كان انضم عليهم من الناصرية والمؤيدية والسيفية ، ولله در القائل : [السريع]

(١) فى ا (الأربع) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (خذلان) .

ما يفعل الأعداءُ في جاهلٍ ما يفعلُ الجاهلُ في نَفْسِهِ

وتعجب الناسُ من نزولهم ، حتى الأمير الكبير جَقْمَق ، وصار يتحدث بذلك أوقاتا في سلطنته ، فإنه كان أولا تخُوف منهم أن يقبضوا عليه عند طلوعه إلى القلعة غير مرة ، ولهج الناس بذلك كثيراً وبلغ الأتابكَ أنهم يريدون أن يقبضوا عليه وعلى عبد الباسط وعلى الصاحب جمال الدين ناظر الخاص ، فقال : وإيش يمنعهم من ذلك ؟ وانقطع عن الخدمة السلطانية أياماً ، حتى كلّمه أصحابه في الطلوع وشجعوه وقالوا له : نحن نطلع في خدمتك ولا يصيبك مكروه حتى تذهب أرواحنا . كل ذلك قبل أن يقع الشرُّ بين الأمير إينال وخُجْداشيته ، فهذا كله ذكرناه لتعرف به شدة بأس المماليك الأشرفية وكثرة عددهم .

[٨٤] فلما تكامل نزول [المماليك][1] الأشرفية من الأطباق إلى حال سبيلهم ، وهذا أول مبدأ زوال مُلك السلطان الملك العزيز [يوسف][2] ، ومن يومئذ أخذ الأمير إينال الأبو بكرى الأشرفيّ في الندم بما وقع منه من الانفراد عن خُجْداشيته والانضمام على الأتابك جَقْمَق ، حتى إنه صار يبكي في خلواته ويقول : « ليتني كنت حُبست بثغر الإسكندرية ، ودام تحكم ابن أستاذى[3] وخُجْداشيتى . وما عسى خُجْداشيتى كانوا يفعلون بى ؟ » . وندم حيث لا ينفع الندم ، وربما بلغ الأمير الكبير عنه[4] ذلك فأخذ يحلف له أنه لا يريد الوثوب على السلطنة ، ولا خلْع الملك العزيز ، وأنه لا يريد إلا أن يكون نظامَ مُلْكهِ ومدبرَّ ممالكه ، وأشياء غير ذلك .

قلت : وأنا أظن أن الأمير إينال ما طال حبسهُ إلا بهذا المقتضى ، والله أعلم .

ثم في يوم الأحد هذا قدم الأمير تغرى بردى البَكْلَمُشى المؤذى أحد مقدمى

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) في أ (الاستاذ) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) في أ (عند) .

الألوف من البحيرة بمن كان صحبته من المماليك السلطانية ، وكان الأتابكُ أرسل يستحثه[1] فى القدوم عليه ليكون من حزبه على قتال الأشرفية ؛ فتقاعد عنه إلى أن انتهى أمر الوقعة وحضر ، فأخذ الأتابكُ جَقْمَق يوبخه لعدم حضوره ، وهو يعتذر بعدم وصول الخبر إليه ويقبِّلُ يده .

ثم ورد الخبرُ على السلطان بأن العسكر المجرد من الأمراء وصل إلى دمشق فى خامس صفر .

ثم فى يوم الثلاثاء العشرين من صفر شفع الملكُ العزيز فى خاله جَكَم ورفقته ، فأفرج عنهم الأتابكُ جقمق وخلع على كل منهم كاملية مُخْمَلٍ بفروِ سمورٍ [و][2] بمقلبِ سمورٍ .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشرين صفر طلع الأميرُ الكبير جَقْمَق إلى الخدمة السلطانية ومعه سائر الأمراء وأرباب الدولة ، ومنع المماليكَ الأشرفيةَ من الدخول إلى القصر فى وقت الخدمة ، إلا من له نوبة عند السلطان من أصحاب الوظائف ، وكان الأتابكُ جقْمَق شَرَط عليهم ذلك عند تحليفهم .

وحضر الأميرُ الكبير الخدمة ، وخلع عليه السلطانُ تشريفا عظيما[3] باستمراره على حاله ، ونزل من وقته إلى باب السلسلة ، وسكن الحراقة من الإسطبل السلطانى بعد أن نقل إليها قماشَه ورَخْتَه[4] فى أمسه ؛ وبعد أن أمر الأميرَ يخشباى الأميرَ آخُور الثانى بالنزول من الإسطبل إلى بيته قبل تاريخه ، فنزل يخشباى إلى داره ، وكانت دار قُطْلُو بُغَا الكَرَكى التى[5] تجاه دار مَنْجَك اليوسفى بالقرب من الجامع الحسينى ، وجلس وأغلق عليه باب الدار ، ومنع الناس من التردد إليه ، وصار كالمرسم عليه ؛ وهذا أيضًا من أعجب العجب ، كون الشخص يكون على إقطاعه ووظيفته ويصير على هذه المثابة .

(١) فى أ (يستحقه) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (تشريف عظيم) .
(٤) راجع شرح هذا اللفظ فيما سبق .
(٥) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

وسكن الأميرُ الكبير بالسلسلة وتصرف فى أمور المملكة من غير مشارك، واستبد بتدبير أحوال السلطنة من ولاية الوظائف والإنعام بالإقطاعات والإمريات على من يريد ويختار، فصار الملكُ العزيز ليس له من السلطنة إلا مجرد الاسم فقط. فعظم ذلك على المماليك الأشرفية، وأنكروا سكنى الأمير الكبير بباب السلسلة، واتفقوا ووقفوا فى جمع كبير بالرُّمَيْلة وأكثروا من الكلام فى ذلك، ثم انفضّوا من غير طائل وفى أملهم أن الأمراء إذا قدموا من سفرهم أنكروا على الأمير الكبير ما فعله وقاموا بنصرة [الملك][1] العزيز، وانتظروا ذلك.

وأخذ الأتابكُ جَقْمَق فى تحصين باب السلسلة والقلعة وأشحنهما بالسلاح والرجال، وصارت الأعيانُ من كل طائفة تبيت عنده بباب السلسلة فى كل ليلة، والأمراء والأعيان تتردد[2] إلى خدمته وتركت الخدمة السلطانية، واحتجّ الأمير الكبير بتركها أنه بلغه أن المماليك الأشرفية اتفقوا على قتله إذا طلع إلى الخدمة السلطانية، وجعل ذلك عذراً له عن عدم حضور الخدمة، وصار هو المخدوم والمشار إليه، وتردد مباشرو الدولة إلى بابه وسائر الناس، وتلاشى أمرُ السلطانِ [الملك][3] العزيز إلى الغاية.

ولهج الناس بسلطنة الأتابك جَقْمَق، وشاع ذلك بين الناس، وصار الأتابكُ كلما بلغه ذلك أنكره وأسكت القائل بذلك [ولسانُ حاله ينشد][4]: [الكامل]

[٨٥] لا تَنْطِقنَّ بحادثٍ فلربما نطقَ اللسانُ بحادثٍ فيكونُ

هذا والأتابكُ جقمق متخوف فى الباطن من الأمراء المجردين، لكونهم جمعاً كبيراً[5] وفيهم جماعة من حواشى [الملك][6] الأشرف ومماليكه، مثل أركماس

(١) عن طبعة كاليفورنيا.
(٢) فى أ (تردد).
(٣)، (٤)، (٦) من طبعة كاليفورنيا.
(٥) فى أ (جمع كبير).

الظاهرى الدوادار الكبير ، وتمراز القُرْمُشى رأس نوبة النُّوَب ، وجانِم الأشرفى الأمير آخُور الكبير ، وقراجا الأشرفى ، وخُجَا سُودون السَّيفى بلاط الأعرج ، وفيهم أيضاً من تحدثه نفسه بالوثوب على الأمر وهو الأمير قرقماس الشعبانى الناصرى أمير سلاح المعروف بأهرام ضَاغ[1] ؛ فلهذا صار الأتابك جقمق يقدم رجلا ويؤخر أخرى .

ثم قدم الخبر بخروج الأمراء من مدينة غزة إلى جهة الديار المصرية ، وأن خُجا سُودون البلاطى أحد مقدمى الألوف تأخر عنهم على عادته فى كل سفرة ، فندب الأتابكُ السيفيَّ دِمِرْداش الحسنى الظاهرى برقوق الخاصكى بالتوجه إلى غزة ، وعلى يده مرسوم شريف بتوجه خُجا سُودون إلى القدس بطالا ، فمضى دمرداش المذكور وفعل ما نُدب إليه .

فلما كان يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الأول وصل الأمراء إلى الديار المصرية وطلعوا الجميعُ إلى الأتابك جقمق ، ما خلا الأمير يَشْبَك السُّودونى حاجب الحجاب فإنه قدم القاهرة فى الليل مريضاً فى محفة إلى داره ، ولم ينزل الأتابكُ إلى تلقى الأمراء المذكورين ، وكان أرسل إليهم يخوّفهم من المماليك الأشرفية ، وذكر لهم أنهم يريدون الركوب عليهم يوم دخولهم ، فدخلوا الجميع بأطلابهم ، ولما طلعوا إلى جَقْمَق قام لهم واعتنقهم وأكرمهم غاية الإكرام .

وأرسل إلى الملك العزيز أنه يخرج ويجلس بشباك القصر حتى يقبّلوا له الأمراء الأرضَ من الإسطبل السلطانى ولا يطلع إليه أحد ، ففعل [الملكُ][2] العزيز ذلك وجلس بشباك القصر حتى أخذ الأتابكُ جقمق الأمراء وسار بهم من الحراقة يريد الإسطبل السلطانى والجميع مشاة ؛ وقد جلس السلطانُ [الملك][3] العزيز بشباك القصر فوقف الأمراء تحت شباك القصر وأومأوا برؤوسهم كأنهم قبّلوا له[4] الأرض ،

(١) راجع حاشية ١ صفحة ٢٩ من هذا الجزء ؛ وانظر تفسير هذا اللفظ كذلك فيما يلى بالمتن .
(٢) ، (٣) من طبعة كاليفورنيا .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

وأحضر إليهم التشاريف السلطانية فى الحال فلبسوها ، وقبّلوا الأرض ثانياً كالمرة الأولى ، وعادوا راجعين فى خدمة [الأمير الكبير][1] حتّى طلعوا معه إلى الحرّاقة ، ثم سلموا عليه وعادوا وركبوا خيولهم وتوجهوا إلى دورهم .

وكنتُ لما لاقيتُ الأميرَ أقبغَا التمرازى أمير مجلس سألنى عن أحوال الأتابك جقمق ، فقلت له كلاما متحصله أنه ليس بينه وبين السلطنة إلا أن تُضرَب له السكة ويُخطَب باسمه ، فاستبعد ذلك لقوة بأس المماليك الأشرفية وعظم شوكتهم ، فلما نزل من القلعة وعليه الخلعة قلت له قبل أن يصل إلى داره : كيف رأيتَ جقمق؟ قال : سلطانٌ على رغم الأنف . ومعنى قوله : «على رغم الأنف» لأنه كان بينهما حضوض أنفس قديمة .

ثم أصبحوا يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول حضروا الجميع إلى عند الأتابك جَقْمَق بباب السلسلة ، وجلس الأتابك فى الصدر وكل[2] من الأمراء على يمينه وشماله ، إلا قَرْقَمَاس أمير سلاح فإنه زاحم الأتابك جقمق فى مجلسه وجلس معه على فراشه ، والأميرُ جَقْمَق يجذبه إلى عنده ويخدعه بأنه لا يفعل شيئاً إلا بمشورته ، وأنه قوّى أمرَه بقدومه وأنه شيخ كبير عاجز عن الحركة واقتحام الأهوال ، إلا إن كان بقوة قَرْقَمَاس المذكور ، كل ذلك وهما جلوس على المرتبة ، فانخدع قَرْقَمَاس وطابت نفسُه بما سمعه من الأتابك جَقْمَق ، أنه ربما [إن][3] تحرك بعد ذلك بحركة تمت له لضعف جقمق عن مقاومته .

هذا وقد برز الطلب لجماعة من الأشرفية وغيرهم ، وجميع من هو بالقلعة من الأعيان ، فلما حضروا أشار قَرْقَمَاس لجماعة من الرؤوس نُوب ، وأمراء جندار ممن حضر المجلس أن اقبضوا على هؤلاء .

وأول ما بدأ برفيقه الأمير جانِم الأشرفى الأمير آخور الكبير[4] ، ثم أشار

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (كان) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

لواحد بعد واحد إلى أن قبضوا على جماعة كبيرة من الأمراء والخاصكيّة ، وهم : الأميرُ جانم المقدم ذكره ، ويخشباى الأمير آخور الثانى ، وعلى باى شادّ الشراب خاناه ، وتَنبَك السيفى نَوْرُوز الخضرى [المعروف](1) بالجقمقى نائب قلعة الجبل ، وخُشْقَدَم الطواشى الرومى اليَشْبَكى مقدم المماليك[٨٦] ، ونائبه الطواشى فيروز الرُّكْنى الرومى أيضاً ، وخشكلدى من سَيِّدى بك الناصرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وجَكَم خال [الملك](2) العزيز ، وجِربَاش الأشرفى أحد أمراء العشرات المعروف بمشدّ سيّدى ، وجانبك قَلَقْ سِيز(3) الساقى أحد أمراء العشرات ؛ ومن الخاصكية : تنَم الساقى ، وأَزْبَك البواب ، ويَشْبَك الفقيه ؛ وكل من هؤلاء الثلاثة أحد الأربعة المقدم ذكرهم ، وتَنْبَك القيسى المؤيدى رأس نوبة الجَمَدَاريَّة ، وأَرْغُون شاه الساقى ، وبيرَم خُجَا أمير مشوى ، ودِمِرْداش الأشرفى والى القاهرة ، وبايزِير خال الملك العزيز ، وقَيَّدوا الجميع .

وفى الحال خلع على الأمير تَمُرْباى التَّمُرْبغَاوى أحد مقدمى الألوف باستقراره فى نيابة الإسكندرية عوضا عن الزينى عبد الرحمن بن الكُوَيْز بحكم عزله ، وأُمر بالسفر إلى الإسكندرية من يومه ، وخلع على قَرَاجا العمرى الخاصّكى الناصرى باستقراره فى ولاية القاهرة عوضاً عن دِمِرْداش الأشرفى بحكم القبض عليه .

ثم ندب الأميرُ الكبير الأميرَ تَغْبَك البَرْدَبَكى أحد مقدمى الألوف ، والأمير أقطوه الموساوىَ أحد أمراء العشرات ، البرقوقيين ، فى عدة من المماليك السلطانية ، أن يطلعوا إلى القلعة ويقيموا بها لحفظها . وكان تَغْبَك المذكور وَلِىَ نيابةَ القلعة قبل تاريخه سنينَ كثيرة فى الدولة الأشرفية ، فطلع إلى القلعة وسكن بمكانه أولاً على العادة .

ثم انفضّ الموكب وقد تزايد عظمةُ الأمير الكبير جَقْمَق ، وهابته النفوس

(1) ، (2) عن طبعة كاليفورنيا .
(3) فى أ (قلقشير) .

بما فعله قَرْقَمَاس بين يديه من القبض على الأمراء المذكورين ، وفهم الناس أنه فعل ذلك خدمةً للأمير الكبير ، وكان غرض قَرْقَمَاس غير ذلك ، فإنه رام نفع نفسه فنفع غيره ، فكان حاله [كقول من قال][(1)] :

مع الخواطئ سهمٌ [صائبٌ][(2)] ربَّ رميــــةٍ من غير رام

ونزل الأمراء إلى دورهم وقد استخف الناس عقلَ قَرْقَمَاس وخفّته وطَيْشَه في سرعة ما فعله ، كل ذلك لاقتحامه على [حب][(3)] الرئاسة . ونزل قرقماس إلى داره ، وفي زعمه أن جميع من هو بخدمة الأمير الكبير ينقلبون[(4)] عن الأمير الكبير إليه ، ويترددون[(5)] إلى بابه لأنه هو كان الحاكم في هذا اليوم ، ولم يدر أن القلوب نفرت منه لتحققهم ما يظنوه من كبره وجبروته وبطشه ، وقد اعتادوا بلين الأمير الكبير وبأخذه لخواطرهم في هذه المدة وتمسكه عن قبض من كان لهم غرض في قبضه ، وقد صاروا له كالمماليك والخدم لطول ترددهم إليه في باب السلسلة وغيرها ، وقد انتهى أمره وحصل لهم ما كان في أملهم . وأيضا أنهم لما رأوا قَرْقَمَاس فعل ما فعل لم يشكُّوا في أمره أنه من جملة من يقوم بنصرة الأتابك وأنه كواحد منهم ، فلم يطرق أحد منهم بابَه ولم يدخل إليه في ذلك اليوم إلا من يلوذ به من حواشيه ومماليكه .

وسافر تَمُرْباي نائب الإسكندرية من الغد في يوم الجمعة ، وأصبح في يوم السبت ثامن [شهر][(6)] ربيع الأول أُنزل من باب السلسلة من تقدم ذكرُه من الأمراء الخَاصْكيَّة المسوكين على البغال بالقيود إلى سجن الإسكندرية ، وقد اجتمع لرؤيتهم خلائق لا تحصى وهم قسمان : قسم باك عليهم ، وقسم شامت لتقاعدهم عن

من (١) إلى (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) في أ (ينقلبوا) .
(٥) في أ (ويترددوا) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

القتال فى خدمة ابن أستاذهم الملك العزيز [يوسف][1] ، وأيضا لما كان يقع منهم فى أيام ابن [2] أستاذهم من التكبر والجبروت .

ثم أرسل الأميرُ الكبير فى اليوم المذكور إلى الأمراء القادمين من التجريدة بمال كبير له صورة، لا سيما ما حمله إلى قَرْقَمَاس فإنه كان جملة مستكثرة .

ثم فى يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأول خلع على الزينى عبد اللطيف [بن عبد الله][3] الطواشى الرومى المَنْجَكى المعروف بالعثمانى[4] أحد الجَمَدَارِيَّة باستقراره مقدمَ المماليك السلطانية ، وأنعم عليه بإمرة عشرة لا غير وهو إقطاع النيابة الذى كان بيد فَيْرُوز الرُّكْنى نائب مقدم المماليك، وكانت الخلعة عليه بين يدى العزيز [٨٧] بعثه الأميرُ الكبير إليه وأمره أن يخلع عليه، واستقر فى نيابة القدم جَوْهَر المَنْجَكى الحبشى أحد خدام الأطباق الضعفاء الحال ولم تسبق له رئاسة قبل ذلك .

ثم فى يوم الاثنين عاشره ركب السلطانُ الملك العزيز من القلعة ونزل إلى الميدان ، ومعه الزينى عبد الباسط ناظر الجيش وجماعة أخرى من خواصه الأصاغر ، وركب الأميرُ الكبير من الحرَّاقة وفى خدمته جميع الأمراء مشاةً ما عدا أرْكَمَاس الظاهرى الدوادار الكبير وآقْبغَا التَّمْرَازى أمير مجلس ، وساروا الثلاثةُ على خيولهم من الإسطبل السلطانى حتى نزلوا إلى الميدان وبه السلطانُ يسير .

فعندما رأوا الأمراء الملكَ العزيز ترجّلوا عن خيولهم وقبّلوا الأرض، وتقدم الأميرُ الكبير جَقْمَق وقبّل رِجلَ السلطان فى الركاب ، ثم بعده جميعُ الأمراء فعلوا مثلَ فعله ، ثم تقدم الأمير يَشْبَك السُّودونى حاجب الحجاب قبَّل الأرض ، وخلع عليه خلعة السفر لأنه كان انقطع عن رفقته لتوعك كان به ، وطلع فى هذا

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن المنهل الصافى .
(٤) العثمانى نسبة ؛ لأنه خدم عند الأمير الكبير ألطُنْبغَا العثمانى (المنهل الصافى ﺟ ٢ ورقة ٢٥٢) .

اليوم ؛ ثم انصرف الجميع عائدين فى خدمة الأمير الكبير إلى أن أوصلوه إلى سلم الحراقة ، ووقفوا له هناك حتى سلّم عليهم ، وعادوا إلى دورهم .

وكان سبب تأخر قَرْقَماس عن الطلوع فى هذا اليوم والذى قبله ، أمور : منها أنه كان فى نفسه الوثوب على الأمر ، وفَعَل ما فعل من مسك الأمراء وغيرهم ليرُوج أمرُه بذلك ، فلم ينتج أمره وتقهقر وزادت عظمةُ الأتابك جَقْمَق ، فعزّ عليه ذلك فى الباطن ، وكان فى ظنه أنه لا بد أن يملك الديار المصرية من يوم توجّه إلى مكة وحَكَمها . فلما عُرف منه ذلك تقرب إليه جماعة من الذين يوهمون الناس أنهم صلحاء ، ولهم اطلاع على المغيبات ، وصاروا يبشرونه بسلطنة مصر ، وتخبره جماعة أُخر [بمنامات](١) تدل على قصده فينعم عليهم بأشياء كثيرة .

ثم كلما نظَر من(٢) يدعى معرفةَ علم النجوم(٣) يسأله عما فى خاطره — وقد أُشيع عنه حُب الرئاسة — فيبشره الرّمّال أو المنجم أيضا بما يسره من قِبله وحسب اجتهاده لأخذ دراهمه .

فكان قَرْقَماس ينتظر موتَ [الملك](٤) الأشرف [يوماً بيوم ، فاتفق موتُ الملك الأشرف برسباى](٥) وهو مسافر ، وإلى أن يحضر انتظم أمر الأتابك جَقْمَق وتمّ ، فلم يلتفت إلى ما رأى من أمر جَقْمَق بما سبق عنده أنه لا بد له من السلطنة ، وأخذ يسلك طريقا تصادف ما هو قصده .

فدخل القاهرة مُطَلِّبا(٦) ، فلم يلتفت إليه أحـــد . وطلع إلى الأتابك جَقْمَق وامتنع من طلوع القلعة إلى الملك العزيز حتى قبّل الأرض من الإسطبل خوفاً من أن يُقبض عليه ، يريد بذلك أن ينتبه إليه الناس ، فلم ينظر إليه أحد .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى أ (فيمن) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) وردت هذه العبارة فى أ وبها بعض الاضطراب ؛ والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) أى على رأس طلبه استعدادا للحرب .

ثم أخذ فى مسك الأمراء ، حتى يعظم فى النفوس ، فلم يقع ذلك . فانقطع بداره عن الطلوع إلى الأتابك مدةَ أيام وتعلل بأنه بلغه عن الأمير الكبير وحواشيه ما غيَّر خاطره ، يُظهر ذلك لتتسامع بغضبه الناس ويأتوه ليثوروا بهم ، فلم ينضم إليه أحد ؛ فاستدرك فارطه واستمر بداره إلى هذا اليوم .

فلما عاد الأتابكُ من عند الملك العزيز إلى سكنه بالحَرَّاقة من باب السلسلة ، أرسل إلى الأمير قَرْقَمَاس المذكور الأميرَ تمراز القُرْمُشى رأس نوبة النُّوَاب ، وقَرَاجَا الأشرفى أحدَ مقدمى الألوف ، والزينى عبدَ الباسط ناظر الجيش ، يسألوه عن سبب انقطاعه عن [الطلوع][1] إلى الأمير الكبير فى هذه الأيام ، فذكر لهم أنه بلغه عن حواشى الأمير الكبير من المؤيَّدية أنهم يتهموه بالركوب وإثارة الفتن وأنه يريد يتسلطن ولم يكن له علم بشىء من ذلك ، فما زالوا به حتى ركب معهم .

وطلع إلى الأمير الكبير بالحرّاقة من الإسطبل السلطانى ، فقام الأميرُ الكبير واعتنقه وأخذ بيده ودخلا مع أعيان الحاضرين إلى مبيت الحرّاقة ، وجلسا فى خلوة وتعاتبا قليلا ، وأخذ الأميرُ الكبير يقول له[2] إن قَرْقَمَاس عنده فى مقام روحه ، وأنه لم يتصل إلى هذا الموصل إلا بقوته وكونه معه ، وأخذ فى مخادعته والأخذ بخاطره ، إلى أن تحقق قرقماس أنه لا يأتيه ما يكره من قِبل الأتابك ، إلى أن يدبر لنفسه ما يوصله [٨٨] إلى غرضه ، ثم حلف له الأتابك على هذا المعنى جميعه وبكى واعتنقه ، وخرجا من المبيت وقد صفا[3] ما بينهما ظاهراً ، والباطن فلا يعلم ما فيه إلا الله تعالى .

وهو أن قَرْقَمَاس لم يطلع فى هذا اليوم إلى الأتابك إلا بعد أن عجز عما فى خاطره ، فاحتاج إلى المداهنة حتى يطول أمرُه إلى أن يحصل له مرادُه ، ولم يخف ذلك عن

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى أ (صفى) .

الأتابك جَقْمَق ، غير أنه رأى [أنه][١] لا يتم أمرُه فيما يروم إلا بموافقة قَرْقَماس له أولا ، ثم بعد ذلك يفعل ما بدا له .

وعندما قام قرقماس من مجلس الأتابك ليتوجه إلى داره ، قدم له الأتابكُ فرساً بقماش ذهب من مراكيبه ، فركبه قرقماس ونزل إلى داره ، ومعه أيضاً الأميرُ تِمْراز رأس نوبة النُّوَاب ، وقراجا ، وهما فى خدمته إلى داره ، فأركب قرقماسُ كلاً منهما فرساً بقماش ذهب .

ثم أخذه القلق وأخذ يدبر فى تأليف المماليك الأشرفية عليه ، فرأى أنه لا[٢] يتم له ذلك بالعطاء ولا بالملق ، لكثرتهم ، وإنما يتم له ذلك بسلطنة الأتابك جَقْمَق ، لينفر عنه من كان من حزبه من المماليك الأشرفية وينضموا عليه ؛ وكان هذا حدسا صائبا[٣] ، ووقع له ما أراد ، غير أنه استعجل لأمر يريده[٤] الله .

فأخذ قرقماس من يومذاك يحسّن للأتابك جَقْمَق توليتَه السلطنةَ وخلْع [الملك][٥] العزيز ، ولا زال يلح عليه فى ذلك وهو يلين تارة ويتوقف تارة ؛ وكان هذا الأمر فى خاطر الأتابكِ وأصحابه غير أنه كان يستعظم الأمرَ ويخاف من نفور قرقماس عنه ، إذا فعل ذلك ، وأخذ ينتظر فرصة للوثوب بعد حين ، فحرّك الله تعالى قرقماسَ حتى سأله فى ذلك وألحّ عليه لما فى غرضه فى أيسر مدة ، لتعلم أن الله على كل شىء قدير .

ومن يومئذ هان الأمر على الأتابك وأخذ فى أسباب السلطنة ، وكتب يطلب صهرَه القاضى كمالَ الدين محمد بن البارِزِى من دمشق .

ثم أصبح يوم الخميس ثالث عشر [شهر][٦] ربيع الأول عُملت الخدمةُ السلطانية

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (لم) .
(٣) فى أ (حدس صائب) .
(٤) فى أ (يده) .
(٥)،(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

وحضرها الأميرُ الكبير جَقْمَق والأميرُ قَرْقَماس أمير سلاح المذكور ، وعامةُ الأمراء وأربابُ الدولة على العادة .

وكانت الخدمةُ السلطانية قد تُركت من مدة أيام، فأجراهم السلطانُ الملك العزيز على عادته من السكات وعدم الكلام ، وانفض الموكب .

ثم طلع الأميرُ قرقماس من الغد فى يوم الجمعة وحضر الصلاةَ مع السلطان بالمقصورة من جامع القلعة ، ولم يطلع الأتابكُ جَقْمَق . ونزل قرقماس ولم يتكلم مع السلطان كلمة واحدة .

ثم فى يوم السبت عُملت الخدمةُ أيضا بالقصر على العادة ، وحضر الأمير الكبير .

ثم فى يوم الاثنين عُملت الخدمةُ أيضا .

كلُّ ذلك بتدبير قرقماس ، وهو أنه لما علم أن الأميرَ الكبير جقمق تم أمرُه ولم يبق له منازع يعيقه عن السلطنة ، أخذ فى عمل الخدمة حتى يجد نفسا من الملك العزيز أو من أحد من حواشيه ، حتى تصيرَ له مندوحةٌ لمطاولةِ الأتابك على[1] السلطنة ، لأنه ندم على ما فوّته به ولم يجد لنفسه قوةً حتى يرجع عن قوله ، لقوة شوكة الأتابك وكثرة أعوانه ممن اجتمع عليه من الطوائف ، لاسيما الطائفة المؤيّدية فإنهم صاروا عصبا له وغَيْرِيّةً على قرقماس ، لما كان بين قرقماس وبين الأمير دُولات الحمودى المؤيدى من المداوة قديما ، لسببِ السكاتُ عنه أليق ، ودُولات هو يومذاك عينُ المؤيدية ورئيسهم ، غير أن جميعَ طائفة الناصرية كانت مع قرقماس فى الباطن لكونه خُجْداشهم ، ولكن هم أيضا ممن كان انضم على الأتابك وصار لهم به إلمام كبير ، فلم يظهروا الميلَ لقرقماس فى الظاهر مخافةَ أن لا يتم أمره وينحط قدْرُهم عند الأتابك ؛ فصاروا يلاحظونه

(١) فى أ (عن) .

بالقلب والخاطر لا بالفعل والقيام معه ، والأتابكُ جَقْمَق[١] يعرف جميع ذلك ، غير أنه يتجاهل عليهم تجاهلَ العارف، لقضاء حاجته — انتهى .

ولما عُملت الخدمة فى هذه الأيام [و][٢] لم يحصل لقرقاس غرضُه ، عاد إلى رأيه الأول من الكلام فى سلطنة الأتابك جقمق ، وألح عليه حتى أجابه [٨٩] صريحاً . وكان فى هذه الأيام كلّها كلما طلع الأمراء إلى الخدمة السلطانية ، ينزل الجميع من القصر بعد انقضاء الخدمة إلى الأمير جقمق ويأكلون السماط عنده .

فلما كان آخر خدمة عُملت عند [الملك][٣] العزيز يوسف فى يوم الاثنين سابع عشر [شهر][٤] ربيع الأول ، نزل قرقاس من عند السلطان مع جملة الأمراء ، واجتمع بالأمير الكبير وألح عليه بأنه يتسلطن فى اليوم المذكور ، فلم يوافقه جقمق على ذلك وواعده على يوم الأربعاء تاسع عشر [شهر][٥] ربيع الأول .

ووافقه جميعُ الأمراء على خلع الملك العزيز وسلطنته ، إلا آقْبَغَا التَّمرازى فإنه أشار عليه أن يؤخر ذلك ويتجرد إلى البلاد الشامية ويمهدها ، كما فعل [الملك][٦] الظاهر طَطَر ثم يتسلطن ، مخافةً من عصيان النواب بالبلاد الشامية عليه عقيب سلطنته ، قبل أن يرسخ قدمه ، فردّ قولَه قرقاس ، وأشار بسلطنته فى يوم الأربعاء ، ووافقه على ذلك جماعةُ المؤيدية ؛ فتم الأمر على ما قاله قرقاس .

وكان الحزم ما قاله آقبغا التَّمرازى ، وبيانه أنه لولا سعدُ [الملك][٧] الظاهر جَقْمَق حرّك قرقاس للركوب فى غير وقته ، لكان قرقاس انتصر عليه لكثرة من كان[٨] انضم عليه من المماليك الأشرفية وغيرهم ؛ وأيضاً لولا استعجالُ إينال الجَكَمى فى صدمته العساكر المصرية ، لكان تم أمره لعظم ميل الناس إليه .

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
من (٢) إلى (٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

وأما تَغْرِى بَرْمَشْ نائب حلب فكان مَسْكُه على غير القياس، فإنه كان تركمانيًّا وواققه جماعة كبيرة من التركمان، مع قوته وكثرة ماله، فكان يمكنه أن يُتعب [الملكَ] (١) الظاهرَ جقمق بتلك البلاد طولَ عُمره، فلهذا أشار آقبغا التمرازى بسفره قبل سلطنته. وقد حسب البعيد ونظر فى العواقب، فلم يسمع [الملكُ](٢) الظاهر له وتسلطن، وقاسى بعد ذلك شدائد وأهوالا، أشرف منها غير مرة على زوال مُلكه، لولا مساعدة المقادير وخدمة السعد، لما سبق له فى القدم.

ولما كان يوم الأربعاء تاسع عشر [شهر](٣) ربيع الأول من سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة خُلع الملك العزيزُ يوسف من الملك، وتسلطن الأميرُ الكبيرُ جَقْمَق العلائى، وتلقب بالملك الظاهر، حسبما يأتى ذكره فى أوائل سلطنته. وكانت مدةُ سلطنة [الملك](٤) العزيز على مصر أربعة(٥) وتسعين يوما وزال بخلعه الدولةُ الأشرفية، وتمزقت مماليك أبيه وتشتت فى البلاد سنين، وحُبس أعيانُهم.

ولم يكن [الملك](٦) العزيز فى السلطنة إلا مجرد الاسم فقط، ولم تطل أيامه ولا تحكّم فى الأمور لتُشكر أفعاله أو تذم(٧)، وإنما كان آلةً فى المُلك والمتصرفُ غيره، لصغر سنه وعدم أهلية مماليك أبيه.

ولما خُلع [الملك](٨) العزيز، أُدخل إلى الدور السلطانية واحتُفظ به، وسكن بقاعة البَرْبَرِيّة(٩) أشهراً، حتى تَسَحّبَ منها ونزل إلى القاهرة واختفى أياما كثيرة، حتى ظُفر به وحُبس بالقلعة أياماً قليلة، ثم نقل إلى سجن الإسكندرية، حسبما يأتى ذكر ذلك [كله](١٠) مفصلا فى ترجمة [الملك](١١) الظاهر جَقْمَق [إن شاء الله تعالى](١٢).

من (١) إلى (٤) عن طبعة كاليفورنيا.
(٥) فى أ (أربعا).
(٦) عن طبعة كاليفورنيا.
(٧) فى أ (وتقم). (٨) عن طبعة كاليفورنيا.
(٩) قاعة البربرية إحدى قاعات القلعة، وهى مخصصة لسرارى السلطان (السلوك ج١ ص ٣٩٠ حاشية ١).
من (١٠) إلى (١٢) عن طبعة كاليفورنيا.

واستمر الملك العزيز بسجن الإسكندرية على أجمل حال وأحسن طريقة من طلب العلم وفعل الخير إلى يومنا هذا ؛ أحسن الله عاقبته [بمحمد وآله][1] . وهو ثاني سلطان لقب بالملك العزيز من ملوك مصر ، والأول : العزيز عثمان بن [السلطان][2] صلاح الدين [يوسف][3] بن أيوب ، والثاني : العزيز هذا . وهو أيضاً ثاني من سمي يوسف ، من ملوك مصر ، فالأول : [السلطان][4] صلاح الدين يوسف هذا ، [والله تعالى أعلم][5].

من (١) إلى (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

[٩٠] ذكر سلطنة الملك الظاهر أبى(١) سعيد(٢) جقمق على مصر

السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جَقْمَق العلائى الظاهرى الجركسى، وهو الرابع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، والعاشر من الجراكسة وأولادهم، تسلطن بعد خلع [الملك](٣) العزيز يوسف ابن [الملك](٤) الأشرف بَرْسباى، باتفاق الأمراء وأعيان المملكة على سلطنته.

ولما تم أمره استدعى الخليفةُ المعتضدُ بالله داوُد والقضاةُ الأربعة(٥) والأمير قَرْقَماس أمير سلاح، وسائر الأمراء وجميع أعيان الدولة، إلى الحَرّاقة بباب السلسلة من الإسطبل السلطانى، وجلس كل واحد فى مجلسه(٦) فافتتح الأمير قرقماس بالكلام مع الخليفة والقضاة بأن قال: السلطان صغير والأحوال ضائعة لعدم اجتماع الكلمة فى واحد بعينه، ولا بد من سلطان ينظر فى مصالح المسلمين وينفرد بالكلمة، ولم يكن يصلح لهذا الأمر سوى الأمير الكبير جَقْمَق هذا. قال جقمق: هذا لا يتم إلا برضا الأمراء والجماعة. فصاح الجميع: نحن راضون بالأمير الكبير. فعند ذلك مد الخليفةُ يده وبايعه بالسلطنة؛ ثم بايعه القضاةُ والأمراء على العادة.

ثم قام من فوره إلى مبيت الحَرّاقة، ولبس الخلعة الخليفتية السوداء، وتقلّد بالسيف وخرج وركب فرسا أعد له بأبهة السلطنة وشعار الملك، وحُملت على رأسه القبة والطير، حملها الأمير قَرْقَماس أمير سلاح، والأمراء مشاة بين يديه، وسار إلى أن طلع إلى

(١) فى أ (ابو).
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.
(٣)، (٤) عن طبعة كاليفورنيا.
(٥) فى أ (الأربع).
(٦) فى أ (منزلته)، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا.

القصر السلطاني بقلعة الجبل ، وجلس على تخت الملك ، وقبّل (١) الأمراء الأرض بين يديه على العادة .

وكان جلوسه على تخت الملك في يوم الأربعاء التاسع عشر من [شهر] (٢) ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، على مضيٍّ سبع عشرة (٣) درجة من النهار المذكور ، والطالعُ برجُ الميزان بعشر درجات وخمس وعشرين (٤) دقيقة ، وكانت (٥) الشمسُ في السادس والعشرين من السُّنْبُلَة ، والقمر في العاشر من الجَوْزاء ، وزُحَل في الثاني والعشرين من الحَمَل ، والمشترى في السابع عشر من القوس ، والمريخ في الخامس من الميزان ، والزهرة في الحادى عشر من الأسد ، وعطارد في الرابع عشر من السنبلة ، والرأس في الثاني من الميزان .

(١) في ا (وقبلت) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) في ا (سبعة عشر) .
(٤) في ا (عشرون) .
(٥) في ا (وكان) .

ذكر أصل [الملك الظاهر جقمق](١) وقدومه إلى مصر

ونسبته بالعلائى ثم بالظاهرى

فنقول : [كان] جاركسىّ(٢) الجنس ، وأُخذ من بلاده صغيرا فاشتراه خواجا كَزْلَكْ ، وكَزْلِكْ بفتح الكاف وسكون الزاى وفتح اللام وكسرها وسكون الكاف الثانية . وجلبه خواجا كَزْلَك المذكور إلى الديار المصرية فابتاعه منه الأتابك إينال اليوسفى ، وقيل ولدُه أمير على بن إينال المذكور وهو الأصح ، ورباه عنده ، وأرسله مع والدته (٣) إلى الحج ، ثم عاد جَقْمَق إلى القاهرة فى خدمة والده أمير على [المذكور ، وكانت والدة أمير على](٤) متزوجة بشخص من الأجناد [من](٥) أمير آخورية السلطان يسمى نَغَتَاى ، ونَغَتَاى بفتح النون والغين المعجمة ، وبعدهما تاء مفتوحة وألف وياء ساكنة .

ولما قدم جَقْمَق إلى القاهرة أقام بها مدة يسيرة ، وتعارف مع أخيه جاركس القاسمى المُصارِع ، وكان جاركس يوم ذاك من أعيان خاصكية أستاذه [الملك](٦) الظاهر برقوق ، فكلم جاركسُ [الملكَ](٧) الظاهرَ برقوقًا فى أخذ جَقْمَق هذا من أستاذه أمير على بن إينال ، فطلبه [الملك](٨) الظاهر منه فى سرحة سرياقوس ، وأخذه وأعطاه لأخيه جاركس ، إنيًا بطبقة الزمام من قلعة الجبل . وقد اختلفت(٩) الأقوال فى أمر عتقه : فمن الناس من قال إن أمير على كان أعتقه قبل أن يطلبه [الملكُ](١٠) الظاهر منه ، فلما طلبه [الملك](١١) الظاهر سكت أمير على

---

(١) فى ا (ذكر أصله) ، وحذف الضمير وإبقاء العائد ، للتوضيح ؛ وهو عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (والده) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
من (٤) إلى (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (اختلف) .
(١٠) ، (١١) عن طبعة كاليفورنيا .

عن عتقه لتنال جَقْمَق السعادة بأن يكون من جملة مشتروات [الملك][١] الظاهر، وكان كذلك. وهذا القول هو الأقوى [و][٢] المتواتر بين الناس ولما يأتي بيانه.

ومن الناس من قال إنه كان في الرق وقدّمه أمير على إلى الملك الظاهر لما طلبه منه، ولو كان حرًّا يوم ذاك لاعتذر بعتقه، وهذا أيضا مقبول، [٩١] غير أن الذي يقوِّي القولَ الأول يحتج بأن الملك الظاهر [جَقْمَق][٣] هذا لما كان أمير طبلخاناة وخازندارا في الدولة المؤيدية [شيخ][٤]، أخذ الشهابي أحمد بن أمير على بن إينال اليوسفي وهو صغير، ووقف به إلى السلطان الملك المؤيد، وسأل السلطانَ فيه ليكون من جملة المماليك السلطانية، فسأل المؤيد عن أحمد المذكور فقال جقمق: ياخَوَنْد، هذا ابن أستاذي أمير على، فقال المؤيد: ومن أين يكون هذا ابن أستاذك؟ [الملكُ][٥] الظاهرُ أعتقك بحضرتنا الجميع، وأخرج لك خيلا على العادة. فقال جقمق: نعم هو كما قال السلطان، غير أن أمير على كان أعتقني قبل ذلك، وسكت عن عتقي لما طلبني [الملك][٦] الظاهر منه، فغضب الملك المؤيد من ذلك ووبخه، كونَه أنكر عتاقةَ [الملك][٧] الظاهر له واعترف بعتاقة أمير على؛ ولم يُنزل لذلك أحمدَ المذكور في جملة المماليك السلطانية، فأخذه جقمق عنده وتولى تربيته.

قلت: وعندي اعتراض آخر، وهو أنه يمكن أن الملك الظاهر كان هو الذي أعتقه، وإنما أراد [الملك][٨] الظاهر جَقْمَق بقوله إن أمير على أعتقه، ليعظُم الأمر على الملك المؤيد، ليُنزل أحمدَ المذكور في جملة المماليك السلطانية، لكثرة حنوه على أحمد المذكور، ولم يدر أن [الملك][٩] المؤيد يغضبه ذلك، فإنه يقال في الأمثال: «صاحب الحاجة أعمى لا يريد إلا قضاءها».

من (١) إلى (٩) عن طبعة كاليفورنيا.

وكان [الملك][١] الظاهر جَقْمَق فى طبعه[٢] الرأفة والشفقة على أيتام الأجانب ، فكيف الأقارب ؟ ولا أستبعد ذلك — انتهى .

ذكر ما وقع له من ابتداء أمره إلى أن تسلطن

فنقول : واستمر جَقْمَق هذا عند أخيه بطبقة الزِّمَامِيَّة[٣] مدةً يسيرة ، وأعتقه [الملكُ][٤] الظاهر برقوق ، وأخرج له خيلا وقماشاً على العادة بمفرده ، وهو أن بعضَ المماليك السلطانية من طبقة الزمام المذكورة توفى ، فقام جاركس فى مساعدة أخيه جَقْمَق هذا حتى أخذ له جامكيّتَه وخيلَه . وأعتقه [الملك][٥] الظاهر ، ثم جعله بعد قليل خَاصْكيًّا ، كل ذلك بسفارة أخيه جاركس المذكور . واستمر جَقْمَقُ خاصكياً إلى أن مات [الظاهر][٦] برقوق ، وصار ساقياً فى سلطنة [الملك الناصر فرج][٧] ، ثم تأمّر عشرةً ، إلى أن خرج أخوه جاركس عن طاعة [الملك][٨] الناصر [فرج][٩] فأمسك السلطانُ جَقْمَقَ هذا ، وحبسه بواسطة عصيان أخيه ، فدام فى السجن إلى أن شفع فيه الوالدُ وجمال الدين يوسف الأستادّار وأُطلقَ من السجن ، ثم قُتل جاركس فانكفّ جقمق هذا عن الدولة بتلطف ، إلى أن قُتل [الملك][١٠] الناصر ، وملَك شيخُ [المحمودى][١١] الديارَ المصرية ، فأنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم نقله بعد سلطنته بمدة إلى إمرة طبلخاناه ، ثم جعله خازنداراً كبيراً بعد انتقال الأمير يونس الركنى إلى نيابة غزة ، ثم نُقل إلى إمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ فى دولة المظفّر أحمد ابن [الملك][١٢] المؤيَّد شيخ ، ثم صار حاجبَ الحجّاب بعد الأمير طَرَبَاى ، فى أواخر الدولة الصالحية محمد أو فى أوائل الدولة الأشرفية [بَرْسْبَاى][١٣] ، ثم نُقل إلى الأمير آخورية الكبرى عوضاً عن الأمير قصروه من تِمراز ، بحكم انتقال قصروه إلى نيابة طرابلُس فى أوائل صفر من سنة ست وعشرين [وثمانمائة][١٤] ، وتولى الحجوبية

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (طبقه) .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (الزمام) .
من (٤) إلى (١٤) عن طبعة كاليفورنيا .

من بعده الأميرُ جَرِبَاش الكريمي المعروف بقاشق(١) ، ثم نقل من الأمير آخورية إلى إمرة سلاح بعد إينال الجَكَمي ، واستقر عوضَه في الأمير آخورية الأميرُ حسينُ بن أحمد البَهَسْني التركماني المدعو تَغْرِي بَرْمَش ، ودام على ذلك سنين إلى أن نُقل إلى أتابكية العساكر بالديار المصرية ، عوضًا عن إينال الجكمي أيضا بحكم انتقال الجكمي إلى نيابة حلب ، بعد عزل قَرْقَماس الشعباني وقدومه على إقطاع إينال الجكمي مقدمَ ألف بالقاهرة ، فاستمر أتابكًا إلى أن مات [الملك](٢) الأشرف [برسْباى](٣) في ذى الحجة سنة إحدى وأربعين [وثمانمائة](٤) ، بعد أن أوصى جَقْمَق على ولده وجعله مدبِّرَ مملكته ، إلى أن صار من أمره ما رقّاه إلى السلطنة . وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصلاً ، غير أنّا أعدناه هنا لينتظم سياق الكلام مع سياقه — انتهى .

ولنَعُدْ(٥) الآن إلى ما كنا فيه :

ولما جلس الملكُ الظاهر جَقْمَقُ على تخت الملك وتم أمرُه ، خلع على الخليفة وعلى الأمير [٩٢] قَرْقَماس وقيَّد لهما فرسين بقماش ذهب ، ولُقب بالملك الظاهر أبي(٦) سعيد جقمق ، ثم نودى في الحال بالقاهرة ومصر بسلطنته والدعاء له ، وأن النفقةَ لكل مملوك من المماليك السلطانية مائةُ دينار ، فابتهج الناسُ بسلطنته . ثم أمر السلطانُ فقُبض على الطواشي صفيِّ الدين جوهر الجُلْبَاني الحبشي لالاَ الملك العزيز وهو يومئذ زِمَامُ الدارِ السلطاني(٧) ، وخلع على الزّيني فَيْرُوز الجاركسي الطواشي الرومي باستقراره زِمامًا عوضًا عن جوهر المذكور .

ثم أصبح في يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول المذكور خلع على الأمير

(١) في ا (قاسق) .
من (٢) إلى (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) في الأصل (ولنعود) .
(٦) في ا (ابو) .
(٧) زمام الدار السلطاني : هو الموظف الموكل إليه أمر الحريم . وأصل الكلمة : زنان دار ، وهما لفظان فارسيان : زنان بمعنى النساء ودار بمعنى ممسك ، فيكون المعنى ممسك النساء ، أى هو الذى يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدام والخصيان ، وحرف العامة هذا المصطلح إلى زمام دار (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٩-٤٦٠ ؛ السلوك ج١ ص ٥٧٧ حاشية ١) .

قَرْقَماس الشعبانى الناصرى — أمير سلاح المعروف بأهرام ضاغ — باستقراره أتابكَ العساكر بالديار المصرية عوضاً عن نفسه ؛ وخلع على الأمير آقْبغَا التَّمْرازى أمير مجلس باستقراره أميرَ سلاح عوضاً عن قرقماس المذكور، وخلع على الأمير يَشْبَك السُّودونى حاجبِ الحجاب باستقراره أميرَ مجلس عوضا عن آقبغا التمرازى، وكان السلطانُ خيَّر تمرازَ القُرْمُشى رأسَ نوبةِ النوب فى وظيفة أمير مجلس أوالأمير آخورية الكبرى ، فمال إلى الأمير آخورية الكبرى ، فخلع عليه بها عوضاً عن الأمير جانم الأشرفى بحكم حبسه بثغر الإسكندرية ، وخلع على أرْكَماس الظاهرى الدوادار الكبير باستمراره على وظيفة الدوادارية ، وعلى الأمير قَرَاخُجَا الحَسَنى الظاهرى باستقراره رأسَ نوبة النوب عوضاً عن تمراز القرمشى ، وعلى الأمير تَغرى بَرْدِى البَكْلَمُشى المُؤْذِى باستقراره حاجبَ الحجاب عوضا عن يَشْبَك السُّودونى ، وعلى الأمير تَنْبَك البَرْدبَكى أحدِ أمراء الألوف باستقراره فى نيابة قلعة الجبل ، ثانىَ مرةٍ عوضاً عن تنبك النَّوْرُوزى الجَقْمَقى ، وخلع على الأمير قَرَاجَا الأشرفى قَوْقَانياً[1] وهو آخر من بقى من مقدمى الألوف ، وباقى الإقطاعات شاغرة إلى الآن عن أصحابها ، وكتب بحضور الأمير جَرِبَاش الكريمى قاشق من ثغر دمياط ، وكان له به سنين كثيرة بطالا ، ثم خلع السلطانُ على دُولات باى المحمودى الساقى المؤيدى — أحدِ أمراء العشرات ورأس نوبة — باستقراره أميرَ آخور ثانياً ، عوضا عن يَخْشْباى المقبوض عليه قبل تاريخه ، وعلى الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيدى — أحدِ أمراء العشرات ورأس نوبة — باستقراره محتسبَ القاهرة عوضا عن الإمام نور الدين السويفى ، وعلى قانى باى الجاركسى — الذى تأمّر قبل تاريخه بمدة يسيرة — باستقراره شادَّ الشراب خاناه عوضا عن على باى الأشرفى بحكم القبض عليه ، واستمر على إمرة عشرة ؛ وعلى الأمير قانى باى الأبو بكرى الأشرفى الساقى باستقراره خازنداراً عوضا عن جَكَمَ خال العزيز بحكم القبض عليه [أيضا][2].

(١) فى ا (قوقانى) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم أنعم السلطان على جماعة كثيرة جداً باستقرارهم أمراء عشرات يطول الشرح فى ذكرهم ، لأنها دولة أقيمت بعد ذهاب دولة ، وتغيرَ جميع من[1] كان من أرباب الوظائف الذين كانوا فى الدولة الأشرفية من الخاصكية وغيرهم ، واستقرَّ جماعةٌ كبيرة رؤوسَ نُوَب ، منهم من خُلع عليه قبل أن يلبس فَوْقانىَّ الإمرة ، وهو إلى الآن بحياصةِ ذهبٍ ، ونالت السعادة جميع المماليك المؤيدية الأصاغر ، بحيث أن بعضهم كان فقيراً يعيش بالتَّكدِّى فأخذ إقطاعا هائلا واستقر بواباً دفعة واحدة ، وأشياء كثيرة من هذا ذكرناها فى غير هذا المحل .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشرين شهر ربيع الأول المذكور ، جلس السلطان الملك الظاهر جَقْمَق بالمقعد المطل على الحوش ، تجاه باب الحوش المذكور ، وابتدأ فيه بنفقة المماليك السلطانية لكل واحد مائةُ دينار ، واستمرت النفقةُ فيهم فى كل [يوم][2] موكب ، إلى أن انتهى أمرهم فيها .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس عشرينه وصل الأمير جَرِبَاش قاشق [من ثغر دمياط][3] فأنعم عليه بإمرةِ مائة وتقدمةِ ألفٍ بالقاهرة .

ثم فى يوم الخميس سابع عشرينه عمل السلطانُ المولد النبوى بالحوش على العادة ، وزاد فيه زيادات حسنة [٩٣] من كثرة الأسمطة والحلاوات ؛ وانفض الجميع بعد صلاة المغرب .

ثم فى يوم السبت تاسع عشرينه تجمع تحت القلعة نحوُ ألف مملوك من مماليك الأمراء ، يريدون النفقة كما نُفق على المماليك السلطانية ، فأمر لهم السلطان بنفقة ، فنُفقت فيهم ؛ ولم يكن لذلك عادة قبل تاريخه .

ثم فى يوم الاثنين ثالث[4] شهر ربيع الآخر قبض السلطان على تاج الدين

---

(١) فى ا (ما)

(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (ثالث عشر) والصواب ما أثبت بالمتن عن طبعة كاليفورنيا ، فضلا عن سياق الكلام .

عبد الوهاب الأَسْلَمى — المدعو بالخطير — ناظر الإسطبل السلطانى وعلى ولديه ، والثلاثة أشكال عجيبة .

وفيه كانت [مبادئ](1) وقعة قَرْقَماس مع الملك الظاهر جَقْمَق، وخبره أنه لما كان يوم الثلاثاء المذكور ، ثار جماعة كبيرة من المماليك القرانيص ممن كان قام مع الملك الظاهر جقمق ، على المماليك الأشرفية ، وطلبوا زيادة جَوَامِكهم ورواتب لحمهم ، ووقفوا تحت القلعة فأرسل إليهم السلطان يعدهم بعمل المصلحة ، فلم يرضوا بذلك وأصبحوا من الغد فى يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر على مواقفهم . وركب السلطانُ ولعبَ الكرة بالحوش السلطانى مع الأتابك قرقماس الشعبانى وغيره من الأمراء إلى أن انتهى لعبهم ، فأسرَّ بعض من تأمَّر من المماليك المؤيَّدية إلى السلطان ، بأن الأتابك قرقماس يريد الركوبَ على السلطان ، فنهره السلطانُ واستبعد وقوع ذلك من قرقماس ، لا سيما فى هذا اليوم .

هذا وقد كثر جمعُ المماليك السلطانية من الأشرفية وغيرهم ، ووقفوا تحت القلعة كما كانوا فى أمسه ، ثم [وقفوا](2) عند باب المدرج أحد أبواب القلعة ، وصاروا كلما نزل أمير من الخدمة السلطانية اجتمعوا به وكلموه فى عمل مصالحهم ، ووقع لهم ذلك مع جماعة كبيرة من الأمراء ، إلى أن نزل الأتابكُ قرقماس فأحاطوا به وحدثوه فى ذلك وأغلظوا فى حق السلطان ، فوعدهم قرقماس بأنه يتحدث بسببهم مع السلطان ، وبَشَّ لهم وألان معهم فى الكلام ، فطمعوا فيه وأبوا أن يمكنوه من الرجوع إلى السلطان ، وكلموه فى الركوب على السلطان وهم يوافقوه على ذلك ، فأخذ يتمنع تمنعا ليس بذاك .

وظهر من كلامه فى القرائن أنه يريد كثرة من يكون معه ، وأن ذلك لا يكون فى هذا اليوم ، فلما فهموا منه ذلك تحركت كوامن المماليك الأشرفية من الملك

(1) ، (2) عن طبعة كاليفورنيا .

الظاهر جَقْمَق ، [و] [١] انتهزوا الفرصة وقصدوا الركوب ووقوع الحرب فى الحال ، بجهل وعدم دربة بالوقائع والحروب ، وأخذوه ومضوا وهم فى خدمته إلى بيته ، وكان سكنُه بمِلكه بالقرب من المدابغ خارجَ باب زويلة . وتلاحق بهم جماعة كثيرة من أعيان المماليك السلطانية وبعض الأمراء وعليهم السلاح ، وراودوه على الركوب فلم يعجبه ذلك ، وقال لهم ما معناه أن له أصحابا [٢] وخُجْداشية كثيرة وجماعة من أكابر الأمراء لهم معه ميل وغرض ، فاصبروا إلى باكر النهار من الغد لنتشاور معهم فى أمرنا هذا وفيما نعمله ، فامتنعوا من ذلك وأظهروا له إن لم يركب فى هذا اليوم لم يوافقوه بعد ذلك .

وكان جمعُهم قد كثر إلى الغاية ، ولكن غالبهم المماليك الأشرفية ، وكان الذى قال له ذلك الأمير مُغُلْباى الجَقْمَقى أستادار الصحبة على لسان بعض أصحابه ، وقيل إن قَرْقَمَاس أراد بهذا الكلام توقفهم حتى يتفرقوا عنه ثم يصعد هو إلى القلعة ويُعلم السلطان بذلك .

وعندى أن الصحيح [أنه] [٣] لم يُرِد بقوله هذا إلا تحكيمَ أمره حتى يأتوه من الغد بجموعهم ، ويأخذوه غصبا كما فعل القوم بالملك الظاهر جَقْمَق ، ويجتمع عليه حواشيه وأصحابه — وأنا أعرف بحاله من غيرى — فأبوا عليه وألحوا فى ركوبه فى الوقت ، وخوّفوه تفرّق من اجتمع عليه فى هذا اليوم ، وكانوا خلائق كثيرة إلى الغاية . فنظر عند ذلك فى أمره ، فلم يجد بدا من موافقتهم وركوبه معهم فى هذا اليوم لما فى نفسه من الوثوب على السلطنة [والاستبداد بالأمر] [٤]، وكان فيه طيش وخفة [فى صفة] [٥] عقل ورزانة [٩٤] لا يفهم منه ذلك إلا من له ذوق ومعرفة بنقد الرجال . وخاف قَرْقَمَاس إن لم يركب فى هذا اليوم وأراد الركوب بعد ذلك ، لا يوافقه أحد من

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (أصحاب) .

من (٣) إلى (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

هؤلاء ، فينحلّ بذلك بَرْمُه ويطول عليه الأمر ، لعظم ما كان داخله الحسد للملك الظاهر جَقْمَق ، ولله در القائل : « الحاسد ظالم فى صفة مظلوم مُبْتَلًى غيرُ مرحوم » .
وأحسن من هذا قول القائل ، وهو لسان حال الملك الظاهر جقمق : [الطويل]

وَكُلٌّ أداريه على حَسْبِ حاله سوى حاسدى فَهْىَ التى لا أنالُها
وكيف يدارى المرءُ حاسدَ نعمةٍ إذا كان لا يرضيه إلا زوالُها

فعند ذلك قام ولبس آلة الحرب هو ومماليكه ، وركب من وقته قريب الظهر من يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الآخر المذكور ، وخرج من بيته بعساكر عظيمة ، ومعه أمراء العشرات : الأمير أَزْبَك السيفى قانى باى نائب الشام المعروف بأزبك جحا ، والأمير جانم الأشرفى [المعروف برأس نوبة سيّدى ، وكلاهما أمير عشرة[1] ، وقد وافقه غيرُهما مثل الأمير قراجا][2] الأشرفى أحد مقدمى الألوف ، والأمير مُغُلْباى الجَقْمَقى أستادار الصحبة ، ووعداه أنهما يوافياه[3] بمماليكهما[4] بالرملة .

وخرج الأميرُ قَرْقَماس من بيته بجموعه فوافيتُه خارج باب زويلة من غير ميعاد ، وسرت معه ، وصحبته عساكر كثيرة من الأشرفية وغيرهم ، وأنا بجانبه . فتأملتُ فى أمره فلم يعجبنى حاله ، لاضطراب عساكره ولعدم من يرأسهم من أعيان الأمراء ممن مرّتْ بهم التجارب ، وأيضاً لكثرة قلقه فى مسيره وعدم ثباته فى كلامه ، وظهر لى منه أيضاً أنه لم يعجبه ما هو فيه من اختلاف كلمة من هو معه من المماليك السلطانية وآرائهم الفلوكة وكثرة هرجهم ، ثم صار يقول فى مسيره : اللهَ ينصر الحق ، فيقول آخر : الله ينصر الملكَ العزيز يوسف ، ويقول آخر : الله ينصر الأميرَ قرقماس ، ومنهم من قال : الله ينصر السلطان ، ولم أدرِ أىَّ سلطانٍ قصد ؛ كل ذلك فى تلك المسافة القريبة من بيته إلى الرملة .

(١) فى ا (اشره) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) من طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (يوافوه) وفى طبعة كاليفورنيا (يوافقاه) .
(٤) فى ا (بماليكهم) .

ثم كشف قَرْقَماس رأسَه وصاح : « الله ينصر الحق » غيرَ مرة ، فتعجبت أنا من دعائه ، لأىِّ حق يريد ؟ فلما أن كشف رأسه تفاءل الناس بخذلانه ، وظهر لى منه أيضاً أنه كان يتخوف من المماليك الأشرفية ، لما بلغنى بعد ذلك أنه بلغه فى اليوم المذكور أنهم إذا انتصروا على [الملك][1] الظاهر جَقْمَق وملكوا القلعةَ ضربوا رقبة قَرقماس ، فنفر خاطرُه من ذلك . وكأنه بلغه ذلك بعد ركوبه وشروعه فيما هو فيه ، فبقى لا يمكنه إلا الإتمام ، لأن الشروع ملزم ؛ والمقصود أنه سار إلى أن وصل قريباً من جامع السلطان حسن ، فوافاه الأميرُ قراجا بطُلْبِه ومماليكه وعليهم السلاح ، والأمير مُغُلْباى الجقمقى ، وسارا معه من تحت مدرسة السلطان حسن إلى بيت قوصون تجاه باب السلسلة .

وكان يسكنه يوم ذاك الأميرُ أَرْكماس الظاهرى الدوادارُ الكبير ، وقد أغلقه مماليكُ أركماس [المذكور][2] ، فقصد قَرْقماس [المذكور][3] عبورَ البيت المذكور فوجده مغلقاً ، ثم دخله بعد أمور ، فإذا بأَرْكماس الظاهرى قد خرج من باب سِرِّ البيت المذكور ، ومضى إلى حال سبيله [محمولاً][4] لعجزه عن الحركة لوجعٍ كان يعتريه برجليه ، وأيضاً لم يكن من هذا القبيل .

وملَك قرقماسُ البيتَ ودخله ، وأخذ فيما يفعله مع عساكر السلطان من القتال وغيره ، فلم ينتظم له أمرٌ ولا رُتِّب له طُلْبٌ من كثرة الغوغاء والهرج ، حتى أن باب السلسلة كان مفتوحاً منذ قدم قَرْقماس إلى الرملة وأخذ بيت أركماس الظاهرى ، والأميرُ تمراز القَرْمُشى الأميرُ آخور الكبير لم يلتفت إلى غلقه ولا تحرك من مجلسه ولا ألبس أحداً من مماليكه السلاح ، ومن عظم تراخيه فى ذلك[5] نسبوه للمالأة مع قَرْقماس — ولا يبعُد ذلك . ومع هذا كله لم يلتفت أحدٌ من أَصحاب قَرْقماس إلى أخذ باب السلسلة ، ولا سار أَحد إلى جهته جملةً كافية ، لعظم

من (١) إلى (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (لذلك) .

اضطرابهم وقلة سعدهم . [٩٥] كل ذلك والسلطان الملكُ الظاهر إلى الآن بالقلعة فى أناس قليلة من خواصه ، وهو لا يصدِّق ما قيل له فى حق قَرْقَماس ، إلى أن حضر قرقماس إلى الرملة وملك بيت َقوصون ، فعند ذلك ركب من الحوش السلطانى ونزل فى أمرائه الصغار وخاصْكِيَّته إلى باب السلسلة وجلس بالمقعد المطل على الرميلة ، وقد صحب معه فرساً عليه قماش ذهب يوهم به أنه لأجل قرقماس إذا طلع إليه طائعاً ، وأن قرقماس أرسل يقول له أنه يريد أن يفر من المماليك الأشرفية ويطلع إلى القلعة ، فأمسك بهذه الحركة جماعة كبيرة عن التوجه إلى قرقماس من خجداشيته وأصحابه . وكان هذا الذى فعله [الملكُ] [1] الظاهر من أكبر المصالح ، فإن كان على حقيقته فقد نفع ، وإن كان حيلة من [الملك] [2] الظاهر جقمق فكانت فى غاية الحسن ومن أجود الحيل .

ولما جلس الملكُ الظاهر بالمقعد من الإسطبل السلطانى المطل على الرميلة ، نزلت جماعة من خاصْكِيَّته مشاةً وعليهم السلاحُ وناوشوا القرقماسية بالقتال قليلا . ثم أمر السلطانُ فنودى : من كان من حزب السلطان فليتوجه إلى بيت الأمير آقْبُغَا التَّمْرازى أمير سلاح ، وكان سكن آقبغا المذكور بقصر َبكْتَمُر الساقى بالقرب من الكَبْش تجاه مدرسة سِنْجَر الجاولى [3] ، فلما سمع الأمراء والمماليكُ المناداةَ ذهبوا إلى بيت الأمير آقبغا التمرازى ، فاجتمع عنده خلائق وجماعة كبيرة من الأمراء ، فمن اجتمع عنده من مقدمى الألوف : الأمير قَرَاخُجَا الحَسَنى رأس نوبة النوب ، وحاجب الحجاب تَغْرى بَرْدى البَكْلَمُشى المؤذى ، ومن الطبلخاناه وغيرهم : الأمير أسَنْبُغَا الطيّارى وعدة كبيرة .

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) مدرسة سنجر الجاولى هى المعروفة أحيانا باسم المدرسة الجاولية ، أنشأها الأمير علم الدين سنجر الجاولى سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ورتب بها درسا للصوفية وأوقف عليها الأوقاف ؛ توفى سنجر عام ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م . (خطط جـ ٢ ص ٣٩٨) .

ثم أرسل آقبغا التمرازى رأسَ نوبته لكشف خبر قَرْقَماس ومن وافقه من الأمراء ، فتوجه المذكور وعاد إليه بالخبر أنه ليس معه من الأمراء إلا قراجا وأُزْبَك جُحَا ومُغُلْباى الجَقْمَقى وجانِم الأشرفى ، فقال آقبغا : إذن فلا شىء . وركب فرسه وركب الأمراء معه بمن انضم عليهم من المماليك السلطانية ، وساروا إلى أن وصلوا إلى صَليبة أحمد بن طولون عند الخانقاه الشيخونية ، ووقفوا هناك وتشاوروا فى مرورهم إلى باب السلسلة ، وقد تملأت عساكر قرقماس الرميلة[1] ؛ فمن الناس من قال : نتوجه من على المشهد النَّفِيسى إلى باب القرافة ثم نطلع إلى القلعة ، ومنهم من قال غير ذلك .

وبينما[2] هم فى ذلك ، ورد عليهم الخبر أن الأمير قَرَاجَا ومُغُلْباى الجقمقى خرجا من عسكر قَرْقَماس ولحقا بالسلطان ؛ فعند ذلك قوى عزم الأمراء على الطلوع إلى القلعة من سُوَيْقَة مُنْعِم[3] ، فساروا بمن معهم إلى أن صاروا بآخر سويقة منعم فحركوا خيولهم يداً واحدة ، إلى أن وصلوا إلى القلعة ، بعد أن كبا بآقبغا التمرازى فرسه ثم قام به ولم يفارق السرج . وطلعوا الجميع إلى القلعة ، وقبلوا الأرض بين يدى السلطان ، فأكرمهم السلطان غاية الإكرام وندبهم لقتال قرقماس ، فنزلوا من وقتهم بأطلابهم ومماليكهم ، وقد انضم معهم جميع أمراء الألوف وغيرها ، وصَفَّ آقبغا عساكرَه والأطلابَ الذين معه[4] ، وقبل أن يعبِّى عساكرَ السلطان صدمَتْه القرقماسيةُ من غير تَعْبِيَة ولامصافَفَة ، لأن قرقماس لما وقف تجاه باب السلسلة لم يقدر على تَعْبِيَة عساكره لكثرة المماليك وقلة من معه من الأمراء ، ووقف هو بينهم فى الوسط ، ولم يكن لعسكره قلب ولا ميمنة ولاميسرة ، وذلك لقلة معرفة أصحابه بممارسة الحروب وتعبية العساكر ، وكان ذلك من أكبر الأسباب فى هزيمة قرقماس ، فإنه تعب فى موقفه ذلك اليوم غاية التعب ، فصار

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (الرمله) والضبط عن عقد الجمان (ح٢٣ ق ٤ ورقة ٦١٤) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (بينا) .

(٣) تقع هذه السويقة بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل ، ومكانها اليوم شارع شيخون بقسم الخليفة بالقاهرة (راجع الخطط ح ٢ ص ٣١٣ ؛ النجوم الزاهرة ح ١٠ ص ٢٦٩ حاشية ١ ، ح ١١ ص ٣٩ حاشية ١) .

(٤) فى ا (معهم) .

تارةً يكرُّ فى الميمنة [وتارة فى الميسرة][1] وتارة يقاتل بنفسه حتى أثخن جراحه ، وتارة يعود إلى سنجقه ، ولم يقع ذلك لعسكر السلطان فإن غالبهم كانوا أمراء ألوف وطبلخانات وعشرات ، فأما مقدمو[2] الألوف فوقفت أطلابُهم تحت القلعة تجاه قرقماس ، كلٌّ طُلْب على حدته ، فصاروا كالتعْبِيَة .

[٩٦] وبرزت الأمراء والخاصكيّة لقتال قرقماس ، طائفةً بعد أخرى ، هذا مع معرفتهم بمكايد الحروب وأحوال الوقائع ، وآقبغا التمرازى فى اجتهاد يعبى العساكرَ السلطانية ميمنةً وميسرةً وقلباً[3] وجناحين ، وكان قصده تعبية الجنّح فلم يمهله القرقماسية ، وبادروه بالقتال والنزال من غير إذن قرقماس ، فتصادم الفريقان غيرَ مرة ، والهزيمةُ فيها على السلطانية ، وتداول ذلك بينهم مراراً كثيرة . واشتد القتال وفَشَت الجراحاتُ فى الطائفتين ، وقُتل الأمير جَكَم النَّوْرُوزى أحد أمراء العشرات بوسط الرملة وهو من حزب السلطان ، كل ذلك ومنادى قَرْقَماس ينادى فى الناس : من يأتى قرقماس من المماليك السلطانية فله مائتا دينار ، ومن يأتيه من الزُّعْر فله عشرون دينار ، فكثر جمعُه من الزُّعْر والعامة ، فأخذ [الملكُ][4] الظاهر جقمق ينثر الذهب على الزُّعْر فالوا إليه بأجمعهم ، وقال لسان حالهم : « دِرَّة معجَّلة ولا دُرَّة مؤجَّلة » .

ثم أمر السلطان بمنادٍ فنادى من أعلى سور القلعة : « من كان فى طاعة السلطان فليحضر وله الأمان كائن من كان وله كذا وكذا » ، وأوعد بأشياء كثيرة . كل ذلك والقتالُ فى أشد ما يكون ، ولم يكن غير ساعة جيدة إلا وأخذ عسكر قرقماس فى تقهقر ، وتوجهت الناسُ إلى السلطان شيئاً بعد شىء . وكان جماعةٌ من أصحابنا من الناصرية وقفوا عند الصُّوَّة من تحت الطبلخاناه [السلطانية][5] حتى يروا ما يكون

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (مقدمى) .
(٣) فى ا (وقلب) .
(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

من أمرِ خُشْداشِيهم الأتابكِ قَرْقَماس ، وهواهم وميلهم إليه ، فإنه قيل فى الأعصار الخالية : «لا أَفْلَح من هُجِيتْ قبيلتُه »؛ فلما رأوا أمر قَرْقَماس فى إدبار ،وأخذ أصحابه فى التفرق عنه ، انحازوا بأجمعهم إلى جهة باب السلسلة ، وأظهر كل واحد منهم أنه كان[1] ممن قاتل قَرْقَماس . ولم يَخْفَ ذلك على [الملك][2] الظاهر، لكنه لم يَسَعْه يوم ذاك إلا السكات . وبالله لقد رأيتُ الأميرَ آقْبغَا التركمانى الناصرى وهو يدق بزُخْمته على طبله ، ويندب الناس لأخذ قرقماس بعد أن أشرف على الهزيمة، وعَبْرته قد خنقته حتى إنه لا يستطيع الكلام من ذلك .

ولما كان بين الظهر والعصر أخذ قرقماس فى إدبار ، واضمحلت عساكره وذهبت أصحابه ، وجُرح هو فى وجهه ويده ، وكلّ وتعب، وانفلّت عنه جموعه، وصار الرجل من أصحابه يغير لبسه ثم يطلع فى الحال إلى القلعة حتى ينظره السلطان ، هذا والرمى عليه من أعلى القلعة مترادف بالسهام والنفوط .

وكان أصحاب قرقماس فى أول حضوره إلى الرميلة اقتحموا باب السلطان حسن فلم يقدروا على فتحه ، فأحرقوه ودخلوا المدرسة وصعدوا على سطحها وأرموا على السلطان وهم أيضا[3] بالنشاب والكفيات ، إلى أن أبادوا القلعيين ، ومع هذا كله وأمرُ قرقماس فى إدبار .

وقبل أن تقع الهزيمة على عساكر قرقماس من الذين ثبتوا معه ، فرّ هو فى العاجل فانهزم عند ذلك عسكره بعد أن ثبتوا بعد ذهابه ساعة ، ثم انقلبوا وولوا الأدبار فما أذّن العصر إلا وقد تمت الهزيمة [بعد أن جُرح خلائق من الطائفتين][4] ، فكان ممن جُرح من أعيان السلطانية : الأمير آقْبغَا التَّمْرازى أمير سلاح ، والأمير تَغْرى بِردى

---

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

المؤذى حاجب الحجاب برمح أخرق شدقه ، لزم منه الفراش مدة طويلة وأشرف على الموت ، والأمير أسنبغا الطيارى أيضاً من طعنة رمح أصابه فى ضلعه ، وجماعة كثيرة من الخاصكية والمماليك يطول الشرح فى تسميتهم .

وعند ما انهزمت عساكر قرقماس أخذوا سنجقه وطلعوا به إلى السلطان ، وفرّ قرقماس فلم يعرف أين ذهب ؛ فتوهّم السلطان أنه توجّه إلى جهة الشام فندب الأمير آقبغا التمرازى فى جماعة إلى جهة الخانقاه ، فسار إلى أن قارب المرج والزيّات ، فلم يجد فى طريقه أثر أحد من العساكر ، فعلم أن قرقماس اختفى بالقاهرة ، فعاد .

وأما الزُّعر ، فإنهم لما رأوا الهزيمة على القرقماسية [٩٧] أخذوا فى نهبهم ، ثم توجهوا إلى داره فنهبوها وأخذوا جميع ما فيها ، وفى الحال سكنت الفتنة وفتحت الدكاكين ، ونودى بالأمان والبيع والشراء . وأخذ أهل الحرس فى تتبع قرقماس وحواشيه ، وندب السلطان أيضاً جماعة من خواصه فى الفحص عن أمره ، وما أمسى الليل حتى ذهب أثر الفتنة كأنها لم تكن ، وبات الناس فى أمن وسلام .

وأما السلطان فإنه لما تحقق هزيمة قرقماس ، قام من مجلسه بمقعد الإسطبل وطلع إلى القلعة مؤيداً منصوراً كأول يوم تسلطن ، فإنه كان فى بحران كبير من أمر قرقماس وشدة بأسه وعظم شوكته وجلالته فى النفوس . وقد كان [الملك][1] الظاهر يتحقق أن قرقماس لابد له من الركوب عليه ، لحبه للرئاسة وتشغّب[2] رأسه بالسلطنة ، ولا يمكنه القبض عليه لاضطراب أمره كما هى أوائل الدول ، فكان السلطان يريد مطاولته من يوم إلى يوم ، إلى أن يتمكن منه بأمر من الأمور ، فعجّل الله له أمره بعد شدة هالته عقبها فرج وأمن .

ولما أصبح يوم الخميس خامس شهر ربيع الآخر ، عملت الخدمة السلطانية بالقصر

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (شغب) .

السلطانى ، وطلع القضاةُ والأعيان وهَنَّأوه[1] بالنصر والظفر ، وقد وَقف على باب النصر جماعة من أُمراء المؤيدية الرؤوس نُوَّاب ، مثل جانبك المحمودى ، وعلى باى العجمى ، وأمثالها[2] ، ومنعوا المماليك الأشرفية من الدخول إلى الخدمة السلطانية ؛ وصار كل واحد منهم يضرب المملوك من الأشرفية على رأسه وأكتافه بالعصى حتى يمنعه من الدخول . هذا بعـــد أن يوسعه سبًّا وتوبيخًا ، وقطع رواتب جماعة كثيرة منهم .

ثم أمر السلطانُ القضاةَ ، فجلسوا بجامع القلعة ، بسبب قطع سلالم مآذن المدرسة الحسنية[3] ، فحكم قاضى القضاة شمسُ الدين محمد بن البساطى المالكى بقطعها ، وألزم الناظرَ على المدرسة بقطع السلالم المذكورة ، فقطعت فى الحال .

ثم أمر السلطانُ بالفحص عن قَرْقماس ، ونودى عليه بشوارع القاهرة ، وهدَّد من أخفاه ، فظفر به من الغد فى يوم الجمعة سادس شهر ربيع الآخر ، وكان من خبره : أنه لما انهزم سار وحده إلى جهة الرَّصَد[4] ، وقيل معه واحد من حواشيه ، فأقام به نهارَه ، ثم عاد من ليلته — وهى ليلة الخميس — إلى جهة الجزيرة ، ثم مضى منه إلى بستانه بالقرب من مُوردة الجبس[5] وقد ضاقت عليه الدنيا بأسرها ، وكاد يهلك من الجوع [والعطش][6] ، فلما رأى ما حل به ، بعث إلى الزينى عبد الباسط يعرفه بمكانه ، ويأخذ له أمانًا من السلطان . فركب عبدُ الباسط فى الحال وطلع إلى السلطان

(١) فى ا (وهنوه) .

(٢) فى ا (وامثال ذلك) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (مآذن السلطان حسن) والمثبت عن ا .

(٤) الرَّصَد مكان جنوبى مصر القديمة ، كان يعرف كذلك باسم الشرف والجرف ، وعرف بالرصد لأن الأفضل بن بدر الجمالى الوزير الفاطمى أقام فوقه كرة لرصد الكواكب . (انظر الخطط حـ١ ص ١٢٥ ، وراجع النجوم الزاهرة حـ٩ ص ١٦٠ حاشية ٤) .

(٥) تعرف موردة الجبس كذلك باسم موردة البلاط ، لأن المراكب كانت تفرغ ما تحمله من بلاط وجبس فى ذلك الموضع قرب ما هو فم الخليج حاليا (راجع النجوم الزاهرة حـ٩ ص ٨١ حاشية ٢ ، حـ١١ ص ١٧٠ حاشية ١) .

(٦) من طبعة كاليفورنيا .

فى بُــكرة يوم الجمعة المذكور ، وعرّفه بأمر قَرْقماس ، فندب السلطانُ ولدَه المقامَ الناصرى محمدًا للنزول إليه ، فركب وسار فى خدمته عبدُ الباسطِ حتى أتوا إلى موضع كان فيه قرقماس .

حدّثنى المقامُ الناصرى محمد المذكور ، قال : لما دخلتُ على قَرْقماس قام إلىّ وانحطّ يقبل قدمى فمنعته من ذلك فغلبنى وقبّل قدمى ، ثم يدى ، ثم شرع يتخضّع إلىّ ويتضرع ، وقد علاه الذل والصغار ، ولم أر فى عمرى رجلا ذَلّ كذلته ، ولا جزع جزَعَه ، وأخذت أسكِّن روعه ، وجعلتُ فى عنقه منديلَ الأمان الذى أرسله والدى إليه ، فقبل يدى ثانياً ثم أراد الدخولَ تحت ذيلى ، فلم أمكنه من ذلك إجلالا له ، ثم خرجنا من ذلك المجلس وركبنا وأركبناه فرساً من جَنَائِبى ، ومضينا به إلى القلعة ، وهو فى طول طريقه يبكى ويتضرع إلىّ بحيث أنه رقّ عليه قلبى ، وكلما مررنا به على أحد من العامة ، شتمه ووبخه ، وأسمعه من المكروه مالا مزيد عليه ، حتى لو أمكنهم رَجْمه لرجموه .

هذا ما حكاه المقامُ الناصرى ، ولما أن وصل قَرْقماس إلى القلعة ، وبلغ السلطانَ وصولُه جلس على عادته ، فحال ما مثل بين يديه خرّ على وجهه يقبل الأرض ، ثم قام ومشى قليلا ، ثم خرّ وقبّل الأرض ثانياً ، هذا ووجهُه صار(١) كلون الزعفران من الصفار وشدة الخوف ، فلما قرب من السلطان أراد أن يقبل رِجلَه ، فمنعوه أربابُ الوظائف من ذلك ، ثم أخذ يتضرع ، فلم يُطِل السلطان وقوفَه [٩٨] ووعده(٢) بخير على هيئته . ثم أمر به ، فأُخذ وأدخل إلى مكان بالحوش ، فقُيِّد فى الحال ، وهو يشكو الجوع ، وذكر أنه من يوم الوقعة مااستطعم بطعام ، فأُتى له بطعام فأكله ، وقد زال عنه تلك الأبهة والحشمة من عظم ماداخله من الخوف والذل ، ولهجت العامة تقول فى الطرقات : « الفقر والإفلاس ولا ذلتك يا قَرْقماس » . قلت : وما أبلغ قول القائل فى معناه :

[الوافر]

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (ووعد) .

أرى الدنيـا تقـول بملء فِيها
حـذارِ حـذارِ تَوْبيخى وفَتْكى
ولا يَغْـرُرْكُمُ منّى ابتسـامٌ
فَقَوْلى مضحكٌ والفعـلُ مُبْكى

وأبلغ من هذا قول أبى نواس [فى الزهد][1] : [الطويل]

إذا امتحن الدنيـا لبيبٌ تـكشَّفت
له عن عَـدُوٍّ فى ثيـاب صديق[2]

ولما أمسك قَرْقَماس المذكور تمّ سرورُ السلطان ، وهدأ[3] سرُّه ، وأخذ فى مسك جماعةٍ من أعيان الأشرفية ، فأمسك فى يوم واحد أزيد من ستين خاصّكيًّا من أعيان المماليك الأشرفية ، وحبس الجميع بالبرج من قلعة الجبل .

ثم فى يوم السبت سابع ربيع الآخر ، خلع السلطان على الأمير آقبغا التَّمْرازى أمير سلاح ، باستقراره أتابكَ العساكر عوضاً عن قَرْقَماس المتقدم ذكره ، وخلع على يَشْبَك السُّودونى أمير مجلس ، باستقراره أميرَ سلاح عوضاً عن آقبغا التَّمرازى ، وعلى الأمير

---

(١) عن ديوان أبى نواس .
(٢) هذا البيت مما قال أبو نواس فى الزهد ، ضمن بضعة أبيات مطلعها :

١ – أيا رُبَّ وجه فى التراب عتَيق ويارُبَّ حُسْنٍ فى التراب رقيق
٢ – ويا رب حزم فى التراب ونَجدة ويارب رأى فى التراب وثيق
٣ – أرى كلَّ حىٍّ هالكا وابن هالك وذا حَسَب فى الهالكين عريق
٤ – فقل لقريب الدار إنك ظاعن إلى منزل نائى المحل سحيق
٥ – إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفت له عن عدوّ فى ثياب صديق

(راجع ديوان أبى نواس ص ١٩٢ – شرح محمود أفندى ناصف – مصر ١٨٩٨) .
(٣) فى ا (وهدى) .

جَرِ باش قاشق، باستقراره أميرَ مجلس عوضاً عن يَشْبك المذكور . وفى هذا اليوم أيضاً أُنزل بالأمير(١) قَرْقَماس الشعبانى المقدم ذكره مقيداً من القلعة على بغل على العادة إلى الإسكندرية، بعد أن سمع من العامة مكروها كثيراً إلى الغاية، كل ذلك لأنه كان لما وَلى الحجوبيةِ بالديار المصرية، شدَّد على الناس وعاقب على المسكرات العقوباتِ الخارجةَ عن الحد، فإنه كان فيه ظلم وجبروت، فلما أن وقع له ما وقع، صار من كان(٢) فى نفسه شىء، انتقم منه فى هذا اليوم، ويوم طلوعه، فنعوذ بالله من زوال النعم .

ثم فى يوم الاثنين تاسعه، قرئ عهدُ السلطان الملك الظاهر جَقْمق، بالقصر السلطانى من قلعة الجبل، وقد حضر الخليفةُ أميرُ المؤمنين أبو الفتح داوُد، والقضاةُ الأربعةُ(٣)، وتولى قراءتَه كاتبُ السر الصاحبُ بدر الدين حسن بن نصر الله، وكان العهدُ من إنشاء القاضى شرفِ الدين الأشقر نائب كاتب السر . ولما انتهى كاتبُ السر من قراءة العهد، خلع السلطانُ على الخليفةِ والقضاة، وعلى كاتب السر ونائبِه شرفِ الدين المذكور، وانفض الموكب .

ثم فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر، أنعم السلطانُ على الأمير قَرَاجا الأشرفى أحدِ مقدمى الألوف، بإقطاع الأتابك آقْبغا التَّمْرازى، بحكم انتقال آقبغا على إقطاع الأتابك قَرْقَماس الذى هو برسم من يكون أتابكَ العساكر، وكان السلطانُ زادَ قَرْقماسَ تقدمةً أخرى، زيادةً على إقطاع الأتابكية يترضاه بذلك، فلم يُنْعِم السلطانُ بالزيادة على آقبغا: بل أنعم بها على بعض الأمراء، وأنعم السلطانُ بتقدمة قَرَاجا على الأمير أَلْطُنْبغا المَرْقبى المؤيدى، الذى كان وَلى حجوبيةَ الحجّاب فى الدولة المؤيدية، وكان له مدة طويلة بطّالا: ثم صار أميرَ عشرة، وأنعم السلطان بإمرةِ مائةٍ وتقدمة ألفٍ على الأمير إينال الأبو بكرى الأشرفى، عوضاً عن قَرْقَماس، وهذه التقدمةُ التى كانت مع قَرْقماس زيادةً

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (صار كلمن) .
(٣) فى ا (الأربع) .

على إقطاع الأتابكية المقدم ذكرها ، وأنعم بإقطاع إينال ووظيفته الدوادارية الثانية على الأمير أَسَنْبغَا الطيَّارى الحاجب الثانى .

وفيه حضر المقرّ الكمالى محمد بن البارزى من دمشق بطلب ، بعد أن تلقاه جميعُ أعيان الديار المصرية ، وأصبح من الغد فى يوم الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر المذكور ، خلع السلطانُ عليه باستقراره فى كتابةِ السر الشريفِ بالديار المصرية ، عوضاً عن الصاحب بدر الدين بن نصر الله بحكم عزله ، وهذه ولايةُ [٩٩] كمال الدين المذكور لوظيفة كتابة السر ثالثَ مرة ، وهى أعظم ولاياته ، لأنه صار صهرَ السلطان وكاتبَ سره .

وفى يوم الثلاثاء هذا ، خلع السلطانُ على الأميرِ أَسَنْبغَا الطيَّارى بالدوادارية الثانية ، وخلع على الأمير يَلَبْغَا البهائى[1] الظاهرى أحدِ أمراء العشرات ، باستقراره حاجباً ثانياً ، عوضاً عن أَسَنْبغَا الطيَّارى .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشره ، خلع السلطانُ على الأمير إينال الأبو بكرى الأشرفى باستقراره أميرَ حاجِّ المحمل ، وأنعم عليه بعشرة آلاف دينار . هذا والقبضُ على المماليك الأشرفية مستمر فى كل يوم ، وكل من قُبِضَ عليه منهم ، أخرج إقطاعُه ووظيفتُه ، وحُبس بالبرج من القلعة ؛ وقد عيَّن السلطانُ جماعةً منهم للنفى إلى الواحات .

ثم فى يوم الأربعاء خامس عشرينه ، أخرجَ السلطانُ جماعةً كبيرة من المماليك الأشرفية من برج القلعة ، وأمر بنفيهم إلى الواحات ؛ فخرجوا من القاهرة من يومهم ، وكانوا عدةً كبيرة .

[ثم][2] فى يوم السبت خامس جمادى الأولى ، رسم السلطانُ بالإفراج عن الأميرِ خُشْقَدَم الطَّوَاشى اليَشْبكى مقدم المماليك كان ، ونائبه فَيرُوز الرُّكْنى من

(١) فى ا (لبهاى) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

سجن الإسكندرية ، ورسم لها بالتوجه إلى دمياط على حمل خمسة عشرة ألف دينار .

وفيه ورد كتابُ الأميرِ حسين بن أحمد ، المدعو تَغْرى بَرْمَشْ نائب حلب ، عَلَى السلطان ، يتضمن : أنه مقيم عَلَى طاعة السلطان ، وأنه لبس التشريفَ المجهز له ، وقبّل الأرض ؛ فلم يكترث الملكُ الظاهر بذلك ، وكتب مُلَطَّفات إلى أمراء حلب ، بالقبض عليه إن أمكنهم ذلك .

ثم فى ثامن جمادى الأولى ، استقر الشريفُ صخرة بن مقبل بن نخبار ، فى إمرة اليَنْبُع ، عوضاً عن الشريف عقيل بن زبير بن نخبار

ثم فى يوم الخميس عاشره ، استقر زينُ الدين يحيى بن كاتب حلوان الأَشْقَر ، المعروف بقريب بن أبى الفرج ، ناظرَ الإسطبل السلطانى ، عَلَى مال بذله فى ذلك ، بعد سعىٍ كبير ؛ وخلع السلطانُ أيضاً على محمدٍ الصغير ، مُعلِّم النُّشّاب ، أحدِ ندماء السلطان ، باستقراره فى نيابة دمياط ، بَعد عَزْل الأمير أَسَنْبَاى الزَّردكاش الظاهرى .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس [عشر](١) جمادى الأولى المذكور ، طلب السلطانُ الشيخَ حسن العجمى ، أحدَ ندماء [الملك](٢) الأشرف بَرْسباى ، فلما مَثل(٣) بين يديه ، تقدم الشيخُ حسن المذكور(٤) ليقبل يدَ السلطان فضربه السلطانُ بيده على خده [لَطْشَةً](٥) كاد أن يسقط منها إلى الأرض ، ثم أمر به فعُرِّى وضُرب بالمقارع ضرباً مبرحاً ، وشهر بالقاهرة ، ثم سُجن بعض المحبُوس ، وذلك لسوء سيرة حسن المذكور وقلةِ أدبه مع الأمراء فى أيام [الملك](٦) الأشرف [بَرْسباى](٧) . وكان أصل هذا حسن من أوباش الأعاجم المولدة من الجَغْتاى ، واتصل [بالملك](٨)

(١)،(٢)،(٥) – (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (تمثل) .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

الأشرف بعد سلطنته بسنين ، ونادَمَه واختص به ، فنالته السعادة وعَمَّر له الملكُ الأشرفُ زاويةً بالصحراء بالقرب من تربة [الملك](١) الظاهر برقوق ، وأوقف عليها وقفًا جيدًا ، وكان حسنُ المذكور ، فى أيام أستاذه [الملك](٢) الأشرف ، يدخل إلى أكابر الأمراء ويكلفهم ويأخذ منهم ما أراد من غير تحشُّم وعدم اكتراث بهم ، فكأنه طرق [الملكَ](٣) الظاهرَ جَقْمَق وفعل معه ذلك ، فأمرَّها [الملكُ](٤) الظاهر له إلى وقتها ؛ مع ذنوب أخر ، حتى فعل معه ما فعل ؛ ثم نفاه إلى قوص ، فدام به إلى أن مات فيما أظن .

ثم جَهَّز السلطانُ الأميرَ سُودُون المحمدى ، وخلع عليه بنظر مكةَ المشرفة ، وندبه أيضاً لقتال عرب بَلِيّ ، وصُحبته جماعةٌ من المماليك السلطانية ، وعرب بَلِيّ هؤلاء [هم](٥) الذين فعلوا بالحجاج ما فعلوه فى موسم السنة الخالية . ونَدَب بعده أيضاً الشهابى أحمَد بن إينال اليوسفى ، أحدَ أمراء العشرات ، لإصلاح مناهل الحجاز وتقويةً لسُودون المحمدى . ثم خلع السلطانُ على الأمير أقبغا مِن مامِش التركانى الناصرى ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، باستقراره فى نيابة الكَرَك ، بعد عَزْل الصاحب خليل بن شاهين الشَّيْخى ، وانتقاله إلى أتابكية صَفَد .

ثم فى يوم الخميس أول شهر رجب ، أنفق السلطانُ فى المماليك [١٠٠] السلطانية نفقةَ الكسوة ، وكانت عادتهم أن يدفع لكل واحد منهم خمسمائة درهم من الفلوس ، فلما قرب أوان تفرقة الكسوة ، وقفوا فى يوم الاثنين ثامن عشرين جمادى الآخرة وطلبوا أن ينفق فيهم ، عن ثمن الكسوة عشرةَ دنانير

من (١) إلى (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

لكل واحد ، فما زالوا به حتى أنفق فيهم ألف درهم الواحد ، ولكل خاصكي ألفًا[1] وخمسمائة .

وفيه رسم السلطانُ ، بأن يكون نوابُ القاضي الشافعي خمسةَ عشر ، ونوابُ الحنفي عشرةً ، ونوابُ المالكي والحنبلي أربعةً أربعةً ، ووقع ذلك أياماً ، ثم عادوا إلى ما كانوا عليه .

(١) ق ا (الف) .

ذكر قتل قرقماس الشعبانى الناصرى

المقدم ذكره

ولما كان يوم الخميس ثامن شهر رجب ، جمع السلطانُ القضاةَ بالقصر ، بعد الخدمة السلطانية ، وادعى القاضى علاء الدين على بن أَقْبرس ، أحدُ نُواب الحكم الشافعية ، عند القاضى المالكى شمس الدين البِساطى ، على الأمير قَرْقَماس المذكور ، بأنه خرج عن الطاعة وحارب اللّهَ ورسولَه ، وأن بقاءه بالسجن مَفْسدة وإثارة فتنة ، وأن فى قتله مصلحة ؛ وشهد بخروجه عن الطاعة ومحاربته جماعةٌ من أكابر الأمراء ، فحكم البِساطى بموجب ذلك ، فقيل له : ما موجبه ؟ فقال : القتل ، وانفض المجلس . فندب السلطانُ طوغانَ السيفىَّ آقبَرْدى المِنْقار أحد الخاصكيةَّ لقتله ، فسافر طوغانُ إلى الإسكندرية ، ودفع لنائبها ما على يده من المحضر المكتتب على قَرْقماس ، وحُكْمَ القاضى المالكىِّ بقتله ، فأخرجه النائبُ من السجن فقرئ عليه حُكم القاضى ، وسئل عن الحكم المذكور ، فأعذر .

حدَّثنى طوغانُ المذكور بعد عوده من الإسكندرية ، قال : لما وصلتُ إلى الإسكندرية ، ودفعتُ إلى الأمير تَمُرْبابى التَّمُرْبغاوى نائبِ الإسكندرية ، ما كان على يدى من المراسيم السلطانية وغيرها بقتل قَرْقَماس ، فأمر به تَمُرْباى فأخرج من سجنه بقيده إلى بين يدى النائب ، فقام النائبُ وأجلسه مكانه ، وسأله فى الأعذار ، فأعذر ، وقد امتلأ المجلسُ بالناس ، وصار النائبُ يستحى أن يأمره بالقيام ، حتى تكلم بعضُ من حضر بانفضاض المجلس ، وقد حضر المَشاعِلىُّ والوالى ، وأقيم قَرْقَماس ، وأُخذ لتُضرب رقبتُه ، فجزع جزعاً عظيما وشرع يقول لى : يا أخى يا طوغان ، تضرب رقبتى فى هذا الملأ ؟ وكرر ذلك غيرَ مرة . فقلت له : يا خَوَنْد ، أنا عبدٌ

مأمورٌ ، والشرعُ حكم بذلك . فقُدِّم وأُجلس على ركبتيه ، وأخرج المشاعِليُّ سيفًا من غير قِراب ، بل كان ملفوفًا بحاشية من حواشي الجوخ التي لا يُنتفع بها ، فلما رأيتُ ذلك ، قلت للمشاعليّ : إيش هذا السيف الوحِش ؟ قال : لا ، بل هو سيف جيد . ثم أخذ المشاعلي السيفَ المذكور وضرب به رقبةَ قَرْقَماس ، قُطعت من رقبته مقدارُ نصف قيراط لا غير ، وعند وقوع الضربة في رقبة قَرْقَماس صاح صيحةً واحدة مات فيها من عظم الوهم ، ثم ضربه المشاعليُّ أخرى ثم ثالثةً ، وفي الثالثة حَزّها حَزًّا حتى تخلّصت ، كلُّ ذلك وقَرْقَماس لا يتكلم ولا يتحرك ، سوى الصيحة الأولى ، فعلمتُ بذلك أنه مات في الضربة الأولى ، من عظم ما داخله من الوهم ؛ وكان ذلك في يوم الاثنين ثاني عشر [شهر][1] رجب من سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة . ومات قَرْقَماس و سنه نيّف على الخمسين سنة تخمينًا ، ويأتي بقيةُ أحواله عند ذكر الوفيات[2] من هذا الكتاب [إن شاء الله تعالى][3] .

ثم في يوم الاثنين ثاني عشر [شهر][4] رجب ، خلع السلطانُ على الأميرِ يَلَبُغا البَهائي الظاهري [برقوق][5] ، أحد أُمراء الطَّبلخانات وثاني حاجب ، باستقراره في نيابة الإسكندرية ، عوضًا عن الأمير تَمُرْباي التَّمُرْبُغَاوي بحُكم عَزْله ، ثم نَدَبَ السلطانُ الأميرَ يَشْبك السُّودوني الأميرَ سلاح ، لسفرِ الصعيد ، وعيَّن معه عدّةً كبيرةً من المماليك الأشرفية [بجدةً لمن تقدَّم قبلَه][6] لقتالِ عربِ الصعيد ؛ وخرج في يوم الاثنين ثاني شهر رمضان بمن معه من المماليك الأشرفية .

ثم في يوم الاثنين تاسع شهر رمضان ، قدم الأميرُ الطَّواشي خُشْقَدَمُ اليَشْبَكي ، ونائبُه فيرُوز الرُّكني الرومي ، من ثغر دمياط ، وأمرهما السلطانُ بالتوجه إلى المدينة النبوية صحبةَ ركبِ الحاجِّ ليقيما بها .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) في طبعة كاليفورنيا (وفاته) والمثبت عن ا أنسب .
من (٣) إلى (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم في يوم الأربعاء حادي عشر [شهر][1] رمضان المذكور ، ورد على السلطان كتابُ الأميرِ قاني باى الحمزاوى ، نائبِ حماه ، يتضمن ورودَ الأميرِ بَرْدبك العجمى الجكمى ، حاجبِ الحجاب [١٠١] بحلب ، عليه وصُحبته من أُمراء حلب ، أميران ، بعد هزيمتهم من الأميرِ تغْرى بَرْمش نائبِ حلب ، بعد خروجه عن طاعة السلطانِ وعصيانه . وكان أُشيع خبرُ عِصيانه إشاعات ، فلما وَرد هذا الخبر ، تحققَ كلُّ أحدٍ صحةَ ما أُشيع .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

ذكر خبر عصيان تغرى برمش المذكور(١)

وهو أنه كان له من يوم مات [الملكُ](٢) الأشرفُ بَرْسباى ، أخذ فى أسباب الخروج ، واحترز على نفسه فى عَوْده صُحبةَ العساكر إلى حلب غايةَ الاحتراز ، حتى إنه لم يدخل حلب إلا بعد خروج العساكر المصرية منها بعد أيام ، ولما دخل حلب شرع فى تدبير أمره والنظر فى ما يفعله لنفسه ، ولم يكن له غرض فى طلب الملك لمعرفته أن القومَ لا يرضونه لذلك ، غير أنه يعلم أنهم لا يدعونه(٣) فى نيابة حلب إن أمكنهم ذلك ، لكونه كان(٤) تركمانياً غير الجنس . وتحقق هذا ، فأخذ فى عمل(٥) مصلحة نفسه ، واستدعى أمراء التركمان للقيام معه ، فأجابه جماعة كبيرة ، وانضم عليه خلائق .

وكان تَغْرى بَرمش من رجال الدهر ، عارفًا بتدبير أموره ، جيدَ التصرف ، وعنده عقل ومكر وحدس صائب ، وتدبير جيد ، وهمة عالية ، على أنه كان لا يعرف المسألةَ الواحدةَ فى دين الله ، مع جمودةٍ فى مجالسته وخشونة ألفاظٍ تظهر منه كما هى عادةُ أوباش التركمان ، وجميعُ جهده ومعرفته كانت فى أمور دنياه لا غير ، مع جبن وبخل ، إلا فى مستحقِّه .

فلما استفحل أمرُه بمن وافقه من أمراء التركمان فى الباطن ، وبكثرة مماليكه وخدمه ، مع ما كان حصَّله من الأموال ، وبلغه مع ذلك أن المَلَطَّفات السلطانيةَ وردت على أمراء حلب فى القبض عليه ، رأى أنه يُظهر ما استكتمه من الخروج عن الطاعة ، ويملك حلب وأعمالَها طول عمره ، لما دبره أنه إذا غَلَب عليها وكثرت

(١) ، (٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (لا يدعوه) .
(٤–٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

عساكرُه بها ، يحصِّنها ويقيم بها ، فإن جاءه[1] عسكر هو قبيله ، قاتله ، وإن كانت الأخرى ، انهزم أمامه بعد تحصين قلعتها ، وتوجّه[2] إلى جهة بلاد التركمان ، إلى أن يعود عنها من أتاها من العساكر ، ولم يبق بها إلا من استُنيب بها ، [و][3] قدمها تَغْرى بَرْمَش وملَكها منه ، كما كان يفعله شيخٌ ونَوْروز مع الملك الناصر [فرج ابن برقوق][4] ، مع أن تغرى برمش هذا ، كان أرسخَ منهما قدما بتلك البلاد ، لكونه كان تركمانياً ، وله أموال جمة ، وأكثر دهاء ومكراً ، وإن كان شيخٌ ونَوْرُوز أعظمَ في النفوس وأشجع ، فليس هذا محلَّ شجاعة وعظمة ، وإنما هو محل تشويش وتنكيد . وتأييدُ ما قلتُه : أن [الملكَ][5] الظاهرَ جَقْمَق ، قلق لعصيان تَغْرى بَرْمَش [هذا][6] أكثرَ من عصيانِ الأميرِ إينال الجكَمى نائب الشام الآتى ذكره ، وأرسل [الملكُ][7] الظاهرُ خلفى وكلّمنى فى المحضر المكتَتَب فى حق تغرى برمش هذا قديما ، من قتله لبعض مماليك الوالد ، لما كان تغرى برمش المذكور بخدمة الوالد ، على ما سيأتى بيانه فى [ذكر وفيات هذا الكتاب إن شاء الله تعالى][8] ، وكلّمنى الملكُ الظاهرُ فى أمر تغرى برمش بسبب المحضر وغيره ، فلحظتُ منه ما ذكرتُه من تخوفه من طول أمرِ تغرى برمش المذكور معه — انتهى .

وكان أول ما بدأ به تَغرى برمش أنه أخذ يستميل الأمير حَطَط نائب قلعة حلب ، فلم يتم له ذلك ، فأخذ يدبر على أَخْذ القلعةِ بالحيل ، فأحسَّ حَطَط وكلّم أمراءَ حلب بسببه ، واتفقوا على قتاله ، وبادروه وركبوا عليه بعد أمور وقعت يطول شرحُها ، ورمى عليه حَطَط من أعلى قلعةِ حلب ؛ وركب الأميرُ بَرْدبك العجمى الجكمى حاجبُ حلب ، والأميرُ قطج من تِمْراز أتابكُ حلب ، وجماعةُ أمراء حلب ، وعساكرُها ، وواقعوه ، فصدمهم بمماليكه صدمة بَدد شملَهم فيها ، وانهزموا

(١) في ا (جاه) .
(٢) فى ا (ويتوجه) .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤ – ٨) من طبعة كاليفورنيا .

وتشتتوا ، فتوجه قطلج إلى جهة البيرة[1] فيما أظن ، وتوجه برْديك العجمى ومعه أيضا جماعةٌ إلى حماه ، وكانت الوقعة فى ليـلة الجمعة ثامن عشرين شعبان ، ودخل بَرديك حماه فى آخر يوم السبت سلخ شعبان ؛ هذا ما كان من أمر تَغْرى برْمش ، ويأتى بيانُ أمر هذه الوقعة ، فى كتاب تَغْرى برمش المذكور [إلى السلطان][2] فيما بعد .

وأما ما كان من أمر السلطان ، فإنه لما بلغه خبرُ عصيانه ، طلب الأمراء وعمل معهم مشورةً بسببه ، فوقع الاتفاقُ بعزْلِه عن نيابة حلب ، وتوليةِ غيرِه ، ثم ينتظر السلطانُ بعد ذلك ما يردَ عليه من الأخبار من البلاد الشامية ، لما كان أشيع بالقاهرة أن الأميرَ [١٠٢] إينال الجكمى هو الذى أشار لتغرى برمش المذكور بالخروج عن الطاعة ، وأنه موافقُه فى الباطن ، فلذلك لم يعيِّن السلطانُ أحـداً من العساكر المصرية ، ولا نواب البلاد الشامية ، لقتال تَغْرى برمش .

فلما كان يوم الخميس ثانى عشر [شهر][3] رمضان المذكور ، كتب السلطانُ بنقل الأميرِ جُلْبان أميرِ آخور نائب طرابلس ، إلى نيابة حلب ، عوضا عن تَغْرى بَرْمش المذكور ، وأن يستقر الأميرُ قانى باى الحمزاوى نائبُ حماه المقدمُ ذكره[4] فى نيابة طرابلس [عوضاً عن جُلْبَان ، وأن يستقر بَرْدبك العجمى الجَكَمِى حاجبُ حجابِ حلب ، المقـدمُ ذكره][5] فى نيابة حماه ، عوضاً عن قانى باى الحزاوى .

وتوجَّه الأميرُ على باى العجمى المؤيدى ، أحدُ أمراء العشرات ، ورأس نوبة ،

---

(١) البيرة : مدينة على نهر الفرات ، وهى المقصوده ، وهناك مدن أخرى بهذا الاسم ، منها مدينة البيرة بين بيت المقدس ونابلس ، وهذه خربّها صلاح الدين يوسف بن أيوب حين استنقذها من الصليبيين ، وهناك مدينة البيرة فى الأندلس (معجم البلدان جـ٢ ص ٢٣٠) .

(٢)،(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

بتقليد جُلْبَان وتشريفه بنيابة حلب ، وتقليد بَرْد بك العجمى بنيابة حماه ، وبَرْد بك المذكور هو خال على باى المتوجه وجاليه وبه يُعرف بالعجمى ، على شهرة خاله المذكور .

وتوجه الأميرُ جانِبَك المحمودى المؤيدى ، أحدُ أمراء العشرات ورأسُ نوبة ، بتقليد الأميرِ قانى باى الحمزاوى وتشريفه بنيابة طرابلس ، وعلى باى وجانِبَك هما يوم ذاك عَقْدُ المملكة وحَلُّها . وبقى السلطانُ فى قلق بسبب إينال الجَكَمى نائب الشام ، لكونه أُشيع أن سُودونَ أخا[1] إينال الجَكَمى ، منذ قدم من عند إينال إلى القاهرة يستميل الناسَ إليه ، وكان السلطانُ لما تسلطن أرسل سُودون المذكور إلى جميع نواب البلاد الشامية ، وكانت العادةُ جرت ، أنه يتوجه لكل نائبِ أميرٌ ، يبشره بجلوس السلطان على تخت المُلك ، كلُّ ذلك مراعاةً[2] لخاطر أخيه إينال الجكمى ، وكان السلطان أيضاً أرسل إلى إينال المذكور ، بخلعةٍ ثانية مع الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن مَنْجَك باستمراره على نيابة دِمَشْق .

فلما كان يوم الاثنين سادس عشر شهر رمضان ، ورد الخبرُ على السلطان من الأمير طوخ مازِى الناصرى نائب غزة : بأن الأميرَ ناصر الدين محمد بن مَنْجَك المقدمَ ذكرُه ، لما وصل من عند السلطان بما على يده من الخلعة إلى جسر يعقوب ، بعث إليه إينال الجَكَمىّ ساعياً يستحثه على سرعة القدوم إلى دمشق ، ثم أردفه بآخر حتى قدم ابن مَنْجَك إلى دمشق فى يوم السبت سابع شهر رمضان المذكور ، وخرج إينالُ إلى لقائه ، ولبس التَّشريفَ السلطانىَّ المجهزَ إليه على يد ابن مَنْجَك ، وقبَّل الأرض ،

---

(١) فى ا (اخو) .

(٢) فى ا وفى طبعة كاليفورنيا (مراعا) .

وركب الفرسَ المحضرَ معه[1] أيضاً ، ودخل إلى دمشق فى موكب جليل ، ونزل بدار السعادة ، فاطمأن أهل دمشق بذلك ، فإنه كان قد أُشيع أيضا بدمشق بعصيان نائبها المذكور .

فلما كان يوم الاثنين تاسعه ، ركب الأميرُ إينالُ الجكمى الموكبَ على العادة ، ودخل إلى دار السعادة ، وجميعُ أمراء دمشق وسائرُ المباشرين بين يديه ، وقد اطمأن كلُّ أحد بأن مَلِكَ الأمراء مستمرٌّ على الطاعة ، فما هو إلا أن استقر فى مجلسه أشار بالقبض على أعيان أمراء دمشق ، فأغلق البابَ وقبض على جميع الأمراء والمباشرين ، وكان القائمَ فى قبضِ الأمراء [الأميرُ][2] قانى باى الأبو بكرى الناصرى أتابكُ دمشق ، وقانْصُوه النَّوْرُوزى أحدُ مقدمى دمشق . والمقبوضُ عليهم أجلُّهم : الأميرُ بَرْسباى الحاجبُ وعدةٌ كبيرة أُخــــرَ يأتى ذكرُهم[3] . قال : وإن على باى العجمى وجانِبَك المحمودى المتوجهَيْن بتقليد نائبِ حلب وطرابلس وصلا[4] إلى غزة وأقاما بها .

فلما سمع السلطانُ هذا الخبرَ ، اضطرب وتشوَّش غايةَ التَّشْويش ، لأنه كان عليه أدهى وأمرَّ ، وجمَع الأمراء واستشارَهم فى أمر إينال وتغرى بَرْمَش فأشاروا[5] الجميع بسفره ، وتذكَّر السلطانُ قولَ آقبغا التَّمْرازى لمّا أشار عليه[6] قبل سلطنته أن يتوجَّه إلى البلاد الشامية ثم يتسلطن ، فلم تُفِده التذكرةُ الآن ، وانفض الموكبُ على أن السلطانَ يسافر لقتال المذكورين .

ثم فى يوم الأربعاء ، ورد الخبرُ على السلطان : أن الأميرَ قطج أتابكَ حلب ، وصل أيضاً إلى حماة ، وأن تغْرى بَرْمَش أخذ مدينةَ عين تاب وقلعتَها ، وأن عدةً

---

(١) فى ا « معه » والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا « ذكرها » .
(٤) فى ا « رحلا » والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) كذا فى ا وفى طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا « إليه » والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

من قبض عليه الأميرُ إينال الجَكَمى من أمراء دمشق تسعة عشر أميراً ، وأنه قبض أيضاً على جمال الدين يوسف بن الصفى الكَرَكى ناظر جيش دمشق ، وعلى القاضى بهاء الدين محمد بن حجى كاتب سر دمشق ، وأن على باى [١٠٣] وجانِبك المحمودى توجّها من غزة إلى الأمير إينال الناصرى العلائى نائبِ صَفَد .

ثم فى يوم الخميس عشرينه ، ورد على السلطانِ كتابُ الأمير تغرى بَرْمَش نائبِ حلب مؤرخاً[1] بثانى شهر رمضان ، يتضمن أنه فى اليوم[2] الثالث والعشرين من شعبان لبس الأميرُ حَطَط نائبُ القلعة ومَن معه بالقلعة السلاحَ ، وقاموا على سور القلعة ونصبوا المكاحلَ وغيرها ، وأمروا مَن تحت القلعة مِن أرباب المعايش وسكانِ الحوانيت بالنقلة من هناك . وأنه لما رأى ذلك ، بعث يسأل حَطَط عن سبب هذا فلم يجبه ، إلى أن كان ليلة التاسع والعشرين منه ركب الأميرُ قُطْلُج أتابكُ العساكر والأميرُ بَرْدبك الحاجب فى عدة أمراء لابسين السلاح ووقفوا تحت القلعة ، فبعث إليهم جماعةً من عسكره فكانت بين الفريقين وقعةٌ هائلة انهزم فيها قطلج ، وأنه باقٍ على طاعةِ السلطان ، وأنه بعث يسأل حطَطَ ثانياً عن سبب هذه الحركة ، فأجاب بأن الأميرَ بَرْدبك الحاجبَ ورد عليه مرسومُ السلطانِ بالركوب عليك وأخذك . وجهز تَغْرى بَرْمَش أيضاً محضراً ثانياً على قضاةِ حلب بمعنى ما ذكره ، وأنه باقٍ على طاعة السلطان ، وأنه لم يتعرض إلى القلعة ، فلم يعول السلطانُ على كتابه ولا على ما ذكره لِما سبقَ عنده من خروجه عن الطاعة — انتهى ما تضمنه كتاب تَغْرى بَرْمَش .

ثم ورد على السلطانِ كتابُ الأميرِ قارس نائبِ قلعة دمشق ، بأن الأميرَ إينال الجَكَمى أمرَ فنُودى بدمشق بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك العزيز يوسف ، وأن القاضىَ تقىَّ الدين بنَ قاضى شهبة ، قاضىَ قضاةِ دمشق ، دعا للملك العزيز على منبر جامع بنى أمية فى يوم الجمعة ، وأن الخطبةَ بقلعة دمشق باقيةٌ باسم السلطانِ الملكِ

(١) فى ا (مورخ) .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (يوم) .

الظاهر جَقْمَق ؛ كل ذلك والسلطانُ قد اجتمع[١] رأيُه على إخراج تجريدة إلى البلاد الشامية .

ثم فى يوم السبت حادى عشرين [شهر][٢] رمضان ، استقر القاضى بدرُ الدين محمدُ ابن قاضى القضاة ناصرِ[٣] الدين أحمد التَّنِّسى أحدِ خلفاء الحُكْمِ المالكية قاضىَ قضاةِ الديار المصرية ، بعد موت العلامةِ شمس الدين محمد بن أحمد البِساطى .

ثم أصبح السلطانُ من الغد فى يوم الأحد ابتدأ بعرض المماليك السلطانية ، وعيَّن من الخاصكية ثلاثمائةٍ وعشرين نفراً[٤] ، لسفر الشام مع مَن[٥] يأتى ذكرُه من أمراء الألوف وغيرهم .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشرينه ، خلع السلطانُ على الأمير الكبير آقْبُغا التَّمْرازى باستقراره فى نيابة دمشق ، عوضاً عن إينال الجَكَمى بحُكم عصيانه ، على كُرْه منه وتمنُّع كبير .

ثم فى يوم الثلاثاء أيضا عرض السلطانُ الخاصكيَّة وعين منهم للسفر ثلاثمائة وثلاثين خاصكيًّا ، لتتمة ستمائة وستين خاصكيًّا ، ثم نقَّص منهم خمسةً بعد أيام .

ثم فى يوم الأربعاء خامس عشرينه عيّن السلطانُ للسفر من أمراء الألوف : قَرَاخُجَا الحَسَنى رأسَ نوبة النوب ، وتَمُرْبَاى التَّمُرْبُغاوى ... تَمُرْبَغَا المشطوب ، ومن أمراء الطبلخانات : [الأميرَ][٦] طوخ من تِمْراز الناصرى رأسَ نوبة ثانى ، وهو مُسَفِّر الأتابك آقْبُغَا التَّمْرَازى ؛ ومن أمراء العشرات عشرةً ، وهم : أقطوه الموساوى ، وقد صار أميرَ طبلخاناة ، وتَنَم من عبد الرازق المؤيدى محتسب القاهرة ورأسَ نوبة ،

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (اتفق) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (شهاب) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (خاصكيا) .

(٥) فى ا (ما) .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم أعفى بعد ذلك ، ويَشْبَك من أَزُوبَاى الناصرى رأسَ نوبة ، وبايزير[١] من صَفَر خُجا الأشرفى رأس نوبة ، وآقْبَرْدى الأشرفى أمير آخور ثالث ، وقيز طوغان العلائى ، وسُودون الإينالى المؤيدى المعروف بقَراقَاس رأس نوبة ، وسُودون العجمى النوروزى رأس نوبة ، وسودون النوروزى السلاح دار رأس نوبة ، وجانِبَك النوروزى رأس نوبة ، وخُشْكلدى الناصرى البَهْلَوانْ .

ثم ورد الخبرُ على السلطان من الأمير طوغان العثمانى نائب القدس بأن إينال الجَكَمى ، أطلقَ الأمراءَ الذين قبض عليهم قبل تاريخه ، وحلَّفهم للملك العزيز يوسف ، وذلك بشفاعة قانى باى الناصرى البَهْلَوان أتابك دمشق ، فحزر أهل المعرفة أن أمر إينال الجَكَمى لا يتم لتضييعه الحزمَ فيما فعل من الإفراج عن الأمراء بعد أن تأكدت الوحشةُ بينهم ، ومع ما كان بينه وبين الأمير بَرْسباى الحاجب من خُصُوص[٢] الأنفس قديما ، ونفرت القلوب بذلك عن إينال الجَكَمى ، وأول من نفر عنه تَغْرى بَرْمَش نائب حلب ، وقال فى نفسه عن إينال المذكور : هذا فى الحقيقة ليس بخارج عن الطاعة ، وإنما قصد بالإشاعة عنه أنه عاص حتى أقدم عليه ويقبض علىَّ تَقَرُّبا لخاطر السلطان ، وهو معذور فى ذلك ، فإن مثل هؤلاء [١٠٤] ما كان يفرج عنهم بشفاعة ولا لشفقة عليهم ، وقد قصد ما قصد ، [ولله در المتنبى فى قوله] [٣] : [الكامل]

لا يَخْدَعَنَّك من عدوك دمعُهُ وارحم شبابَك من عدوٍّ تَرْحَمُ
لا يَسْلَمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانبِه الدَّمُ

ومن يومئذ أخذ أمرُ إينال الجَكَمى فى الاضمحلال قليلا ، واستخف كل أحدٍ عقله وتعجب من سوء تدبيره ، وكاد أخوه سُودون العجمى[٤] أن يموت قهرا لما بلغه عن أخيه إينال [ذلك] ،[٥] وهو يوم ذاك من جملة أمراء العشرات بالديار المصرية .

(١) فى ا (با ر ر)
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (حظوظ) .
(٣) ، (٥) من طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (الجكمى) والمثبت هو الصواب من طبعة كاليفورنيا .

ثم ورد الخبرُ على السلطان بأن الأمير إينال العلائى الناصرى نائب صَفَد خرج منها، وسار حتى نزل بالرَّمْلَة فى سابع عشر [شهر] (١) رمضان ، بعد ما أرسل إليه إينالُ الجَكَمى يدعوه لموافقته ، وأعلمه أيضا أنه ما قام فى هذا الأمر إلا وقد وافقه نواب الماليك ، وأركانُ الدولة وعظماء أمراء مصر ، فلم يلتفت إينال العلائى لكلامه ، ثم خشى أن يُكْبَس بصَفَد ، فخرج منها بعد أن جعل حريمه بقلعة صفد ، وسار حتى نزل الرملةَ ، فسُرَّ السلطانُ بذلك وكتب إليه بالثناء والشكر .

ثم فى يوم الخميس سابع عشرين [شهر] (٢) رمضان المذكور أنفق السلطانُ فى العسكرِ المجردِ إلى الشأم — وعدتهم ما بين خاصكيّ ومملوك : ستمائة واثنان وخمسون نفرا — كل واحد ثمانين (٣) دينارا .

ثم قدم الخبر بأن الأمير جُلْبّان ، المستقر فى نيابة حلب ، وصل إلى الرملة فى يوم الاثنين ثالث عشرين شهر رمضان فارًّا من تَغْرِى بَرْمَش نائب حلب ، وكان من خبر تغرى برمش نائب حلب أنه لما قوِىَ أمرُه وبلغه عصيانُ إينال الجَكَمى أيضا ، عظُم أمرُه واستدعى التركمان إلى حلب ، فقدم عليه منهم جماعة كبيرة إلى الغاية ؛ ثم عمل مُكْحُلَةَ (٤) عظيمة من نحاس ، ليرمى بها على قلعة حلب ، وأخذ مع هذا كله يستميل جماعة من أهل قلعة حلب فمالوا له فى الباطن ، وواعدوه على (٥) تسليم القلعة له ، وهو مع ذلك مستمر فى حصار القلعة المذكورة ، والنقب فى جُدر (٦) القلعة [عمّال] (٧) ، والقتالُ بينه وبينهم فى كل يوم يزداد ، إلى أن بلغ الأميرَ حَطَط نائب قلعة حلب ، عن (٨) وافق تَغْرِى بَرْمَش المذكورَ ، من أهل القلعة ، فقبض على الجميع ، وأخذ

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (ثمانون) .
(٤) راجع ما سبق لشرح هذه الكلمة ، وانظر صبح الأعشى ج٢ ص ١٣٦ .
(٥) فى ا (فى) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (جدور) .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (لمن) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

بعضهم وجعله فى المنجنيق ورمى به على تَنْرى بَرْمَش ، ثم قَتَل جماعةً منهم وجعل رؤوسهم على سور قلعة حلب ، فلم يكترث تنرى برمش بذلك واستمر على ما هو عليه من حصار القلعة حتى أشرف على أخذها ، فخوّفه بعضُ أصحابه من وثوب أهل مدينة حلب عليه وأشاروا عليه بأن ينادى لهم بالأمان ، فأمر بذلك .

وكان بلغ أهلَ حلب أن تَنْرى بَرْمَش يريد يأمر التركمانَ بنهب حلب ، فلما نودى بالأمان تحققوا ما كان قيل من نهب حلب ، وألقى الله فى نفوسهم أن يركبوا عليه ويقاتلوه قبل أن يأمر بنهبهم . فثارت العامة وأهل حلب بأجمعهم[1] بقسيّهم وسلاحهم على حين غَفلة ، وساروا يدًا واحدة واحتاطوا بدار السعادة وبه النائب تَنْرى بَرْمَش ؛ وقد تقدم أن تنرى برمش المذكور كان جبانًا غيرَ ثابت فى الحروب ، ضعيفَ القلب عند ملاقاة العدو ، وليس فيه [سوى][2] جودة التدبير وحسن السياسة بحسب الحال ، وبالنسبة لأمثاله من الجهلة فعندما بلغه وثوب أهل حلب عليه لم يثبت ، وذهب فارًّا يريد الخروجَ من المدينة ، وسار حتى خرج[3] من السور ، وصار[4] واقفًا[5] خارج السور فى نحو الأربعين فارسًا تخمينًا ، وقد نهبت العامةُ جميع ما كان له بدار السعادة ، من الخيول والأموال والسلاح وامتدت أيديهم إلى مماليك تَنْرى بَرْمَش وأتباعه يقتلونهم وينهبونهم .

وكان له المماليكُ الكثيرة المتجمِّلة فى لبسهم وسلاحهم، غير أنهم كانوا على مذهب أستاذهم فى الجبن والخوف[6] وعدم الثبات فى القتال ، ولم يظهر لأحد منهم نتيجة فى هذا اليوم ولا فى يوم مصافقته للعسكر المصرى ، بل هرب غالبهم وجاء[7] إلى العساكر المصرية قبل وقوع القتال ، وتركوا أستاذهم فى مثل ذلك اليوم مع عظم

---

(١) فى ا (بأجمعها) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (واقف) .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (الخور) والمثبت من ا ، والمعنى واحد .
(٧) فى ا (وجا) .

إحسانه لهم، وتخوُّلهم فى النِّعَم. وكانت هذه الوقعة فى يوم الثلاثاء عاشر شهر رمضان، بعد ما كان تَغْرى بَرْمَش حاصر القلعة ثلاثة عشر يومًا وتلاحق عدة من أصحاب تغرى برمش ومماليكه به ولم يجد له قوة للعود إلى حلب لقتال أهلها، فسار بمن معه يريد طرابلس، وانضم عليه الأمير طُرْ على بن صقل[1] سيز التركمانى بأصحابه، فلما قارب طرابلس لم يثبت الأمير [١٠٥] جلبان، وانهزم من طرابلس فى العاجل، إلى نحو الرملة حتى قدمها، وانضم على من كان بالرَّمْلة من النواب وغيرهم. وكان جلبان أيضًا من مقولة تَغْرى بَرْمَش فى القتال، غير أن أمره كان فى ستر لأمور لا تَخْفَى على أحد، فدقت البشائرُ لذلك، وسر السلطان بهذا الخبر، وتعجب الناس من نكبة تغرى برمش المذكور، مع قوة أمره وكثرة جموعه.

ولما وصل جلبانُ إلى الرَّمْلة واجتمع بالأمير إينال العلائى نائب صَفَد، والأمير طُوخ مازى نائب غزة، والأمير طُوغان العثمانى نائب القدس، اتفقوا على مكاتبة السلطان، فكتبوا له يستدعونه للسير بنفسه، بعد تجهيز العساكر بين يديه سريعًا، وكان قدم بهذا الخبر صَرْغَتْمُش السيفى تَغْرِى بَرْدِى أحد مماليك الوالد، وهو يوم ذاك دوادار الأمير جُلْبان، فخلع عليه السلطان فى يوم الأحد تاسع عشرينه باستقراره دوادارَ السلطان بحلب، عوضًا عن سُودون النُّوْرُوزى بحكم انتقاله إلى حُجُوبية حلب، بعد بَرْدبك العجمى المنتقل إلى نيابة حماه.

ثم فى هذا اليوم قدم الأمير جانِبك المحمودى المتوجه بتقليد قانى باى الحمزاوى بنيابة طرابلس، بعد أن وصل إلى الرَّمْلة ولم يتمكن من التوجه إلى حماه خوفًا من إينال الجَكَمى، فأثار عند قدومه إلى القاهرة سرورًا عظيمًا[2]، فإنه زعم أنه ظفر بكتب جماعة من الأمراء وغيرهم إلى العصاة ببلاد الشام، أوقف عليها السلطانَ، فتعجب السلطانُ من ذلك غاية العجب، فإنه كان من يوم جلس على

(١) فى ا (سقل) وفى عقد الجمان جـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٦٧٥ (صقلوز).

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (شرورا كبيرة) والمثبت من ا.

تحت الملك ويده ممدودة بالإحسان لكل أحد، حتى أنه ترقّى فى أيامه إلى الوظائف السنية والإقطاعات الهائلة جماعة من الأوْباش لم يكن لهم ذكر بين الناس قبل ذلك، وفيهم من لم أره قبل تاريخه ولا أعرف شكله جملة كافية، وصار منهم السقاة، ورؤوس نُوَب الجمدارية، والجمقدارية، وسلاح دارية، وغير ذلك، وأثرى(١) منهم جماعة ممن كان غالب معيشته بالشحاذة والتكدّى، لكثرة ما أغدق عليهم [الملكُ](٢) الظاهر جَقْمَق بالعطاء، وصار ينعم عليهم بالأقمشة الفاخرة، حتى أنه وهب لبعضهم الكوامل المخمل المنقوشة بأطواق السمّور وبالطرز الزركش العريضة، وهو مستمر على ما هو عليه ليوم تاريخه؛ فلما وقف على الكتب قال: هذه مفتعلة، ولم ينتقم على أحد، وأخذ فيما هو فيه من تجهيز العساكر.

فرار الملك العزيز

ثم أصبح من الغد فى يوم الاثنين سلخه عُملت الخدمةُ بالقصر على العادة، وبينما هو فى ذلك بلغه من الأمير قَرَاخُجَا الحَسَنى رأس نَوْبة النوب فرارُ الملك العزيز يوسف من محبسه بدور قلعة الجبل — أعنى سكنه، فإنه كان سكن بقاعة البربرية(٣) من الحريم السلطانى — فاستبعد السلطانُ ذلك وندب بعضَ خواصه أن يتوجه إلى الأمير فَيْروز الزمام ويسأله عن صحة هذا الخبر، فمضى المذكورُ لفيروز وسأله عن لسان السلطان فأنكر فيروز ذلك، ودخل من وقته فلم يجد العزيزَ فى مكانه، ووجد نَقْباً بقاعة البربرية يُتَوصل منه إلى المطبخ السلطانى فعاد القاصدُ بصحة الخبر على السلطان. فلما تحقق السلطانُ ذهابَ [الملكِ](٤) العزيز كادت روحُه أن تزهق، وعظم عليه الخبر، ونسى ما كان فيه من أمر إينال الجَكَمى وتَغْرى بَرْمَش، وعرّف السلطانُ الأمراء

(١) فى ا (واثرا).
(٢) عن طبعة كاليفورنيا.
(٣) راجع ما سبق.
(٤) عن طبعة كاليفورنيا.

وأكابرَ الدولة بذلك ، فما منهم إلا من ظهر عليه الخوف والفزع . وماجت المملكة ، وكثر الكلام ، واختلفت الأقاويل فى أمر [الملك][1] العزيز وفراره ، وفى أين توجّه .

وكان من خبر العزيز — على اختلاف النقول — أن الملكَ العزيز لما حُبس بقاعة البربرية من الدور السلطانية[2] ، أقرّ [الملكُ][3] الظاهرُ عنده دادتَه سِرَّ النَّديم الحبشية ومعها عدة جوار أُخر سراريّ الملك العزيز ، ومرضعته أيضا ، ورسم لمرضعته أنها تخرج إلى حيث شاءت ، وجعل القائمَ فى خدمة [الملك][4] العزيز لقضاء حوائجه طواشياً[5] هنديا من عتقاء أمه خَوَنْد جُلْبَان يسمى صَنْدَلا[6] ، وسِنُّه دون العشرين سنة ، فصار صندل المذكور يتعاطى [حوائجَ العزيز ، ويقبض له ما رُتِّب له من النفقة من أوقاف أبيه ، فاحتوى صَنْدَلُ على جميع أمور الملك العزيز ، وعرف جميع][7] أحواله .

وكان عند الطواشى يقظة ومعرفة ، وبقى كلما بلغه عن الملك العزيز شىء يبلغه له ، فأشيع بالقاهرة أن السلطانَ يريد يرسل [الملك][8] العزيز إلى سجن الإسكندرية ، ثم أشيع أنه يريد يكحله ؛ فبلّغه صندل المذكور جميع ذلك ، نخاف العزيز خوفا عظيما ، ثم بلغه أن بعضَ علماء العصر أفتى بقتل العزيز صيانةً لدماء المسلمين ، من كونه مخلوعاً[9] عن الملك وله شوكة ، والملك الظاهر متولٍّ ولم يكن له شوكة ، فإن أُبقى على العزيز ربما تثور شوكتُه ويقاتل السلطانَ ، [١٠٦] فيقع بذلك الفساد وتسفك دماء كثيرة من المسلمين .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (السلطانى) .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا وفى طبعة كاليفورنيا (طواشى) .
(٦) فى ا (صندل) .
(٧) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (مخلوع) .

فلما بلغ العزيزَ ذلك — على ما قيل — حار فى أمره ، فحسّن له صندلُ المذكور الفرار ، فاستبعد العزيزُ وقوعَ ذلك ، ثم وافقه . وكان للملك العزيز طباخ[1] يسمى إبراهيم من أيام والده ، فداخله صندلُ فى الكلام بفرار العزيز ، فأجابه إبراهيمُ المذكور أنه ينهض بذلك ، ويقدر على خروجه من القلعة بحيلة يدبرها . ثم أمر إبراهيمُ الطباخَ صندلا أن ينقب من داخل القاعة نقبا يصل إلى المطبخ المذكور ، وأن إبراهيم ينقب من خارج المطبخ مقابِلَه ، فأمر العزيزُ جواريه بالنقب من داخل القاعة مساعدةً للطباخ ، حتى تهيأ ذلك . وتم هذا ، وصندلُ يتحدث مع جماعة من المماليك الأشرفية فى مساعدة [الملك[2] العزيز إذا خرج ونزل من القلعة ، فدل إلى ذلك جماعة : منهم طُوغان الزَّرَدْكاش ، وأَزْدَمُر مُشِدّ [الملك][3] العزيز أيام أبيه ، فى آخرين من [المماليك][4] الأشرفية ، وبذلوا لصندل الطاعةَ فى ذلك ، ورَغَّبُوه فى نزول الملك العزيز إليهم ، واستحثوه على ذلك .

وتكلم طوغانُ الزَّرَدْكاش مع جماعة أخر من الأشرفية ، فمال الجميع إلى نزوله إليهم ، مع عدم الاتفاق مع أكابر الأشرفية ، ولا تشاوروا فى ذلك ، بل صاروا يحرضون [صندلا][5] على نزوله ، ولم يعينوا له[6] مكانا[7] يجلس فيه إلى[8] أن يفعلوا له ما هو قصدهم ، فلم يُعرِّف صندلُ العزيزَ ذلك ، بل صار يمليه بخلاف الواقع ، إلى أن انتهى النقبُ المذكور .

فلما كان وقت الإفطار من ليلة الاثنين سلخ شهر رمضان من سنة اثنتين وأربعين ، والناسُ فى شغل بالصلاة والفطر ، أخرج الطباخُ الملكَ العزيزَ من النقب عريانا مكشوفَ الرأس ، فألبسه الطباخُ من ثيابه ثوباً مملوءا بسواد القدور والأوساخ ، وحمّله قدراً فيه

(١) فى ا (طباخا) .
من (٢) إلى (٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (لم) .
(٧) فى ا (مكان) .
(٨) فى ا (إلا) .

طعام ، وقيل صَحْنًا فيه منوع الطباخين من الطعام ، يوهم الطباخُ بذلك أنه صبيُّه ، ثم جعل على يده خافقيّةً فيها طعام ، وغيرَّ وجهَ الملكِ العزيز ويديه بالزفر وسواد القدور .

وخرجا جميعاً من غير هرج ولا اضطراب ولا خوف حتى وصلا إلى باب القلعة ، فوافاهم(١) الأمراء والخاصكية وقد خرجوا بعد إفطارهم من عند السلطان ، فلما رأى(٢) إبراهيمُ الطباخُ الأمراءَ والخاصكية خاف أن(٣) يفطن به أحد ، لجمال وجهه وحسن سمته ولما عليه من الرَّوْنَق ، فضربه(٤) ضربةً بيده وسبّه، يريد بذلك أنه صبيُّه ، ويستحثه على سرعة الحركة والمشى، ليردَّ الوهمَ عنه بذلك ، فأسرع الملكُ العزيز فى المشى وسارا(٥) حتى نزلا من قلعة الجبل ، فإذا صندلُ وطوغانُ الزَّرَدْكاش وأَزْدَمُر مُشِدُّ العزيزِ فى آخرين واقفين فى انتظاره(٦) ، فحال ما رأوه قبّلوا يده وأخذوه إلى دار بعضهم ، فأنكر العزيزُ ذلك منهم ، ونهر صندلاً الطّواشى ، وقال : ما على هذا أنزلت ؛ وكان فى ظن العزيز أنه ساعةَ ما ينزل إليهم ، يأخذوه ويركبون(٧) به إلى جهة قبة النصر أو غيرها بجموعهم ، ويقاتلون(٨) السلطانَ الملكَ الظاهر ، حتى يملكوا منه القلعة ، على ما كان صندلُ يقول له مثل ذلك .

وأراد العزيزُ العَوْدَ إلى مكانه بالقلعة فلم يمكنه ذلك ، وقام طوغانُ فى منعه ووعده بقيام جميعِ خُشْداشِيَّتِهِ من الأشرفية بنصرته ، وأنهم اتفقوا على ذلك ، وأنهم إلى الآن لم يصدّقوا بنزول الملك العزيز ، فإذا علموا ذلك

(١) فى ا (وافاهم) .
(٢) فى ا (را) .
(٣) فى ا (لا) والمثبت من طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (ضربه) .
(٥) فى ا (وصارا) .
(٦) فى ا (فى انظاره) .
(٧) فى ا (ويركبو) .
(٨) فى ا (ويقاتلوا) .

اجتمع(١) الكلُّ فى القيام بنصرة الملك العزيز ، فإن(٢) لم يفعلوا ذلك أخذه هو وسار به إلى بلاد الصعيد ، عند الأمير يَشْبَك الشُّودونى أمير سلاح المجرد قبل تاريخه لقتال عرب الصعيد ، وكان صحبة يشبك جماعة كبيرة من المماليك الأشرفية نحو سبعمائة مملوك ، مع ميل يَشْبَك إلى الأشرفية فى الباطن ، لكونه كان ممن أنشأه الملك الأشرف بَرْسباى ورقّاه .

ثم افترقوا ، واختفى الملكُ العزيز ومعه صندل وأَزْدَمُر وإبراهيم الطباخ فى مكانٍ ليلتَه ، ثم تنقّل فى عدة أماكن أخر ، وأخذ طُوغانُ فى الكلام مع خُجْداشِيته الأشرفية فى القيام بنصرة ابن أستاذهم الملك العزيز ، فاعتلُّوا بأن غالبَهم قد توجه إلى بلاد الصعيد ولم يجيبوا له دعوة ، فلما علم منهم ذلك ركب هجنا وسار إلى بلاد الصعيد لإعلام الأمير يَشبك والمماليك الأشرفية بنزول الملك العزيز إليه ، ودخل جماعة كبيرة منهم إلى الأمير إينال الأبوبكرى الأشرفى ، وكلّموه فى القيام بنصرة ابن أستاذه(٣) ، فخاف العواقب ولم يوافقهم ، وتسحّب من داره على بغل ثم نزل ماشيا واختفى .

هذا ما بلغنا من أفواه الناس ، فإنى لم أجتمع مع إينال المذكور بعد ذلك ؛ هذا والسلطانُ وحاشيته(٤) قد عظم قلقهم ، وصار السلطانُ لا يعلم أين ذهب [الملك](٥) العزيز ، ولم يشك هو وغيره أن [١٠٧] الأميرَ إينال الأبوبكرى أخذ العزيزَ على هجنه المجهزة لسفر الحجاز ، فإنه كان وَلِى إمرةَ الحاجِّ ، وسار إلى الأمير إينال الجَكَمى . قلت : ولو فعل إينالُ ذلك لكان تم له ما قصد ، لكثرة هجنه(٦) ورواحله وعظم حواشيه من

(١) فى ا (اجتمعوا) .
(٢) فى ا (وان) .
(٣) فى ا (استاذهم) .
(٤) فى ا (وحاشيتهم) .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (جمته) .

خُجْداشِيِه[١] وغيرهم ، وكان ذلك هو الرأى فحسّن الله له[٢] غير ذلك ، حتى يصل كل موعود إلى ما وُعد .

كل ذلك فى يوم سلخ رمضان . فلما كان الليلُ ، وهى ليلة عيد الفطر التى تَسَحَّبَ فيها إينالُ المذكور ، تفرّقت المماليكُ المؤيدية وغيرهم إلى طرقات القاهرة ، ودار منهم طائفة كبيرة حول القلعة وبالقرب من بيت إينال المذكور ، مخافةَ أن يخرج إينالُ فى الليل بِلَـكِ العزيز ، وكثر هرجُ الناس فى تلك الليلة وتخوّفُوا من وقوع فتنة من الغد . ومضت تلك الليلة على أبشع وجه من اضطراب الناس وتخوفهم ، وأصبح السلطانُ صلى صلاةَ العيد بجامع القلعة وهو على تخوف ، وقد وقف جماعة بالسلاح مصلتاً على رأسه حتى قضى صلاته . وخطب قاضى القضاة شهابُ الدين بن حجر وأوجز فى خطبته ، كما أسرع فى صلاته ، وعندما فرغ من الخطبة ، وصل الخبرُ للسلطان بأن الأمير إينال تسحب فى الليل ، فعظم الخطب . فلما علم[٣] السلطان بتسحُّبِ إينال أمر فنودى بالقاهرة أن لا يتخلف أحد من المماليك [عن الخدمة ، وهدد من تخلف بالقتل ، فلما طلعوا قبض على جماعة من المماليك][٤] الأشرفية ، ثم نودى أيضاً فى الناس بإصلاح الدروب وغلقهم أبوابَ دورهم، وأن لا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة ، وصارت أبوابُ القاهرة تغلق قبل عادة إغلاقها[٥] من الليل ، فكانت ليلة هذا العيد ويومه وثانيه من الأيام النكدة البشعة .

ثم فى يوم الخميس ثالث شوال خلع السلطان على الأمير تنبك البَرْدبَكى ، أحد مقدمى الألوف باستقراره أميرَ حاجِّ المحمل ، عوضاً عن إينال المذكور ، بحكم تسحبه ، وخلع على قراجا الناصرى الخاصكى البواب باستقراره والىَ القاهرة ،

---

(١) فى ا (خجداشيهم) .

(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (اعلم) .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

بعد عزل علاء الدين على بن الطَّبْلاوى ، وخلع على الأمير ممجق النَّوْرُوزى أحد أمراء العشرات باستقراره فى نيابة قلعة الجبل عوضاً عن تنبك المستقر فى إمرة حاج المحمل ، وفيه أيضا أمسك السلطانُ جماعةً [كبيرة][1] من المماليك الأشرفية .

ثم فى يوم الجمعة رابع شوال سار عسكر من الخاصكية إلى جهة الغربية تزيد عدتهم على سبعين فارسا ، لمسك الأمير قراجا الأشرفى أحد مقدمى الألوف ، وكان وَلِىَ كشف الجسور[2] بالغربية ، فسار العسكرُ المذكور إلى جهة المحلة ، وبلغ قراجا ذلك فخرج إليهم وسلّم نفسه ، فأخذ وقيد وحمل إلى الإسكندرية فسجن بها .

وأما السلطان فإنه أصبح فى يوم [السبت] خامس[3] شوال عزل الأميرَ أرْكماس الظاهرى عن الدوادارية الكبرى ، وأُخذت خيوله وخيول الأمير قراجا المقدم ذكره .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) المقصود بكشف الجسور ، هو الإشراف على الجسور المعروفة باسم الجسور السلطانية ، وهى الجسور عامة النفع ، التى تقيمها الدولة ، ممثلة فى شخص السلطان . وكُشَّاف الجسور موظفون من قبل السلطان يعينون فى كل إقليم ، يتغيرون من وقت إلى آخر . ومن هؤلاء الكشاف فريق يعرف باسم « كُشَّاف التراب » يندبون مرة فى كل عام زمن الربيع ، لاستخراج ما هو مقرر على البلاد من « الحفير والجرافى » . والحفير هو التراب الذى يوضع فى الأماكن التى يجرفها ماء الفيضان كل سنة : أما الجرافى أو الجراريف ، فهى الآلات التى يجرف بها التراب لإقامة الجسور وحفظها عند الفيضان . وبجانب هذا المقرر ، هناك رسم يعرف باسم « مقرر الجسور » ، يجبى من أصحاب الإقطاعات ، نظير تكفل الدولة بإقامة هذه الجسور العامة . يقول المقريزى ، إنه منذ عهد السلطان فرج بن برقوق صار يجبى من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شىء البتة ، بل يرفع إلى السلطان ، ويتفرق أكثره بأيدى الأعوان : ويسخر أهل البلاد فى عمل الجسور ، فيجىء الخلل .

أما الجسور الخاصة ، فهى التى اشتهرت فى العصر المملوكى باسم (الجسور البلدية) ، وهى التى ويخص نفعها ناحية دون أخرى ، وليس للمشرفين من كشاف التراب عليها أية سلطة ؛ وهذه يقيمها المقطعون والفلاحون ، وإذا حدث وانتقل إقطاع عن صاحبه خلال السنة ، حوسب المقطع الجديد على ما أنفق سابقه فى إقامة الجسور (انظر : الخطط – طبعة النيل – حـ١ ص ١٦٢–١٦٣ ، ١٧٨ ؛ طبعة بولاق حـ ٢ ص ١٦٥ وما يليها ؛ زبدة كشف الممالك ص ١٢٩ ؛ السلوك حـ١ ص ٦٣٨ حاشية ٣ ؛ حـ٢ ص ١٣٧–١٣٨ ؛ النجوم الزاهرة حـ ٩ ص ٣٨–٤٠ ؛ بدائع الزهور حـ٢ ص ١١٢ ، ١١٧ ، ٢٣٣ ؛ صبح الأعشى حـ٣ ص ٤٤٨–٤٥٠ ، حـ٤ ص ٢٥ ، ٦٥) .

(٣) فى ا (فى يوم الخميس خامس شوال) – انظر الفقرة السابقة .

ثم فى يوم الاثنين سابع شوال نودى بأن من وجد أحدا من غرماء السلطان وطلع به فله خمسمائة دينار وإقطاع ، ومن غُمز عليه أنه أخفى أحداً منهم حلّ ماله ودمُه ؛ هذا والمؤيدية قد تجردت للفحص عن الملك العزيز وعن المماليك الأشرفية فى جميع الأماكن ، وقبضوا على جماعة من غلمانهم حتى دلّوهم على أماكن بعضهم ، وصاروا يكبسون الدور والترب وديارات[1] النصارى والبساتين وضواحى القاهرة ومصر ، ويمرون فى الليل فى الأزقة متنكّرين ، فإنهم صاروا [هم][2] أكثر تخوفا[3] من السلطان على نفوسهم[4] .

وسبب ذلك أن طائفةَ المماليك المؤيدية كانوا قاموا مع السلطان الملك الظاهر فى [أمر][5] سلطنته أتم قيام ، مع من ساعدهم من جميع الطوائف ، غير أنهم كانوا هم أشدّ بأسا فى ذلك ؛ فلما تسلطن الملكُ الظاهر عرف لهم ذلك ورقاهم وقرّبهم ، حتى صاروا هم عَقْدَ المملكة وحَلَّه وتحكموا فى الدولة ، وأخرجوا المماليك الأشرفية من الديار المصرية إلى السجون وإلى الثغور وإلى البلاد ، وأهانوهم بعد عزهم واتضع جانبهم بعد [١٠٨] رفعتهم .

فلما وقع لهم ذلك جدّوا فى الإغراء بالملك العزيز وقتله خوفَ العواقب ، فلم يسمع لهم السلطانُ ، فحسّنوا له أن يكحله فلم يوافق أيضا على ذلك ، فلما ثار الأمير إينال الجَكَمى نائب الشام ودعا للملك العزيز ، وكان تغرى بَرْمَش نائب حلب أيضا أعظم ميلا[6] للملك العزيز لكونه نَشْءَ والده الملك الأشرف [برسباى][7] ، تحققت المؤيدية أنهم مقتولون أشر قِتلة ، إنْ مَلَكَ العزيز ثانيا وصار لشوكته دولة ، فحرّضوا

(١) ديارات النصارى هى الأديرة التى يعيش فيها الرهبان . والمعروف أن مصر هى مهد الرهبانية والديرية ، إذ قام فيها هذا النظام لأول مرة فى تاريخ المسيحية منذ القرن الثالث الميلادى ، ومصر يومئذ تحت الحكم البيزنطى .

(٢) ، (٥) ، (٧) من طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (تخيف) .

(٤) فى ا (نفسهم) .

(٦) فى ا (ميل) .

عند ذلك السلطانَ على قتله ، واستفتوا العلماء فى ذلك فكتب بعضهم على قدر ما أنهى له فى الفتوى ، وامتنع البعض . ثم اشتهر بالقاهرة أنه إذا فرغ شهرُ رمضان يفعل بالعزيز ما هو القصد ، وتكلم الناس بذلك . واتفق فرارُ العزيز ، إما لما بلغه هذا الخبر أو لمعنى آخر ، وأكثر قول الناس أنه لم يفر إلا لما خامر قلبه من الخوف ، والله أعلم .

ثم لما بلغ إينالَ الأشرفى خبر العزيز وتسحبه ، واستدعته خُجْداشيَّتُه بالقيام فى نصرة ابن أستاذه فلم يوافق ، وخاف إن طلع القلعةَ من الغد يُمسَك ، اختفى . فلما أصبح النهار وبلغ السلطانَ والناسَ فرارُ العزيز وتسحُّب إينال ، لم يشك الناس فى أن إينال أخذ العزيزَ ومضى إلى إينال الجَكَمى ، ثم اختلفت الاقوال ، فعند ذلك علموا المؤيديةُ أنهم أشرفوا على الهلاك ، وأنهم ركبوا الأخطار فيما فعلوه فى أمر [الملك](1) العزيز ، فحينئذ جدوا فى الفحص عن أمره ، لبقاء مهجتهم لا لنصرة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار الملكُ الظاهرُ يأخذ النارَ بيد غيره ، وهو فيما هو فيه من تجهيز العساكر لقتال الجَكَمى وتغرى بَرْمَش .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن شوال أنعم السلطان بإقطاع الأمير قراجا الأشرفى على ولده المقامِ الناصرى محمد ، وصار محمد [المذكورُ](2) من جملة أمراء الألوف ، وأجلس تحت الأمير جَرِبَاش الكريمى أمير مجلس ، وهذا بخلاف العادة ، فإن العادةَ جرت من دولة [الملك](3) الظاهرِ برقوق إلى يومنا هذا ، أن ابنَ السلطانِ لا يجلس إلا رأسَ الميسرة فوق أمير سلاح ، فكلمه الأمراء فى ذلك فلم يرض ، وما فعل(4) [الملكُ](5) الظاهر هذا الأمر وأمثاله إلا لعدم ثبات ملكه ولاضطراب دولته ، بسبب خروج النواب عن الطاعة ، وأيضاً تسحُّبِ العزيز — انتهى .

من (1) إلى (3) ، (5) عن طبعة كاليفورنيا .

(4) المثبت عن طبعة كاليفورنيا وفى ا (وكان ما فعله) .

ثم أنعم السلطانُ بإقطاع إينال الأشرفى الأبو بكرى على الأمير جَرِباش الكريمى قاشق ، وأنعم بإقطاع جرباش على الأمير شادبك الجَكَمى المعزول عن نيابة الرُّهَا ، وهو يومَ ذاك أحدُ أمراء الطبلخاناة ، وإقطاع جَرِباش والذى أخذه كلاهما تقدمة ألف ، غير أن الخراج يتفاوت بينهما . وأنعم السلطان بإقطاع أزْكَماس الظاهرى على الأمير أَسَنْبُغَا الطيارى الدوادار الثانى ، وأنعم بإقطاع شادبك على الأمير جَرِباش المحمدى الناصرى المعروف بكُرْد[1] ، وأنعم بإقطاع الأمير أسَنْبُغَا الطيَّارى على الأمير دُولات باى المؤيدى الأمير آخور الثانى ، وكلاهما طبلخاناة . كل ذلك والقبض على الأشرفية مستمر ، مع الكتابة إلى الأعمال بأخذ الطرقات عليهم برًّا وبحراً ، والسلطانُ يستحث آقْبُغَا التَّمْرازى نائب الشام على السفر فى كل قليل .

فلما كان يوم الخميس عاشر شوال برز آقْبُغَا التَّمرازى بمن معه من القاهرة إلى الرَّيدانية ، بعد أن خلع عليه السلطانُ خلعة السفر ، فلما لبسها وجاء إلى السلطان ليقبل يده قام له السلطانُ واعتنقه ، فمسك آقْبُغَا يده وقال له : يا خَوَنْد ، لا تُغير نيَّتَك ، فقال السلطان : لا والله . ثم تأخر بخلعته ووقف على ميمنة السلطان ، لأن السلطانَ [كان][2] شرط له أنه لا يخرج عنه إقطاع الأتابكية ووظيفتها إلى أن ينظر فى أمر الجَكَمى ما سيكون ، فلهذا المقتضى وقف آقْبُغَا فى منزلة الأتابكية على ميمنة السلطان ، وكان حقه الوقوف على الميسرة كما هى عادة منازل نواب دمشق ، مع أن الأمير يَشْبُك الشُّودونى أمير سلاح ترشح للأتابكيّة وهو مجرد ببلاد الصعيد ، وأخرجت وظيفة إمرة سلاح عنه فى هذا اليوم ، ولكن بغياب يَشْبُك فالأتابكية شاغرة .

ثم خلع السلطانُ بحضرة آقْبُغَا المذكور على الأمير تَمْراز [١٠٩] القُرْمُشى

(١) فى ا (كرد) وتكتب أحيانا (كرت) ومعناها كثير الشعر (عن الضوء اللامع) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

الأمير آخور الكبير باستقراره أميرَ سلاح عوضًا عن يَشْبَك الشودونى ، وقد رشح يشبك للأتابكية عوضًا عن آقْبُغَا التَّمرازى المذكور ، وخلع على الأمير قراخُجا الحسنى رأس نوبة النوب باستقراره أميرَ آخور كبيراً عوضًا عن تمراز القُرْمُشى وهو يومَ ذاك مقدم العساكر ؛ وأمر السلطانُ ولدَه المقامَ الناصرى محمدا بسكنى الحرّاقة من باب السلسلة ، إلى أن يعود الأميرُ قراخُجا الحسنى من سفره بالبلاد الشامية ، ونزل تمراز القُرْمُشى من باب السلسلة فى يومه .

وخلع السلطانُ على الأمير تَغْرِى بَرْدى البَكْلَمُشى المعروف بالمؤذى، حاجب الحجاب، باستقراره دواداراً كبيراً عوضًا عن أرْكَمَاس الظاهرى ، واستقر الأميرُ تَنْبَك البَرْدبَكى أميرُ حاج المحمل حاجبَ الحجاب ، غير أنه لم يلبس خلعة الحجوبية فى هذا اليوم ؛ ثم خلع السلطان على الأمير تَمُرْباى التَّمُرْبغَاوى المعزول عن نيابة الإسكندرية باستقراره رأسَ نوبةِ النُّوَب عوضًا عن قَرَاخُجا الحسنى بحكم انتقاله أميرَ آخور ؛ وتَمُرْباى هذا أيضًا ممن عُيّن لسفر التجريدة .

ثم خلع السلطان على دُولات باى المحمودى [الساقى المؤيدى] (١) الأمير آخور الثانى باستقراره دواداراً ثانيًا عوضًا عن أَسَنْبُغَا الطَّيَّارى ؛ وخلع السلطان على الأمير جَرِبَاش المحمدى كُرْد باستقراره أميرَ آخور ثانيًا بعد دُولات باى المؤيدى ، فامتنع جَرِبَاش المذكور من قبول ذلك لكونه يلى الأمير آخورية الثانية عن دُولات باى وهو أقل منه رتبة ، حتى استعطفه السلطان وقرّره على رتبته ، ونزل آقبغا وقَراخُجا وتَمُرباى — الجميع بخلعهم — إلى مخيمهم بالرَّيْدانيةً حسبما تقدم ذكرُه ، ثم تبعتهم العساكرُ المجردة من المماليك السلطانية وأمراء الطَّبْلَخانات والعشرات وغيرهم .

وفى هذا اليوم قدِم الأمير يونس الرُّكْنى الأعور ، أحد مقدمى الألوف

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

بدمشق، فارًّا من إينال الجَكَمى، فأكرمه السلطان وأنعم عليه بزيادة جيدة على إقطاعه وتَقْدِمَتِه[١] بدمشق .

وأقام آقْبُغا التمرازى بالرَّيدانية إلى يوم السبت ثانى عشر شوال ، فرحل منها واستقل بالسير إلى الشام .

وفى يوم السبت هذا نفى السلطانُ إمامَ الملكِ الأشرف نورَ الدين عليًّا السويفى إلى دمياط .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشر شوال رحل الأمير قَرَاخُجَا الحسنى الأميرُ آخور الكبير ، والأميرُ تَمُرْباى التَّمُرْبغاوى رأسُ نوبة النُّوَب بمن معهما من الأمراء والمماليك السلطانية من الرَّيدانية إلى جهة الشام .

وفيه ورد الخبر على السلطان بأن إينالَ الجَكَمى برز بمخيمه من مدينة دمشق إلى ظاهرها ، فلما كان يوم الخميس ثالث شوال المذكور ، عزم هو على الخروج من المدينة بنفسه إلى مخيمه ليسير بمن معه إلى نحو الديار المصرية ، فبينما هو فى ذلك ركب عليه الأميرُ قانى باى الأبوبكرى الناصرى البَهْلَوان أتابكُ دمشق ، وكان ممن وافق الجَكَمى على العصيان وحسّن له ذلك ثم تركه ومال إلى جهة السلطان ، وركب معه الأمير بَرْسباى الناصرى حاجبُ الحجاب بدمشق وجميع أمراء دمشق وعساكرها ، ولم يبق مع إينال من أعيان أمراء دمشق إلا جماعة يسيرة ، مثل الأمير قَنْصُوه النَّوْرُوزى أحد مقدمى الألوف بدمشق ، والأمير تَنَم العلائى المؤيدى الدوادار ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، والأمير بيرم صوفى [أحد الطبلخاناة بدمشق أيضاً][٢] والأمير مَسْرُوق أخو الملك الظاهر طَطَر ، وجماعة أخر يسيرة جدا ، أعيانهم من ذكرناه .

فلما بلغ إينالَ الجَكَمى ركوبُ هؤلاء عليه ، مال عليهم وقاتلهم ، فلم يثبتوا له وانهزموا أقبح هزيمة ، ثم تراجعوا لحمل عليهم فانكسروا وتمزقوا شذر مذر ، وطلع

---

(١) فى ا (تقدمة) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

قانى باى البَهْلوان إلى قلعة دمشق فى جماعة كبيرة من الأمراء ، وتوجه غيرُهم إلى عدة أماكن . وكان سبب مخالفة قانى باى وغيره لإينال الجَكَمى بعد موافقتهم له ، أن السلطان أرسل مُلَطَّفات إلى قانى باى المذكور وغيره من أمراء دمشق يستميلهم إليه ، ووعدهم بأشياء كثيرة ، فلما سمعوا ذلك مالوا إليه وتركوا ما كان بينهم وبين إينال الجكمى من العهود والمواثيق ، ولم يستعيبوا ذلك لكون [أن](1) هذا الغدر صار عادة لمن تقدمهم .

ولما كتب السلطان المُلَطَّفات المذكورة ، أرسلها [١١٠] إلى الأمير خُشْكَلْدِى السيفى يَشْبَك بن أزْدَمُر ، وهو يوم ذاك نائب قلعة صَفَد ، فبعث بها خُشْكَلْدِى المذكور على يد نصرانى إلى بهاء الدين محمد بن حجى كاتب سر دمشق ، ففرّقها بهاء الدين على أربابها ، فحال ما وقفوا عليها مالوا بأجمعهم إلا(2) من ذكرناه ممن ثبت مع إينال ، وقالوا : نحن وافقناه ، فلا(3) نبرح عنه إلى الممات أو يقضى الله أمراً كان مفعولا . وكان أكثر من وعده من أمراء دمشق الأمير سُودون أخو مامَش المؤيدى ، والأمير تَمَ العلائى المؤيدى من خجْدا شِيهما المؤيدية ، فلم يلتفتوا إلى كتبهم واستقبحوا الغدر والخيانة ، فلله دَرُّهما .

وأنا أقول : أما طاعة السلطان فهى واجبة على كل أحد ، والعصيان ومخالفة السلطان لا يجوز ولا يستحسن ، لكن أيضاً يقبح بالرجل أن يدخل إلى ملك ويحسّن له العصيان والثَّوَران ، ولا يزال به حتى يقع فى ذلك ، بعد أن يعطيه العهودَ والمواثيقَ على موافقته(4) والقيام بنصرته ، ثم يتركه بعد تورطه ودخوله فى ذلك ، لأجل النَّزْر اليسير من حطام الدنيا(5) أو لتناوله ولاية من الولايات ؛ وعندى أن هذا لا يقع

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (إلى) .
(٣) فى ا (فلم) .
(٤) فى ا (على مخالفته وموافقته) ولا موضع للكلمة الأولى ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

إلا من نذل ساقط [الهمة][1] والمروءة لا نخوة له ، والأنفس الكريمة تأبى ذلك ولو مسّهم الضر ، والرجل الفَحْل[2] هو الثابت على قوله ، والمصرّ[3] على طاعة سلطانه حفظا لدينه ودنياه ، فإن لم يكن ذلك وأطاع شيطانه وركب هواه ، فليتمّ على ما قصده من ركوب الأهوال واقتحام الخطوب وهجوم الحروب ، فإما وإما ؛ وما أحسن قول عنترة فى ذلك حيث يقول : [الوافر]

أرومُ من المعالى مُنْتَهاها ولا أرضى بمنزلةٍ دَنيّه
فإمّا أن أُشَال على العَوالى وإمّا أن توسّدَنى المنيّه

فلما وصل هذا الخبر إلى السلطان ، سُرَّ بذلك ودقت البشائر بالديار المصرية .

ثم ورد الخبر على السلطان من بلاد الصعيد أن الأمير يَشْبَك أمير سلاح انتهى بمن معه من العساكر السلطانية فى طلب عرب هَوّارة إلى مدينة إسنا ، فلم يقع بهم ، وأنه رجع بالعساكر إلى مدينة هُوّ ،[4] فقدم عليه بها من المشايخ الصلحاء جماعة ومعهم طائفة من مشايخ هوارة ، راغبين فى [دخول][5] الطاعة [للسلطان][6] وحلفوا على ذلك ، وأنه[7] قدم عليهم بعد ذلك فى يوم الأحد سادس شوال طُوغانُ الأشرفى السِّرّدَ كاش ، أحد الدوادارية الصغار ، ودعا العسكر إلى طاعة الملك العزيز والقيام بنصرته ، وذكر لهم أنه خرج من محبسه بقلعة الجبل ونزل إلى القاهرة ، واجتمع عليه جماعة من مماليك أبيه ، وأنه رآه بعينه ووعده بالوثوب [معه][8] هو وخُجْداشيّته الأشرفية ، وأنه أمره أن يختفى[9] فاختفى حتى ينتظم أمرُه بعود مماليك أبيه من بلاد الصعيد ، ثم حرّضهم

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) الفحل لغويا الذكر من كل حيوان والجمع فحول وأفحُل وفحال ، ومن معانيه الكريم (القاموس المحيط) .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (المقر) .

(٤) مدينة هو ّ أو هُو ، بلدة بالصعيد الأعلى من عمل قوص ، وكانت تعرف أيضا باسم وهم ، وهى الآن تابعة لمركز نجع حمادى بقنا (السلوك جـ ١ ص ٨٤٣ حاشية ٤ ؛ معجم البلدان جـ ٨ ص ٤٨٦ ؛ راجع النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٩٣ حاشية ٣) .

(٥) ، (٦) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) فى ا (وانهم) . (٩) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

طُوغانُ على ذلك فمال منهم طائفة وتخوفت طائفة ، واضطرب العسكر قليلا إلى أن اجتمع الجميع على طاعة السلطان بعد أمور صدرت ، وحلَفوا أنهم مقيمون على الطاعة ، فدقت البشائر لذلك ، وخلع على الواصل بهذا الخبر ، وأجيب الأميرُ يَشْبك بالشكر ، وبحمل طُوغان المذكور فى الحديد .

وكان عَلِمَ السلطانُ قبل ذلك بتوجُّه طُوغان المذكور إلى بلا الصعيد ، وكتب إلى الأمير يَشبَك وإلى حكام الصعيد بحمله فى الحديد ، ثم ورد الخبر بعد ذلك من الأمير يَشْبك بأنه نازل على مدينة أسيوط[1] ، وأن يونس الخاصكى ورد عليه بمرسوم [شريف][2] يتضمن القبض على طوغان المذكور ، وأن المماليك الأشرفية لم يمكّنوه من ذلك ، فكثر قلق السلطان والدولة لورود هـذا الخبر وخشوا وقوع فتنة ، ظنا من المماليك الأشرفية أنهم من هذا القبيل ؛ ورسم السلطان فى هذا اليوم بخروج الأمير أَرْكَماس — المعزول عن الدوادارية قبل تاريخه — إلى ثغر دمياط بطّالاً .

ثم أخذ السلطانُ وحواشيه فى الفحص عن الملك العزيز ، وكُبِست عدة أماكن وقُبِض على جماعة من المماليك الأشرفية ، وتزايد تحريض السلطان فى طلب العزيز ، وقاسى الناس بسبب ذلك شدائد ، وكثرت الأراجيف بخروج الأمير يَشْبك أمير سلاح ومن معه من المماليك الأشرفية عن طاعة السلطان ، وأنهم عادوا يريدون القاهرة ، فمُنعت المراكب من التعدية [١١١] فى النيل بكثير من الناس المتَّهمة بالخروج على السلطان ، هذا مع عِظَم التفتيش على العزيز ، والكبس على البيوت والبساتين والتُرَب ، وغُلقت بعض أبواب القاهرة نهارا ، وأخذ أهل الدولة فى الاستعداد للحرب ، هذا مع ما بالبلاد الشامية من الفتنة العظيمة من خروج نائب الشام ونائب حلب ، وصار السلطانُ فى هذه الأيام فى أشد ما يكون من القلق والتخوف ؛ وتكلم الناس بزوال ملكه .

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (سيُوط) والصيغتان مستخدمتان فى ذلك العصر . والمثبت من ا .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

فلما كان يوم السبت تاسع عشره برز أميرُ حاجِّ المحمل الأميرُ تَنْبَك بالمحمل، وبعد خروجه من القاهرة قدم الخبر بالقبض على طُوغان الزَّرَدْكاش وحمله فى الحديد ؛ ووصل طُوغان المذكور فى آخر النهار المذكور ، وكان أُشيع الخبر بمسكه قبل ذلك فلم يصدِّقه أحد ، استبعاداً من تسليم خُجْداشيَّته له مع كثرتهم وشدة بأسهم .

وكان من خبر طوغان أنه لما نزل الملكُ العزيز من قلعة الجبل واجتمع به ووعده بالقيام معه ، توجه إلى الأمير إينال الأبو بكرى الأشرفى فلم يحصل منه على طائل ، فمضى هو وجماعة إلى خُجْداشيَّتهم الأشرفية ووعدهم بالوثوب على الملك الظاهر والقيام بنصرة ابن أستاذهم ، فأجاب منهم طائفة كبيرة ، غير أنهم اعتذروا بغياب أعيانهم ببلاد الصعيد فى التجريدة صُحبة الأمير يَشْبَك ، وأنهم فى قلة لأن معظمهم بالصعيد ، وطلبوا منه أن يرسل يُعلم خُجْداشيَّتهم بذلك، فلم يجد لأحد منهم قوة للتوجه فقام هو بذلك بعد أن تحقق منهم الوثوب ؛ وخرج من القاهرة على الهجن .

وبلغ السلطانَ خبرُه ، فكتب بالقبض عليه فى الطريق فلم يدركه أحد ، وسار حتى وصل إلى خُجْداشيته واجتمع بهم حسبما تقدم ذكره ، غير أنه أراد قضاء حاجته ، فأملى[1] لخجداشيته أخباراً فى حق العزيز غير صحيحة يريد بذلك تَمييز[2] أمره ، فمالوا إلى كلامه فورد عليهم بعد ذلك الأخبار من المسافرين وغيرهم بهروب إينال واختفاء [الملك][3] العزيز ، على غير ما قاله لهم طُوغان ، وأن الفحص على [الملك][4] العزيز فى كل يوم مستمر ، فعند ذلك اختلفت كلمتهم على القيام بأمر العزيز ، وعلموا أن غالب كلام طُوغان غير صحيح .

هذا والأميرُ يَشْبَك يستميلهم إلى طاعة السلطان ، ويخوِّفهم عاقبةَ مخالفة السلطان ، حتى أفضى به وبهم أن جمع عليه الكاشف بالوجه القبلى وعدةَ كبيرة من عربان الطاعة

(١) فى ا (أملا) .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (تمير) والمثبت عن ا .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

وهمّ بمحاربتهم ، فلم يكن لهم طاقة بمحاربته مع ما تبيّن[1] لهم من فساد أمرهم واختلاف كلام طُوغان ، فأسلموه بعد أن كانوا انقلبوا جميعُهم للخروج [معه] [2] ، وهو أن طُوغان لما جَدّ في مسيره حتى وصل إليهم ، أعلمهم بأن [الملك] [3] العزيز خرج من سجنه ونزل من القلعة ، واجتمع عليه خلائق من الأشرفية وغيرهم ، وأنه محاصر [الملك] [4] الظاهر جَقْمَق بقلعة الجبل ، فهيّج هذا الكلام خواطرَهم وتحركت كوامنهم ، وأجمعوا على القيام بنصرة ابن أستاذهم ، ومال إليهم كل أحد حتى الأمير يَشْبَك في الباطن .

وكادت الفتنة تقوم ، ويُظهر كل أحد الميلَ [للملك] [5] العزيز ، فترادفت كتب السلطان والقُصّاد بغير ما قاله طُوغان ، فتوقّفوا عما كانوا عزموا عليه . ولا زال أمرُ [الملك] [6] العزيز يتضح لهم ، حتى أسفرت القضية على أنه مختف ، وأن إينال تسحّب ، فعند ذلك رجع كل أحد عما كان في ضميره وأظهر طاعة السلطان ، وأسلموا طُوغان فَقُيِّد وحُمل إلى القاهرة .

ولما طلع طوغان إلى القلعة حُبس بها وأُجرى عليه أنواع العقوبة والعذاب المتلف ، وكسروا غالب أعضائه بالمعاصير ، وعوقب مع ثلاثة [7] نفر من الخاصكية فلم يقرّ أحد منهم على غير ما قاله طُوغان ، أن العزيز لما نزل من القلعة ومعه إبراهيم الطباخ ، وقف بمكان بالمصنع [8] بالقرب من قلعة الجبل ، واجتمع عدة من المماليك الأشرفية — وسماهم — فكان غالبهم ممن لا يُعرف ، فأجمع رأيهم بأن يسيروا إلى الشام

---

(١) في ا (بين) .

من (٢) إلى (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) في ا (ثلاث) .

(٨) وردت كلمة المصنع فيما كتبه المقريزي (خطط ج٢ ص ٢٢٩-٢٣٠) ، بصدد حديثه عن المياه التي بقلعة الجبل ، وكيف تنقل إلى القلعة من النيل ، قال : «وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ أربع سواق على بحر النيل ، تنقل الماء إلى السور ثم من السور إلى القلعة ، وعمل نقالة من المصنع الذي عمله الظاهر بيبرس بجوار زاوية تقي الدين رجب التي بالرميلة ، تحت القلعة ، إلى بئر الاصطبل ...» . والمصنع — أو المصنعة — مكان يصنع كالحوض يجمع فيه ماء المطر (انظر القاموس المحيط) .

بالعزيز ، ثم انصرفوا عن هذا الرأى عجزاً ؛ وتوجه طوغان ليأتى بالمماليك الأشرفية من بلاد الصعيد ، فلما تحقق السلطان ذلك كفّ عن عقوبة طُوغان بعد أن تلف وأخرجه فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين شوال محمولا ، لعجزه عن الحركة من شدة العقوبة ، ومعه خير بك الأشرفى وقد عوقب أيضا ، وحملا إلى الرُّمَيْلة عند باب الميدان ، من تحت [١١٢] القلعة ووُسِّط طوغان هناك ، وأعيد خير بك من داخل القلعة ثم وُسِّط بعد أيام.

وكان أمر طوغان [هذا] من أعجب العجب ، فإنه كان فى دولة أستاذه الأشرف زَرَدْكَاشاً ، فلما مات الأشرف ، خالف خُجْدَاشيَّتَه وانتمى إلى الملك الظاهر جَقْمَق قبل سلطنته ، مع الأمير إينال الأشرفى ، وصار خصيصا عند الملك الظاهر ، وولاه دَواداراً وصار مقرّبا عنده ، ثم استحال عن السلطان ودبّر عليه ، وأخرج الملكَ العزيزَ ، وقام فى أمره من غير موافقة أحد من أعيان خجداشيته ولا مشاورة أحد من أرباب العقول ، ولم يكن هو من هذا القبيل من سائر الوجوه ، فكان من فعله وتدبيره ما ساقه إلى حتفه وتدميره ، وكان طُوغان المذكور طوالا غير لائق فى طوله ، وعنده طيش وخفة ، مع جهل وعدم تثبت فى أموره ، ولم يكن من أعيان الأشرفية ، ولا ممن يُلتفت إليه فى الدولة — انتهى .

ثم فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شوال قُبض على سرّ النديم الحبشية دادة الملك العزيز بعد ما كُبس عليها بعدة أماكن ، وعوقب بسببها خلائق ، فلم يتعرضها السلطان بسوء بل قرّرها على الملك العزيز ، فأعلمته أنه مختف بالقاهرة [١] .

ثم قبض على صَنْدَل الطوَاشى وقرره السلطان أيضا ، فقال كما قالت الدادة ، فتحقق السلطان منهما أن [الملكَ] [٢] العزيز وإينال لم يخرجا من القاهرة ، وأن الذى أشيع من خروجهما غير صحيح ، وأن الملكَ العزيز لم يجتمع مع إينال البتة ، وأنه كان هو وصندلُ هذا وطباخهُ إبراهيمُ ومُشِدُّه أزْدَمُر ، من غير زيادة على ذلك ، والملك [٣] العزيز

(١) يوجد فى ا تكرار لهذه العبارة .
(٢) من طبعة كاليفورنيا .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

ينتقل بهم من مكان إلى مكان ، وأن صندلا فارقه من منذ أربعة أيام ، وقد طرده أَزْدَمُر المذكور لأمر وقع بينهما ، فلما قصد صندلُ مفارقتَهم دفع له العزيزُ خمسين ديناراً ، ففارقهم صندل وصار يتردد إلى بيوت أصحابه في زى امرأة ، حتى دخل على بعض أصحابه من النسوة في الليل فآوَتْه حتى أصبح فدلّ عليه زوجُها حتى أُمسك وعوقب ، حتى أقر على جميع لما ذكرناه ، وأنه الآن لا يعرف مكان العزيز ، فسجنه السلطان ، وهمّ بعقوبة الدادة فشفعت[1] فيها خَوَنْد مُغْل بنتُ البارزى زوجة السلطان ، وتسلمتها[2] من السلطان من غير عقوبة وتمت عندها .

فخفّ عن السلطان ما كان به قليلا من أمر الملك العزيز ، فإنه كان [ظن][3] كلّ الظن أن إينال أخذه وتوجه إلى إينال الجَكَمى بدمشق ؛ ثم قُبض على مرضعة الملك العزيز وزوجها وعلى جماعة أخر من الرجال والنساء ممن كان من جوارى الأشرف ومعارفهن ، وممن اتُّهِم بأنه معرفة أَزْدَمُر وإبراهيم الطباخ .

ثم في يوم الخميس رابع عشرين شوال عزل السلطانُ الطَّوَاشىَّ فَيْرُوزَ الجاركسىَّ عن الزمامية لكونه تهاون في أمر [الملك][4] العزيز حتى تسحّب من الدور السلطانية ، وعيّن السلطانُ عوضَه زماماً الطواشى جوهراً القُنُقْبَاى الخازندار ، مضافا إلى الخازندارية .

وفي ليلة الجمعة ويوم[5] الجمعة كَبَست المؤيدية على مواضع كثيرة بالقاهرة وظواهرها ، ومضوا إلى دور الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم وكبسوا عليه وعلى جيرانه في طلب الأمير إينال الأشرفى والملك العزيز ، فلم يجدوا أحداً وهرب الصاحبُ أمين الدين ، ثم ظهر وخلع عليه بعد ذلك ، واشتد طلبُ السلطان على [الملك][6] العزيز ، وهدد من أخفاه بأنواع العذاب والنكال ، فشمل الخوفُ غالبَ الناس .

(١) في ا (فشفع) .
(٢) في ا (وتسلمها) .
(٣)،(٤) و (٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) في ا (وليلة) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

ثم فى يوم السبت سادس عشرين شوال خلع السلطان على جوهر الخازندار باستقراره زماماً عوضاً عن فيروز الجاركسى بحكم عزله مضافاً للخازندارية ، والفحصُ على [الملكِ][1] العزيز مستمر فى كل يوم وليلة ، وقد دخل النـاسَ من الرعب والخوف مالا مزيد عليه بسببه ، إلى أن كشف الله هـذا البلاء عن الناس ، وقُبض على الملك العزيز يوسف فى ليلة الأحد سابع عشرين شوال ، واطمأن كل أحد على[2] نفسه وماله بظهور [الملك][3] العزيز والقبض عليه .

وكان من خبر [الملك][4] العزيز أنه لمـا اشتد الطلبُ عليه ضاقت عليه الأرض ، وكان له من يوم فرّ من القلعة وهو ينتقل من مكان إلى مكان ، لا [١١٣] سيما لمـا كثر الفحص عنه تخوّف غاية الخوف ، حتى ألجأه ذلك إلى الانفراد مع أُزْدَمُر لاغير ، ليخفّ بذلك أمرُهما على من أخفاهما ، ومع هذا تُعُلِّبَا[5] أيْنَ[6] يذهبان[7] ، واحتاج [الملكُ][8] العزيز أن أرسلَ إلى خاله الأمير بِيبَرْس الأشرفى ، أحـد أمراء العشرات ورأس نوبة ، بأنه يريد المجىء إليه فى الليل ، ويختفى عنده على ماقيل ، فواعده بيبَرْس على أن يأتيه ليلا .

ثم خاف بيبرس عاقبة أمره ، فإنه كان [الملكُ][9] الظاهرُ جَقْمَق اختص به ، وأمّره دون إخوته وأكرمه غايةَ الإكرام ، ورأى بِيبَرْس أنه لايحسُن به أن يقبض عليه ويطلع به إلى السلطان ، فأعلم جارَه يَلْبَاى الإينالى المؤيدى أحـد أمراء العشرات ورأس نوبة بمجىء [الملك][10] العزيز إليه فى الليلة المذكورة ، وأعلمه أيضاً أنه يمر من موضع كذا وكذا ، فخرج يَلْبَاى فى الليل متنكراً ، ومعه اثنان من خُجْدَاشِيَّته

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (فى) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (معلنا) .
(٦) فى ا (أن) .
(٧) فى ا (يذهبا) .
(٨) ، (٩) ، (١٠) عن طبعة كاليفورنيا .

المؤيدية ، وترصّد للعزيز بخُطِّ زُقاق حلب بعد عشاء الآخرة ، وبينما هم فى ذلك إذ مرّ بهم العزيزُ ومعه أُزْدَمُر مُشِدُّه ، وهما فى هيئة مَغربيَّيْن ، فوثب يَلْبَاى بأزدمر ليقبض عليه فامتنع منه ودفع عن نفسه فضربه يلباى أدمَى وجهه وأعانه عليه رفقتُه ، حتى قُبض عليه وعلى [الملك][1] العزيز .

وكان على [الملك][2] العزيز جُبّة صوفٍ من لبس المغاربة ، وطلعوا بهما فى الحال إلى باب السلسلة ثم إلى السلطان ، والملكُ العزيزُ حافٍ بغير نعل فى رجليه ، وقد أخذه بعض المؤيدية بأطواقه يسحبه على ما قيل ، فإنى لم أحضر المجلس تلك الساعة ، فلما مثلَ العزيزُ بين يدى السلطان أُوقِف ساعةً ، ثم أمر به السلطانُ فأُخذ إلى مكان فى القلعة وسُجن به إلى أن أصبح ، وطلع الأمراء وأرباب الدولة إلى الخدمة على العادة ، ودقّت البشائر لقبض [الملك][3] العزيز ، وسُرَّ السلطانُ بذلك سروراً عظيما ، وخفّ عنه الأمرُ كثيراً بالنسبة إلى ما كان فيه .

ثم أخذ السلطانُ [الملكَ][4] العزيزَ وأدخله[5] إلى زوجته خَوَنْد البارزِيّة بقاعة العواميد ، وأسلمها العزيزَ وأمرها أن تجعله فى المخدع المعد لمبيت السلطان بالقاعة المذكورة ، وأن تتولى أمرَ أكله وشربه وحاجاته بنفسها . فأقام العزيزُ على ذلك مدةً إلى أن نقله السلطانُ فى ليلة الأربعاء ثامن ذى القعدة إلى مكان بالحوش وضيّق عليه ، ومُنع من جميع خدمه ، ثم سيّره[6] إلى سجن الإسكندرية ، حسبما يأتى ذكره .

وأمر السلطانُ بأُزْدَمُر فسُجن بالبرج من قلعة الجبل ، مع جماعة من خُجْداشيّته الأشرفية . ووُجد مع الملك العزيز من الذهب ثمانمائة دينار ، أعطى السلطانُ منها إلى يَلْبَاى خمسمائة دينار ، وإلى رفيقيه مائة دينار ، ثم فرّق الباقى من ذلك على من حضر ؛

من (١) إلى (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (سيّر به) والمثبت عن ا .

ثم أنعم السلطان على يَنْبَاى المذكور بقرية [سَرْيَاقوس][1] زيادةً على ما بيده ، وصار من جملة أمراء الطبلخانات . وهدأ سِرُّ السلطان من جهة [الملك][2] العزيز ، والتفت إلى أخبار إينال الجَكَمِى ، وتغرى بَرْمَش .

ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه ، ظهر الأميرُ إينال الأبوبكرى الأشرفى من اختفائه ، وكان من خبره أنه من يوم تَسحّب [الملك][3] العزيز خاف القبضَ عليه ، فاختفى إلى أن ظهر [الملك][4] العزيز نخفّ عنه ما داخله من الوهم بسبب الملك العزيز ، وقد علم أن السلطانَ ظهر له أنه لم يجتمع مع [الملك][5] العزيز ولا قام بنصرته ، وأن اختفاءه[6] كان نوعا من مهابة السلطان ، فلما كان ليلة الثلاثاء المذكورة توجَّه إلى الأمير جَرِبَاش الكريمى المعروف بقاشق أمــــير مجلس ، وترامى عليه واستجار به وهو يظن أن فى السُّويداء رجالا[7] ، فأجاره وهو يظن أن السلطانَ يقبل شفاعته .

وكان معظم ظهور إينال [المذكور][8] لِما بلغه من[9] اختفائه [عن السلطان من الثناء عليه وبسط عذره فى اختفائه][10] وأنه باختفائه سكنت الفتنة ، فنرّه هذا الكلام ، وأيضاً أنه استند للأمير جَرِبَاش أمير مجلس وخُجْداش السلطان ، فأخذه الأمير جَرِباش من الغد فى يوم الثلاثاء المذكور وطلع إلى القلعة . وقد بلغ السلطانَ

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا . وقرية سرياقوس كانت تابعة للأعمال القليوبية زمن المماليك ولم تزل كذلك . واستقرت مساحتها فى الروك الناصرى – نسبة السلطان الناصر محمد بن قلاوون – ١٤١ه فدانا . واشتهرت بالخلقاه التى بناها بها الناصر محمد عام ٧٢٥ ه / ١٣٢٥ م ، كما أنشأ بها ميدانا وبستانا ، نقل إليه الأشجار من دمشق ، وكانت من أماكن الصيد والنزهة لسلاطين المماليك . (انظر : النجوم ـ ٩ ص ٧٩ حاشية ١ ؛ التحفة السنية ص ١٠ ، خطط ـ ٢ ص ١٩٩–٢٠٠ ، ٤٢٢–٤٢٣ ؛ معجم البلدان ـ ٥ ص ٨٠) .

من (٢) إلى (٥) ، (٨) ، (١٠) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (احصاوه) .

(٧) فى ا (رجال) .

(٩) فى طبعة كاليفورنيا (فى) .

خبرُ إينال وظهوره ثم طلوعه مع جَرِبَاش ، فحالَ ما وقع بصر السلطان على إينال أمر به فقُبِض عليه ، وقُيِّد وسُجِن بمكان بالقلعة حتى يُحمل إلى الإسكندرية ؛ هذا والأميرُ جَرِبَاش يكرر تقبيل يد السلطان ورجله فى أن يُشَفِّعه فيه ويدعه بطَّالا ببعض الثغور فلم يلتفت السلطان إلى شفاعته ، ونزل جَرِبَاش إلى داره خجلا منفضوحا من حاشيته وأصحابه ، ومن يومئذ انحطَّ قدره [١١٤] إلى أن مات . على أنه صاهر السلطانَ بعد ذلك وصار حماه[١] ، ومع هذا كله لم يكن له صولة فى الدولة ، وأخرج السلطانُ إينالَ من يومه إلى سجن الإسكندرية ، وبها أعداؤه من خُجْدا شِيَّته ، فكان شماتتُهم [به][٢] أعظم عليه من حبسه .

وأخذ السلطانُ بعد ذلك يتشوَّف إلى أخبار عسكره المجرَّد إلى قتال إينال الجَكَمى وغيره ، فلما كان يوم الأربعاء ثامن ذى القعدة ورَد على السلطان كتابُ الأمير آلابغَا حاجب غزة يتضمن قتال عسكر السلطان مع إينال الجَكَمى نائب الشام ، فى يوم الأربعاء مستهل ذى القعدة ، وانهزامَ إينال الجَكَمى ، فأخذت الناسُ فى هذا الخبر وأعطوا ، غير أنه دقت البشائر وسُرَّ السلطان بذلك .

ثم أصبح من الغد فى يوم الخميس [ورَد][٣] الخبرُ بمسك إينال الجَكَمى ، فدقت البشائر أيضاً ، غير أن السلطان فى انتظار كتاب آقْبغَا التَّمْرازِى ، فورد عليه كتابه فى يوم الجمعة عاشر ذى القعدة ، وذكر واقعة العسكر مع إينال الجَكَمى ، وملخصها[٤] أن العساكر السلطانية المتوجهة من الديار المصرية والمتجمعة بالرَّملة من النواب والعساكر ، ساروا جميعاً من الرملة أمام الأمير قَرَاخُجا الحسنى ، ومن معه من الأمراء والمماليك السلطانية ، كالجاليش ، لكن بالقرب منهم ، حتى نزلوا بمنزلة

(١) فى ا (حموه) .
(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (ملخصا) .

الخَرِبَة[1] فى يوم الأربعاء مستهل ذى القعدة وقد قدموا بين أيديهم كشافةً على عادة العساكر ، فعادت الكشافةُ وأخبروا بقرب إينال الجَكَمى منهم ، فركبوا فى الحال بعد أن عبُّوا أطلابهم ، وهم ستة نواب : آقْبُغا التَّمرازى نائب الشام ، وجُلْبان الذى استقر نائبَ حلب ، وإينال العلائى نائب صَفَد — أعنى الملك الأشرف — وطُوخ مازِى نائب غزة ، وطُوغان العثمانى نائب القدس ، وخليل بن شاهين ، وقد استقر نائب مَلَطِيَة .

وساروا بمن اجتمع عليهم من العَشِير والعربان جاليشاً ، حتى وصلوا إلى مضيق قرب الحرة ، وإذا بجاليش إينال الجَكَمى فيه الأمير قانْصُوه النَّوْرُوزى أحد مقدمى الألوف بدمشق ، ونائب بَعْلَبَكّ ، وكاشف حُوران ، ومحمد الأسود بن القاق شيخ العَشِير ، وبَرْ عَلِى الدُّكْرى[2] أمير التركمان ، وطُرْ عَلِى بن سقل سيز[3] التركمانى ، وكثير من العربان والعَشِير ، والجميع دون الألف فارس ، وصدموا النواب المذكورة فكانت بينهم وقعة كبيرة ، انهزم فيها الأطْلابُ الستةُ بعد أن أردفهم إينالُ الجَكَمى بنفسه ، وركب أقفيةَ القوم ، وكان من الشجعان المشهورة ، إلى أن أوصلهم إلى السَّنجقَ السلطانى ، وتحته الأمير قَراخُجا الحسنى الأمير آخور ، والأميرُ تَمُرْباى رأس نوبة النوب بمن معهما من الأمراء والعساكر المصرية ، والسنجق بيد الأمير سُودون المحمدى النَّوْرُوزى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ؛ وقد تخلت عن إينال أصحابُه ومدوا أيديهم إلى النهب فى أطلاب النواب لما انهزموا أمام العسكر الشامى .

وبقى إينالُ فى أناس قليلة ، فحطّ بهم على العسكر المصرى ، فثبتوا له وقاتلوه ساعةً

---

(١) الخربة قرية بأرض البقاع ، على الطريق بين دمشق وبيسان ، وتعرف كذلك باسم «خربة اللصوص» وهناك قرية فى مصر تعرف باسم الخربة ، وهى بالمنوفية . ومن البلاد التى عرفت بهذا الاسم ودرست الآن : خربة الأثل . وهذه وردت فى التحفة السنية فى أعمال الشرقية ، وخربة القعقف من أعمال الشرقية . (راجع السلوك حـ ١ ص ١٣٠ حاشية ٢ ؛ ص ٢٨١ حاشية ١ ، النجوم حـ ٩ ص ١٥٧–١٥٨ ، حـ ١١ ص ٢٦٩ ، القاموس الجغرافى للأستاذ رمزى حـ ١ ص ٢٢٨) .

(٢) فى ا (الدكر) .

(٣) فى ا (سطسر) . (انظر زبدة كشف الممالك ص ١٠٤–١٠٥) .

وقد تفرقت عنه أصحابه بسبب النهب فلم يجد مساعدا ، فانهزم بعد أن قُتل من الفريقين جماعة كبيرة جدا ، ولم يُقتل من الأعيان غير الأمير صَرْغَتْمُش أحد مماليك الوالد ، الذى كان دوادارَ الأمير جُلْبان ، ثم استقر دوادارَ السلطان بحلب ، وجُرح خلق كثير ، وقُبض فى الوقعة على الأمير تَنَم العَلائى المؤيدى ، وعلى الأمير بِيرَم صوفى التركانى ، وعلى الأمير خير بك القوامى ومحمد بن قانصُوه النَّوْرُوزى وجماعة أخر . وحال بينهم الليل ، فلما أصبح العسكرُ يوم الخميس ثانى ذى القعدة ورد الخبر عليهم من دمشق بالقبض على إينال الجَكَمى من قرية حَرَسْتَا[1] من عمل دمشق فدقت البشائر لذلك ، وتفرقت أخصاء السلطان للأعيان بالبشارة ، وزال ثُلثا[2] ما كان بالسلطان من أمر [الملك][3] العزيز وإينال ، وبقى تَغْرى بَرْمَش .

وكان من خبر مَسْك إينال الجَكَمى أنه لما انكسر من العسكر المصرى ، ساق فى نفر يسير إلى أن وصل حَرَسْتا وقد تلفت خيوله لبعد المسافة ، ونزل بها وقد جهده التعب والجوع ، واختفى بها فى مزرعة ، وأرسل بعضَ خدمه ليأتيه بطعام ، فقطن به رجل وعرّف شيخَ البلد ، فأرسل شيخُ البلد إلى نائب قلعة دمشق بالخبر ، فخرج من دمشق فى طلبه جانِبَك دوادار [١١٥] بَرْسْباى حاجب حجاب دمشق ، ومعه جماعة أخر ؛ وطرقوه بالقرية على حين غفلة ، فقام ودفع عن نفسه بكل ما تصل قدرته إليه ، فتكاثروا عليه وطعنه بعضهم فى جنبه ، ورماه آخر أصاب وجهه ، ثم مسكوه وجىءَ به إلى دمشق على فرسه ، وقد وقف الفرس من العىّ فلم يصل إلى قلعة دمشق إلا بعد العصر ، والناس فى جموع كثيرة لرؤيته ما بين باكٍ وحزين ، وسُجن بقلعة دمشق مقيَّداً ، وأصبح دخل آقْبُغا التمرازى إلى دمشق فى باكر نهار الجمعة ثالث ذى

(١) حرَستا (بالحاء) قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق ، وتقع على طريق حمص ، وينسب إليها كثير من العلماء أمثال القاضى عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل الأنصارى الحرستانى الشافعى المتوفى سنة ٦١٤ هـ/١٢٢٧ م والمحدّث حمَّاد بن مالك بن بسطام بن درهم الأشجعى الحرستانى (معجم البلدان ٣ ص ٢٥١) .

(٢) فى ا (ثلثى) .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

التعدة، ومعه العساكر بسلاحهم ونزل بدار السعادة ؛ ولم يبتهج أهل دمشق بقدومه لعظم ميلهم لإينال الجَكَمى، وإن كان آقبغا المذكور صهرى فالواقع ما ذكرناه .

ومع هذا وقع يومَ دخوله إلى دمشق حادثةٌ غريبة ، وهى أن بَلَبَانَ شيخ كَرَك نُوح[1] ، واسمه محمد وولده محمد أيضاً ، قدما إلى دمشق بجموعهما من العَشِير نصرةً لعساكر السلطان ، وبَلَبَانُ المذكور فلاح الأمير بَرْسباى الحاجب ، كأكابر المُدَرَّكين[2] ، فلم يصل بَلَبَان المذكور حتى انقضت الوقعة ، فتأسف على ذلك لما كان بينه وبين إينال الجَكَمى من المباينة مراعاةً لأستاذه بَرْسباى المذكور ، فعاد إلى دمشق فى خدمة آقبَغا التَّمْرازى ، إلى أن دخل التَّمْرازى إلى دار السعادة وذهب كل أمير إلى حال سبيله .

فعاد بَلَبَانُ المذكور فيمن عاد ، حتى كان عند المصلى والعامه قد ملأَت الطرقات وهم فى كآبة لفقد إينال الجَكَمى ولما وقع له ، فصاح شخص من العامة بواحد من العَشِير من أعوان بَلَبَان يقول : « أبا بكر ! أبا بكر ! » ، وتبعه غيره يكررون ذلك مراراً عديدة يريدون نكايةَ بَلَبان ، فإنهم يُرْمَوْن بالرّفض[3] . فلما كثر ذلك من

(١) كرك نوح : قرية كبيرة قرب بعلبك ، بها قبر يزعم أهل تلك النواحى أنه قبر نوح عليه السلام (معجم البلدان ح٧ ص ٢٤٠) .

(٢) المُدرَكون فى المصطلح المملوكى الإقطاعى، هم المكلفون بأعمال الدَّرك ، وهى الحراسة وحفظ الأمن فى أطراف الدولة ، ومن اشتهر بتلك الأعمال : التركمان والأكراد والعرب ، الذين خدموا الدولة المملوكية، مثل بنى الصَّفّاف وبيت دلغادر من التركمان وعربان الشام وأشهرهم مُهَنّا وبنو تنوخ ، وهؤلاء جميعا وضِّينا تعدد اختصاصاتهم وتفصلها (أخبار الأعيان ص ٢٢٣ – ٢٤٣ ، ٣٤٦ ؛ تاريخ بيروت ص ٤٣ . ٧٩–٨٠ ، ٩٠ ؛ التعريف ص ١٠٩–١١٣)

(٣) الرفض نسبة لفريق الرافضة ، وهؤلاء إحدى فرق الشيعة المغالية ، وهم من الكوفة أصلا ؛ خرجوا على مذهب الزَّيدية أتباع زيد بن على زين العابدين ، ومذهب الزيدية أعدل مذاهب الشيعة وأقربها إلى أهل السنة ، لأنه يرى جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ، ويرى أن الإمامة عملية إيجابية لا سلبية ، إذ يشترط فى الإمام الخروج على الأمراء والسلاطين المطالبة بالخلافة ، ولا تؤمن الزيدية بالخرافات التى ألصقت بالإمام ، فجعلت له جزءا إلهيا ؛ وقد جادل أبو جعفر محمد الباقر أخاه زيدا فى نقطة اشتراط خروج الإمام وقال له : « إذن أبوك على زين العابدين ليس إماما ، لأنه لم يخرج ولم يتعرض للخروج» ، وتمى عليه مذهبه فى الاعتزال التى أخذه من واصل بن عطاء . =

العامة ، ضرب بعضُ العَشِير واحداً من العامة ، فعند ذلك تجمعوا عليه وأرموه عن فرسه ليقتلوه ، فاجتمع أصحابه ليخلصوه من العامة ، وقبل أن يخلصوه بادره العامةُ وذبحوه ، وتناولوا الحجارة يرمون بها بَلَبَانَ وأعوانه ، وكانوا في كثرة نحو الخمسمائة نفر وأكثر ، فتوغل بَلَبَانُ بين أصحابه ولم يقدر أن يفوز بنفسه ، فتكاثروا عليه وألقوه إلى الأرض عن فرسه وذبحوه ، ثم أخذوا ابنَه محمداً أيضاً وذبحوه ، ووضعوا أيديهم في أصحاب بَلَبَان إلى أن أسرفوا في القتل ، ولم يكن لذلك سبب ولا دسيسة من أحد ولا أمر من السلطان ، فوقع هذا الأمر ولم يقدر أحد على القيام بأخذ ثأره لاضطراب المملكة ، وراحت على من راحت إلى يومنا هذا . قلت : لا جرم ، إنما وقع له ببركة الشيخين ، فقُوصِص بذلك في الدنيا ، وله في الأخرى أعظم قصاص ، نَكالاً من الله على رفضه وقُبْح[1] سريرته .

ثم في يوم الأحد ثاني عشر ذي القعدة ، كُتب بقتل إينال الجَكَمي بسجنه بقلعة دمشق ، بعد تقريره على أمواله وذخائره ، وبقتل جماعة من أصحابه ممن قُبض عليه في الوقعة ، وفي هذه الأيام رسم السلطانُ بعقوبة جَكَم خال [الملك][2] العزيز بسجنه بالإسكندرية ، حتى يعترف بمتحصل [الملك][3] العزيز في أيام أبيه ، من إقطاعه

= ولما سمع أهل الكوفة هذه المقالة منه ، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين (أبي بكر وعمر) ، رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة ، فسموا رافضة ، أومن قول زيد لهم : رفضتموني

والرافضة مقالتان : القول بالبداء والتقية ، والمقصود بالبداء ، أنه إذا جاء الأمر على غير ما أظهروه وتنبأوا به ، قالوا : بدا لله تعالى في ذلك . والمراد بالتقية : كل ما أرادوا ، تكلموا به ، فإذا ظهر بطلان ما قالوا وقيل لهم إنه ليس بحق ، قالوا : إنما قلناه تقيه وفعلناه تقية .

وقد قُتل زيد عام ١٢١ هـ / ٧٣٩ م عندما خرج على الخليفة هشام بن عبد الملك الأموى (انظر الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٠٧ ، ٢١٨ ؛ وطبعة محمد بن فتح الله بدران (القسم الأول ، ص ١٣٧—١٤٢ ؛ الفصل في الملل والنحل لابن حزم ج١ ص ١٩٥ وما بعدها ؛ فجر الإسلام ص ٢٧٢—٢٧٤ ؛ ضحى الإسلام ج٣ ص ٢٧١ وما بعدها ، فان فلوتن V. Vloten : السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات — ترجمة حسن إبراهيم وزميله ، ص ٧٩—٨٠) .

(١) راجع المنهل الصافي ج٢ ورقة ٣٥٥ .

(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

وحماياته[1] ومستأجراته ، فأجابهم عن ذلك كله ؛ وكان السلطانُ استولى على جميع ما للعزيز عند جدته لأمه من المال والقماش والفصوص ، وكان شيئاً كثيراً . وأمر السلطانُ أيضا بعقوبة يَخْشْبِى الأمير آخور الثانى ، بسجن الإسكندرية أيضاً ، بعد أن أراد السلطانُ قتلَه بحكم الشرع ، من كونه سبّ شريفاً ببلاد الصعيد فى أيام أستاذه الملك الأشرف ، فبادر يَخْشْبِى حتى حكم قاض شافعى بحقن دمه ، ووقع بسبب ذلك أمور ، وعَقْد مجالس[2] بالقضاة والفقهاء ، ذُكر ذلك كلُّه فى الحوادث[3] ، ولما وقع اليأس من قتله ، رسم بعقوبته حتى يعترف بما لَه من الأموال ، فعوقب أشدّ عقوبة بحيث أنه لم يبق إلا موته .

ثم قدم الخبرُ على السلطان ، بأن العساكر توجهت من دمشق ، فى حادى عشر ذى القعدة إلى حلب ، بعد أن عاد طُوغان نائب القدس ، إلى القدس ، وتأخر آقبغا التَّمْرازى نائب الشام [به][4] ، وكان الذى توجّه من النواب إلى حلب صحبة العساكر المصرية ، جُلُبّان نائب حلب وقانى باى الحَمْزاوى نائب طرابلس ، وهو إلى الآن بحماة ، غير أنه تهيأ للاجتماع بالعساكر [١١٦] المصرية وعنده أيضاً الأمير بُردبك العجمى ، الذى استقر فى نيابة حماة ، وقد قدّمه إلى حلب ؛ وسار من النواب أيضاً ، الأمير إينالُ العلائى الناصرى نائب صَفَد ، والأمير طوخ مازِى نائب غزة .

---

(١) الحماية والحمايات : مكس يفرضه السلطان أو الأمير أحيانا على بعض الأراضى أو المتاجر أو الأرزاق (انظر السلوك حـ١ ص ٨٠٥ حاشية ٣) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (مجلس) بصيغة المفرد .

(٣) المقصود بالحوادث : كتاب ابن تغرى بردى المعروف باسم حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، وهو فى مجلدين – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٣٩٧ ؛ وقد ذيّل فيه مؤلفه على السلوك للمقريزى .

وتوجد طبعة لهذا الكتاب حققها وليام بوبر W. Popper ونشرتها جامعة كاليفورنيا منذ ١٩٣٠ ، ولكنها ليست كاملة ، وإنما هى منتخبات من حوادث الدهور ، جمع فيها التراجم التى لم يذكرها أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة . وقد نشرت هذه المنتخبات فى أربعة أجزاء .

(٤) من طبعة كاليفورنيا .

وقدم الخبرُ أيضاً أنه قُبض بدمشق على يَرْعَلَى الدُّكْرى وشُنق ، وأن تغرى بَرْمش نائب حلب كان نزل على حلب وصحبته الأمير طُرْعَلَى بن سقل سيز ، والأمير على باى بار بن إينال بجماعتهما من التركمان ، والأمير غادر بن نُعَيْر بعربه من آل مُهَنّا ، والأمير فرج وإبراهيم ولدا[1] صَوْجِى ، والأمير محمود ابن الدُّكْرى أيضا بجماعتهم من التركمان ، وعدة الجميع نحو ثلاثة آلاف فارس ، وأن تَغْرِى بَرْمَشْ خيمَّ بالجَوْهَرِى وبعث بعدة كبيرة إلى خارج باب المقام ، فخرج إليه الأمير بُرْدَبَكْ العجمى ، الذى وَلِىَ نيابةَ حماة ، وقد قدم حلب من أيام ، ومعه جماعة من أمراء حلب ومن تركمان الطاعة ، ومن العامة .

فكانت بينهم وقعة هائلة ، قُتل فيها وجرح جماعة كثيرة من الفريقين ، وعاد كل منهما إلى مكانه ، ثم التقى الجمعان ثانيا فى يوم الجمعة خامس عشرين شوال على باب النَّيْرَب[2] واقتتلوا يوما وليلة قتالا شديدا ، قُتل فيه عدة كبيرة من الناس ، وجرح نائب حماة ، وطائفة من أمراء حلب ، ثم رجع كل فريق إلى موضعه ، ورحل تَغْرى بَرْمَش من موضعه فى يوم الأحد سابع عشرينه ، ونزل بالميدان ، والحرب مستمر ، والعامةُ تبذل جهدَها فى قتاله ، إلى أن كان يوم الخميس ثانى ذى القعدة أحضر تَغْرى بَرْمَش آلاتِ الحصار من مَكَاحِلِ النِّفْطِ والسلالم والجَنَوِيَّات[3] إلى باب الفرج ، ونصب صيوانه تجاهَ سور حلب ، وجدَّ فى قتال الحلبيين .

هذا وأهلُ حلب يد واحدة على قتاله طولَ النهار مع ليلة الجمعة بطولها ، وأهلُ حلب يتضرعون ويدعون الله تعالى ، فلما أصبح نهار الجمعة ، رحل تَغْرى بَرْمَش عن مكانه ، وعاد إلى الميدان ، بعد أن كانت القضاةُ وشيوخُ العلم والصلاح ، وقفوا بالمصاحف والرَّبْعات

(١) فى ا (ولدى) .

(٢) باب النَّيْرب أحد أبواب حلب البالغة سبعة أبواب . وباب النيرب من جهة الشرق ، أما الأبواب الأخرى فهى : باب قنسرين ، وباب المقام ، وباب الأربعين ، وباب النصر ، وباب الجنان ، وباب أنطاكية (انظر صبح الأعشى جـ٤ ص ١١٧–١١٨) .

(٣) الجنوية : هى القتالة التى تستخدم لنقل الجرحى والمرضى (السلوك جـ١ ص ٧٥٧ حاشية ٢ ، ص ٨٤٠) .

على رؤوسهم ، وهُم ينادون من فوق الأسوار : « الغزاة معاشر الناس فى العدو ، فإنه من قُتل منكم كان فى الجنة ، ومن قُتل من العدو صار إلى النار » ، فى كلام كثير يحرضون بذلك العامةَ على القتال ، ويقوون عزائمهم على الثبات ، إلى أن رحل تَغْرى بَرْمَش بمن معه من الميدان إلى الجهة الشمالية ، فى يوم الأحد خامس ذى القعدة ، بعد ما رعت مواشيهم زروعَ الناس وبساتينَهم وكرومهم ، وقطعوها ونهبوا القرى التى حول المدينة ، وأخرَبوا غالب العمارات التى كانت خارج سور حلب ، وقطعوا القناة التى تدخل إلى مدينة حلب من ثلاثة أماكن ، وكان أشدَّ الناس فى قتال تَغْرى بَرْمَش ، أهلُ بانَقُوسا[1] ، هذا بعد أن ظفر تَغْرى بَرْمَش بجماعة من الحلبيين فى بعض قتاله ، فقطع أيدى الجميع ، وبالغ فى الإضرار بالناس ، وأنا أقول : لو كان لتَغْرى بَرْمَش على أهل حلب دولة ، لفعل فيهم أعظمَ من فعل تَيْمُور لَنْك ، لقلة دينه وجبروته ولحنقه[2] من أهل حلب ، وأنا أعرَفُ بحاله من غيرى لكونه طالت أيامُه فى خدمة الوالد سنين ، ثم قَتَل أغاتَه[3] من مماليك الوالد ، وفر كما سنحكيه فى وفاته من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ولما بلغ هذا الخبرُ الملكَ الظاهر ، قلق قلقا عظيما لما وقع لرعيته من أهل حلب ، فلم يكن إلا أياما قليلة [و][4] قدم الخبر فى يوم السبت خامس عشرين ذى القعدة ، بكَسرة تَغْرى بَرْمَش المذكور ، فدُقت البشائر لذلك ، وعظُم سرور السلطان ، غير أنه تَشَوَّشَ لعدم مَسْكه وخاف عاقبةَ أمره . وكان من خبره أن العسكر المصرى بمن معه من العسكر الشامى ، لما ساروا من دمشق إلى جهة حلب ، وافاهم الأميرُ قانى باى الحمزاوى وغيرُه وصاروا جمعا واحداً ، فلقيهم تَغْرى بَرْمَش المذكور بجموعه ، التى كانت معه قريبا من حماة ، فى يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة ، وقد صفَّ عساكره من التركمان وغيرهم ،

---

(١) بانَقُوسا : جبل فى ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال (معجم البلدان ج١ ص ٥٠) .

(٢) فى ا (لحقده) .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (غاته) .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

حتى ملأوا الفضاء ، فحال ما وقع [بصر][١] عسكره على العساكر السلطانية ، أخذوا في الانهزام من غير مصافقة ، بل بعض تناوش من صغار الطائفتين ، وولوا الأدبار .

ومدت العساكرُ السلطانية أيديها إلى عساكر تنرى برمش ، فغنموا منهم[٢] غنائم لا تحصى كثرةً ، منها نحو المائتى ألف رأس [١١٧] من الغنم ، سوى ما تمزق ، ونُهب جميعُ وِطاق تغرى برمش وماله[٣] ، وانهزم هو فى جماعة يسيرة من خواصه إلى جهة التركمان الصوْجيّة[٤] ، على ماتذكره من[٥] قصته[٦] فى ذى الحجة من هذه السنة .

ثم فى يوم الاثنين سابع[٧] عشرين ذى القعدة ، قدم النجّاب برأس الأمير إينال الجكمى ، وكان قتله بقلعة دمشق فى ليلة الاثنين عشرين ذى القعدة ، فشهرت الرأس على رمح ، ونودى عليه : « هذا جزاء من حارب الله ورسوله » ، ثم علقت على باب زويلة ، وقُتل معه الأمير تنَم العلائى المؤيدى ، وكان تنم المذكور أدوبا حشما وقورا ، وأما إينال الجكمى فيأتى التعريف بحاله فى الوفيات على العادة .

وفى هذه الأيام ، حُكم بقتل الأمير يخشباى الأشرفى الأمير آخور الثانى ، وقد تقدم أنه ادّعى عليه أنه سبّ شريفا ، ولعن والديه ، وأن بعض نواب الشافعى حكم بحقن دمه ، وسكن الحال مدة أشهر ، ثم طلب السلطانُ من القاضى المالكى قتلَه ؛ فاحتج بحكم الشافعى بحقن دمه ، فعُورض بأن المطلوبَ الآن من الدعوى عليه غير المحكوم فيه بحقن الدم ، فصمم المالكى بأنهما قضية واحدة ، ووافقه غير واحد من المالكية ؛ ووقع أمور حكاها غيرُ واحد من المؤرخين ، إلى أن قُتل يخشباى المذكورُ حسبما يأتى ذكره .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (منها) .
(٣) فى ا (وماله) .
(٤) التركمان الصوجية أتباع صوجى التركمانى (راجع ما سبق) .
(٥) فى ا (فى) .
(٦) فى الأصل (قبضه) .
(٧) فى ا (رابع عشرين) (انظر ما يلى بالمتن) .

ثم وَرَد على السلطان فى يوم الأحد ثالث ذى الحجة ، مطالعةُ الأمير جُلُبّان نائب حلب ، وقرينها مطالعات بقية الأمراء والنواب ، تتضمن أن تَغْرى بَرْمَش ، لما انهزم على حماة ، مضى نحو الجبل الأقرع وقد فارقه القادرُ بن نُعَيْر ، فقبض عليه أحمد وقاسم ولدا صَوْجى ، وقبض معه على دواداره كَمُشْبُغَا ، وخازنداره يونس ، وعلى الأمير طُرْعَلى بن سقل سيز والأمير صارم الدين إبراهيم بن الهَذْبانى نائب قلعة صِهْيُونْ ، وكتبوا بذلك إلى نائب حلب ، فورد الخبر بذلك على العسكر ، وهم على خان طُومان ، فى يوم الاثنين العشرين من ذى القعدة .

فجهز الأميرُ جُلُبانُ عند ذلك الأميرَ بُرْدُبَك العجمى نائب حماة ، والأميرَ إينال العلائى نائبَ صَفَد ، والأميرَ طُوخ مازِى نائب غزة ، والأميرَ قطج أتابك حلب ، والأمير سُودون النَّوْرُوزى حاجب حجاب حلب ، لإحضار المذكورين ، ورحل جُلُبّان بمن بقى معه [يريد حلب ، فدخلها فى يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى القعدة المذكورة ، وسار بُرْدبك العجمى نائب حماة بمن معه][1] إلى أن تسلّم تَغْرى برْمَش ومن ذكرنا ممن قُبِض عليه من أصحابه وأتوا بهم ، فسُمِّر طُرْعلى بن سقل سيز تسميرَ سلامَة ، وسُمِّرَ الهَذْبانى ورفيقُه تسميرَ عطب ، وساروا بهم ، وتَغْرى بَرْمَش راكب على فرس بقيد حديد ، حتى دخلوا به مدينة حلب ، وهو ينادى عليهم فى يوم الخميس ثالث عشرينه ، وقد اجتمع من أعدائه الحلبيين خلائق لا يعلم عدتها إلا الله ، وهم من التخليق بالزعفران والتهانى ، فى أمر كبير ، وصاروا يُسْمعون تَغْرى بَرْمَش المذكور ، من المكروه والسَّبِّ والتوبيخ وإظهار الشماتة به أموراً كثيرة ، حتى أوقفوهم تحت قلعة حلب ، وَوُسِّط الهَذْبانى ورفيقُه ، وتسلّم تَغْرى بَرْمَش وطُرْعَلى الأميرُ حطَط نائب قلعة حلب .

فانظر إلى هذا القِصَاص ، وهو أن تَغْرى بَرْمَش لم يكن له فى الدنيا عدو أعظمَ من بُرْدُبَك العجمى وحطَط ، ثم عامة حلب ، وقد تمكّن الثلاثةُ منه ، فأما بُرْدُبَك فإنه

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

تسلّمه وتحكم فيه [من وقت أخذه من أولاد صَوْجى إلى أن أوصله إلى قلعة حلب ، وأما حَطَط فإنه تحكم فيه][1] منَ وقت تسلمه من بُرْدُبَك العجمى إلى أن قتل بين يديه ؛ وأما عامة أهل حلب فإنهم بلغوا منه مرادَهم من إسماعه المكروهَ والشماتة به ، والتفرج عليه يوم قتله ، فنعوذ بالله من زوال النعم وشماتة الأعداء .

وأما السلطانُ الملكُ الظاهر ، فإنه لما بلغه القبضُ على تَغْرِى بَرْمَش ، كاد أن يطير فرحا ، وعلم أنه الآن بقى فى السلطنة بغير نكد ولا تشويش ، ودُقت البشائر لذلك ثلاثةَ أيام ، وكتب بقتل تَغْرِى بَرْمَش بعد عقوبته ليقرّ على أمواله ، فعوقب ، فأقرّ على شئٌ من ماله ، نحو الخمسين ألف دينار ، ثم أُنزل ونودى عليه إلى تحت قلعة حلب ، وضربت عنقه ، وقتل معه أيضا طُرْعلى بن سقل سيز ، وصفا[2] الوقت للملك الظاهر ، وخلا له الجو من غير منازع ؛ والتفت الآن إلى من له عنده رأس قديمة يكافئه عليها من خير وشر .

فأول ما بدأ به فى يوم الخميس ثامن عشرين ذى الحجة ، أن قُبض على زين الدين عبد الباسط بن خليل الدمشقى ناظر الجيش [١١٨] وعلى مملوكه جانِبك الأستادار ، وعلى عدة كبيرة من حواشيه ، وأحيط بـــدور الجميع ، وكُتب بإيقاع الحوطة[3] على جميع ماله بالشام والحجاز والإسكندرية ، فزال بمَسْكه غُمة كبيرة عن الناس ، فإنه كان غير محبب للناس حتى ولا إلى أصحابه ، لبادرة كانت فيه ، وسوء خلق وبطش مع سفه وبذاءة[4] لسان .

ثم فى يوم السبت سلخ ذى الحجة من سنة اثنتين وأربعين ، خلع السلطان على القاضى محب الدين بن الأشقر باستقراره فى وظيفة نظر الجيش ، عوضاً عن عبد الباسط ، وخلع على الناصرى محمد بن عبد الرازق بن أبى الفرج ، نقيب الجيش ، باستقراره

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (وصفى) .
(٣) إيقاع الحوطة بمعنى الحجز .
(٤) فى ا (وبدات) .

أستادارا عوضاً عن جانبك الزينى عبد الباسط . وابن الأشقر المذكور وابن أبى الفرج ، كل منهما كان من أعظم[1] أصحاب عبد الباسط . قلت : عَوْدٌ وانعطافٌ على ما ذكرناه، أنه كان يكرهه حتى أعزُّ أصحابه ، ولولا ذاك ما وليا عنه هؤلاء وظائفَه فى حياته ، وإن كانا[2] تمنّعا عند الولاية ، فهذا باب تجمل ليس على حقيقته ، ولا يخفى ذلك على من له ذوق سليم ، فإننا لا نعرف أحداً ولى وظيفة غصباً كائناً[3] من كان .

وفى يوم السبت [المذكور][4] قدم رأس تغرى برمش ، فطيف بها ، ثم علقت على باب زويلة أياماً .

وفرغت هذه السنة ، أعنى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، بعد أن كان فيها حوادث كثيرة ، وعدة وقائع حسبما ذكرناه .

واستهلت سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة[5] والسلطانُ مصمم على أنه لا يقنع منه بأقل من ألف ألف دينار ، ويهدده بالعقوبة ، ويُعدِّد له ذنوبه ، حتى قال فى بعض مجالسه بحضرتى : والله أُشَكِّله بشِكال ، مثلما كانت تعمل الجغتية[6] ، هذا أخرب مملكة مصر ، كان إذا كلمه [أحد من][7] أعيان الأمراء صفرٌ له بفمه فى وجهه ؛ وأشياء كثيرة من ذلك .

ثم فى يوم الاثنين ثانى محرم سنة ثلاث وأربعين ، خلع السلطانُ على القاضى ولى الدين محمد السَّفْطى مفتى دار العدل ، وأحد ندماء[8] السلطان وخواصه ، باستقراره فى نظر الكسوة مضافاً لما بيده من وكالة بيت المال ، فإن شرط الواقف أن يكون وكيلُ

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (كان) .
(٣) فى ا (كائن) .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) جغتية نسبة إلى جغتاى بن جنكيز خان (راجع ما سبق) .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (ندما) .

بيت المال ناظرَ الكسوة ، عوضاً عن عبد الباسط ، قلت : وولىُّ الدين أيضاً كان من أصحابه .

ثم خلع السلطان على فتح الدين محمد بن المحرقى ، باستقراره ناظرَ الجوالى ، عوضاً عن عبد الباسط ؛ وكان فتحُ الدين المذكور من حواشى [الملك](١) الظاهر أيضاً .

ثم فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم أفرج عن جانِبَك الزينى عبد الباسط ، بعد أن حُوسب فى بيت تَغْرِى بَرْدى المؤذى الدوادار الكبير ، وقد شُطِّب عليه بمبلغ ألف ألف درهم(٢) وثلاثمائة ألف درهم ، وَجَبَتْ عليه للديوان ، وذلك سوى العشرة آلاف دينار ، التى ألزم(٣) بها .

[ثم](٤) فى سلخ المحرم ، قدم الأمير يَشْبَك السُّودُونى أمير سلاح من بلاد الصعيد بمن معه من المماليك الأشرفية وغيرهم ، فخلع السلطانُ عليه باستقراره أتابَكَ العساكر بالديار المصرية ، عوضاً عن آقْبُغَا التمرازى بحكم انتقاله إلى نيابة دمشق ، وكان يَشْبَك أُنعم عليه بالإقطاع والوظيفة من يوم ذاك ، غير أنه كان غائباً ببلاد الصعيد هذه المدة الطويلة ، فلما حضر خُلع عليه بالأتابكية .

ثم فى يوم الاثنين أول صفر ، قدم الأمير قانى باى الأبوبكرى الناصرى المعروف بالبَهْلوان ، أتابك دمشق ، إلى القاهرة ، وخلع السلطانُ عليه باستقراره فى نيابة صَفَد ، عوضاً عن الأمير إينال العلائى الناصرى بحكم عزل إينال المذكور ، واستقراره من جملة مقدمى الألوف بديار مصر ، ورسم باستقرار الأمير إينال الششمانى الناصرى أحد مقدمى الألوف بدمشق ، فى الأتابكية ، عوضاً عن قانى باى البَهْلَوان .

ثم فى يوم السبت سادس صفر ، قدم إلى القاهرة الأمراء المجردون إلى الشام بمن

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (التى) .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

معهم من المماليك السلطانية ، فخلع السلطان على الأمير قُرَا خُجا الحسنى الأمير آخور ، وعلى الأمير تَمُرْبای التَّمُرْبغَاوِى رأس نوبة النوب ، وعلى جميع من بقى من رفقتهما من أمراء الطبلخانات والعشرات ؛ وسكن قُرَا خُجا بباب السلسلة .

وفى هذه الأيام غضب السلطانُ على عبد الباسط ونقله فى يوم الخميس حادى عشر صفر ، من المقعد الذى على باب المجرة ، انتقل على الحوش من قلعة الجبل ، إلى البرج عند باب القلعة ، وكان سبب ذلك أنه من يوم حبَسه السلطانُ لم يُهِنه بضرب ولا عقوبة ، والناس تتردد إليه ، وهو مطالبه بألف ألف دينار ، وقد تكلم [١١٩] بينه وبين السلطان المقر[1] الكمالى محمد بن البارِزِى صهرُ السلطان ، وكاتبُ سره ، وراجع السلطانَ فى أمره مراراً عديدة ، وعبدُ الباسط يورد للسلطان من أثمان ما يباع له ، حتى وقف طلب السلطان بعد عناية ابن البارِزِى به ، على أربعمائة ألف دينار ، وأبى السلطانُ أن يضع عنه منها شيئاً ، وعبدُ الباسط يريد أن يحطَّ عنه من ذلك شيئاً آخر ، وترامى على ابن البارِزِى المذكور واعترف بالتقصير فى حقه فى الدولة الأشرفية ، فلم يُحْوِجه ابن البارزى لذلك ، بل شمَّر ساعداً طويلا لمساعدته ، حتى صار أمره إلى هنا بغير عقوبة ولا إهانة[2] .

فلما كان يوم الخميس المذكور ، تكلم مع السلطان ابنُ البارزى وجماعةٌ كبيرة من أعيان الدولة ، فى أمر عبد الباسط ، وسأله[3] الحطيطة من الأربعمائة ألف دينار ،

(١) المقر أرفع لقب فى الدولة المملوكية : يمنح لكبار الأمراء بعد السلطان ، ويضاف إليه أحيانا (الأشرف) أو (الشريف العالى) أو (الكريم) : فيقال : المقر الأشرف ، أو المقر الشريف العالى ، أو المقر الكريم العالى ، أو المقر العالى . ومنح هذا اللقب كذلك لأعيان الوزراء وكُتَّاب السر ومَن فى مستواهم ، مثل ناظر الخاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكتَّاب الدست ؛ أى أن هذا اللقب كان يمنح لرجال السيف ورجال العلم . ويراعى كتابه هذا اللقب فى جميع المكاتبات التى ترسل إلى حامله ، ويأمر السلطان دائما بمراعاة ذلك .

(انظر صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ٤٩٤–٤٩٥ ؛ جـ ١٢ ، ص ١٦٩ وما بعدها ؛ النجوم الزاهرة جـ٩ ، ص ١٣٠) .

(٢) فى ا (اهنه) .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (وسأله) .

فغضب السلطان من ذلك ، وأمر به فأخرج إلى البرج على حالة غير مرضية ، ومضى من المقعد ماشياً إلى البرج المذكور ، وسجنوه به ، ورسم السلطان له أن يدفع للمُرَسِّمين[1] عليه ، لمّا كان بالمقعد ، وهم ثمانية من الخاصكية ، مبلغ ألفي دينار ومائتي دينار ، ودفعها لهم . وبينما هو في ذلك ، دخل عليه الوالي وأمره أن يقلع جميع ما عليه من الثياب ، فإنه نُقل للسلطانَ أن معه الاسم الأعظم أو أنه يسحر السلطان ، فإنه [كان][2] كلما أراد عقوبتَه صرفه الله عنه ، فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة ، ومضى بها الوالي وبما في أصابع يديه من الخواتم ، فوُجد في عمامته قطعةُ أديم ، ذُكر أنها من نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وُجدت في عمامته أوراق فيها أدعية ونحوها ، وأخذ المقرُّ الكمالي في القيام معه ، حتى كان من أمره ما سنذكره .

ثم في يوم السبت ثالث عشر صفر ، قدم الأميرُ إينال العلائي الناصري المعزول عن نيابة صَفَد ، وقد استقر من جملة مقدمي الألوف بالديار المصرية ، وقدم معه الأميرُ طُوغان العثماني نائبُ القدس ، والأميرُ طوخ الأبو بكرى المؤيدى أتابَك غزة ، وقد صار من جملة مقدمي الألوف بدمشق ، على إقطاع مُغُلْبَاى الجَقْمَقِي بعد القبض عليه ، وخلع السلطانُ على الجميع وأركبوا خيولا بقماش ذهب .

ثم في رابع عشر صفر ، رسم السلطانُ بإحضار الأمراء المسجونين وغيرهم بثغر الإسكندرية ، إلى مدينة بلبيس ، ليُحملوا إلى الحبوس بالبلاد الشامية . ونَدب الأميرَ أَسَنْبُغَا الطَّيَّارى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية ، لإحضارهم ، وهم : الأمير جانِم أخو الأشرف الأمير آخور ، وإينال الأبو بكرى الأشرفي ، وعلى باى شادّ الشراب خاناة الأشرفي ، وأزْبَك السيفي قانى باى رأس نوبة المعروف بجُحا ، وجَكَم الخازندار خال العزيز ، وجَرباش ، وجانِبَك قلق سيز ، ومن الخاصكية : تَنَمْ الساقى ، وبيبرس الساقى ، ويَشْبَك الدوادار ، وأزْبَك البواب ، وبايزير خال العزيز ، وجميع هؤلاء

(١) المُرَسِّمون في المصطلح المملوكي الإقطاعي ، هم الحرّاس الذين يوكل إليهم مراقبة السجين في سجنه أو الحبس الاحتياطي حتى يوفي ما عليه .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

أشرفية ؛ وتَنْبَك الإينالى المؤيدى القيسى ، ويرم خُجا الناصرى أمير مشوى ، وجماعة أخر لم يحضرنى الآن أسماؤهم ، ولم يبق بسجن الإسكندرية سوى الأمير قَراجا الأشرفى ، أحد مقدمى الألوف كان[1] ؛ وخرج الأمير أَسَنْبغَا من يومه .

وفى هذا اليوم سافر الأمير قانى باى البهلوان نائب صَفَد إلى محل كفالته بها ، بعدما أنعم السلطانُ عليه بمال جزيل ، وسافر الطَّيَّارى[2] إلى الإسكندرية ، وأخذ المذكورين وعاد بهم إلى بلبيس فى ثانى عشرين صفر ، والجميع بالحديد ، غير أن الأمير أَسَنْبغَا تلطّف بهم وأحسن فى خطابهم ومسيرهم إلى الغاية ، بخلاف من تولى تسفيرهم من بلبيس إلى محل سجنهم ؛ فأفرج السلطانُ منهم عن يِرم خُجَا أمير مشوى ، ونُفِى إلى طرابلس ، وأخرج السلطانُ من البرج بقلعة الجبل ، اثنين أضافهما إلى هؤلاء ، ورسم أن يتوجه منهم[3] سبعةُ نفر إلى قلعة صَفَد ، ليُسجنوا بها ، وهم إينال الأشرفى أحد مقدمى الألوف ، وعلى باى المُشِدّ الأشرفى ، وأُزْبَك جُحا ، وجَرِباش مُشِدّ سيِّدى ، وتَنْبَك القيسى ، وخُزْمان وقانى باى اليوسفى ، ومُسَفِّر هؤلاء الأمير سمام الحسنى الناصرى أحد أمراء العشرات ، وأن يتوجّه ثلاثةٌ منهم إلى قلعة الصُّبَيْبَة[4] ليُسجنوا بها ، وهم الأمير جانم أمير آخور وبايزير خال العزيز [١٢٠] ويَشْبَك [بشق ، ومُسَفِّرهم ، هم ومن يمضى إلى حبس المَرْقَب الآتى ذِكرُهم : إينال أخو قَشْتَم المؤيدى أحد أمراء العشرات ، والمتوجهون إلى حبس المَرْقَب خمسة وهم : جانِبَك قانى سيز ، وتنَم الساقى ، وجَكَم خال

(١) راجع شرح هذا المصطلح فيما سبق .

(٢) المقصود بالطَّيَّارى : الأمير أسنبغا المذكور بالمتن .

(٣) فى ا (بهم) .

(٤) قلعة الصُّبَيْبَة ، يقال لها كذلك الصُّبَيْبَة بالسين ، وتقع قرب بانياس ، ويتبعها قرى وأراض كثيرة ؛ خضعت هى ومضافاتها للنظام الإقطاعى المملوكى ، وحدث أن أقطعها السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون إقطاع تمليك ، على غير المألوف السائد فى النظام الإقطاعى المملوكى ؛ وكان ذلك عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١م ، إذ أقطعها السلطان خليل للأمير بيدرا نائب السلطنة ، وكتب بذلك «تقليدا شريفا» .

(راجع : ابن عبد الظاهر : الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية . ص ٢٩–٣٦ ؛ زامباور جـ١ ص ١٥٤ – ١٥٥ ؛ السلوك جـ١ ص ٣٢٩ حاشية ١) .

العزيز](١) ويَشْبَك الفقيه ، وأُزْبَك البواب ، والجميعُ أشرفية ، وساروا بهم فى حالة غير مرضية .

[ثم](٢) فى سابع عشرين صفر ، قدم الأميرُ طُوخ مازِى نائبُ غزة ، فخلع السلطانُ عليه باستمراره وأكرمه .

وفى تاسع عشرينه ، نقل زين الدين عبد الباسط من محبسه بالبرج إلى موضع يشرف على باب القلة ، بسفارة ابن البارِزِى وأخته خَوَنْد زوجة السلطان ، ووعده السلطانُ بخير ، بعد ما كان وعده بالعقوبة .

ثم فى يوم الاثنين سادس شهر ربيع الأول ، خلع السلطانُ على الأمير طُوخ مازِى نائب غزة خلعةَ السفر ، وتوجه من يومه عائدا إلى محل كفالته .

ثم فى ليلة السبت حادى عشره ، أُخرج الملكُ العزيز يوسف من محبسه بالقلعة ، وأُركب فرساً ، ومعه جماعة كبيرة ومضوا به ، حتى أُنزل فى الحَرَّاقة(٣) ، وساروا به حتى حُبس بثغر الإسكندرية إلى يومنا هذا ، ومسفِّره جانِبَك القرمانى أحد أمراء العشرات ، ورسم أن يصرف له من مال أوقاف العزيز ألف دينار . وحُمل مع الملك العزيز ثلاثُ جوار لخدمته ، ورُتب له فى كل يوم ألفُ درهم ، من أوقاف أبيه ، وكان لخروجه يوم مهول(٤) من بكاء جوارى أبيه وأمه ، وتجمعن بعد خروجه بالصحراء فى تربة أمه خَوَنْد جُلْبان ، وعملن عزاء كيوم مات الأشرف وبكين وأبكين .

ثم فى حادى عشر شهر ربيع الأول [المذكور](٥) اَستَقَرَّ شمسُ الدين

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا ، ومثبتة عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) الحرَّاقة سفينة حربية لحمل الأسلحة النارية ولنقل رجال الدولة ، والجمع حراريق وحراقات (انظر السلوك جـ ١ ص ٣٠٦ حاشية ١ ؛ وراجع النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٧٣ حاشية ٤ ؛ والخطط جـ ٢ ص ٢٧٤) .

(٤) فى ا (يوما مهولا) .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

أبو المنصور[١] نصر الله المعروف بالوزّة ، ناظر الإسطبل السلطانى ، بعد عزل زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبى الفرج .

قلت : وأى فخر أو سابق رئاسة لمن يُعزل بهذا الوزّة عن وظيفته !

ثم فى يوم الأحد تاسع عشر [شهر][٢] ربيع الأول ، سارت تجريدة فى النيل تريد ثغر رشيد ، وقد ورد الخبرُ بأن أربعة شَوَانٍ[٣] للفرنج قاربت رشيد ، وأخذت منها أبقارا وغيرها ، فأخرج السلطانُ لذلك [الأميرَ][٤] أسَنْبَغَا الطيارى ، والأميرَ شادبك الجَكَمى ، وهما من أمراء الألوف بالديار المصرية ، وحَمل السلطان لكل منهما خمسمائة[٥] دينار ، وعندما نزلا إلى المركب فى بحر النيل ، احترقت مركبُ الطّيارى من مدفع نَفْط رموا به ، فعاد عليهم ناره ، وأحرق شيئا مما كان معهم ، وأصاب بعضهم ، فألقى الطيارى نفسه فى البحر ، حتى نجا من النار ، ثم طلع وركب السفينة وسار[٦] .

[و][٧] فى أواخر شهر ربيع الأول [هذا][٨] رسم السلطانُ بتوجه زين الدين عبد الباسط [إلى][٩] الحجاز بأهله وعياله ، وسافر فى يوم الثلاثاء ثانى عشر [شهر][١٠] ربيع الآخر ، بعد أن خلع السلطانُ عليه فى يوم سفره ، وعلى مُعْتقه جانبك الأستادار ، ونزل من القلعة إلى مخيَّمه بالريدانية ، بعد أن حمل إلى الخزانة السلطانية مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار ذهبا عينا سوى ما أخذ له من الخيول والجمال ، وسوى تحف جليلة قدّمها للسلطان وغيره ؛ ثم رحل[١١] عبدُ الباسط من الرَّيْدانية يريد

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (أبو النصر) والمثبت عن ا والضوء اللامع (جـ ١٠ ص ٢٠٠) ؛ وقد أورد السخاوى ترجمة مختصرة عنه ؛ ومما قاله أنه ونصر الله الشمسى أبو المنصور القبطى القاهرى كاتب اللالا ، ويعرف بكنيته وبابن كاتب الورشة .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) شوانى وشوانٍ جمع شينى وشينية ؛ وهى نوع من السفن الحربية ، تحمل الواحدة منها نحو مائة وخمسين رجلا (انظر السلوك حـ ١ ص ٥٦ وحواشيها) .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (بخمسمائة) .

(٦) فى ا (وساروا) .

من (٧) إلى (١٠) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(١١) فى ا (سحر) .

الحجاز ، فى خامس عشره ، ونزل ببركة الحاج[1] ، وأقام بها أيضا إلى ليلة ثامن عشره .

ثم فى خامس عشرين شهر ربيع الآخر[2] قدم الأميرُ تِمْراز المؤيدى أحدُ حجاب دمشق ، بسيف الأمير آقْبُغَا التَّمْرازى ، وقد مات فجاءة فى يوم السبت سادس عشره ، فرسم السلطانُ للأمير جُلْبَان نائبِ حلب باستقراره فى نيابة دمشق ، وأن ينتقل الأميرُ قانى باى الحمزاوى نائبُ طرابلس إلى نيابة حلب ، وأن ينتقل الأميرُ بَرْسباى الناصرى حاجبُ حجاب دمشق إلى نيابة طرابلس ، ويستقر عوضَه فى حجوبية دمشق سُودون النَّوْرُوزى حاجبُ حجاب حلب ؛ وينتقل حاجبُ حماة الأميرُ سُودون المؤيدى إلى حجوبية [حُجاب][3] حلب ، وأن يستقر الأميرُ جمال الدين يوسف بن قلدر[4] نائبُ خَرْتَ بِرْت[5] فى نيابة مَلَطْيَة بعد عزْل الأمير خليل بن شاهين الشيخى عنها ، ويستقر خليل أحد أمراء الألوف بدمشق ، عوضاً عن الأمير أَلْطُنْبُغَا الشريفى ، ويستقر الشريفى أتابك حلب ، عوضا عن قطج مِن تِمْراز ، وأن يحضر قطج المذكور إلى القاهرة [١٢١] إلى أن ينحلّ له إقطاع[6] ؛ وجُهزت تقاليدُ الجميع

(١) بركة الحاج أو بركة الحجاج ، كانت تعرف باسم بركة الجب " نسبة إلى جب عميرة بن تميم ابن جزء التجيبى من بنى القرناء ؛ ويقع هذا الموضع خارج القاهرة من بحريها ؛ وكان الخلفاء الفاطميون يخرجون إليها للصيد والتنزه ، وكذلك فعل صلاح الدين الأيوبى ومن جاء بعده ، وفى عصر المماليك أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م ببناء ميدان فيها وعمل أحواش للخيل والجمال ؛ واشتهرت هذه البركة فى عصر المقريزى (القرن الخامس عشر الميلادى) باسم بركة الحاج أو الحجاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة وإليها فى مواسم الحج . (راجع الخطط حـ ١ ص ٤٨٩ ، حـ ٢ ص ١٦٣–١٦٤ ؛ السلوك حـ ١ ص ٥٨ حاشية ٢ ؛ النجوم الزاهرة حـ ٥ ص ١٨) .

(٢) فى ا (ربيع الأول المذكور) والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الكلام .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (بلدى) .

(٥) خرت برت بأرض أرمينية ، وتعرف كذلك باسم حصن زياد (صبح الأعشى حـ ٤ ص ٣٥٥ ؛ راجع ما سبق) .

(٦) الإقطاع المحلول هو الإقطاع الشاغر الذى ذهب عن صاحبه لسبب من الأسباب ، مثل النقل أو العزل أو الوفاة ؛ وعرفت هذه الإقطاعات باسم « المحلولات » أو « المرتجعات » ، ويشرف عليها ديوان المرتجعات —

ومناشيرهم[1] فى سابع عشرينه ؛ ورسم للأمير دُولات باى المحمودى الساقى المؤيدى الدوادار الثانى أن يكون سُنْقُرُ جُلْبَان نائب الشام ، وأن يكون الأميرُ أُرْنبُغَا اليونسى الناصرى سُنْقُر قانى باى الحزاوى، نائب حلب، وأن يكون سُودون المحمودى المؤيدى المعروف بتمكجى[2] ، سُنْقُر بَرْسباى ، نائب طرابلس ؛ وخلع على الجميع فى يوم تاسع عشرين شهر ربيع الآخر .

ثم فى يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى ، استقر الأميرُ مازِى الظاهرى [بَرْقُوق][3] أحدُ أمراء دمشق ، فى نيابة الكَرَك عوضا عن آقْبُغَا التركمانى الناصرى ، بحكم مَسْك آقْبُغَا المذكور وحبسه بسجن الكَرَك .

وفى عشرينه خلع السلطانُ على الأمير أَسَنْبُغَا الطَّيارى أحد مقدمى الألوف ، باستقراره فى نيابة الإسكندرية ، عوضا عن يَلْبُغَا البهائى الظاهرى [برقوق][4] بحكم وفاته ، زيادةً على ما بيده من تقدمة ألف بمصر ، وطلب السلطانُ الأمير قَراجَا الأشرفى من سجن الإسكندرية ، فحضر فى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة ، فخلع عليه السلطانُ باستقراره أتابكَ حلب ، وبطل أمر الشريق ، واستمر على إقطاعه بدمشق .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة ، عمل السلطانُ الموكبَ بالقصر وأحضر

= أو ديوان المرتجع ؛ ثم ألغى هذا الديوان ؛ فصار أمر المرتجع إلى موظف عرف باسم «مستوفى ديوان المرتجع» .

(انظر : ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١١٠ ؛ صبح الأعشى حـ ٤ ص ٢٣ ؛ حـ ٦ ص ٣٣ ؛ نهاية الأرب حـ ٨ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ السلوك حـ ١ ص ١٩٢ حاشية ١ ، ص ٧١١ حاشية ٤ ؛ بدائع الزهور حـ ١ ص ٢٦٠) .

(١) المنشور هو الوثيقة النهائية التى تصدر من عند السلطان ، وبمقتضاها يصبح الإقطاع شرعيا فى يد صاحبه . وهذه الوثيقة يصدرها ديوان الإنشاء ، بناء على ما يرد إليه من مكاتبات من ديوان الجيش بصدد الإقطاع . وتختلف المناشير فى افتتاحياتها وحجوم أوراقها ومقدار الفراغ بين سطورها ، بحسب مرتبة المُقطَع (صبح الأعشى حـ ١ ص ١٠١ ، ١٣٨ ، حـ ٣ ص ٥٢-٥٤ ، ١٥٨ ؛ حـ ٤ ص ١٨٩ ؛ حـ ٥ ص ٤٦٤-٤٦٥ ، ٤٩٤-٤٩٥ ؛ حـ ٦ ص ١٩٠-١٩١ ، ١٩٤-١٩٥ ، ٢٠١-٢١٠ ؛ حـ ١٣ ص ١٥٨-١٦٠ ، ١٩٠-١٩٣ ؛ مسالك الأبصار حـ ٢ ورقة ٣٩٢-٣٩٣ ؛ التعريف بالمصطلح الشريف ص ٨٤ ، ٨٩ ؛ معيد النعم ومبيد النقم ص ٣٩-٤٠ ؛ زبدة كشف الممالك ص ٩٨-١٠٠ ؛ السلوك حـ ١ ص ٤٨٩ حاشية ٣ ؛ مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٢١٥-٢٤٨) .

(٢) كلمة أتمكجى معناها الخباز (انظر الضوء اللامع حـ ٣ ص ٨٦ ؛ التبر المسبوك ص ٢٥٦) .

(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

رسول القان معين الدين شاه رُخّ بن تَيْمُور لَنْك ، فحضر الرسولُ وناول الكتابَ الذى على يده ، وإذا فيه : أنه بلغه موت [الملك][1] الأشرف وجلوس السلطان على تخت الملك ، فأراد أن يتحقق علمَ ذلك ؛ فأرسل هذا الكتاب ؛ فخلع السلطانُ عليه وأكرمه وأنزله بمكانه الذى كان أنزل فيه ، فإنه كان وصل فى أول[2] يوم من جمادى الأولى ، ورسم السلطانُ بكتابة جوابه .

ثم فى يوم الاثنين رابع شهر رجب ، أدير المحمل على العادة ، وزاد السلطانُ فى عدة الصبيان الذين يلعبون بالرمح ، الصغار ، عدة كبيرة ، ولم يقع فى أيام المحمل بحمد الله ما يُنْكَر من الشناعات التى كانت تقع من المماليك الأشرفية .

وفى هذا اليوم أيضا ، خلع السلطانُ على الأمير طُوخ الأبوبكرى المؤيدى أحد أمراء الألوف بدمشق ، وكان قبلُ أتابك غزة ، باستقراره فى نيابة غزة ، بعد موت الأمير طُوخ مازِى الناصرى ، فولى طوخ عوضا عن طوخ ، وأنعم بتقدمة طوخ بدمشق ، على الأمير تِمرْاز المؤيدى الحاجب الثانى بدمشق .

ثم فى يوم السبت حادى عشر شعبان ، استقر القاضى بهاء الدين محمد بن حجى فى نظر جيش دمشق ، عوضا عن سراج الدين عمر بن السَّفَّاح ، ورسم لابن السفاح بنظر جيش حلب .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشر شوال ، خرج أميرُ حاجّ المحمل الأميرُ شادبك الجَكَمى ، أحد مقدمى الألوف ، بالمحمل ، وأميرُحاج الركب الأول سمام الحسنى الناصرى ، أحد أمراء العشرات .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس عشرين شوال ، قدم الأميرُ ناصر الدين بك ، واسمه محمد بن دُلْغَادُر نائب أبُلُسْتَيْن ، إلى الديار المصرية ، بعد ما تلقاه المطبخُ السلطانى ، وجهزت له الإقامات فى طول طريقه ، ثم سارت عدة من أعيان الدولة إلى لقائه ، ومعهم

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

الخيول والخلع له ولأعيان مَن معه من أولاده وأصحابه ، فلما دخل إلى القاهرة وطلع إلى القلعة ، ومثل بين يدى السلطان وقبّل الأرض ، خَلَع عليه السلطانُ خلعةً باستمراره على نيابة أَبُلُسْتَيْن على عادته ، وأنزل فى بيت بالقرب من القلعة ، وبالغ السلطان فى الاحتفال بأمره والاعتناء به ، وشمله بالإنعامات [1] الكثيرة . وكان ناصر الدين بك المذكور ، له سنين كثيرة لم يدخل تحت طاعة سلطان ، وإن دخل فلم يطأ بساطه ، فلما سمع بسلطنة الملك الظاهر هذا ، وبحسن سيرته ، قدم ، وأقدم معه ابنته التى كانت تحت جانِبَك الصوفى ، وعدةً من نسائه ، فعقد السلطانُ عقدَه عَلَى ابنته المذكورة التى كانت تحت جانِبَك الصوفى ، ولها من جانِبَك المذكور بنت [2] ، لها من العمر نحو ثلاث سنين ، بعد أن حمل إليها المهرَ ألفَ دينار ، وعدة كثيرة من الشقق الحرير وغيرها .

وفى هذا الشهر ، أراد السلطانُ أن تكون تصرفاتُه فى أمر جُدَّة ، على مقتضى [3] فتاوى أهل العلم ، لعلمه أن شاه رخ بن تَيْمُور ، كان يعيب على [الملك] [4] الأشرف بَرْسباى ، لأخذه بجُدّة من التجار عُشور [5] أموالهم [١٢٢] وأن ذلك من المكس المحرم ؛ فكتب بعض الفقهاء سؤالا على غرض السلطان ، يتضمن : أن التجار المذكورين كانوا يردون إلى بندر عَدَن [من بلاد اليمن] [6] فيُظْلَمُون بأخذ أكثر أموالهم ، وأنهم رغبوا فى القدوم إلى بندر جُدَّة ليحتموا [7] بالسلطان ؛ وسألوا أن يدفعوا عُشر أموالهم ، فهل يجوز أخذ ذلك منهم ؟ فإن السلطان يحتاج إلى صرف مال كثير فى عسكر يبعثه إلى مكة فى كل سنة ، فكتب قضاةُ القضاة الأربعة [8] ، بجواز أخذه وصرفه ،

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (الانعامات) بدون حرف الجر .
(٢) فى ا (بنتا) .
(٣) هذه الكلمة مستدركة بهامش ا .
(٤) ، (٦) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (عشر) .
(٧) فى ا (ليحتمو) .
(٨) فى ا (الاربع) .

فى المصالح[(١)]. فأنكر الشيخُ تقىُّ الدين على القضاة فى كتابتهم على الفتاوى المذكورة، وانطلق لسانه بما شاء الله أن يقوله فى حقهم — انتهى.

ثم فى يوم الخميس ثامن عشر ذى القعدة، قدم الأميرُ إينال الششمانى الناصرى، أتابك دمشق، والأميرُ ألْطُنْبُغَا الشريفى الناصرى أحد مقدمى الألوف بدمشق، وطلعا [إلى][(٢)] القلعة، وخلع السلطانُ عليهما وأكرمهما. وفيها[(٣)] أيضا، خلع السلطانُ على الأمير ناصر الدين بك بن دُلْغَادِر خلعةَ السفر، وسافر يوم الاثنين تاسع عشرين ذى القعدة، بعد أن بلغت النفقةُ عليه من الإنعامات ثلاثين ألف دينار.

ثم فى يوم الأربعاء سابع ذى الحجة، نودى بمنع المعاملة بالدراهم الأشرفية من الفضة،

---

(١) لتوضيح موقف السلطان جقمق من رسوم المرور التى فرضها السلطان برسباى من قبل، يلاحظ أن ميناء عدن كانت — حتى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى — الميناء الرئيسية التى ترد إليها البضائع الهندية المارة إلى مصر، غير أن سوء معاملة آل رسول باليمن (٦٢٦—٨٥٠ هـ / ١٢٢٩—١٤٤٦ م) ومكوسهم الباهظة، صرفت قادة السفن تدريجيا عن النزول فى عدن، وتوجهوا بسفنهم إلى جدة. وحدث أن نزل أحد قباطنة البحر القادمين من قاليقوط بالهند، فى جدة عام ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣ م وأخذ يشكو من سوء تصرف السلطات اليمنية مع التجار، لكنه لم يجد نصيرا من عمال جدة التابعين لشريف مكة، إذ استولى وكلاء الشريف على حمولة سفنه من البضائع بالسعر الذى حددوه، ثم وزعوا هذه البضائع على تجار مكة، فاضطر القبطان إلى تغيير خط سيره فى السنوات التالية، ونزل فى ميناء سواكن وجزائر دهلك؛ ومع ذلك فإن المعاملة التى لقيها فى هذه الأماكن، لم تكن خيرا مما شهد فى عدن أو جدة، لذلك اضطر بعد ذلك إلى التوجه إلى ينبع وكانت تحت حكم نائب مملوكى؛ وحينئذ حاول نائب جدة أن يغرى القبطان، فوعده بحسن المعاملة، وتدخل السلطان برسباى وأصدر أمره بحسن معاملة التجار.

ومنذ ذلك الوقت، بدأت ميناء جدة تزدهر، وازداد عدد السفن التى تفرغ بضائعها فيها، من أربع عشرة سفينة فى سنة ١٤٢٥ م إلى ٨٠ سفينة فى السنة التالية.

وكان السلطان برسباى قد فرض رسما قدره عشر ثمن البضائع، بلغ إيراده منه فى ذلك العام (١٤٢٦م) سبعين ألف دينار، ولما طمع السلطان فى المزيد وفرض رسوما إضافية تحول التجار مرة أخرى إلى عدن، فعدل عن الزيادة وقنع بالعشر القديم، وأضحت جدة مستودعا للتجارة الهندية.

وأراد السلطان جقمق، وهو المعروف بحسن السيرة، أن يبنى تصرفاته فى معاملة التجار الواردين إلى جدة، على أساس شرعى.

(انظر: WIET, *op. cit.*, pp. 574-6; LANE - POOLE, *Hist. of Egypt in the Middle Ages*, p. 340; مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ص ٢٨٦—٢٩٠؛ زامباور جـ ١ ص ١٨٤—١٨٥).

(٢) عن طبعة كاليفورنيا.

(٣) فى ا (وفيه).

وأن تكون المعاملةُ بالدراهم الظاهرية الجَقْمَقِيَّة ، وهدد من خالف ذلك ، فاضطرب الناس لتوقف أحوالهم . فنودى فى آخر النهار بأن الفضة الأشرفية تدفع للصيارف بسعرها ، وهو كل درهم بعشرين درهما من الفلوس ، وأن تكون الدراهمُ الظاهرية كل درهم بأربعة وعشرين درهما ، وجعلت عدداً لا وزنا[١] . فمنها ما هو نصف درهم عنه ، اثنا[٢] عشر درهما ، ومنها ماهو ربع درهم ، فيصرف بستة دراهم ، على أن كل دينار من الأشرفية ، بمائتين خمسة وثمنين[٣] درهما .

ثم فى يوم الثلاثاء ، خلع السلطانُ على غَرْس الدين خليل بن أحمد بن على السخاوى ، أحد حواشى السلطان أيامَ أمرته ، باستقراره فى نظر القدس والخليل . والسخاوى هذا أصلُه من عوام القدس السوقة ، وقدم القاهرةَ ، وخدم بعضَ التجار ، وترقى ، وركب الحمارَ ، ثم ركب بعد مدة طويلة بغلةً[٤] بنصف رَحْل[٥] على عادة العوام ، ورأيتُه أنا على تلك الهيئة ، ثم انتهى إلى خدمة السلطان ، وهو يومَ ذاك أحد مقدمى الألوف ، واختص به ، حتى تحدث فى إقطاعه ، ودام فى خدمته إلى أن تسلطن وعظم أمره عند من هو دونه ، إلى أن وَلِىَ فى هذا اليوم نظرَ القدس والخليل .

ثم فى يوم الخميس ثامن المحرم من سنة أربع وأربعين ، خلع السلطانُ على الأمير قيز طُوغان العلائى ، أحد أمراء العشرات وأمير آخور ثانى ، باستقراره أستاداراً ، عوضاً عن [محمد][٦] بن أبى[٧] الفرج ، بحكم عزله والقبض عليه وحبسه بالقلعة إلى يوم الأحد حادى عشره ، فتسلمه[٨] الوزيرُ كريم الدين ابن كاتب المناخ .

(١) راجع ما سبق .
(٢) فى ا (اثنى) .
(٣) فى ا (ثمانين) .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (بغلا) .
(٥) الرَّحل والجمع أرحل ورحال ، ما يوضع على ظهر البعير أو أى دابة للركوب ، بمعنى السرج أو المركب . ولعل المراد بنصف رحل : مركب — أو سرج — غير كامل .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (أبو) .
(٨) فى ا (تسلمه) بدون حرف الفاء ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

[ثم][1] فى يوم السبت رابع عشرين المحرم ، خلع السلطانُ على زين الدين يحيى الأشقر قريب ابن أبى الفرج ، باستقراره فى نظر ديوان المُفْرَد[2] عوضاً عن عبدِ العظيم ابن صدقة ، بحكم مَسْكه ، ونُقل ابن أبى الفرج من تسليم الوزير ، وسُلِّم هو وعبدُ العظيم للأمير قيز طُوغان الأستادار ، فأغرى[3] زينُ الدين ، قيزَ طُوغان ، بابن أبى الفرج وعبد العظيم ، حتى أخذ ابنَ أبى الفرج وعاقبه وأفحش فى عقوبته فى الملأ من الناس ، من غير احتشام ولا تَجَمُّل ، بل طرحه على الأرض وضربه ضربا مبرحا ، ووقع له معه أمور ، إلى أن أُطلق وأُعيد إلى نقابة الجيش بعد أن نفى ، ثم أعيد ؛ ومن يومئذ ظهر اسمُ زين الدين وعُرف فى الدولة ، وكان هذا مبدأ ترقيه حسبما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى[4] .

وفى هذه الأيام وقع الاهتمامُ بتجهيز تجريدة [فى البحر][5] لغزو الفرنج ، وكتب السلطانُ عدةً من المماليك السلطانية ، وعليهم الأميرُ تَغرى بَرْمَش الزَّرَدْكاش ،

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) الديوان المفرد : أنشأه السلطان الظاهر برقوق حين ضعف شأن الوزارة ، وذلك بأن أفرد لإقطاعه الذى كان بيده قبل السلطنة ، ديوانا سمّاه «الديوان المفرد» وجعل رئاسته للأستادار ، كما جعل صرف متحصله إلى المماليك السلطانية الذين اشتراهم ، من جامكيات وعليق وكسوة .

يقول القلقشندى : «وليس هو — أى برقوق — المخترع لهذا الاسم ، بل رأيت فى ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمى «الديوان المفرد» .

ولقد تطور أمر هذا الديوان ، واتسعت سلطته أواخر الدولة المملوكية وأوائل العهد العثمانى ، فأخذ يشرف على خراج الإقطاعات ، والأوقاف والرزق .

ولهذا الديوان بلاد كثيرة بلغت نحو ١٦٠ بلدا ، من جملتها فارسكور والمنزلة ، وبلغ خراج كل منهما نحو ٣٠ ألف دينار فى السنة ، كما أن بلدة أرمنت التابعة لإقليم القوصية وقتئذ — تتبع حاليا قنا — كانت تابعة لهذا الديوان ومساحتها ٥٧٣٨ فدانا وعبرتها ١٤ ألف دينار ؛ وفضلا عن هذه البلاد المقطعة للديوان المفرد ، كانت له رسوم تجبى من الولاة والكشاف وغيرهم ، بحيث بلغ إيراده عن سنة واحدة من العين أكثر من ٤٠٠ ألف دينار ، ومن الغلال نحو ٣٠٠ ألف أردب من القمح والشعير والفول (راجع : صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٥٧ ؛ بدائع الزهور حـ ٣ ص ١٤٤ ، ١٨٩ ؛ زبدة كشف الممالك ص ١٧ ؛ التحفة السنية ص ١٩١ ؛ السلوك حـ ١ ص ٢٧٣ حاشية ٢ ، ص ٤٨٠ حاشية ٢) .

(٣) فى ا (فاغرا) .

(٤) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

والسيفى يونس الأميرآخور ، وسافروا[١] من ساحل بولاق فى يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الأول ، وكان جملة ما أُنحدر من ساحل بولاق ، خمسة عشر غُرَابًا فيها المماليكُ السلطانية والمُطَوِّعة . وسببُ هذه التجريدة كثرةُ عَيْثِ الفرنج[٢] [فى البحر][٣] ، وأخذُها مراكبِ التجار ، وهذه أول بعثه بعثها الملكُ الظاهر من الغزاة .

ثم فى يوم السبت سادس عشرين شهر ربيع الآخر ، قدم [١٢٣] إلى القاهرة رسلُ القانِ معينِ الدين شاه رُخ بن تَيْمُور لَنْك ، ملكِ الشرق ، وقد زينت القاهرة لقدومهم ، وخرج المقامُ الناصرى محمد بن السلطان إلى لقائهم ، واجتمع الناس لرؤيتهم ، فكان لدخولهم[٤] يوم مشهود[٥] لم يعهد بمثله ، لقدوم رسل فى الدول المتقدمة ؛ وأُنزلوا بدار أُعدت لهم ، إلى يوم الاثنين ثامن عشرينه ، فتوجهوا[٦] من الدار المذكورة[٧] إلى القلعة ، بعد أن شقوا القاهرة ، وهى مزينة بأحسن زينة ، والشموع[٨] وغيرها تُشعل ، وقد اجتمع عالم عظيم لرؤيتهم ، وأُوقفت العساكرُ من تحت القلعة إلى باب القصر ، فى وقت الخدمة من باكر النهار المذكور . فلما مثَل الرسلُ بين يدى السلطان ، قُرِئَ كتابُ شاه رخ ، فكان يتضمن السلامَ والتهنئةَ بجلوس السلطان على تخت المُلك ، ثم قُدمت هديتُه وهى : مائة فص فَيْرُوز[٩] ، وإحدى وثمانون قطعة من حرير ، وعدة

---

(١) فى ا (وسافر) بصيغة المفرد .

(٢) المقصود بهؤلاء الفرنج بقايا الصليبيين بجزيرة رودس وهم فرسان الإسبتارية **Knights Hospitallers** (راجع : زيادة : المحاولات الحربية للاستيلاء على جزيرة رودس – مجلة الجيش ١٩٤٦ ؛ الچراكسة ص ١٠٥–١٠٧) .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (لدخوله) .

(٥) فى ا (يوما مشهودا) .

(٦) فى ا (توجهوا) .

(٧) فى طبعة كاليفورنيا (المذكور) .

(٨) فى ا (بالشموع) .

(٩) فى ا (فيروزج) .

ثياب وفرو ومِسك وثلاثون بُخْتِيًّا[1] من الجمال وغير ذلك ، مما يبلغ[2] قيمته خمسة آلاف دينار . وأُعيد الرسلُ إلى منازلهم ، وأُجرى عليهم الرواتب الهائلة فى كل يوم ، ثم قُلعت الزينة فى يوم الثلاثاء سلخه ، وكان الناس تفننوا فى زينة القاهرة ، ونصبوا بها القلاع ، وفى ظنّهم أنها تمادى أياماً ، فانقضى أمرها بسرعة .

ثم فى يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى[3] ، ورد الخبرُ على السلطان بنصرة الغزَاة المجردين إلى قتال الفرِنْج .

ثم فى يوم الاثنين عشرين جمادى الأولى ، خلع السلطانُ على القاضى بدرِ الدين أبى المحاسن محمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ شرف الدين عبد المنعم البغدادى ، أحد نواب الحكم الحنابلة ، باستقراره قاضىَ قضاة الحنابلة بالديار المصرية ، بعد موت شيخ الإسلام محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى .

ثم فى يوم الثلاثاء حادى عشرين جمادى الأولى المذكور ، قدم الغزاة ، وكان من خبرهم : أنهم انحدروا فى النيل إلى دِمْياط ، ثم ركبوا منه البحر ، وساروا إلى جزيرة قُبْرُس ، فقام لهم متملكُها ،[4] بالإقامات ، وساروا إلى العلَايَا ، فأمدّهم صاحبُها بغُرَابَيْن ، فيهما المقاتلةُ ، ومضوا إلى رُودِس ، وقد استعد[5] أهلُها لقتالهم ، فكانت بينهم محاربةٌ طولَ يومهم ، لم ينتصف المسلمون فيها ، وقُتل منهم اثنا[6] عشر من المماليك ، وجُرح كثير ، وقُتل من الفرنج أيضا جماعة كثيرة ، فلما خلص المسلمون من قتالهم بعد جهد ، مروا بقرية من قرى رُودِس فقتلوا وأسروا ونَهبوا ما فيها ، وعادوا إلى دِمْياط وأعلموا السلطانَ بأنه لم يكن لهم طاقةٌ بأهل رُودِس .

---

(١) البخت معربة ، وهى الإبل الخراسانية (القاموس المحيط) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (مبلغ) ، والمثبت عن ا .

(٣) فى ا (جماد الأول) .

(٤) متملكها وقتئذ — أى ملكها — هو حنا الثانى بن جانوس Janus ، وكان برسباى قد أسر جانوس من قبل عند فتح قبرص (راجع ما سبق ، وانظر عقد الجمان حـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٥٧٢—٥٨٥) .

(٥) فى ا (اشتد) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (اثنى) .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأولى المذكور، خلع على خواجا كلال رسول شاه رخ خلعة السفر، وقد اعتُنى بها عناية لم يتقدم بمثلها لرسول فى زماننا هذا، وهى حرير مُخَمَّل بوجْهَيْن: أحمر وأخضر، وطُرُز زَرْكَش، فيه خمسمائة مثقال من ذهب، وأركب فرساً بسرجِ ذهب، وكُنْبُوش زَرْكَش، فى كل منهما خمسمائة دينار، وجُهزت صُحبته هدية ما بين ثياب حرير سكندرى، وسرج وكُنْبوش ذهب، وسيوف مُسَقَّطَة بذهب، وغير ذلك مما تبلغ قيمته سبعة آلاف دينار؛ هذا بعد أن بلغت النفقة من السلطان على الرسول المذكور ورفقته، نحو خمسة عشر ألف دينار، سوى الهدية المذكورة.

ثم فى يوم السبت ثانى جمادى الآخرة، وقع بين القاضى حميد الدين الحنفى، وبين شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى الشافعى، مخاصمة، وآل أمرُهما إلى الوقوف بين يدى السلطان، فغضب السلطانُ لحميد الدين وضربَ الشهابَ الكورانى وأهانه، ورسم بنفيه إلى دمشق، ثم إلى البلاد المشرقيّة، فخرج على أقبح وجه. وكان هذا الكورانى قدم القاهرةَ قبيل سنة أربعين وثمانمائة، فى فاقة عظيمة من الفقر والإفلاس، واتصل بباب المَقَرّ الكمالى ابن البارِزِى فوالاه بالإحسان على عادة ترفقه بأهل العلم، ونوّه بذكره، حتى عرفه الناس، وتردد إلى الأكابر، وصار له وظائف ومرتبات، فلم يحفظ لسانَه لطيشٍ كان فيه، حتى وقع له ما حكيناه.

ثم فى يوم الخميس رابع عشر جمادى الآخرة، قدم الأميرُ جُلْبان نائبُ الشأم، إلى القاهرة، ونزل السلطانُ إلى لقائه [١٢٤] بمطعم الطَّير[1] خارج القاهرة، وهو أولُ رَكْبةٍ ركبها، بعد سلطنته بالموكب، وخلع السلطانُ على جُلْبان المذكور خلعةَ الاستمرار، وعاد السلطانُ إلى القلعة وهو فى خدمته.

ثم فى يوم الاثنين [عاشر][2] شهر رجب، أنعم السلطانُ بإقطاع الأمير ألطُنْبُغَا

(١) مطعم الطير المخصصة للصيد، وكان بالريدانية (راجع النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩).
(٢) عن طبعة كاليفورنيا.

المرقبي المؤيدي ، وتقدمته على الأمير طوخ مِن تِمْراز الناصري الرأس نوبة الثاني ، بعد موته ؛ وأنعم بإقطاع طوخ وهو إمرة أربعين ، على قاني باي الجاركسي شادّ الشراب خاناه .

ثم [(١)] في يوم الاثنين أول شعبان ، أُضيف نظرُ دار الضرب ، للمقر الجمالي ناظر الخواص الشريف ، كما كانت العادة القديمة ، وذلك بعد موت جوهر القُنُقْبائي الزِّمام والخازندار .

ثم في يوم السبت سادسه ، خلع السلطانُ على الطَّواشي هلال الرومي الظاهري برقوق ، شادّ الحوش السلطاني ، باستقراره زِماماً ، عوضاً عن جوهر المقدم ذكره ، على مال كثير بذله في ذلك .

ثم في يوم الأحد سابعه خلع على الزيني عبد الرحمن بن علم الدين داود بن الكُوَيز ، باستقراره أستادارَ الذخيرة ، وخُلع على الطواشي الحبشي جوهر التِّمْرازي الجَمَدار ، باستقراره خازنداراً ، كلاهما عوضاً عن جوهر المذكور .

ثم في يوم السبت عشرين شعبان ، ركب السلطانُ من قلعة الجبل بغير قماش الموكب ، لكن بجميع أمرائه وخاصكيته ونزل في أُبهة عظيمة ، وسار إلى خليج الزَّعفران خارج القاهرة ، ونزل هنالك بمخيَّمه ، ومدت له أَسْمطة جليلة وأنواع كثيرة من الحلوى والفواكه ، ثم ركب بعد صلاة الظهر ، وعاد إلى القلعة ؛ بعد أن دخل من باب النصر وشَق القاهرةَ ، وابتهج الناس به كثيراً . وهذه أول مرة شَق فيها القاهرة بعد سلطنته ، وكان هذا الموكب جميعه بغير قماش الموكب ؛ ولم يكن ذلك في [(٢)] سالف الأعصار ، وأول من فعل ذلك وترخَّص في النزول من القلعة بغير كَلفتاه ولا قماش ، الملك الناصر فرج ، ثم اقتدى به [الملك] [(٣)] المؤيد شيخ ، ثم من جاء بعدهما .

---

(١) مستدركة بهامش ا .

(٢) في ا (من) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .

وفى هذا الشهر ، تكلم زينُ الدين يحيى الأشقر ناظر الديوان المُفْرَد ، مع الأمير قِيزطُوغان العلائى الأستادار ، بأنه يكلم السلطانَ فى إخراج جميع الرِّزَق الإحباسية والجيشية التى بالجيزة[1] وضواحى القاهرة ، وحسَّن له ذلك ، حتى تكلم قِيز طُوغان المذكور فى ذلك مع السلطان وألح عليه ، ومال السلطان لإخراج جميع الرِّزَق المذكورة ، إلى أن كلمه فى ذلك جماعة من الأعيان ورجّعوه عن هذه الفعلة القبيحة ، فاستقر الحال على أنه يجبى من الرزق المذكورة ، فى كل سنة عن كل فدان ، مائة درهم من الفلوس ، فجبيت ، واستمرت إلى يومنا هذا فى صحيفة زين الدين المذكور ، لأنه[2] [هو][3] الدالُّ عليها ، والدال على الخير كفاعله وكذلك الشَّر .

ثم فى يوم الثلاثاء أول شهر رمضان ، ورد الخبر على السلطان بالقبض على الأمير قَنْصُوه النَّوْرُوزى ، وكان له من يوم وقعة الجَكَمى فى اختفاء ، فرسم بسجنه بقلعة دمشق ، وقانصوه هذا من أعيان الأمراء المشهورين بالشجاعة وحسن الرمى بالنُّشَّاب ، غير أنه من كبار الخامِيل الفلاسة المديونين .

ثم فى يوم السبت ثانى عشر [شهر][4] رمضان ، خلع السلطانُ على القاضى معين الدين عبد اللطيف ابن القاضى شرفَ الدين أبى بكر ، سبط العجمى ، باستقراره فى نيابة[5] كتابة السر بعد وفاة أبيه .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشر شوال ، برز أميرُ حاجِّ المحمل الأميرُ تَمُرْباى رأس نوبة النوب ، بالمحمل ، وأميرُ الركب الأول سُودون الإينالى المؤيدى ، المعروف بقَرَاقَاس ، أمير عشرة . وحج فى هذه السنة ثلاثةٌ من أمراء الألوف : تَمُرْباى المقدم ذكره ، والأمير تمراز القُرْمُشِى أمير سلاح ، والأمير طُوخ من تِمْراز الناصرى ،

(١) راجع ما سبق .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (بأنه) ، والمثبت عن ا .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) مستدركة بهامش ا .

وسبعة أمراء أُخر ، ما بين عشرات وطبلخانات . وتوجه تِمْراز أمير سلاح بالجميع رَكْبًا وخَدَه قبل الركب الأول ، كما سافر فى السنة الماضية الأميرُ جَرِبَاش الكَرِيمى قاشق أمير مجلس ، وصُحبتُه ابنتُه زوجةُ السلطان الملك الظاهر .

ثم فى يوم السبت سابع ذى القعدة ، قدم إلى القاهرة الأميرُ قانى باى الحمزاوى نائب حلب باستدعاء [١٢٥] ، فركب السلطانُ إلى ملاقاته بمطعم الطير ، وخلع عليه باستمراره على كفالته .

وفى أواخر[١] هذا الشهر ، طرد السلطانُ أَيْتَمُشَ الخضرىَّ الظاهرى ، أحدَ الأمراء البَطَّالة من مجلسه ، ومنعه من الاجتماع به ، وهذه ثانى مرة أهانه السلطانُ وطرده ؛ وأما ما وقع لأَيْتَمُش المذكور قبل ذلك فى دولة الأشرف بَرْسْباى من البهدلة والنفى ، فكثير ، وهو مع ذلك لاينقطع عن التردد للأمراء وأرباب الدولة بوجه أقوى من الحجر .

وفى هذه السنة ، أعنى[٢] سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، جُدِّد بالقاهرة وظواهرها عدةُ جوامع ، منها جامع الصالح طلائع بن رُزِّيك[٣] خارج باب زَوِيلَة ، قام بتجديده

---

(١) فى ا (آخر) .

(٢) أضافت طبعة كاليفورنيا حرف (عن) بعد كلمة (اعنى) ولا وضع لها ، والمثبت عن ا .

(٣) أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين ، ولى الوزارة للخليفة الفائز الفاطمى ثم العاضد لدين الله ، وكان شيعيا مغاليا ، إلا أنه كان شجاعا كريما جوادا فاضلا محبا لأهل الأدب ، وله شعر جيد ، ومن مؤلفاته كتاب سماه : الاعتماد فى الرد على أهل العناد . وله قصيدة سماها : الجوهرية فى الرد على القدرية . ومن شعره :

يا أمة سلكت ضلالا بيّنـــا　　　حتى استوى إقرارها وجحودها
ملتم إلى أن المعاصى لم يكن　　　إلا بتقدير الإله وجــودها
لو صح ذا كان الإله بزعمكم　　　منع الشريعة أن تقـــام حدودها
حاشا وكلا أن يكون إلهنـــا　　　ينهى عن الفحشاء ثم يريدها

وقد مات هذا الوزير الشاعر قتيلا في عام ٥٥٦ هـ / ١١٦١ م ، وتبع موته اضطرابات خطيرة ، نتيجة الصراع حول منصب الوزارة ، وانتهى هذا الصراع بزوال الخلافة الفاطمية برمتها .

(المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٩٣-٢٩٤) .

وجل من الباعة يقال له عبد الوهاب العيْنى ، ومنها مشهد السيدة رقيّة ، قريبا من المشهد النَّفيسى ، جدده الشريفُ بدر الدين حسين بن أبى بكر الحسينى ، نقيب الأشراف ، وجدد أيضا جامع الفاكهيين[1] بالقاهرة ، وجامع الفَخْر بخط سُوَيقة الموفق بالقرب من بولاق ، وجدد أيضا جامع الصارم أيضا ، بالقرب من بولاق ، وأنشأ أيضا جوهر المنْجَكى نائبُ مقدم المماليك ، جامعًا بالرُّمَيْلة ، تجاه مصلاة المُؤْمنى[2] ، وعمارته بالفقيرى بحسب الحال ، وأنشأ تَغرِى بَرْدى المؤذى البَكْلَمُشى الدَّوادار ، جامعًا بخط الصَّلِيبة على الشارع الأعظم .

قلت : الناس على دين مليكهم ، وهو أنه لما كانت الملوكُ السالفة تهوى التنزه والطرب ، عمرت فى أيامهم بولاق و بِركةُ الرَّطْلى[3] وغيرهما من الأماكن ، وقدم إلى القاهرة كل أستاذ صاحب آلة من المطربين وأمثالهم من المغانى والملاهى ، إلى أن تسلطن [الملكُ][4] الظاهر جَقْمَق ، وسار فى سلطنته على قدم هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج ، وأخذ فى مقت من يتعاطى المسكرات ، من أمرائه وأرباب دولته ، فعند ذلك تاب أكثرهم ، وتَصَوْلَح وتزهّد[5] ، وصار كل أحد منهم يتقرب إلى خاطره بنوع من أنواع المعروف ، فمنهم من صار يكثر من الحج ، ومنهم من تاب وأقلع عما كان فيه ، ومنهم من بنى المساجد والجوامع ، ولم يبق فى دولته ممن استمر على ما كان

---

(١) يعرف هذا الجامع كذلك باسم « الجامع الظافرى » أو جامع الظافر أو الجامع الأفخر . بناه الخليفة الظافر بنصر الله الفاطمى سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ (المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢٩٣) .

(٢) أنشأ هذه المصلاة الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى حوالى سنة ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م زمن السلطان شعبان بن حسين فى الدولة المملوكية الأولى (راجع النجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ١٦١ حاشية ٢) .

(٣) كانت بركة الرطلى تعرف باسم بركة الطوابين ، إذ كان الطوب يعمل فيها ، وهى بجانب الخليج الذى أعاد حفره الناصر محمد بن قلاوون ، وعرفت كذلك باسم بركة الحاجب لأنها كانت بيد الأمير بكتمر الحاجب ، أحد أمراء الناصر محمد ، ثم اشتهرت باسم بركة الرطلى لوجود شخص بجانبها كان يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة . (راجع الخطط جـ ٢ ص ١٢٥ ، ١٦٢) .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (تزاهد) .

عليه ، إلا جماعة يسيرة ؛ ومع هذا كان أحدهم إذا فعل شيئا من ذلك ، فعله سرًّا مع تخوف ورعب زائد ، يرجفه فى تلك الحالة صفير الصافر وخفق الرياح ، فلله دره من ملك ، فى عفته وعبادته وكرمه .

ثم فى يوم السبت ثالث[1] شهر ربيع الأول من سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، خلع السلطانُ علَى يار[2] عَلى بن نصر الله الخراسانى العجمى الطويل باستقراره فى حسبة القاهرة ، مضافا لما بيده من حسبة مصر القديمة[3] عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى بحكم عزله .

ثم فى يوم الخميس ثامن[4] [شهر][5] ربيع الأول المذكور ، كانت مبايعةُ الخليفة أمير المؤمنين سليمان بن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بالخلافة ، بعد وفاة أخيه المعتضد داود ، بعهد منه إليه ، ولُقب بالمستكفى بالله أبى الربيع سليمان .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى ، خلع السلطانُ على الشريف علىّ ابن حسن بن عَجْلان ، باستقراره فى إمرة مكة ، عوضا عن أخيه بركات بن حسن بحكم عزله ، لعدم حضوره إلى الديار المصرية ؛ وعين السلطانُ مع الشريف علىّ المذكور خمسين مملوكا من المماليك السلطانية ، وعليهم الأمير يَشْبَك الصوفى المؤيدى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، لمساعدة علىّ المذكور على قتال أخيه الشريف بركات ؛ وسافر الشريفُ علىّ من القاهرة فى يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة .

ثم فى يوم الاثنين سادس شهر رجب ، قدم إلى القاهرة الأمير برسباى [الناصرى

(١) فى ا وفى طبعة كاليفورنيا (رابع) ، والمثبت هو الصواب عن التبر المسبوك (ص ١١) ؛ فقد عنى السخاوى بتحديد أوائل الشهور بصفة خاصة ، وهذا فضلا عن سياق التواريخ فيما يلى .

(٢) فى ا (ر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وعن السخاوى (التبر المسبوك ص ١٣ ، ٤٦ ؛ الضوء اللامع ـ ٥ ص ٤٧ـ٤٨) وابن إياس (بدائع الزهور ـ ٢ ص ٢٨) .

وقد ورد اسمه أحيانا : الشيخ على العجمى الخراسانى وأحيانا أخرى : الشيخ أبو على الخراسانى العجمى ، ويقال له كذلك : يار على المحتسب . وكان مفرط الطول ، توفى سنة ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨ م .

(٣) يوجد بعض الاضطراب فى هذه العبارة فى ا وفى طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن التبر المسبوك ص ١٣ .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

فرج][1] نائب طرابلس ، ونزل السلطانُ إلى مطعم الطيور خارج القاهرة ، وتلقاه وخلع عليه على العادة .

ثم فى يوم الثلاثاء سابع [شهر][2] رجب ، أمسك السلطانُ الأميرَ قيز طُوغان العلائى الأستادار [الكبير][3] ، وقبض معه على زين الدين يحيى ناظر ديوان المفرد، وسلمهما للأمير دولات باى المحمودى المؤيدى الدوادار الثانى .

ثم خلع السلطان فى يوم الخميس سادس عشره ، على الزينى عبد الرحمن ابن [القاضى علم الدين][4] الكُوَيز ، باستقراره أستاداراً ، عوضاً عن قِيز طُوغان، وخلع على زين الدين المذكور باستقراره على وظيفة نظر المفرد على عادته [١٢٦] ، وأنعم السلطان على الأمير قيزطوغان بإمرة مائة وتقدمة ألف بحلب ، وخرج فى يوم السبت خامس عشرينه .

ثم فى يوم الاثنين سابع عشرينه ، خلع السلطانُ على الشهابى أحمد بن [أمير][5] على بن إينال اليوسفى ، أحد أمراء العشرات ، باستقراره فى نيابة الإسكندرية ، بعد عزل الأمير أسنبغا الناصرى الطَّيَّارى عنها ، وقدومه إلى القاهرة على عادته ، أميرَ مائة ومقدم ألف .

ثم فى يوم السبت أول شهر رمضان ، قدم الشيخُ شمسُ الدين محمد الخافى[6] الحنفى ، من مدينة[7] سَمَرْقَنْد ، قاصداً الحج ، وهو أحد أعيان فقهاء القان شاه رخ بن تيمور ، وولده ألوغ بك صاحب سمرقند ، واجتمع بالسلطان ، فأكرمه وأنعم عليه بأشياء كثيرة .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشر شوال ، برز أميرُ حاجِّ المحمل تَغْرِى بَرْمَش السيفى

(١) ، (٣) عن التبر المسبوك .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ، (٥) عن التبر المسبوك .
(٦) فى ا (الخاى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .
(٧) فى ا (مدرسه) ، والمثبت عن التبر المسبوك ، وطبعة كاليفورنيا .

يَشْبَك بن أَزْدَمُر الزَّرْدْ كاش، بالمحمل إلى بركة الحاج [دفعة واحدة، وكانت العادة أن أميرَ حاجِّ المحمل يبرز من القاهرة إلى الرَّيْدَانية ثم يتوجه فى ثانيه إلى بركة الحاج](١)؛ وأمير حاج الركب الأول، الأمير يونس السيفى آقْبَاى، أحد أمراء العشرات المعروف بالبواب.

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، أمسك السلطانُ الأميرَ جانِبَك المحمودى المؤيدى؛ أحد أمراء العشرات ورأس نوبة، وحبسه بالبرج من قلعة الجبل، وكان السلطانُ قصد مسكه قبل ذلك، فخشى عاقبةَ خُجْداشِيَّته، فلما زاد جانِبَك المذكور عن الحدِّ فى التكلم فى الدولة ومداخلة(٢) السلطان فى جميع أموره، بعدم دربة وقلة لباقة(٣)، مع حدة وطيش وخفة وسوء خلق، أمسكه فى هذا اليوم، وقصد بذلك حركةً تظهر من خُجْداشيَّته المؤيدية، فلم يتحرك ساكن، بل خاف أكثرهم، وحَسَّن حاله مع السلطان، وانكفَّ أكثرهم عن مداخلة السلطان؛ وأنعم السلطانُ بإمرته على خُجْداشه خير بك الأشقر المؤيدى أحد الدوادارية الصغار؛ ولم يكن خير بك المذكور ممن ترشح للإمرة؛ ومن يومئذ عَظُم أمرُ السلطان فى مُلكه؛ وهابته الناس وانقطع عن مداخلته جماعة كبيرة، ثم حُمل جانِبَك المذكور إلى سجن الإسكندرية فسجن به.

هذا والسلطانُ فى اهتمام تجريدةٍ لغزو رُودِس، وعين عدة كبيرة من المماليك السلطانية والأمراء، ومقدم الجميع اثنان من مقدمى الألوف: الأمير إينال العلائى الناصرى، المعزول عن نيابة صَفَد، والأمير تَمُرْبَاى رأس نوبة النوب. وسافروا الجميع من ساحل بولاق، فى محرم سنة ست وأربعين، ومعهم عدة كبيرة من المُطَوِّعة، بأبهج زى، من العـــدد والسلاح، وكان لسفرهم بساحل بولاق يوم

(١) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك.
(٢) فى ا (وله مداخله).
(٣) فى ا (لباقه).

مشهود[١]، إلا أنهم عادوا فى أثناء السنة ، ولم ينالوا من رودس غرضا[٢]، بعد أن أخربوا قَشْتِيل[٣] حسبما يأتى ذكره فى الغزوة الثالثة الكبرى .

وبعد سفرهم وقع حادثة شنعة ، وهى أنه لما كان يوم الاثنين سادس عشر صفر ، وثب جماعة كبيرة من مماليك السلطان الأجلاب ، من مشترواته الذين بالأطباق من القلعة ، وطلعوا إلى أسطحة[٤] أطباقهم ، ومنعوا الأمراء وغيرهم من الأعيان من طلوع الخدمة ، وأفحشوا فى ذلك إلى أن خرجوا[٥] عن الحد ، ونزلوا إلى الرحبة عند باب النحاس ، وكسروا باب الزَّرَدْخَاناة السلطانية ، وضربوا جماعة من أهل الزردخاناة ، وأخذوا منها سلاحا كثيرا ، ووقع منهم أمور قبيحة فى حق أستاذهم الملك الظاهر ، ولهجوا بخلعه من المُلك ، وهمّ السلطانُ لقتالهم ، ثم فتر عزمُه عن ذلك شفقةً عليهم ، لاخوفا منهم ، ثم سكنت الفتنة بعد أمور وقعت بين السلطان وبينهم .

ثم فى يوم الخميس عاشر [شهر][٦] ربيع الأول ، قدم الأميرُ مازِى الظاهرى برقوق نائب الكَرَك ، وطلع إلى القلعة ، وخُلع عليه باستمراره .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشرين [شهر][٧] ربيع الأول المذكور ، خلع السلطانُ على مملوكِهِ قَرَاجَا الظاهرى الخازندار ، باستقراره خازندارا كبيرا ، عوضا عن الأمير قانِبَك الأبو بكرى الأشرفى الساقى ، بحكم مرضه بداء الأَسَد[٨] ، نسأل الله [العفو][٩] والعافية .

---

(١) فى ا (يوما مشهودا) .

(٢) فى ا (عرض) .

(٣) قشتيل الروج Chateauraoux أو الحصن الأشهب ، جزيرة صغيرة بجوار ساحل آسيا الصغرى الجنوبى ، وهى تابعة الفرسان الإسبتارية المتسلطين على رودس .
(راجع : زيادة : المحاولات الحربية ص ١٩٨ ؛ LANE-POOLE, op. cit., p. 328.)

(٤) فى ا (اصطحه) .

(٥) فى ا (اخرجوا) .

(٦) ، (٧) ، (٩) عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) داء الأسد هو الجذام (التبر المسبوك ص ٤٢) .

وفيه أيضا استقر ابنُ الحاضرى قاضى قضاة الحنفية بحلب بعد عزل مُحِب الدين محمد بن الشِّحْنة ، لسوء سيرته .

ثم فى يوم الأحد ثانى عشر [شهر][١] ربيع الآخر ، قدم الأميرُ سُودون المحمدى من مكةَ المشرفة ، إلى القاهرة ، وهو مجرَّح فى مواضع من بدنه ، من قتال كان بين الشريف علىّ صاحب مكة ، وبين أخيه [١٢٧] بركات ، انتصر فيه الشريفُ علىٌّ ، وانهزم بركات إلى البر .

ثم فى يوم الأحد سادس عشرين [شهر][٢] ربيع الآخر [المذكور][٣] ، أمسك السلطانُ الزينى عبدَ الرحمن بن الكُوَيْز ، وعزله عن الأستادارية ، ثم أصبح من الغد خلع على زينِ الدين يحيى ناظر الديوان المُفْرَد باستقراره أستاداراً ، عوضا عن ابن الكُوَيْز المذكور .

وكان من خبر زين الدين هذا ، أنه كان كثيرا مايَلى الوظائفَ بالبَذْل ثم يُعزل عنها بسرعة ، وقد تجمد عليه جمل من الديون ؛ وكان خصمه فى وظيفة نظر الديوان المُفْرَد عبد العظيم بن صدقة الأسلمى ، وغريمه فى نظر الإسطبل شمس الدين الوِزّة ، ولا زال زينُ الدين المذكور فى بحبوحة من الفقر والذل والإفلاس ، إلى أن وَلى الأمير قِيز طُوغان الأستادارية ، فاختار زينَ الدين هذا لنظر الديوان المُفْرَد ، وضَرب عبد العظيم وأهانه ، كونه كان من جملة أصحاب محمد بن أبى الفرج .

وركنَ إلى زين الدين هذا ، وصار المعولُ عليه بديوان المُفْرَد ؛ فاستفحل أمرُه ، وقضى ديونَه ، فحدثته نفسه بالأستادارية ، لمصداق المثل السائر : « لا تموت النفس الخبيثة حتى تسيء[٤] لمن أحسن إليها » ، فأخذ زينُ الدين يدبر على الأمير طُوغان فى الباطن ، ويُمْلى له المقصودَ ، بأن يحسّن له الإقالةَ من الوظيفة ، حتى يعظُم أمرُه ، من سؤال السلطانِ

(١) ، (٢) ، (٣) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (يوسى) .

له باستقراره فى الوظيفة ، ويظهر له بذلك النصح ، إلى أن انفعل له طُوغان وسأل الإقالةَ ، فأقاله السلطانُ ، وخلع على الزينى عبد الرحمن بن الكُوَيْز بالأُستادارية .

واستمر زينُ الدين على وظيفةِ نظر ديوان المُفْرَد ، وقد تفتحت له أبوابُ أخْذ الأستادارية ، لسهولة ابن الكُوَيْز وخروج قِيز طُوغان من مصر ، فإنه كان لا يحسن به المرافعة فى طُوغان ولا السعى عليه بوجه من الوجوه ، فسلَكَ فى ذلك ما هو أقرب لبلوغ قصده ، بعزل طُوغان وولاية ابن الكُوَيْز ، حتى تم له ذلك ، ولبس الأُستادَّارِيةَّ ونُعِت بالأمير ، لكنه لم يَتَزَيَّا بزِيِّ الجند ، بل استمر على لبسه أولا : العمامة والفرجية ، فصار فى الوظيفة غيرَ لائق ، كونه أستاداراً وهو بزى الكَتَبة ، وأميراً ولا يعرف باللغة التركية ، ورئيساً وليس فيه شيم الرئاسة ؛ وكانت ولايته وسعادته غلطة من غلطات الدهر ، وذلك لفقد الأماثل . [الكامل] :

خلت الرِّقاعُ من الرِّخاخ فَفَرْزَنَتْ فيها البَيَاذق[1]
وتصاهَلَتْ عُرْجُ الحمير فقلتُ : من عُدْمِ السَّوابق

وفيه خلع السلطانُ على الأمير أَقْبَرْدِى المظفرى الظاهرى [برقوق][2] ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وَندبه[3] للتوجه إلى مكة المشرفة ، وصُحبته من المماليك

(١) الرخ : نبات هش ، ومن أدوات الشطرنج ، وهو القلعة ، ومنه سمى ابن تيمورلنك «شاه رخ» أى الملك والقلعة ، أو قلعة الملك (راجع ص ٤٨ حاشية ٣ فيما سبق) . والجمع رِخَخَة .

وفرزان الشطرنج معرب فرزين والجمع فرازين ، وهو بمنزلة الوزير للسلطان ، وهى القطعة المعروفة فى الشطرنج باسم الوزير .

والبيذق من الباذِق أو الباذَق ، وهى كلمة فارسية عربت ، قال ابن الأثير : هو تعريب باذه ، وهو اسم الخمر الأحمر بالفارسية ، وعُرب من هذه الكلمة كذلك البياذقة وهم الرجّالة ، وسموا كذلك لخفة حركتهم وأنه ليس معهم ما يثقلهم ؛ وفى غزوة الفتح « جُعل أبو عبيدة على البياذقة » ؛ ومنه بيذق الشطرنج ، وهو القطعة المعروفة باسم العسكرى (راجع القاموس المحيط وتاج العروس ولسان العرب) .

والمقصود بهذا التعبير ، كما هو واضح من المتن ومن هذين البيتين ، أن الصغار صاروا كبارا ووصلوا إلى المناصب العليا وهم لا يستحقونها وليسوا أهلا لها ، وذلك لفقد الأكفاء .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

السلطانية خمسون مملوكا ؛ ليستعين بهم الشريفُ عليّ صاحب مكة على من خالفه ، وسافر بعد أيام رجبيّة .

ثم في يوم الخميس أول جمادى الأولى ، أمسك السلطانُ الصفوى جوهراً التَّمْرازى الخازندار ، ورسم عليه عند تَغْرى بَرْمَش الجلالى المؤيدى الفقيه نائب قلعة الجبل ، وطالبه السلطانُ بمال كبير . وخلع السلطانُ على الطَّوَاشى فيروز الرومى النَّوْرُوزى رأس نوبة الجَمَدَارية ، باستقراره خازنداراً ، عوضا عن جوهر المذكور ، وتأسّف الناسُ كثيرا على عزل جوهر التَّمْرازى ، فإنه كان سار في الوظيفة أحسنَ سيرة ، وترقّب الناسُ بولاية فيروز هذا أمورا كثيرة .

ثم في يوم الاثنين سادس عشرينه ، استقر فيروزُ النَّوْرُوزى المذكور زِماماً ، مضافاً للخازندارية بعد عزل هلال الطَّوَاشى عنها[1] .

ثم في يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة ، خلع السلطانُ على الأمير إينال العلائى الناصرى باستقراره دواداراً كبيراً ، بعد موت الأمير تَغْرى بَرْدى المؤذى البَكْلَمُشى ، وأنعم بتقدمة تَغْرِى بَرْدِى المذكور ، على الأمير قَانى باى الجركسى ، واستمر على وظيفة شَدّ الشراب خاناه ، مع تقدمة ألف ؛ وأنعم بطبلخاناة قانى باى ، على جانِبَك القِرْمانى الظاهرىّ برقوق رأس نوبة ، وأنعم بإقطاع جانبَك، على أَيْتَمُشْ [بن عبدالله] [من أَزُوباى][2] أستادار الصحبة ، وهى إمرة عشرة ، وأنعم بإقطاع أَيْتَمُش على سَنْجَبَغَا ، وكلاهما إمرة عشرة ، والتفاوت في زيادة المغل .

ثم في يوم السبت خامس شعبان رسَم السلطان بنفى الأمير سُودون السُّودونى

(١) ورد ما بين القوسين في ا ضمن حوادث شهر جمادى الآخرة ، والصواب ما أثبت بالمتن ضمن حوادث شهر جمادى الأولى ، عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .

(٢) في طبعة كاليفورنيا (أزوبيه) وفي الضوء اللامع (جـ ٢ ص ٣٢٤) (أردبلى) . وهذه الكلمة ساقطة في ا ؛ وأثبتت الصيغة المصححة بمراجعة حوادث السنة العاشرة من سلطنة جقمق ، وهى سنة ٨٥١ هـ ، التي توفى فيها هذا الأمير ، (راجع حوادث هذه السنة فيما يلى) .

الظاهرى الحاجب إلى قوص ، فشُفع فيه فرسَم بتوجهه إلى طرابلُس، ثم شُفع فيه ثانيا [١٢٨] فرسَم له بالإقامة بالقاهرة بَطَّالا .

ثم فى يوم الاثنين ثالث شوال ، خلع السلطانُ على الشريف أبى القاسم بن حسن ابن عَجْلان ، باستقراره أميرَ مكة ، عوضا عن أخيه علىّ ، بحكم القبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بمكة المشرفة .

[ثم][1] فى سابع عشره ، برز أميرُ حاجِّ المحمل ، الأميرُ تَنْبَك البردبكى، حاجب الحجّاب بالمحمل إلى بِركة الحاج ، وهذه سَفرتُه الثانية ، وأميرُ الركب الأول الأميرُ الصَّوَاشى عبدُ اللطيف المَنْجَكى العثمانى الرومى مقدم المماليك السلطانية .

ثم فى يوم السبت تاسع عشرين شوال ، خلع السلطان على قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى ، بإعادته إلى حسبة القاهرة بعد عزل يار على وسفره إلى الحجاز .

ثم فى يوم الاثنين أوّل ذى القعدة ، قدم الأميرُ أرْكَماس الظاهرى الدَّوَادَار [الكبير][2] كان ، من ثغر دِمْياط بطلبٍ من السلطان وطلع إلى القلعة ، وخلع عليه السلطانُ كاملية مخمل بمقلب سَمُّور ، ورسم له أن يقيم بالقاهرة بَطّالا ، وأذن له بالركوب حيث شاء .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشرين ذى القعدة المذكور ، خلع السلطانُ على القاضى بهاء الدين محمد بن القاضى نجم الدين عمر بن حجى ناظر جيش دِمَشق ، باستقراره ناظرَ الجيوش المنصورة بالديار المصرية ، مضافاً لما بيده من نظر جيش دِمَشق، عوضاً عن القاضى محب الدين بن الأشقر ، بحكم عزله وغيابه فى الحج ، وذلك بسفارة حميِّه[3] القاضى كمال الدين بن البارِزى كاتب السر الشريف .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن التبر المسبوك ص ٤٧ .
(٣) فى ا (حموه) .

ثم فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر من سنة سبع وأربعين وثمانمائة ، أعيد يارعلى الخراسانى ، إلى حسبة القاهرة ، وصُرِف العينى عن الحِسْبة .

ثم فى يوم الأربعاء حادى عشر شهر ربيع الأول ، عمل السلطان المولد النبوى على العادة .

ثم فى يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة ، قدم الزينى عبدُ الباسط بن خليل ، وكان توجَّه من سنة أربع وأربعين من الحجاز إلى دمَشْق ، بشفاعةِ الناصرى محمد بن منجك له ، ولما وصل إلى القاهرة طلع إلى القلعة وقبَّل الأرض ، ومعه أولادُه ، ثم تقدم وباسَ رجل السلطان ، فقال له السلطانُ : « أهلا » بصوت خفىّ ولم يزده على ذلك ، ثم ألبسه كاملية سابورى أبيض بفرو سمور ، وألبس أولادَه كل واحد كاملية سمور بطوق عجمى ، ثم نزل إلى داره .

وقدَّم تقدمتَه فى يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة [المذكورة] [1] ، وكانت تشتمل على شىء كثير ، من ذلك أربعة وأربعون حمالا [2] على الرءوس مردومة أقمشة من أنواع الفراء والصوف والمُخَمَّل والشُّقَق الحرير ، والسلاح وطبول بازات مذهبة ، وخيول ، ونحو مائتى فرس وأربعين فرساً ، منها أكاديش خاصّ بسروج مذهبة ، وبدلات مينة وعُبِىّ حرير عدة كبيرة ، ومنها عشرة خيول ، عليها بَرْكُسْتُوانات ملونة ، وسروج مُفَرّقة ، ومنها ثمانية بسروج سذج ، برسم الكُرَة ، وبغال ثلاثة أقطار ، وجمال بخاتى قطار واحد ، فقبل السلطان ذلك كله . وبعد هذا كلِّه لم يتحرك حظُّ عبدِ الباسط عند السلطان ، ولا تجمَّل معه بوظيفة من الوظائف ، بل أمره بالسفر بعد أيام قليلة . قلت : ليس للطمع فائدة ، وأخذ ما يأخذ زمانه وزمان غيره ، وما أحسن قول من قال : [المتدارك]

---

(١) من طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (حمال) ، وجاء فى التبر المسبوك (ص ٦٦) ، أن هذه التقدمة احتوت على وأربعة وأربعين قفصا مشحونة بثياب الصوف الملونة ... » .

وتَرَى الدهرَ [لَعِباً](1) لمُعتَبِرٍ   والناسُ به دولٌ دولُ
كُرةٌ وُضِعت لِصَوالِجَةٍ   فتَلَقَّفَها رَجُلٌ رجلُ

ثم فى يوم الاثنين عشرينه ، قدم الأميرُ خليل بن شاهين [الشيخى](2) نائب مَلَطْيَة ، وخلع عليه السلطانُ خلعةَ الاستمرار ، وقدم هديتَه ، وأقام بالقاهرة إلى يوم الاثنين رابع شهر رجب ، فخلع (3) السلطان عليه باستقراره أتابَكَ حلب ، عوضاً عن الأمير قِيز طُوغان العلائى المعزول عن الأستادَّارِيّة ، بحكم استقرار قِيز طُوغان فى نيابة مَلَطْيَة عوضاً عن خليل المذكور .

ثم فى يوم السبت ثامن عشر شوال ، برز أميرُ حاجِّ المحمل ، الأمير شادبك الجكمى ، أحد مقدّمى الألوف ، بالمحمل [إلى بِركة الحاج](4) ، وأميرُ الركب الأول الأمير سَوِنْجبُغَا اليونسى ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة .

ثم فى يوم الأربعاء ثانى عشرين شوال ، أعيد [١٢٩] القاضى محب الدين بن الأشقر إلى وظيفة نظر الجيش ، وصُرف عنها القاضى بهاء الدين بن حجى ، واستمر على وظيفته نظر جيش دِمَشْق على عادته أولا ، وكانت بيده لم تخرج عنه .

ثم فى يوم الخميس سلخ شوال ، قدّم ابن حجى المذكور إلى السلطان تقدمة هائلة [تشتمل](5) على خمسة وأربعين قفصاً من أقفاص الحمّالين ما بين ثياب بَعْلَبَكِّى ، وقسِىّ وصوف ، وأنواع الفرو ، وغير ذلك . ثم فى يوم الاثنين رابع ذى القعدة ، خلع السلطانُ على بهاء الدين المذكور خلعةَ السفر ، وأضيف إليه نظرُ قلعة دمشق .

ثم فى يوم الأحد رابع عشرينه ، ركب السلطانُ من قلعة الجبل ونزل بخواصه إلى أن وصل إلى ساحل بولاق ، ثم عاد حتى علم الناسُ بعافيته ، لأنه كان توعك توعكا هيناً ، فأرجف الناس بقوة مرضه .

---

(1) ، (5) فى عن طبعة كاليفورنيا .
(2) ، (4) عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .
(3) فى ا (خلع) بدون حرف الفاء .

ثم فى يوم الاثنين ثانى ذى الحجة ، وصل الأمير جُلْبَان نائبُ الشام ، إلى القاهرة ، ونزل السلطانُ إلى ملاقاته بمطعم الطيور بالرَّيْدَانيَّة خارج القاهرة ، وخلع عليه خلعة الاستمرار على نيابة دِمَشْق ، وهذه قَدْمَتُه الثانية فى الدولة الظاهرية ، ثم قدَّم جُلْبانُ المذكورُ تقدمتَه إلى السلطان من الغد فى يوم الثلاثاء ، وكانت تشتمل على عدة حَمَّالين كثيرة ، منها سَمُّور خمسة أبدان ، ووَشَق بدنان (١) ، وقاقُم خمسة أبدان ، وسِنْجاب خمسون بدنا ، وقرضيات خمسون قرضية ، ومُخَمَّل ملون خاصّ أربعون ثوبا ، ومخمل أحمر وأخضر وأزرق حلبى ، خمسون ثوبا ، وصوف مُلَوَّن مائة ثوب ، وثياب بَعْلَبَكى خمسمائة ثوب ، وثياب بطائن خمسمائة أيضا ، وقِسِىّ حَلْقَة ثلثمائة قوس ، منها خمسون خاصّا ، وطبول بازات مذهبة عشرة ، وسيوف خمسون سيفا ، وخيول مائتا رأس ، منها واحد بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكَش ، وبغال ثلاثة أقطار ، وجمال أربعة أقطار ، وعشرون ألف دينار على ما قيل (٢) .

وفى أواخر هذه السنة ظهر الطاعون بمصر ، وفشا فى أول المحرم سنة ثمان وأربعين [وثمانمائة] (٣) ، وقد أخذ السلطانُ فى تجهيز تجريدة عظيمة لغزو رُودِس ، وأخذ الطاعونُ يتزايد فى كل يوم ، حتى عظم فى صفر ، وزاد عدةُ من يموت فيه على خمسمائة إنسان (٤) .

ثم فى يوم الثلاثاء حادى عشرين صفر ، نفى السلطانُ كسباىَ الششمانى المؤيدى ، أحد الدوادارية الصغار ، وعدّ ذلك من الأشياء التى وضعها [الملكُ] (٥) الظاهر فى محلها ؛ وقد استوعبنا أمرَ كسباى هذا ، والتعريفَ بأحواله فى غير هذا المحل .

ثم فى شهر ربيع الأول أخذ الطاعونُ يتناقص من القاهرة ويتزايد بضواحيها .

---

(١) فى ا (بدنين) .

(٢) نقل السخاوى (التبر المسبوك ص ٧٥–٧٦) محتويات هذه التقدمة .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) نظم بعض شعراء العصر فى هذا الطاعون أبياتا كثيرة من باب العزاء ، وصنف بعض الكتاب كتابا سماه « بذل الماعون فى فضل الطاعون » (انظر التبر المسبوك ص ٨٧) .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم فى يوم السبت سادس عشر [شهر](١) ربيع الأول [المذكور](٢) ، نفى السلطانُ سُودُونَ السودونى الحاجب إلى قوص ، وأنعم بإقطاعه على الأمير ألطُنْبغَا المُعلِّم الظّاهرى برقوق ، زيادة على ما بيده .

ثم فى يوم السبت المذكور ، خرجت الغزاة من القاهرة ، فنزلت فى المراكب من ساحل بولاق ، وقصدوا الإسكندرية ودِمْياط ، ليركبوا من هناك البحر المالح ، والجميع قصدهم غزو رودس . وكانوا جَمْعًا موفورا ، ما بين أمراء وخاصَّكية ومماليك سلطانية ومُطَّوِّعة ، وكان مقدم الجميع فى هذه السنة أيضا الأمير إينال العلائى الدَّوَادار الكبير(٣) ، كما كان فى السنة الخالية ، وكان معه من الأمراء الطبلخانات ، الأمير يَلْخُجا من مامِش الساقى الناصرى الرأس نوبة الثانى ، ومن العشرات جماعة كبيرة ، منهم ، تَغْرى بَرْمَش الزَّرَدْكاش ، وتَغْرى بَرْمَش الفقيه نائب القلعة ، وهو مستمر على وظيفته ؛ ورسم السلطانُ للأمير يونس العلائى الناصرى أحدِ أمراء العشرات أن يسكن بباب المدرج ، إلى أن يعود تَغْرى بَرْمَش المذكور من الجهاد ، وسُودون الإينالى المؤيدى قَراقاس رأس نوبة ، وتَمُرْبُغَا الظاهرى جَقْمَق ، ونوكار الناصرى ، وتمراز النَّوْرُوزى(٤) رأس نوبة المعروف بتعريص(٥) ، ويَشْبَك الفقيه المؤيدى .

وفيها تأمّر بعد [١٣٠] عوده بعد موت تمراز النَّوْروزى ، من جرح أصابه وجماعة أخر من أعيان الخاصَّكية ، كل(٦) منهم مقدَّم على غُراب أو زَوْرَق ، ومعه عدة من المماليك السلطانية وغيرهم ، وكانت المماليكُ السلطانية فى هذه الغزوة تزيد عدتُهم على ألف مملوك ، هذا خارج عن سافر من المطوعَة ، وأضاف إليهم السلطانُ أيضا جماعة كبيرة من أمراء البلاد الشامية ، كما فعل [الملكُ](٧) الأشرف فى غزوة قُبرُس المتقدم

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) الأمير إينال هذا هو المعروف بالأجرود (الضوء اللامع ج٢ ص ٣٢٨-٣٢٩) .
(٤) تمراز النوروزى نسبة لنوروز الحافظى نائب الشام .
(٥) فى الضوء اللامع (ج٣ ص ٣٨) مرمص ؛ وفى ا : تمريض ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (كلا) .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

ذكرها ، ورسم لهم السلطانُ أن يتوجه الجميعُ إلى طرابلس ، ليضاف إليهم العسكر الشامى ، ويسير الجميع عسكرًا واحدا ، ففعلوا ذلك ، وسافر الجميع من ثغر دمياط ، وثغر الإسكندرية ، فى يوم الخميس حادى عشر [شهر][1] ربيع الآخر ، وكان لخروجهم من ساحل بولاق يوم عظيم[2] ، لم يُرَ مثله إلا نادرًا .

ولما ساروا من ثغر الإسكندرية ودمياط إلى طرابلس ، ثم من طرابلس إلى رودس ، حتى نزلوا على بَرِّها بالقرب من مدينتها فى الخيم ، وقد استعد أهلُها للقتال ، فأخذوا فى حصار المدينة ، ونصبوا عليها المناجيق[3] والمكاحل ، وأرْموا على أبراجها بالمكاحل [والمدافع][4] ، واستمروا على قتال أهل رودس فى كل يوم . هذا ومنهم فرقة كبيرة[5] قد تفرقت فى قرى رودس وبساتينها ينهبون ويسبون ، واستمروا على ذلك أياما ، ومدينة رودس لا تزداد إلا قوة ، لشدة مقاتليها ولعظم عمارتها ، وقد تأهبوا للقتال وحَصَّنوا رودس ، بالآلات والسلاح والمقاتلة ، وصار القتال مستمرا[6] بينهم فى كل يوم ، وقُتل من الطائفتين خلائق كثيرة ، هذا وقد استقر الأمير يَلْخُجا الناصرى فى المراكب ، ومعه جماعة كبيرة من المماليك السلطانية وغيرهم ، لحفظ المراكب من طارق يطرقهم من الفرنج فى البحر ، وكان فى ذلك غاية المصلحة ، وصار يَلْخُجا مقدمَ العساكر فى البحر ، كما كان إينال مقدمَ العساكر فى البر ، وبينما يَلْخُجا ورفقتُه ذات يوم ، إذ هجم عليهم الفرنجُ فى عدة كبيرة من المراكب ، فبرز إليهم يَلْخُجا ومن معه ، وقاتلوهم قتالا عظيما ، حتى نصر الله المسلمين ، وانهزم الفرنج وغنم المسلمون منهم .

كل ذلك وقتالُ رودس مستمر فى كل يوم ، والعساكر فى غاية ما يكون من الاجتهاد

---

(١) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (يوما عظيما) .

(٣) فى ا (المناجنيق) .

(٥) المقصود بهذه الفرقة الكبيرة أتباع المحاربين المماليك ، يقول السخاوى : «وأهل البر كما تقدم مشغولون بالقتال والحصار إلا من شاء الله من غوغائهم وأتباعهم ، فإنهم تفرقوا فى قرى البلد وبساتينها وضياعها ينهبون ويسبون ويحرقون ويفعلون القبائح ...» .

(٦) فى ا (مستمر) .

فى قتال رودس ، غير أن رودس لا يزداد أمرها إلا قوة ، لعظم استعداد أهلها للقتال . ولما كان بعض الأيام ، وقع للمسلمين محنة عظيمة ، قُتل فيها جماعة كبيرة من أعيان الغزاة من الخاصّكية وغيرهم ، وهو أنّ جماعة من المسلمين الأعيان ، نزلوا فى كنيسة تجاه رودس ، وبينهم وبين العسكر الإسلامى رفقتهم مخاضة من البحر المالح ، وبينهم أيضا وبين مدينة رودس طريق سالكة .

فاتفق أهلُ رودس على[1] تبييت هؤلاء المسلمين الذين بالكنيسة المذكورة ، إلى أن أمكنهم ذلك ، فخرجوا إليهم على حين غفلة وطرقوهم بالسيوف والسلاح .

وكان المسلمون فى أمن من جهتهم ، وغالبهم جالس بغير سلاح ، وهم أيضا فى قلة والفرنج فى كثرة .

فلما هجموا على المسلمين ، ووقعت[2] العينُ فى العين ، قام المسلمون إلى سلاحهم ، فمنهم[3] من وصل إلى أخذ سلاحه ، وقاتلهم حتى قُتل ، ومنهم من قُتل دون أخذ سلاحه ، ومنهم من ألقى بنفسه إلى الماء ونجا ، وهم القليل .

على أنه قُتل من الفرنج جماعة كبيرة ، قتلهم فرسان المسلمين قبل أن يُقتلوا لما عاينوا الهلاك ، أثابهم الله الجنة .

ولما وقعت الهجّة ، قام كل واحد من المسلمين إلى نجدة هؤلاء المذكورين ، فلم يصل إليهم أحد حتى فرغ القتال ، إلا أن بعض أعيان الخاصّكية مع رفقته ، لحق جماعة من الفرنج قبل دخولهم إلى رودس ، ووضعوا فيهم السيف .

وقد استوعبنا واقعتهم بأطول من هذا ، فى غير هذا الكتاب .

وكان عدة من قتل فى هذه الكائنة نيفاً[4] على عشرين نفساً ، ودام القتالُ بعد

---

(١) فى ا (إلى) ، وما هنا من طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (وقع) .
(٣) فى ا (فمنهم) .
(٤) فى ا (نيف) .

ذلك في كل يوم بين عساكر الإسلام وبين فرنج رودس أياماً كثيرة ، ومدينة رودس لا تزداد إلا قوة . فعند ذلك أجمع المسلمون على العود ، وركبوا مراكبهم ، وعادوا إلى أن وصلوا إلى ثغر الإسكندرية ودِمْياط ، ثم قدموا إلى القاهرة . فكانت غزوة العام الماضي ، أعني غزوة قَشْتِيل التي أخربوها وسَبوا أهلها ، أبهج من هذه الغزوة [١٣١] ، فلله(١) الأمر من قبل ومن بعد . وكان وصول الغزاة المذكورين إلى القاهرة ، في يوم الخميس ثاني عشر شهر رجب من سنة ثمان وأربعين المذكورة .

ثم في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر ، خلع السلطانُ على الأمير سُودون المحمدي أحد أمراء العشرات ، باستقراره في نيابة قلعة دمشق ، بعد نقل الأمير جانِبَك الناصري دَوَادار بَرْسباي الحاجب منها ، إلى حجوبية الحجاب بدمشق ، بعد موت الأمير سُودون النَّوْرُوزي .

وفيه استقر الأمير قَنْصُوه النَّوْرُوزي الخارج على السلطان ، في نوبة الجَكَمي ، في نيابة مَلَطْيَة ، بعد عزل الأمير قِرِطُوغان العلائي ، وقدومه إلى حلب ، أتابكا بها ، عوضاً عن الصاحب خليل بن شاهين بحكم عزله ونفيه .

ثم في يوم السبت رابع شهر رجب ، وصل إلى القاهرة الأمير بَرْدبك العجمي الجَكَمي ، نائب حماة ، وطلع إلى القلعة وقبّل الأرض ، فنهره السلطان ، وأمر بالقبض عليه ، فأمسك وحُبس بالقلعة ، ثم سُفِّر إلى ثغر الإسكندرية فسُجن بها ؛ وسبب ذلك واقعة كانت بينه وبين أهل حماة ، قتل فيها جماعة كبيرة من الحمويين ، استوعبناها في الحوادث(٢) [من غير هذا الكتاب](٣) ، ورسم السلطانُ للأمير قاني باي

(١) في طبعة كاليفورنيا (ولله) .

(٢) المقصود بالحوادث : كتاب ابن تغرى بردى المعروف باسم «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور» .
انظر الجزء الثاني منه (مخطوط) ورقة ٣٠٦ ؛ انظر كذلك الجزء الأول المطبوع منه (طبعة كاليفورنيا ١٩٣١) ص ١٥٨ .

(٣) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

الأبو بكرى البَهْلوان ، نائب صَفَد بنيابة حماة ، ونقل الأمير بَيْغُوت المؤيدى الأعرج نائب حمص إلى نيابة صَفَد .

ثم فى يوم الاثنين سادس شهر رجب المذكور ، خلع السلطان على الأمير تَنَم من عبد الرزاق المؤيدى ، الذى كان وَلى حسبةَ القاهرة ، باستقراره فى نيابة الإسكندرية ، بعد عزل الأمير أَلْطُنْبُغَا المعلم اللَّفَّاف الظاهرى برقوق ، وقدومه إلى القاهرة على إقطاعه . وقد زاده[1] السلطان عدّة زيادات .

ثم فى يوم الخميس خامس عشر شعبان ، قدم إلى القاهرة قاصدُ القانِ معينِ الدين شاه رُخْ بن تَيْمورلَنْك وفى خدمته نحو المائة نفر ، وأتباع كثيرة[2] ، وكان معه أيضاً امرأة عجوز من نساء تيمور لنك ، قدمت برسم الحج إلى بيت الله الحرام ؛ أقامت بدمشق تتوجه فى الموسم صُحبةَ الركب الشامى ، ومع القاصد المذكور كسوة الكعبة التى أرسلها شاه رُخْ ، وكان القاصدُ الذى قدم فى العام الماضى ، استأذن السلطانَ فى ذلك ، واعتذر أن شاه رخ نذر أنه يكسو الكعبة ، كما كان ذكرَ[3] ذلك للملك[4] الأشرف بَرْسباى ؛ وكان ذلك سبباً لضرب الأشرف لقُصَّاده والإخراق بهم .

فلما استأذن القاصدُ الملكَ الظاهر جَقْمَق ، أذن له وعاد القاصدُ بالجواب إلى شاه رخ ، فأرسلها فى هذه السنة ، صُحبةَ هذا القاصد المذكور ، واعتذر الملكُ الظاهر بقوله : « إن هذه قربة ، ويجوز أن يكسو الكعبةَ كائن من كان » ؛ وعظم ذلك على أمراء الدولة والمصريين إلى الغاية ، ونزل القاصدُ المذكور فى بيت جمال الدين الأستادّار بين القصرين .

---

(١) فى (زاد) .

(٢) وضح السخاوى كثرة أتباع القاصد بقوله : «وهم جمع كثير إلى الغاية ، بحيث إنه قيل إن عبد الله كشف الشرقيه علّق على دوابهم فى ليلة واحدة من الشعير أربعة وعشرين أردبا ، وذبح لهم من الغنم سبعة وعشرين رأسا ومن الدجاج أكثر من أربعين طيرا ... »

(التبر المسبوك ص ٩٦) .

(٣) ، (٤) العبارة الواردة بين هذين الرقمين بها بعض الاضطراب فى ا ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وعن التبر المسبوك .

فلما كان يوم الاثنين حادى عشر شهر رمضان ، طلع قاصدُ شاه رخ المذكورُ ورفقتُه إلى القلعة ، وكان السلطانُ قد احتفل إلى طلوعهم ، ونادى أن أحداً من أجناد الحلْقة والمماليك السلطانية ، لا يتأخر عن طلوع القلعة فى هذا اليوم ، وعمل السلطانُ الخدمةَ بالحوش من القلعة ، ولم تكن العادة بعمل الخدمة إلا فى إيوان القلعة ، فأبطل السلطانُ ذلك وعملها فى الحوش ، وطلعوا القُصَّادُ ومعهم التقدمةُ والكسوة ، فأمر السلطانُ بإدخال ما معهم إلى البحرة لئلا يفطن أحد بالكسوة المذكورة [(١)] ، وترحَّب السلطانُ بالقُصَّادِ وأكرمهم وقرىء ما على يدهم من المكاتبة ، وعادوا إلى جهة منزلهم ، إلى أن وصلوا إلى بيت جمال الدين حيث سكنُهم ، وقد أُطلقت الألسنُ فى حقهم بالوقيعة من العوام[(٢)] والرجم المتتابع إلى البيت المذكور .

وحال دخولهم إلى البيت ، نزل خلفهم فى الوقت من المماليك السلطانية الذين [(٣)] بأطباق القلعة ، مقدارُ ثلاثمائة مملوك ، وانضاف [(٤)] إليهم جماعةٌ كبيرةٌ من المماليك البطَّالين والعوام ، وكبسوا على القُصَّاد المذكورين ، ونهبوا جميع ما كان لهم ، وكان شيئاً كثيراً إلى الغاية ، وأفحشوا فى النهب حتى أخذوا خُيولهم ، وكان قيمة ما نُهب لهم من الفصوص الفيروزج الكرمانى والشقق الحرير والمُخمَّل والمِسك وأنواع الفرو وغير ذلك نيِّف[(٥)] على عشرين ألف[١٣٢] دينار وأكثر ، ولولا أن الأمير يَلْخُجا الرأس نوبة الثانى ، كان سكنه بالقرب منهم ، فركب فى الحال بمماليكه ونَجَدهم ، وَمنع الناس من نهبهم ، ثم وَصل إليهم الأميرُ إينال العلائى الدوَادار الكبير ، ثم الأمير تَنْبَك حاجب الحجاب ، وأمسكوا جماعةً من العامة ، وأخذوا ما كان معهم مما نهبوه ، وإلا كان الأمرُ أعظمَ من ذلك .

ولما بلغ السلطان الخبر ، غضب غضباً شديداً ، وأمسك جماعةً من العامة ، وضربهم

(١) كانت التقدمة والكسوة موضوعة فى تسعة أقفاص (التبر المسبوك ص ٩٧) .
(٢) فى الأصل : الاعوام .
(٣) فى ا (التى) .
(٤) فى ا (وما نصات) .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

بالمقارع ، وأبدع فيهم ، وقطع أرزاق بعض المماليك السلطانية من الخدامة وأولاد الناس ، ثم أعطى السلطانُ القُصّادَ شيئاً كثيراً ، وطيّب خواطرهم — انتهى .

ثم فى أواخر شهر رمضان المذكور ، نفى السلطانُ الأميرَ أقطوه الموساوى الظاهرى [برقوق] (١) ، أحد أمراء الطبلخاناة إلى طرسوس ، ثم شفع فيه فتوجّه إلى دِمَشق بطالا .

ثم [فى شوال] (٢) ورد الخبرُ على السلطان بنصرة مراد بك بن عثمان متملّك بلاد الروم على بنى الأصفر (٣) .

وفى هذه السنة ، أبطل السلطانُ الرمّاحةَ الذين يلعبون بالرمح يوم دوران المحمل فى شهر رجب .

ثم فى يوم الاثنين ، استقر محبُّ الدين محمد بن الشِّحْنة الحنفى (٤) قاضى قضاة حلب وكاتب سرها ، وناظر الجيش بها ، بسفارة الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الخاص [الشريف] (٥).

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) المقصود ببنى الأصفر الفرنج عامة. وقد أطلق المؤرخون المسلمون هذه التسمية بصفة خاصة على الدولتين الرومانية والبيزنطية وأهلهما وعلى الصليبيين ، بدليل أن القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ، تغنى فى شعره بإزالة آخر حصن للصليبيين بالشرق — وهو عكا — زمن السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) فقال على إثر هذا الانتصار :

يا بنى الأصفر قد حلّ بكم ... نقمةُ الله التى لا تَنفَصل
قد نزل الأشرفُ فى ساحلكم ... فأبشروا منه بصَفعٍ مُتَّصل

وقصد المسلمون بهذه التسمية كل ما هو غير أسود من الأمم ، ثم استعملوها للدلالة على مسيحى أوربا جميعا ولا سيما إسبانيا .

وقد ذكر القلقشندى أن الدولة الرومانية القديمة كانت تعرف ببنى الأصفر ، نسبة إلى نهر « الصفر » — وهو التيبر — الذى قال إن روما تقع عليه .

(راجع السلوك جـ ١ ص ٧٦٦ حاشية ٦) .

(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

ثم في يوم الخميس خامس عشرين ذي القعدة ، قدم الزيني عبدُ الباسط من دِمَشق إلى القاهرة ، وهذه قَدْمته الثانيةُ من يوم عُزل وصودر ، وطلع إلى السلطان في يوم السبت سابع عشرينه ، [و](1) خلع عليه كاملية بفرو سَمُّور ، ثم قدم هديتَه إلى السلطان في يوم الاثنين تاسع عشرينه ، وكانت تشتمل على شيء كثير مع مبلغ(2) كبير من الذهب .

ثم في يوم الخميس سادس عشر ذي الحجة خرجت تجريدة إلى البحيرة ، ومقدم العسكر الأمير قَرَاخُجَا الحسني ، الأمير آخور الكبير ومعه ستة من الأمراء .

ثم في يوم الخميس رابع عشر محرم سنة تسع وأربعين وثمانمائة استقر الشيخُ شمس الدين محمد القاياتي قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ، وصُرف الحافظُ شهابُ الدين أحمد(3) بن حجر ، ونزل(4) القاياتي بغير خلعة تورعا ، وعليه طيلسانه ، وبين يديه أعيانُ الدولة ، ولما نزل إلى الصالحية(5) لم يَسمع الدعوى التي يدعيها بعض الرسل ، وقال هذه حيلة ، ثم قام وتوجّه إلى داره ، وفي ظن كل أحد أنه سيسير في القضاء على قاعدة السلف ، لما عهدوا من تقشفه وتعففه ، فوقع بخلاف ما كان في الظن(6) ، ومال إلى المنصب ، وراعى(7) الأكابر ، وأكثر من النواب ، وظهر منه الميل الكلي إلى الوظيفة ، حتى [لعله](8) لو عزل منها لمات أسفاً عليها .

---

(1) عن طبعة كاليفورنيا .

(2) في ا (مبلغا) .

(3) ساقط في طبعة كاليفورنيا .

(4) في ا (ورل) .

(5) المقصود بالصالحية ، المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سنة ٦٣٩ هـ/ ١٢٤١ م ، بين القصرين بالقاهرة ، وكانت تتخذ في أوائل العصر المملوكي مكانا لجلوس السلاطين للنظر في المظالم .

(خطط جـ ٢ ص ٣٧٤ ؛ السلوك جـ ١ ص ٣٠٨ ؛ حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٥٩–١٦٠) .

(6) في ا (بالظن) .

(7) في ا (وراعا) .

(8) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشر المحرم المذكور خلع السلطانُ على الأمير يَلْخُجَا من مامش الساقى الناصرى الرأس نوبة الثانى ، باستقراره فى نيابة غزة ، بعد موت الأمير طوخ الأبوبكرى المؤيّدى قتيلا بيد العَشِير .

ثم فى يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر ، خلع السلطانُ على الأمير شاذبك الجكَمى ، أحد مقدمى الألوف ، باستقراره فى نيابة حماة ، عوضاً عن قانى باى البهلوان بحكم انتقاله إلى نيابة حلب ، بحكم عزل قانى باى الحمزاوى عنها ، وقدومه إلى مصر ، على إقطاع شاذ بك المذكور .

ثم فى يوم الخميس خامس عشر جماد الأول من سنة تسع وأربعين المذكورة ، رسم السلطانُ بنفى الأمير على باى العجمى المؤيدى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، إلى صَفَد ثم حُوّل إلى دمشق بطالا . وأنعم بإمرته على الأمير جانبَك اليَشْبَكى الساقى والى القاهرة ، وأنعم بإقطاع جانبك المذكور على جماعة من الخاصكية الأشرفية ، ممن كان نُفِى فى أول الدولة بدمشق وغيرها .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشرين جماد الآخر ؛ وصل الأمير قانى باى الحمزاوى نائبُ حلب ، إلى القاهرة ، وقبّل الأرض . واستقر من جملة مقدمى الألوف بها ، وكان الكلام قد كثر فى أمره ، وأشيع بعصيانه .

وفى هذا الشهر ندب السلطانُ مملوكه جانبَك الظاهرى ، الخاصكى ، إلى التكلم على بندر جُدّة ، وهذه أول سَفْرة سافرها جانبك المذكور ، ومبدأ أمره فى التكلم على بَنْدَر جُدّة إلى يومنا هذا . وكان من خبر استمراره على التكلم فى البندر المذكور ، أن السلطانَ كان فى كل سنة يندب لتكلم على البندر أحداً من الأمراء أو أعيان الخاصّكية ، فيتوجه المذكورُ ثم يعود إلى القاهرة ، وقد تغير خاطرُ السلطان عليه لأمور شتى[1] ، فيعزله السلطانُ على أقبح وجه ؛ ومنهم من يصادره ويأخذ[2] منه الأموال

(١) فى ا (شتا) .
(٢) فى ا (ويوحد) .

الكثيرة ، ومنهم من يُنفى ، ومنهم من يُرْسَم عليه ويُبَهْدَل ، وقلَّ من يسلم[(١)] [١٣٣] من ذلك . وقد وقع ذلك لجماعة كثيرة من الدولة الأشرفية [بَرْسباى][(٢)] إلى يوم تاريخه .

فلما ولى جانبك هذا ، باشرَ البندرَ المذكور بمعرفةٍ وحذق مع المهابة ووفور العقل[(٣)] والحرمة ونفوذ الكلمة ، ونهض بما لم ينهض به غيره ممن تقدمه . وأنا أقول : ولا ممن تأخر عنه إلى يوم القيامة ، على ما سيأتى بيان ذلك فى مواطن كثيرة من هذه الترجمة وغيرها ؛ وقد استوعبنا حالَه فى تاريخنا « المنهل الصافى » بأوسع من[(٤)] هذا ، وأيضاً ذكرنا أمورَه مفصَّلا ، فى تاريخنا «الحوادث» عند ذهابه إلى جدة وإيابه ، ومايقع له بها فى الغالب — انتهى .

ثم فى يوم الخميس ثالث شعبان ، خلع السلطانُ على الأمير إينال العلائى الدَّوَادار الكبير ، باستقراره أتابكَ العساكر بالديار المصرية ، بعد موت الأمير الكبير يَشْبَك السودونى المُشِدّ ؛ قلت : وفى تولية إينال هذا للأتابكية فى يوم ثالث الشهر ، رد على من يتشاءم بالحركة فى يوم ثالث الشهر ، فإنه نُقل من هذه الوظيفة إلى السلطنة ، فأى شؤم وقع له فى ولايته ؟ — انتهى .

ثم خلع السلطانُ على الأمير قانى باى الجاركسى شادّ الشَّراب خاناه باستقراره دَوَاداراً كبيرا ، عوضا عن إينال المذكور ، وأنعم بإقطاع الأمير إينال المذكور على الشهابى أحمد بن على بن إينال اليوسفى ، وصار أميرَ مائة ومقدمَ ألف بالديار المصرية .

وخلع السلطانُ على الأمير يونس السيفى آقْباى ، باستقراره شادّ الشراب خاناة ، عوضا عن قانى باى الجاركسى ، واستمر على إقطاعه إمرةَ عشرة ، ووقع بسبب تولية الأمير إينال المذكور للأتابكية ، كلامٌ كثير فى الباطن ، لكون السلطان قدّمه على الأمير

(١) فى ا (سلم) . المثبت من طبعة كاليفورنيا ، ولا فرق يذكر .
(٢) من طبعة كاليفورنيا .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) راجع المنهل الصافى جـ ٢ ورقة ٤٥٩–٤٦١ .

تِمْراز القُرْمُشى أمير سلاح ، وجَرِباش الكَرِيمى أمير مجلس ، وقَرَاخُجَا الحسنى الأمير آخور الكبير ؛ وهؤلاء الثلاثة من أكابر المماليك البرقوقية ، ووظائفهم أيضا تقتضى الانتقال منها إلى الأتابكية ، بخلاف وظيفة الدوادارية . وبلغ السلطانَ ذلك ، أو فطن به ، فلما كان يوم السبت خامسه ، نزل من قلعة الجبل إلى خليج الزعفران ، وصُحبته جميع الأمراء إلى مخيم ضرب له به ، وجلس فيه وأكل السماط ، ودام هناك إلى قريب الظهر ، ثم ركب وعاد إلى القلعة . وكان قصد [الملك] [1] الظاهر بالنزول إلى خليج الزعفران فى هذا اليوم ، استخفافا بالقوم ، لأنهم أشاعوا أن جماعة تريد الركوب ، فكأنه قال لهم بلسان حاله : « ها قد نزلتُ من القلعة بخليج الزعفران ، من كان له غرض فى شىء فليفعله » ، فلم يتحرك ساكن وانقمع كل أحد ، فكانت هذه الفعلة من أحسن أفعاله وأعظمها .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر شهر شعبان[2] المذكور ، خلع السلطانُ على الأمير الكبير إينال المذكور ، خلعة نَظَرِ البيمارستان المنصورى ، وخلع على قانى باى الجاركسى خلعةَ الأنظار[3] المتعلقة بالدَّوَادارية[4] .

ثم فى يوم السبت سابع عشر شوال[5] برز أميرُ حاجِّ المحمل ، الأمير دُلاوت باى المحمودى المؤيدى الدوادار الثانى ، بالمحمل إلى بِركة الحاج[6] على العادة ، وأميرُ الركب الأول تَمُرْبَغَا الظاهرى[7] .

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (رجب) ، والمثبت هو الصواب من طبعة كاليفورنيا ومن التبر المسبوك .

(٣) فى ا (النظر) والمثبت من طبعة كاليفورنيا .

(٤) المقصود بالأنظار المتعلقة بالدوادارية ، كما فصلها السخاوى (التبر المسبوك ص ١٢٢) : « نظر الأحباس بالديار المصرية ، والمؤيدية والأشرفية بالقاهرة ، والجامع الأشرفى بالخانكاه ، وغير ذلك مما يتعلق بالدوادارية على العادة فى ذلك كله قبل ذلك » .

(٥) فى ا (سابع عشره) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا ومن التبر المسبوك .

(٦) فى طبعة كاليفورنيا (البركة) ، والتوضيح من ا .

(٧) فى حج العام المذكور وصلت إلى مصر وفود للحج من المغاربة ومن التكاررة (التبر المسبوك ص ١٢٣) .

ثم فى يوم الخميس ثالث المحرم سنة خمسين وثمانمائة ، خلع السلطانُ على الصاحب خليل بن شاهين ، المعزول عن نيابة مَلَطْيَة قبل تاريخه ، باستقراره فى نيابة القدس ، عوضا عن طُوغان العثمانى ، بحكم توجهه حاجبَ حجاب حلب ، بعد موت قانى باى الجكمى . وفيه استقر القاضى برهانُ الدين إبراهيم بن الديرى ، فى نظر الجوالى مضافا لما بيده من نظر الإسطبلات السلطانية ، عوضا عن ابن الحرّق ، بعد عزله .

ثم فى يوم الاثنين خامس صفر ، أعيد قاضى القضاة شهابُ الدين بن حجر ، للقضاء ، بعد موت قاضى القضاة شمسِ الدين القاياتى .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس صفر أيضا ، استقر القاضى ولىُّ الدين السفطى ، فى تدريس المدرسة الصلاحية بقبة الشافعى عوضا عن القاياتى .

ثم فى يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول من سنة خمسين المذكورة ، قدم إلى القاهرة الشريفُ محمد بن الشريف بركات بن حسن بن عَجْلان ، ومعه تقدمة من عند أبيه ، ما بين خيول وغيرها ؛ وأقام بالقاهرة إلى سلخ الشهر المذكور ، وعاد إلى مكة ، وقد أعطاه السلطانُ أمانًا لأبيه بركات ، ووعده بكل خير من ولاية مكة وغير ذلك .

ثم فى يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر ، خلع السلطانُ على ولى الدين السفطى ، باستقراره [١٣٤] فى نظر البيمارستان المنصورى ، عوضا عن القاضى محب الدين بن الأشقر ناظر الجيش ، بحكم عزله عنها ؛ وسار السفطى فى النظر المذكور ، سيرةً سيئة ، وهو أنه صار يأخذ مالا يستحقه ، ويدفعه لمن لا يستحقه ، وحسابُه على الله .

وفيه استقر أَسَنْبَغَا مملوك ابن كَلْبَك شادّ الشُّوَن السلطانية ، فى نيابة بَعْلَبَك ، ولم يقع ذلك(١) [فيما تقدم](٢) . والعادةُ أن نائب دمشق ، هو الذى يستقر بمن يختاره من

(١) فى ا (للك) .
(٢) من طبعة كاليفورنيا .

مماليكه فى نيابة بعلبك ، هذا فى هذا الزمان ، وأما الوالد فإنه ولى فى نيابته على دمشق ، نيابةَ القدس والرملة .

ثم فى أواخر جمادى الأولى ، توغر خاطرُ السلطان على الأمير شاد بك الجَكَمى نائب حماة ، وعزله عن نيابة حماة ، وولّى عوضه الأميرَ يَشْبُك من جانِبَك المؤيدى الصوفى أحد أمراء الألوف بحلب ، وكان السلطانُ نفى يَشْبُك المذكور من مصر ، ثم أنعم عليه بإمرة بحلب ، وأنعم بإقطاع يشبك المذكور على خُجْداشِه الأمير على باى العجمى المنفى أيضا ، قبل تاريخه إلى دمشق ؛ ورسم لشادّ بك المذكور ، أن يتوجه إلى القدس بطّالا ، وحَمل تقليدَ يَشْبُك المذكور بنيابة حماة ، وتشريفَه ، الأميرُ تمُرْبغَا الظاهرى أحدُ أمراء العشرات .

وفى هذا الشهر ، رسم السلطانُ بإطلاق جماعة من المماليك الأشرفية ، ممن كان حبَسهم فى أول دولته بالبلاد الشامية[1] ؛ ورسم بقدومهم إلى القاهرة .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر شوال ، برز أميرُ حاجِّ المحمل ، الأميرُ سَوِنْجبُغَا اليونسى الناصرى [فرج][2] أحد أمراء العشرات[3] ورأس نوبة ، بالمحمل إلى بركة الحاج ، وأميرُ الركب الأول الأميرُ تمام الحسنى الظاهرى برقوق أحد أمراء العشرات ، وسافرتْ فى هذه السنة إلى الحجاز ، زوجةُ السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، خَوَنْد مُغْل بنت [القاضى ناصر الدين بن][4] البارِزِى ، ومعها أيضا زوجةُ السلطان بنت ابن دُلْغَادِر ، وحجّ فى هذه السنة أيضاً القاضى كمالُ الدين بن البارِزِى كاتب السر [الشريف][5] ، صُحبةَ أخته خَوَنْد المذكورة[6] ، فى الركب الأول، وسافر كمال الدين [المذكور] بتجمل كبير ، وفعل فى سفرته من الخيرات والإحسان لأهل مكة ما سيذكر إلى الأبد .

---

(١) كان حبسهم فى المرقب والصُّبَيْبَة (التبر المسبوك ص ١٤٥) .
(٢) عن التبر المسبوك .
(٣) جاء فى التبر — نقلا عن العينى — أنه كان أمير عشرين .
(٤) عن التبر المسبوك .
(٥) ، (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم في يوم السبت، أول محرم سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، خلع السلطانُ على قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، باستقراره قاضيَ القضاة الشافعية بالديار المصرية، بعد عزل قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر[1].

وفيه استقر السيفي آقبَرْدى الساقى الظاهرى جَقْمَق، في نيابة قلعة حلب، عوضاً عن تَغْرى بَردى الجاركسى، بحكم عزله وتوجهه إلى دمشق، وكان آقبردى المذكور، توجه إلى حلب في أمر متعلق بالسلطان.

وفيه أنعم السلطانُ علَى خليل بن شاهين الشيخى، بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، عوضاً عن قِيز طُوغان، بحكم القبض عليه وحبْسه بقلعة دمشق، بسبب ما وقع منه، لما توجّه أميرَ حاجٍّ الركب الشامى من إحراقه باب المدينة الشريفة لسبب من الأسباب.

وفيه أيضاً استقر الأميرُ يشبك الحزاوى دَوَادارُ السلطان بحلب، في نيابة غزة، عوضاً عن حَطَط بحكم عزله وتوجهه إلى دمشق بطالا؛ وأنعم بإقطاع يَشْبَك الحزاوى، وهو تقدمة ألف بحلب، على الأمير سودون من سيِّدى بك الناصرى المعروف بالقِرْمانى. وأنعم بإقطاع سودون القرمانى وهو إمرة عشرة، على الأمير على باى [العلائى][2] الأشرفى [برسباى[3]] شادّ الشراب خاناة كان.

ثم في يوم الخميس رابع صفر من سنة إحدى وخمسين، خلع السلطان على مملوكه سُنْقُر الظاهرى، باستقراره أسْتَادارَ الصحبة، بعد موت أَيتَمُش مِن أَزُوباى المؤيدى.

ثم في يوم الخميس حادى عشر صفر المذكور، رسم السلطان بنفى الأمير[4] تغرى

(١) ساقط في طبعة كاليفورنيا.
(٢)، (٣) عن التبر المسبوك.
(٤) ساقطة في طبعة كاليفورنيا.

بَرْمَش الجلالى الفقيه ، نائب قلعة الجبل ، إلى القدس بطالا ، واستقر الأميرُ يونس العلائى الناصرى أحدُ أمراء العشرات ، عوضه فى نيابة قلعة الجبل ؛ وأنعم بإقطاع تَغْرى بَرْمَش المذكور ، على شريكه الأمير جانِبَك النَّوْروزى المعروف بنائب بَعْلَبَك ، زيادةً على ما بيده ؛ ولبس المقدمُ ذكره خلعةَ نيابة القلعة ، فى يوم الاثنين خامس عشر صفر .

ثم فى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الأول ، خلع السلطانُ على الأمير بَرْسباى الساقى السيفى تَنْبَك البَجَاسى ، باستقراره فى نيابة الإسكندرية ، بعد عزل الأمير تَنَم [من عبد الرازق المؤيدى][1] عنها وذلك بسفارة [١٣٥] عظيم الدولة الصاحبِ جمال الدين يوسف ناظر الخاص الشريف . وفيه خلع السلطانُ على الأمير جانِبَك النَّوْرُوزى المقدمُ ذكره المعروف بنائب بعلبك ، باستقراره أميرَ المماليك [السلطانية][2] المجاورين بمكة المشرفة .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشرين[3] شهر ربيع الأول المذكور ، رسم بنقل الأمير بَرْسباى الناصرى ، من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب ، بعد موت الأمير قانى باى الأبو بكرى الناصرى البهلوان . ورسم بنقل الأمير يَشْبَك المؤيدى الصوفى ، من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس ، عوضا عن بَرْسباى المذكور ، وخلع السلطانُ على الأمير تَنَم بن عبد الرازق المؤيدى المعزول عن نيابة الإسكندرية ، باستقراره فى نيابة حماة ، عوضا عن يَشْبَك الصوفى ، رشحه إلى ذلك المقرُّ الجمالى ناظرُ الخواصّ ، وحَمل إلى بَرْسباى نائب حلب التقليدَ والتشريف ، الأميرُ جَرِباش المحمدى الناصرى [فرج][4] الأمير آخور

(١ ، ٢) عن التبر المسبوك .

(٣) فى ا (عشر) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا وعن التبر المسبوك .

(٤) عن الضوء اللامع .

الثاني المعروف بكُرْت(١) ؛ وتوجه بتقليد يَشْبَك بنيابة طرابلس ، الأميرُ قراجا الظاهري الخازندارُ الكبير ، واستقر مُبَغَّرْ تَمُر بنيابة حماة ، الأمير لاجين الظاهري الساقي ، فصالحه الأمير تَمُر على عدم سفره صحبته ، على ثلاثة آلاف دينار .

ثم في يوم الخميس ثامن شهر ربيع الآخر استقر الأميرُ سُودون السودوني الظاهري [برقوق](٢) ، من جُملة الحُجّاب(٣) ، وكان سودون المذكور قد وَلِي الحجوبيةَ الثانية قبل ذلك ؛ قلتُ : درجة إلى أسفل .

ثم في يوم الخميس خامس عشره ، خلع السلطانُ على القاضي وليِّ الدين السَّفْطي ، باستقراره قاضيَ قضاة الديار المصرية ، بعد عزل قاضي القضاة علم الدين صالح البُلْقيني ، مضافاً لما بيده من تدريس الشافعي ، ونظر البيمارستان ، ونظر الكسوة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الجمالية(٤) ونظرها ، وغير ذلك من الوظائف . ومع هذا كله ، والبَلْص عَمّال والشحاذة في كل يوم ، من الأمير الكبير ، إلى مقدم الجَبَليّة(٥) ، وسار في القضاء أقبحَ سيرة ، وسلك مع الناس طريقا غير محمودة ، من الحطِّ على الفقهاء والترسيم عليهم والإخاش في أمرهم ، لا سيما ما فعله مع مباشري الأوقاف .

وفي هذا الشهر خلع السلطانُ على شخص [من الباعة](٦) يعرف بأبي الخير النحاس شهرة ومكسبا ، باستقراره في وكالة بيت المال ، عوضاً عن السفطي ، وهذا أولُ خمولِ السفطي ، ومبدأ أمر [أبي الخير](٧) النحاس ، وما سيأتي من أمرهما فأعجب .

ولابد من التعريف بأصل أبي الخير المذكور ، وسبب ترقِّيه وإن كان في ذلك

---

(١) في ا (كرد) بالدال ، وكذلك في طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن الضوء اللامع (ج٣ ص ٦٦) . والصيغتان جائزتان . وقد شرح السخاوي هذه اللفظة بقوله : «وقيل له كرت ، لكونه كثير الشعر» .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك والضوء اللامع .

(٣) صار حاجبا ثالثا (عن التبر المسبوك) .

(٤) الجمالية هي مدرسة الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالي ، بناها سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون (خطط جـ ٢ ص ٣٩٢-٣٩٣ ، حوادث الدهور جـ ١ ق ١ ورقة ٧١) .

(٥) مقدم الجبلية هو زعيم العرب وشيخهم .

(٦) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

نوع إطالة ، فيحتمل ذلك لنوع[1] من الأنواع ، فنقول : اسمه محمد وكُنيته أبو الخير ، وبكنيته أشهر ، [ابن محمد][2] بن أحمد بن محمد المصرى الأصل والمولد ، الشافعى النحّاس ، نشأ تحت كنف والده وحفظ القرآن ، وتعلم من والده وجده صناعة عمل النحاس ، ومهر فيه ، واتخذ له حانوتا بسوق النحاس بخُط الشوّائين[3] بالقرب من دكان أبيه ، وأخذ فى حانوته وأعطى حتى صار بينه وبين الناس معاملات ومشاركات ، ألجأه ذلك لتحمل الديون ، إلى أن عامله الشيخُ أبو العباس الوفائى[4] ، وصار له [عليه][5] جمل مستكثَرة من الديون ، وكان الستر مسبولا بينهما أولا، ثم وقع بينهما وحشة ، [وكان][6] ذلك هو السبب بوصلة النحّاس هذا بالملك الظاهر - جَقْمَق][7] ، وهو أن أبا العباس لما ماطلَه أبو الخير المذكور ، أخذ فى الإلحاح عليه فى طلب حقه والدعوى عليه بمجالس الحكام[8] ، والتجرى[9] عليه والمبالغة فى إنكائه[10] ، بحيث أنه ادعى عليه مرة عند الأمير سُودون السودونى الحاجب ، بعد أن أخرجه من السجن محتفَظًا به ، فضربه سُودون المذكور ، علقتين فى يوم واحد ، ودام هذا الأمر بينهما أشهرا ، بل وسنين .

وصار أبو العباس لايرق لفقر أبى الخير[11] وإفلاسه وعدم موجوده ، بل يلح فى طلب حقه ؛ فعند ذلك أخذ أبو الخير النحاس فى مرافعة أبى العباس المذكور ، بأن الذى

---

(1) فى أ (لذلك نوعا) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .

(2) الإضافة من « حوادث الدهور » .

(3) خُط الشوائين به سوق الشوائين ، لإقامة باعة الشواء به ، وهو أول سوق وضع بالقاهرة داخل باب زويلة ، وكان يعرف باسم سوق الشرايحيين (خطط جـ٢ ص ١٠٠) .

(4) فى أ (الوفاى) .

(5) ، (6) ، (7) من طبعة كاليفورنيا .

(8) أى القضاة .

(9) فى أ (السحرى) .

(10) أى فى قضاء حقه دون مماطلة (القاموس المحيط) .

(11) فى أ (أبى الفتر) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا وسياق الكلام .

بيده من المال إنما هو من [جملة] (١) ذخائر الصفوى جوهر القُنُقْبائى الخازندار ، وقد بقيت عند أبى العباس بعد موت جوهر ، ولا زال أبو الخير يجتهد فى ذلك ، إلى أن توصل إلى السلطان ، وأنهى فى حق أبى العباس ما تقدم ذكره ، وعليه محاققة ذلك وإظهار الحق فى جهته ؛ فلما سمع السلطانُ كلامه مال إليه وقال له : قد وكلتُك فى طلب الحق من أبى العباس .

[١٣٦] فنزل أبو الخير فى الحال من بين يدى السلطان ، وقد صار مطالباً بعدما كان مطلوبا ، وادعى على أبى العباس المذكور بدعاوٍ كثيرة ، يطول الشرح فى ذكرها ؛ وخدَمه السعدُ فى إظهار بعض موجود جوهر من عند أبى العباس المذكور ، فحسُنَ ذلك ببال السلطان ، ونَبُل أبو الخير فى عين السلطان ، ووكله بعد مدة فى جميع أموره ؛ كل ذلك فى سنة ست وأربعين وثمانمائة ، وتردد [أبو الخير] (٢) النحاس إلى السلطان ، وحسُن حالهُ من لبس القماش النظيف وركوب الحمار ، واكتسى كسوة جيدة ، كل ذلك وأبو الخير يلح فى طلب المال من أبى العباس ، ثم التفت إلى غير ذلك مما يعود نفعُه على السلطان ، وبقى بسبب ذلك يُكثر الطلوع إلى القلعة ، وصار يتقرب إلى السلطان بهذه الأنواع ؛ فمشى أمرُه وظهر عند العامة اسمُه (٣) ؛ واستمر على ذلك إلى سنة ثمان وأربعين ، فركب فرساً من غير لبس خُفٍّ ولا مهماز ، وصار يطلع إلى القلعة فى كل يوم مرة بعد نزول أرباب الدولة من الخدمة ، ويتقاضى أشغالَ السلطنة .

كل ذلك وأعيانُ الدولة لا تلتفت إليه ، ولا يماكسه أحد فيما يرومه ، لعدم اكتراثهم به وإهمالهم أمرَه ، لوضاعته لا لجلالته ؛ فاستفحل أمرُه بهذه الفعلة ، وطالت يدُه فى الدولة ، فأول ما بدأ به أخذ فى معارضة السفطى ، وساعده فى ذلك سوء سيرة السفطى وملل السلطان منه ، فوُلِّىَ عنه وكالةَ بيت المال ، ثم أخذ أمرُه يتزايد بعد

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا تقديم كلمة عن أخرى فى هذه العبارة ، لكن بدون تغيير فى المعنى ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

ذلك ، على ما سيأتى ذكره مفصلا . وقد استوعبنا حاله فى تاريخنا « المنهل الصافى » بأطول من هذا إذ هو كتاب تراجم لاغير ، [وأما أمره فى تاريخنا « حوادث الدهور » فهو مُفَصَّل باليوم والساعة من أول أمره إلى آخره[١] — انتهى] [٢] .

ثم فى يوم السبت أول جمادى الأولى ، برز المرسومُ الشريف باستقرار خير بك الأجرود المؤيدى ، أحد مقدمى الألوف بدمشق ، فى أتابكية دمشق ، بعد موت الأمير إينال الششمانى الناصرى ، وأنعم السلطانُ بإقطاع خير بك المذكور ، على الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى ، أحد أُمراء العشرات [ورأس نوبة] [٣] بالقاهرة ، أعنى[٤] الملك الظاهر خشقدم عز نصره[٥] .

ثم فى يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة ، خلع السلطانُ على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم ، ناظر الدولة باستقراره فى الوزارة عوضا عن الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ[٦] ، بحكم طول مرضه ، وهذه ولايةُ الصاحبِ أمينِ الدين الثانية للوزر .

ثم فى يوم الاثنين سابع عشرين [شهر] رجب ، برز المرسومُ الشريف ، على يد الأمير إينال أخى قَشْتَمُ المؤيدى ، باستقرارِ الأميرِ تَنَم من عبدالرازق المؤيدى نائب حماة ، فى نيابة حلب ، عوضا عن الأمير بَرْسْباى الناصرى ، بحكم استعفائه عن نيابة حلب ، لطول لزومه الفراش . ورسم أيضا بنقل الأمير يَبْغُوت ، من صَفَر خُجَا المؤيدى الأعرج نائب صَفَد إلى نيابة حماة ، عوضا عن تَنَم المذكور ؛ وحَمَلَ إليه التقليدَ والتشريفَ الأميرُ يَلْبُغَا الجَارْكَسى أحدُ أمراء العشرات ، ورأس نوبة ؛ ورسم باستقرار الأمير يَشْبَك الحمزاوى نائب غزة ، فى نيابة صَفَد ؛ ورسم باستقرار طُوغان

---

(١) راجع « حوادث الدهور » (المخطوط) حـ ١ ورقة ٦٥ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٥٨ ، والمطبوع (حـ ١) ص ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٦—٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ إلخ ، و (حـ ٣) ص ٦٥٨ .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن النجر المسبوك .

(٤) ، (٥) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (المناخات) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .

الشمانى حاجب الحجاب بحلب ، فى نيابة غزة ، عوضا عن يَشْبَك الحزاوى ، واستقر فى حجوبية حلب الأميرُ جانِبَك المؤيدى المعروف بشيخ ، أحد أمراء طرابلس .

ثم فى يوم الخميس أول شعبان ، قدم الشريف بركات بن حسن بن عَجْلان ، ونزل الملكُ الظاهر [جقمق][1] إلى لقائه بمطعم الطيور بالرَّيْدانية ، خارجَ القاهرة ، وبالغ السلطانُ فى إكرام بركات المذكور ، وقام إليه ومشى له خطوات ، وأجلسه بجانبه ، ثم خلع عليه ، وقيدّ له فرساً بسرج ذهب وكُنْبوش زركش ، وركب مع السلطان ، وسار إلى قريب قلعة الجبل ، فرسم له السلطانُ بالعود إلى محلٍّ أُنزِلَه به ، وهو مكان أُخلاه له المقرُّ الجمالى[2] ناظرُ الخواص ، ورتب له الرواتب الهائلة ، وقام الجمالىُّ المذكورُ بجميع ما يحتاج إليه بركات ، من الكلف والخدم السلطانية وغيرها ، وكان أيضاً هو القائمَ بأمره ، إلى أن أعاده إلى إمرة مكةَ [١٣٧] والسَّفير بينهما [الخواجا][3] شرفُ الدين موسى التتائى[4] [الأنصارى][5] التاجر .

ثم فى يوم الخميس سابع شهر رمضان ، خلع السلطان على الأمير يَشْبَك اليَشْبَكى ، أحد أمراء العشرات ، باستقراره فى نيابة دِمْياط ، بعد عزل الأمير بَتْخَاص[6] العثمانى الظاهرى برقوق .

ثم فى يوم الخميس رابع عشره ، خلع السلطانُ على أبى الخير النحاس المقدم ذكره ، باستقراره فى نظر الجوالى ، عوضاً عن برهان الدين بن الديرى .

ثم فى يوم الخميس خامس شوال ، خلع السلطان على الأمير تِمْراز من بَكْتَمُر المؤيدى المصارِع ، أحد أمراء العشرات ، باستقراره فى نيابة القدس ، بعد عزل خشقدم السيفى سُودون من عبد الرحمن .

ثم فى يوم الاثنين أول ذى القعدة ، أنعم السلطان أَسَنْباى الجمالى الظاهرى جقمق

(١) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (الصاحبى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .
(٣) عن التبر المسبوك .
(٤) فى ا (التاى) .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (بد خاص) ، والمثبت عن ا والتبر المسبوك .

الساقى ، بإمرة عشرة ، بعد موت إينال أخى قشتم ، وأنعم بوظيفة أسنباى السقاية على جانبم الظاهرى جقمق .

ثم فى يوم الأربعاء ثالثه ، برز الأمرُ [الشريف][1] بحبس الأميرين المقيمين بالقدس الشريف ، وهما : شادّ بك الجكَمى المعزول عن نيابة حماة ، وإينال الأبوبكرى الأشرفى ، فحبسا بقلعة صَفَد .

ثم فى يوم الاثنين ثامن ذى القعدة ، استقر شاهينُ الظاهرى ساقياً ، عوضاً عن جَكَم قلق سيز بحكم تغير خاطر السلطان عليه .

ثم فى محرم سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة رسم السلطان للأمير يَشْبَك طاز المؤيدى أحد أمراء دمشق ، بحجوبية طرابلس عوضاً عن يشبك النوروزى .

ثم فى يوم الأربعاء حادى عشرين المحرم ، وصل الركبُ الأول من الحاج ، صُحبةَ الأمير الطَّوَاشى عبد اللطيف المَنْجَكى ثم العثمانى ، مقدم المماليك السلطانية ، وأصبح قدم من الغد أمير حاج المحمل الأمير تَنَبَك البردبكى حاجب الحجاب بالمحمل .

ثم فى يوم الجمعة ثالث عشرين المحرم [المذكور][2] رسم السلطان بنفى الأمير قَرَاجا العمرى الناصرى ، أحد المقدمين بدمشق ، إلى سِيس[3] ، وأنعم بتقدمته على الأمير مازِى الظاهرى [برقوق][4] نائب الكَرَك كان .

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) سيس اسمها الأصل سيسيه : وعامة أهلها يقولون سيس ، وهى بلد من أعظم مدن الثغور الشامية ، بين أنطاكية وطرسوس ، وهى عاصمة أرمينية الصغرى (قليقية Cilicia) ، وقد خضعت مملكة أرمينية الصغرى لسلطنة المماليك منذ عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، الذى فتحها عام ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ووزعها إقطاعات . وكان ملوك هذه المملكة يلقبون بالتكفور ، وهذا لقب أرمنى معناه الملك المتوج ؛ وكانت هناك مكاتبات رسمية بين سلاطين المماليك وبين «متملك سيس» ، ولهذه المكاتبات صيغ رسمية خاصة مسجلة فى دواوين المماليك ، منها : «صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك الجليل البطل الباسل الهمام السميذع الضرغام ، الغضنفر ليفون - أى ليون Leon - ... فخر الملة المسيحية ... إلخ » ..

(راجع : ياقوت : معجم البلدان حـ٥ ص ١٩٧ ؛ السلوك حـ١ ص ٥٤٩ حاشية ٢ ، ص ٥٥١ حاشية ٣ ، حـ٢ ص ٤١٧-٤١٨ ؛ العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف ص ٥٥-٥٨ ؛ أنباء الغمر حـ١ ص ٥٢٨-٥٣٤) .

(٤) عن التبر المسبوك .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشرين صفر ، رسم بإطلاق قِيز طُوغان من محبسه بقلعة دمشق ، بشفاعة الأمير جُلْبَان نائب دِمَشْق . وفيه أيضاً رسم بمجيء كسباى الدَّوادار المؤيدى المجنون ، من طرابلس إلى القاهرة ، بشفاعة جَرِبَاش قاشق .

ثم فى يوم الأحد أول شهر ربيع الأول ، رسم السلطان بتبقية الأمير قِيز طُوغان فى الحبس ، ورُدّت المراسيمُ التى كانت كُتبت بإطلاقه . بواسطة زين الدين يحيى الأشقر الأستادار .

ثم فى يوم الاثنين ثانى ربيع الأول ، عاد الأميرُ جُلْبان إلى محل كفالته بدمشق .

ثم فى يوم الثلاثاء ثالثه ، عزل السلطانُ الأميرَ عبد اللطيف [زين الدين][1] الطواشى[2] [العثمانى][3] عن تقدمة المماليك السلطانية ، وخلع على الطواشى جوهر النوروزى نائب مقدم المماليك باستقراره فى تقدمة المماليك عوضا عن عبد اللطيف المذكور . ثم[4] فى يوم الخميس خامسه ، استقر عوضه نائب مقدم المماليك مرجان العادلى [المحمودى][5] .

ثم فى يوم السبت حادى عشرينه ، استقر أبو الخير النحاس فى نظر الكسوة ، عوضاً عن السفطى ؛ ثم فى يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر ، عزل السلطانُ السفطىَّ عن قضاء الديار المصرية .

ثم فى يوم الخميس رابعه ، استقر برهانُ الدين إبراهيم بن ظهير ، فى نظر الإسطبل السلطانى ، عوضاً عن برهان الدين إبراهيم بن[6] الديرى[7] . وفيه وَلِىَ الشيخُ [شرف الدين][8] يحيى المناوى ، تدريسَ قبة الشافعى ، عوضاً عن السفطى .

---

(١) ، (٣) ما بين الحواصر عن الضوء اللامع والتبر المسبوك .
(٢) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) هذا الحرف ساقط فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت من ا ومن التبر المسبوك .
(٥) من التبر المسبوك وطبعة كاليفورنيا .
(٦) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) إبراهيم بن محمد بن سعد القاضى برهان الدين بن الشمس الديرى المقدسى الحنفى نزيل القاهرة ، ويعرف – كسلفه – بابن الديرى (من الضوء اللامع) .
(٨) من التبر المسبوك .

وفى يوم السبت سادسه ، نُكب شمس الدين محمد الكاتب ، وعُزِّر وامتُحن حسبما ذكرناه فى الحوادث مفصلا .

ثم فى يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر ، أُعيد قاضى القضاة شهابُ الدين بن حجر إلى القضاء ، بعد عزل السفطى ، واستقر أيضاً فى مشيخة الخانقاه البيبرسية ، على عادته ، ولبس خلعتيهما من الغد فى يوم الاثنين .

ثم فى يوم الخميس حادى عشره ، استقر أبو الخير النحاس ناظرَ البيمارستان المنصورى عوضاً عن السفطى . ثم فى يوم [١٣٨] الاثنين لبس السفطى كامليةً خضراء[1] بسَمُّور ، بعد أن حُمِّل مبلغَ خمسة آلاف دينار وخمسمائة دينار ، بسبب أنه ادُّعى [عليه][2] أنه تناولها من وقف الكسوة .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشرين ربيع الآخر المذكور ، عُزل الأمير تِمْراز البَكْتَمُرى المؤيدى المصارعُ عن نيابة القدس .

وفى هذا الشهر طلق السلطان زوجتَه خَوَنْد الكبرى مُغْل بنت البارِزِى .

ثم فى يوم الاثنين سابع عشرين جمادى الأولى المذكور[3] خلع السلطانُ على الأمير قانى باى الحمزاوى ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، باستقراره فى نيابة حلب ، ثانياً بعد عزل الأمير تَمَ المؤيدى عنها ، وقدومه إلى القاهرة ، على إقطاع قانى باى [الحمزاوى][4] المذكور ؛ واستقر يونسُ العلائى الناصرى نائب قلعة الجبل ، مُستَقَرَّ قانى باى ، فصالحه السلطانُ عنه ، بمبلغ كبير من الذهب ؛ لقلة موجود قانى باى [المذكور] .[5]

وفيه استقر الأميرُ يسق اليشبكى أحدُ أمراء العشرات بالقاهرة ، فى نيابة قلعة

(١) فى ا (أخضر) .
(٢) من طبعة كاليفورنيا .
(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) ، (٥) الإضافات من طبعة كاليفورنيا .

دمشق ، بعد موت شاهين الطُّوغانى ، وفرّق السلطانُ إقطاعَ يِبسق ، على كَسْباى الجنون المؤيدى وغيره ، بواسطة المقر الجمالى ناظر الخواص الشريفة .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشره ، برز الأميرُ قانى باى الحمزاوى ، إلى محل كفالته بحلب .

ثم فى يوم الأحد رابع عشرين جمادى الآخرة ، أمر السلطانُ بنفى الأمير تمراز المصارع المعزول عن نيابة القدس ، إلى دمشق ، ثم شُفع فيه وأُعيد بعد أيام ، بعد أن أخرج السلطان إقطاعه إلى أَزْبَكَ مِن[1] طُطُخ الساقى الظاهرى[2] ، والإقطاع إمرة عشرة ؛ واستقر خُشْقَدَم السيفى سُودون من عبد الرحمن فى نيابة القدس ، عوضاً عن تمراز المذكور ، واستقر إينالُ الظاهرى الخاصَّكِي ساقياً ، عوضاً عن أَزْبَك من طُطُخ[3] .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرين جمادى الآخرة المذكور ، عَزل الحافظُ شهابُ الدين بن حجر نفسَه عن قضاء الشافعية ، ولم يلها بعد ذلك ، إلى أن مات . وخلع السلطانُ فى يوم الثلاثاء سادس عشرينه ، على قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى ، وأُعيدَ إلى قضاء الديار المصرية عوضا عن ابن حجر [المذكور][4]

(١) «من» هنا بمعنى «ابن» .

(٢) أزبك من طُطُخ صاحب الانتصارات الكبرى على العثمانيين زمن السلطان قايتباى ، هو الذى تنسب إليه الأزبكية ، إذ كانت أرضا خرابا فأقطعها له السلطان قايتباى ، فأصلحها أزبك وبنى فيها داره وحواصله . وقد عُرضت السلطنة عليه عقب وفاة محمد بن قايتباى فأبى وحلف بالطلاق ألا يليها .

توفى أزبك سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م زمن السلطان قانصوه بن قانصوه الأشرفى ؛ ومن طريف ما حدث أنه بعد أن حضر السلطان قانصوه الصلاة على جثمان أزبك فى التربة ، بلغه أن الأمير أزبك اليوسفى أمير مجلس فى النزع الأخير ، وسيموت فى تلك الساعة ، فجلس السلطان ينتظر أزبك اليوسفى حتى يموت ويصلى عليه قبل أن يغادر التربة ، ولكنه لم يمت فى تلك الساعة .

(بدائع الزهور جـ ٢ ص ٢٥٧–٢٦٧ ، ٣٥٥–٣٥٦ ؛ الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٧٠–٢٧٢) .

(٣) فى ا (المذكور) ، وما هنا للتوضيح ، وهو مثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم فى يوم الاثنين ثالث شهر رجب، رسم السلطانُ بإطلاق إينال الأبو بكرى من حبس صَفَد، وتوجُّهه إلى القدس بطالا .

ثم فى يوم الأربعاء خامس [شهر][1] رجب، مُنع ولى الدين السفطى من طلوع القلعة، والاجتماع بالسلطان؛ ثم رسم بتوجهه إلى بيت قاضى القضاة الحنفى، للدعوة عليه، فتوجه وادعى عليه جماعة، بحقوق كثيرة، فحلف عن بعضها ثلاثةَ[2] أيمان، واعترف بالبعض، ثم نُقل إلى القاضى المالكى، وادُّعى عليه أيضا بدَين فصالح المدعى على ثلثمائة دينار .

ثم رسم السلطان بمنع اليهود والنصارى من طب أبدان المسلمين .

ثم عُزل السفطى عن مشيخة المدرسة الجمالية، ودرس التفسير بها . ثم فى يوم ثالث عشرينه، رُسم بمجىء السفطى إلى بيت قاضى القضاة علم الدين [صالح][3] البلقينى الشافعى ليدعى عليه الزينى قاسم المؤذى الكاشف، بسبب حمامه التى بباب الخرق[4]، وكان السفطى اشتراها منه فى أيام عزه، فحضر السفطى إلى مجلس القاضى، وادعى عليه قاسم، بأنه[5] كان أوقفها قبل بيعها، وأن الشراء لم يصادف محلا، وأنه أكرهه[6] على تعاطى البيع، وخرج قاسم لإثبات ذلك، ولما خرج السفطى من بيت القاضى، عارضه شخص آخر وأمسكه من طوقه وعاد به إلى مجلس القاضى، وادعى عليه أنه غَصَب منه خشباً وغيره، فأنكر السفطى، فطلب تحليفَه والتغليظ عليه، فصالحه على شىء، ومضى إلى داره؛ وأخذ فى السعى إلى أن أعاده السلطانُ إلى مشيخة الجمالية على عادته .

ثم فى يوم الخميس سابع عشرين [شهر][7] رجب، أمر السلطانُ ناصرَ الدين محمد بن

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (ثلاث) .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) باب الخرق هو المعروف حاليا بميدان أحمد ماهر .
(٥) فى ا (فإنه) .
(٦) فى ا (ألزمه) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .
(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

أبى الفرج ، نقيبَ الجيش ، أن يأخذ السفطى ، ويمضى به إلى بيت قاضى القضاة الشافعى، ثانيا ، لسماع بيّنة الإكراه منه لقاسم الكاشف، فتوجّه السفطى وسمع ذلك ، وذكر أن له دافعاً[1] وخرج ليبديه ، فبلّغ بعضُ أعداء السفطى السلطانَ أنه يمتنع من التوجه إلى الشرع ، ووغّر خاطرَ السلطان عليه ، فأمر السلطانُ قانى بك السيفى يَشْبَك ابن أزْدَمُر [١٣٩] أحد الدوادارية ، فى يوم الأحد سلخ [شهر][2] رجب ، أن يتوجه إلى السفطى ويأخذه ويمضى به إلى حبس المقشرة[3] ، ويحبسه به مع أرباب الجرائم ، فتوجه إليه قانى بك المذكور ، وحبسه بالمقشرة ، وقد انطلقت الألسنُ بالوقيعة فى حقه ، ولولا رفق قانى بك به لقتلته[4] العامة فى الطريق . ومن لطيف ماوقع للسفطى ، أنه لما حُبِس بسجن المقشرة ، دخل إليه بعض الناس ، وكله بسبب شىء من تعلقاته ، وخاطبه الرجل المذكور[5] يامولانا قاضى القضاة ، فصاح السفطى بأعلى صوته : « تقول لى قاضى القضاة ! أما تقول : يالص ياحرامى يامَقْشَراوى ! » فقال له الرجل : « يالص ياحرامى يامَقْشَراوى ! » .

ثم فى يوم الاثنين أول شعبان ، وصل الأميرُ تَنَم من عبد الرزاق المؤيدى المعزولُ عن نيابة حلب ، وطلع إلى السلطان ، وقبّل الأرض ، فأكرمه السلطان وخلع عليه ، وأجلسه تحت أمير مجلس جَرِبَاش الكَرِيمى ، وأنعم عليه بإقطاع قانى باى الحَمْزاوى ، وأركبه فرساً بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكش ؛ كل ذلك بعناية عظيم الدولة الصاحب جمال الدين ناظر الخاص لصحبة كانت بينهما .

وفى هذا اليوم ، أُخرج ولىُّ الدين السفطى من سجن المقشرة ، وذهب ماشيا من

(١) فى ا (دافع) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) حبس المقشرة أو سجن المقشرة : كان بجوار باب الفتوح ، وسمى كذلك لأن القمح كان يُقشر فى موضعه وهو سجن لأرباب الجرائم ، « وكان من أشنع السجون وأضيقها ، يقاسى فيه المسجونون من الغم والكرب مالا يوصف » .

بنى هذا السجن عام ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م زمن السلطان برسباى (خطط جـ ٢ ص ١٨٨) .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (لقتلوه) .

(٥) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

السجن إلى بيت قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقينى ثم توجّه منه راكبا إلى المدرسة الصالحية، وحضر قاضى القضاة أيضا بالصالحية، فلم ينفصل له أمر، وأُطلق من التلد من الترسيم .

ثم فى يوم الاثنين ثامن شعبان، رسم السلطانُ لقاضى القضاة بدر الدين [محمد][1] ابن عبد المنعم البغدادى الحنبلى، بطلب السفطى، وسماع الدعوى عليه والترسيم عليه، بسبب الحمّامين والفُرن والدكاكين بحارة زَوِيلة، فإنه ظهر أنهم كانوا فى جملة وقف الطَّيْبَرسية، فتحمّل القاضى الحنبلى فى حق السفطى، فلم يعجب ذلك أعداءه، وعرّفوا السلطانَ بذلك، فرسم فى يومَ السبت ثالث عشر شعبان بتوجهه إلى حبس المقشرة ثانيا، بسبب الدكاكين والحمامين التى بحارة زَوِيلة، ثم شُفع فيه .

ثم فى يوم السبت سابع عشرين شعبان أُدّعى على القاضى ولى الدين السفطى، بمجلس القاضى ناصر الدين بن المخلّطة المالكى، بحضور قاضى القضاة بدر الدين الحنبلى، بسبب الحمّامين وما معهما، وخرج على الأعذار .

ثم فى يوم الأربعاء أول شهر رمضان، حضر السفطى وغرماؤه[2]، والقاضى ناصرُ الدين بن المخلطة عند قاضى القضاة بدرِ الدين الحنبلى، وانفصل المجلس أيضا على غير طائل، وادعى السفطى أن السلطانَ رسم بأن لايُدَّعى عليه عند ابن المُخلطة، وكان ذلك غيرَ صحيح، فلم يُسمع له ذلك، ولازال الحنبلى يعتنى به، حتى صالح جهةَ وقف طَيْبَرْس، بألف دينار . ثم فى يوم السبت خلع السلطانُ على السفطى كاملية بفرو سمّور، بعد أن حُمِّل أربعةَ آلاف دينار .

ثم فى يوم الجمعة ثالث [شهر][3] رمضان، أنعم السلطان على مملوكه سُنْقُر الخاصّكى، المعروف بالجُمَيْدِى، بإمرة عشرة، بعد موت الأمير صَرْغَتْمُش القَلَمْطَاوى،

(١) من طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى طبعة كاليفورنيا (غرماءه) .
(٣) من طبعة كاليفورنيا .

زيادةً على مابيده من حصة بِشبين[1] القصر .

ثم فى يوم السبت سابع عشر شوال ، برز أميرُ حاجِّ المحمل الأميرُ سَوِنْجبُغَا اليونسى بالمحمل ، وأميرُ الركب الأول الأمير قانم المؤيدى التاجر .

ثم فى يوم الاثنين عشرين شهر رمضان ، خرج الأميرُ جانِبَك الظاهرى ، المتكلم على بندر جُدّة ، إليها بمماليكه وحواشيه على عادته فى كل سنة .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة استقر الأميرُ خير بك النَّوْرُوزى ، حاجب صَفَد فى نيابة غزة ، بعد عزل طُوغان العثمانى عنها ، وذلك بمال كبير بذله له فى ذلك ، لوضاعة خير بك المذكور فى الدولة .

واستهل ذو[2] الحجة أوله الأحد ، فيه ظهر الطاعونُ فى الديار المصرية وأخذ فى التزايد .

وفى يوم الخميس خامس ذى الحجة ، استقر [علاء الدين][3] على بن إسكندر ابن أخى زوجة كَمَشْبُغَا النيسى ، معلم السلطان ، على العمائر ، عوضا عن [الناصر][4] محمد ابن حسين بن الطولونى ، بحكم وفاته .

ثم فى يوم السبت حادى عشرينه [١٤٠] ، استقر الحكيمُ ابن العفيف الشهير بقوالح[5] ، أحد مضحكى المقر الجمالى ناظر الخواص ، بسفارته فى رئاسة الطب والكحل بمفرده .

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (جيين) ، وفى التبر المسبوك (حيس) ؛ والمثبت هو الصواب عن ا وعن التحفة السنية (ص ١١) .

وقد ذكرت شبين القصر وكفرها فى الروك ، ومساحتها ٢٦٨٢ فدانا بها أراضى رزق مساحتها ١٢٤ فدانا . وكانت ضمن إقطاع الأمراء والمماليك السلطانية ، وتتبع الأعمال القليوبية ، وهى المعروفة اليوم باسم شبين القناطر بالقليوبية (راجع معجم البلدان حـ ٥ ص ٢١٨) .

(٢) فى ا (ذى) .

(٣) ، (٤) مابين الحواصر عن التبر المسبوك .

(٥) هذا الحكيم هو عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن عفيف بن وهيبة بن يوحنا تقى الدين الملكى الأسلمى (عن الضوء اللامع والتبر المسبوك) .

ثم فى يوم الأحد ثانى عشرين ذى الحجة المذكور، استقر علاء الدين على بن محمد ابن آقبرس، فى حسبة القاهرة، عوضا عن يَرْعَلى الخراسانى، بمالٍ بذله فى ذلك، وكان أصل ابن آقبرس هذا عَنْبَرِيًّا[1] بسوق العنبر، فى حانوت، ثم اشتغل بالعلم، وتردد الأكابر، واتصل بالملك الظاهر جَقْمَق فى أيام إمرته، وناب فى الحكم عن القضاة الشافعية، إلى أن تسلطن [الملكُ][2] الظاهر جقمق، فصار[3] ابن آقبرس هذا من ندمائه، ووَلِىَ نظر الأوقاف وعدة وظائف أُخر، وكان أيضا من جملة مُبْغِضِى السفطى وممن يعيب عليه أفعالَه القبيحة من البَلْص والطلب من الناس، وسمّاه «المِلْب»؛ على أن ابنَ آقبرس أيضا كان من مقولة [السفطى][4] وزيادة.

ثم فى يوم الخميس حادى عشر محرم سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ضُرِبت رقبةُ أسدِ الدين الكيماوى، بمقتضى الشرع، بعد أمور وقعت له[5]، ذكرناها مفصلا فى تاريخنا «حوادث الدهور [فى مدى الأيام والشهور]»[6].

وفى هذا الشهر، تشاكَى الأميرُ تِمْرازُ المؤيدى نائب القدس كان، وناظرُ القدس

---

(١) فى طبعة كاليفورنيا (عنبرانيا)، والمثبت عن ا والضوء اللامع.

(٢) عن طبعة كاليفورنيا.

(٣) فى ا (صار).

(٤)، (٥) عن طبعة كاليفورنيا.

(٦) أسد الدين الكيماوى أعجمى ادعى أنه يعمل الكيمياء، وقد خدع التاجرَ المعروف بابن الشمس حتى أخذ منه كثيرا من الأموال، بل جعل التاجر يكتب له مسطوراء على نفسه بألفى دينار، فلما أدرك التاجر خديعته، قاطعه، فطالبه الكيماوى بسداد الألفى دينار بمقتضى المسطور، ووصل الكيماوى إلى السلطان جقمق وأوهمه أنه يعمل الكيمياء حتى خدعه كذلك فقربه وألزم ابن الشمس بدفع المبلغ، بل إن الكيماوى أغرى السلطان به حتى أمر بنفيه.

وأخذ الكيماوى يخدع السلطان، كأن يأخذ الحرير الأحمر ويوقده فى النار، ولا يأكل شيئا فيه روح، فأتلف على السلطان كثيرا من الأموال، ولم يحقق ما ادعاه، وعلق ابن إياس على ذلك بقوله:

كافُ الكنوز وكاف الكيمياء معاً ... لا يوجدان، فدع عن نفسك الطمعا

وقد تحدث قوم باجتماعهمــا ... وما أظنهما كانا ولا اجتمعا

ولما تبين كذبه السلطان، وأسر إليه بعض الناس بأن الكيماوى يعبد النار وأنه دهرى ينكر البعث، أمر جقمق بالقبض عليه وعاكته، فحكم عليه بالقتل وضرب عنقه (انظر: حوادث الدهور جـ١ ورقة ٦٩، ٧١، ٧٨؛ التبر المسبوك ص ٢١١-٢١٢، ٢٥٤ جـ ٢ بدائع الزهور جـ ٢ ص ٣٠).

عبدُ الرحمن بن الديرى ؛ فنال السلطانُ على ابن الديرى وبَهْدله ، فأمَرَ به فجعل فى عنقه جنزير ، إلى أن شَفع فيه عظيمُ الدولة الجمالىُّ ناظرُ الخواص الشريفة[1].

ثم فى يوم السبت ثالث عشره ، توجه تِمراز المذكور[2]، وعبدُ الرحمن [ابن الديرى][3]وأبو الخير النحاس ، إلى بيت ناظر الخاص المذكور ، وجلسوا بين يديه إلى أن أصلح بينهما ، وأنعم على كل منهما بفرس مسروج ، وأنعم على أبى الخير بشىء ، فقَبَّل الثلاثةُ يدَه وخرجوا من عنده ، وأبو الخير يومَ ذاك فى تنبوك[4]عِزه[5] وعِظَم تعاظمه على جميع أرباب الدولة ، إلا الصاحب جمال الدين [هذا][6]فإنه معه على حالته الأولى إلى الآن .

[هذا][7]وقد فشا أمرُ الطاعون بالقاهرة وتزايَد ، ثم أهلَّ صفرُ من سنة ثلاث وخمسين ، يومَ الأربعاء ، فيه عظُم الطاعونُ ، ومات فى هذا الشهر جماعة كبيرة من الأمراء ، وأعيان الدولة ، على ما سيأتى ذكره فى الوفيات من هذا الكتاب .

ثم فى يوم الأحد ثانى عشر صفر ، أعيد القاضى برهانُ الدين إبراهيم بن الديرى إلى نظر الإسطبل السلطانى ، بعد موت برهانِ الدين بن ظهير .

وفى يوم الاثنين ثالث عشره استقر الأمير جَرِباش الكَرِيمى الظاهرى أميرُ مجلس ، أميرَ سلاح[8]، بعد موت الأمير تِمْراز القُرْمُشى الظاهرى ؛ وفيه أيضا استقر الأميرُ تَنَم المعزول عن نيابة حلب ، أمير مجلس ، عوضا عن جَرِباش المذكور ؛ وفيه أنعم

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (المؤيدى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) التَّبَكَة أو التُّبْكَة أكة محددة الرأس ، وأرض فيها صعود وهبوط ، أو التل الصغير ، وانتبك ارتفع ، ومكان نابك مرتفع (القاموس المحيط) .

والمراد بهذه اللفظة أنه كان فى أوج عزه وسلطانه ونفوذه .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (أمره) ، والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .

(٦) ، (٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) فى ا (سلاحا) .

السلطان على الأمير دُولات باى المحمودى المؤيدى الدَّوادار الثانى ، بإمرة مائة وتقدمة ألف ، بعد موت تِمْراز القُرْمُشى ، وصار من جملة أمراء الألوف ؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير يونس الأقبائى[1] شادّ الشراب خاناه ، والإقطاع إمرة طبلخاناه ، وأنعم بإقطاع يونس على الأمير[2] [السيفى][3] جانِبَك رأس نوبة الجَمَدَارية الظاهرى جَقْمَق ، وعلى مُغُلْباى طاز الساقى الظاهرى أيضا ، لكل واحد منهما إمرة عشرة .

ثم فى يوم الخميس سادس عشر صفر ، استقر الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى جَقْمَق ، دَوادارا ثانيا ، عوضا عن دُولات باى المتقدم ذكره ، على إمرة عشرة — وفيه أيضا ، أنعم السلطانُ على قانى باى المؤيدى الساقى ، المعروف بقَراسقل[4] ، بإمرة عشرة ، بعد موت إينال اليَشْبَكى .

ثم فى يوم الاثنين عشرين صفر ، ووافقه أولُ خميس النصارى[5] ، تناقص الطاعون .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشرينه ، أنعم السلطانَ على الأمير يَشْبَك الفقيه المؤيدى ،

(١) انظر الضوء اللامع جـ ١٠ ص ٣٤٥ .

(٢) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) قراسقل معناها أسود اللحية (الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٨٣) .

(٥) المقصود بأول خميس النصارى ، أول يوم من أيام عيد الخميس ، وهو عيد العُنْصُرة الذى يتيمونه بعد خمسين يوما من القيام ؛ ويوافق السادس والعشرين من شهر بشنس ، وهو من الأعياد الكبرى عند النصارى ، ويقولون : إن روح القدس فى هذا اليوم حلت فى التلاميذ وتفرقت عليهم ألسنة الناس فتكلموا بجميع الألسنة ، وذهب كل واحد منهم إلى بلاد لسانه الذى تكلم به ، يدعو من فيها إلى دين المسيح .

وهناك أكثر من عيد يعرف باسم الخميس ، مثل خميس الأربعين الذى يسميه الشاميون السلاّق ، يقولون : إن المسيح عليه السلام تسلّق فيه من تلاميذه إلى السماء بعد القيام ووعدهم بإرسال الفارقليط ، وهو روح القدس عندهم .

وهناك خميس العهد ، وهو من الأعياد الصغيرة ، وفيه يغسل البطريرك أرجل جميع النصارى الحاضرين بماء مقدس ، ويقولون : إن المسيح عليه السلام فعل هذا بتلاميذه فى هذا اليوم ، ليعلمهم التواضع ، وأخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض ؛ والعامة من النصارى يسمون هذا الخميس خميس العدس ، وهم يطبخون فيه العدس على ألوان (راجع صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٢٥–٤٢٥ ؛ التبر المسبوك ص ٢٥٤) .

بإقطاع الأمير بختك[١] الناصرى بعد موته ، وأنعم بإقطاع يَشْبَك المذكور على الشهابى أحمد ، من الأمير الكبير إينال العلائى ، وكلاهما إمرة عشرة . وفيه أيضا ، أنعم السلطان على مُغُلْبَاى الشهابى رأس نوبة الجَمَدَارية ، بإمرة عشرة ، عوضا عن مُغُلْبَاى الساقى ، بعد موته ، وكان مُغُلْبَاى أخَـــذ الإمرةَ [١٤١] قبل موته بأيام يسيرة ، حسبما تقدم ذكره .

وفى يوم الخميس هذا ، أنعم السلطان بإقطاع الأمير قَرَاخُجا الحسنى الأمير آخور ، بعد موته ، على الأمير تَنَم أمير مجلس ، وأنعم بإقطاع تَنَم على الأمير جَرِبَاش المحمدى الناصرى الأمير آخور الثانى المعروف بكُرْت ، وصار من جملة المقدمين ؛ وأنعم بإقطاع جَرِبَاش المذكور ووظيفته الأمير آخورية الثانية ، على الأمير سُودون المحمدى المؤيـــدى ، المعروف بسُودون أتمـكجى[٢] ؛ وأنعم بإقطاع سودون [أتمـكجى][٣] المذكور ، على الأمير جانِبَك اليَشْبَـكى والى القاهرة ، بسفارة المقر الجمالى[٤] ناظر الخواص . وفيه أيضا استقر الأميرُ قانى باى الجاركسى الدَّوَادار الكبير ، أميرَ آخور كبيراً ، بعد موت الأمير قَرَاخُجَا الحسنى ، وكان السلطان رشح الأمير أَسَنْبغَا الطَّيارى للأمير آخورية ، فألح قانى باى فى سؤال السلطان ، على أن يليها اقتحاماً على الرئاسة ، ولازال به حتى ولاّه ؛ واستقر أيضا دُولات باى المحمودى المؤيدى دَوَاداراً كبيرا ، عوضا عن قانى باى الجاركسى بمال كبير بذله فى ذلك .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين صفر ، خلع السلطانُ على القاضى ولىِّ الدين محمد السنباطى ، باستقراره قاضىَ قضاة المالكية بالديار المصرية ، عوضا عن قاضى القضاة بدرِ الدين محمد بن التنسى ، بحكم وفاته ، وكان السنباطى هـــذا يلى قضاء

---

(١) مستدركة بهامش ا .

(٢) انظر ص ٣٣٦ من هذا الجزء .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (الصاحبى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .

الإسكندرية ، فلما مات ابن التنسى ، طُلب ووُلِّى القضاء ؛ وجميعُ من ذكرنا [وفاتَه][1] هنا ماتوا بالطاعون .

ثم فى يوم الخميس أول شهر ربيع الأول ، خلع السلطانُ على الطَّواشى فَيْرُوز النَّوْرُوزى الزِّمام والخازندار ، باستقراره أميرَ حاجِّ المحمل .

ثم فى يوم الاثنين خامس [شهر][2] ربيع الأول ، خلع السلطان على الأمير أَسَنْبَغَا الطَّيَّارى باستقراره رأسَ نوبة النوب ، بعـــد موت الأمير تَمُرْباى التَّمُرْبَغَاوى ، بالطاعون .

وفى أواخر [هذا][3] الشهر ، قلَّ الطاعونُ بالقاهرة ، بعد أن مات بها خلائق كثيرة ؛ فكان من جملة من مات للسلطان فقط : أربعةُ أولاد من صلبه ، حتى لم يبق له ولد ذكر ، غير المقام الفخرى عثمان .

ثم فى يوم الثلاثاء سابع عشرين [شهر][4] ربيع الأول ، أخــذ السلطانُ من السفطى ستةَ عشر ألف دينار ، وسبب ذلك أن قاضى القضاة بدرَ الدين الحنبلى ، كان [وصيًّا][5] على تركة قاضى القضاه بـــدر الدين [بن][6] التنسى المالكى ، فلما عرض موجوده ، وجد فى جملة أوراقه ورقة فيها ما يدل على أنه كان للسفطى عنده ستة عشر ألف دينار وديعةً ، ثم وجد ورقة أخرى ، فيها مايدل على أن السَّفْطى ، أخذ وديعته ، وبلغ السلطانَ ذلك ، فرسم بأخـــذ المبلغ منه — قلت : لا شُلَّت يداه ! « والذى خبث لايخرج إلا نـكدا » — فحُمِلت بتمامها إلى السلطان ، ولم يرض السلطانُ بذلك ، وهو فى طلب شىء آخر فتح الله عليه ، وهو أن السلطانَ صار يطلب السفطى بما وقع منه من الأيمان ، أنه ما بقى يملك شيئا من الذهب ، ثم وُجد له هذا المبلغ ، فصار للسلطان مندوحة بذلك فى أخذ ماله .

فلما استهل شهر ربيـــع الآخر يوم الجمعة ، وطلع القضاة للتهنئة بالشهر ، تـكلم السلطانُ معهم فى أمر السفطى ، وما وقع منه من الأيمان الحانثة ، واستفتاهم فى أمره ،

من (١) إلى (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

وحرّض القضاةَ على مجازاته؛ فنزلوا من عند السلطان على أن يعملوا معه الشرع، وبلغ السفطىَّ ذلك فخاف وأخذ فى السعى فى رضى السلطان؛ وخدم بجملة مستكثرة، ورضى السلطانُ عنه، ثم تغير عليه، وأخذ منه فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع الآخر عشرة آلافُ دينار، كانت له وديعةً عند بعض القضاه، فأخذها السلطانُ، وهو مطالب بغيرها.

ثم فى يوم الخميس رابع عشره، أفحش السلطان فى الحط على السفطى، وبالغ فى ذلك، بحيث أنه قال: «هذا ليس له دِين، وهذا استحق القتل بما وقع منه من الأيمان الفاجرة، بأن ليس له مال ثم ظهر له هذه الجمل الكثيرة، وقد بلغنى أن له عند شخص آخر، وديعة مبلغ سبعة وعشرين ألف دينار»؛ وظهر من كلام السلطان أنه يريد أخْذها، بل وأخْذ روحه أيضا، كل ذلك مما يوغر أبو الخير النحاس خاطرَ السلطان عليه، وبلغ السفطىَّ [١٤٢] جميعُ ماقاله السلطان، فداخله لذلك من الرعب والخوف أمر عظيم[1]؛ ومع ذلك بلغنى أن السفطىَّ فى تلك الليلة تزوج بكراً ودخل بها واستبكرها، فهذا دليل على عدم مروءته[2]، زيادةً على ما كان عليه من البخل والطمع، فإنى لم أعلم أنه وقع لقاض من قضاة مصر ماوقع للسفطى من البهدلة والإخراق وأخذماله، مع علمى بما وقع للهرَوى وغيره، ومع هذا لم يحصل على أحد ماحصل على هذا المسكين، فما هذا الزواج فى هذا الوقت! [3]

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشرين [شهر][4] ربيع الآخر [المذكور][5]، رسم بنفى يَرْعَلى العجمى الخراسانى المعزول عن الحِسبة، ثم شفع فيه المقرُّ الجمالى ناظرُ الخواصّ، فرسم له السلطان بلزوم داره بخانقاه سرياقوس؛ ويَرْعَلى هذا أيضا من أعداء النحاس.

(١) فى ا (امرا عظيما).
(٢) فى ا (المروه).
(٣) انظر «حوادث الدهور» ١ ورقة ٩٢.
(٤)، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا.

ثم فى يوم السبت سابخه ، أنعم السلطان على أَسَنْدَمُر الجَقْمَقى السلاح دار ، بإمرة عشرة ، بعد موت الأمير أَرْكَمَاس الأشقر المؤيدى .

ثم فى يوم الاثنين ثانى جمادى الأولى ، خلع السلطانُ على مملوكه الأمير أُزْبَك من طُطُخ الساقى ، باستقراره من جملة رؤوس النُّوَب ، عوضا عن أركماس الأشقر ، المقدم ذكره .

وفيه استقر الزينى عبدُ الرحمن بن الكُوَيْز ، أُسْتَادَّار السلطان بدمشق ، عوضا عن محمد بن أَرْغُون شاه النَّوْرُوزى بحكم وفاته .

ثم فى يوم الأربعاء رابع جمادى الأولى [المذكور][1] استقر علىُّ بن إسكندر أحد أصحاب النحاس ، فى حِسبة القاهرة ، وعُزل ابن أقبرس عنها ، لتزايد الأسعار فى جميع المأكولات .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشرين جمادى الأولى [المذكور][2] ، خرجت تجريدة من القاهرة إلى البحيرة ، فيها نحو الأربعمائة مملوك وعدةُ أمراء ، ومقدمُ الجميع الأميرُ الكبير إينال العلائى الناصرى ، وصُحبته من الأمراء المقدمين ، تَنَم أمير مجلس ، وقانى باى الجاركسى أمير آخور ، وعدة أخر من الطبلخانات والعشرات .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشرينه ، عُزل قاضى القضاة علمُ الدين صالح البُلْقينى الشافعى ، عن القضاء ، لسبب حكيناه فى تاريخنا « حوادث الدهور » إذ هو كتابُ تراجم وضبطِ[3] حوادث ووفيات[4] لاغير[5] . ثم أعيد قاضى القضاة علمُ الدين ، فى يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة .

---

(١) ، (٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (ووفياه) .

(٥) جاء فى «حوادث الدهور» (ح ١ ورقة ٥٧–٥٨ ، ٩٣–٩٤ ، ٩٦) . أن سبب عزل البلقينى يرجع إلى أن الشباب بن إسحاق القاضى الشافعى بمصر القديمة نائب البلقينى ، حكم باستمرار زوجية امرأة مات عنها زوجها بعد أنطلقها فى مرض موته ، فأمر السلطان بضرب هذا القاضى وبعزل مستنيبه ، وهو البلقينى ، غير أن البلقينى أعيد بعد فترة قصيرة وتعرض لكثير من الصروف من عزل ونفى وإعادة (راجع كذلك التبر المسبوك ص ٢٦٣–٢٦٥) .

ثم في يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة ، سافر الأميرُ تامَ من صَقَر خُجاَ المؤيدى ، المعروف بالتاجر ، رسولا إلى ابن عثمان (١) متملِّك بلاد الروم ، صحبةَ قاصدِ ابنِ عثمان الواصل قبل تاريخه .

ثم في يوم السبت تاسع عشره ، رسم السلطان بنفي الأمير سُودون السُّودوني الحاجب ، فشُفع فيه ، فأمر السلطانُ بإقامته بالصحراء بَطّالا . وكان سبب نفي السُّودوني ، أنه كان له مُغَلّ ، فكلمه عليُّ بن إسكندر المُحتَسِب في بيع نصفه ، وتخلية نصفه ، لقلة وجود الغلال بالساحل ، فامتنع سُودون السودوني من ذلك ، فشكاه أبو الخير النحاس للسلطان ، فأمر بنفيه . وقد تقدم أن سُودون السُودوني هذا ، كان ضرب أبا الخير النحاس في يوم واحد علقتين ليخلِّص منه مالَ أبي العباس الوفائي .

ومن ظريف ما وقع لسُودون السُودوني هذا ، مع أبي الخير النحاس ، من قبل هذه الحادثة أو بعدها ، أنه لما صار من أمر أبي الخير ما صار ، خشيه سُودن السُّودوني ، مما كان وقع منه في حقه قديما ، فأراد(٢) أن يزول ما عنده ، ليأمن شرَّه ، فدخل إليه في بعض الأيام ، وقد جلس أبو الخير النحاس في دَست رئاسته ، وبين يديه أصحابُه وغالبهم لايعرف ما وقع له مع سودون السودوني(٣)[المذكور](٤)، فلما استقر بسُودون الجلوس ، أخـذ في الاعتذار لأبي الخير فيما كان وقع منه بسلامة باطن على عادة

(١) ابن عثمان هنا هو السلطان مراد الثاني ، وكانت العلاقة المملوكية العثمانية زمن السلطان جقمق والسلطان مراد الثاني ودية ، تلخص في تبادل الهدايا والتهنئات وغير ذلك من مظاهر المجاملة ؛ وكان مراد قد أرسل من قبل هدية إلى السلطان جقمق ، من بينها خمسون أسيرا وخمس من الجوارى وكمية كبيرة من الحرير ، وذلك على أثر انتصاره على جيش لادسلاس Ladislas ملك المجر وهنيادى Hunyâdi نائب ترانسلفانيا في وقعة فارنا عام ١٤٤٤ م . وهدف مراد من هدية الأسرى إظهار ما يقوم به العثمانيون من خدمات للإسلام ، وليس فقط سلاطين المماليك هم الذين يحاربون ويجاهدون من أجل الإسلام . (انظر : التبر المسبوك ص ٢٦٥ ، عقد الجمان حـ ٢٣ ق ٤ ورقة ٧٦٣ ؛ الجراكسة ص ١٦٥) .

(٢) في ا (وأراد) .

(٣) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

مُقَفَّلى[1] الأتراك ، وساق الحكايةَ فى ذلك الملأ من الناس من أولها إلى آخرها ، وأبو الخير ينقله من ذلك [الكلام][2] إلى كلام غيره ، ويقعده كفّه عن الكلام ، بكل ما تصل قدرته إليه ، وهو لا يرجع عما هو فيه ، إلى أن استتم الحكاية ؛ وكان من جملة اعتذاره إليه ، أن قال له ، ما معناه : « والله يا سيدى القاضى ، أنا رأيتك شاب فقير ، من جملة الباعة ، وحرّضونى[3] عليك ، بأنك تأكل أموالَ الناس ، فما كنت أعرف أنك تصل إلى هذا الوصل ، فى هذه المدة اليسيرة ؛ ووالله [لو كنت][4] أعرف أنك تبقى رئيس ، لكنت وزنتُ [١٤٣] عنك المال » . وشرع فى اعتذار آخر ، وقد ملأ النحاس مما سمع من التوبيخ ، فاستدرك فارطه بأن قام على قدميه واعتنق السُّودونى ، وأظهر له أنه زال ما عنده وأوهم أنه يريد الدخول إلى حرته حتى مضى عنه إلى حال سبيله ؛ وتحاكى الناس ذلك المجلس أياما كثيرة[5]. هذا ما بلغنا من بعض أصحاب النحاس ؛ وقد حكى غيرُ واحد هذه الحكايةَ على عدة وجوه ، وليس هذا الأمر من أخبارٍ تُحرَز ، وما ذكرناه إلا على سبيل الاستطراد — انتهى .

وفى هذه الأيام توقف ماء النيل عن الزيادة ، بل تناقص نقصا فاحشا ، ثم أخذ فى زيادة ما نقصه ؛ فاضطرب الناس لذلك ، وتزايدت الأسعار إلى أن أبيع الإردب القمح بأربعمائة درهم[6] .

(١) ف ا (مقفلين) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ف ا (حرضوا) .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ف ا (كثيرا) .
(٦) بصدد نقصان النيل وارتفاع الأسعار ، رسم السلطان جقمق بأن يخرج الناس للاستسقاء ، فخرج القضاة الأربعة والخليفة المستكفى بالله سليمان ومشايخ العلم والصلحاء وأعيان الناس ، ولكن السلطان جقمق لم ينزل مع الناس على عكس المؤيد شيخ الذى نزل بنفسه من قبل واستسقى مع القوم .
وقد اضطربت أحوال الناس لارتفاع الأسعار حتى سعر الماء ، وزاد من سوء الحال أن الأمراء نقلوا المخزون من حبوبهم إلى منازلهم خوفا من نهب العامة .
يقول ابن إياس : «وتشحط اللحم والجبن وسائر البضائع» . ورثى بعض الشعراء الخبز لما عزّ ، بشعر طريف ، أشار فيه إلى فداحة ارتفاع السعر (بدائع الزهور ح ٢ ص ٣١–٣٢) .

ثم فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه ، وصل الأمير جانبك الظاهرى نائب جدة ، وخلع السلطانُ عليه خلعةً هائلة ، ونزل إلى داره ، وبين يديه وجوه الناس على كُرْه من أبى الخير النحاس .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب ، خلع السلطان على الشيخ يحيى المناوى ، باستقراره قاضىَ قضاةِ الشافعية ، بعد عزل قاضى القضاة علمِ الدين صالح البُلْقِينى .

ثم فى يوم الخميس خامس عشره، استقر الأميرُ يَرْشباى الإينالى المؤيدى الأمير آخور الثالث ، أميرَ آخور ثانيا بعد موت سُودون أُتمكجى ، وأُنعم عليه بطبلخاناته ، واستقر الأميرُ سُنْقُر الظاهرى الجَقْمَقى أميرَ آخورٍ ثالثا ، وهو فى التجريدة بالبحيرة .

ثم فى يوم الثلاثاء عشرينه ، رسم السلطانُ بأن يُكتب مرسوم شريف إلى دمشق ، بضرب الزينى عبـدِ الرحمن بن الـكُوَيْز ، وحبْسِه بقلعة دمشق ، وله سبب ذكرناه فى « الحوادث »[1] .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشرين [شهر][2] رجب ، استقر علاء الدين بن آقْبَرس ناظر الأحباس ، بعد عزل قاضى القضاة بدر الدين محمود[3] العينى عنها ، لـكبر سنه ، فلم يُشْـكر ابنُ أقبرس على ما فعله لسعيه فى ذلك سعياً زائدا ، وكان الأَلْيق عدم مافعله لأن مقام كل منهما معروف فى العلم والقدر والرئاسة .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشرين [شهر][4] رجب [المذكور][5]، جرت حادثة غريبة ، وهو أنه لما كان وقت الخدمة السلطانية ، أعنى بعد طلوع الشمس بقدر عشرة[6] درج ، وقفت العامة بشوارع القاهرة من داخل باب زَوِيلة إلى تحت القلعة ، وهم يستغيثون

---

(١) راجع حوادث الدهور حـ ١ ورقة ١١٤ .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) هذه الكلمة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن ا والتبر المسبوك .

(٤) ، (٥) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (عشر) .

ويصرخون بالسبّ واللعن ويبدءون بالقتل ، ولا يدرى أحد ما الخبر ، لعظم الغوغاء[١] ، إلى أن اجتاز[٢] علىُّ بنُ إسكندر محتسبُ القاهرة فلما رأوه أخذوا فى زيادة ماهم فيه ، وحطوا أيديهم فى الرَّجْم ، فرجموه من باب زَوِيلة ، إلى أن وصل إلى باب القلعة أو غيرها ، بعد أن أشبعوه سبا وتوبيخا بألفاظ يُستَحى من ذكرها ، فلما نجا[٣] علىٌّ منهم ، وطلع إلى القلعة ، استمروا على ماهم عليه بالشوارع ، وقد انضم عليهم جماعة كثيرة من المماليك السلطانية ، وهم على ماهم عليه ، غير أنهم [صاروا][٤] يعرضون بذكر أبى[٥] الخير النحاس ، ووقفوا فى انتظاره إلى أن يطلع إلى القلعة ، وكان عادته لا يطلع إليها إلا بعد نزول أعيان[٦] الدولة ، وكان أبو الخير قد ركب من داره على عادته ، فعرّفه بعض أصحابه بالحكاية ، فخرج من داره وسار من ظاهر القاهرة ، ليطلع إلى القلعة ، إلى أن وصل بأقرب من باب الوزير ، بلغ المماليك الذين هم فى انتظاره أنه قد فاتهم ، فأطلقوا رؤوس خيولهم غارةً ، والعامةُ خلفهم ، حتى وافوه فى أثناء طريقه ، فأكل ماقُسم له من الضرب بالدبابيس ، وانهزم أمامَهم[٧] ، وهم فى أثره ، والضرب يتناوله وحواشيه ،[٨] وهو عائد إلى جهة القاهرة ، وترك طلوعَ القلعة لينجو بنفسه ، واستمر على ذلك إلى أن وصل إلى جامع أَصْلَم[٩] بخط سوق الغنَم ، فضربه شخص من العامة على رأسه فصرعه عن فرسه ، ثم قام من صَرْعته ورمى بنفسه إلى بيت أصلم الذى بالقرب من جامع أصلم ، وهو يومَ ذاك سكن يَشْبُك الخاصّكى الظاهرى جَقْمَق ، من طبقة الزِّمام .

---

(١) ق ا (الفوى) .
(٢) ق ا (جاز) .
(٣) ق ا (فجى) .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) ق ا (ابو) .
(٦) ق ا (اهل) . والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) ق ا (أمامه) .
(٨) ق ا (وحواشيه) .
(٩) جامع أصلم أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار فى سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م ، وهو أحد مماليك السلطان قلاوون (خطط ج ٢ ص ٣٠٩) .

ومن غريب الاتفاق ، أن أبا الخير النحاس كان قبل تاريخه بمدة يسيرة ، شكا يَشْبَكَ هذا صاحبَ الدار إلى السلطان ، وشَوّش عليه غاية التشويش ، حتى أخذه أغاته[1] الأميرُ فيروزُ الزِّمّام ، وبعثه إلى أبي الخير النحاس ، على هيئة غير مرضية ، فصفح عنه أبو الخير خوفا من خُجْداشِيته ، ومَنّ[2] عليه ؛ والمقصود أن [١٤٤] أبا الخير ، لما ضُرب وطاح عن فرسه ، وكان الضاربَ له عبد أسود[3] ، وأخذ عمامته من على رأسه ، فلما رأى[4] أبو الخير نفسه فى بيت يَشْبَك المذكور ، هجمت العامة عليه ، ومعهم المماليك ، إلى بيت يَشْبَك ، وكان غائبا عن بيته ، وقبضوا عليه وأخذوا فى ضربه والإخراق به ، وعرّوه جميع ما كان عليه ، حتى أخذوا أخفافه من رجليه ، واختلفت الأقوال فى الإخراق به ، فمن الناس من قال : أركبوه حماراً عرياناً وأشهروه فى البيت المذكور ، ومنهم من قال أعظمَ من ذلك ، ثم نجا منهم ، ببعض من ساعده منهم ، وألقى بنفسه من حائط إلى موضع آخر ، فتبعوه أيضا ، وأوقعوا به وهو معهم عريان ، وانتهبوا جميع ما كان فى بيت يَشْبَك المذكور .

ووصل يَشْبَك إلى داره ، فما أبقى ممكنا[5] فى مساعدة النحاس ، وماعسى يفعله مع السواد الأعظم ؟ وكان بلغ السلطانَ أمرُه ، فشق عليه ذلك إلى الغاية ، فأرسل إليه جانبك والىَ القاهرة ، نجدةً ، فساق إليه ، حتى لحقه وقد أشرف على الهلاك ، وخلصه منهم ؛ وأراد[6] أن يركبه فرسا فما استطاع أبو الخير الركوب لعظم مابه من الضرب فى رأسه ووجهه وسائر بدنه ، فأركبه [عرياناً وعليه ما يستره][7] على بغلة ، وأردفه بواحد من خلفه على البغلة المذكورة ، وتوجّه به على تلك الهيئة ، إلى بيت الأمير تمربغا الدوادار

(١) فى ا (اغه) .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (عبدا اسودا) .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (رى) ، والمثبت عن ا .
(٥) فى ا (ممكن) .
(٦) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٧) ما بين الحواصر عن طبعة كاليفورنيا .

الثانى ، بالقرب من جامع سُودون مِن زادة ، والعامةُ خلفه وهم ينادمونه بأنواع السبّ ويذكرون له فقرَه وإفلاسَه وما قاساه من الذل والهوان ، إلى أن وصل إلى بيت تَمُرْبغَا [المذكور][1] بغير عمامة على رأسه ، فأجلسه تَمُرْبغَا بمكان تحتُ مقعده ، واستمر به إلى الليل ، فقام[2] وتوجه إلى داره مختفيا خائفا مرعوبا .

وأنا أقول : لو مات أحد من شدة الضرب ، لمات أبو الخير [المذكور][3] فى هذا اليوم ، كل ذلك بغير رضى السلطان ، لأن المماليكَ والعامةَ اتفقوا على [أبى الخير المذكور وعلى الفتك به] ،[4] وقلّ أن يتفقوا على أمر ، فكان هذا اليوم[5] من الأيام المشهودة بالقاهرة ، لأنى ما رأيت ولا سمعت بمثل هذه الواقعة ، وقد سبق كثير من إخراق المماليك لرؤساء الدولة ونهب بيوتهم وأخذ أموالهم ، ومع هذا كله لم يقع لأحد منهم بعض ما وقع لأبى الخير هذا ، فإن جميع الناس قاطبة كانت عليه ، وكل منهم لا يريد إلا قتله وإتلافه .

وأنا أقول : إنهم معذورون فيما يفعلونه ، لأنه كان بالأمس فى البهموت[6] من الفقر والذل والإفلاس ، وصار اليومَ فى الأَوْج من الرئاسة والمال والتقرب من السلطان ، ومع هذا الانتقال العظيم ، صار عنده شمم وتكبر ، حتى على من كان لا يرضى أقل غلمانه أن يستخدمه فى أقل حوائجه ، وأما على من كان من أمثاله وأرباب صنعته ، فإنه لم يتكبر عليهم ، بل أخذ فى أذاهم والإخراق بهم ، حتى أبادهم شرا ، وأنا أتعجب غايةَ العجب من وضيع يترأس ، ثم يأخذ فى التكبر على أرباب البيوت وأصحاب الرئاسة الضخمة ، فما عساه يقول فى نفسه ! والله[7] العظيم ، إننى كنت إذا دخل علىّ الفقيه الذى أقرأنى القرآنَ فى صغرى ، على أن بضاعته من العلوم كانت مُزجاة ، أستحى أن أتكلم

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (قام) .
(٣) ، (٤) الإضافات عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) فى ا (الأيام) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) البهموت من الفقر الحضيض (النجوم الزاهرة طبعة كاليفورنيا جـ ٧ ص ١٧٨) .
(٧) فى ا (وبان) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

بين يديه بفضيلة أو علم من العلوم ، لكونه كان يعرفنى صغيراً لا فقيراً ، فكيف حال هؤلاء مع الناس ، كانوا يرتجون خدمة [أصاغر][1] خدمهم ؛ فليس هذا إلّا عظم الوقاحة ، وغلبة الجنون لا غير — انتهى .

ثم فى يوم السبت ثانى شعبان ، عزل السلطانُ علىَّ بنَ إسكندر عن حسبة القاهرة ، ورسم لزينِ الدين يحيى الأستادّار بالتكلم فيها ، فباشر زينُ الدين الحسبةَ من غير أن يلبس لها خلعة ، وكانت سيرةُ علىّ بن إسكندر ساءت[2] فى الحسبة إلى الغاية .

وأما أبو الخير النحاس ، فإنه استمر فى داره [3] بعد أن قدم إليها من الليل من بيت الأمير تمُرْبغَا[4] إلى يوم الاثنين ثالث شعبان ، طلع إلى القلعة وخلع السلطانُ عليه كامليةَ مُخْمَل أحمر بمقلب سَمُّور ، ونزل إلى داره وهو فى وجل من شدة رعبه من المماليك والعامة ، لكنّه شق القاهرة فى نزوله ، ولم يسلم من الكلام ، وصار بعضُ العامة يقول : «أيش هذه البرودة!» ، فيقول آخر : «إذا اشتهيتَ أن تضحك على الأحمر لَبِّسْه أحمر !» ، هذا وأبو الخير [١٤٥] يسلم فى طريقه على [الناس من][5] العامة وغيرها ؛ فمنهم من يرد سلامه ، ومنهم من لا يرد سلامه ، ومنهم من يقول بعد أن يولى بأقوى صوته : «خِيرتك والاّ ينحسوها» ، أعنى رقبته . ولم ينزل معه أحد من أرباب الدولة إلا القر الجمالى ناظر الخواصّ الشريفة ، قصدَ بنزوله معه أموراً لا تخفَى على أرباب الذوق السليم ، لأنه لم يؤهِّله[6] قبل ذلك لأمر من الأمور ، فما نزوله الآن معه ، وقد وقع فى حقه ما وقع !

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر شعبان ، قدم الأمراء من تجريدة البحيرة صُحبة

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (سات) .

(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا . وتمربغا بمعنى فحل حديد . (راجع ص ٣٢ حاشية ١١ ، وانظر صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٢٥-٤٢٦) .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (يأهله) .

الأمير الكبير إينال العلائى ، وخلع السلطانُ على أعيانهم الثلاثة الأمير الكبير إينال ، وتنَم المؤيدى أمير مجلس ، وقانى باى الجاركسى الأمير آخور .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشر شعبان ، برز الأميرُ جَرِبَاش الكَرِيمى [الظاهرى برقوق][1] أمير سلاح[2] ، إلى بِركة الحاج على هيئة الرَّجَبيةَّ ، وصُحبته قاضى القضاة بدرُ الدين بن عبد المنعم [البغدادى][3] الحنبلى ، والزينى عبدُ الباسط بن خليل الدمشقى ، وجماعة كثيرة من الناس .

ثم فى يوم السبت سابع شهر[4] رمضان ، اختفى[5] السَّفْطى ، فلم يُعرف له مكان ، بعد أمور وقعت له مع قاسم الكاشف ؛ فعمل السلطانُ فى يوم الاثنين سادس عشره عَقْد مجلس بين يديه بالقضاة والعلماء بسبب حمام السَّفْطى ، وظهر السفطى من اختفائه[6] ، وحضر المجلسَ ، وانفصل عِقد المجلس[7] على غير طائل ، واختفى السفطى ثانيا من يومه فلم يعرف له خبر .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر شوال ، برز أميرُ حاجِّ المحمل ، فَيْروز النَّوْرُوزى[8] [الرومى][9] الزِّمام الخازندار ، بالمحمل ، وأميرُ الركب الأول ، الأميرُ تمُرْبغَا الظاهرى الدَّوَادار الثانى ؛ وحجّ فى هذه السنة من الأعيان : الأميرُ طُوخ من تِمرَاز المعروف بينى بازق ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، وبينى بازق باللغة التركية : أى غليظ الرقبة[10] ، وخرج تِمرْاز البَكْتَمُرى المؤيدى المصارِع ، صُحبةَ الحاج ، واستقر

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (مجلس) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وعن التبر المسبوك .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ، ومثبتة عن ا والتبر المسبوك .

(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (اختفا) .

(٦) فى ا (حباه) .

(٧) فى ا (العقد) ، والتوضيح عن طبعة كاليفورنيا .

(٨) فى ا (المروزى) ، والمثبت عن التبر المسبوك .

(٩) من التبر المسبوك .

(١٠) فى الضوء اللامع (ح ٤ ص ٩) طويل الرقبة .

في مُشِدِّيَّة[1] بندر جُدّة ، عوضاً عن الأمير جانِبَك الظاهرى ، حسبما نذكره من أمره ثانيا[2] فيما[3] يأتى مفصلا ، إن شاء الله تعالى .

[ثم][4] في يوم السبت تاسع عشره ، استقر القاضى ولىّ الدين الأسيوطى ، فى مشيخة المدرسة الجمَالِيَّة ، بعد تسحُّب ولىّ الدين السَّفْطى واختفائه .

ثم فى يوم الاثنين العشرين من ذى القعدة ، استقر الأميرُ جانِبَك اليَشْبَكى والى القاهرة ، فى حسبة القاهرة ، مضافا لما معه من الولاية وشدّ الدواوين والحجوبية ؛ وجانِبَك هذا أحدُ من رقاه المقر الصاحبى ناظرُ الخاص المقدم ذكره .

[ثم][5] فى يوم الخميس ثالث عشرين ذى القعدة أيضا ، نودى بالقاهرة على ولى الدين السَّفْطى ، بأن من أحضره إلى السلطان يكون له مائة دينار ، وهدّد من أخفاه بعد ذلك بالعقوبة والنكال .

ثم فى يوم الخميس ثامن ذى الحجة ، وصل الأميرُ يَشْبَك الصوفى المؤيدى ، نائب طرابلس ، إلى القاهرة ، وطلع إلى القلعة وقبّل الأرض ، فحال وقوفه[6] رسم السلطانُ بتوجُّهه إلى ثغر دِمياط بَطّالا ، وذلك لسوء سيرته فى أهل طَرَابُلُس . وفيه عزل السلطانُ الأميرَ علان جِلّق المؤيدى عن حجوبية حلب ، لشكوى[7] الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حلب عليه ، ثم انتقض ذلك ، واستمر علاّن على وظيفته .

ووقع فى هذه السنة — أعنى ثلاث وخمسين — غريبة ، وهى أنه مات فيها من ذوات الأربع ، مثل الأغنام والأبقار وغيرها ، شىء كثير[8] ، من عدم العلوفة ، لغلو الأسعار

(١) فى ا (شد) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا ولا فرق يذكر .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (فيأتى) .
(٤) ، (٥) من طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (وقوعه) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (ليكون) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .
(٨) فى ا (شيئا كثيرا) .

والفناء، فأيقن كلُّ أحد بتزايد أثمان الأضحية، فلما كان العشر الأول من ذى الحجة، وصل إلى القاهرة من البقر والغنم شىء كثير، حتى أبيعت بأبخس الأثمان.

ثم فى يوم تاسع عشر ذى الحجة المذكور، سُمِّر نجمُ الدين أيوب [بن حسن بن محمد نجم الدين بن البدر ناصر الدين][1] بن بشارة، وطيف به، ثم وسِّط من يومه، ووُسِّط معه شخص آخر من أصحابه، وقد ذكرنا سبب القبض عليه وما وقع له فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى[2] الأيام والشهور »، إذ هو محله[3].

ثم فى يوم السبت رابع عشرينه، عَزل السلطانُ الأميرَ علان المؤيدى، عن حجوبية حجاب حلب، لأمر وقع بينه وبين نائب حلب، الأمير قانى باى الحمزاوى، ورسم بتوجُّه علان المذكور إلى مدينة طرابلس بطالا، واستقر عوضَه فى حجوبية حلب قاسم بن جمعة القاسى، وأُنعم بإقطاع قاسم على الأمير جانِبَك المؤيدى المعروف بشيخ، المعزول أيضا [١٤٦] عن حجوبية حلب قبل تاريخه، والإقطاع إمرة طبلخانات بدمشق. وفيه رسم السلطانُ لمَمَاى السيفى بَيْبغَا الظفرى، أحد الدَّوَادَارِيَّة الصغار، بالتوجه إلى ثغر دِمياط، وأخذ الأمير يَشْبَك الصوفى منه وتحبّسه بثغر الإسكندرية مقيّدا، ووقع ذلك.

ثم فى يوم الخميس خامس عشرين ذى الحجة، رسم باستقرار الأمير يَشْبَك النَّوْرُوزِى، حاجب حجاب دمشق، فى نيابة طرابلس، عوضا عن يَشْبَك الصوفى المقبوض عليه قبل تاريخه، وولاية يشبك المذكور طرابلس، على مال كبير بذله له، وحمل إليه التقليدَ والتشريفَ بنيابة طرابلس، الأميرُ أَسَنْبَاى الجمالى الساقى الظاهرى

(١) عن الضوء اللامع.

(٢) فى ا (مدا).

(٣) نجم الدين هذا هو مقدم المشير ببلاد صيدا، وقد وصفه أبو المحاسن بسوء السيرة ونعته بالظلم، من ذلك أنه — أى نجم الدين — « تزوج بثمانى نسوة وأنه قتل بيده جماعة، وأمر بقتل سبعة وعشرين نفرا، وأنه استولى فى مدة مباشرته، وهى نحو أربع سنوات، على مائتى ألف دينار وسبعة عشر ألف دينار وأربعين .. » (حوادث الدهور جـ ١ ورقة ١٠٦؛ انظر كذلك التبر المسبوك ص ٢٦٨).

جَقْمَق ، ورسم السلطان بإعادة الأمير جانِبَك الناصرى إلى حجوبية دمشق ، عوضا عن يَشْبَك النَّوْرُوزِى .

وفرغت هذه السنة والديارُ المصرية فى غاية مايكون من غلو الأسعار . وفى هذه السنة أيضا ، ورد الخبرُ بوقوع خَسْفٍ بين أرض سِيس وطرسوس ، ولم أتحقق مقدارَ الأرض التى خُسفت . وفيها أيضا كان فراغُ مدرسة زين الدين الأستادّار ، بخط بولاق على النيل ، ولم أدر المصروفَ على بنائه من أى وجه ، ومَن كان له شىء فله أجره .

واستهلت سنة أربع وخمسين وثمانمائة الموافقة لحادى عشرين مسرى ، والناسُ فى جهد وبلاء من غلو الأسعار ، وسعر القمح ثمانمائة درهم الأردب ، وقد ذكر سعر جميع المأكولات فى « حوادث الدهور »[1] .

ولما كان يوم السبت أول محرم سنة أربع وخمسين المذكورة ، وصل الأميرُ بَرْدبك العجمى الجَكَمى المعزول عن نيابة حماة من ثغر دِمياط ، وطلع إلى القلعة ، وأنعم السلطانُ عليه بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بدمشق .

وفى هذه الأيام وصلت إلى القاهرة رِمَّة[2] قاسم المؤذى الكاشف ، غريم السُّنْطى ليدفن بالقاهرة .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشر المحرم ، وصل الأميرُ جَرِبَاش الكَرِيمى ، أمير سلاح من الحجاز ، وتخلف قاضى القضاة بدرُ الدين الحنبلى عنه مع الركب الأول من الحاج ، وكان الزينى عبدُ الباسط بن خليل ، سبق الأميرَ جَرِبَاش من العقبة ، ودخل القاهرة قبل تاريخه ، وخلع السلطانُ على جَرِبَاش المذكور كاملية بمقلب سَمُّور ، وخرج من عند السلطان ، ودخل إلى ابنته زوجة السلطان ، وهى يوم ذلك صاحبةُ القاعة

(١) راجع حوادث الدهور جـ ١ ق ١ ورقة ١٢٠ ، وانظر التبر المسبوك ص ٢٧١ .
(٢) رمة أى جثمان ، أو العظام البالية (انظر القاموس المحيط) .

[الكبرى بالدور السلطانية][١] وسلَّمَ عليها، ثم نزل إلى داره [المعروفة بالبيت الكبير تجاه القلعة][٢] .

ثم فى يوم الجمعة ثامن عشرينه ، عقد السلطانُ عقدَ مملوكه الأمير أَزْبَك مِنْ طُطُخ ، على ابنته من مطلقته خَوَنْد بنت البارِزِى ، وكان العقدُ بقلعة الدَّهِيشَة ، بحضرة السلطان بعد نزول الأمراء من صلاة الجمعة من غير جمع[٣] .

ثم فى يوم الخميس رابع شهر صفر[٤] استقر أبو الفتح [الطيبى][٥] أحد أصحاب أبى الخير النحاس [بسفارته][٦] ، فى نظر جوالى دمشق ، ووكالة بيت المال بها ، على أنه يقوم فى السنة للخزانة الشريفة بخمسين ألف دينار ، على ماقيل ، وما سيأتى من خبر أبى الفتح ، فأعجب .

وفى هذه الأيام[٧] ، ظهر رجل من عبيد قاسم [الزين][٨] الكاشف ، [الملقب بالمؤذى][٩] وشُهِر بالصلاح ، وترددَ الناسُ لزيارته ، حتى جاوز أمرُه الحد ، وخُشِى على الناس من إتلاف عقائدهم ، فأمر السلطانُ الأميرَ تَنْبَك حاجبَ الحجاب ، أن يتوجه إليه ، ويضربه ويحبسه ، وصُحبته جانِبَك الساقى والى القاهرة . فلما دخلا عليه ، تهاون الأميرُ تَنْبَك فى ضربه خشيةً من صلاحه ، وبلغ[١٠] السلطانَ ذلك ، فرسم بنفيه إلى ثغر دِمْياط بَطّالا ، ومُسَفِّره[١١] جانِبَك الوالى ، وتولى[١٢] خُشْقَدم الطَّوَاشى الظاهرى [الرومى][١٣]

---

(١) ، (٢) الإضافات عن التبر المسبوك .
(٣) راجع السخاوى : التبر المسبوك ص ٣٠١-٣٠٢ .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا ، ومستدركة بهامش ا .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) عن التبر المسبوك ؛ راجع كذلك حوادث الدهور ﺣ ١ ق ١ ورقة ١٢٢ ، ١٤١ .
(٧) حدد السخاوى تاريخ ظهور هذا الرجل المتصوخ بأنه كان فى يوم الثلاثاء ثانى صفر (التبر المسبوك) .
(٨) ، (٩) عن الضوء اللامع والتبر المسبوك .
(١٠) مستدركة بهامش ا .
(١١) فى ا (ومغره) ؛ والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(١٢) فى ا (تولا) .
(١٣) عن طبعة كاليفورنيا .

ووالى القاهرة ضربَ العبدِ المذكور وحبْسه ، وقد أوضحتُ أمرَ هذا العبد وما وقع له فى تاريخنا « الحوادث » فلْيُنظر هناك(1). ثم رسم السلطانُ بعد مدة ، بقدوم الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى أحد المقدمين بدمشق ، إلى القاهرة ، واستقراره فى حجوبية الحجاب ، عوضا عن تَنْبَك المذكور ، ورسم للأمير عِلاّن المؤيدى ، المعزول عن حجوبية حلب ، بإقطاع خُشْقَدَم المذكور بدمشق .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشر صفر ، رسم السلطانُ بنقل الأمير جانِم الأمير آخُور قريب الملك الأشرف بَرْسْباى(2) من القدس الشريف ، وحبْسه بسجن الكَرَك ، وكان جانمُ المذكور ، حُبس عدة سنين ، ثم أطلق وجاور بمكة سُنَيّات ، ثم سأل فى القدوم إلى القدس ، فأجيب ، وقدمه ، فتكلم فيه بعضُ أعدائه [١٤٧] إلى أن حُبس بالكَرَك ثانيا .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشر صفر ، قدم الأميرُ قانم التاجر المؤيدى من بلاد الروم إلى القاهرة ، [وكان توجه إليها فى العام الماضى كما سلف .](3)

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين صفر المذكور ، نودى بالقاهرة بأن لا يلبس النصارى واليهودُ على رؤوسهم أكثر من سبعة أذرع من العمائم ، [لكونهم تعدوا فى ذلك وزادوا عن الحد](4) ؛ وفى هذه الأيام تزايد أمرُ النحّاس وطغى [وتجبر](5) ، ونسى ما وقع له من البهدلة والإخراق .

وفى يوم الاثنين ، رسم السلطان بالإفراج عن عبد قاسم الكاشف ، من حَبْس المَقْشَرَة وتوجُّهه إلى حيث شاء ، ولا يسكن القاهرة .

ثم فى يوم السبت ثانى عشر شهر ربيع الأول ، ورد الخبر بموت الأمير شاد بك الجَكَمى ، المعزول عن نيابة حماة ، بالقدس بعد مرض طويل .

---

(1) راجع حوادث الدهور جـ ١ ورقة ١٢٢–١٢٣ ؛ وانظر التبر المسبوك ص ٣٠٢–٣٠٣ .
(2) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(3) ، (4) عن التبر المسبوك .
(5) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم فى يوم الخميس سادس عشره ، وصل إلى القاهرة الأمير خشقدم المؤيدى من دمشق ، وقبّل الأرضَ وأنعم عليه السلطانُ بإمرة مائةٍ وتقدمة ألف ، عوضا عن تنبك البردبكى الحاجب ، بحكم نفيه إلى دِمْياط . وفى هذا اليوم كان مُهِمّ الأمير أُزْبَك وعرسه على بنت السلطان بالقاهرة ، فى بيت خالها القاضى كمالِ الدين بن البارِزِى ، ولم يُعمل بالقلعة .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأول ، المذكور ، استقر خشقدم عوضاً عن تنبك المقدم ذكره فى حجوبية الحجاب .

ثم فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الآخر ، أنعم السلطانُ على تمراز الأشرفى الزَّرَدْكاش كان ، بإقطاع على باى الساقى الأشرفى ، بحكم وفاته ، قلت : بئس البديل ، وإن كان كل منهما أشرفياً[1] ، فالفرق بينهما ظاهر .

وفى هذه الأيام عَظُم أمر النحاس ، حتى أنه ضاهى المقرَّ الصاحبىَّ ناظرَ الخواص ، فى نفوذ الكلمة فى الدولة ، لأمور صدرت بينهما يطول الشرح فى ذكرها ، وليس لذلك فائدة ولا نتيجة ؛ وملخص ذلك أن أبا الخير عظم فى الدولة ، حتى هابه كلُّ أحد من عظماء الدولة إلا المقر الجمالى ، فأخذ أبو الخير يدبر عليه فى الباطن ، ويوغر خاطرَ السلطان عليه ، بأمور شتى ، ولم ينهض أن يحوِّل السلطانَ عنه بسرعة ، لثبات قدمه فى المملكة ، ولعظمه فى النفوس ، كلُّ ذلك والمقرُّ الجمالى لا يتكلم فى حقه عند السلطان بكلمة واحدة ، ولا يلتفت إلى ما هو فيه ، وأبو الخير فى عمل جد مع السلطان فى أمر الجمالى المذكور ، بكلتا يديه . وبينما هو فى ذلك ، أخذه الله من حيث لا يحتسب ، حسبما يأتى ذكره مفصلا إن شاء الله تعالى .

ومن غريب الاتفاق ، أنه دخل عليه[2] قبل محنة أبى الخير النحاس[3] بمدة يسيرة ،

---

(١) فى ا (اشرفى) ، والأشرفى نسبة إلى السلطان الأشرف برسباى .

(٢) فى ا (على) .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

رجلٌ من أصحابه ، وأخذ فى تعظيم المذكور ، وبالغ فى أمره ، حتى قال إنه قد تم له كل شيء طلبه ، فأنشدتُه من باب المداجنة [المتقارب] :

إذا تم أمرٌ[1] بـــدا نقصه ... توقَّ زَوالاً[2] إذا قيل تَمّ

وافترقنا ، فلم تمض أيام حتى وقع من أمره ما وقع .

ثم فى يوم الاثنين ، ثالث عشر شهر ربيع الآخر المقدم ذكره ، نُفى الأمير سُودون الإينالى[3] [المؤيدى][4] المعروف بقَرَاقاش ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، لأمر مطول ذكرناه فى « الحوادث »[5] .

وفى هذه الأيام ، برز المرسومُ الشريف بعزل الأمير بَيْنُوت مِن صَفَر خُجاَ المؤيدى الأعرج ، عن نيابة حماه ، لأمور مطولة ذكرناها فى « الحوادث »[6] من أولها إلى آخرها ، وإلى حضوره إلى القاهرة ، [وما وقع له][7] ببلاد الشرق وغيره . ورسم للأمير سُودون الأبو بكرى المؤيدى أتابك حلب ، باستقراره عِوضه فى نيابة حماه ، وأنعم بأتابكية

---

(١) فى ا (امرا) .

(٢) فى ا (زمانا) .

(٣) الإينالى نسبة إلى جالبه الأمير إينال الساقى المعروف بإينال ضضع ، ومعنى كلمة ضضع شغتر (المنهل الصافى حـ ٢ ورقة ١٦٣) .

(٤) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) خلاصة ما أورده ابن تغرى بردى فى حوادث الدهور (حـ ١ ورقة ١٢٩—١٣٠) والمنهل الصافى (حـ ٢ ورقة ١٦٣ —١٦٤) عن أسباب نفى الأمير سودون ، أن السلطان أرسله فى تجريدة لقمع فتنة عرب محارب بالبحيرة ، فأدى واجبه وعاد ، غير أن هؤلاء العربان استطاعوا استرداد جمالهم التى كان كاشف البحيرة قد استولى عليها ، وجاء بها سودون ، فغضب السلطان ونفى سودون إلى القدس بطالا (انظر كذلك عمر كحاله : معجم قبائل العرب حـ ٣ ص ١٠٤٢ ، والسخاوى : الضوء اللامع حـ ٣ ص ٧٦) .

(٦) تلخص أسباب العزل فى أن أهل حماه شكوا من سوء تصرفه وتصرف ابنه إبراهيم ، فأمر السلطان بحبسه فى قلعة دمشق ، لكنه تمكن من الهرب ، فقبض عليه بعد ذلك . (راجع حوادث الدهور حـ ١ ورقة ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٨—١٣١ ، ١٦٥—١٦٦ ؛ وانظر الضوء اللامع حـ ٢ ص ٢٣) .

(٧) عن طبعة كاليفورنيا .

حلب على الأمير على باى العجمى المؤيدى ، وأنعم بتقدمة على باى المذكور ، على إينال الظاهرى جَقْمَق ، وقد نُفى قبل تاريخه من الديار المصرية .

ذكر مبدأ نكبة أبى الخير النحاس على سبيل الاختصار

ولما كان يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى من سنة أربع وخمسين المذكورة ، أحضر السلطانُ إلى بين يديه مماليكَ الأمير تَنَمَ من عبد الرزاق المؤيدى أمير مجلس ، وعيَّن منهم نحوَ العشرة ، ورسم بحبسهم بسجن المَقْشَرة ، بسبب تجرُّئهم على أستاذهم المذكور ، وشكواه عليهم ، فلما أصبح من الغد فى يوم الاثنين ثانى عشره ، انفض الموكب السلطانى ، ونزل الأمير تَنَمَ المذكورُ صُحبةَ الأتابك [1] إينال العلائى وغيره من الأمراء ، فلما صاروا تجاه سُوَيْقة مُنْعِم [2] ، احتاطت بهم المماليكُ [١٤٨] السلطانية الجُلْبَان ، وخَشَّنوا لِتَنَم فى القول ، بسبب شكواه على مماليكه ، فأخذ الأتابك إينال فى تسكينهم ، وضمن لهم خلاصَ المماليك المذكورة من حبس المقشرة ، فخلوا عنهم ، ورجعوا غارةً إلى زين الدين يحيى الأسْتَادَار ، فوافوه بعد نزوله من الخدمة بالقرب من جامع الماردانى [3] ، وتناولوه بالدبابيس ، فمن شدة الضرب ألقى بنفسه [4] عن [5] فرسه ، وهرب إلى أن أنجده الأميرُ أُزْبَك الساقى ، والأميرُ جانِبَك اليَشْبَكى الوالى ، وأركباه على فرسه ، وتوجّها به إلى داره .

فلما فات المماليكُ زينَ الدين رجعوا غارةً إلى جهة القلعة ، ووقفوا تحت الطبلخانات بالصُّوَّة [6] ، فى انتظار أبى [7] الخير النحاس ، وبلغ النحاسَ الخبرُ ،

---

(١) فى ا (الأمير) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) راجع ما سبق .

(٣) جامع الماردانى خارج باب زويلة ، نسبة لصاحبه الأمير ألطنبغا الماردانى الساقى أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون . توفى الماردانى سنة ٧٤٤ ﻫ / ١٣٤٣ م (خطط جـ ٢ ص ٣٠٨) .

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (نفسه) ، والمثبت عن ا وعن التبر المسبوك .

(٥) فى ا (من) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .

(٦) الصوة مكان تحت القلعة يقع بين الطبلخاناة السلطانية وباب المدرج من القلعة ، وبهذا المكان جامع الصوة الذى بناه السلطان المؤيد أيام إمارته وقبيل سلطنته (خطط جـ ٢ ص ٣٢٧) .

(٧) فى ا (ابو) .

فمكث نهارَه عند السلطان بالقلعة لا ينزل إلى داره ، فشقّ ذلك على المماليك ، واتفقوا على نهب دار أبي الخير النحاس، فساروا من وقتهم إلى داره على هيئة مزعجة ، فوجدوا باب داره قد غلقه[1] مماليكُه وأعوانه ، وقد وقفت مماليكُه بأعلى بابه لمنع المماليك من الدخول ؛ فوقع بينهم بُعَيْض قتال ، ثم هجمت المماليكُ السلطانية على بابه الذي كان من بين السورين ، وأطلقوا فيه النار ، واحترق الباب وما كان عليه من المبانى ، ودخلوا إلى البيت ، وامتدت الأيدى فى النهب ، فما عفّوا ولا كفّوا ، وأخذوا من الأقمشة والأمتعة والصيني والتحف ما يطول الشرح فى ذكره[2] ، واستمرت النار تعمل فى باب أبي الخير ، إلى أن اتصلت إلى عدة بيوت بجواره[3] ، ولم تصل النارُ إلى داره ، لأنها كانت فوق الريح ، وأيضا كانت بالبعد عن الباب ، وهى الدار التى عمَّرها قديما صلاحُ الدين بن نصر الله ، وانتقلت بعده إلى أقوام كثيرة ، حتى ملكها النحاس هذا وجدّدها وتناهى[4] فيها .

ثم حضر والى القاهرة وغيره لطَفْىْ النار ، فطُفِيت بعد جهد ؛ ولما انتهى أمر المماليك من النهب ، وعلموا أنه لم يبق بالدار ما يؤخذ ، توجّهوا إلى حال سبيلهم ، وقد تركوا [بيتَ][5] النحاس خاليا من جميع ما كان فيه ، بعد أن سلبوا حريمَه جميعَ ما كان عليهن[6] من الأقمشة[7] وأفحشوا فى أمرهن ، من المَتْكة والجرجرة ، والهجْم عليهن.[8]

وعادوا من دار النحّاس وشقوا باب زَوِيلة ، وقد غُلقت عدة حوانيت بالقاهرة ، لعظم ما هالهم من النّهب فى بيت النحاس ، فمضوا ولم يتعرضوا لأحد بسوء ، وباتوا تلك الليلة ، وأصبحوا يومَ الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى المذكور ، ووقفوا بالرملة

---

(١) فى ا (غلقوه) .
(٢) راجع التبر المسبوك ص ٣١٤ .
(٣) فى ا (بجوارها) .
(٤) فى ا (وتناما) .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) ، (٨) فى ا (عليهم) .
(٧) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

محدقين بالقلعة ، مصممين على الفتك بأبى الخير النحاس ، وقد بات النحاس بالقلعة ؛ وطلبوا تسليمه من السلطان ، وعَزْل جوهر النَّوْرُوزى[1] عن تقدمة المماليك ، وعزْل زين الدين الأستادّار عن الأستادّارِيّة ؛ وانفض الموكب ، ونزل كل من الأعيان إلى داره فى خفية ، ونزل الأميرُ تَمُرْبَغَا الظاهرى الدَّوَادار الثانى ، والأميرُ أُزْبَك الساقى ، وبَرْدبك البَجْمَقْدار[2] ، إلى نحو بيوتهم ؛ فلما صاروا بالرملة ضربوا عليهم المماليكُ الجِلْبَان وبلقةً ، وكلموهم فى عودهم إلى السلطان والتكلم معه فى مصالحهم ، فقال لهم تَمُرْبَغَا : «ما هو غرضكم ؟ » ، قالوا : « عزل جَوْهر مقدم المماليك وتسليم غريمنا » ، يعنونَ النحاس .

فعاد تَمُرْبَغَا إلى القلعة من وقته وعرّف السلطانَ بمقصودهم ، وكان الأميرُ الكبير إينال قد طلع باكَرَ النهار إلى القلعة [وصُحبته الأميرُ أسَنْبغَا الطيّارى رأس نوبة النُّوَب ؛ وأما الأمير تَنَم ، فإنه كان طلع إلى القلعة][3] من أمسه وبات بها فى طبقة الزِّمام ، وأجمعَ رأيَه أنه لاينزل من القلعة ، إلى أن يفرج عن مماليكه المحبوسين ، خشية والمماليك الجِلْبَان ، فلما طلع الأميرُ الكبير باكَرَ النهار ، شفَع فى مماليك الأمير تَنَم فرُسم بإطلاقهم ، ثم تكلم الأمير الكبيرُ مع السلطان فى الرضى عن المماليك الجِلْبَان ، السلطان مصمم على مقالته التى قالها بالأمس ، أنه يرسل ولدَه المقامَ الفخرى عثمانَ وحريمَه إلى الشام ، ويتوجه هو إلى حال سبيله ، فنهاه الأميرُ الكبير عن ذلك ، وقام السلطانُ ودخل إلى الدَّهِيشَة ، فكلّمه بعضُ أمرائه أيضا فى أمرهم ، فشقّ ثوبَه غيظا منه ، ونزل الأمير الكبير بمن معه إلى دورهم .

ثم كان نزولُ تَمُرْبغَا ، والمقصودُ أن تمربغا لما عاد إلى السلطان ، وعرّفه قصْدَ المماليك ، وقَبْل أن يتكلم ، سبقه بعضُ أمرائه ، وأظنُه الأميرَ قَرَاجا الخازندار ، وقال : « يجبرُ مولانا [١٤٩] السلطانُ خاطرَ مماليكه ، بعزل المقدم ، وإخراج

(١) جوهر النوروزى حبشى الأصل .

(٢) البجمقدار أو البشمقدار : حامل نعل السلطان أو الأمير .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

النحاس من القاهرة » ، فانقاد السلطانُ إلى كلامه ، ورسم بعزل جوهرمقدم المماليك ، وتوجُّهه إلى المدينة الشريفة ، وإخراج النحاس إلى مكة المشرفة ؛ وعاد تَمُرْبَنَا إلى المماليك بهذا الخبر ، فرضوا ، وتوجه كل واحد إلى حال سبيله ؛ وتم ذلك إلى بعد[1] الظهر من اليوم المذكور . فلما كان بعد[2] الظهر ، توجه جماعة من المماليك إلى الأمير أَسَنْبُغَا الطَّيَّارى رأس نوبة النوب ، وكلموه أن يطلع إلى السلطان ، ويطلب منه إنجاز ماوعدهم به من إخراج النحاس وعزل المقدم ؛ فركب أَسَنْبُغَا من وقته ، وطلع إلى السلطان وكلمه فى ذلك ، فلما سمع السلطانُ مقالة أَسَنْبُغَا ، اشتد غضبُه ، وطلب فى الحال جوهرا مقدمَ المماليك ونائبَه مرجان العادلى المحمودى ، وخلع عليهما باستقرارهما ، ورسم أن يكون النحاسُ على حاله أولا بالقاهرة ، ورسم للأمير تَغْرِى بِرْمِش اليَشْبَكِى الزَّرَدْكَاش أن يستعد لقتال المماليك الجِلْبَان ، فخرج الزَّرَدْكَاش من وقته ونصب عدةَ مدافع على أبراج القلعة ، وصمم السلطانُ على قتال مماليكه المذكورين .

وبلغ الأمراء ذلك ، فطلع منهم جماعة كبيرة إلى السلطان ، وأقاموا ساعةً بالدُّهَيْشَة ، إلى أن أمرهم السلطان بالنزول إلى دورهم ، ونزلوا ، واستمر الحالُ إلى باكر يوم الأربعاء رابع عشره ، فجلس السلطانُ بالحوش على الدِّكَّة ، ثم التفت إلى شخص من خاصَّكِيته ، وقال له : « أين الذين قلت عنهم ؟ » فقال : « الآن يحضروا » ، فقال السلطان : « انزل إليهم وأحضِرهم » ، فنزل الرجل من وقته ، وقام السلطان إلى الدهيشة ، ونزل المذكور إلى المماليك ، وأخذ منهم جماعة كبيرة ، وطلع بهم إلى السلطان ، فلما مثلوا بين يديه قال لهم : « عفوتُ عنكم ، امضوا إلى أطباقكم » ، فلم يتكلم أحدٌ منهم بكلمة .

واستمر أبو الخير بالقلعة خائفا من النزول إلى داره ، وقد أشيع سفرُه إلى الحجاز ، إلى أن كان يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى ، نزل أبو الخير إلى داره على حين غفلة قبل العصر بنحو خَمْس درج ، وانحاز بداره ، وقفل الباب

(١) ، (٢) فى ا (بعض) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

[عليه](١) إلى يوم الأربعاء حادى عشرينه ؛ فوصل البَلاَطُنُسى(٢) من دمشق ، وطلع إلى السلطان ، وشكا(٣) على أبى الفتح الطيبى ، الذى وَلِىَ وكالةَ بيت مال دمشق بسفارة النحاس ، وذكر عنه عظائم ، فعزله السلطانُ ، ورسم بحضوره إلى القاهرة فى جنزير ، ورسم لأبى الخير النحاس ، بالسفر إلى المدينة الشريفة ، ونزل البلاطنسى من القلعة بعد أن أكرمه السلطان ، وحصل [على](٤) مقصوده من عزل أبى الفتح الطيبى .

ورسم السلطانُ لأبى الخير المذكور أن يكتب جميع موجوده ويرسله إلى السلطان من الغد ، ورسم أيضا بعمل حسابه ، وتردد إليه الصفوىُّ جوهرُ الساقى من قِبل السلطان غيرَ مرة ، وكثر الكلام بسببه ، فقلق النحاسُ من ذلك غاية القلق ، وعلم بزوال أمره ، فأصبح من الغد ، فى يوم الخميس ثانى عشرينه ، طلع إلى القلعة فى الغلس من غير إذن السلطان ، واختفى بالقلعة فى مكان ، إلى أن انفض الموكب ، فتحيل حتى دخل على السلطان ، واجتمع به ، ثم نزل من وقته ، وقد أصلح ما كان فسد من أمره ، وأنعم له السلطانُ بموجوده ، وترك له جميعَ ما كان عزم على أخذه ، واستمر بداره ، وقد هابته الناس وكثر ترداُدهم إليه ، ورسَم بإبطال ما كان رسم به من عزل أبى الفتح الطيبى ، وإحضاره ، وأمر البَلاَطُنُسِى بالسفر إلى دمشق ، بعد أن لهج [الناسُ](٥) بحبسه فى سجن المَقْشَرَة ، فتحقق الناسُ بهذا الأمر ميلَ السلطانِ لأبى الخير ، وكفَّ جميعُ أعداء النحاس عن الكلام فى أمره مع السلطان .

واستمر بداره والناسُ تتردد إليه ، إلى يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور ، رسم السلطانُ لجوهر الساقى بنزوله إلى أبى الخير النحاس ، ومعه نقيب الجيش ، ويمضيا به إلى بيت قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى الشافعى ليدعى عليه

---

(١) من طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (البلاطيسى) .
(٣) فى ا (وشكى) .
(٤) من طبعة كاليفورنيا .
(٥) من طبعة كاليفورنيا .

التاجرُ شرفُ الدين موسى التَّتَائى الأنصارى(١)، بمجلس الشرع ، بدعاوٍ كثيرة ، ورسَم السلطانُ لجوهر أن يحتاط بعد ذلك على جميع موجوده ، فنزل جوهر المذكورُ من وقته إلى أبى الخير النحاس ، وأخرجه من داره ماشياً ممسوكا مع نقيب الجيش ، وقد ازدحم الناسُ على بابه للتفرج عليه والفتك به ، فحماه جوهر ومن معه من المماليك [١٥٠] منهم ، وأخذه ومضى ، وانطلقت الألسنُ إليه بالسب واللعن والتوبيخ ، وجوهر يكفهم عنه ساعةً بعد ساعة ، وهم خلفه وأمامه ، وهو مار فى طريقه ماشياً إلى أن وصل بيت القاضى المذكور بسويقة الصاحب ، من القاهرة ، وأدخلوه إلى المدرسة الصاحبية(٢)، [المجاورة لسكن قاضى الشافعية](٣)محتفظا به ، مع رسل الشرع .

وعاد جوهر الساقى وشرف الدين التَّتَائى إلى الحوطة على موجود أبى الخير النحاس بداره وحواصله ؛ ووجدت العامةُ بغياب جوهر فرصة إلى الدخول على أبى الخير المذكور ، فهجموا عليه وأخذوه من أيدى الرسُل ، وضربوه ضربا مبرحا ، فصاحت رسلُ الشرع عليهم ، وأخذوه من أيديهم ؛ وهرّبوه إلى مكان بالمدرسة المذكورة . وأعلموا القاضى بذلك ، فأرسل القاضى خلفَ الأمير جانِبَك والى القاهرة ،

---

(١) هو موسى بن على بن محمد بن سليمان الشرف التَّتَائى القاهرى الأنصارى الشافعى ، ويعرف بالأنصارى ، ويعرف كذلك بالشرف الأنصارى . والتَّتَائى نسبة لقرية تَتَا بالمنوفية . اشتغل بالعلم ثم بالتجارة ، وازداد تردده على السلطان ، واستخدمه أبو الخير النحاس فى أيام محنته فيما يروم إيصاله للسلطان ؛ ثم ساءت العلاقة بين النحاس وموسى ، حتى صار الأخير هو الحانق للنحاس ، وعيَّنه السلطان فى الوظائف التى كان يشغلها النحاس وهى : نظر الجوالى والكسوة والبيمارستان والخانقاه السعيدية وجامع عمرو ووكالة بيت المال .

وقد ظهرت كفاءة موسى ، وتوفى سنة ٨٨١ هـ / ١٤٧٦ م .

(انظر الضوء اللامع جـ ١٠ ص ١٨٤–١٨٥ ؛ التبر المسبوك ص ٣١٥ ؛ معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٦٦ ؛ التحفة السنية ص ١٠٤ ؛ انظر ما يلى) .

(٢) المدرسة الصاحبية نسبة إلى مؤسسها الصاحبَ صفى الدين عبد الله بن على بن شكر المتوفى سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م ، وقد جددت عمارتها زمن المماليك ، وهى وقف على المالكية وبها درس للنحو ولها خزانة كتب (خطط جـ ٢ ص ٣٧١) .

(٣) عن التبر المسبوك .

حتى حضر ، وقدر على إخراجه من المدرسة المذكورة إلى بيت القاضى ، وادعى شرفُ الدين التَّتَائِى عليه بدعاوٍ يطول الشرح فى ذكرها .

والسبب الموجب لهذه القضية ، أن أبا الخير النحاس لما وقع له ما وقع ، وأقام بالقلعة من يوم الاثنين ، إلى يوم الخميس ، ثم نزل قبيل العصر إلى داره ، بقى الناسُ فى أمره على قسمين : فمن الناس من لاسلَّم عليه ولاراعاه ، ومنهم من صار يترجَّيه ويتردد إليه ، ودام على ذلك إلى أن طلع أبو الخير إلى السلطان من غير إذن ، وأصلح ما كان فسد من أمره ، ونزل إلى داره ، وقد وقع بينه وبين شرف الدين المذكور .

وسببُ ذلك أن شرف الدين كان فى هذه المدة هو رسول النحاس إلى السلطان ، ومهما كان للنحاس من الحوائج يقضيها له عند السلطان ، فظهر لأبى الخير المذكور ، بطلوعه إلى القلعة فى ذلك اليوم ، أن شرفَ الدين ليس هو له بصاحب ، وأنه ينقل عنه إلى السلطان ماليس هو مقصودَه ، بل يُنْهِى عنه ما فيه دمارُه ، فنزل إلى شرف الدين وأظهر له المباينة ، وتوعّده بأمور ، إنِ طالت يده ، فانتدب عند ذلك شرف الدين له ، ودبر عليه : وساعدته المقادير مع بغض الناس قاطبة له ، حتى وقع ما حكيناه وادعى عليه بدعاوٍ كثيرة .

واستمر أبو الخير فى بيت القاضى شرف الدين[1] فى الترسيم ، وهو يسمع من العامة والناس من أنواع البهدلة والسب مالا مزيد عليه مواجهةً ، بل يزدحمون على باب القاضى لرؤيته ، وصارت تلك الحارة كبعض المفترَجات ، لعظم سرور الناس لما وقع لأبى الخير المذكور ، حتى النساء وأهل الذمة ، وأصبح من الغد نهار الجمعة ، طلب السلطان خيوله ومماليكه فطلعوا بهم فى الحال ، بعد أن شقوا بهم القاهرة ، وازدحم الناس لرؤيتهم ، فكانت عدة الخيول نيفًا على أربعين فرسا ، منها[2] بغال أزيد من عشرة ، والباقى خيول خاصّ هائلة ، والمماليك نحو [من][3] عشرين نفراً ، واستمر شرف الدين يتتبع آثاره وحواصله ،

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (منهم) .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

هذا بعد أن أشهد على أبى الخير المذكور، أن جميع ما يملكه من الأملاك والذخائر والأمتعة والقماش وغير ذلك، هو ملك السلطان الملك الظاهر، دون ملكه، [و](1) ليس له فى ذلك(2) دافع ولا مطعن.

ثم فى يوم السبت أول جمادى الآخرة، رُسم بفتح حواصل أبى الخير، ففتحت، فوُجد فيها من الذهب العين نحو سبعة عشر ألف دينار، ووُجد له من الأقمشة والتحف والقرقلات(3) التى برسم الحرب، والصينى الهائل، والكتب النفيسة، أشياء كثيرة، ووُجد له حجج مكتتبة على جماعة بنحو ثلاثين ألف دينار، فحمل الذهبُ العين إلى السلطان، وبعضُ الأشياء المستظرفة، وختم على الباقى، حتى تباع، ودام شرفُ الدين فى الفحص على موجوده، وأخــرج السلطانُ جميع تعلقات النحاس من الإقطاعات والحمايات والمستأجرات وغير ذلك.

ثم فى يوم الأحد ثانى جمادى الآخرة، خلع السلطانُ على المقر الجمالى ناظر الخواص، وعلى زين الدين الأستادار، خلعتى الاستمرار، [وخلع](4) على شرف الدين موسى التتائى، باستقراره فى جميع وظائف أبى الخير النحاس، وهم عدة وظائف ما بين نظر البيمارستان المنصورى، ونظر الجوالى، ونظر الكسوة، ووكالة بيت المال، ونظر خانقاه سعيد السعداء، ووكيل السلطان، ووظائف أخر دينية، ومباشرات. ولبس شرفُ الدين خفًّا ومهمازاً وتولى جميعَ هذه الوظائف، عوضاً عن أبى الخير دفعةً واحدة. قلت: وما أحسن قول المتنبى فى هذا(5) المعنى: [الطويل]

[١٥١] بذا قضَت الأيامُ ما بينَ أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ

---

(1) عن طبعة كاليفورنيا.

(2) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.

(3) القرقلات من أنواع الأسلحة، تتخذ من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر (صبح الأعشى ﺟ ٤ ص ١١-١٢؛ السلوك ﺟ ١ ص ٧٤٧ حاشية ٤).

(4) عن طبعة كاليفورنيا.

(5) ساقط فى طبعة كاليفورنيا.

هذا والفقهاء والمتعممون[1] قد ألزموهم المماليك الجلبان بعدم ركوب الخيل ، بحيث أنه لم يستجرِ أحد منهم أن يعلو على ظهر فرس ، إلا أعيان مباشرى[2] الدولة ، وجميع من عداهم ، قد ابتاعوا البغال ، وركبوها ، حتى تزايد لذلك سعرُ البغال إلى أمثال ما كان أولا .

ثم أمر السلطانُ فى اليوم المذكور ، بنقل أبى الخير النحاس من بيت القاضى الشافعى يحيى المناوى ، من سويقة الصاحب ، إلى بيت المالكى ولىِّ الدين السنباطى ، بالدرب الأصفر[3] ، ليُدَّعَى عليه عند القاضى المذكور بدعاوٍ ، فأخذه والى القاهرة ومضى به من بيت القاضى الشافعى إلى بيت المالكى ، وقد أركبه حماراً ، وشق به القاهرة ، والناس صفوف وجلوس بالشوارع والدكاكين ، وهم ما بين شامت وضاحك ثم باكٍ ، فأما الشامتُ فهو من آذاه وظلمه ، والضاحكُ من كان يعرفه قديماً ، ثم ترافع عليه ، والباكى معتبر بما وقع له من ارتفاعه ثم هبوطه ؛ قلت : وقد قيل فى الأمثال : « على قدر الصعود يكون الهبوط » .

وسار به الوالى على تلك الهيئة إلى أن أدخله إلى بيت القاضى المالكى ، وادعى عليه السيدُ الشريفُ شهابُ الدين أحمد بن مصبح[4] [دلاّل العقارات][5] بدعوى شنعة[6] ، أوجبت وَضع الجنزير فى رقبة أبى الخير النحاس ، بعد أن كتب محضراً بكفره ، وأقام الشريفُ البينةَ عند القاضى المالكى بذلك ، فلم يقبـل القاضى بعض البينة ، واستمر أبو الخير فى بيت القاضى فى الترسيم على صُفَّة ، نسأل اللهَ السلامةَ من زوال النعم ، إلى عصر يومه ، فنُقل إلى حبس الديْلَم على حمار ، وفى رقبته الجنزير ، ومر بتلك الحالة من

---

(١) فى ا (الفقها المتعمين) .
(٢) فى ا (مباشرين) .
(٣) الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس الجاشنكير قرب الأزهر . (خطط ـ ٢ ص ٤٤ ، ٤١٦) .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (المصبح) ، والمثبت من ا والتبر المسبوك ص ٣١٦ .
(٥) عن التبر المسبوك ص ٣١٦ .
(٦) ادعى عليه ابن مصبح هذا أنه سلم عليه بقوله : «أهلا بالكلب ابن الكلب» ، وكرر ذلك ثلاث مرات (التبر المسبوك ص ٣١٦) .

الشارع الأعظم ، وعليه من الذل والصغار ما أحوج أعداءه الرحمةَ عليه ، وحالهُ كقول القائل : [السريع]

لم يبق إلا نَفَسٌ خافِتٌ(١) ومُقْـــلةٌ إنسانُها باهِت
رَثَى(٢) له الشامتُ مما به ياويحَ من يرثِي له الشامِت(٣)

قلت : وأحسن من ذا(٤) ، [قول](٥) من قال :

يا مَنْ عَلا [و](٦) عُلُوُّه أُعجوبةٌ بين البشرْ
غَلطَ الزمـــانُ برفع قَدْ رِكَ ثم حَطَّكَ واعتذر(٧)

ويعجبنى أيضاً فى هذا المعنى ، قولُ القائل : [البسيط]

لوأنصفوا أُنصفوا ، لـكن بَغَوْا فَبُغِى عليهم ، فـكأن العزَّ لم يكنِ
جاد الزمانُ بصفوٍ ثم كدَّره هذا بذاكَ ، ولا عَتْب على الزمنِ

وقد سقنا أحوال أبى الخير هذا فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » بأوسع من هذا ، [إذ سياقُ](٨) الـكلام منتظم مع سِيَاقه(٩) فى محل واحد ؛

---

(١) فى حوادث الدهور (خافظ) .
(٢) فى ا (يرثى) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن حوادث الدهور .
(٣) أورد ابن تغرى بردى هذا المعنى فى أربعة أبيات ، فى حوادث الدهور (حـ ٣ ص ٥٥٤ — طبعة كاليفورنيا) ؛ وقد اكتفى هنا بذكر البيتين الأول والرابع ؛ أما الثانى والثالث فهما :

ومغرم تضرم أحشــاؤه بالنار إلا أنه ساكت
لم يبق من عضو ولا مفصل إلا ومنه ألم ثابت

(٤) فى طبعة كاليفورنيا (هذا) والمثبت عن ا ، والمعنى واحد .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) الإضافة عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) راجع حوادث الدهور حـ ١ ورقة ١٤٤ .
(٨) عن طبعة كاليفورنيا ، وفى ا (وسياق) .
(٩) فى ا (ساقه) .

وأيضاً قد حررنا أمورَه بأضبط من هذا ، فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور »[1] إذ هو موضوع لتحرير الوقائع ، وما ذكرناه هنا ، على سبيل الاستطراد من شىء إلى شىء .

واستمر أبو الخير [بسجن الديلم إلى ما يأتى ذكره][2] من خروجه من السجن ، ونفيه ، ثم حبسه ، وجميع ما وقع له إلى يومنا هذا ، إن شاء الله تعالى .

وفى يوم حبس النحاس بحبس الدَّيْلم ، ظهر القاضى ولىُّ الدين السفطى من اختفائه ، نحو ثمانية أشهر وسبعة أيام ، وطلع من الغد فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة ، إلى السلطان ، فأكرمه السلطانُ ، ونزل إلى داره ، ثم فى يوم السبت ثامنه ، ندب السلطانُ إينالَ الأشرفى المتفقّه ، ليتوجه إلى دمشق ، لكشف أخبار أبى الفتح الطيبى والفحص عن أمره .

وفى هذه الأيام، ترادفت الأخبار من حلب وغيرها بمسير جهان شاه بن قَرا يوسف ، صاحب تبريز ، على [معزالدين][3] جهان كير بن على[4] بك بن قَرَا يُلك صاحب آمد ، وأن جهان كير ، ليس له ملجأ إلا القدوم إلى البلاد الحلبية مستجيرا بالسلطان ، وأن جهان شاه يتبعه حيثما توجه ، فتخوّف أهل حلب من هذا الخبر ، [١٥٢] ونزح منها جماعة كثيرة ، وغلا[5] بها ثمن ذوات الأربع ، لأجل السفر منها ، ومدلولُ هذه الحكايات طَلبُ عسكر[6] يخرج من الديار المصرية إلى البلاد الشامية ، فأوهم السلطانُ بخروج تجريدة ، ثم فتر عزمُه عن ذلك .

---

(١) راجع حوادث الدهور ﺣ ١ ورقة ٦٥ ، ٩٩ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٩–١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٥٠–١٥١ ؛ والمطبوع ﺣ ١ ص ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ٧٦–٧٧ إلخ ... ؛ و ﺣ ٣ ص ٦٥٨ .

(٢) ما بين الحاصرتين عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن زامباور (ﺣ ٢ ص ٣٩٤) .

(٤) فى ا (ابن بكر) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وزامباور .

(٥) فى ا (غلو) .

(٦) فى ا (عسكرا) .

وفى هذه الأيام أشيع بالقاهرة أن أبا[1] الخير النحاس قد تجنّن فى سجنه ، وأنه صار يخلط فى كلامه ، قلت : وحُقّ له أن يتجنن ، فإنه كان فى شىء ، ثم صار فى شىء ، ثم عاد إلى أسفل ما كان ، وهو أنه كان أولا فقيراً مملقاً متحيلا على الرزق ، دائراً على قدميه فى النُزَه والأوقات ، ثم وافته[2] السعادةُ على حين غفلة[3] حتى نال منها حظاً كبيراً ، ثم حطه الدهرُ يداً واحدة ، فصار فى الحبس ، وفى رقبته الجنزير ، يترقب ضرب الرقبة ، بعد ما وقع له من الإخراق والبهدلة وشماته الأعداء ، وأُخذ أمواله ما وقع ، فهو معذور : دَعُوه يتجنن ويتفنن فى جنونه[4] .

ثم فى يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة ، استغاث الشريفُ غريمُ النحاس على رؤوس الأشهاد ، وقال : قد ثبت الكفر على غريمى النحاس ، وأُقيمت البينةُ ، والقاضى لا يحكم بموجب كفره وضربِ رقبته ؛ وكان الشريفُ هذا قد وقف إلى السلطان قبل تاريخه ، وذكر نوعاً من هذا الكلام ، فرسم السلطانُ للقاضى المالكى ، أنه إن ثبت على أبى الخير المذكور كفر ، فليضرب رقبته بالشرع ، ولا يلتفت لما بقى عنده من مال السلطان ، فإن حقّ النبى صلى الله عليه وسلم أبداً من[5] حق السلطان .

فلما سمع الشريفُ ذلك ؛ اجتهد غايةَ الاجتهاد ، والقاضى يتثبت فى أمره ؛ ثم بلغ القاضىَ المالكى مقالةُ الشريف هذه ، فركب وطلعَ إلى السلطان واجتمع به وكلّه فى أمر النحاس ؛ فأعاد السلطانُ عليه الكلام كمقالته أولا ، وقال له كلاماً معناه : أنّ هذا أمرُه راجع إليك ، ومهما كان الشرع افعله معه ، ولا تتعوّق لمعنى من المعانى ، فقال القاضى المالكى : يا مولانا السلطان ، قد فوّضتُ هذه الدعوى لنائبى القاضى كمال الدين بن عبد الغفار ، فهو ينظر فيها بحكم الله تعالى ؛ وانفض المجلس .

(١) فى ا (أبو) .
(٢) فى ا (بياته) والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (ثم) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) انظر حوادث الدهور جـ ١ ورقة ١٤٥ .
(٥) فى ا (فى) .

وكان السلطان قد أرسل فى أول هذا النهار جوهراً التركانى الطَّوَاشى ، إلى أبى الخير النحاس، يسأله عن الأموال ، ويهدده بالضرب وبالنكال ، فلم يلتفت أبو الخير إلى ما جاء فيه جوهر ، وقال : قد أخذ السلطانُ جميعَ مالى ، وما بقى فهو يباع فى كل يوم .

ثم أخذ أمرُ الشريف المُدَّعِى على أبى الخير النحاس ، فى انحلال ، من كَوْن [القاضى][1] الشافعى أثبت فِسقَ القاضى عز الدين البساطى ، أحد نواب الحكم المالكى ، وهو أحد من شهد على أبى الخير المذكور لأمر من الأمور ، ولا نعرف على الرجل إلا خيراً ، ووقع بسبب ذلك أمور ، وعَقْدُ مجالس بالقضاة ، بحضرة السلطان ، وآل[2] الأمرُ [على][3] أن السلطان حبس الشريفَ والشهودَ فى الحبس بالمَقْشَرَة ، وتراجَع أمرُ أبى الخير النحاس بعد ما أُرجف بضرب رقبته غيرَ مرة ، ثم رسم السلطانُ فى اليوم الذى حبَس فيه الجماعةَ المذكورة ، بإخراج أبى الخير النحاس من حبْس الديلم ، وتوجُّهه إلى بيت قاضى القضاة الشافعى ، فأخرجه الوالى من سجن الديلم مُجنزراً بين يديه ، وشق به الشارعَ وهو راكب خلفه ، ماشٍ على قدر مشية النحاس ، إلى أن أوصله إلى بيت القاضى الشافعى ، بخط سُوَيقة الصاحب ، وقد ازدحمت الناسُ لرؤيته ، وكان الوقت قبيل العصر بنحو العشر درج ؛ ومَرَّ أبو الخير على مواضع كان يمر بها فى موكبه أيام عزه ، والناس بين يديه ؛ وبالجملة فخروجُه الآن من حَبْس الديلم ، خير من توجهه إليه من بيت القاضى المالكى ، والمرادُ به الآن خير مما كان يُراد به بعد[4] ذلك .

ولما وصل أبو الخير إلى بيت القاضى الشافعى ، أسلمه والى القاهرة إليه ، فأمر القاضى فى الوقت ، برفع الجنزير من عنقه ، ثم قام بعد ساعة ، شخصٌ وادعى على أبى الخير بدعاوٍ كثيرة شنعة ، اعترف أبو الخير ببعضها ، وسكت عن البعض ، فحكم القاضى عند ذلك بإسلامه ، وحقن دمه ، وفعل ما وجَب عليه من التعزير ، بمقتضى مذهبه ،

(١) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (وذاك) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (يوم) ، والأنسب ما أثبت فى المتن عن ا .

وسلت مهجته ، بعد أن أيقن كلٌّ أحد بسفك دمه ، وذهاب روحه ، وذلك لعدم أهلية أخصامه ، وضعف شوكتهم ، وعدم مساعدة المقر الجمالى ناظر الخواص(١) على قتله ، فإنه لم يتكلم فى أمره من يوم أُمسِك [١٥٣] ، إلا فيما يتعلق به من شأنه ، ولم يداخلهم فيما هم فيه البتة ، مع أنه كان لا يكره ذلك ، لو وقع ، غير أنه لم يتصدّى لهذا الأمر فى الظاهر بالكلية ، احتفاظاً لرئاسته ودينه . وأنا أقول : لو كان أمرُ النحاس هذا مع ذلك الجزار جمال الدين الأستادّار ، أو غيره من أمثاله ، لألحقوه بمن تقدمه من الأمم السالفة ، ولكن « لكل أجل كتاب » .

وبعد أن عزّره القاضى ، أمر بالترسيم عليه ، حتى يتخلص من تعلقات السلطنة .

ثم فى يوم الجمعة ثامن عشرين جمادى الآخرة رسم السلطانُ بالإفراج عن الشريف غريم النحاس ، وعن الشهود من حَبْس المقشرة ؛ ورسَم بنفى النحاس إلى مدينة طرسوس ، محتفظاً به ، وأنه يقيد ويجنزر من خانقاه سرياقوس ، فمضى جانبك الوالى إليه ، وأخرجه من بيت القاضى الشافعى راكباً على فرس فى الثلث الأول من ليلة السبت تاسع عشرينه ، وذلك بعد أن حلف أبو الخير المذكور فى أمسه يميناً مغلظاً بمجلس قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى ، أنه لم يبق معه شىء من المال غير مبلغ يسير جداً ، برسم النفقة ، وأنه صار فقيراً لا يملك ما قلّ ولا جلّ ، فسبحان المطلع على السرائر .

وفرغ هذا الشهرُ والناسُ فى جهد وبلاء من غلوّ الأسعار فى جميع المأكولات ، وتزايد أثمان البغال ، لكثرة طلابها من الفقهاء والمتعممين ، لشدة المماليك الجلبان فى منعهم من ركوب الخيل .

ثم فى يوم الخميس رابع(٢) [شهر](٣) رجب ، برز الأميرُ سَونْجبُغا اليونسى الناصرى من القاهرة ، إلى بركة الحاج أميرَ الرجبية ، وسافر فى الركب المذكور الأميرُ

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (رابع عشر) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك ، وعما يلى من سياق الحوادث .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

جَرِباش المحمدى الناصرى المعروف بكُرْد أحد مقدمى الألوف وصحبته زوجته خَوَنْد شَقْراء بنت الملك الناصر فرج [وعيالُها] [١] ، وسافر معه أيضا الأمير تَغْرِى بَرْمَشْ السيفى يَشْبَك [٢] ابن أَزْدَمُر الزَّرْدَ كاش ، أحد أمراء الطبلخانات ، وعدة كبيرة من أعيان الناس وغيرهم ، وسافر الجميع فى يوم الاثنين ثامنه .

ثم فى يوم الأحد رابع عشر شهر رجب ، الموافق لسلخ مسرى أحد شهور القبط ، أمر السلطانُ الشيخَ عليًا [٣] المحتسبَ أن يطوف فى شوارع القاهرة ، وبين يديه المُدَرَاء [٤] ، يُعْلِمون الناسَ بأن فى غد يكون الاستسقاء بالصحراء لتوقف النيل عن الزيادة ؛ وأصبح من الغـد فى يوم الاثنين خامس عشره ، وهو أول يوم من أيام النَّسِىء [٥] ، خرج قاضى القضاة شرفُ الدين يحيى المناوى ، إلى الصحراء ماشيًا من داره بين الخلائق من الفقهاء والفقراء والصوفية ، إلى أن وقف بين تربة الملك الظاهر برقوق ، وبين قبة النصر ، قريبًا من الجبل ، ونُصب له هناك منبر ، وحضر الخليفةُ وبقيةُ القضاة ، وصاروا فى جمع موفور من العالم من سائر الطوائف ، وخرجت اليهودُ والنصارى بكتبهم ، وصلى قاضى القضاة المذكور بجماعة من الناس ركعتين خفيفتين ، ودعا الله سبحانه وتعالى ، بإجراء النيل ، وأمَّن الناسُ على دعائه وعَظُم ضجيجُ الخلائق من البكاء والنحيب والتضرع إلى الله تعالى ودام ذلك من بعد طلوع الشمس إلى آخر الساعة الثانية من النهار المذكور ، ثم انصرفوا على ماهم عليه من الدعاء والابتهال إلى الله تعالى ، فكان هذا اليوم من الأيام التى لم نعهد بمثلها .

---

(١) عن التبر المسبوك .

(٢) فى ا (بربك) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والضوء اللامع حـ ٣ ص ٣٤ .

(٣) فى ا (على) .

(٤) المدراء جمع مدير ، والأصل فيهم أنهم « طائفة من الأعوان بديوان الإنشاء ، مهمتهم أخذ المكاتبات وإدارتها على كاتب السر ومن دونه من كتّاب الديوان » (صبح الأعشى حـ ١ ص ١٣٩) .

ولعل هذا المصطلح قد استعير لإطلاقه على « المنادين » الذين يدورون مع المحتسب على الباعة وأرباب الحرف بالأسواق .

(٥) فى ا (النسيم) .

وفى هذا اليوم ، ورد كتابُ خيربك النَّوْرُوزِى نائب غزة ، يتضمن أن أبا الخير النحاس تَوَعَّكَ وأنه يسأل أن يقيم بغزة ، إلى أن يَنْصَل من مرضه ، ثم يسافر إلى طرسوس ، فكُتب الجوابُ إليه بالتوجه إلى طرسوس من غير أن يتعوق اليوم الواحد .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشره ، خرج الخليفةُ والقضاةُ الأربعةُ[1] إلى الاستسقاء ثانيا ، بالمكان المذكور ، وخرجت الخلائق ، وصلى القاضى الشافعى ، وخطب خطبة طويلة ، وقد امتلأ الفضاء بالعالم ، وطال وقوف الناس فى الدعاء فى هذا اليوم ، بخلاف يوم الاثنين . وبينما الناسُ بدعائهم ، ورد منادى البحر ، ونادى بزيادة أصبع واحد من النقص ، فسُرَّ الناسُ بذلك سروراً عظيما ، ثم انفضّ الجمع .

وعادوا إلى الاستسقاء أيضا من الغد فى يوم الجمعة ثالثَ مرة ، وخطب القاضى على عادته فتشاءم الناسُ بوقوع خطبتين فى يوم واحد ، فلم يقع إلا الخير والسلامة من جهة الملك ، واستمر البحر فى زيادة ونقص إلى يوم الخميس عاشر شعبان الموافق لعشرين توت[2] [١٥٤] فأجمع رأىُ السلطان على فتح خليج السد ، من غير تَخْليق[3] للمقياس ، وقد بقى على الوفاء ثمانيةُ أصابع لتكملة ستة عشر ذراعا ، فنزل والى القاهرة ومعه بعض أعوانه ، وفتح سدَّ الخليج ، ومشى الماء فى الخُلجان مشياً هيناً ، فكان هذا اليوم من الأيام العجيبة ، من كثرة بكاء الناس وتحيبهم ، ومما هالهم من أمر هذا النيل . وقد استوعبنا أمرَ زيادته من أوله إلى آخره فى تاريخنا « حوادث الدهور » ، وما وقع بسببه من التوجه إلى المقياس بالقراء والفقهاء [مراراً][4] وكذلك إلى الآثار النبوى[5] ، وتكالُب

(١) فى ا (الأربع) .

(٢) فى ا (بونه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) أى من غير تطييب عمود المقياس بالزعفران (راجع النجوم الزاهرة ـ ١١ ص ٢٣٢ ، الخطط ـ ٢ ص ١٤٦) .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) المقصود بالآثار النبوى : رباط الآثار ، وإليه ينسب ساحل أثر النبى ، وكان بهذا الرباط قطعة خشب وقطعة حديد وأشياء أخرى قيل إنها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراها الصاحب تاج ابن الصاحب فخر الدين ابن الصاحب بهاء الدين حنا ، بمبلغ ستين ألف درهم من بنى إبراهيم من أهل =

الناس على القلال[1]، ونهب الأرغفة من على الحوانيت ، وأشياء كثيرة من هذا النموذج ، يطول الشرح فى ذكرها هنا[2].

وفى هذه الأيام ، ورد الخبرُ على السلطان بفرار تِمْرَاز البَكْتَمُرِى المؤيدى المصارع ، شادّ بندر جُدَّة ، من جدة ، إلى جهة الهند ؛ وكان من خبره أن تمراز لما سار واستولى على ما تحصل من البندر من العُشر ، من الذى خَصَّ السلطانَ ، بدا له أن يأخذ جميع ما تحصل عنده ، ويتوجه إلى الهند عاصياً على السلطان ، فاشترى مركبا مروَّسا بألف دينار ، من شخص يسمى يوسف البُرْصَاوى[3] [الرومى][4] وأشحنها بالسلاح والرجال ، يوهم أنه ينزل فيها ويعود بما تحصل معه إلى مصر ، فلما تهيأ أمرُه ، أخذ جميع ما تحصل من المال وهو نحو الثلاثين ألف دينار ، وسافر إلى جهة اليمن ، وبلغ السلطانَ ذلك من كتاب الشريف بركات صاحب مكة ، فعظُم ذلك على السلطان ، وعدّد ولايةَ تِمْراز هذا من جملة ذنوب النحّاس ، ثم طلب السلطانُ مملوكَه الأميرَ جانِبَك الظاهرى وخلع عليه باستقراره على التكلم على بندر جُدَّة ، على عادته ، ليقوم بهذا الأمر المهم الذى ليس فى المملكة من ينهض به غيرُه ، وأعنى من تِمْراز ، والفحص عليه والاجتهاد فى تحصيله ؛ وتجهز الأميرُ جانِبَك ، وخرج إلى البندر على عادته ، بأجمل زى وأعظم حرمة .

= ينبع ؛ فقد ذكروا له أن هذه الآثار لم تزل موروثة عندهم منذ زمن الرسول (ص) ، فبنى الصاحب تاج الدين هذا الرباط ووضع فيه هذه الآثار ، وصار الناس يتبركون بها .

وقد تغنى بعض الشعراء بها ، من ذلك ما قاله الأديب جلال الدين بن خطيب داريا :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تريه فهذه آثاره

وتوفى تاج الدين سنة ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م (راجع حسن المحاضرة جـ ٢ ص ١٦٤) .

(١) فى ا (الفلا) .

(٢) راجع حوادث الدهور جـ ١ ورقة ١٤١ ، ١٥١ – ١٥٤ ، ١٥٧ ؛ وكذلك انظر ابن إياس : نشق الأزهار فى عجائب الأقطار : ص ٧٤ وما يليها ؛ فقد تعرض للغريب من حوادث زيادة النيل طوال عصر السلاطين المماليك .

(٣) البرصاوى نسبة إلى مدينة برُصَّا عاصمة الإمارة العثمانية الأولى فى آسيا الصغرى .

(٤) عن التبر المسبوك .

وأما تمراز فإنه لما سافر من بَنْدَر جُدَّة إلى جهة بلاد الهند ، صار كلما أتى إلى بلد ليقيم به ، تستغيث تجار تلك البلد بحا كمها ، ويقولون : « أموالنا بجُدَّة ، ومتى ماعلم صاحبُ جدة أنه عندنا ، أخذ جميع مالنا ، بسبب دخول تمراز هذا عندنا ؛ فإنه قد أخذ مالَ السلطان وفرَّ من جدة » ، فيطرده حاكمُ تلك البلد . ووقع له ذلك بعدة بلاد ، وتحيّر في أمره ، وبلغ مسيرُه على ظهر البحر ستةَ أشهر ، فعند ما عاين الهلاكَ ، أرمَى بنفسه بجميع ما معه في مركبه ، إلى مدينة كالِكُوت ، وحاكم كالكوت سامِرِيّ ، وجميعُ أهل البلد سمرة ، وبها تجارٌ غير سمرة ، وأكثرهم من المسلمين ، فثار[1] التجارُ ، واستغاثوا بالسامِرِيّ ، وقالوا له مثلَ مقالة غيرهم[2] ، كل ذلك مراعاةً لجهة جانبَك نائب جُدَّة .

وكنت أستبعد أنا ذلك ، إلى أن أوقفني مرةً الأميرُ جانبَك المذكور ، على عدة مطالعات ، وردت عليه من السامري المذكور ، وكلُّ كتاب منهم ، يشتمل على نظم ونثر وكلام فحل فائق ، لا أدري ذلك لفضيلة السامري أو من كتّابه ، وفي ضمن بعض الكتب الواردة صفة قائمة مكتوب[3] فيها [عدة][4] الهدية التي أرسلها صُحبةَ الكتاب المذكور ، والقائمةُ خُوصَة ، لعلها من ورق شجر جوز الهند ، طول شبر ونصف ، في عرض إبهام ، مكتوب عليها بالقلم الهندي خَط[5] باصطلاحهم ، لا يعرف يقرأه إلا أبناء جنسهم ، في غاية الحسن والظرف — انتهى .

ولما تكلم التجارُ المسلمون وغيرُهم مع السامري[6] في أمر تمراز ، أراد السامري مَسْكَ تمراز ، فأحس تمراز بذلك ، فأرسل إلى السامري هديةً هائلة ، فأعاد عليه السامري الجواب : « إن التجارَ يقولون إن معك مالَ السلطان » ، فقال تمراز : « نعم ،

---

(١) في ا (فحار) .
(٢) في ا (مقالتهم) ، والتوضيح عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) في ا (مكتوبة) .
(٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) في ا (خطا) .
(٦) في ا (المسلمون) ، والصواب هو المثبت في المتن عن طبع كاليفورنيا .

أخذتُ المال لأشترى به [للسلطان][1] فلفلا » ، فقال له السامرى : « اشترِ[2] به فى هذا الوقت ، واشحنه فى مراكب التجار » ، فاشترى به[3] تمراز الفلفلَ وأشحنه فى مركبين للتجار ، والباقى أشحنه فى المركب المروَّس الذى تحته ، وسار تمراز وقصد بندر جُدَّة ، إلى أن وصل بابَ المندب من عمل اليمن ، عند مدينة عَدَن ، فأخذ المركبين المشحونين بالفلفل [١٥٥] وتوجَّه بهما إلى جزيرة مقابلةِ الحديدةَ تسمى كَمَران[4]، فحضر أكابرُ الحديدة إلى عند تمراز المذكور ، وحسنوا له أخذَ مملكةِ اليمن جميعها ، فمال تمراز إلى ذلك ، وخرج إلى بلدهم وأخذ معه جميع ما[5] كان له بالمركب .

ثم قال له أهلُ الحديدة : « لنا عدوٌ ، وما نقدر نملك اليمنَ حتى ننتصر عليه ، وبلد العدو تسمى سُحَيَّة »[6]، فأجمع تمراز على قتال المذكورين ، وركب معهم وقصد عدوَّهم . والتقى[7] الجمعان ، فكان بينهم وقعة قُتل فيها تمراز المذكور ، وقتل معه جماعة من أصحابه ، وسلم ممن كان معه شخصٌ من المماليك السلطانية ، يسمى أيضاً تمراز [وهو حىٌ إلى يومنا هذا . فلما بلغ الأميرَ جانبك موتُ تمراز][8] ، أرسل شخصاً من

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (اشترى) .

(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) جزيرة كران ذكرها ياقوت بأنها قبالة زبيد باليمن ، وبها سكن الفقيه محمد بن صَبْدُوَيه تلميذ الشيخ أبى إسحاق الشيرازى : وبها قبره ، ويزعمون أن البحر إذا هاج ، ألقوا فيه من تراب قبره فيسكن بإذن الله . (راجع ياقوت : معجم البلدان حـ ٣ ص ١٠٢) .

وهذه الجزيرة تابعة لبريطانيا حاليا .

(٥) فى ا (من) .

(٦) لم يعثر المحقق للآن على بلدة سحية ، فيما بين لديه من مصادر ، وقد ذكر السخاوى فى الضوء اللامع (حـ ٣ ص ٣٥) أن تمراز هذا قتل « فى المعركة بين الحديدة وبيت الفقيه ابن حشيبر من اليمن » ؛ وذكر صاحب مراصد الاطلاع (حـ ٢ص ٤١) بلدة تسمى السحى ، وقال عنها ،إنها من أعمال المُشَيْرِق – تصغير مشرق – من بلاد اليمن ، وأشار كذلك (ص ١٦) إلى بلدة تسمى سَحُول ، وهى قرية باليمن تحمل منها ثياب قطن بيض تسمى السحولية . وزاد البكرى فى معجم ما استعجم (حـ ٣ ص ٧٢٧) أن سَحول على وزن فعول – وهو الأشهر . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كفن فى ثلاثة أثواب سحولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة . انظر كذلك : أحسن التقاسيم البشارى (ص ٧٠ وأقرب الموارد) .

(٧) فى ا (التقا) .

(٨) عن طبعة كاليفورنيا ، وانظر كذلك حوادث الدهور حـ ٢ ورقة ٢٠٢ .

الخاصكية[١] الظاهرية ممن كان معه بجدة ، يسمى تَنَم رصاص[٢] ، ومعه كتب جانبك المذكور إلى الحديدة ، بطلب ما كان مع تمراز جميعه ، فتوجّه تم إلى الحديدة ، فتلقاه أهلُها بالرحب والقبول ، وسلموه جميعَ ما كان مع تِمراز ، والمركبَ المروّس وغير ذلك. فعاد تَنَمَ بالجميع إلى جدة ، بعد أن استبعد كل أحد رجوعَ المال ، فأرسل الأميرُ جانبك يخبر السلطانَ بذلك كلِّه ، فلما ورد عليه هذا الخبر ، سر به وشكر جانبك المذكورَ على ذلك — انتهى[٣] .

ثم في يوم الأربعاء ، سابع شهر رمضان ، وصل الأميرُ تَنْبَك البَرْدَبكى المعزول عن حجوبية الحجاب قبل تاريخه ، من ثغر دِمْياط ، بطلب من السلطان ، وطلع إلى القلعة وقبّل الأرض بين يدى السلطان ، ووُعد بخير ، ورُسم له بالمشى في الخدمة السلطانية على عادته أولا ، لكنه لم ينعم عليه بإقطاع ولا إمرة .

وفي هذه الأيام ، رسم السلطان لنائب طرسوس بالقبض على أبي الخير النحاس ، وضرْبه على سائر جسده خمسمائة عصاة ، وأن يأخذ جميعَ ما كان معه من المماليك والجوارى ؛ وخرج المرسومُ بذلك على يد نجّاب ، ووقع ما رسم به السلطان .

ثم في يوم الاثنين سادس [عشرين][٤] شهر رمضان ، ورد الخبر من الشأم بضرْب رقبة أبي الفتح الطيبى ، أحد أصحاب أبي الخير النحاس ؛ بحكم القاضى المالكى بدمشق ، في ليلة الأربعاء رابع [عشر] شهر رمضان المذكور ، بعد أن ألغى حكم القاضى برهان الدين إبراهيم السوبيني الشافعى ، بعد عزله بعد أمور وقعت حكيناها في الحوادث[٥].

ثم في يوم الاثنين سابع [عشر] شوال ؛ برز الأميرُ تَمُرْبغا الظاهرى الدّوادار

---

(١) الخاصكية فريق من المماليك السلطانية وهم المقربون إلى السلطان .
(٢) يعرف تنم رصاص هذا باسم تنم من بخشاش الجركسى الظاهرى جقمق (الضوء ج ٣ ص ٤٣)
(٣) راجع حوادث الدهور ج ١ ق ١ ورقة ١٥٨—١٦٠ .
(٤) من طبعة كاليفورنيا .
(٥) راجع حوادث الدهور ج ١ ورقة ١٢٢ وما يليها .

الثانى ، أمير حاج المحمل ، بالمحمل ، إلى بركة الحاج ، وأمير الركب الأول خير بك الأشقر المؤيدى أحد أمراء العشرات ، وكان الحج قليلا جداً فى هذه السنة ، لعظم الغلاء بالديار المصرية وغيرها .

ثم فى يوم الخميس خامس ذى القعدة ، برز المرسوم الشريف باستقرار الأمير جانبك التاجى(١) المؤيدى نائب بيروت ، فى نيابة غزة ، بعد عزل خير بك النوروزى عنها ، وتوجهه إلى دمشق بطالا .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشر ذى القعدة ، ورد الخبرُ على السلطان بموت الأمير تَغْرِى بَرْمَش الزردكاش بمكة المشرفة ؛ وكان المخبر بموته ، جانِبك الظاهرى الخاصكى البواب [عفريت](٢) ، فأنعم السلطانُ فى يوم الخميس تاسع عشره ، على السيفى دقماق اليشبكى ، الخاصكى ، بإمرة عشرة ، من إقطاع تغرى برمش الزرَدْكاش ، وأنعم بباقيه على الأمير قَرَاجَا الظاهرى الخازندار ، زيادةً على ما بيده ليكمل ما بيده إمرة طبلخاناة ؛ وأنعم بإقطاع دقاق ، ربع تَفَهْنَة(٣) ، على جانِبَك الأشرفى الخازندار الخاصكى ، وهو يومَ ذاك من جملة الدَّوَادارية .

ثم خلع السلطان فى يوم الاثنين ثالث عشرينه ، على دُقْماق المذكور ، باستقراره زَرَدْ كاشيًّا كبيراً ، عوضاً عن تَغْرِى بَرْمَش المذكور ، فأقام دُقْماق فى الزَّرَدْ كاشيَّة خمسةَ أيام ، وعُزل عن الوظيفة ، واسترجع السلطانُ منه الإمرةَ المنعمَ عليه بها من إقطاع تَغْرِى بَرْمَش وأعيد إليه إقطاعُه القديم ، وقد ذكرنا سببَ عزله فى « حوادث الدهور »

---

(١) جانى بك التاجى نسبة لتاج الوالى الجركسى المؤيدى شيخ (الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٥ – ٥٦) .

(٢) عن الضوء اللامع ج ٣ ص ٥٧ .

(٣) تفهنة أو تفهنا : قرية بمركز زفتى بمحافظة الغربية ، وحصرت مساحتها فى الروك الناصرى مع كفورها ، فكانت ٢٦٩٥ فدانا وعبرتها عشرة آلاف دينار . (معجم البلدان ج ٢ ص ٣٩٨ ؛ السلوك ج ١ ص ٥٨٩ ؛ التحفة السنية ص ٧٤) .

[١٥٦] مفصلا[١] ، واستقر الأميرُ لاجين الظاهري زَرَدْ كاشاً ، ولما أعيد إلى دُقْماق إقطاعُه القديم ، صار جانِبَك الأشرفي الخازندار بلا إقطاع ، لأن السلطان كان أنعم بإقطاعه على جانبك الظاهري البواب القادم من مكة ، وساعد جانِبَك الأشرفيَّ جماعةٌ من الأعيان في رد إقطاعه الأول عليه ، أو ينعم عليه السلطانُ بالإمرة المسترجَعةِ من دُقْماق ، فلم يحسُنْ ببال السلطان أخذُ الإقطاع من جانِبَك الظاهري ؛ فحينئذ لزمه أن يُعطى جانِبَك الخازندارَ هذه الإمرةَ المذكورةَ فأنعم عليه بها ، فجاءت[٢] جانِبَك السعادةُ بغتةً ، من غير أن يترشح لذلك قبل تاريخه . وخلع السلطانُ على السيفي قايتباى الظاهري الخاصكي باستقراره دَوَاداراً ، عوضاً عن جانِبَك الخازندار المذكور ، فإنه كان بقى من جملة الدوادارية ، غير أنه كان لا يعرف إلا بالخازندار ، [و][٣] الظريف إلى يومنا هذا .

ثم في يوم الخميس ثالث ذى الحجة ، خلع السلطانُ على القاضي وليِّ الدين الأسيوطي[٤] باستقراره في [مشيخة][٥] المدرسة الجمالية بعد موت ولي الدين السَّنْطي .

ثم في يوم الأحد ثالث عشر ذى الحجة ، رسم السلطان بالإفراج عن الأمير يَشْبَك الصوفي المؤيَّدي المعزول عن نيابة طرابلس ، من سجن الإسكندرية وتوجُّهه إلى ثغر[٦] دِمْياط بطَّالا .

وفي يوم الاثنين رابع عشره ، وصل كتابُ الناصري محمد بن مبارك نائب البيرة ، يخبر أنه ورد عليه كتابُ الأميرِ رُسْتَم ، مقدم عساكر جهان شاه [بن][٧] قَرَا يوسف ،

(١) سبب عزله أنه أراد عرض الزردخاناه ، ليكشف أمور ناظر الزردخاناه بدر الدين البغل ابن ظهير ، فدخل بدر الدين على السلطان وأوغر صدره ضد دقماق حتى عزله واسترجع منه الإمرة وأعاده إلى الجندية (حوادث الدهور جـ ١ ورقة ١٦٤ ، التبر المسبوك ص ٣٢٤-٣٢٥) .

(٢) في ا (فجات) .

(٣) من طبعة كاليفورنيا .

(٤) مستدركة بهامش ا .

(٥) ، (٧) ما بين الحواصر من طبعة كاليفورنيا .

(٦) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

يتضمن أنه قَبض على الأمير بَيْغُوت [من صفر خُجَا][1] المؤيَّدى [الأعرج][2] المتسحِّب من نيابة حماه إلى جهان كير بن قَرَايُلُك ، وأنه أخذ جميعَ ما كان معه وجعله فى الترسيم . فكُتب له الجوابُ بالشكر والثناء عليه ، وطَلَبِ بيغوت المذكور منه ، وقد أوضحتُ أمر بيغوت هذا فى كتابنا « حوادث الدهور » من أول أمره إلى آخره[3] .

ثم فى يوم الخميس أول محرم سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، خلع السلطانُ على الأمير مرجان العادلى المحمودى الحبشى[4] نائب مقدم المماليك السلطانية ، باستقراره مقدمَ المماليك ، عِوضاً عن جوهر التُّوْرُوزى ، بحكم إخراجه إلى القدس الشريف بطالا ، [و][5] استقر الطواشى عنبر خادم التاجر نور الدين على الطنبذى فى نيابة المقدم ، عوضاً عن مرجان المذكور .

ثم فى يوم الاثنين خامس المحرم ، كانت مبايعةُ الخليفة القائم بالله حمزة ، بالخلافة ، عوضاً عن أخيه أمير المؤمنين المستكفى بالله سليمان ، بعد وفاته ، حسبما يأتى ذكر وفاته فى الوفيات من هذا الكتاب .

ثم فى يوم السبت تاسع صفر ، وصل إلى القاهرة ، قُصَّاد جهان شاه بن قَرَا يوسف صاحب تِبرِيز وغيرها ، وطلعوا إلى القلعة فى يوم الاثنين حادى عشره ، بعد أن عمل

(١) ، (٢) ما بين الحواصر عن الضوء اللامع .

(٣) راجع حوادث الدهور جـ ١ ورقة ١٠٦ ، وانظر الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٢ .

(٤) مرجان الزين العادلى المحمودى الحبشى الحصنى الطواشى ، من خدام العادل سليمان صاحب حصن كيفا ، اشتراه ورباه وأدبه وأعتقه ، وبعد موت أستاذه ، خرج من حصن كيفا واتصل بخدمة الأمير تغرى بردى المحمودى بالشام ، ثم صار من جملة خدام الطباق بالقلعة ، وصار يعلف الدجاج ، وارتقى بعد ذلك ، وحج وتوفى سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦١ (الضوء اللامع جـ ١٠ ص ١٥٢) .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

السلطان لهم موكبا جليلا[1] بالحوش من قلعة الجبل ، وقدّموا ما على أيديهم من الهدية وغيرها[2] .

ثم فى يوم الأحد سابع عشر صفر ، ورد الخبر بقدوم الأمير بيغوت نائب حماة ، الخارج عن الطاعة ، إلى حلب ، وصحبة القاصد الوارد بهذا الخبر ، عدة مطالعات من نواب البلاد الشامية فى الشفاعة فى بيغوت المذكور ، كونه كان تخلص من أسر رستم وقدم هو بنفسه إلى طاعة السلطان ، فكتب السلطان بإحضار بيغوت المذكور على أحسن وجه ، وقبل السلطانُ شفاعةَ الأمراء فيه .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشره ، عمل السلطان مَدّةً هائلة لقصّاد جهان شاه بالقلعة ، ثم أنعم عليه بمبلغ ألفى دينار فى يوم الأربعاء العشرين منه ، وأنعم أيضا على الأمير قانم التاجر المؤيدى أحد أمراء العشرات بألفى دينار ، وكان ندبه للتوجه فى الرسلية إلى جهان شاه صُحبةَ قُصّاده ، فخرج قانم فى يوم الجمعة ثانى عشرين صفر .

ثم فى يوم الأحد ثانى شهر ربيع الأول ، من سنة خمس وخمسين المذكورة ، نزل السلطان إلى عيادة زين الدين يحيى الأستادار ، لانقطاعه عن الخدمة ، وكان سبب انقطاعه عن الخدمة السلطانية أن المماليك السلطانية أوقعوا به بباب[3] [١٥٧] القلة[4] من قلعة الجبل ، وضربوه وجرح فى رأسه ، من شجة ، ونزل محمولا إلى داره على أقبح حال . ولم يطل السلطانُ الجلوسَ عنده ، وركب من عنده ، وتوجّه إلى بيت عظيم الدولة المقر الجمالى ناظر الخواص ، [ونزل عنده وأقام قليلا ، ثم ركب وعاد إلى القلعة وأصبح

(١) فى ا (موكب جليل) .

(٢) شملت هدية جهان شاه : أربعة عشر بختيا وثلاثة أقفاص سلاح من خوذ وزرديات . وكان مع القصاد رسالة إلى السلطان جقمق تتضمن التودد إليه ، وأن جهان شاه تحت طاعته ، وكان من بين القصاد ابن أخى جهان شاه ، أرسله عمه ليكون من مماليك السلطان ، فأضافه جقمق إلى ابنه الفخرى عثمان ؛ وتبودلت الهدايا والرسائل (راجع التبر المسبوك ص ٣٤٥) .

(٣) فى ا (من باب) .

(٤) باب القلة أحد أبواب القلعة ، وعرف كذلك لأنه كان هناك قلة بناها السلطان الظاهر بيبرس وهدمها قلاوون وبنى مكانها قبة ، وهذه هدمها الناصر محمد وجدد باب القلة وعمل لها بابا ثانيا (انظر الخطط ج ٢ ص ٢١٢) .

من النقد كلُّ واحد من الجمالى ناظر الخواص](١) وزين الدين الأستادار، جهّز للسلطان تقدمة هائلة ذكرنا تفصيلها فى الحوادث(٢).

ثم فى يوم السبت ثالث عشر شهر ربيع الآخر، وصل الأمير يشبك الأعرج [من صَفَرخُجا](٣) المؤيدى نائب حماه كان، إلى القاهرة، وطلع إلى السلطان، وقبل الأرض بين يديه، وخلع السلطانُ عليه سَلَارِيًّا أحمرَ بفرو سمور، ووعده بخير(٤).

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر المذكور، سافر الأميرُ أَسَنْبَاى الجمالى الظاهرى أحد أمراء العشرات إلى بلاد الروم، لتولية خَوَنْدكار محمد السلطنة، بعد وفاة أبيه مراد بك.

وفى هذا الشهر، أشيع بالقاهرة، أن السلطان ذكر أبا(٥) الخير النحاس بخير، وأنه فى عزمه الإفراج عنه والرضا عليه، فبلغ السلطانَ ذلك، فبرز مرسومُه إلى نائب طرسوس بضرب النحاس مائة عصاة افتقده بها.

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى، سافر الأميرُ يشبك إلى دمشق؛ ليقيم بها(٦) بطَّالا، بعد أن رتب له فى كل شهر مائة دينار برسم النفقة، إلى أن ينحلَّ له إقطاع(٧).

ثم فى يوم الخميس رابع [عشر](٨) شهر رجب وصل الأمير قانم المؤيدى المتوجه إلى جهان شاه فى الرسلية، إلى القاهرة مريضا فى محفة.

ثم فى يوم الاثنين تاسع شعبان، وصل الأميرُ جانبك نائب جُدَّة إلى القاهرة، وخلع السلطان عليه، ونزل إلى داره فى موكب جليل إلى الغاية.

---

(١) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا.
(٢) راجع حوادث الدهور حـ ١ ق ١ ورقة ١٧٨-١٧٩.
(٣) عن حوادث الدهور.
(٤) راجع أخبار يشبك هذا فى حوادث الدهور حـ ١ ورقة ١٢٨ - ١٣١ ، ١٦٥-١٦٦.
(٥) فى ا (ابو).
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (به).
(٧) راجع التبر المسبوك ص ٣٤٨ ، وانظر ما يلى.

ثم فى يوم الخميس تاسع عشر شعبان ، ورد الخبر على السلطان بموت الأمير بَرْدبك العجمى الجَكَمى ، أحد مقدمى الألوف بدمشق ، فأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير يَبَقُوت الأعرج المؤيدى .

ثم فى يوم الأحد ثانى عشرينه ، نزل السلطان من القلعة وشق القاهرة ، وسار حتى نظرَ المدرسةَ التى جدد بناءها الجمالى ناظر الخواص ، بسُوَيقة الصاحب ، ثم عاد من المدرسة ، ونزل إلى بيت ابنته زوجة الأمير أُزْبَك مِن طُطُخ الساقى الظاهرى ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، بدرب الطنبذى بسُوَيقة الصاحب ، وأقام عندها ساعة جيدة ، ثم ركب وطلع إلى القلعة . وبعد طلوعه أرسل إلى الأمير أُزْبَك بعدة خيول خاص ومماليك وأصحن حلوى كثيرة ، فقبل الحلوى ورد ما سواها .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان من سنة خمس وخمسين المذكورة ، رسم السلطانُ بتفرقة دراهم الكسوة ، على المماليك السلطانية على العادة فى كل سنة ، لكل مملوك ألف درهم ، فامتنعوا من الأخذ ، وطلبوا الزياده ، وبلغ السلطانَ الخبر ، فغضب من ذلك وخرج من وقته ماشياً حتى وصل إلى الإيوان ، وجلس على السُّلَّمة السفلى بالقرب من الأرض ، واستدعى كاتبُ المماليك أسماء جماعة فلم يخرج واحد ، وصمموا على طلب الزيادة ، وصاروا عصبةً واحدة ، فلم يسع السلطان إلا أن دعا عليهم ، وقام غضباناً ، وسار حتى وصل إلى الدَّهيشة . واستمروا المماليكُ على ما هم عليه ، وحصل أمورٌ ، إلى أن وقع الاتفاق على أنه يكون لكل مملوك من المماليك السلطانية ألفا[1] درهم ، ورضوا بذلك ، وأخذوا النفقة المذكورة ، وقد تضاعف أمرها على ناظر الخاص .

ثم استهل [شهر][2] رمضان ، أوله الاثنين والناس فى أمر مريج من الغلاء المفرط فى سائر المأكولات لاسيما اللحوم ، هذا مع اتساع الأراضى بالرى ، واحتاجت الفلاحون

---

(١) فى ا (ألف) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

إلى التقاوى والأبقار ، وقد عزّ وجود البقر حتى أبيع الزوج البقر الهائل ، بمائة وعشرين ديناراً ، وما دونها ، وأغرب من ذلك ماحدثنى السيفى إياس خازندارُ الأتابك آقبغَا التمرازى ، بحضرة الأمير أزْبَك الساقى ، أنه رأى ثوراً هائلا ، ينادى عليه بأربعين ألف درهم[1] ، فاستبعدتُ أنا ذلك ، حتى قال [١٥٨] الأمير أزبك : « نعم ، وأنا سمعته أيضاً يقول هذا الخبر للمقر الجمالى ناظر الخواص » . ثم استشهد إياس المذكور بجماعة كثيرة على صدق مقالته ، وهذا شىء لم نعهد بمثله . هذا مع كثرة الفقراء والمساكين ، ممن افتقر فى هذه السنين المتداولة بالغلاء والقحط ، مع أنه تَمَفْقَر خلائق كثيرة ممن ليس له مروءة ، وأمسك فى هذه الأيام جماعة كثيرة من البيعة ، ومعهم لحوم الدواب الميتة ، ولحم الكلاب ، يبيعونها [على الناس][2] ، وشهروا بالقاهرة ، وقد استوعبنا أمر هذا الغـــــلاء وما وقع فيه من الغرائب من ابتداء أمره إلى آخره ، وقد مكث نحو الأربع سنين فى تاريخنا « حوادث الدهور فى[3] مدى الأيام والشهور » ، محرراً باليوم والساعة[4] .

ثم فى يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان استقر الناصرى [ناصر الدين][5] محمد ابن مبارك [نائب البيرة][6] فى حجوبية دمشق ؛ بعد عزل الأمير جانبك الناصرى ؛ وتوجهه إلى القدس بطّالا .

---

(١) انظر التبر المسبوك ص ٢٥٢-٢٥٣ .
(٢) من طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (على) .
(٤) من حوادث الدهور (حـ ١ ورقة ١٧٤-١٧٥) : « .. الأسعار فى زيادة عن الحد ، فالقمح بألف وخمسمائة درهم الأردب إلى ما دونها ، الشعير نحو ألف درهم الأردب ، وهما فى قلة إلى الغاية ، الدقيق العلامة : البطة ٥٠٠ درهم إلى ما دونها ، التبن : ٥٠٠ درهم الحمل ، وأبيع التبن بثغر دمياط الحمل بألف درهم ، الفدان البرسيم الأخضر ٢٠ أشرفيا إلى ٣٠ ؛ الحطب ١٠٠ درهم الحمل ، اللحوم قليلة ، الجبن المقلى لا يوجد إلا نادرا ، الجبن الأبيض الجاموسى ١٢ درهما الرطل ، الشيرج والزيت ٢٤ درهما الرطل ، الزيت الحار ٢٥ درهما الرطل ؛ وأجرة طحن الأردب من القمح ١٢٠ درهما ، وقد اتخذ غالب الناس فى بيوتهم كل واحد رحى من حجر يطحن بها قمحه ، والسمن ٣٠ درهما الرطل ، والعسل النحل نحو ذلك ، الدبس ١٢ درهما الرطل .. »
(٥) ، (٦) ما بين الحواصر عن التبر المسبوك ص ٢٥٢ .

ووقع فى هذا الشهر ، أعنى عن شهر رمضان ، غريبة ، وهى أن جماعةَ أرباب التقويم والحساب أجمعوا على أنه يكون فى أوائل العشر الأخير من هذا الشهر قران نحس يكون فيه قطع عظيم ؛ على السلطان الملك الظاهر جَقْمق ، ثم فى أواخر العشر المذكور يكون قران آخر ، ويستمر القطع على السلطان من أول العشر إلى آخره ، وأجمعوا على زوال السلطان بسبب هذه القطوع ، فمضى هذا الشهر والسلطانُ فى خير وسلامة ، فى بدنه وحواسه ، ولازمته أنا فى العشر المذكورة ملازمةً غيرَ العادة ، لأرى ما يقع له من التوعك أو الأنكاد ، أو شىء يقارب مقالةَ هؤلاء ، ليكون لهم مندوحة فى قولهم ، فلم يقع له فى هذه المدة ما كدّر عليه ؛ ولا تشوّش فى بدنه ، ولا ورد عليه من الأخبار ما يسوء ؛ ولا تنكد بسبب من الأسباب ؛ وقد كان شاع هذا القولُ حتى لعله بلغ السلطانَ أيضا ، وفرغ الشهر ، ولم يقع شىء مما قالوه بالكلّية ؛ ويأبى الله إلا ما أراد ؛ ويعجبنى فى هذا المعنى قول القائل ، ولم أدر لمن هو : [البسيط]

دَعِ المُنَجِّمَ يَكْبُو فى ضلالَته إن ادَّعى علمَ ما يَجْرى به الفَلَكُ
تَفَرَّدَ اللهُ بالعلم القديم فلا الإنسانُ[1] يُشْرِكُهُ فيه ولا المَلَكُ

ومثل هذا أيضا ، وأظنه قد تقدم ذكره : [البسيط]

دع النجومَ لِطُرْقِىٍّ يعيشُ بها وبالعزيمة فانْهَضْ أيها المَلِكُ
إن النبىَّ وأصحابَ النبىِّ نَهَوْا عن النجوم وقد أبصَرتَ ما مَلَكُوا

ثم فى يوم الجمعة ثالث شوال ، ورد الخبر بموت يَشْبَك الحزاوى نائب صَفَد بها ، فى ليلة السبت سابع عشرين[2] شهر رمضان ، فرسم السلطانُ بنيابة صَفَد للأمير بَيْغُوت الأعرج ثانياً ، وحُمل إليه التقليد والتشريف[3] على يد الأمير يشبك النقيه المؤيّدى ، بنيابة صَفَد ؛ ويشبك المذكور من محاسن الدنيا ، نادرة فى أبناء جنسه ؛ وأنعم بتقدمة

(١) فى ا (انسان) .
(٢) فى ا (عشر) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا والضوء اللامع .
(٣) فى ا (بالتشريف) .

يغوت بدمشق ، على الناصرى محمد بن مبارك حاجب حجاب دمشق ؛ وأنعم بإقطاع ابن المبارك ، على آقْباى السيفى جارْ قُطْلُو ، المعزول عن نيابة سِيس . وفيه أيضاً ، استقر خير بك النورُوزى المعزول عن نيابة غزة قبل تاريخه ، أتابكَ صَفَد ، كلاهما : أعنى خير بك وآقباى ، بالبَذْل ، لأنهما من أطراف الناس ، لم تسبق لهما رئاسة بالديار المصرية .

ثم فى يوم السبت رابعه ، استقر السُّويفى فى قضاء طرابلس ، واستقر [الشمس][(1)] ابن عامر فى قضاء المالكية بصَفَد .

ثم فى يوم الاثنين سادسه ، استقر [الزينى][(2)] الطَّوَاشى سرور الطربانى [الحبشى][(3)] ، فى مشيخة الخدام بالحرم النبوى ، بعد عزل الطواشى فارس الرومى الأشرفى .

ثم فى يوم الخميس سادس عشر شوال ، أُعيد القاضى حميدُ الدين [النعمانى][(4)] إلى قضاء الحنفية بدمشق ، بعد عزل القاضى قوام الدين . وفيه خلع السلطانُ على المقر الجمالى ناظر الخواص ، خلعةً هائلة لفراغ الكسوة المجهزة لداخل البيت العتيق .

ثم فى يوم السبت ثامن عشره ، برز أميرُ حاجِّ المحمل الأمير سَوِنْجبُغَا اليونسى [١٥٩] بالمحمل إلى بِركة الحاج .

ثم فى يوم الثلاثاء سابع عشرين ذى القعدة ، أنعم السلطان على الأمير تَنْبَك البَرْدَبكى المعزول عن حجوبية الحجاب قبل تاريخه ، بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بالديار المصرية ، بعد موت الشهابى أحمد بن على بن إينال اليوسفى .

ثم فى يوم الخميس سادس ذى الحجة من سنة خمس وخمسين المذكورة ، قدم الأميرُ أَسَنْباى الجمالى الظاهرى ، أحد أمراء العشرات من بلاد الروم .

ثم فى يوم الثلاثاء حادى عشر ذى الحجة ، استقر عمر الكردى ، أحدُ أجناد الحلقة

من (١) إلى (٤) عن النجم المسبوك .

[في][1] أستادّارية السلطان بدمشق [واستقر شخص يسمى يونس الدمشقي ، يعرف بابن دكدوك ، في أستادّارية السلطان الكبرى بدمشق][2] ، وعمر المذكور ، ويونُس هذا ، [هما][3] من الأوباش الأطراف ، وكلاهما ولي بالبذل .

[ثم][4] في يوم الخميس سابع عشرين ذي الحجة ، وصل الأميرُ يَشْبَك الفقيه من صفد ، بعد ما قَلّد نائبها الأمير بيغوت .

ثم في يوم الاثنين أول محرم سنة ست وخمسين وثمانمائة ، أعيد القاضي جمال الدين يوسف الباعُوني إلى قضاء دمشق ، بعد عزل السراج الحمصي ، بسفارة عظيم الدولة ناظر الخواص .

ثم في يوم الثلاثاء [ثالث عشرينه][5] ، وصل أميرُ حاجّ المحمل بالمحمل . وفيه سافر الأميرُ جانِبَك الظاهري نائب جدة [إلى][6] البندر المذكور[7].

ثم في [يوم][8] الاثنين سادس صفر ، استعفى الأميرُ أُلْطُنْبُغَا الظاهري برقوق [المعلم][9] اللفّاف ، أحد مقدمي الألوف ، من الإمرة ، فأعفي لطول مرضه وعجزه عن الحركة ، وأنعم السلطانُ بإقطاعه على ولده المقام الفخري عثمان ، زيادة على ما بيده من تقدمة أخيه الناصري محمد قبل تاريخه ، فصار بيده تقدمة أخيه وهذه التقدمة .

ثم في يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول[10] ، حضر المقامُ الفخري عثمان صلاة الجمعة ، عند أبيه بجامع القلعة ، ورسم له والده السلطان أن يمشي الخدمة على عادة أولاد الملوك .

ثم في يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأول المذكور ، خلع السلطان على القاضي محب

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) ما بين الحاصرتين في كل من هذه الأرقام عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .
(٦) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .
(٩) عن الضوء اللامع .
(١٠) في ا (الآخر) ، والصواب هو المثبت بالمتن عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .

الدين محمد بن الأشقر ، ناظر الجيش ، باستقراره كاتبَ السر الشريف ، عوضاً عن القاضى كمال الدين بن البارزى بعد موته . وخلع السلطان أيضاً على المقرّ الجمالى ناظر الخواص ، باستقراره ناظرَ الجيوش المنصورة زيادةً على ما بيده من نظر الخاص وغيره .

ثم فى يوم السبت سابع عشره ، نودى بالقاهرة ، على الذهب الظاهرى الأشرفى ، كل دينار بمائتى درهم وخمسة وثمانين[1] درهماً ، وهدّد من زاد فى صرفه على ذلك .

ثم فى يوم الاثنين ، ثالث شهر ربيع الآخر ، استقر الشريف مُعَز[2] فى إمرة اليَنبوع ، عوضاً عن عمه سُنْقُر [بن وبير][3] ؛ وفيه نقل يَشْبَك الصوفى المؤيَّدى المعزول عن نيابة طرابلس ، من ثغر دِمْياط إلى القدس بطالا .

ثم فى يوم السبت ثامن عشرين جمادى الأولى ، أنعم السلطان على مملوكه جانم الساقى الظاهرى ، بإمرة عشرة ، بعد موت الأمير برسباى الساقى المؤيدى .

ثم فى يوم السبت حادى عشر شهر رجب ، وصل إلى القاهرة الأمير حاج إينال اليَشْبَكى ، نائب الكَرَك ، وخلع السلطان عليه باستمراره .

ثم فى يوم السبت ثامن عشر رجب المذكور ، أنعم السلطان على حاج إينال المذكور بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، عوضاً عن الأمير مازى[4] الظاهرى برقوق ، بحكم لزومه بيته ، واستقر فى نيابة الكَرَك عوضاً عن حاج إينال ، طُوغانُ ، مملوكُ آقبردى المِنْقار ، نُقل إليها من دَوَادارية السلطان بدمشق ، واستقر فى دوادارية السلطان بدمشق ، خُشْكَلْدِى الزينى عبد الرحمن بن الكُوَيْز الدوادار ، واستقر عوضا عن خشكلدى فى الدوادارية الثالثة[5] شخصٌ من أولاد الناس ، ممن كان فى خدمة الملك الظاهر قديماً ، يعرف بابن جانبك ، لا يُعرف له نسب ولا حسب .

---

(١) فى ا (وثمانون) .

(٢) هو الشريف معز بن هجار بن وبير بن نخبار الحسينى (عن الضوء اللامع والتبر المسبوك) .

(٣) عن الضوء اللامع والتبر المسبوك .

(٤) فى ا (مارى) .

(٥) فى ا (الثانية) ، والمثبت هو الصواب من طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .

وفى هذه الأيام أشيع بالقاهرة ، بمجىء النحاس إلى الديار المصرية ، وأنه وصل على النُّجُب ، وأنه نزل بتُربة الأمير طَيْبُغَا الطويل بالصحراء خارجَ القاهرة ، ثم انتقل [١٦٠] منها إلى القاهرة ، وتحدث الناسُ برؤيته ، وتعجب الناسُ من ذلك ، واستغربتُ أنا وغيرى مجيئه من أن السلطان من يوم نكَبه وصادَره وحبَسه ثم نفاه إلى طرسوس ، ثم حبسه بقلعة طرسوس على أقبح وجه ، وصار فى الحبْس المذكور فى غاية الضيق ، ونال أعداؤه منه فوق الغرض ، وصار السلطان يتفقده فى كل قليل بمُصِيبات ، حتى أنه ضُرب فى مدة حبسه بطرسوس ، على دفعات متفرقة ، نحو الألف عصاة تخميناً ، ولم يزل فى محبسه فى أسوأ حال ، حتى أشيع بمجيئه ، ولم يدْر بذلك أحد من أعيان الدولة ، ولا يعرف أحد كيفية الإفراج عنه ؛ وأخَذ أعيانُ الدولة من الأكابر فى تكذيب [هذا الخبر][(1)]، وصار الناس فى أمره على قسمين : ما بين مصدق ومُكذب .

ثم قدم الأمير جانبك الظاهرى ، نائبُ جُدَّة وصُحبته قُصّاد الحبشة من المسلمين من صاحب جَبَرْت فى يوم الخميس ثامن شعبان ، وعمل السلطان الموكب بالحوش السلطانى ، وكان السلطان قد انقطع عن حضور الخدمة بالقصر نحو الشهر لضعف حركته .

فلما كان يوم الجمعة تاسعه ، طلع أبو الخير النحاس فى بكرته إلى القلعة ، ودخل إلى الدُّهيشة صُحبة العزّى عبد العزيز ابن أخى الخليفة القائم بأمر الله حمزة ، وقد أمره عمه القائم بأمر الله حمزة ليشفع فى أبى الخير المذكور على لسان الخليفة ، ولم يكن عند السلطان فى ذلك الوقت من أعيان الدولة سوى الأمير تَمُربُغَا الظاهرى الدَّوادار الثانى ، والأمير أَسَنْبَاى الجمالى الظاهرى ؛ فقام السلطانُ لابن أخى الخليفة المذكور وأجلسه ، ثم دخل أبو الخير النحاس وقبَّل رجلَ السلطان ، فسبّه السلطانُ ولعنه وأخذ فى توبيخه ، وذكر أفعالهَ القبيحة ؛ ثم أمر بحبسه بالبرج من قلعة الجبل ، ثم اعتذر لابن أخى الخليفة ، وقال : « أنا كنت أريد توسيطه ، ولأجل الخليفة قد عفوت عنه » .

ثم أنعم على عبد العزيز المذكور بمائة دينار ، وانفض المجلس .

---

(١) فى ا (ذلك) ، والتوضيح عن طبعة كاليفورنيا .

وأصبح السلطانُ من الغد فى يوم السبت ، جلس على الدَّكة بالحوش السلطانى ، وأحضر أبا الخير المذكور ، فى الملأ من الناس ، ثم أمر به فضُرب بين يديه نحو الألف عصاة ، أو ما دونها تخميناً ، على رجليه ، وسائر بدنه ؛ ثم أمر بحبسه ثانياً بالبرج من القلعة ، فتحيّر الناس من هذه الأفعال المتناقضة ، وهو كونه أفرج عنه سراً وأحضره إلى القاهرة ؛ فظن كل أحد بعود المذكور إلى أعظم ما كان عليه ، ثم وقع له ما ذكرناه من الإخراق والضرب والحبس .

وقد كثُر كلامُ الناس فى ذلك ، فنهم من يقول : أمر السلطانُ بإطلاقه لا بمجيئه إلى القاهرة ، فلما قدم بغير دستور ، غضب السلطان عليه ؛ فَرُدَّ على قائل هذا الكلام بأنه : من أين لأبى الخير التَّجَبُّ التى قدم عليها مع ما كان عليه ، لولا توصية السلطان لمن يعينه على ذلك ؟. وأيضا : كيف تمكنَ من المجىء ، لولا ما معه من المراسيم ما يدفع به نُوّاب البلاد الشامية من منعه من الحضور ؟ . ومنهم من يقول : كان أمره قد انبرم مع السلطان ، ورُسم بحضوره ، وإنما أعداؤه اجتهدوا فى إبعاده ثانيا ، ووعدوا بأوعاد كثيرة ، أضعاف ما وعده أبو الخير المذكور ؛ وأقوال كثيرة أخر[1] .

ثم فى هذا اليوم أُخذ أبو عبد الله التريكى[2] المغربى المالكى ، المعزول عن قضاء دمشق قبل تاريخه ، من بيته إلى بيت الوالى ، ورُسم عليه ، ثم ادُّعِى عليه بمجلس القاضى المالكى ، أنه التزم للسلطان عن أبى الخير النحاس بمائة ألف دينار أو أكثر ، فقال : « أنا قلت إن ولاّه ما عيَّنْتُه من الوظائف » ولم يقع ذلك ، وعرف كيف أجاب ، فإنه كان من الفضلاء العلماء ، فاستمر فى الترسيم إلى يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، فطُلب إلى القلعة ، فطلع وفى رقبته جنزير ، ثم أعيد إلى الترسيم من غير جنزير ، وقد أشيع أنه وقع فى حق قاضى القضاة شرفِ الدين يحيى المناوى [١٦١] بأمور شنعة ، ودام فى الترسيم إلى ما يأتى ذكره .

---

(١) راجع التبر المسبوك ص ٣٨٩ — ٣٩٠ .

(٢) فى ا (التركى) .

ثم فى يوم الأربعاء رابع عشر شعبان المذكور ، أُخرج أبو الخير النحاس المذكور من البرج منفياً إلى البلاد الشامية ، ورُسم بحبسه بقلعة الصُّبَيْبَة ، فنزل على حالة غير مرضية ، وهو أنه أُركب على حمار ، وفى رقبته باشَة[1] وجنزير ومُوكَّل به جماعةٌ من الجَبَلِيَّة[2] ، شقوا به شارعَ القاهرة إلى أن أُخرج من باب النصر ، والمَشَاعِلِىُّ ينادى عليه : « هذا جزاء من يكذب على الملوك ، ويأكل مال الأوقاف » ، ونحو ذلك ، ورَسم السلطانُ أن يُفعل به ذلك فى كل بلد يمر بها ، إلى أن يصل إلى محبسه .

ثم فى يوم الخميس خامس عشره ، استقر الأميرُ حاج إينال اليَشْبَكى أحد مقدمى الألوف بدمشق ، فى نيابة حماه ، عوضا عن سُودُون الأبو بكرى المؤيدى بحكم عزله ، وتوجهه على إقطاع حاج إينال المذكور بدمشق .

ثم فى يوم الثلاثاء العشرين من شعبان المذكور ، جلس السلطان بالحوش ، وأحضر القضاة . ثم أحضر والى القاهرة أبا عبد الله التريكى المغربى ، وكان التريكى قد أقام قبل ذلك ببيت القاضى الشافعى أياماً ، فلما مثل التريكى بين يدى السلطان ، سأل السلطانُ قاضىَ القضاة شرفَ الدين يحيى المناوى الشافعى ، عن أمر التريكى وما وجب عليه ، فقال : « ثبت عليه عند نائبى نجم الدين بن نبيه ، لمولانا السلطان عشرة آلاف دينار » ، وقام ابنُ النَّبيه[3] فى الحال ، وأخبر السلطانَ بذلك ، فنهر السلطانُ القاضى الشافعى عند مقالته عشرة آلاف دينار ، وقال : « ما أسأل إلا عن ما وجب عليه من التَّعزير . إيش العشرة آلاف دينار ؟ »

ولم تحسن مقالة القاضى الشافعى بهذا القول ببال أحد ؛ ثم أجاب ابنُ النبيه بأن قال : « أما المالُ فقد ثبت عندى ، وأما التعزيرُ فهو إلى القاضى شمس الدين بن خيرة ، أحد نواب الحكم » . فقال ابنُ خيرة : « حكمتُ عليه بِتَغْرِيبه[4] سنتين ، وأما التعزير

(١) الباشة قيد يوضع فى العنق أو الرجلين : (عقد الجمان ـ ٢٣ ق ٤ ، ورقة ٦٨٦ ؛ Dozy , *op. cit.*)

(٢) الجبلية هم العربان .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (بنيه) ؛ والمثبت من ا والتبر المسبوك .

(٤) فى ا (بتعزيره) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك فضلا عن سياق الكلام .

فلولا نا السلطان على ماوقع منه من الأيمان الحانثة » . فلما سمع السلطانُ كلامَ ابنِ خيرة، أمر بالتريكى فطُرح على الأرض، وضُرب ضربا مبرحا، يزيد على مائتى عصاة، وأقيم، فتكلم فيه ابنُ النبيه أيضا، وأحضَر محضراً مكتتبا عليه بدمشق، بواقعة وقعت له فى أيام حكمه بدمشق، فأمر به السلطانُ ثانيا فضُرب نحواً مما ضرب أولا، واختلفت الأقوال فى عدة ما ضرب، فأكثر ما قيل ستمائة عصاة، وأقل ما قيل أربعمائة. ثم أنزلوه إلى بيت والى القاهرة، فأقام فى حبس الرَّحبة[1] إلى يوم الأربعاء خامس شهر رمضان، فأخرج من الحبس وفى رقبته الجنزير ماشياً إلى بيت الوالى بين القصرين، ثم ركب من هناك، وأخرج منفيا فى الترسيم إلى بلاد[2] المغرب، فسافر إلى المغرب[3] إلى يومنا هذا.

ثم فى يوم السبت ثامن شهر رمضان، سافر محبُّ الدين بن الشحنة قاضى قضاة حلب من القاهرة، بعد ما أقام بها أشهراً، وقاسى من الذل والبهدلة أنواعا، ورُسم عليه غيرمرة، وأُخرجت عنه وظيفتاَ[4] كتابةِ سرِّ حلب ونظرِ جيشها، وقد استوعبْنا أحوالَ ابن الشِّحْنة هذا فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور »، مستوفاةً من مبدأ أمره إلى يوم تاريخه، مما وقع له بحلب ومصر وغيرهما، من الأمور الشنعة وسوء السيرة، وما وقع له من التراسيم عليه وغير ذلك.

ثم فى أواخر هذا الشهر، رَسم السلطان بإخراج نصف إقطاع جانِبَك النَّوْرُوزى، المعروف بنائب بعلبك، للسيفى بَرْدبك التاجى، وكلاهما مقيم بمكة[5]؛ وكان هذا

---

(١) عرف هذا الحبس بحبس باب الرحبة، لوجوده بخط رحبة باب العيد بالقاهرة قرب الأزهر. (خطط حـ ١ ص ٤٧، ١٨٧).

(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.

(٣) هذه الجملة ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.

(٤) فى ا (وظيفتى).

(٥) كان جانبك النوروزى باش المماليك السلطانية بمكة منذ عام ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م، بينما كان بردبك التاجى ناظر الحرم وشاد العمائر والمحتسب بمكة أيضا منذ سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م. (راجع ما سبق وانظر التبر المسبوك ص ٣٩١).

الإقطاع أصله بين جانِبَك المذكور وبين تَغْرِى بَرْمَشْ نائب القلعة، فلما نُفِى تغرى برمش، أنعم السلطانُ عليه بنصيبه إلى يوم تاريخه، فأخرجه عنه.

ثم في يوم الخميس رابع شوال، استقر الأمير تَغْرِى بَرْدِى الظاهرى المعروف بالقلاوي[1]، وزيراً بالديار المصرية، مضافاً لما بيده من كشف الأشمونين والبلاد الجيزية، عوضاً عن الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم، بحكم استعفائه عن الوزارة [١٦٢]، وأنعم السلطانُ على تَغْرِى بَرْدِى المذكور بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بالديار المصرية، وهو الإقطاع الذى كان أنعم به السلطان على ولدِه المقام الفخرى عثمان، بعد أُلُطُنْبُغَا اللَّفَّاف، ليستعين تَغْرِى بَرْدِى المذكور بالإقطاع على [كلف][2] الدولة، وكانت خلعةُ تَغْرِى بَرْدِى المذكور بالوزارة أطلسين متمَّراً[3] ثم فَوْقانياً[4] بطَرْز زَرْكَش عريض مثال [خلعة الأتابكية بالديار المصرية. وخلع السلطانُ علَى زين الدين فرج بن ماجد سعد الدين بن المجد القبطى المصرى][5] بن النَّحَّال كاتب المماليك السلطانية، بوظيفة نظرِ الدولة مضافاً لكتابة المماليك.

وفي يوم الاثنين تاسعه، عُمِلت الخدمة السلطانية بالدُّهيشةَ من الحوش، ورَسم السلطانُ بأن تكون الخدمة دائماً في يومى الاثنين والخميس، بها؛ كل ذلك لضعف حركة السلطان وهو يكتم مابه من الألم.

وفي يوم الثلاثاء عاشره، استقر قانى باى طاز السيفى بَكْتَمُر جِلَّق[6] في نيابة قلعة

---

(١) في ا (العلاوى)، والمثبت من الضوء اللامع والتبر المسبوك. والقلاوى نسبة إلى مدينة قلا بالوجه القبلى حيث كان السلطان إقطاع فيها زمن إمرته، وكان جقمق يرسل مملوكه تغرى بردى هذا لمباشرة أحكامه في تلك المدينة فنسب إليها. (راجع الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٨-٢٩؛ التبر المسبوك ص ٣٩٢).

(٢) من طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك.

(٣) في ا (متمر).

(٤) في ا (فوقانى).

(٥) من الضوء اللامع.

(٦) قانباى هذا، أصله من مماليك جكم من عوض المتغلب على حلب، ثم ملكه من بعده بكتمر جلق وأعتقه، توفى بكتمر سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م (الضوء اللامع جـ ٣ ص ١٧، جـ ٦ ص ١٩٤).

صَفَد ، بعد شغورها أشهراً من يوم مات الجمالى يوسف بن يَغْمُور . وفى هذا اليوم أيضا وصل المقامُ الغَرْسى خليل ابن الملك الناصرى فرج ابن الملك الظاهر برقوق ، من ثغر الإسكندرية ، وقد رُسم له بالتوجه إلى الحجاز لقضاء الفرض ، وطلع إلى السلطان ، فأكرمه السلطانُ إلى الغاية ، وهذا شىء لم يُسمع بمثله ، من أن ابنَ السلطان وله شوكة ، يُمكَّن من سفر الحجاز ، فلله دَرُّه من ملك[1] ، وقد حكينا طلوعَه إلى القلعة واجتماعه بالسلطان ، فى ذهابه وإيابه فى « الحوادث » بأطول من هذا[2] .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره ، ورد الخبر بقتل طُوغان السيفى آقْبَرْدِى المِنقار[3] ، نائب الكَرَك ، على ما سنذكره فى الوفيات من هذه الترجمة .

ثم فى يوم تاسع عشره ، برز الأميرُ دُولات باى المحمودى الدَّوادار الكبير ، أمير حاج المحمل ، بالمحمل . وكان الحاج فى هذه السنة ركباً واحدا ، وهذه حجة دولات باى المذكور الثانية ، أميرَ الحاج ، فلما خرج دُولات باى إلى بِركة الحاج ، رُسم له بأن يُجْعَل دواداره قارس ، أميرَ الركب الأول ، ووقع ذلك ، وسافر ابنُ الملك الناصر صحبة المحمل .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع عشرين شوال ، رسم السلطان لِطُقْتَمُر البارِزِى رأس نوبة الجمدارية ، أن يتوجه إلى القدس الشريف ، لإحضار الأمير يَشْبَك الصوفى المؤيدى منه ، إلى القاهرة ، ليتجهز ثم يعود إلى دمشق أتابكاً بها ، عوضا عن خير بك المؤيدى

---

(١) أضافت طبعة كاليفورنيا كلمة (الظاهر) بعد (ملك) ولا وضع لها ، والمثبت عن ا .

(٢) خلاصة ما أورده ابن تغرى بردى فى «الحوادث» (جـ ١ ورقة ١٢١) والسخاوى فى الضوء اللامع (جـ ٣ ص ٢٠١) والتبر المسبوك (ص ٣٩٢) ، أن السلطان جقمق بالغ فى احترام خليل هذا ، حتى قبل كل منهما يد الآخر ورجله وتباكيا ، كما أن السلطان قال له : « أنا مملوكك ومملوك أبيك وجدك ، أنا لا أسمع كلام القشار ، اركب وانزل حيث شئت ، لا حجر عليك » . ولما أراد خليل أن يتوجه إلى عثمان ابن السلطان للسلام عليه ، صاح السلطان جقمق : بل عثمان يجىء إلى بين يديك ويقبل يدك ، تكفى إساءتنا نحن الأدب حيث لم تنزل إليك . وفى رحيله من القلعة ، فرشت الشقق الحرير تحت أرجل فرس خليل ، ونثر على رأسه الذهب والفضة .

(٣) المنقار نسبة إلى سيده أقبردى المنقار .

الأجرود ، ورسم السلطان (١) أيضا لطُقْتَمُر المذكور ، أن يتوجه إلى دمشق ويقبض على أتابكها خير بك المذكور، ويحمله (٢) إلى سجن الصُّبَيْبَة .

وفيه أيضا ، رسم بنقل الأمير يَشْبَك طاز المؤيدى ، من حكومة طَرَابُلس ، إلى نيابة الكَرَك ، عوضا عن طُوغان المقتول قبل تاريخه ، واستقر (٣) عوضه فى حجوبية طرابلس ، مُغُلْبَاى البجاسى، أحد أمراء طرابلس كان ، ثم نائب قلعة الروم ، واستقر فى نيابة قلعة الروم ، ناصرُ الدين محمد والى الحجر بقلعة حلب .

[ثم] (٤) فى يوم الأحد سادس ذى القعدة من سنة ست وخمسين المقدم ذكرها ، حبَس السلطانُ تقىَّ الدين عبد الرحمن بن حجّىّ بن عز الدين قاضى قضاة الشافعية بطرابلس بحبس المقشرة فحبس بها ، بعد أن نودى عليه ، وهو على حمار بشوارع القاهرة : « هذا جزاء من يزوّر المحاضر ! » ثم أمر السلطانُ من وقته بحبس ماماى السيفى بيبغا المظفرى أحد الدَّوَادارية بالبرج من قلعة الجبل [لاتّهامه بالغرض مع التقىّ المذكور] (٥) وكان ماماى المذكور هو المتوجه إلى طَرَابُلُس للكشف عن أحوال ابن عز الدين المقدم ذكره ، واستمر ماماى بالبرج إلى يوم الاثنين سابع ذى القعدة ، فأطلق ، ورسم بنفيه إلى مدينة حماه ، واستقر فى وظيفة ماماى الدَّوَادارية ، قانصوه الظاهرى جَقْمَق .

ثم فى يوم الخميس عاشره ، وصل الأمير يشبك الصوفى من القدس إلى القاهرة ، وطلع إلى القلعة وقبّل الأرض . وفيه رسم بالإفراج عن جانِبَك المحمودى ، من حبس المرقب [و](٦) أن يتوجه إلى طرابلس بطالا .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشرينه ، خلع السلطان [١٦٣] على الأمير يَشْبَك الصوفى باستقراره أتابكَ عساكرِ دمشق ، وسافر فى يوم الخميس [ثانى ذى الحجة](٧) .

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (ويحبسه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى ا (واستمر) .
(٤) ، (٦) ، (٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) عن التبر المسبوك .

[ثم فى يوم الخميس سادس[1]][2] عشر ذى الحجة ، استقر القاضى حسامُ الدين محمد ابن تقى الدين عبد الرحمن بن بريطع قاضى قضاة الحنفية بحلب ، عوضا عن محب الدين ابن الشِّحْنة ، بعد أن وقع لابن الشحنة المذكور أمور مذكورة فى « الحوادث » بتمامها وكمالها .

وفى يوم الاثنين عشرينه ، استقر أَسَنْبُغَا مملوكُ ابن كَلْبَك نائبَ القدس ، وناظرَه ، بعد موت أمين الدين عبد الرحمن بن الديرى الحنفى .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه ، تكلم الأميرُ الوزير تَمْرى بَرْدِى القَلاوى مع السلطان ، فى عزل فرج بن النحال عن نظر الدولة ، فعزله وأبقى معه كتابة المماليك على عادته .

ابتداء مرض موت السلطان

ولما كان يوم الجمعة رابع عشرينه ، حضر السلطان الملك الظاهر جَقْمَق الصلاة بجامع القلعة على العادة ، وهو متوعك ، فلما انقضت الصلاة ، وخرج من الجامع ، غُشى عليه ، فرجف فى القاهرة بموته ، وتكلم الناس بذلك ، فأصبح من الغد فى يوم السبت خامس عشرينه ، وحضر الخدمةَ فى الدُّهيشَةَ من القلعة ، وحضر جميعُ أكابر الأمراء والخاصكيَّة بغير كَلْفَتاة ، وعلَّم السلطانُ على قِصَصٍ[3] كثيرة . ومن غريب الاتفاق ما وقع له ، أنه لما خرج إلى الدُّهيشَةَ ، ورأى[4] الناسَ وقوفًا[5] ، قال : « سبحان الحى الذى لا يموت ! » ، فحسُن ذلك ببال الناس كثيراً ، عفا الله عنه . ثم أصبح

(١) فى ا (سابع) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) القصة فى المصطلح المملوكى : معناها الملتمس ، فمثلا شكت امرأة زوجها فى « قصة » إلى السلطان قايتباى سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م ؛ وفى نفس السنة ، سقط نجار كان يعمل فى طباق المماليك بالقلعة ، فوقف أولاده وزوجته « بقصة » يلتمسون من السلطان شيئا من الصدقة (صبح الأعشى جـ ٣ ص ١٥٤ ؛ بدائع الزهور جـ ٣ ص ١٣٣–١٣٤) .

(٤) فى ا (ورائى) .

(٥) فى ا (وقوف) .

فى يوم الأحد سادس عشرين ذى الحجة ، فركب من القلعة ونزل إلى بيت بنته زوجة الأمير أُزْبَك مِن طُطُخ الساقى ، أحد أمراء العشرات ، ورأس نوبة ، غير أنه لم يُطل الجلوسَ عندهاُ وعاد إلى القلعة من وقته ، وكان سكن أُزْبَك المذكور يومئذ فى الدار التى خلف حمام بَشْتَك ، وهى الآن ملك شخص من أصاغر المماليك الأشرفية ، لا أعرفه ، إلا فى هذه الدولة .

ثم فى يوم الاثنين سابع عشرين ذى الحجة ، عمل السلطانُ الموكبَ بالحوش لقُصّاد جهان شاه بن قَرَا يوسف ، متملّك تِبْرِيز وغيرها ، وكان قدوم القُصّاد المذكورين ، لإعلام السلطان بأن جهان شاه المذكور ، كسر عساكر بابور[1] بن باى سُنْقُر بن شاه رخ بن تيمورلنك ، وأنه استولى على عدة بلاد من ممالكه ، وأن عساكر جَغْتاى ضَعف أمرُهم لوقوع الوباء فى خيولهم ومواشيهم .

ثم فى يوم الأربعاء تاسع عشرينه ، ضرب السلطانُ بعضَ نواب الحكم الشافعية ، بيده عشرةَ عِصىّ ، لأمر لايستحق ذلك .

وفرغت سنةُ ست وخمسين ، بعد أن وقع بها فتن كثيرة ببلاد الشرق ، قُتل فيها خلائق لا تدخل تحت حصر ، استوعبنا غالبها فى « حوادث الدهور » ، كونَه موضوعاً[2] لتحرير الوقائع ، كما أن هذا الكتاب وظيفتهُ الإطناب فى تراجم ملوك مصر . ومهما ذكرناه بعد ذلك من الوقائع يكون على سبيل الاستطراد وتكثير الفوائد لاغير .

واستهلّت سنةُ سبع وخمسين وثمانمائة ، بيوم الجمعة ، والسلطان الملك الظاهر جَقْمَق صاحب الترجمة ، متوعك ، غير أنه يتجلد ولاينام على الفراش ، وأيضا لم يكن

(١) أبو القاسم بابر بن بايسنقر بن شاه رخ ، توفى سنة ٨٦١ هـ / ١٤٥٦ م ، وخلفه ابنه شاه محمود (زامباور جـ ٢ ص ٤٠١-٤٠٢)

(٢) فى ا (موضوع) .

على وجهه علامات مرض الموت إلا أنه غير صحيح البدن ، وكان له على ذلك أشهر كثيرة ، من أواخر سنة خمس وخمسين وثمانمائة — [انتهى][1].

قلت : ويحسن بيالى أن أذكر فى أول هذه السنة ، جميع أسماء أرباب الوظائف بالديار المصرية وغيرها ، ليُعلم بذلك فيما يأتى ، كيف تقلباتُ الدهر ، وتغيير الدول .

فأقول : استهلت سنةُ سبع وخمسين وخليفةُ الوقت القائمُ بأمر الله حمزة ، والقاضى الشافعى شرفُ الدين يحيى المناوى ، والقاضى الحنفى سعدُ الدين سعد الديرى ، والقاضى المالكى ولىُّ الدين [محمد][2] السنباطى ، والقاضى الحنبلى بدرُ الدين محمد بن عبد المنعم البغدادى ، وأتابكُ العساكر إينال العلائى الناصرى ، وأميرُ سلاح جَرِبَاشُ الكَرِيمى الظاهرى برقوق المعروف بقاشق[3] ، وأميرُ مجلس تَنَم من عبد الرزاق المؤيَّدى ، والأميرُ آخور الكبيرُ قانى باى الجاركسى ، ورأسُ نوبة النوب أسَنْبُغَا الناصرى الطَّيارى ، والدَّوادارُ [١٦٤] الكبيرُ دُولات باى المحمودى المؤيَّدى ، وحاجبُ الحجاب خُشْقَدَم من ناصر الدين المؤيَّدى ، وباقى مقدمى الألوف أربعة : أعظمُهم المقامُ الفخرى عثمانُ ابن السلطان ، ثم الأميرُ تنبَكَ البَرْدَبكى الظاهرى برقوق المعزول عن الحجوبية ، والأمير طُوخ مِن تِمْراز الناصرى[4] [فرج][5] ، والأميرُ جَرِبَاشُ المحمدى الناصرى [المعروف][6] بكُرْد ، والجميع أحد عشر مقدما ، بأقل من النصف عما كان قديما .

وأربابُ الوظائف من الطبلخانات ، والعشرات : شادُّ الشراب خاناه يونس الأقبائى البواب أمير طبلخاناة ، والخازندارُ قَرَاجا الظاهرى جَقْمَق أميرُ طبلخاناة ، والزَّرَدْكاش

(١ ، ٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) قاشق كلمة تركية معناها ملعقة *Redhouse's Turkish Dictionary* .

(٤) طوخ من تمراز الناصرى فرج ، هوالموصوف بكلمة « بنى بازق » أى غليظ الرقبة (الضوء اللامع . جـ ٤ ص ٩ ، راجع ما سبق) .

(٥) عن الضوء اللامع .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

لاجين الظاهرى جَقْمَق أميرُ عشرة، ونائبُ القلعة يونسُ العلائى الناصرى أمير عشرة، والحاجبُ الثانى نوكارُ الناصرى [فرج أبو أحمد الماضى][1] أميرُ عشرة، ووظيفةُ أمير جاندار بطالةٌ، يليها بعضُ الأجناد، السكاتُ عن ذكره أجمل؛ وأستادّارُ الصُّحبة سُنْقُر الظاهرى أميرُ عشرة. وهذه الوظائف كان قديما يليها مقدمو[2] الألوف، ويستدل على ذلك من خِلَعهم فى الأعياد وغيرها — انتهى.

والأميرُ آخور الثانى بَرْسْباى الإينالى المؤيَّدى أميرُ طبلخاناة، ورأسُ نوبة ثانى جانبَك القَرمانى الظاهرى برقوق أميرُ طبلخاناة، والدَّوَادارُ الثانى تَمُرْبُغَا الظاهرى جَقْمَق أميرُ عشرة، غير أن معه زيادات كثيرة، والمَهْمَنْدار بعضُ الأجناد، ووالى القاهرة جانبَك اليَشْبَكى أميرُ عشرة، والزِّمامُ والخازندارُ فيروز الطَّوَاشى الرومى النَّوْرُوزى أميرُ طبلخاناة، ومقدمُ المماليكِ مرجانُ العادلى المحمودى الحبشى أميرُ عشرة، ونائبُهُ عنبر خادم نور الدِّين الطَّنْبَذِى، ومباشرو الدولة، كاتبُ السر القاضى محبُّ الدين محمد بن الأشقر، وناظرُ الجيش والخاصّ عظيمُ الدولة ومدبرُها الجمالى يوسف ابن كاتب جَكَم، والوزيرُ الصاحبُ أمينُ الدين إبراهيم بن الهَيْصَم، والأستادّار زين الدين يحيى [ابن عبد الرازق القبطى القاهرى ابن أخت نقيب الجيش محمد بن أبى الفرج][3] الأشقر المعروف بابن كاتب حلوان، وبقريب ابن أبى الفرج وهو على زىّ الكتّاب، ولهذا لم نذكره فى الأمراء، ومحتسبُ القاهرة يَرْعَلَى الخراسانى العجمى الطويل.

ونوابُ البلاد الشامية[4] نائبُ الشام جُلْبَان الأمير آخور، ونائب حلب قانى باى الحَمْزاوى، ونائب طرابلس يَشْبَك النَّوْرُوزِى، ونائبُ حماه حاج إينال اليَشْبَكى، ونائب صَفَد بَيْغُوتُ الأعرج المؤيدى، ونائب غزة جانِبَك التاجى المؤيدى، ونائب الكرك يَشْبَك طاز المؤيدى، ونائب الإسكندرية بَرْسْباى السيفى تنبك البَجَاسى أمير

(١) عن الضوء اللامع.
(٢) فى ا (مقدمى).
(٣) عن الضوء اللامع.
(٤) فى ا (الشام)، والمعنى واحد.

عشرة ، وهؤلاء هم أعيان النواب ، ومن يُطلق فى حق كل منهم ملك الأمراء ، ولا عبرة بولاية الوجه القبلى الآن ، وباقى نواب القلاع والبلاد الشأمية فكثير — انتهى .

ثم فى يوم الخميس سابع محرم ، سنة سبع وخمسين المذكورة ، أُرجف فى القاهرة بموت السلطان ، فلما كان يوم السبت تاسع المحرم ، خرج السلطانُ من قاعة الدَّهيشَة ماشياً على قدميه ، حتى جلس على مرتبة ، من غير أن يستعين بأحد فى مشيه ، ولا استند فى مجلسه ، بل جلس على مرتبته وعلّم على عدة مناشير ، وأطلتُ أنا النظر فى وجهه ، فلم أر عليه علامات تدل على موته بسرعة ، ثم قام وعاد إلى القاعة ، ولم يخرج بعدها إلى الدَّهيشَة ، واستمر متمرضاً بالقاعة المذكورة ، والناسُ تخلط فى الكلام بسبب مرضه ، والأقوال تختلف فى أحوال المملكة ، على أن السلطان فى جميع مرضه غير متحجب عن الناس ، وأرباب الدولة تتردد إليه بالقاعة المذكورة ، وهو يعلِّم فى كل يوم فى الغالب على المناشير والقِصَص ، وينفذ بعض الأمور ، إلا أن مرضه فى تزايد ، وهو يتجلد .

إلى أن كان يوم الأربعاء ، العشرون[1] من المحرم ، فوصل الأميرُ جانِبَك النَّوْرُوزى من مكة المشرفة ، ودخل إلى السلطان وقبّل له الأرض ، ثم قبّل يده وخرج وخرجنا جميعا من عنده ، وقد اشتد به المرض ، وظهر عليه أمارات رديئة[2] تدل على موته بعد أيام ، غير أنه صحيح العقل والفهم والحركة ، ثم بعد خروجنا من عنده ، تكلم السلطانُ فى هذا اليوم مع بعض [١٦٥] خواصه فى خلع نفسه من السلطنة ، وسلطنةِ ولدِه المقام الفخرى عثمان فى حياته ، فروجع فى ذلك فلم يقبل ، ورسم بإحضار الخليفة والقضاة والأمراء من الغد بالدَّهيشَة .

فلما كان الغد ، وهو يوم الخميس حادى عشرون محرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، حضر الخليفة والقضاة وجميع الأمراء ، وفى ظن الناس أنه يَعهد لولده عثمان بالملك من بعده كما هى عادة الملوك ، فلما حضر الخليفة والقضاة عنده بعد صلاة الصبح ، خلع نفسه

---

(١) فى ا (العشرين) .
(٢) فى ا (رديه) .

من السلطنة ، وقال للخليفة والقضاة : « الأمرُ لكم ، انظروا فيمن تسلطنوه » ، أو معنى ذلك ، لعلمه أنهم لا يعدِلون عن ولده عثمان ، فإنه كان أهلا للسلطنة بلا مدافعة ، وأراد أيضا بهذا القول ، أنه قد خلع نفسه وأنه يموت غير سلطان ، وأنه أيضا لا يتحمل بوِزر ولاية ولده المذكور ، فكان مقصده جميلا فى التولين ، رحمه الله تعالى .

فلما سمع الخليفةُ كلامَ السلطان ، لم يعدل عن المقام الفخرى عثمان ، لما كان اشتمل عليه عثمانُ المذكور من العلم والفضل ، وإدراكه سنَّ الشبيبة ، وبايعه بالسلطنة ، وتسلطن فى يوم الخميس المذكور ، حسبما نذكره إن شاء الله تعالى فى أول ترجمته من هذا الكتاب .

واستمر الملكُ الظاهر [مريضا](١) ملازما للفراش ، وابنُه الملكُ المنصور يأخذ ويعطى فى مملكته ، ويعزل ويولِّى ، والملكُ الظاهر فى شغل بمرضه ، ومابه من الألم فى زيادة، إلى أن مات فى قاعة الدّهيشة الجُوّانيّة بين المغرب والعشاء من ليلة الثلاثاء ثالث صفر من سنة سبع وخمسين وثمانمائة المقدم ذكرها - وقُرِئ حولَه القرآنُ العزيز ، إلى أن أصبح ، وجُهز وغُسل وكُفن من غير عجلة ولا اضطراب ، حتى انتهى أمرُه وحُمل على نعشه ، وأخرج به ، وأمامَ نعشه ولدُه السلطان الملك المنصور عثمان ماشياً وجميعُ أعيان المملكة ، وساروا أمام نعشه بسكون ووقار ، إلى أن صُلى عليه بمُصلاَّة باب القلة من قلعة الجبل ، وصَلى عليه الخليفةُ القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ، وخلفَه السلطانُ والقضاةُ وجميع الأمراء والعساكر ، ثم حُمل بعد انقضاء الصلاة عليه وأنزل من القلعة ، حتى دُفن بتربة أخيه الأمير جارْكس القاسمى المُصَارِع ، التى جددها مملوكُه قانى باى الجاركسى ، بالقرب من دار الضيافة تجاه سور القلعة . ولم يشهد ولدُه الملك المنصور دفنَه ، وعاد إلى القلعة من المصلاة . وشهد دفنَه خلائق ، وقعد الناس فى الطرقات لمشاهدة مشهده ، وكان مشهده عظيماً إلى الغاية ، بخلاف جنائز الملوك السالفة ، ولعل

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

هذا لم يقع لملك قبله . كل ذلك لكونه سلطن ولدَه فى حياته ، ثم مات بعد ذلك بأيام ، فلهذا كانت جنازته على هذه الصورة .

ومات الملك الظاهر وسنه نيف على ثمانين سنة تخمينا ، ولم يخلِّف بالحواصل ولا الخزائن إلا نزراً يسيرا من الذهب[1] يُستحَى من ذكره بالنسبة لما تخلفه الملوك ، وكذلك [فى][2] جميع تعلقات السلطنة ، من الخيول والجمال والسلاح والقماش ، كل ذلك من كثرة بذله وعطائه ، وكانت مدةُ ملكه[3] امن يوم تسلطن بعد خلع الملك العزيز يوسف ، فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الآخر [من][4] سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، إلى أن خلع نفسه بيده[5] لولده الملك المنصور عثمان، فى الثانية من نهار الخميس الحادى والعشرين من محرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، أربعَ عشرة سنة وعشرة شهور ويومين ، وتوفى بعد خلعه من السلطنة باثنى عشر يوما .

ووقع له فى سلطنته غرائب لم تقع لأحد قبله إلا نادراً جداً[6]، منها[7] ركوبُه وهو أتابك على الملك العزيز يوسف وقتاله له وانتصاره عليه ، ولا نعرف أحداً قبله من الأمراء ركب على السلطان ، ووقف بالرملة والسلطانُ بقلعة الجبل ، وانتصر عليه ، غيرَه . فإن قيل : واقعةُ الناصرى ومنطاش[8] مع الملك الظاهر برقوق ، فليس ذلك مما نحن فيه من وجوه عديدة ، لا يُحتاج إلى ذكرها . وإن قيل : نصرةُ منطاش وملكه لباب السلسلة

---

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (علكه) .

(٥) ، (٦) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٧) أضافت طبعة كاليفورنيا كلمة (إحدى) ولا وضع لها ، والمثبت عن ا .

(٨) الناصرى هو الأمير يلبغا نائب حلب فى أوائل سلطنة برقوق ، ومنطاش هو الأمير تمربغا الأفضل نائب ملطية زمن برقوق كذلك ، وقد خرج الاثنان على برقوق وطرداه من السلطنة عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٢ م ، ثم نجح برقوق فى العودة إلى عرشه فى العام التالى . (راجع النجوم الزاهرة حـ ١١ ص ٢٢١ وما يليها ؛ نزهة الأنام ورقة ٩ – ١١ ؛ الجوهر الثمين حـ ٢ ورقة ١٨٣ – ١٨٤ ؛ بدائع الزهور حـ ١ ص ٢٧٣ – ٢٧٤ ؛ دول الإسلام ورقة ٦٣) .

فنقول : كان ركوبُ منطاش على رفيقه يَلْبُغَا الناصرى ، وليس للملك المنصور حاجى ذكر بينهما(١) .

ومنها [١٦٦] أنه سلّم عليه بالسلطنة ثلاثةُ خلفاء من بنى العباس ، ولم يقع ذلك الملك قبله من ملوك مصر . ومنها أنه اجتمع له قضاةٌ أربعةٌ(٢) فى عصر واحد ، لم يجتمع [مثلُهم](٣) لغيره(٤) من ملوك مصر ، وهم قاضى القضاة شهابُ الدين بن حجر الشافعى حافظ المشرق والمغرب ، كان فرداً فى معناه ، لا يقاربه فى علم الحديث أحد فى عصره ؛ وقاضى القضاة شيخُ الإسلام سعد الدين سعد الديرى الحنفى ، كان فقيه(٥) عصره شرقاً وغرباً ، لا يقاربه أحد فى حفظ مذهبه واستحضاره ، مع مشاركته فى علوم كثيرة ، والعلامةُ قاضى القضاة شمسُ الدين البساطى المالكى ، كان إمامَ عصره فى [على](٦) المعقول والمنقول ، قد انتهت إليه الرئاسة فى علوم كثيرة ، ومات ولم يخلّف بعده مثله ، وقاضى القضاة شيخُ الإسلام محبُّ الدين أحمد الحنبلى البغدادى ، كان أيضاً إمامَ عصره وعالم زمانه ، انتهت إليه رئاسة مذهبه بلا مدافعة .

ومنها أنه أقام فى مُلك مصر هذه المدة الطويلة ، لم يتجرد فيها تجريدة واحدة إلى البلاد الشامية ، غير مرة واحدة ، فى نوبة الجَكَمى فى أوائل سلطنته ، وهذا أيضاً لم يقع للملك قبله .

ومنها أنه أذن للغَرْسى خليل ابن السلطان الملك الناصر فرج بالحج ، فقدم القاهرةَ وحج وعاد مع عظم شوكته من مماليك أبيه وجده الملك الظاهر برقوق(٧) ، وهذا شىء لم يقع مثله فى دولة من الدول .

---

(١) انظر الجرا كسة ص ١٨ — ٢٤ .
(٢) فى ا (أربع) .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (لملك) والمثبت عن ا ، ولا فرق يذكر .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) راجع ما سبق .

ومنها ابنهُ المقام الناصرى محمد رحمه الله تعالى ، من غزير علمه وكثرة فضائله ، فإننا لا نعلم أحداً من ملوك الترك رُزق ولداً مثله ، بل ولا يقاربه ولا يشابهه مما كان اشتمل عليه من العلم والفضل والمعرفة التامة، وحسن السمت وجودة[١] التدبير ، ولا نعرف أحداً من أولاد السلاطين من هو فى هذا المقام قديماً وحديثاً[٢] ، حتى ولو قلتُ : ولا من بنى أيوب ، ممن ملكوا مصر ، لكان يَصدُق قولى ؛ ومَن كان من بنى أيوب له فضيلةٌ تامة غيرُ الملك المعظم عيسى ابن الملك الكامل ، والملكُ المؤيد إسماعيل صاحب حماه ، وهما كانا بالبلاد الشامية ؟ — انتهى .

وقد استوعبنا أحوالَ الملك الظاهر هذا من مبدأ أمره إلى آخره ، محرراً بالشهر واليوم فى جميع ما وقع له من ولاية وعزل وغريبة وعجيبة ، فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » ، فليُنظر هناك[٣] ، [و][٤] ما ذكرناه هنا جميعه [نوع][٥] من تكثير الفائدة ، لا القصة على جليّها ، بل نشير بذكرها إعلاما لوقت واقعتها لا غير .

وكان الملكُ الظاهر سلطاناً ديِّناً خيراً عفيفاً صالحاً [فقيهاً شجاعاً][٦] مقداماً ، عارفاً بأنواع الفروسية ، عفيفاً عن المنكرات والفروج ، لا نعلم أحداً من ملوك مصر فى الدولة الأيوبية ولا التركية على طريقته [فى ذلك][٧] ، لم يُشهر عنه فى صغره ولا فى كبره أنه تعاطى مسكراً ولا منكراً ، حتى قيل إنه لم يكتشف حراماً قط ، وأما حُب الشباب ، فلعله كان لا يصدِّق أن أحداً يقع فى ذلك لبعده عن معرفة هذا الشأن ، وكان جلوسه فى غالب أوقاته على طهارة كاملة ، وكان متقشفاً فى ملبسه ومركبه إلى الغاية ، لم يلبس

(١) فى ا (ووجوه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) راجع الضوء اللامع جـ ٥ ص ١٢٧–١٢٨ .
(٣) انظر حوادث الدهور جـ ١ ق ٢ ورقة ٢٣٠ ، ٢٨٢ – ٢٨٣ ؛ المنهل الصافى جـ ١ ورقة ٤٤٧ إلى نهاية الجزء ، ومطلع الجزء الثانى ، كذلك راجع الضوء اللامع جـ ٣ ص ٧١–٧٤ .
من (٤) إلى (٧) عن طبعة كاليفورنيا .

الأحمر من الألوان فى عمره[1] ، منذ علم بكراهيته ، ولم أره منذ تسلطن لبس كاملية بفرو [و][2] سَمُّور [و][3] بمقلب سمور غير مرة واحدة ؛ وأما[4] الركوب بالسرج الذهب والكُنْبُوش الزَّرْكَش فلم يفعله إلا يومَ ركوبه بأبهة السلطنة لا غير ، وكان ما يلبسه أيام الصيف ؛ وما على فرسه من آلة السرج وغيره ، لا يساوى عشرةَ دنانير مصرية ، وكان معظَّماً للشريعة محبا للفقهاء وطلبة العلم ، وما وقع منه من الإخراق ببعضهم وحبسهم بمجلس المَقْشَرَة ، فلا تقول : كان ذلك بحق ، بل تقول : الحاكم يجتهد ، ثم يقع منه الصواب والخطأ ، فإن كان مافعله بحق فقد أصاب وإن كانت الأخرى فقد أخطأ وأعيب عليه ذلك . [الطويل]

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلُّها كفى المرء فخراً أن تُعدَّ معايبُهُ

وكان معظَّماً للسادة الأشراف ، وكان يقوم لمن دخل عليه من الفقهاء والفقراء كائناً من كان ، وإذا قرأ[5] [١٦٧] عنده [أحد][6] فاتحة الكتاب ، نزل عن مُدَوَّرَتِهِ ، وجلس على الأرض إجلالا لكلام الله تعالى .

وكان كريماً جدا ، يجود بالمال ، حتى نُسب إلى السرف ، وكان يُنعم بالعشرة آلاف دينار إلى مادونها ، وكان ممن أنعم عليه بعشرة آلاف دينار ، الأتابكُ قَرْقَمَاسُ الشعبانى ، وأما دون ذلك من الألف إلى المائة ، فدواماً طولَ دهره ، لا يُعلُّ من ذلك ، حتى أنه أتلف فى أيام سلطنته من الأموال ، مالا يدخل تحت حصرٍ كثرةً ؛ ويكفيك أنه بلغت نفقاتُه على المماليك وصِلاتُ[7] الأمراء والتراكين وغيرهم ، وفى أثمان مماليك اشتراهم ، وتجاريد جرّدها ، فى مدةٍ أولُها موتُ الملك الأشرف بَرْسْباى ، وآخرُها سلخُ سنة أربع وأربعين وثمانمائة ، وذلك مدة ثلاث سنين ، مبلغَ ثلاثة آلاف ألف

(١) فى ا (علمه) .
(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (وأمر) .
(٥) فى ا (قرى) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (وصلاه) .

دينار ذهباً مصريا ، وذلك خلاف الخِلَع والخيول والقماش والسلاح والغلال ، وخلاف جَوَامِك المماليك ورواتبهم المعتادة .

وكان لايلبس إلا القصير من الثياب ، ونهى الأمراء وأكابر الدولة وأصاغرها عن لبس الثوب الطويل ، وأمعن فى ذلك ، حتى أنه بَهْدَل بسبب ذلك جماعةً من أعيان الدولة ، وعاقب جماعةً من الأصاغر ، وقَصّ أثواب آخرين فى الملأ من الناس ، وكان أيضا يوبخ من لايحفّ شاربَه من الأَتراك وغيرهم ؛ وفى الجملة أنه كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مع سرعة استحالة ، وحدة مزاج ، وبطش . وكان غالبُ ما يقع منه من الإخراق بالناس ، يكون بحسب الواسطة من حواشيه ، فإنه كان مهما ذكروه[1] له قَبِلَه منهم ، وأَخَذه على طريق الصدق والنصيحة ، لسلامة باطنه ، وأيضا على قاعدة الأَتراك من كون الحق عندهم لمن سبق .

وبالجملة فكانت محاسنُه أكثرَ من مساوئه ، وهو أصلح من وَلِى مُلْك مصر من طائفته ، فى أمر الدين والتقوى ، فإنه كان قَمَع المفسدين والجبارين من كل طائفة ، وكسدت فى أيامه أحوال أرباب الملاهى والمغانى ، وتَصَوْلَح غالبُ أمرائه وجنده ، وبقى أكثرُهم يصوم الأيامَ فى الشهر ، ويعف عن المنكرات ؛ كل ذلك مراعاةً لخاطره ، وخوفا من بطشه ، وهذا كله بخلاف ما كان عليه كثير من الملوك السالفة ، فإنه كان غالبُهم يقع فيما يُنْهَى عنه ، فكيف يصير للنهى عنه بعد ذلك محل[2] ؟ ومن عظم ذلك ، قال بعض الفضلاء الظرفاء : « نابَتْ هذه الدولةُ عن الموت ، فى هدم اللذات والأيام الطيبة » . ولم يبق فى دولته ممن يتعاطى المسكرات إلا القليل ، وصار الذى يفعل ذلك يتعاطاه فى خفية ، ويرجفه فى تلك الحالة صفير الصافر .

وكانت صفته قصيراً ، للسمن أقرب ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، صبيح الوجه ، منوّر الشيبة ، فصيحاً باللغة التركية ، وباللغة العربية لا بأس به بالنسبة لأبناء جنسه ؛ وكان له

(١) فى ا (ذكر) .
(٢) فى ا (محل) .

اشتغال فى العلم ، ويستحضر مسائلَ جيدة ، ويبحث مع العلماء والفقهاء ، ويلازم مشايخ القراءات ويقرأ عليهم دواماً ، وكان يقتنى الكتبَ النفيسة ، ويعطى فيها الأثمانَ الزائدة عن ثمن المثل ، وكان يحبُّ مجالسة الفقهاء ، ويكره اللهو والطرب ، ينفر منهما بطبعه ، وكان يتجنب المزاح وأهله ، ولا يميل للتجمل فى الملبس ، ويكره من يفعله فى الباطن . وكانت أيامُه آمنة من عدم الفتن والتجاريد ، ولشدة حرمته . وخلّف من الأولاد الذكور واحـــداً ، وهو ولدُه الملكُ المنصور عثمان ، وأمُّه أم ولد رومية ، وابنتين : الكبرى أمها خوند مُغْل بنت القاضى ناصر الدين بن البارزى ، وزوّجها السلطانُ لمملوكه أزْبَك من ططخ الساقى ، والصغرى بِكر ، وأمها أم ولد جاركسية ماتت قديماً .

ذِكر من عاصره من الخلفاء : أولهم أميرُ المؤمنين المعتضدُ بالله أبو الفتح داوْد ، إلى أن توفى يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول ، سنة خمس وأربعين ، حسبما يأتى ذكرُه فى الوفيات هو وغيره ؛ والمستكفى بالله سليمان ، إلى أن مات فى يوم الجمعة [ثانى محرم][1] سنة خمس وخمسين ، والقائمُ بأمر الله حمزة ؛ والثلاثةُ إخوة .

ذكر قضاته بالديار المصرية : الشافعية : الحافظُ شهابُ الدين بن حجر ، غيرَ مرة ، إلى أن توفى وهو معزول فى سنة اثنتين [١٦٨] وخمسين وثمانمائة ، وقاضى القضاة علم الدين صالح البلقينى غيرَ مرة ؛ ثم قاضى القضاة شمسُ الدين محمد القاياتى ؛ إلى أن مات فى أوائل سنة خمسين ؛ ثم قاضى القضاة ولىُّ الدين محمد السَّفطى ، وعُزل وامتُحن ؛ ثم قاضى القضاة شرفُ الدين يحيى المناوى .

والحنفيةُ : شيخُ الإسلام سعدُ الدين سعد الديرى ، وَلِىَ فى الدولة العزيزية ومات الملكُ الظاهر وهو قاض .

والمالكيةُ : العلامةُ قاضى القضاة شمسُ الدين محمد البساطىّ إلى أن مات فى ليلة ثالث عشر شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين ؛ ثم قاضى القضاة بدر الدين محمد

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

ابن التَّنِّسِي ، إلى أن مات بالطاعون فى أواخر يوم الأحد ثانى عشر صفر سنة ثلاث وخمسين ؛ ثم قاضى القضاة ولى الدين محمد السنباطى ، ومات وهو قاض .

الحنابلةُ : شيخ الإسلام محبُّ الدين أحمد البغدادى ، إلى أن مات فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وأربعين ؛ ثم قاضى القضاة بدرُ الدين محمد بن عبد المنعم البغدادى ، ومات وهو قاض رحمه الله .

ذِكر من وَلِىَ فى أيامه الوظائف السنية من الأمراء :

وظيفة الأتابكية بالديار المصرية : وَلِيها من بعده الأتابك قرقماس الشعبانى الناصرى أياماً يسيرة دون نصف شهر ، ثم من بعده الأتابكُ آقبغا التمرازى أشهراً ، ونُقل إلى نيابة دمشق ، ومات فى سنة ثلاث وأربعين بدمشق . ثم الأتابك يشبك السودونى المعروف بالمُشِدّ ، إلى أن مات فى سنة تسع وأربعين ، ثم الأتابكُ إينال العلائى الناصرى .

وظيفة إمرة سلاح : وَلِيها آقبَغَا التمرازى أياما يسيرة ، ثم من بعده يَشْبَك السودونى المقدم ذكره أشهراً ؛ ثم تمراز القرمشى أمير سلاح ، إلى أن توفى بالطاعون فى صفر سنة ثلاث وخمسين ؛ ثم جَرِباش الكَرِيمى المعروف بقاشق .

وظيفة إمرة مجلس : وليها يشبك السودونى أياماً ، ثم جَرِباش الكريمى قاشق سنين ، ثم تم مِن عبد الرزاق المؤيدى .

وظيفة الأميرآخورية الكبرى : وَلِيها تمراز القرمشى أشهراً ، ثم الأميرُ قراخجا الحسنى سنين إلى أن مات بطاعون سنة ثلاث وخمسين ، ثم قانى باى الجاركسى[1]

وظيفة رأس نوبة النوب : [وليها تمراز القرمشى ، ثم من بعده قَرَاخُجَا الحسنى ، ثم][2] تمُرْباى التمربغَاوى [إلى أن مات بطاعون سنة ثلاث وخمسين[3]] ، ثم أسَنْبغَا الناصرى الطيارى .

(١) مستدركة بهامش ا .
(٢) ، (٣) عن طبعة كاليفورنيا .

وظيفة حجوبية الحجاب : باشرها يَشْبَك السُّودونى أياماً ، ثم من بعده تَغرى بَرْدى البَكْلَمْشى المؤيّدى أشهراً ، ثم تَنْبَك البَرْدبكى الظاهرى برقوق سنين ، إلى أن نُفى فى سنة أربع وخمسين إلى دمياط ، ثم خشقدم مِن ناصر الدين المؤيدى .

وظيفة الدوادارية الكبرى : باشرها فى أيام[1] أوائل دولته أرْكَماس الظاهرى أشهراً إلى أن نُفى إلى ثغر دمياط ، ثم من بعده تغرى بردى المؤيدى البكلمشى ، إلى أن مات فى سنة ست وأربعين ، ثم إينال العلائى الناصرى ، إلى أن نُقل منها إلى الأتابكية ، ثم قانى باى الجاركسى ، إلى أن نقل إلى أمير آخورية ، ثم دُولات باى المحمودى المؤيدى إلى أن [قُبض عليه فى دولة المنصور عثمان][2].

ذكر أعيان مباشرى دولته :

كتابة السر : باشرها الصاحبُ بدرُ الدين بن نصر الله أشهراً ، ثم المقر الكمالى ابنُ البارزى إلى أن مات [فى][3] يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ست وخمسين ، ثم القاضى محب الدين بن الأشقر .

وظيفة نظر الجيش : الزينى عبد الباسط بن خليل الدمشقى إلى أن مُسك وصودر ، ثم القاضى محب الدين بن الأشقر ، ثم القاضى بهاء الدين محمد بن حجى ، ثم ابن الأشقر ثانيا ، إلى أن نقل إلى كتابة السر ، ثم عظيمُ الدولة الجمالى يوسف مضافاً إلى نظر الخاص وتدبير المملكة .

وظيفة[4] الوزارة : باشرها الصاحبُ كريمُ الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخات سنين ، ثم الصاحبُ أمينُ الدين إبراهيم بن الهَيْصَم أيضاً سنين ، ثم الأميرُ تَغْرى بردى القَلاوى الظاهرى جقمق .

---

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) مستدركة بهامش ا ، انظر كذلك الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

وظيفة نظر الخاصّ : باشرها المقر الجمالى من الدولة الأشرفية برسباى إلى يوم تاريخه .

وظيفة الأستادّارية : باشرها جانبك الزينى عبدُ الباسط أشهراً ، ثم الناصرى محمدُ بن أبى الفرج نقيبُ الجيش ، ثم الأمير قِيز طُوغان العلائى ، ثم الزينى عبدُ الرحمن ابن الكُويز ، ثم زين الدين يحيى بن[1] الأشقر المعروف بقريب ابن أبى الفرج .

ذكر أمرائه بمكة والمدينة :

أمراء مكة [المشرفة][2] : الشريف بركات بن حسن بن عجلان إلى أن عُزل ، ثم وَلِيها أخوه الشريفُ على بن حسن بن عجلان ، إلى أن قُبض عليه وحمل إلى القاهرة، ثم وَلِيها أخوه الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان إلى أن عزل ، وأعيد الشريفُ بركات بن حسن بن عجلان .

ذكر[3] [١٦٩] [أمراء][4] المدينة الشريفة[5] : [الشريفُ][6] أميان إلى أن عُزل، ثم الشريفُ سليمان بن غُرَير إلى أن قُتل، ثم الشريفُ ضيغم إلى أن قُتل أيضا ، ثم أعيد الشريفُ أميان ثانيا إلى أن توفى سنة خمسين وثمانمائة ؛ وولى بعدَه الشريف زبيرى بن قيس .

ذكر نوابه بالبلاد الشامية :

فبدمشق : الأميرُ إينال الجَكَمى إلى أن عصى[7] وقُتل ، ثم الأتابك آقبغا التمرازى إلى أن توفى سنة ثلاث وأربعين ، ثم الأميرُ جُلْبَان الأميرآخور .

وبحلب : الأمير حسين بن أحمد المدعو تغرى بَرْمَش البَهَسْنى[8] التركمانى إلى أن عصى وقُتل ، ثم جُلْبَان الأمير آخور المقدم ذكره ، ثم قانى باى الحمزاوى إلى أن عُزل

---

(١) ، (٣) ، (٥) هذه الكلمات ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) ، (٤) ، (٦) إضافات عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (مضى) .
(٨) نسبة إلى مدينة بهسنا من أعمال حلب .

ثم برسباى الناصرى الحاجب ، ثم قانى باى البهلوان إلى أن مات ، ثم تَنَم من عبد الرزاق المؤيدى إلى أن عُزل ، وأعيد قانى باى الحزاوى ثانياً .

وبطرابلس : الأميرُ جُلْبان الأمير آخور أشهراً ، ونقل إلى نيابة حلب ، ثم قانى باى الحزاوى ، ثم برسباى الناصرى الحاجب ، ثم يشْبَك الصوفى المؤيدى إلى أن عزل ونُفى إلى دمياط ، ثم يشبك النوروزى .

وبحماه : قانى باى الحزاوى أشهراً ، ثم بَرْدبك العجمى الجَكَمى إلى أن عزل وحبس بالإسكندرية ، ثم الأمير قانى باى الناصرى البهلوان[1] ، ثم شاد بك الجكمى إلى أن عُزل وتوجه إلى القُدس بطالا ، ثم الأمير يشْبك الصوفى المؤيدى ، ثم الأمير تَنَم مِن عبد الرزاق المؤيَّدى ، ثم بَيْغُوت الأعرج المؤيَّدى ، ثم سُودون الأبو بكرى المؤيَّدى أتابكُ حلب إلى أن عُزل، ثم حاج إينال الجَكَمى .

وبصَفَد : الأميرُ إينال العلائى الناصرى الذى تسلطن ، إلى أن عُزل وقدم القاهرةَ أميرَ مائةٍ ومُقَدَّمَ ألفٍ بها ، ثم قانى باى الناصرى البَهْلوان أتابكُ دمشق ، ثم بَيْغوتُ مِن صَفَر خُجَا الأعرج المؤيَّدى ، ثم يَشْبَك الحزاوى نائب غزة إلى أن تُوفى ، ثم أعيد بَيْغُوت ثانياً بعد أمور وقعت له .

وبغزة : طُوخ مازِى الناصرى إلى أن مات ، ثم طُوخ الأبو بكرى المؤيَّدى إلى أن قُتل ، ثم يَلْخُجا الساقى الناصرى إلى أن مات ، ثم حطط [الناصرى فرج][2] إلى أن عُزل ، ثم يَشْبَك الحزاوى دَوَادار السلطان بحلب ، ثم طُوغان العثمانى [ألطُنْبغَا][3] إلى أن تُوفى ، ثم خير بك النَّوْرُوزى إلى أن عُزل ، ثم جانِبَك التاجى المؤيَّدى .

وبالكَرَك : الصاحبُ غرس الدين خليل [بن][4] شاهين الشَّيْخى إلى أن عُزل ،

---

(١) البهلوان لقب أطلق على كثير من المماليك ، ومعناه المتقدم فى الصراع والمنازلة (راجع الضوء اللامع ﺟ ٣ ص ٧٦) .

(٢) ، (٣) عن الضوء اللامع .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم آقبغا من مامش الناصرى [فرج](١) التركمانى، [إلى أن عزل](٢) وحبس، ثم مازى الظاهرى برقوق إلى أن عزل، ثم حاج إينال الجكمى، ثم طوغان السيفى آقبردى المنقار.

ذكر زوجاته أيامَ سلطنته: أما قبل سلطنته فكثير جدا، وأولهم (كذا) فى أيام سلطنته، خوند مغل بنت البارزى، تزوجها قبل سنة ثلاثين، وطلقها فى سنة اثنتين وخمسين؛ ثم زينب جرباش الكريمى قشق، ومات عنها؛ ثم شاه زاده بنت ابن عثمان ملك الروم، وطلقها فى سنة أربع وخمسين؛ ثم نفيسة بنت ناصر الدين [بك](٣) ابن دلغادر ماتت فى سنة ثلاث وخمسين بالطاعون؛ ثم بنت حمزة بك بن ناصر الدين ابن دلغادر؛ ثم بنت كرتباى الجاركسية، قدم بها أبوها من بلاد الجاركس، وأسلم على ما قيل، ثم عاد إلى بلاده؛ ثم بنت زين الدين عبد الباسط، ولم يزل بكارتها، تزوجها بعد موت أبيها فى سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

(١) عن الضوء اللامع.

(٢)، (٣) عن طبعة كاليفورنيا.

السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر[١] جقمق

على مصر

وهى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

على أن الملكَ العزيزَ يوسف بن الملك الأشرف بَرْسباى ، حكم منها إلى تاسع عشر شهر[٢] ربيع الآخر ، ثم حكم الملكُ الظاهرُ فى باقيها ، وهى أول سلطنته على مصر على كل حال .

وفيها ، أعنى سنة اثنتين وأربعين ، توفى حافظُ الشام ومحدثُه شمسُ الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن على القيسى الدمشقى الشافعى المعروف بابن ناصر الدين ، بدمشق ، فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر ، ومولدُه فى محرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وسمع الكثير وطلب الحديث ، ودأب وحصّل وكتب وصنّف ، وصار حافظَ دمشق ومحدثَه إلى أن مات .

وتوفى الأميرُ صفى الدين جوهر بن عبد الله الجُلْبَانى ، الحبشى الزِّمَام ، المعروف باللالا ، فى يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الأولى ، عن نحو ستين سنة تخميناً ، وكان أصلهُ من خُدّام الأمير [عمر بن][٣] بهادُرْ المشرف ، وأنعم به على أخته زوجة الأمير [١٧٠] جُلْبَان الحاجب ، فأعتقه جُلْبَان ، ودام بخدمته حتى مات . وماتت سِتُّه ، زوجةُ الأمير جُلبَان الحاجب ، فاتصل بعدهما بخدمة الملك الأشرف بَرْسْباى قبل سلطنته ، ودام عندَه إلى أن تسلطن ، فرقّاه وجعله لالاة ابنِه [الأكبر][٤] المقام الناصرى محمد ، ثم من بعده لالا ابنِه الملك العزيز يوسف ، ثم ولاه زِماماً ، بعد موت الطَّوَاشى خُشْقَدَم الرومى الظاهرى فى جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، فاستمر فى وظيفته زِماماً ، إلى أن تُوفى الملكُ الأشرف ، وملَكَ ولدُهُ الملكُ العزيز

(١) ، (٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) من الضوء اللامع .

يوسف ، ثم خُلع العزيزُ وتسلطن الملكُ الظاهرُ جَقْمَق ، فأمسكه وهو مريض ، وصادره وعزله ، وولّى[1] عوضَه زِمَامًا ، الطواشىَّ الرومىَّ فيروزَ الساقى الجاركسى ، فلم تطل أيامُ جَوْهر المذكور بعد ذلك ، ومات ؛ وكان من رؤساء الخُدام حشمةً وعقلا ودينًا وكرمًا ، وهو صاحب المدرسة والدار بالصَّنْم بالقرب من قلعة الجبل[2] .

[و] توفى[3] قاضى القضاة علاّمةُ عصره شمسُ الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان البساطى المالكى ، قاضى قضاة الديار المصرية ، وعالمُها ، فى ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رمضان ، ومولدُه [فى][4] محرم سنة ستين وسبعمائة ، ومات وقد انتهت إليه الرئاسةُ فى المعقول والمنقول ، وكان منشأه بالقاهرة ، وبها تفقّه ، وطلب العلم ، واشتغل على علماء عصره حتى برع فى علوم كثيرة ، وأفتى ودرّس ، وتصدّى للاشتغال سنين كثيرة ، وبه تخرّج غالبُ علماء عصرنا ، من سائر المذاهب ، وأول ما وَلِيَه من الوظائف : تدريس المالكية بمدرسة جمال الدين الأستادّار ، وناب فى الحكم عن ابن عمة قاضى القضاة جمال الدين البساطى سنين ، ثم استقل بالقضاء فى الدولة المؤيّدية شيخ ، بعد جمال الدين البساطى المذكور ، فباشر القضاء نحو عشرين سنة ، إلى أن مات قاضيًا .

[وفيه][5] قُتل الأميرُ سيف الدين قَرْقَمَاس بن عبد الله الشعبانى الناصرى المعروف بأهرام ضاغ ، بثغر الإسكندرية ، حسبما يأتى ذكره . كان أصله من كتابية الملك الظاهر برقوق ، فيما أظن ، ثم أخذه الملكُ الناصر وأعتقه ، وجعله خاصّكيًّا ، ثم صار دَوَادارًا فى الدولة المؤيّدية شَيْخ ، من جملة الأجناد ، إلى أن أمّره الأميرُ طَطر عشرةً ، ثم صار أميرَ طبلخاناة ودوادارًا ثانيا فى أوائل الدولة الأشرفية ، وأجلس النقباء على بابه ، وحكم بين الناس — ولم يكن ذلك بعادة : أن يحكم الدوادارُ الثانى

(١) فى ا (وولا) .
(٢) راجع الضوء اللامع ج ٣ ص ٨٤ .
(٣) ، (٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

بين الناس — ثم أنعم عليه الملكُ الأشرف بَرْسْباى بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بالديار المصرية فى سنة ست وعشرين ، وتولى الدوادارية الثانية بعده جانِبَك الخازندار الأشرفى ، ثم وجّهه إلى مكةَ المشرّفة شريكاً لأميرها الشريف عِنَان ابن مُغَامِس بن رُمَيْثَة الحسَنى ، فأقام بمكةَ مدة ، ثم عاد إلى القاهرة ، بعد أن أعيد الشريفُ حسن بن عَجْلان إلى إمرة مكة ، ومات حسن ، وتولى ابنُه الشريفُ بركات .

وقدم قَرْقَمَاس المذكور إلى مصر ، على إمرته ، أميرَ مائةٍ ومقدمَ ألفٍ ، ودام على ذلك سنين ، إلى أن استقر حاجبَ الحجاب بالديار المصرية ، بعد الأمير جَرِبَاش الكَرِيمى قاشق ، بحكم انتقال جَرِبَاش إلى إمرة مجلس ، فباشر الحجوبية بحرمة زائدة [وعظمة وبطش فى الناس بحيث هابه كل أحد][(1)] ، وصار يخلط فى حكوماته ما بين ظلم وعدل ، ولين وجبروت ، إلى أن استقر فى نيابة حلب بعد الأمير قَصْرُوه مِن تِمْراز الظاهرى برقوق ؛ بحكم انتقاله إلى نيابة دمشق ، بعد موت الأمير جَارِقُطْلُو ، فى حدود سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ، فباشر نيابةَ حلب مدة تزيد على السنة ، وعُزل عنها ، بعد أن أبدع فى المفسدين بها ، وأشيع [الخبر][(2)] عنه بالخروج عن الطاعة .

وقَدم إلى القاهرة على النُّجُب ، بطلبٍ من السلطان ، وخلع عليه باستقراره أميرَ سلاح ، بعد الأمير جَقْمَق العلائى صاحب الترجمة ، بحكم انتقال جقمق للأتابكية ، عوضاً عن إينال الجَكَمى ، بحكم استقرار الجَكَمى فى نيابة حلب ، عوضا عن قَرْقَمَاس المذكور ، فاستمر أميرَ سلاح مدة ، وتجرد إلى البلاد الشامية مقدمَ العساكر ، ومعه سبعة أمراء من مقدمى الألوف ، فى سنة إحدى وأربعين ؛ وقد تقدم ذكرُ ذلك كله ، فى ترجمة الملك الأشرف وغيره من هذا الكتاب ؛ [١٧١] وإنما نذكره هنا ثانيا لينتظم سياق الكلام مع سياقه .

---

(١) من الضوء اللامع .

(٢) من طبعة كاليفورنيا .

ومات الملكُ الأشرف فى غيبته ، ثم قدم القاهرةَ مع رفقته ، وقد ترشح الأتابكُ جَقْمَق للسلطنة ، وسكن بابَ السلسلة من الإسطبل السلطانى ، وكان حريصا على حب الرئاسة ، فلما رأى أمرَ جَقْمَق قد استفحل كاد يهلك فى الباطن ، وما أمكنه إلا الموافقة ، وقام معه حتى تسلطن ، ثم وثب عليه حسبما تقدم ذكره ، بعد أربعة عشر يوما من سلطنة الملك الظاهر جقمق ، وقاتَلَه ، وانكسر بعد أمور حكيناها فى أصل هذه الترجمة ، وهرب ثم ظهر وأُمسك وحُبس[1] بسجن الإسكندرية ، إلى أن ضُربت رقبته بالشرع فى ثغر الإسكندرية ، فى يوم الاثنين ثانى عشر جمادى الآخرة .

وكان قرقماس أميرًا ضخما شجاعا مقداما عارفا بفنون الفروسية ، وعنده مشاركة بحسب الحال ، إلا أنه كان فيه ظُلم وعَسف وجَبَروت ، وكان مع شجاعته وإقدامه ، لا يَنتُج أمرُه فى الحروب ، لعدم موافقة رجليه ليديه ، فإنه كان إذا دخل الحرب ، يبطل عمل رجليه فى تمشية الفَرس ، لشغله بيديه ، وهو عيب كبير فى الفارس ؛ وشُهر ذلك عن جماعة من الأقدمين من فرسان الملوك ، مثل الأتابك إينال اليوسفى ، ويونس بَلْطا نائب طرابلس وغيرهما — انتهى .

ومعنى « أهرام ضاغ » أى جبل الأهرام ، سمى بذلك قديما لتكبره وتعاظمه .

وتوفى القاضى عَلَمُ الدين أحمد بن تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن كمال الدين محمد بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدر الإخْنَائى[2] المالكى ، أحد فقهاء المالكية ، ونواب الحكم بالقاهرة ، فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان ؛ وكان مشكور السيرة عفيفا عما يرمى به قضاة السوء .

وتوفى قاضى القضاة بدمشق المالكى محيى الدين يحيى بن حسن بن محمد

---

(١) فى ا (وسجن) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، والمعنى واحد .

(٢) فى ا (الإخنائى) . والإخنائى نسبة لمدينة إخنا أو أخنو Agnou ؛ وقد ذكرها صاحب التحفة السنية باسم أخنَويه لزلاقة ، ضمن الأعمال الغربية (معجم البلدان حـ ١ ص ١٥٣ — ١٥٤ ؛ التحفة السنية ص ٦٤ راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤ من النجوم الزاهرة حـ ١١ ؛ القاموس الجغرافى حـ ١ ص ١٣) .

[ابن عبد الواسع الحيوى][(١)] الحيحانى[(٢)] المغربى فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة، وكان دينا عفيفا حسن السيرة فى أحكامه.

وتوفى السيد الشريف أحمد بن [حسن][(٣)] بن عجلان، المكى الحسنى، بعد ما فارق أخاه الشريفَ بركات بن حسن، وسافر[(٤)] إلى اليمن، فمات بزَبِيد.

وتُوفى الأتابكُ إينال بن عبد الله الجَكَمى نائبُ الشام قتيلا بقلعة دمشق، فى ليلة الاثنين ثانى عشرين ذى القعدة؛ وقد قدَّمنا من ذكره فى أول ترجمة الملك الظاهر هذا وغيره نبذة كبيرة، تُعرِّف منها أحواله؛ غير أننا نذكر الآن سببَ ترقِّيه لا غير: فأصلُه من مماليك الأمير جَكَم مِن عَوَض الظاهرى المتغلِّب على حلب، وخدمَ من بعدِ[(٥)] أستاذِه المذكور[(٦)] عند الأمير سُودون [الظاهرى برقوق، ويعرف بسودون][(٧)] بُقْجَة، وصار خازنداره، ثم اتصل بخدمة الملك المؤيَّد شيخ، فلما تسلطن شيخٌ، جعله ساقيًا، ثم أمسكه وعاقبه عقوبةً شديدة لأمر أوجب ذلك؛ ثم نفاه إلى البلاد الشامية، ثم أعاده بعد وقعة قانى باى نائب الشام، وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم جعله أميرَ طَبْلَخَانَاة وشادَّ الشراب خَانَاة، ثم أنعم عليه الأمير طَطر بإمرة مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بالديار المصرية، وولاّه رأسَ نَوْبة النُّوَب، ثم نائبَ حلب، ثم عزله بعد شهر وأيام وجعله أميرَ سلاح.

ثم قُبض عليه مع[(٨)] من قُبض عليه من الأمراء المؤيَّدية وغيرِهم، كل ذلك فى مدة يسيرة؛ وحُبس مدةَ سنين إلى أن أطلقه الملكُ الأشرف بَرْسْباى بشفاعة

---

(١) عن الضوء اللامع.
(٢) الحيحانى نسبة إلى حيحانة وهى بلدة بالمغرب (الضوء اللامع ح ١٠ ص ٢٢٥).
(٣) عن طبعة كاليفورنيا.
(٤) فى طبعة كاليفورنيا (وسار)، والمثبت عن ا.
(٥) فى ا (بعداد).
(٦) فى ا (المذكور).
(٧) عن الضوء اللامع.
(٨) فى ا (على).

الناصرى محمد بن مَنْجَك ، ووجَّهه إلى الحجاز ، ثم عاد وأقام بالقدس بَطَّالاً ، إلى أن طلبه الملكُ الأشرف إلى مصر ، وأنعم عليه بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألف ، عوضًا عن الأتابك يبغا[1] المظفرى [التركى][2] بحكم القبض عليه ، وذلك فى سنة سبع وعشرين ؛ ثم جعله أميرَ مجلسٍ سنين ، ثم نقله إلى إمرةِ سلاحٍ بعد موت إينال النَّوْرُوزى ، ثم جعله أتابكاً بعد سودون مِن عبد الرحمن ، وهو على إقطاعه ، ولم ينعم السلطان عليه بإقطاع الأتابكية .

فدام على ذلك مدةً طويلة ، إلى أن خَلَع السلطانُ عليه باستقراره فى نيابة حلب بعد عزل قَرْقَمَاس الشعبانى ، واستقر عوضَه فى الأتابكية الأميرُ جَقْمَق العلائى ، فلم تطل مدتُه فى نيابة حلب ، ونُقل منها بعد أشهر إلى نيابة الشام بعد موت قَصْروه من تِمْراز ، فدام فى نيابة دمشق إلى أن تسلطن الملكُ الظاهر جَقْمَق ، فبايع له أولاً ، ولبس خِلعتَه وباس الأرض ، ثم عصى بعد ذلك ، ووقع ما حكيناه من أمره [١٧٢] فى ترجمة الملك الظاهر جَقْمَق من قتاله لعسكر السلطان وهزيمته والقبض عليه وقتْله .

وكان إينالُ أميرًا جليلا شجاعاً متدماما عاقلا سيُوساً حشماً وقورا كريما رئيسا ، كامل الأدوات كثير الأدب ، مليح الشكل معتدل القد للسِّمن[3] أقرب ، نادرة فى أبناء جنسه ، قلَّ أن ترى العيون مثله ، عفا الله عنه ، ومات وسنه نحو الخمسين[4] سنة[5] تخمينا .

وتوفى الأميرُ سيفُ الدين يخشباى بن عبد الله المؤيَّدى [شيخ][6] ثم الأشرفى [بَرْسباى][7] ، أميرُ آخور الثانى قتيلا ، بسيف الشرع ، ضُربت رقبته بثغر الإسكندرية ، وقد تقدم ذكرُ سبب قتله فى أوائل ترجمة الملك الظاهر هذا ، وقُتل

---

(١) فى ا (يلبغا) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا والضوء اللامع .
(٢) عن الضوء اللامع .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (للسمين) .
(٤) فى ا (الخمسون) .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٦) ، (٧) عن الضوء اللامع .

بخشباي وسنه نحو الثلاثين سنة تخمينا . وكان شابا طويلا جميلا ، مليح الشكل عاقلا ، عارفا بأنواع الفروسية ، وعنده فهم وذوق ومعرفة ومحاضرة حسنة ، وتذاكر بالفقه وغيره بحسب الحال ، عوّض الله شبابَه الجنةَ بمنه وكرمه .

وتوفى الأميرُ حسين[1] بن أحمد المدعو تَغرِي بَرْمَشْ نائبُ حلب مضروبَ الرقبةِ بحلب ، في يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة ؛ وأصلُ تغرى برمش هذا من مدينة بَهَسْنَا[2] وجَفَل هو وأخوه حسن — وكان حسنُ الأكبرَ — من بَهَسْنَا في كائنة تيمور لنك ، وقدما بعد ذلك بسنين إلى الديار المصرية ، فخدم أخوه حسن تَبَعًا عند الأمير قَرَا سُنْقُر الظاهري ، وجلس حسين هذا عند بعض الخياطين بالمَصْنَع من تحت القلعة ، ثم انتقل أيضا إلى خدمة قَرَا سُنْقُر [الجمالي][3] لجمال صورته ، ثم انتقل من عند قَرَا سُنْقُر إلى الأمير إينال حَطَب [العلائي][4] ، وصار عنده من جملة مماليكه الكُتَّابية ، إلى أن مات إينال حطب ، فأخذه دَوَادارُه الأميرُ فارس ، وأتى به إلى الوالد .

وكان الوالدُ من جملة أوصياء إينال حَطَب ، فأخذه الوالدُ وجعله إنيًا[5] لمملوكه شاهين أمير آخور ، فجعله شاهينُ في الطبقة ، وسمّاه تَغرى بَرْمَش ؛ ثم أخرج له الوالدُ خيلا وقماشا ، ثم جعله من[6] جملة مماليك أُخر ، وجعله جَمَدَاراً ، فدام على ذلك ، إلى أن تولى الوالدُ نيابةَ دمشق التي مات فيها ، فأفسد تَغْرى بَرْمَش هذا من مماليك الوالد ، مملوكين ، وأخذهما[7] وهرب إلى طَرَابُلُس : أحدهما في قيد الحياة إلى يومنا هذا من جملة المماليك السلطانية ، واسمه أيضا تَغْرِى بَرْمَش الصغير ؛ وبلغ الوالدَ خبرُهما ،

(١) في ا (حسين) .
(٢) بهسنا قلعة حصينة قرب مرعش ، وهي من أعمال حلب (معجم البلدان جـ ٢ ص ٢١٥) .
(٣) مستدركة بهامش ا .
(٤) عن الضوء اللامع .
(٥) راجع ما سبق في شرح هذا المصطلح .
(٦) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .
(٧) في ا (وأخذهم) .

فأمر أن يُكتَب إلى الأمير جانِم نائب طرابلس بالقبض عليهم الثلاثة وإرسالهم إليه فى الحديد ، نخشى أغاتُهُم شاهين ، الأمير آخور عليهم ، من الضرب والإخراق ، فسأل الوالدَ أنه يسافر إليهم ويقبض عليهم ويأتى بهم ، فرسم له الوالدُ بذلك .

وتوجه شاهينُ إليهم ، فوجدهم بقاعة فى طرابلس ، فنزل عن فرسه ودخل عليهم استخفافا بهم ، فخالَ ما وقع بِصَرِهِم[1] عليه ، هرب تَغْرى بَرْمَش الصغير ويوسف ، ووثب تغرى برمش ليهرب ، فلحقه شاهين ، فجذب سيفه وضرب شاهينَ به فقتله ، ثم هرب ، فكتب الأميرُ جانم نائبُ طرابلس محضراً بواقعة الحال ، وأرسله إلى الوالد ، ومع المحضر يوسف وتغرى برمش الصغير ؛ وهرب تَغْرِى بَرْمَش هذا ، فرسم الوالدُ بتحصيل تَغْرِى بَرْمَش المذكور وشنقه . وكان الوالد مشغولا بمرض موته ، ومات بعد مدة يسيرة .

وخدم تَغْرِى بَرْمَش هذا عند الأمير طُوخ [الظاهرى برقوق ، ويقال له طُوخ][2] بطيخ نائب حلب ، وترقى عنده ، وصار رأسَ نوبته ، ثم خدم بعده عند جَقْمَق الأرْغُون شاوِى الدَّوَادار ، وصار أيضا رأسَ نَوْبَتِهِ ثم دَوَادارَه فى آخر أيامه ؛ وكان لجقمق دوادارٌ آخر ، يسمى إينال [الحمار][3] فكان جَقْمَق يقول : « دَوَادارِىَّ : الواحد حمار والآخر ثور » .

ثم مشى حال تَغْرى برمَش بعدُ عند أبناء جنسه ؛ وسببُه أنه لما انكسر أستاذُه جَقْمَق فى دمشق ، وتوجَّه إلى بعض قلاع الشام ، وتحصّن بها ، إلى أن أُنزِل منها وقُتِل بدسيسة من تَغرى برمَش هذا ، فأنعم عليه طَطر بإمرةِ عشرةٍ بالقاهرة ، ثم جعله الملكُ الأشرف أميرَ طبلخاناة ، ونائبَ قلعةِ الجبل ، ثم أنعم عليه بتقدمةِ ألفٍ فى سنة سبع وعشرين ، ثم جعله نائبَ غَيْبَتِهِ بديارِ مصر لما سافر لآمِد ، ثم جعله أميرَ آخور كبيراً بعد الأمير جَقْمَق العلائى ، بحكم انتقال جقمق إلى إمرة سلاح ؛

(١) فى ا (بصره) .
(٢) عن الضوء اللامع .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

ثم ولاه نيابةَ حلب بعد عزْل قَرْقَماس الشعبانى [١٧٣] عنها[١] فدام بحلب إلى أن تسلطن الملكُ الظاهر جَقْمَق ، فبايعه ولبس خِلعتَه ، ثم عصى بعد ذلك — ولَيتَ المخولَ عصى أولا قبل مبايعته ، فكان يصير له عُذر فى الجملة ! — ثم وقع له بعد عصيانه ما حكيناه فى ترجمة الملك الظاهر جَقْمَق ، إلى أن انكسر وأُمسك ، ثم ضُربت رقبتُه تحت قلعة حلب ، وسنُّه نحو الخمسين .

وكان تَغْرِى بَرمَش رجلا طوالا مليح الشكل عاقلا مدبرا كثير الدهاء والمكر ، وكان يجيد رمىَ النشاب ولعب الكرة ، وكان عارفا بأمور دنياه وأمر معيشته ، متجملا فى مركبه وملبسه ومماليكه ، إلا أنه كان بخيلا شحيحا حريصا على جمع المال ، قليلَ الدين لا يحفظ مسألة تامة فى دينه ، مع قلة فهم وذوق ، وغلاظة طبع ، على قاعدة أوباش التركمان[٢] ، وكان عارياً من سائر العلوم والفنون ، غيرَ ما ذكرنا ، لم أره منذ[٣] عمرى مسك كتاباً بيده ليقرأه ، هذا مع الجبن وعدم الثبات فى الحروب ، وقلة الرأى فى تنفيذ العساكر ؛ وما وقع له مع ناصر الدين بك بن دُلْغَادر فى نيابته على حلب من الحروب والانتصار عليه ، كل ذلك كان بكثرة الشوكة وسَعْد الملكِ الأشرف بَرْسْباى .

وأما لما صار الأمر له ، لم يفلح فى واقعة من الوقائع ، بل صار كلما دبّر أمراً انعكس عليه ، فإنه كان ظَنِّيناً برأىِ نفسِه ، وليس له اطلاع فى أحوال السلف بالكلية ، ولم يستشر[٤] أحداً فى أمره ، فحينئذ خمل وأخمل وتمزقت جميع عساكره وخانه حتى مماليكُه مشترواتُه ، ومع هذا كله ، هو عند القوم فى رتبة عليا من العقل والمعرفة والتدبير ؛ وعذرهم أنه لو لم يكن كذلك [ما][٥] صار أميرا — انتهى .

---

(١) فى ا (منها) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (التراكين) .

(٣) فى ا (فى منذ) .

(٤) فى ا (يستشير) .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا .

ومات تَغْرِى بَرْمَش ، والمَحْضَر المُكْتَتَب عليه بسبب قتله لشاهين ، عندنا . وقد طلبه منى غيرَ مرة وأنا أُسَوِّف به من وقت إلى وقت ، وأبدى له أعذاراً غير مقبولة ، وأُوَرِّى [(1)] له فى كلامى ، فيمشى عليه[(2)] ذلك ويطيب [خاطره][(3)] . إلى أن عصى ، فطلبنى الملكُ الظاهر جَقْمَق ، وسألنى عن المحضر ، قلت : « عندى » ، فكاد يطير فرحا . ثم أخش أمر تَغْرِى بَرْمَش فى الحَلَبِيِّين حتى أوجب ذلك قتله بغير محضر ولا حكم حاكم .

وتوفى الملكُ الظاهر هِزَبْر الدين عبد الله ابن الملك الأشرف إسماعيل بن على بن داوُد بن يوسف بن عمر بن على بن رسول ، التركمانى الأصل ، اليمنى ، صاحب بلاد اليمن ، فى يوم الخميس سلخ شهر رجب ؛ وكانت مدة ملكه اثنتى عشرة[(4)] سنة ؛ وفى أيامه ضعفت مملكة اليمن ، لاستيلاء العربان على بلادها وأموالها ؛ وأقيم بعده فى مُلك اليمن : الملكُ الأشرف إسماعيل وله من العمر نحو العشرين سنة ، فأساء السيرة ، وسفك الدماء وقتل الأمير برقوقاً[(5)] التركى القائم بدولتهم ، فى عدة أخر من الأتراك ، ووقع له أمور كثيرة ، ليس لذكرها هنا فائدة .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم خمسة أذرع وثلاثة وعشرون أصبعا ؛ [مبلغ الزيادة : ثمانية عشر ذراعا وعشرون أصبعا][(6)] .

---

(١) فى ا (وأوارى) .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (اثنى عشر) .
(٥) فى ا (برقوق) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر

أبى سعيد[١] جقمق على مصر

وهى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة .

وفيها توفى الأمير علاء الدين آقبغا بن عبد الله من مامش الناصرى [فرج][٢] التركمانى ، نائب الكرك ، بعد أن عُزل عنها وحبس بقلعتها فى أواخر هذه السنة ، وله نحو ستين[٣] سنة من العمر ، ولم يشتهر فى عمره بدين ولا شجاعة ولا كرم .

وتوفى الأتابك آقبغا التمرازى نائب الشام بها فجاءة ، وهو على ظهر فرسه ، فى صبيحة يوم السبت سادس عشر[٤] شهر ربيع الآخر ، وسنه سبعون سنة تخمينا . وكان خبر موته : أنه ركب من دار السعادة بعد أن انفجر[٥] الفجر من اليوم المذكور ، وسار إلى الميدان ، ولعب [به][٦] الرمح ، وغيّر فيه عدة خيول ، ثم ساق البرجاس[٧] وغيّر فيه أيضا أفراسا كثيرة ، ثم ضرب الكرة مع الأمراء على عدة خيول ، يغيّرها[٨] من تحته ، إلى أن انتهى ، وليس عليه ما يرد البرد عنه ، وسار إلى باب الميدان ليخرج منه ، ومماليكه مشاة بين يديه ، فقال لرأس نوبته : « مُرْ المماليك ليأكلوا السماط » ، ثم مال عن فرسه ، فاعتنقه رأس نوبته المذكور ،

---

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) عن الضوء اللامع .

(٣) فى ا (ستون) .

(٤) مستدركة بهامش ا .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (أذان الفجر ، والمثبت عن ا ؛ والمعنى واحد) .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٧) البرجاس لغويا غرض فى الهواء على رأس رمح أو نحوه ، وهو لفظ مولد ، وهو من أنواع الرياضة (القاموس المحيط ؛ Dozy. op. cit.)

(٨) فى ا (لغيرها) .

وحمله وأنزله إلى قاعة عند باب الميدان ، فمات [١٧٤] من وقته ، ولم يتكلم كلمة واحدة غير ما ذكرناه .

وكان أصله من مماليك الأمير تِمْرَاز الناصرى نائبِ السلطنة فى دولة الناصر فرج ، ونَسَبَهُ تِمْرَازُ أستاذُه بالناصرى ، لأستاذه خواجا ناصرِ الدين ، وقد تقدم ذكره فى الدولة الناصرية ، وخَدَمَ آقْبغَا هذا بعد موته عند الأتابك دِمِرْدَاش المحمدى ثم اتصل بخدمة [الملك][1] المؤيَّد شيخ ، فرقّاه المؤيَّدُ لسيادةٍ كانت له فى لعب الرمح ، وأنعم عليه بإمرةِ عشرةٍ ، ثم طَبْلَخَاناة ، وجعله أميرَ آخورٍ ثانياً ، ثم أنعم عليه الأمير طَطَر بإمرةِ مائةٍ وتقدمة ألفٍ ، وجعله من الأمراء المقيمين بالقاهرة ، لما سافر بالملك المظفر أحمد إلى دمشق ، ثم صار أميرَ مجلسٍ فى أوائل الدولة الأشرفية بَرْسْباى ، ثم وَلِىَ نيابةَ الإسكندرية بعد أَسَنْدَمُر النُّورى[2] الظاهرى [برقوق][3] ، مضافاً على تقدمته ، ثم عُزل بعد سنين وأعيد إلى إمرةِ مجلسٍ ، إلى أن جعله الملكُ الظاهر جَقْمَق أميرَسلاح ، ثم أتابكَ العساكرِ بالديار المصرية ، كلاهما بعد قَرْقَماس الشعبانى ، فباشر الأتابكيةَ أشهراً ، وتولى نيابةَ دمشق لما عصى الأتابكُ إينال الجَكَمى ، وقد تقدم ذكر ذلك كله فى أول ترجمة الملك الظاهر جقمق . هذا ولم تطل مدة نيابته على دمشق سوى أشهر ، ومات .

وكان عارفاً بأنواع الفروسية كلعب الرمح وضرب الكرة وسَوق المحمل والبُرْجَاس ، رأساً فى ذلك جميعه ، إمامَ عصره فى ركوب الخيل ومعرفة تقليبها فى أنواع الملاعيب المذكورة ، انتهت إليه الرئاسةُ فى ذلك بلا مدافعة ، لا أقول ذلك كونَهَ صهرى ، بل أقوله على الإنصاف ، مع دين وعفة عن المنكرات والفروج ، وقيامٍ

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (النوروزى) ، والصواب هو المثبت بالمتن عن الضوء اللامع وطبعة كاليفورنيا .

(٣) عن الضوء اللامع .

ليلٍ وزيارة الصالحين دواماً ، غير أنه كان مِسِّيكاً ، وعنده حِدَّةُ مِزاج ، ولم تكن شجاعتُه فى الحروب بقدر معرفته لأنواع الملاعيب والفروسية ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير سيف الدين طُوخ بن عبد الله الناصرى المعروف بطوخ مازى[(١)] ، نائب غزة ، فى ليلة السبت حادى[(٢)] شهر رجب . وأصله من مماليك [الملك][(٣)] الناصر فرج ، وتأمَّر — بعد موت الملكِ المؤيَّدِ شيخٍ — عشرةً ، وصار فى الدولة الأشرفية بَرْسْباى ، من جملة رؤوس النُّوَب ، ثم ترقى بعد سنين إلى إمرة طبلخاناة وصار رأسَ نوبة ثانيا ، ثم ولِىَ نيابةَ غزة بعد موت آقْبَرْدى القَجْمَاسى فى الدولة العزيزية يوسف ، إلى أن مات ، وكان متوسطَ السيرة منهمكا فى اللذات عارياً من كل علمٍ وفنٍ ، عفا الله عنه .

وتوفى الأمير سيف الدين يَلْبغَا بن عبد الله البهائى الظاهرى نائبُ الإسكندرية بها ، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى ، وهو فى عشر السبعين ، وكان أصله من مماليك [الملك][(٤)] الظاهر برقوق ، وكان يُعرف بيَلْبغَا قَرَاجا ، لأنه[(٥)] كان أسمرَ اللون تركى الجنس . وكان تأمَّر قديماً إمرةَ عشرةٍ ، ودام على ذلك سنين ، إلى أن أنعم عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق بإمرة طبلخاناة والحجوبية الثانية ، عوضا عن أَسَنْبغَا الطَّيَّارى ، ثم ولاّه نيابةَ الإسكندرية ، إلى أن مات بها . وكان من خيار الناس عقلا ودينا وسكوناً وعفة ، مع مشاركة فى الفقه وغيره ، ويكتب الخط المنسوب ، وكان فصيحاً باللغة العربية ، حلوَ الكلام جيدَ المحاضرة ، يذاكر بالأيام السالفة مذاكرة حسنة لذيذة ، وهو[(٦)] أحد من أدركناه من النوادر فى معناه ، رحمه الله تعالى .

---

(١) عرف بطوخ مازى نسبة لأغاته مازى الظاهرى (الضوء اللامع) .

(٢) فى ا (حادى عشر) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا وعما سبق من سياق التواريخ .

(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (إلا أنه) .

(٦) فى ا (وقد) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

وتوفى الأمير سيف الدين قطج[١] بن عبد الله من تِمْراز الظاهرى ، بَطّالا بالقاهرة ، فى يوم الاثنين ثامن عشرين شهر رمضان ، وكان أصله من أصاغر مماليك الظاهر برقوق ، وتأمّر أيضا — بعد موت الملك المؤيّد شيخ — عشرةً ، ثم ترقى إلى أن صار فى الدولة الأشرفية أميرَ مائةٍ ومُقَدَّمَ ألفٍ ، ودام على ذلك سنين ، إلى أن أمسكه الأشرفُ وسجنه بثغر الإسكندرية مدة ، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بحلب ، ثم نقله إلى أتابكيّة حلب ، بعد نقل قانى باى البهلوان ، إلى أتابكية دمشق ، بحكم وفاة تَغْرِى بَرْدِى المحمودى بآمِد ، فدام على ذلك سنين ، إلى أن تسلطن الملكُ الظاهر جَقْمَق ، فقدم القاهرة ، واستعفى من أتابكية حلب ، فأعفى ، يريد بذلك أن يكون من جملة أمراء مصر ؛ فلم يكترث [١٧٥] الملكُ الظاهر بأمره ، ودام بَطّالا إلى أن مات .

وكان يَتَمَفْقَرُ فى حياته ويطلب من الأمراء ، فلمّا مات ، ظهر له مال كبير[٢] ، فأخذه من يستحقه ، ولله درُّ أبى الطيب المتنبى فيما قال فى هذا المعنى : [الطويل]

ومن يُنفق الساعاتِ فى جمع ماله مخافةَ فقْرٍ فالذى فعَلَ الفقرُ

وتوفى الأمير سيف الدين سُودون الظاهرى المغربى أحدُ أمراء العشرات والحجاب ، ثم نائبُ ثغر دِمْياط ، بَطّالاً بالقدس ؛ وكان أيضا من مماليك [الملك][٣] الظاهر برقوق ، وتأمّر عشرةً ، وصار من جملة الحجاب فى الدولة الأشرفية بَرْسْباى ، ثم وَلِىَ نظرَ القدسِ فى بعض الأحيان ، ثم وَلِىَ نيابةَ دِمْياط ، إلى أن أمسكه الملكُ الظاهر وحبسه مدة ، ثم أخرجه إلى القدس بَطّالا ، إلى أن مات .

---

(١) مستدركة بهامش ا .

(٢) وصف السخاوى (الضوء اللامع جـ ٦ ص ٢٢٢-٢٢٣) هذا الأمير فقال : إنه «كان جركسيا كبير اللحية بخيلا جبانا غير محبب إلى الناس ، فكان من الشح المفرط والطمع الزائد بغاية يستحى من ذكرها» .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

وكان ديناً خيرا عفيفا عن القاذورات، عارفا بأنواع الفروسية باجتهاده، فكان خطاؤه[1] فيه أكثر من صوابه، وكان يتفقّه، ويكثر من الاشتغال دواما، لا سيا لما اشتغل فى النحو فضيع فيه زمانه، ولم يحصل على طائل، لقصر فهمه وعدم تصوره، وكان يلح فى المسائل الفقهية ويبحث فيها أشهراً، ولا يرضى إلا بجواب سمعه قديماً من كائن من كان؛ وكان هذا سبب نفيه، فإنه بحث مرة مع الأمير بَكْتَمُر السعدى بحثا، فأجابه بكتمر بالصواب، فلم يرض بذلك سُودون هذا، وألحّ فى السؤال على عادته، فنهره الملكُ الظاهرُ جَقْمَق، وهو يومَ ذاك أمير آخور، وقال له: «أنت حمار!»، واحتدّ عليه، فقال سُودون: «العلمُ ليس هو بالإمرة وإنما هو بالأعلم». فحنق الملكُ الظاهرُ منه أكثرَ وأكثرَ، وانفض المجلس.

وكان فيه أنواع ظريفة فى حكمه بين الناس، منها: أنه يتحقق فى عقله أن الحقّ لا يزال مع الضعيف من الناس، وأن القوىّ لا يزال يجبر الضعيف، فصار كلما دخل إليه خصمان فينظر إليهما، فيكون أحد الأخصام جنديا والآخر فلاحا، والحقُّ مع الجندى، فلا يزال سُودون يميل مع الفلاح ويقوّى كلامَه وحجته، ويوهى كلامَ الجندى ودعواه، حتى يسأل الجندىُّ فى المصالحة، أو يأخذ فلاحَه ويذهب، إن كان له شوكة، هذا بعد أن يوبخ الجندىَّ ويعظه ويحذره عقوبةَ الله عز وجل، ويذكر له أفعال أبناء جنسه من المماليك.

وكان عنده كثرةُ كلام مع نشوفة، ولهذا سمى بالمغربى[2]، فلما تكرر منه ذلك وعرف الناس طبعه، ترامى الضعفاء عليه من الأماكن البعيدة، فانتفع به أناس وتضرر به آخرون؛ على أنه كان غالب اجتهاده فى خلاص الحق على قدر ما تصل قدرته إليه، رحمه الله تعالى.

وتوفى قاضى قضاة حلب علاء الدين على بن محمد بن سعد بن محمد بن على بن عثمان

---

(١) كذا فى الأصل.

(٢) انظر الضوء اللامع جـ ٣ ص ٢٨٣.

الحلبي الشافعى ، قاضى حلب ، وعالمها ومؤرخها ، المعروف بابن خطيب الناصرية[1] ، فى ليلة الثلاثاء تاسع ذى القعدة ، بحلب . ومولده فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة ؛ وكان إماماً عالما بارعا فى الفقه والأصول والعربية والحديث والتفسير ، وأفتى ودرّس بحلب سنين ، وتولى قضاءها ، وقدم القاهرةَ غير مرة ، وله مُصَنّفات منها : كتابهُ المسمى بالمنتخب فى تاريخ حلب ، ذَيَّله على تاريخ ابن العديم ، لكنه لم يسلك فيه ما شرطه فى الاقتداء بابن العديم ، وسكت عن خلائق من أعيان العصر ممن ورد إلى حلب ، حتى قال بعض الفضلاء : « هذا ذيلٌ قصير إلى الركبة » .

وكان ، سامحه الله ، مع فضله وعلمه ، يتساهل فى تناول معاله[2] فى الأوقاف بشرط الواقف وبغير شرط الواقف ، وكان له وظائف ومباشرة فى جامع الوالد بحلب ، فكان يأخذ استحقاقه واستحقاق غيره ، وكان له طُولةُ روحٍ واحتمالٌ زائد لسماع المكروه ، بسبب ذلك ، وهو على ما هو عليه ، ولسانُ حاله يقول : « لا بأس بالذل فى تحصيل المال » . وكان يتولى القضاء بالبَذْل ، ويخدم أرباب الدولة بأموال كثيرة . وملخص الكلام : أنه كان عالما غيرَ مشكور السيرة ، وكان به صمم خفيف .

وتوفى قاضى المدينة النبوية جمالُ الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم ابن أحمد الكازرونى الأصل [١٧٦] المدنى المولد والمنشأ والوفاة ، الشافعى ، فى يوم الأربعاء عاشر ذى القعدة ، ودُفن بالبَقِيع ومولدُه سنة سبع وخمسين وسبعمائة ؛ وكان بارعاً فى الفقه وله مشاركة فى غيره ، وتولى قضاء المدينة فى بعض الأحيان ، ثم ترك ذلك ولزم العلم إلى أن مات .

وتوفى مجدُ الدين ماجد بن النُّحَّال الأسلمى القبطى كاتبُ المماليك السلطانية ،

---

(١) الناصرية هى المدرسة الناصرية التى بدأ بناءها السلطان العادل كتبغا فى الدولة المملوكية الأولى ، وأتمها السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م ، فنسبت إليه ؛ وقد رتب بها دروسا للمذاهب الأربعة ، وقال عنها المقريزى : وأدركت هذه المدرسة وهى محترمة إلى الغاية ، ويجلس بدهليزها عدة من الطواشية ، ولا يمكن غريب أن يصعد إليها » (حسن المحاضرة ـ ٢ ص ١٦٠) .

(٢) فى ا (تعاليمه) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

فى ليلة السبت سادس ذى الحجة ، وكان أصله من نصارى مصر القديمة ، وخدم فى عدة جهات وهو على دين النصرانية ، ودام على ذلك إلى أن أكرهه الأميرُ نَوْرُوز الحافظى على الإسلام ، فأظهر الإسلامَ وأبقى جميعَ ما عنده من القسوة والخدم على دين النصرانية ، وهو والد فرج بن النحال وزير زماننا هذا وأُستادّاره ، ثم قدم ماجدٌ عند الأمير جَقْمَق الدَّوَادار ، ثم ترقى إلى أن وَلِىَ كتابةَ المماليك السلطانية سنين ، إلى أن مات . وكان فيه مروءة وخدمة لأصحابه ، وأما غيرُ ذلك فالسكاتُ أجمل . وما أظرف ما قال الشيخُ تقى الدين المقريزى رحمه الله ، لما ذكر وفاته بعد كلام طويل ، إلى أن قال : « وكان لا دينَ ولا دنيا » .

أمر النيل [فى هذه السنة][1] : الماء القديم أربعة أذرع وعشرة[2] أصابع ؛ مبلغ الزيادة : عشرون ذراعا وأحد عشر إصبعا .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (وعشر) .

السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر

جقمق على مصر

وهى سنة أربع وأربعين وثمانمائة .

فيها توفى الأميرُ ناصر الدين محمد ابن الأمير صارم الدين إبراهيم ، ابن الأمير الوزير مَنْجَك اليوسفى بدمشق ، فى يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول ، وهو فى عشر السبعين . وكان مولدُه بدمشق ، وأُعطى بها إمرةً فى دولة الملك المؤيَّد شيخ ، وحَظِى عنده إلى الغاية ، ثم صار على منزلته فى الرفعة وأعظمَ عند الملك الأشرف بَرْسْباى ، حتى أنه كان يجلس فوق أميرِ سلاحٍ ، وكان إذا حضر مجلسَ السلطان لا يتكلم السلطانُ مع غيره إلا لحاجة ، إجلالا له ؛ وكان يقدم القاهرةَ فى كل سنة مرةً فى مبادئ فصل الشتاء ، ثم يعود إلى دمشق فى مبادئ فصل الصيف ؛ وفى الجملة : أنه كان محظوظا من الملوك إلى الغاية من غير أمر يوجب ذلك . وقد حاضرتُه كثيراً فى مبادئ عمرى ، فلم أجد له معرفة بعلمٍ من العلوم ، ولا فن من الفنون ، غير لعب الكرة وأنواع الصيد بالجوارح فقط ، والمال الكثير مع بخل وشح زائد يضرب به المثل ؛ وكنت أراه يكثر السكوت ؛ فأقول : « هذا لغزير عقله »[1] ، وإذا به من قلة رأس ماله .

وقد حَكى لى عنه بعضُ أكابر أعيان المملكة ، قال : لما خرج قانى باى نائبُ الشأم عن طاعة المؤيَّد ، وعلم بذلك أعيان أهل دمشق ، اجتمعوا بمكان يَشْتَورون فيما يفعلون ، لئلا يَقبض عليهم قانى باى المذكور ، وهم مثل القاضى : نجم الدين بن حجّىّ ، والقاضى شهاب الدين بن الكِشْك ، والشريف شهاب الدين ، وخواجه شمس الدين ابن المزلق ، وابن مُبارك شاه ، وابنِ مَنْجَك ، وجماعة أُخر من الأمراء وغيرهم ، فأخذ ابن مَنْجَك يتكلم ، فقال له القاضى شهاب الدين بن الكِشْك ، متهكمًا عليه فى الباطن :

(١) فى ا (فضله) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .

« ياأمير محمد ، أنت رجل غزير العقل[1] والرأى ، ونحن ضعفاء العقول . لا تكلمْنا على قدر عقلك ، وإنما تحدَّث معنا بقدر عقولنا » ؛ فقال ابنُ مَنْجَك للذكور : « إذاً لا أحدثكمُ إلا عَلَى قدر عقولكم » . فقالوا : « الآن تمل المصلحة » . وتكلموا فيما هم بصدده ؛ قلت : هذا هو الغاية فى الجهل والتفنن فى الجنون ؛ فإن كل واحد ممن كان اجتمع فى ذلك المجلس ، يمكن أن يدبر مملكةَ سلطانٍ وينفذ أموره على أحسن وجه — انتهى .

وتوفى قاضى القضاة شيخُ الإسلام محبُّ الدين أبو الفضل أحمد بن الشيخ الإمام العلامة جلال الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التُّسْتَرِى[2] الأصل ، البغدادى الحنبلى قاضى قضاة الديار المصرية ، وعالم السادة الحنابلة فى زمانه ، فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى بالقاهرة ، وهو قاض ؛ وتولى بعده قاضى القضاة بدرُ الدين محمد ابن عبد المنعم البغدادى ، وكان مولد القاضى [١٧٧] محب الدين ببغداد فى شهر رجب سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، واشتغل بها وتفقه ، وقدم القاهرةَ فى أول القرن واشتغل بها ، حتى برع فى الفقه وأصوله والحديث والعربية والتفسير ، وتصدى للإفتاء والتدريس سنين ، وناب فى الحكم بالقاهرة عن القاضى علاء الدين بن مُغْلى ، وبرع حتى صار المعوَّل على فتواه ، ثم وَلِىَ قضاء الحنابلة بعد موت قاضى القضاة علاء الدين بن مُغْلى فى يوم الاثنين سابع عشرين صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ، ودام فى الوظيفة إلى أن

(١) فى ا (الفضل) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (الششترى) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن الضوء اللامع (ج ٢ ص ٢٣٣ — ٢٣٩) .

وهو أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر بن أحمد المحب ، نزيل القاهرة الحنبلى ، ويعرف بالمحب بن نصر الله البغدادى . برز فى الفقه وأصوله والحديث والعربية ؛ ولما استقر بالقاهرة ، استدعى والده ، فقدم عليه فى سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ م ، وامتدح الظاهر برقوق بقصيدة ، كما عمل له رسالة فى مدح مدرسته ، فقرره فى تدريس الحديث بها فى محرم ٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م ؛ وصار هو ووالده يتناوبان فى تدريس الفقه والحديث منذ سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م ؛ ثم استقل المحب بتدريس العلمية بعد وفاة والده عام ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م ؛ وشغل عدة وظائف دينية وعلمية وقضائية ، ومدحه المقريزى بأنه « لم يخلف فى الحنابلة بعده ... »

عُزِل بالقاضى عزّ الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى ، فى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ، فلم تطل ولاية عز الدين ، وعُزِل ، وأعيد القاضى محبّ الدين [هذا فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر سنة ثلاثين ، واستمر قاضياً إلى أن مات ، وقد ذكرنا أحواله ومشايخه فى تاريخنا « المنهل الصافى [والمستوفى بعد الوافى»] بأوسع من هذا فلينظر هناك (١) .

وتوفى سعدُ الدين إبراهيم القبطى المصرى ، المعروف بابن المَرَة(٢) ، فى يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر بالقاهرة ، وهو فى عشر السبعين ، بعد أن افتقر واحتاج إلى السؤال ، وكان وَلِىَ نظرَ ديوان المُفْرد [فى الأيام الأشرفية بَرْسْباى] (٣) ، ونظرَ بندرِ جُدّة سنين كثيرة ، وحصل له ثروة وعز وجاه ، ثم زال عنه ذلك كله ، ومات فقيراً ، صُدِّق عليه بالكفن .

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد المرداوى المعروف بابن بوالى ، وهو اسم كردى غير كنية . مات بدمشق ، بعد أن وَلِىَ أستادّاريةَ السلطان بالديار المصرية ، ثم عُزِل ووَلِىَ أستادّاريةَ السلطان بدمشق ، إلى أن مات . وقد تقدم ذكره فى ترجمة الملك الأشرف بَرْسْباى ، عند ماوَلِىَ الأستادّاريةَ عوضاً عن أرْغُون شاه النَّوْرُوزى ؛ وكان من الظَّلَمَة ، يقضى عمره فى مظالم العباد .

وتوفى الأميرُ علاء الدين أَلْطُنْبُغَا بن عبد الله المَرْقَبى المؤيدى أحدُ أمراء الألوف بالديار المصرية ، فى يوم الاثنين عاشر شهر رجب ، وكان من كبار مماليك الملك المؤيد شيخ ، من أيام جنديته ، ورقاه بعد سلطنته ، وعمله نائبَ قلعة حلب ، ثم أميرَ مائةٍ ومقدمَ ألفٍ بالديار المصرية ، ثم ولاه حجوبيةَ الحجاب ، إلى أن أمسكه الأميرُ طَطَر مع من أمسك من أمراء المؤيدية ، وحُبِس مدة ، ثم أطلق ، ودام بطّالاً دهراً طويلا ،

(١) راجع المنهل الصافى جـ ١ ورقة ١٦٥ – ١٦٦ ؛ وانظر الضوء اللامع جـ ٢ ص ٢٣٣ – ٢٣٩ .

(٢) ذكره السخاوى تارة بابن المره وأخرى بابن المرأة (الضوء اللامع) .

(٣) عن الضوء اللامع .

إلى أن أنعم عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بمصر ، فى أوائل دولته ، فدام على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وتوفى زينُ الدين قاسم البَشْتَكى فى يوم السبت ثانى شهر رجب ، وكان يتفقّه ويترأس ، وتزوج بنتَ الأشرف شعبان ، وكان مقرباً من الملوك ، وهو من مقولة ابن مَنْجَك فى نوع من الأنواع ، غير أنه كانت لديه فضيلة بالنسبة إلى ابن مَنْجَك .

وتوفى الأميرُ سيفُ الدين مَمْجِق(1) بن عبد الله النَّوْرُوزى أحدُ أمراء العشرات ، ونائبُ قلعة الجبل فى يوم مستهل شهر رجب ، وكان أصله من مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظى ، واتصل بخدمة السطان ، فدام على ذلك دهراً طويلا ، لا يلتفت إليه ، إلى أن أمّره الملكُ الظاهرُ جَقْمَق عشرةً ، وجعله نائبَ قلعة الجبل ؛ فاستمر على وظيفته إلى أن مات . وكان لا ذات ولا أدوات ، وتولى تَغْرِى بَرْمَش الجلالى المؤيَّدى الفقيه نيابةَ قلعة الجبل بعده ، وأنعم عليه أيضا بإمرته .

وتوفى القاضى شهابُ الدين أحمد بن أبى بكر بن رسلَّان [بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن محمد بن مسافر الشهاب] (2) البُلْقينى (3)، [ثم المحلى] (4) ، الشافعى المعروف بالعُجَيْمى (5) ، قاضى المحلة [فى يوم الأربعاء] (6) رابع عشر جمادى الأولى ، وكان من فضلاء الشافعية ، وتولى قضاء المحلة سنين .

وتوفى الأميرُ الطَّواشى صفى الدين جوهر بن عبد الله القُنُقْبَائى الخازندار والزِّمَام ، فى ليلة الاثنين أول شعبان ، وله نحو سبعين (7) سنة ، ودفن بمدرسته التى أنشأها بجوار

---

(1) الضبط عن الضوء اللامع .

(2) ، (4) عن الضوء اللامع .

(3) البلقينى نسبة إلى بلدة بلقينة من حوف مصر من كورة بنا ، يقال لها : البوب أيضا ، وتتبع الآن المحلة الكبرى بالغربية (الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٥٣ ؛ معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٧٧ ؛ النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٢١٧) .

(5) العُجَيْمى مصغر العجمى (عن الضوء اللامع) .

(6) عن طبعة كاليفورنيا .

(7) فى ا (سبعون) .

جامع الأزهر، قبل أن تم؛ وكان أصله من خدام الأمير قُنُقْبَاى الإلجائى اللالا، ثم خدم بعد موت أستاذه عند خَوَنْد قُنُقْبَاى أم الملك المنصور عبد العزيز، ثم من بعدها عند جماعة أخر، ثم اتصل بخدمة علم الدين [١٧٨] داوُد بن الكُوَيْز، ودام عنده إلى أن مات. وبخدمته[١] حسُنت حالُه، ثم صار بعد ذلك بَطّالا، إلى أن نوّه بذكره صاحبُه جوهر اللّالاَ، ولا زال يعظُم أمره عند الملك الأشرف بَرْسْباى إلى أن طلبه وولاه خازنداراً دفعةً واحدةً، بعد خُشْقَدَم الظاهرى الرومى، ولم تسبق لجوهر المذكور قبل ولايته الخازندارية رئاسةٌ فى بيت السلطان، فباشر الخازندارية بعقل وتدبير ورأى فى الوظيفة، وناله من العز والجاه ونفوذ الكلمة ما لم ينله طَوَاشى قبلَه فيما رأينا.

ومات الملكُ الأشرفُ وهو على وظيفته، لحسن سياسته، ثم أضاف إليه الملكُ الظاهر وظيفةَ الزِّمامية بعد عزل فَيْروز الجارْكَسى[٢]، لما تَسَحَّب الملكُ العزيزُ يوسف من الدُّور السلطانية، حسبما تقدم ذكره، واستمر على وظيفة الزِّمامية والخازندارية إلى أن مات من غير نكبة. ولم يخلّف مالا له جرم بالنسبة لمقامه، فعظُم ذلك على الملك الظاهر، فإنه كان فى عزمه أخذُ ماله بوجهٍ من الوجوه، وفطن جوهر بذلك وأدركتْه منيتُه ومات من غير أن يُعلِم أحدًا بماله[٣]، وكان جوهر عفيفاً ديناً عاقلا مدبراً سَيُوساً فاضلا يقرأ القرآن الكريم بالسبع، وله صدقات ومعروف، غير أنه دخل فى الدنيا واقتحم منها جانباً كبيراً، وصار من المخلطين[٤]، وهو أحد من أدركناه من عقلاء الخدام، رحمه الله تعالى[٥].

وتوفى القاضى شرفُ الدين أبو بكر بن سليمان الأشقر المعروف بابن العجمى، الحلبى الأصل والمولد والمنشأ المصرى الدار والوفاة، نائبُ كاتب السر الشريف

---

(١) فى ا (ويخدمه) .

(٢) فى ا (الجاكى) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .

(٣) انظر الضوء اللامع جـ ٣ ص ٨٢–٨٤ .

(٤) فى ا (الخالطين) .

(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

بالديار المصرية ، في يوم الأربعاء تاسع شهر رمضان ، وهو في عشر الثمانين ، بعد أن رُشّح لوظيفة كتابة سر مصر غيرَ مرة ، فلم يَقبل ؛ ثم ولاه الملكُ الأشرفُ كتابةَ سر حلب على كُره منه ، عوضاً عن زين الدين عمر بن السفاح ، فباشر ذلك مدة ، ثم عُزل بعد أن استعفى ، وأُعيدت إليه وظيفة نيابة كتابة السر ، وَوَلِيَ كتابةَ سر حلب عوضَه ولدُه القاضي معين[1] الدين عبد اللطيف . وكان شرفُ الدين[2] المذكور رجلا عاقلا سَيُوساً عارفاً بصناعة الإنشاء ، قام بأعباء ديوان الإنشاء عدة سنين ، وخدم عدة ملوك ، وكان مقربا من خواطرهم محببا إليهم ، رحمه الله تعالى .

وتوفي شمسُ الدين محمد بن شعبان ، في حادى عشرين شوال ، عن نيف وستين سنة ، بعد أن وَلِيَ حِسبةَ القاهرة بالسعي مراراً كثيرة ؛ وكان عاميا يتزيا بزي الفقهاء ، حدثني من لفظه ، قال : « ولِّيتُ حسبةَ القاهرة نيف وعشرين مرة » ، فقلت له : « هذا هَجْو في حقك ، لا تتكلم به بعد ذلك ، لأنك تسعى وتلي ثم تُعزل بعد أيام قلائل ، وتكرر لك ذلك غيرَ مرة ، فهذا مما يدل على عدم اكتراث أهل الدولة بشأنك ، وإهمالهم أمرك » ، فلم يعد إلى ذكرها بعد ذلك .

وتوفي الشيخُ الإمام العالم نورُ الدين على بن عمر بن حسن بن حسين بن على بن صالح الجرواني[3] الأصل ، ثم التلواني[4] ، الشافعي الفقيه العالم المشهور ، في يوم الاثنين ثالث عشرين ذى القعدة ، وكان أصله من بلاد الغرب[5] ، وسكن والده جروانَ وهي قرية بالمنوفية من أعمال القاهرة بالوجه البحرى ، فوُلد له بها ابنه نُور الدين هذا بعد سنة ستين وسبعمائة ، فنشأ بجروان ، ثم انتقل إلى تلوانة [من قرى المنوفية][6] ، فعرف بالتلواني ، ثم قدم القاهرة وطلب العلم ، ولازم شيخَ

---

(١) في ا (صعن) .
(٢) مستدركة بهامش ا .
(٣) ، (٤) انظر ما يلي .
(٥) أي المغرب ، ويقال له أيضا : المغربي الأصل .
(٦) عن الضوء اللامع .

الإسلام سراجَ الدين البُلقيني ، حتى أجازه بالفتوى والتدريس ، فتصدى الشيخُ نور الدين من تلك الأيام للإقراء والتدريس ، وانتفع به جماعة من الطلبة ، وتولّى عدة وظائف دينية ، وتداريس عديدة ، منها مشيخة الرُّكْنيَّة[1] ، ثم تدريس قبة الشافعي بالقرافة . وكان ديناً خيراً جهوريَّ الصوت صحيح البنية ، وله قوة ، وفيه كرم وإفضال وهمة عالية ، رحمه الله تعالى .

[وتوفى الشيخُ الإمام العلامة شمسُ الدين محمد بن عمّار بن محمد بن أحمد ، أحدُ علماء المالكية ، فى يوم السبت رابع عشر ذى الحجة ، وقد أناف على السبعين ، بعد أن أفتى ودرّس عدةَ سنين ، رحمه الله تعالى][2] .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ، ستة أذرع وأربعة أصابع ؛ مبلغ الزيادة : عشرون ذراعا وأحد وعشرون أصبعا .

---

(١) الرُّكنية : هى خانقاه ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، ويقال لها كذلك : الخانقاه البيبرسية (انظر الخطط ج ٢ ص ٤١٦ ؛ حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٦٠) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا ، وهذه العبارة ساقطة من ا .

السنة الرابعة من سلطنة الملك الظاهر

جقمق على مصر

وهى سنة خمس وأربعين وثمانمائة .

وفيها توفى الخليفةُ أميرُ المؤمنين [١٧٩] المعتضدُ بالله أبو الفتح داؤد ، ابن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد ، ابن الخليفة المعتضد بالله أبى بكر ، ابن الخليفة المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ، ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن حسين بن أبى بكر بن على بن الحسين ، ابن الخليفة الراشد بالله منصور ، ابن الخليفة المقتدى بالله عبد الله ، ابن الأمير ذخيرة الدين محمد ، ابن الخليفة [القائم بأمر الله عبد الله ، ابن الخليفة القادر بالله أحمد ، ابن الأمير الموفق ولى العهد طلحة ، ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ، ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ، ابن] (١) الخليفة الرشيد بالله هرون ، بن الخليفة المهدى (٢) بالله محمد ، ابن الخليفة أبى (٣) جعفر المنصور عبد الله ، ابن [محمد بن على ، ابن عبد الله بن] (٤) عباس بن عبد المطلب الهاشمى العباسى المصرى ، فى يوم الأحد رابع (٥) شهر ربيع الأول ، بعد مرض تمادى به أياماً ؛ وحضر السلطانُ الملكُ الظاهر جَقْمَق الصلاةَ عليه [بمُصَلّاة] (٦) المؤمنى ، ودُفن بالمشهد النفيسى .

وكانت خلافتُه تسعةً وعشرين (٧) سنة وأياماً ، وتولى الخلافةَ من بعده أخوه شقيقُه المُسْتَكْفِى بالله سليمان ، بعهد منه إليه . وكان المعتضدُ خليقاً للخلافة ، سيِّدَ بنى العباس فى زمانه ، أهلا للخلافة بلا مدافعة ، وكان كريما عاقلا حليما متواضعا دينا خيرا

(١) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا والضوء اللامع والتبر المسبوك .
(٢) فى ا (المهتدى) .
(٣) فى ا (ابن) .
(٥) فى ا (رابع عشر) ، والمثبت بالمتن هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا والمراجع المذكورة .
(٦) عن التبر المسبوك والضوء اللامع وطبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (وعشرون) .

حلو المحاضرة كثيرَ الصدقات والبر، وكان يحب مجالسةَ العلماء والفضلاء، وله مشاركة مع فهم وذكاء وفطنة. وقد أوضحنا أمرَه في تاريخنا[1] «المنهل الصافي» بأوسع[2] من هذا[3]، إذ هو كتابُ تراجم على حدته[4].

وتوفى الشيخ محبُّ الدين بن الأُوجاَق الحنفى، فى يوم الاثنين ثالث عشرين شهر رجب، بعد مرض طويل؛ وكانت لديه فضيلة، وفيه تدين وخير، وللناس فيه اعتقاد.

وتوفى الشيخ الأديبُ المعروف بابن الزين بالوجه البحرى فى مستهل شهر ربيع الأول، بعد أن مدح النبيَّ صلى الله عليه وسلم، بما ينيف على عشرة آلاف قصيدة؛ قاله غير واحد.

وتوفى الشيخ الإمام العالم المحدث المفنن، عمدة المؤرخين، ورأس المحدثين، تقىُّ الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد البعلبكى الأصل المصرى المولد والوفاة المقريزى الحنفى، ثم الشافعى؛ هذا[5] ما نقلناه من خطه، وأملى علىَّ نسبَه الناصرىُّ محمد ابن أخيه بعد وفاته، إلى أن رفعه إلى علىّ بن أبى طالب من طريق الخلفاء الفاطميين، وذكرناه فى غير هذا المصنف — انتهى.

وكانت وفاته فى يوم الخميس سادس عشر شهر رمضان ودفن من الغد بمقابر

---

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا.

(٢) فى ا (بأعظم) والمثبت هو الأنسب، من طبعة كاليفورنيا.

(٣) راجع المنهل الصافى ج ٢ م ٢ ورقة ٨٤–٨٦.

(٤) مدحه الشهاب بن حجر، وهو شيخ السخاوى، فى عام ٨٣٦ هـ / ١٤٣٣ م، بقصيدة بين فيها مناقبه وشبهه بالعباس عم النبى (ص)، فى استجابة الغيث له، يوم استسقى به عمر بن الخطاب، عندما وقع القحط بالمدينة: منها:

أشبهت عباس الندى فى المحل إذْ ... أطاعه الغيثُ وكان قد فُقِدْ

(انظر: الغزالى: الإحياء ج ١ ص ٢٧٨؛ الضوء اللامع ج ٣ ص ٢١٥؛ التبر المسبوك ص ٢٥–٢٦؛ حسن المحاضرة ج ٢ ص ٨٣–٨٥؛ شرح الخطيب ج ١ ص ١٦٦).

(٥) فى ا (عدا).

الصوفية ، خارج باب النصر ، ووهم قاضي القضاة بدرُ الدين محمود العيني في تاريخ وفاته ، فقال : في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شعبان — انتهى .

سألتُ الشيخَ تقي الدين ، رحمه الله ، عن مولده فقال : « بعد الستين وسبعمائة بسُنَيَّات » . وكان مولده بالقاهرة ، وبها نشأ وتفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة ، وهو مذهب جده لأمه الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي ، ثم تحول شافعيا بعد مدة ، [وذلك بعد موت والده في سنة ست وثمانين][1][وسبعمائة] ، لأمر اقتضى ذلك ، واشتغل على مذهب الشافعي ، وسمع الكثير على عدة مشايخ ، ذكرنا أسماء غالبهم في ترجمته في « المنهل الصافي »[2] مع مصنفاته باستيعاب يضيق هذا المحل عن ذلك[3] .

وكان الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى إماما بارعا مفننا [متقنا][4]ضابطا دينا خيراً محبا لأهل السنة ، يميل إلى الحديث والعمل به ، حتى نُسب إليه مذهبُ الظاهر[5]،وكان فيه تعصب على السادة الحنفية بغير لياقة ؛ يعرف ذلك من مصنفاته ، وفي الجملة هو أعظم مَن رأيناه وأدركناه[6] في علم التاريخ وضروبه ، مع معرفتي لمن عاصره من علماء المؤرخين ، والفرق بينهم [ظاهر][7]،وليس في التعصب فائدة .

وتوفي قاضي الإسكندرية جمالُ الدين عبد الله بن الدَّمامِيني المالكي الإسكندري بها في يوم الأحد رابع ذي القعدة ، وكان مشهوراً بالسماحة ، إلا أن بضاعته من العلوم كانت مُزْجاةً[8] .

أمر النيل في هذه السنة : الماء القديم عشرة أذرع ونصف ؛ مبلغ الزيادة عشرون ذراعا وخمسة عشر أصبعا ، وكان الوفاء سادس عشرين أبيب .

---

(١) عن التبر المسبوك والضوء اللامع .

(٢) راجع المنهل الصافي ج ١ ورقة ٩٩–١٠١ .

(٣) انظر التبر المسبوك ص ٢١– ٢٤ ؛ الضوء اللامع ج ٢ ص ٢١ – ٢٥ ؛ زيادة : المؤرخون في مصر ص ٣–٢٥ .

(٤) ، (٧) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) المقصود بمذهب الظاهر مذهب ابن حزم ، لكنه كان لا يعرفه (التبر المسبوك والضوء اللامع) .

(٦) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٨) مزجاة أي : قليلة .

السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر

جقمق على مصر

وهى سنة ست وأربعين وثمانمائة .

وفيها توفى الشيخُ الإمام العالم العامل العلامة ، نورُ الدين عبادة بن على بن صالح بن عبد المنعم بن سراج بن نجم بن فضل [ابن فهد بن عمر ، والعلامة زين الدين الأنصارى الخزرجى][1] الزَّرْزَاوِى الفقيه المالكى المعروف بالشيخ عبادة [١٨٠] ، شيخ السادة المالكية ، وعالمها بالديار المصرية ، فى يوم الجمعة سابع شوال ، وصَلى عليه صاحبُه الشيخ مَدْيَن بجامع الأزهر . ومات ولم يخلِّف بعده مثله علما ودينا . وكان مولده فى جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ببلده زِرْزَا[2] ، وطلب العلمَ وسمع الحديث واشتغل على علماء عصره ، حتى برع فى الفقه والأصلين والعربية ، وأفتى ودرَّس ، واشتغل سنين كثيرة ، وانتفع به الطلبة ، وسئل بالقضاء بعد موت العلامة شمس الدين البساطى المالكى ، فامتنع ، فألح عليه السلطان بالولاية ، وألزمه بها غصبا ، فلما رأى تصمُّمَ السلطان على ولايته ، وأنه لايستطيع دَفْعَه ، قال : « حتى أستخير الله » . وفرَّ من يومه من القاهرة ، واختفى ببعض الأماكن ، إلى أن ولَّى السلطانُ القاضىَ بدرَ الدين محمد بن التَّنَسى ، فلما بلغه ذلك حضر [إلى][3] القاهرة بعد أيام كثيرة .

وهذا شىء لم يقع لغيره فى عصرنا هذا ، فإننا لا نعلم مَن سئل بالقضاء وامتنع غيرَه ، وأما سواه فهم[4] على أقسام : قسم يتنزه عن الولاية ، [و][5] يُظهر ذلك حيلةً ، حتى يُشاع عنه ذلك ، فإذا طُلب بعد ذلك للقضاء يأخذ فى التمنع ، وفى ضمن

---

(١) عن التبر المسبوك والضوء اللامع .

(٢) زرزا : قرية بالصعيد الأدنى غربى النيل ، وقد وردت فى التحفة السنية باسم زرزى بالأعمال الجيزية (معجم البلدان حـ ٤ ص ٣٨٣ ؛ التحفة السنية ص ١٤٤) .

(٣) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (فهو) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

تمنعه يشرط على السلطان شروطاً ، يعلم هو وكلُّ أحد أنها لا تتم له ، وإنما يقصد بذكرها إلا نوعا من الإجابة ، لكونه كان امتنع أولا ، فلا يمكنه القبول إلا بهذه الدورة ، فلم يكن بمجرد ذكره للشروط ، إلا وقد صار في الحال قاضيا ؛ ووقع ذلك لجماعة كثيرة في عصرنا .

وقسم آخر : [هم][(1)] الذين يسعون في الولاية سَعْياً زائداً ، ويبذلون الأموال ، ويتضرعون لأرباب الدولة ، ويخضعون لهم ، وهيهات ! هل يُسمح لهم بذلك أم لا ! فلله درُّ الشيخ عبادة فيما فعل ، لأننا شاهدنا منه ما سمعناه عن السلف ، ورأينا من زهده وعفته ماورثه عنه الخلف . واستمر بعد ذلك سنين على حاله من ملازمة العلم والعمل ، إلى أن مات رحمه الله تعالى[(2)] .

وتوفى قاضى القضاة عزُّ الدين عبدالعزيز[(3)] بن العز البغدادى الحنبلى ، قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية ، ثم بدمشق ، [و][(4)] بها مات فى أواخر هذه السنة ؛ وتولى عوضه قضاء دمشق ابن مُفْلِح [على عادته][(5)] أولا ، وكان القاضى عزُّ الدين فقيهاً ديناً متقشفاً ، عديمَ التكلف فى ملبسه ومركبه ، مع دهاء ومكر ومعرفة تامة ، وقد مرّ من ذكره ، أنه لما وَلِىَ القضاء بالديار المصرية ، صار يمشى فى الأسواق لحاجته ويُردِف عبدَه على بغلته ، وأشياء من هذا النسق . وكانت[(6)] جميع ولاياته من غير سعى ، وكان يصحب الوالدَ ، واستمرت الصحبةُ بيننا إلى أن مات رحمه الله .

وتوفى جمال الدين عبد الله [بن الحسن بن على بن محمد بن عبد الرحمن الدمشقى

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) توجد ترجمة وافية له فى الضوء اللامع (جـ ٤ ص ١٦—١٨) وفى التبر المسبوك (ص ٥١—٥٣).

(٣) فى ا (ابن عبد العزيز) ، والمثبت هو الصواب عن طبعة كاليفورنيا والضوء اللامع والتبر المسبوك .

(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

(٦) فى ا (وكان) .

الأصل][1] الأذْرَعى[2] ، أخو الإمام شهاب الدين ، بالقاهرة فى يوم الاثنين سابع عشر شوال ؛ وكان عاريًا من كل علم وفن .

وتوفى الشيخُ الواعظ جمالُ الدين السنباطى الشافعى ، أحد نواب الحكم بالقاهرة ، فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر رمضان ، بعد مرض طويل عن ثمانين سنة ؛ وكان يعمل المواعيدَ[3] بالمساجد والجوامع ، وعلى وعظه أُنس ورونق ، وكان يقرأ أيضا على الكرسى[4] بين يدى صهرى شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن البُلْقينى فى صبيحة كل يوم جمعة ، فيقرأ ساعة ثم إذا سكت ، ابتدأ شيخُ الإسلام فى عمل الميعاد ، وكان هذا دأبه إلى أن مات رحمه الله [تعالى][5] .

وتوفى الصاحبُ بدرُ الدين حسن بن نصر الله بن حسن بن محمد [بن أحمد بن عبدالكريم بن عبد السلام][6] الأذْكَوِى الأصل ثم الفُوِّىّ ، كاتبُ سر الديار المصرية ، وناظرُ جيشها وخاصّها ، والوزيرُ بها ، ثم الأستادّار ، ثم محتسبُ القاهرة ، فى يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول ، ودُفن بتربته بالصحراء ، بعد ما كبر سنه ، واختلط عقله . وكان

---

(١) عن التبر المسبوك .

(٢) الأذرعى نسبة إلى أذرعات ، وهى بلدة بأطراف الشام ، اشتهرت بالخمر ، ووردت فى أشعار العرب – من ذلك :

ألا أيها البرقُ الذى بات يرتقى ويجلو دُجى الظلماء ذكرتنى نجدا
وهيجتنى من أذرعات وما أرى بنجد على ذى حاجة طربًا بُعْدَا
ألم تر أن الليل يقصُر طولُه بنجد وتزداد الرياحُ به بردا

وإلى أذرعات ينسب عدد كبير من أهل العلم ، منهم إسحاق بن إبراهيم الأذرعى المحدث ، ومحمد ابن عثمان بن خيراش أبو بكر الأذرعى المحدث وغيرهما .... (انظر معجم البلدان ج ١ ص ١٦٣–١٦٤) .

(٣) عمل المواعيد بالمساجد والجوامع هو القيام بدرس دينى فى ميعاد معين ، وجرت العادة أن يكون يوم الجمعة ؛ وممن قاموا بهذا العمل كذلك واشتهر به ، عبد الرحمن البلقينى (الضوء اللامع ج ٤ ص ١٠٦ – ١١٢) .

(٤) قارئ الكرسى من الصوفية عادة ، ويقوم بإلقاء درس فى الخوانق متطوعا ، غير مقيد بخانقاه معينة ؛ ويقرأ عادة من كتاب ، على خلاف «القاص» الذى يلقى دروسه على العامة فى الطرقات ، وذلك من محفوظاته (معيد النعم ص ١٤٩) .

(٥) من طبعة كاليفورنيا .

(٦) من التبر المسبوك .

مولده بفُوَّة من المُزَاحِمِيِّين ، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول سنة ست وستين[1] وسبعمائة ، وبها نشأ وتعلق على الخِدم الديوانية ، فباشر فى عدة جهات ، ثم انتقل إلى القاهرة ، ولا زال يترقى حتى وَلِىَ نظرَ جيشِ مصر ، ثم وَزَرَ بها ، ثم وَلِىَ الخاصَّ ؛ كل ذلك فى الدولة الناصرية فرج .

ثم وَلِىَ [١٨١] الوزارةَ والخاصَّ أيضا فى دولة الملك المؤيَّد شيخ ، ثم صودر ونكب غيرَ مرة ، ثم وَلِىَ الأستادَّارية فى دولة الملك الصالح محمد ، ثم عُزل ووَلِىَ الخاصَّ ثانياً عوضاً عن مرجان الخازندار ، ثم وَلِىَ الأستادارية ثانيا فى دولة الأشرف بَرْسْباى ، عوضاً عن ولده صلاح الدين محمد ، وعُزل عن نظر الخاص بالقاهرة[2] [بالقاضى][3] كريم عبد الكريم ابن كاتب جَكَم ، فى أوائل جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ، وعُزل بعد مدة وصودر هو وولدُه صلاح الدين ، ثم وَلِىَ الأستَادَّارِيةَ بعد سنين ثالثَ مرة ، فلم تطل مدته فيها ، وعزل ولزم داره سنين ، إلى أن وَلِىَ كتابةَ السر بعد موت ولده صلاح الدين ، فباشر وظيفةَ كتابة السر مدة يسيرة ، وعزله الملك الظاهر جَقْمَق بصهره المقرِّ الكمالى بن البارِزِى ، فلزم الصاحبُ بدرُ الدين بيتَه ، إلى أن مات فى التاريخ المقدم ذكره .

وكان شيخاً طوالا ضخما حسن الشكالة ، مدوّر اللحية ، كريماً واسع النفس على الطعام ؛ تأصل فى الرئاسة ، وطالت أيامه فى السعادة ، فصار هو وولدُه صلاح الدين من أعيان رؤساء الديار المصرية ، على أنه كان لا يسلم فى كل قليل من مصادرة ، ومع هذا كان له أنعام وأفضال على جماعة كبيرة ، إلا أنه كانت فيه بادرة وخلق سيِّئ ، مع حدة مزاج ، وصياح فى كلامه ، وكان لايتحدث إلا بأعلى صوته ، ولهذا مَلَّه الملكُ الأشرفُ بَرْسْبَاى وأبعده . وكان أكولا ، أقصى مناه الناب والنصاب لاغير ، لم يشهر بدين ولا علم .

---

(١) فى ا (تسعين) ، والمثبت عن التبر المسبوك وطبعة كاليفورنيا .

(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

وتوفى الأمير سيفُ الدين تَغْرِى بَرْدِى [الرومى] [١] بن عبد الله البَكْلَمِشى المعروف بالمؤذى[٢] الدوادار الكبير ، فى يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة ، بعد مرض طويل ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمُصلاة المؤمنى ، ودُفن بتربة طيبغا الطويل [الناصرى حسن ، وطيبغا الطويل] [٣] هو أستاذ بَكْلَمُش ، وبكلمش أستاذ تغرى بردى هذا ، ثم ترقى [تغرى بردى هذا] [٤] بعد موت أستاذه حتى صار من جملة أمراء العشرات فى الدولة الناصرية فرج ، ثم أُمسك ولزم دارَه مدة ، إلى أن أنعم عليه بإمرة عشرةٍ ضعيفة ، ودام على ذلك دهراً طويلا لا يُلتفت إليه فى الدول ، حتى أننى أقمتُ سنين أحسبه من جملة الأجناد .

ثم تحرّك له سعد بعد سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، وغيَّر السلطانُ الملكُ الأشرف أقطاعَه بعد موت الأمير جُوبَان المعلم[٥] ، وخلع عليه باستقراره من جملة رءوس النُّوَب ، ثم لازال يرقيه حتى صار أمير طبلخاناة ورأسَ نوبةٍ ثانياً ؛ فعند ذلك أظهر ما كان خفياً من لقبه بالمؤذى ، فلله دَرُّ القائل : « الظلم كمين فى النفس ، العجز يخفيه والقوة تظهره ». وصار إذا مَسك العصاة فى يده ، لا يزال يضرب هذا وينهر هذا ، والملوك تحب من يفعل ذلك بين يديهم ، فأُنعم عليه بعد سنين بإمرةِ مائةٍ وتقدمة ألفٍ بالديار المصرية ، ثم نقله الملكُ الظاهر جَقْمَق إلى حجوبية الحجاب بعد يَشْبَك السُّودونى ، ثم صار دَوَادَاراً كبيراً بعد [عزل] [٦] أَرْكَمَاس الظاهرى ، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

[و] [٧] من يوم وَلِىَ الدوادارية ، عظُم وضخُم ، ونالته السعادة وعمّر مدرسة بالشارع الأعظم بالقرب من جامع ابن طولون [فى طرف سوق الأساكفة] [٨] ، وسار فى

---

(١) عن الضوء اللامع والتبر المسبوك .
(٢) عرف كذلك لكثرة أذاه واعتداءاته (انظر ما يلى) .
(٣) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٥) عرف كذلك لأنه كان معلما الرمح (الضوء اللامع) .
(٦) ، (٧) عن طبعة كاليفورنيا .
(٨) عن الضوء اللامع .

الدوادارية على طريق السلف من الحرمة وإقامة [١] الناموس ، لا فى كثرة المماليك وجودة السماط ، وكان يتفقّه ويكتب الخط بحسب الحال ، ويعف عن المنكرات والفروج ، وعنده شجاعة وإقدام مع بخل وفحش فى لفظه ، وجبروت وسوء خلق وحدة مزاج ، إلا أنه كان مشكور السيرة فى أحكامه ، وينصف المظلوم من الظالم ، ولا يسمع رسالة مرسل كائن من كان ، فَعُدّ [٢] ذلك من محاسنه .

وكان رومى الجنس ، ويدعى أنه تركى الجنس ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير سيف الدين أيْتَمُش بن عبد الله الخضرى الظاهرى برقوق ، أحد أمراء العشرات ، وأستادّار ، وهو بطّال ، فى آخر ليلة السبت العشرين من شهر رجب ، ودفن بتربة الأمير قُطْلُو بك بالصحراء ، بعد ما تعطل ولزم داره سنين ، من بياض أصابه فى جسده . وكان أصلُه من مماليك الظاهر [١٨٢] برقوق . ثم صار من جملة الدوادارية فى الدولة الناصرية فرج ، ثم [صار] [٣] أميرَ عشرةٍ فى دولة الملك المؤيد شيخ ، ثم أنعم عليه الملك الظاهر ططَر بإمرة طبلخاناة ، فلم تطل مدته ، ونفاه الملك الأشرف بَرْسْباى ، ثم شُفع فيه بعد أشهر ، وأعيد من القدس إلى القاهرة ، وأنعم عليه بإمرة عشرةٍ ، ثم ولى الأستادّارية ، فلم ينتج أمرُه ، وعُزل عنها بعد أن باشر الأستادّارية نحو الشهرين .

واستمر أميرَ عشرةٍ على عادته إلى سنة نيف وثلاثين . فابتلى فى جسده بالبياض [بحيث كان يستره بالحمرة] [٤] ، فأخرج [السلطان] [٥] الملكُ الأشرف إقطاعه ، ورسم له بلزوم داره ، فصار يتردد إلى الجامع الأزهر ، وكان يسكن بدار بشيرٍ

(١) فى ا (وإقامته) .
(٢) فى ا (فعند) .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن التبر المسبوك والضوء اللامع .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

الجدار [بالأبّارين] (١) بالقرب من الجامع المذكور ، ويحضر (٢) الدروس ، ويشوّش على الطلبة ، ويسأل الأسئلةَ التي لا محل لها من الدرس التي (كذا) هم بصدده ، وكان قليل الفهم وتصوُّره غير صحيح ، مع جهل مفرط وعدم اشتغال قديماً وحديثاً ، فإن أجابه أحد من الطلبة بجواب لا يفهمه ، سفه عليه ، وإن سكت القوم ازدراهم ووبخهم .

وكان فصيحاً باللغة العربية على قاعدة العامة ، وكان قبل تاريخه نابَ في نظر الجامع الأزهر عن جَرباش الكَريمى قاشق ، ووقع له مع أهل الجامع أمور أيام توليته ، فلما زاد ذلك منه على الطَّلَبة [و] (٣) بلغ الأشرفَ [أمرُه] (٤) ، رسم بنقلته من داره المذكورة [و] (٥) بسكنته بقرافة مصر ، فشُفع فيه بعد أيام ، على أنه يسكن بداره ، ولا يدخل الجامع إلا فى أوقات الصلوات . ولما سافر الملكُ الأشرفُ إلى آمِد ، أخرجه إلى القدس بَطَّالاً ، ثم أعيد إلى القاهرة بعد عود (٦) السلطان [من آمِد ، ودام بها] (٧) إلى أن تسلطن الملكُ الظاهرُ جَقْمَق ، [ف] (٨) دا خله فى الأمور من غير أن يلى إمرة ولا وظيفة .

وزاد وأمعن ، وصار يتكلم فيما لا يعنيه ، فغضب عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق ، ونفاه إلى القدس [بَطَّالا] (٩) ، ثم شفع فيه عديلُه الأميرُ إينال العلائى الناصرى ، أعنى الملكَ الأشرفَ ، فأعيد إلى القاهرة ، ولزم دارَه إلى [أن سقط عليه جدار فغطاه ، فأخرج من تحته مغشياً عليه ، فعاش بعده قليلا] (١٠) [و] مات وَهو فى عشر السبعين . وكان من مساوئ الدهر طيشاً وخفة ، مع كثرة كلام فى مالا يعنيه ، ويخاطب الرجلَ بما يكره ، ويوبخ الشخصَ بما فيه من المعايب من غير أن يكون بينه وبين ذلك الرجل

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (ويحسر) .
(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٧) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) فى ا (موت) .
(٩) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(١٠) عن التبر المسبوك .

عداوة ولا صحبة ، وفيه بادِرَة وجرأة [١] وإفحاش فى اللفظ ، مع إسراف على نفسه . وفى الجملة أن بقاءه [٢] كان عاراً على بنى آدم .

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بك بن دُلغادِر صاحب أبلستين وحمو الملك الظاهر جَقْمَق ، بأَبُلُسْتَيْن فى أوائل جمادى الآخرة ، وقيل إنه قُتل على فراشه ، والأول أصح ؛ وكان كثير الشرور والعصيان على الملوك ، وقد مرّ من [٣] ذكره فى ترجمة الملك الأشرف من عصيانه وموافقته مع الأتابك جانِبَك الصوفى ، ثم فى ترجمة الملك الظاهر جَقْمَق من دخوله فى طاعته وقدومه إلى القاهرة ما يغنى عن إعادته ثانياً هنا .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ثمانية أذرع وخمسة أصابع ، مبلغ الزيادة : عشرون ذراعًا وأحد وعشرون أصبعاً .

---

(١) فى ا (وجره) .
(٢) فى ا (بقاءه) .
(٣) فى ا (فى) .

السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر جقمق

على مصر

وهى سنة سبع وأربعين وثمانمائة .

فيها توفى الشيخُ الإمام العالم [الفقيه][(1)] الربانى الصوفى [الشاذلى][(2)] ، شمسُ الدين محمد بن حسن ، المعروف بالشيخ الحنفى ، بزاويته خارج قنطرة طُقُزْدَمُرْ ، من ظاهر القاهرة فى أوائل شهر ربيع الأوّل ، وهو فى حدود الثمانين ، ودفن بزاويته المذكورة . وكان دينًا خيرًا فقيهًا عالمًا مُسَلِّكًا ؛ كان يعظ الناس ويعلمهم ، وكان على وعظه رونق ولكلامه وقع فى القلوب ، وأفنى عمرَه فى العبادة وطلب العلم وإطعام الطعام وبر الفقراء والقادمين عليه ، وكان محظوظًا من الملوك ، ولهم فيه اعتقاد ومحبة زائدة ، وصحب الوالدَ سنين كثيرة ، ثم الملك الظاهر ططَر ، ونالته منه السعادة فى أيام سلطنته ، واجتمعتُ به غيرَ مرة ، وانتفعتُ بمجالسته [١٨٣] ، وكان الناس فيه على قسمين : ما بين مُتغالٍ إلى الغاية ، وما بين مُنكِرٍ إلى النهاية . قلت : وهذا شأن الناس فى معاصريهم[(3)] ، رحمه الله تعالى[(4)] .

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) عن التبر المسبوك .

(٣) فى ا (معاصرهم) .

(٤) يذكر عن مكانته واعتقاد الناس فيه واحترامهم له ، أن ابن ناهض كتب إليه يلتمس تقريظا لكتابه « سيرة الملك المؤيد » ، فقال :

شيخ العلوم وشيخ الوقت خير فتى ... يا قائما فى أمور الخلق بالهمم
اكتب على سيرة السلطان مالكنا : ... شيخ الملوك وشيخ العرب والعجم

فكتب له :

« لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على خير خلقه ، محمد خاتم النبيين والمرسلين ، أما بعد — فقد وقفت على هذه السيرة إلى آخرها ، وأسأل الله تعالى أن ينظر إلى من أنشئت له نظرة رضا ، وأن يعينه على مصالح المسلمين ، وأن يكون لمتشرا فى الدنيا والأخرى ، ولا يخيب له مقصدا ، وأن ينظر إلينا وإلى المسلمين ، بعين العناية آمين ، اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا » . (التبر المسبوك ص ٨٥) .

وتوفى الشيخ الإمام العالم العلامة ، زينُ الدين أبو بكر إسحق بن خالد الكَخْتاوى[(١)] الحنفى ، المعروف بالشيخ باكير ، شيخ الشيوخ بخانقاه شيخون ، فى ليلة الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى ، وحضر السلطانُ الملكُ الظاهرُ جَقْمَق الصلاةَ عليه بمُصلاة المؤمنى ، من تحت القلعة ، ثم أعيد إلى الشَّيخونية ، ودُفن بها ، واستقر عوضَه فى مشيخة الشيخونية العلامةُ كمال الدين محمد بن الهمام ، وكان الشيخ باكير المذكور إماماً عالماً بارعاً مفنناً فى علوم كثيرة ، [ووَلِىَ قضاء حلب مدة طويلة ، وحُمدت سيرته ، وأفتى ودرَّس وأشغل سنين كثيرة بحلب ، ثم بمصر ، لما طلبه السلطان من قضاء حلب][(٢)] وولاه[(٣)] مشيخةَ الشيخونية ؛ غير أنه كان فى لسانه شبه لُكْنة ، مع سكون وعقل زائد ، يُؤدى ذلك إلى عدم الانتصاف فى أبحاثه ، ومع هذا كان تقريره للطلبة فى غاية الحسن والفصاحة ؛ ومحصول أمره أنه كان عالماً مفيداً للطلبة غير بحّاث مع أقرانه من العلماء ، وكان مليح الشكل منوَّر الشيبة طاهرَ اللون وقوراً معظَّماً عند الخاص والعام ؛ وكان مولده بمدينة كَخْتا[(٤)] فى حدود السبعين وسبعمائة ، رحمه الله تعالى .

وتوفى فتح الدين صدقة المُحَرَّقى[(٥)] ناظر الجوالى ، فى ليلة الخميس سلخ شوال ، ودفن خارج باب الجديد[(٦)] من القاهرة ، وكان عامياً فى زى فقيه ، لم أعرفه إلا فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، لأنه كان بخدمته ورقاه فى سلطنته .

وتوفى غرسُ الدين خليل [بن أحمد][(٧)] السخاوى ، ناظرُ الحرمين : القدس

---

(١) فى ا (الكخاوى) ، والمثبت عن التبر المسبوك ، والكختاوى نسبة إلى مدينة كختة بآسيا الصغرى (انظر ما يلى) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك .

(٣) فى ا (وولى) .

(٤) كختة أو كختا قلعة قديمة على نهر كختاصو Khiakhta-Su على مسافة أربعين ميلا تقريبا جنوب شرق مدينة ملطية بآسيا الصغرى ، وكانت من أملاك إمارة دلغادر التركمانية (انظر السلوك جـ ١ ص ٧٩٠ حاشية ٥ ؛ زامباور جـ ٢ ص ٢٣٥) .

(٥) المُحَرَّقى نسبة لبلدة المُحَرَّقة بالجيزة (التبر المسبوك ص ٨٢) .

(٦) الباب الجديد أحد أبواب القلعة .

(٧) عن التبر المسبوك والضوء اللامع .

والخليل عليه السلام ، فى ليلة العشر من جمادى الأولى ، وكان أيضاً من أطراف الناس ، وهو [١] أحد من رقّاه الملكُ الظاهر جَقْمَق ، وكان فى مبدأ أمره يبيع الحلوى [٢] ، ثم صار جابياً للأملاك ، [يجبى وعلى كتفه خرج] [٣] ، ثم خدم جماعةً كبيرة ، إلى أن حسُنت حالُه وصار يركب بغلةً برحل [٤] ، رأيته أنا على تلك الهيئة ، ثم خدم الملكَ الظاهرَ جَقْمَق أيامَ إمرته ، ولازم خدمتَه إلى أن تسلطن ، فقرّبه وولاه نظرَ الحرمين ، وعدّه الناس من الأعيان ، فلم تطل مدته ، ومات . وكان يتديّن من صلاة وعبادة ، إلا أنه كان عارياً سالبة كلية [٥] ، [فكان صِفَتُه كقول من قال : ذقن وشاش على لاش] [٦] .

وتوفى المقامُ الناصرى محمدُ بن السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، فى ليلة السبت ثانى عشرين ذى الحجة بقلعة الجبل ، بعد مرض طويل ، وصُلّى عليه من الغد بباب القلة [٧] من قلعة الجبل ، وحضر والدُه السلطانُ الملك الظاهر جَقْمَق الصلاةَ عليه ، ودُفن بتربة عمه جارْكَس القاسمى المُصَارِع ، التى [٨] جددها مملوكُه قانى باى الجارْكَسى عند دار الضيافة ، تجاه سور القلعة . ومات وهو فى حدود الثلاثين تخميناً ، وأمُّه السِّتّ قَرَاجا بنت الأمير أرْغُون شاه أمير مجلسِ الملكِ الظاهر برقوق .

وكان مولده بالقاهرة ، وبها نشأ تحت كنف والده ، وحج وسافر مع والده إلى آمدْ فى سنة ست وثلاثين ، واشتغل اشتغالا يسيراً حتى برع فى المعقول وشارك فى المنقول ، وساد فى فنون كثيرة من العلوم ، يساعده فى ذلك جودة ذهنه وحسن تصوره وعظيم

---

(١) فى ا (وقد) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (الحلوه) .
(٣) عن التبر المسبوك والضوء اللامع .
(٤) الرحل السرج الكامل .
(٥) فى ا (كله) .
(٦) عن طبعة كاليفورنيا .
(٧) فى ا (القلعة) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا والضوء اللامع .
(٨) فى ا (اللى) .

حفظه ، حتى صار معدوداً من العلماء ، ولا نعلم أحداً من أبناء جنسه من ابن أمير ولا سلطان وصل إلى هذه الرتبة غيره قديماً ولا حديثاً ، بل ولا فى الدولة التركية قاطبة من المشاهير أولاد الملوك ، هذا مع المحاضرة الحسنة والمذاكرة اللطيفة والنوادر الظريفة والاطلاع الزائد فى أخبار السلف وأيام الناس .

وكان يسألنى عن مسائل دقيقة مشكلة فى التاريخ على الدوام ، لم يسألنى عنها أحد من بعده إلى يومنا هذا ، وأما حفظه للشعر باللغتين التركية والعربية ، فغاية لا تدرك[1] ، وكان مجلسه لا يبرح مشحوناً بالعلماء مشايخ الإسلام يتداولونه بالنوبة ، فكان لقاضى القضاة شهاب الدين بن حجر وقت[2] يحضر فيه فى كل جمعة مرتين ، ولقاضى القضاة سعد الدين بن الديرى الحنفى وقت غير ذلك يحضر فيه [أيضا][3] فى الجمعة مرتين ، وأما العلامة محيى الدين الكافيجى الحنفى ، والعلامة قاسم الحنفى ، فكانا يلازمانه فى غالب الأوقات ليلا ونهارا ، وأما غير هؤلاء من الطلبة الأعيان ، فكثير يطول [١٨٤] الشرح فى ذكرهم .

[وكان][4] مع هذه الفضيلة [التامة][5] والرئاسة الضخمة والترشيح للسلطنة ، متواضعا بشوشا هيّنا [لينا][6] ، مع حسن الشكالة وخفة الروح والميل إلى الطرب ، على قاعدة الصوفية والعقلاء من الرؤساء ، وكان لا يمل من المحاضرة والمذاكرة بالعلوم والفنون ؛ وكان رميُه بالنشّاب فى غاية الجودة ، ويشارك فى ملاعيب كثيرة ، لولا سِمَن كان اعتراه ، وكره هو ذلك ، وأخذ يتداوى فى منع السمن بأشياء كثيرة ، ربما كان بعضها

---

(١) من ذلك مثلا ، طلب مرة من ابن حجر أن « يُمشّيَه » ببيت من مفرداته ، وأضاف : « لعل أن نمشى خلفكم فيه ، وإن كنتم كما قيل : وما مثله فى الناس إلا مملكا »
فطلب ابن حجر أن يبدأ هو ، فقال :

هوَيتُها بيضاء رعبوبة قد شغفت قلبى بخود الرواح

فقال ابن حجر :

سألتها الوَصل فضَنّتْ به إن قليلا فى الملاح السماح
(التبر المسبوك ص ٨٤)

(٢) فى ا (وقتا) .

(٣) من طبعة كاليفورنيا .

(٤) ، (٥) ، (٦) من طبعة كاليفورنيا .

سببا لهلاكه ، مثل شرب الخل على الريق ، ومنع أكل الخبز سنين ، وكثرة دخول الحمّام ، حتى أنه كان غالب جلوسنا معه فى الخلوة فى مسلخ الحمام الذى ابتناه بطبقة الغَوْر[1] من القلعة ، ويداخله فى الحرارة ، وأشياء غير ذلك ؛ وكان بينى وبينه صحبة قديمة وحديثة ومحبة زائدة ، ثم صار بيننا أيامَ سلطنة والده صهارة ، فإنه تزوج بنت الأتابك آقبغا التمرازى ، وهى بنت كريمتى ؛ ولم يفرق بيننا إلا الموت ، رحمه الله تعالى .

ولقد كان حسنةً من حسنات الزمان[2] ، خليقا للملك والسلطنة ، ولو طال عمره إلى أن آل إليه الأمر ، لما اختلف عليه اثنان غصبا ومروءة ؛ فإنه كان هيّنا مع الدين فتّاكا على العسر ، وأنا أعرَف بحاله من غيرى ؛ ولقد سمعتُ منه كلمات من أفعال يفعلها إن تمّ أمرُه فى الملك ، تدل على معقول وتدبير عظيم وحدس[3] صائب ، وإقماع المفسدين ، لم أسمعها من أحد غيره كائنا من كان .

وأنا أقول : لو مَلَكَ الديارَ المصرية [و][4] تم أمره ، نفقت فى أيامه بضائع أرباب الكمالات الكاسدة من كل علم وفن : وظهرت من الزوايا خبايا ، وتجدَّد ما بَعُدَ عَهْدُه من الطرائف ، وأبدى كل أستاذ من فنه أعاجيب ولطائف ؛ ومن أجله صنّفتُ هذا الكتاب من غير أن يأمرنى بتصنيفه ، غير أنى قصدت بترتيب هذا الكتاب من ذِكر ملك بعد ملك ، أنه إذا تسلطن ، أختِم هذا الكتابَ بذكره ، بعد أن أستوعبَ أحوالَه وأموره على طريق السيرة ، ولوّحت له بذلك ، فكاد يطير فرحاً ، وبينا نحن فى ذلك ، انتقل إلى رحمة الله تعالى ، فكان حالى معه كقول مسعود بن محمد الشاعر :

[الكامل]

(١) طبقة الغور بالقلعة ، هى الخاصة بسكنى المماليك المجلوبين من بلاد الغور — أفغانستان الحالية تقريبا — إذ كانت كل طبقة تسمى بأسماء الجهات التى ينسب إليها سكانها (زبدة كشف الممالك ص ٢٧ ، خطط جـ ٢ ص ٢١٣) .

(٢) فى طبعة كاليفورنيا (الدهر) ؛ ولا فرق يذكر .

(٣) فى ا (تدبير) ، والمثبت من طبعة كاليفورنيا .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

بأبى ، حَبيبٌ زارنى متَنَكِّراً فبدا الوشاةُ له فَولَّى مُعْرِضاَ
فكأنَّنى وكأنَّه وكأنَّها أملٌ ونَيْلٌ حالَ بينَهما القضا

وأحسن من هذا قول من قال ، وهو فى معنى فقده : [الطويل]

غدا يَتَنأى صاحبٌ كان لى إنساً فلا مَصْبَحاً لى بالسرور ولا مُمْساً[1]
أخٌ لى لو أعْطَى الدُّنَى باسم فَقْدِهِ بلا[2] فَقْدِه كانَتْ به ثمنًا بَخْسَا

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ، ستة أذرع وعشرون أصبعاً ؛ مبلغ الزيادة : تسعة عشر ذراعا وثلاثة وعشرون أصبعا .

---

(١) فى ا (يمسا) .
(٢) فى ا (فلا) .

السنة السابعة من سلطنة الملك

الظاهر جقمق على مصر

وهى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة .

فيها لهج المنجمون بأن فى هذه السنة يكون انقضاء مدة الملكِ الظاهر جَقْمَق من ملك مصر ، فإنهم كانوا أجمعوا على أنه لا يقيم فى الملك أكثر من سبع سنين ؛ وكان هذا القول بعد أقوال كثيرة فى مدة ملكه ، فلم يصدقوا فى واحدة منها ، ومضت هذه السنة والسلطان فى خير وعافية .

[و][1] فيها كان الطاعونُ بالديار المصرية ، وكان مبدأه فى ذى الحجة من السنة الخالية ، وعظم فى المحرم من هذه السنة وأوائل صفر ، ومات فيه عالم كبير جداً حسبما تقدم [2] ذكره فى أصل الترجمة [3] .

وفيها ، أعنى سنة ثمان وأربعين المذكورة ، توفى الخطيبُ الواعظ شمس الدين محمد الحموى خطيب الجامع الأشرفى بالعَنْبَرِيّين [4] ، فى يوم الأربعاء ثالث ذى القعدة ، عن نيف وسبعين سنة تخميناً ، وكان يعظ الناس فى الأماكن ، ويعمل المواعيد ، وكان له قبول من العامة والقسوة ، وكان فصيحاً فى خطبته [١٨٥] ويستحضر الكثير من الأحاديث والتفسير ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الأميرُ الطَّوَاشى فَيْرُوز بن عبد الله الجَارْكَسى الرومى الساقى الزِّمَام ، بَطَّالا بالقاهرة ، فى يوم الأربعاء رابع عشر شعبان ، ودفن بمدرسته التى أنشأها بالقرب من داره ، عند سوق القِرب [بالقرب من الحارة الوزيرية][5] بالقاهرة .

(١) من طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (يأتى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) راجع ماسبق عن سوق العنبريين ، وانظر الخطط جـ ٢ ص ١٠٢ .
(٥) عن التبر المسبوك .

وكان أصله من خدام الأمير جارْكس القاسمى المصارع، المقدم ذكره فى دولة الملك الناصر فرج ، وترقى بعد موته إلى أن صار ساقياً للسلطان ، وحظى عند الملك المؤيد شيخ ، ثم عند الأشرف بَرْسباى ، ثم انحطّ قدره، وعزله الأشرف ، وأخرجه إلى المدينة النبوية[1] ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام[2] .

ثم أعاده بعد مدة ، واستقرّ به ساقياً عَلَى عادته ، ودام عَلَى ذلك حتى غضب عليه فى مرض موته ، بعد أن وَسّط الحكيمين[3] ، وعزَله عن وظيفة السّقاية ، بعد أن هدّده بالتوسيط .

فلزم فيروزُ هذا بيتَه ، إلى أن مات الملكُ الأشرف ، وصار الأمرُ إلى الملكِ الظاهر جَقْمَق ، فطلبه وولّاه زمَامًا عِوضًا عن جوهر الجُلْبانى [اللالا][4] بحكم عزله ومصادرته ، وذلك فى أحد الرّبيعَيْن من سنة اثنتين وأربعين ، فظن كل أحد بطول مدة فيروز هذا فى وظيفة الزمامية ، لكونه من خدام أخى السلطان الأمير جارْكَس ، فلم يُقم فى الوظيفة إلا نحو ستة أشهر .

وعُزِل لكونه فرّط فى أمر الملكِ العزيز حين فَرّ من الدُّور السلطانية ، وتقدم[5] ذكرُ ذلك كله فى أصل هذه الترجمة ، وولّى السلطانُ عوضَه زِمامًا ، جوهر الخازندار التُّنُقْبائى ، ولزم فيروزُ هذا بيته خاملا إلى أن مات . وكان لا بأس به فى أبناء جنسه ، لتجمل كان فيه ومحاضرة حسنة ، وهو أحسن الثلاثة حالاً ممن اسمُ كلٍّ واحدٍ منهم فيروز ، وهم فى عصر واحد [أولهم][6]

---

(١) ، (٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) المقصود بالطبيبين : العفيف الأسلمى رئيس الأطباء ، وخضر الطبيب ؛ وهما اللذان قتلهما برسباى عام ٨٤١ هـ / ١٤٣٨ م ، لاعتقاده أنهما قصرا فى علاجه (راجع ما سبق فى حوادث شوال ٨٤١ هـ) .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا — راجع شرح هذا المصطلح فيما سبق (ص ٧٢ حاشية ٢) .

(٥) فى طبعة كاليفورنيا (قدم) .

(٦) عن طبعة كاليفورنيا .

فيروز هذا ، وثانيهم فيروز النَّوْرُوزى ، وثالثهم فيروز الركنى نائب مقدم [المماليك][1] كان .

وتوفى الأميرُ حمزة بن قَرَايُلك ، واسم قرايلك عثمان بن طَرَعَلِى ، صاحب مارْدِين وغيرها من ديار بكر ، فى أوائل شهر رجب ، ووصل الخبرُ بموته إلى القاهرة فى العشرين من شعبان ، وكان غيرَ مشكور السيرة عَلَى قاعدة أوباش التركمان الفَسَقة .

وتوفى الأميرُ سيف الدين طوخ بن عبد الله الأبوبكرى المؤيَّدى نائب غزة ، خارج غزة ؛ قتيلا بيد العربان الخارجة عن الطاعة ؛ فى أواخر ذى الحجة ؛ وتولى نيابة غزة بعده الأميرُ يَلْخُجَا من مَامِش الساقى الناصرى ؛ وكان أصلُ طُوخ هذا من مماليك الملكِ المؤيد شيخ وخاصْكيَّته ، وتأمَّر بعد موته بالبلاد الشأمية ؛ ثم صار أتابكَ غزة سنين طويلة ؛ إلى أن نقله الملكُ الظاهر جَقمق إلى إمرة مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بدمشق .

ثم ولاه بعد مدة يسيرة نيابة غزة ، بعد موت الأمير طوخ مازى الناصرى فدام عَلَى نيابتها إلى أن خرج من غزة ، وواقَعَ العربانَ وكسرهم ؛ وبعد كسرتهم تهاون فى أمرهم ، ونزل بمكان ، فعادوا نحوه وهجموا عليه ، فركب بمن معه وقاتلهم حتى قُتل هو وجماعة من مماليكه وغيرهم . وكان شجاعاً مقداماً إلا أنه كثير الطمع .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وخمسة عشر إصبعاً ، مبلغ الزيادة : ثمانية عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

السنة الثامنة من سلطنة الملك الظاهر

جقمق على مصر

وهى سنة تسع وأربعين وثمانمائة .

فيها توفى قاضى القضاة شمسُ الدين محمد بن إسماعيل بن محمد الوَنائى (١) ، الشافعى الفقيه العالم ، معزولا عن قضاء دمشق ، بالقاهرة ، فى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر ، ودُفن من الغد بالقرافة ، وصَلى عليه رفيقُه فى الاشتغال ، قاضى القضاة شمسُ الدين محمد القاياتى الشافعى . ومولده فى شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ببلده ، ثم انتقل إلى القاهرة ، وطلب العلم وحفظ التنبيه فى الفقه ، وعدة مختصرات ، وأقبل على الاشتغال ، ولازم علماء عصره . وأول اشتغاله كان فى سنة سبع وثمانمائة ، وتكسَّب بتحمُّل الشهادة مدة ، إلى أن برع فى الفقه والعربية والأصول ، وتولى مشيخةَ التنكزية بالقرافة ، ثم تدريسَ الفقه بالشَّيْخونية ، ثم طلبه الملكُ الظاهر جَقْمَق ، وولاَّه قضاء الشافعية [١٨٦] بدمشق ، من غير سعى ، فى سنة ثلاث وأربعين ، فباشر قضاء دمشق بعفة ، وعُرف بالصيانة والديانة ، إلى أن عُزل وعاد إلى القاهرة ، ثم وَلِيَها ثانياً ، فباشرها أيضاً مدة ، ثم عُزل وقدم القاهرة وتولى تدريسَ قبة الإمام الشافعى ، إلى أن مات فى التاريخ المذكور . وكان معدوداً من العلماء ، وهو أحد من جمع بين معرفة المنقول والمعقول رحمه الله .

وتوفى الأمير الكبير ، سيفُ الدين يَشْبَك بن عبد الله السُّودونى ، المعروف بالمُشِدّ ، أتابكُ العساكر بالديار المصرية ، فى يوم الخميس ثالث شعبان ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمُصلاة المؤمنى ، وتولى الأتابكيةَ من بعده الأميرُ إينالُ العلائى الناصرى الدَّوَادَارُ الكبير . وكان أصل يَشْبَك هذا من مماليك سُودون الجَلْب نائب حلب ،

(١) الونائى نسبة لقرية ونا بصعيد مصر الأدنى ، وهى ضمن الأعمال البهنساوية ، واستقرت مساحتها فى الروك فى الدولة المملوكية الأولى ٢٣٠٠ فدان ، وهى المقطعين (التبر المسبوك ص ١٣٢ ؛ التحفة السنية ص ١٧٣) .

ومات عنه ، فباعه الأميرُ يَشْبَك الساقى الأعرج ، وهو يومَ ذاك نائبُ قلعة حلب ، للأمير طَطَر ، فأعتقه ططر وجعله من جملة مماليكه ، فنازعه بعد مدة الأميرُ أَيْتَمُش الخضرى ، وهو يوم ذاك متحدث عَلَى أيتام الملك الناصر فرج ، وطلبه منه فادعى طَطَرَ أنه اشتراه من يَشْبَك الساقى الأعرج ، وهو وصىُّ سُودون الجلب فقال أَيْتَمُش : بَيْع يشبك له غير صحيح ، لأن سُودون الجلب انحصر إرثُه فى أولاد الملك الناصر ، وأنا[1] المتحدث على أولاد الملك الناصر ، فاشتراه طَطَر ثانياً منه بمائة دينار .

ثم جعله طَطَر شادّ شرابِ خاناته ، حتى تسلطن ، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناة ، وجعله شادّ الشرابِ خاناة السلطانية ، فدام عَلَى ذلك سنين ، إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف بَرْسباى بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بديار مصر ، ثم جعله حاجبَ الحجاب بعد قَرْقَماس الشعبانى بعد توجهه إلى نيابة حلب ، ثم نقله الملكُ الظاهر جَقْمَق فى أوائل سلطنته إلى إمرة مجلس ، بعد آقْبغَا ، [ثم][2] إلى إمرة سلاح عوضاً عن آقبغا التَّمْرازِى أيضاً ، ثم بعد أشهر خلع عليه باستقراره أتابكَ العساكر بالديار المصرية ، بعد قدومه من بلاد الصعيد ، عوضاً عن آقْبغَا التَّمْرازِى أيضاً بحكم انتقال آقبغا إلى نيابة دمشق ، بعد خروج إينال الجكمى عن الطاعة .

كل ذلك فى أشهر قليلة من سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فدام يَشْبَك فى الأتابكية سنينَ ونالته السعادة ، وعظُم وضخُم فى الدولة ، إلى أن اعتراه مرض تمادى به سنين ، [ويقال إنه سُمّ][3] وحصل له ارتخاء فى أعضائه ، ثم عوفى قليلا ، وركب إلى الخدمة ثم نقض عليه ألمُه ، فمات منه بعد أيام يسيرة .

وكان عاقلا ساكناً حشما ، إلا أنه كان عارياً من كل علم وفن ، غير أنه كان يحسن رمىَ النُّشّاب ، عَلَى عيوب كانت فى رميه ؛ وكنتُ أظنه أولا ديِّناً ، إلى أن أخذ

(١) فى ا (وأما) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا فضلا عن سياق الحديث .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن التبر المسبوك .

إقطاع الأتابك آقبغا التمرازى ، وصار بيننا وبينه مستحقٌ أيتام آقبغا فى الإقطاع المذكور ، فإذا به لا يحلل ولا يحرم ، وعنده من الطمع وقلة الدين ما يقبح ذكره عن كائن من كان ، هذا مع حدة زائدة وشراسة خلق وظلم زائد عَلَى حواشيه وخدمه ، حتى أنه كان يضرب الواحد منهم نحو ألف عصاة على الذنب اليسير ، ولم يكن له مهابة فى النفوس ، لكونه كان من مماليك سُودون الجلب ، وأيضاً من قُرْب عهدِه بالفقر ، وخدم الأمراء ، مع من كان عاصره من أكابر الأمراء الظاهرية البرقوقية ممن كان أكبرَ من أستاذه سُودون الجلب ، وأعظم فى النفوس — انتهى .

وتوفى الأميرُ سيفُ الدين قانى باى الجكمى حاجبُ حجاب حلب ، على هيئة نسألُ الله تعالى حُسْن الخاتمة ، فى أواخر هذه السنة وكان من خبر موته أنه سكر ونام فى أيام الشتاء ، وقد أوقد النارَ بين يديه على عادة الحَلَبِيين وغيرهم فعظُم الدخان عليه وعلى مملوكه فى البيت ، وصارا من غلبة السكر لايهتدى كل واحد[1] منهما إلى الخروج من باب الدار ، من عظم الدخان وشدة السكر ، فماتا على تلك الحالة ؛ وكُتب بذلك محضر وأرسل إلى السلطان [لئلا يتوهم خلافه][2] .

وكان أصلُ قانى باى هذا من مماليك الأمير جَكَم مِن عَوَض نائب حلب ، ثم صار بعد موت الملك المؤيد شيخ خاصكيًّا ، ودام على ذلك دهراً طويلا لا يُلتفت إليه ، إلى أن خَلع عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق ، باستقراره فى حجوبية حجاب حلب دفعةً واحدةً من الجندية ؛ وعِيبَ ذلك على الملك [١٨٧] الظاهر لكون قانى باى المذكور لم يكن من أعيان الخاصكيَّة ، ولا من المشاهير بالشجاعة والإقدام ، ولا من العلماء[3] ولا من العقلاء العارفين بفنون الفروسية ، بل كان مهملا مسرفاً على نفسه عارياً من كل علم وفن ، ولم يَدْرِ[4] أحدٌ لأى معنى كان قدَّمه الملكُ الظاهر جَقْمَق ، فرحمه الله تعالى وسامحه على

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) عن التبر المسبوك .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٤) فى ا (أدر) .

هذه الفعلة، فإنها عُدت من غلطاته الفاحشة التى ليس لها وجه من الوجوه. قلتُ: وكما جاءته السعادةُ فجأةً جاءه الموت أيضا فجاءةً، عفا الله عنه.

أمر النيل فى هذه السنة: الماءُ القديم خمسة أذرع وخمسة عشر إصبعا؛ مبلغ الزيادة: تسعة عشر ذراعا وتسعة[1] أصابع.

(١) فى ا (أربعة)، والمثبت من طبعة كاليفورنيا.

السنة التاسعة من سلطنة الملك الظاهر جقمق على مصر

وهى سنة خمسين وثمانمائة .

فيها توفى قاضى القضاة شمسُ الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى ، الشافعى ، قاضى قضاة الديار المصرية فى العشر الأخير من المحرم ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمُصلاة المؤمنى من تحت القلعة ، ودُفن بتربة الصوفية خارجَ باب النصر ؛ وكان مولده بقايات فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة تخمينا ، ثم نقل إلى القاهرة مع والده ، وحفظ عدة مختصرات ، وحضر دروس شيخ الإسلام[1] السراج البُلْقِينى فى آخر عمره ، ثم تفقَّه بعَمِّه الشيخ ناصر الدين القاياتى وبجماعة أُخر ، حتى برع فى الفقه والعربية والأصلين وعلمى المعانى والبيان ، وشارك فى عدة فنون ، وسمع الحديث فى مبدأ أمره ، وحدَّث ببعض مسموعاته ، وتكسّب مدة سنين بتحمل الشهادة بجامع الصالح خارج باب زَوِيلة ، [إلى أن قُرِرَّ طالباً بالجامع المؤيَّدى داخل باب زَوِيلة][2] .

ثم وَلِىَ تدريس الحديث بالمدرسة البرقوقية ، عوضاً عن الشيخ زين الدين القِمَنى ، ثم استقر فى تدريس الفقه بالمدرسة الأشرفية بُخطِّ العَنْبَرِيِّين ، ثم وَلِىَ مشيخةَ خانقاه سعيد السعداء ، بعد موت القاضى شهاب الدين بن المحمّرة ، وتصدَّى للإفتاء والتدريس والإقراء سنين ، وانتفع به الطلبة . وكان مع براعته فى العلوم ، متقشفا فى ملبسه ومركبه ، بل كان يمشى على أقدامه فى غالب أوقاته[3] وحاجاته ، إلى أن طلبه الملكُ جَقْمَق ليوليه قضاء الشافعية ، فطلع بحضرتى على حمار إلى باب القلعة ، ثم نزل ودخل إلى السلطان ، وكان السلطانُ يعرفه من دروس العلامة علاء الدين البخارى ، فكلّمه

(١)، (٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

السلطان فى الولاية ، وأنا أظن أنه لا يقبلها أبدا ، فامتنع امتناعاً ليس بذاك ، ثم أجاب وأصبح تولّى القضاء ، ونزل وبين يديه وجوه الدولة ، وهو بغير خلعة بل بطَيْلَسانه ، وامتنع من لبس الخلعة ، كونَها تُعمل من وجه غير مقبول عنده ، وكان ذلك فى يوم رابع عشر محرم سنة تسع وأربعين .

ونزل إلى المدرسة الصالحية بين القصرين ، وقام بعضُ الرسل ليدّعى على شخص ، فلم يسمع دعواه ، وقال : « هذه حيلة واصطلاح » . ففرح الناس بولايته ، وظنوا أنه يحملهم على الحق المحض ، من طريق السلف ، ويحيى[1] سُنَّةَ قضاة العدل ، فوقع خلافُ ذلك كله ، وسار على طريق القوم — وأكثر — من النُّوّاب ، وراعى[2] أربابَ الدولة ، وتعاظَم ، حتى فى سَلامِه ، وحَبَّ المنصب حُبًّا ، حتى لعله لو عُزِل منه لمات أسفاً عليه ؛ هذا مع ما كان عليه من العلم والعبادة والصيانة .

ولما أن خطب بالسلطان فى يوم الجمعة على عادة قضاة الشافعية ، ورَقَى المنبر ، لم يخشع أحد لخطبته لمسكة كانت فى لسانه ، وعدم طلاقة ، وكانت هذه عادته ، حتى فى تقرير دروسه[3] ؛ وكان يقرئ العِلمَ على قاعدة الأعاجم من كتاب فى يده ، وكان فيه بعض تَوَسْوُس لاسيا فى تكرير النية عند دخوله إلى الصلاة ؛ فلما وَلِىَ القضاء وخطب ونزل صلى بالسلطان ، زال عنه ذلك ببركة المنصب ، وأنا أقول : كانت حالته الأولى تعجبنى والناس ، ولم تعجبنى أحوالُه بعد ولايته ، رحمه الله وسامحه[4] .

وتوفى القاضى بهاء الدين محمد بن قاضى القضاة نجم الدين عمر ، بن حجى [ابن موسى][5] الدمشقى المولد والمنشأ ، الشافعى ناظر جيش دِمَشق بقاعة[6] البَرَابْخِية بخط بولاق على النيل ، فى يوم ثالث عشرين صفر ، وحضر السلطانُ الصلاةَ بمُصلاة

---

(١) فى ا (ممى) .
(٢) فى ا (وراعا) .
(٣) فى ا (تدريسه) .
(٤) أورد السخاوى ترجمة وافية له فى التبر المسبوك (ص ١٥٩ وما بعدها) .
(٥) عن الضوء اللامع والتبر المسبوك .
(٦) فى ا (بعظرة) وكذلك فى طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن الضوء اللامع والتبر المسبوك .

المؤمنى من تحت قلعة الجبل ، ودُفن بالقرافة الصغرى تجاه شباك الإمام الشافعى وهو فى حدود [١٨٨] الأربعين من العمر تخميناً . وكان وَلِىَ قضاء دمشق بعد موت والده ، ثم نُقل إلى نظر جيشها ، ثم قدم القاهرةَ وتولى نظرَ جيش مصر ، بعد عزل القاضى محب الدين بن الأشقر ، لوظيفة نظر جيش دمشق ، فلم ينتج أمرُه ، وعُزل بعد أشهر ، وخُلع عليه باستقراره [على][1] وظيفة نظرِ جيشِ دمشق .

ثم قدم القاهرةَ بعد ذلك ودام بها عند حميه[2] المقر الكمالى بن البارزى كاتبِ السر ، إلى أن مرض وطال مرضه ، إلى أن مات فى التاريخ المذكور . وكان شابا طوالا جميلا جسيما طويل اللحية جدا ، كريما مفرط الكرم ، ومات وعليه جمل من الديون ، فوفى[3] موجودُه بقضائها ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الشيخ عز الدين عبد العزيز شيخ الصَّلاحية بالقدس الشريف ، فى أوائل شهر رمضان ، وتولَّى عوضَه مشيخةَ الصلاحية ، جمالُ الدين عبدُ الله بن جماعة بمالٍ بذلَهُ فى ذلك ، وكان عزُّ الدين فقيها عالما مفتيا ، وتولى نيابةَ الحُكم بالقاهرة سنين كثيرة ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الشيخ الإمام العلامة شهابُ الدين أحمد بن رجب بن الأمير طَيْبَغا المجدى الشافعى ، فى ليلة العاشر من ذى القعدة . وصلى عليه بجامع الأزهر . وكان مولده بالقاهرة فى سنة سبع وستين وسبعمائة ، وبها نشأ واشتغل حتى برع فى الفقه والعربية والحساب والفرائض والهيئة والهندسة ، وصنَّف وأقرأ وأشغل وانتفع به الناس . وكان أجلّ علومه[4] الفرائض والحساب والهندسة[5] ، ويشارك فى غير ذلك .

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (حموه) .
(٣) فى ا (فوفا) .
(٤) فى ا (علومه) .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

وتوفى الشيخ الإمام(١) [الصالح](٢) المعتقد يوسف [بن محمد بن جامع](٣) البحيرى ، نزيل جامع الأزهر ، فى ليلة الأحد حادى عشر(٤) ذى القعدة ، وصُلّى عليه من الغد ، فى جامع الأزهر ، وحضرتُ غسله والصلاةَ عليه ودفنَه ، لصحبة كانت بيننا قديماً . وكان شيخاً جميل الطريقة قائماً بقضاء حوائج الناس ، ولأرباب الدولة والأكابر فيه اعتقاد كبير ومحبة ، رحمه الله [تعالى](٥)

وتوفى الأميرُ سيف الدين سُودون بن عبد الله السيفى سودون المحمدى الظاهرى . وكانت شهرتُه أيضاً على شهرة أستاذه سُودون المحمدى ، وهو على نيابة قلعة دمشق ، فى أوائل صفر. كان خاصكيًّا فى دولة الأشرف بَرْسْباى ، ورأس نوبة الجمَدارية ، وولِىَ نظرَ الحرم بمكةَ المشرفة غيرَ مرة ، وهو الذى هدم سقفَ البيت الحرام وجدَّده ، وعظم ذلك على أرْباب الصلاح وأهل العلم ، بل ربما خرج بعضُهم من مكةَ خشيةً من سخط [ينزل](٦) بها ، لكون البيت صار بلا سقف عدةَ أيام ، وكان هدمُه لسقف البيت من غير أمر يوجب ذلك ، أراد بذلك التقرب إلى الله تعالى(٧) بهذه الفعلة ، فوقع فى أمر كبير وهو لايدرى — كعادة صلَحَاء الجهّال — فكان حاله فى هذا كقول القائل : [الخفيف] :

رامَ نَفْعاً فَضَرّ من غَيْر قَصْدٍ ومن البِرِّ ما يكونُ عُقوقَا(٨)

ومن يوم هدم سُودون سقف الكعبة ، صار الطيرُ يجلس على البيت الشريف ،

---

(١) ، (٧) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) ، (٥) ، (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن التبر المسبوك .

(٤) فى ا (عشرين) ، وما المثبت عن التبر المسبوك وطبعة كاليفورنيا .

(٨) راجع حوادث الدهور ج ١ ورقة ٥٢ .

وكان لا يجلس فوقه أبداً قبل ذلك ، وقد أتعب ذلك خدمةَ الكعبة . فلو لم يكن من فعله إلا هذه الفعلة [1] لكفاه إثماً . كل ذلك لظن سُودون المذكور بنفسه ، فإنه لم يشاور فى ذلك أحداً من أعيان أهل مكة ولا تكلم مع من له خبرة بأحوال مكة ، وقد قيل : « ما خاب من استشار » . وكان يتدين ويتَعفّف عن الفواحش ، غير أنه كان يقع فى أمور محذورة ، منها : أنه كان إذا سلم عليه الشخص لا يرد عليه[2] [سلامَهَ][3] ، تكبراً وتعاظماً ، وإذا ردّ فيرد رداً هيناً خلاف السنة ، ومنها : أنه كان فيه ظلم عظيم على خَدَمه وحواشيه ، هذا مع انخفاض قدره ، فإنه لم يتأمّر إلا عشرةً فى دولة الملك الظاهر جَقْمق ، ثم عمل نيابةَ قلعةِ دمشق لا غير ، على أن أستاذه سُودون المحمدى لم يعدّ من الملوك فكيف هو !

وتوفى الأميرُ سيف الدين يَلْخُجا بن عبد الله مِن مامِش الساقى الناصرى ، الرأس نوبة الثانى ، ثم نائب غزة ، بعد مرض طويل ، فى أوائل جمادى الآخرة ، وسنه نيف على خمسين سنة . وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق ، أخذه مع أبيه وأمه ، ثم أنعم به على وَلده الملك المنصور عبد العزيز ، ثم مَلكه الملكُ الناصرُ فرج بعد أخيه عبد العزيز [١٨٩] المذكور ورقاه وَجعله ساقياً ، واختصّ به إلى الغاية ، ورأسَ على جميع الناصرية ، واستمر على رئاسته وَتحشمه ، إلى أن عزله الملكُ المؤيّد من وظيفة السقاية ، وَلم يُبعده ، بل صار عظيماً أيضاً فى الدولة المؤيدية ، بل كان[4] فى كل دولة ، لكرم نفسه وَلعظمه فى النفوس .

(١) ، (٢) ، (٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) عن طبعة كاليفورنيا .

وسافر أميرَ الرَّكْب الأول إلى الحجاز، فى الدولة المؤيّدية ، واستمر على ذلك ، إلى أن أنعم عليه الملكُ الأشرف بَرْسْبَاى بإمرةِ عشرةٍ ، وحج أيضاً أميرَ الركبِ الأول ثانياً، ثم [توجه] [1] إلى شَدِّ بندرِ جُدّة وصُحبته الصاحبُ كريمُ الدين بن كاتب المناخ ، بعد عزله عن الوَزْر والأسْتَادَّارِيّة ، ثم ترقى بعد ذلك إلى أن صار أميرَ طبلخاناة ورأسَ نوبة ثانياً فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم نُقل إلى نيابة غزة بعد موت الأمير طُوخ الأبو بكرى المؤيّدى، فلم تطل مدتُه فى نيابة غزة ، ومرض وطال مرضُهُ ، واستعفى وتوجه إلى القدس عليلا ، فمات بعد أيام قليلة [ودفن بجامع ابن عثمان ظاهر غزة] . [2] وكان أميراً جليلا رئيساً وجيهاً معظما فى الدول ، عريقاً فى الرئاسة ، متجملا فى مركبه وملبسه ومماليكه ، وكان تركى الجنس مليح الشكل إلى الغاية ، وعنده سلامة باطن ، مع خفة روح وبشاشة وتواضع ، مع شجاعة وإقدام وحرمة وافرة ، وكلمة نافذة ؛ ولم يكن فيه ما يعابُ ، غير انهما كه فى اللذات ، وبعض سطوة على غلمانه ، عفا الله عنه [3] .

وتوفى الأميرُ الطَّوَاشى صفىُّ الدين جوهرُ بن عبد الله التَّمْرَازِى الخازندارُ ، ثم شيخُ الخدام بالحرم الشريف [4] النبوى ، فى أواخر هذه السنة ، وكان أصله من خدام الأمير تِغْراز الظاهرى النائب ، وصار جَمَدَاراً فى أواخر دولة الملك المؤيّد شيخ ، ودام على ذلك سنين ، إلى أن استقر به الملكُ الظاهرُ خازنداراً ، بعد موت جوهر القُنُقْبَائى ، فلم تطل مدتُه فى الخازندارية ، وعزله السلطانُ بالطَّوَاشى فَيْرُوز النَّوْرُوزِى الرومى رأسِ نوبةِ الجَمَدَارية ؛ وصادره ، ثم ولاّه مشيخةَ الُخدّام بالحرم النبوى ، إلى أن مات

(١) من طبعة كاليفورنيا .

(٢) من النجوم المسبوك .

(٣) جاء فى ا (سهواً) فقرة طويلة عن وفاة وترجمة شخصية وأخبار زيادة النيل ، ولا موضع لهذه الفقرة هنا ، وقد استدرك ناسخ المخطوطة بعد كتابتها ، فكتب فى أول الفقرة كلمة «سهو» ، وفى نهاية الفقرة كتب «إلى هنا» ، بمعنى نهاية الفقرة التى كتبت سهواً .

والوضع الصحيح لهذه الفقرة هو ما وضعت فيه ضمن حوادث سنة ٨٥٣ هـ ، وليس ضمن حوادث هذه السنة (٨٥٠ هـ) (انظر ما يلى ص ٥٤٦ حاشية ٦) .

(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

[واستقر بعده فى مشيخة الحرم الطواشى فارس كبير الطواشية هناك][1] . وكان حبشىّ الجنس مليح الشكل ، كريماً حشما ، متواضعاً لطيفاً ؛ وعنده فهم وذوق ؛ وله محاضرة ، مع تجمل فى أحواله ، وكان بخلاف أبناء جنسه فى تحصيل المال ، بل كان يصرفه فى معايشه ، ويقصد الترف والعيش الرغد ، ويُظهر النعمةَ ويبر أصحابَه بحسب طاقته ، رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وستة وعشرون أصبعاً ؛ مبلغ الزيادة : تسعة عشر ذراعاً واثنان وعشرون إصبعاً .

(١) عن التبر المسبوك .

السنة العاشرة من سلطنة الملك الظاهر جقمق

على مصر

وهى سنة إحدى وخمسين وثمانمائة .

فيها توفى الأميرُ أيتَمُش بن عبد الله من أَزُوبِاى الناصرى [فرج][1] ثم المؤيّدى ، أستادّار الصُّحبة وأحد أمراء العشرات ، فى يوم الأربعاء ثالث صفر ، وتولى أستادّارية الصُّحبة [١٩٠] بعدَه الأميرُ سُنْقُر الظاهرى . وكان أيتَمُش المذكور من جملة مَن تأمّر بعد موت الملك الأشرفِ بَرْسْباى ، ثم ولاّه الملكُ الظاهر جَقْمَق أستادّارية الصُّحبة ، بعد مُغْلباى الجَقمقى بحكم خروجه إلى دمشق أميراً ، فدام أيتَمُش المذكور على وظيفته ، إلى أن مات ، وكان مسيكا مسرفاً على نفسه ، لم يشهر بشجاعة ولا كرم ولا تدين .

وتوفى الأميرُ سيف الدين قانى باى بن عبد الله الأبوبكرى الناصرى ، المعروف بالبَهْلَوان ، نائب حلب بها ، فى شهر ربيع الأول ؛ وتولى عوضَه نيابةَ حلب الأميرُ بَرْسْباى الناصرى نائب طرابلس . وكان أصل قانى باى المذكور من مماليك الملك الناصر فرج ، ثم حَطَّه الدهرُ بعد موت أستاذه ، وخدم عند جماعة من الأمراء ، مثل الوزير أرْغُون شاه النَّوْرُوزى ، ومثل بَرْدبك الجَكَمى العجمى ، ثم اتصل بخدمة طَطَر ، فلما تسلطن ، أنعم عليه بإمرةِ عشرةٍ ، ثم صار أميرَ طبلخاناة فى أوائل دولة الملكِ الأشرف بَرْسْباى ، وثانىَ رأسِ نوبةٍ ، بعد قُطُج مِن تِمْراز ، بحكم انتقال قطُج إلى تقدمةِ ألف ، فدام على ذلك سنين ، إلى أن نقله الملكُ الأشرف إلى إمرةِ مائة وتقدمةِ ألف بالديار المصرية ، ثم ولاه نيابةَ مَلَطْيَة مضافاً على تقدمته ، فباشر ذلك مدة ، ثم أخرج السلطانُ تقدمتَه عنه ، واستمر فى نيابة مَلَطْيَة فقط ؛ ثم عزله

---

(١) عن النجوم المشرقة .

وولاه أتابكيةَ حلب ، فدام على ذلك سنين ، إلى أن نقله الملكُ الأشرفُ إلى أتابكية دمشق ، بعد موت تَغْرِى بَرْدى المحمودى بآمِد في سنة ستٍ وثلاثين وثمانمائة .

والعجبُ أنه لما صار أتابكَ حلب ، كان يومَ ذاك ، حاجبَ حجابِها أستاذُه بَرْد بك العجمى ؛ ثم لما صار أتابكَ دمشق ، كان يوم ذاك أستادَارَ السلطانِ بدمشق ، أستاذُه أرْغُون شاه النَّوْرُوزى الأعور ، فانظر إلى حركات هذا الدهر وتقلباته !

واستمرَّ قانى باى في أتابكية دمشق ، إلى أن خرج الأتابكُ إينال الجَكَمى نائبُ الشام عن طاعة الملكِ الظاهر جَقْمَق ، فوافقه قانى باى هذا ، بل وحرّضه على[1] الخروج عن الطاعة ليصل بذلك لأغراضه ، فلم تكن موافقتُه إلا مدةً يسيرة ، وأرسل إليه الملكُ الظاهر جَقْمَق من مصر ، يَعِده بأشياء إن ترك موافقةَ الجَكَمى وعاد إلى طاعته ، ففي الحال عاد إلى طاعة السلطان وخذل إينالَ الجَكَمى ، بعد أن كان هو أكبر الأسباب في خروجه ، فنقله السلطانُ إلى نيابة صَفَد ، بعد عزل إينال العلائى الناصرى عنها ، وقدومه إلى مصر أميرَ مائة [و][2] مقدمَ ألف بها ، ثم نقله إلى نيابة حماة ، بعد عزل أستاذه بَرْدبك العجمى عنها ، ثم نُقل إلى نيابة حلب بعد عزْل الأمير قانى باى الحمزاوى عنها ، وقدومه إلى القاهرة أميرَ مائة ومقدمَ ألف بها ، على إقطاع شاد بك الجكمى[3] ، بحكم استقرار شاد بك في نيابة حماة ، عوضا عن قانى باى المذكور . واستقر قانى باى في نيابة حلب ، إلى أن مات ، وهو في عشر الستين . وكان مليح الشكل متوسط السيرة ، مسرفا على نفسه ، لم يشهر بشجاعة ولا معرفة بفن من الفنون ، وكان يلقب بالبهلوان[4] على سبيل المجاز لا على الحقيقة ، رحمه الله تعالى[5] .

(١) ف، ا (عن) .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) ،(٥) ساقطة في طبعة كاليفورنيا .

(٤) راجع ما سبق (ص ١٨١ حاشية ٦) .

وتوفى الأميرُ سيف الدين إينال بن عبد الله الششمانى الناصرى [فرج] [١] أتابكُ دمشق بها ، فى جمادى الأولى ، وهو فى عشر الستين ، وكان أيضاً من مماليك الملك الناصر [٢] فرج ، وتأمّر عشرةً فى أيام أستاذه ، ثم نُكب وتعطّل مدة سنين ، إلى أن أنعم عليه الأتابك طَطَر بإمرة عشرة ، وصار من جملة رؤوس النُّوَب ، ثم ولاه الملك الأشرفُ حسبةَ القاهرة سنين ، ثم عزله ، ثم نقله بعد مدة إلى إمرة طبلخاناة ، ثم صار ثانىَ رأسِ نَوبة ، وسافر أميرَ حاجِّ المحمل ، وكان سافر أميرَ الركبِ الأول قبل ذلك بسنين ، ثم وَلاه الأشرفُ نيابةَ صَفَد بعد موت الأمير مُقبل الُحسامى الدَّوَادَار ، فلم ينتج أمرُه فى صَفَد لرخو كان فيه ، وعدم شجاعة ، وعزله السلطانُ عن نيابة صفَد . ثم أنعم عليه بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بدمشق ، فدام على [١٩١] ذلك سنين إلى أن أقرّه الملكُ الظاهر جَقْمَق أتابكاً بدمشق . بعد توجُّه قانى باى البهلوان إلى نيابة صفد ، فدام على ذلك إلى أن مات . وكان ديّنًا عفيفا عن الفواحش [مع جبن وَشح] [٣] إلا أنه لم يشهر بشجاعة ولا كرم .

وتوفى الأميرُ سيف الدين بَرسْباى بن عبد الله من حمزة الناصرى، نائبُ حلب ، بها أو بظاهرها ، بعد أن استعفى عن نيابة حلب ، لطول مرضه ، وَكان أيضا من مماليك الملك الناصر فرج ومن خاصكيّته ، ثم صار من جملة أمراء دمشق ، ثم أمسكه الملكُ المؤيّد شيخ وحبسه سنين ، ثم أطلقه ، فدام بطّالا ، إلى أن أنعم عليه الأتابكُ طَطَر بإمرة بدمشق ، ثم ولاه الملكُ الأشرف حجوبيةَ الحجاب بدمشق ، فدام على الحجوبية سنين طويلة ، ونالته السعادة ، إلى أن نقله الملكُ الظاهرُ جَقْمَق إلى نيابة طَرَابُلس ، بعد

(١) عن التبر المسبوك .
(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن التبر المسبوك .

قانى باى الجزاوى ، بحكم انتقال الجزاوى إلى نيابة حلب ، بعد تولية جُلبان على نيابة دمشق ، بحكم موت آقبُغا التمرازى ؛ فدام برْسباى فى نيابة طرابلس سنين ، إلى أن نُقل إلى نيابة حلب ، بعد موت قانى باى البهلوان ، فدام على نيابة حلب مدة ، ومرض وطال مرضه ، إلى أن استعفى ، فأُعْفى ، وخرج من حلب إلى جهة دمشق ، فمات فى أثناء طريقه . وكان جليلا حشما دينا عفيفا عن المنكرات والفروج ، وكان شديداً على المسرفين ، فإنه كان يُدْخلُ إليه بالسارق أو قاطع الطريق فيقول : « خذوه إلى الشرع » ، ويُدْخَل إليه بالسكران ، فيضربه حدوداً كبيرة . وفى الجملة أنه كان دينا خيراً ، رحمه الله تعالى .

وتوفى قاضى قضاة دمشق وعالمها ومفتيها وفقيهها ، تقىُّ الدين أبو بكر [بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذويب بن مشرق][1] ، الدمشقى الشافعى ، المعروف بابن قاضى شهبة[2] ، فى ذى القعدة بدمشق فجاءة بطالا ، بعد أن انتهت إليه الرئاسة فى فقه مذهبه وفروعه ، وكان ولِىَ قضاء دمشق ، وخَطب فى واقعة الجكمى للملك العزيز يوسف ، فحقد عليه الملكُ الظاهرُ جقمق ذلك ، وعزله ، إلى أن مات ، بعد أن تصدى للإفتاء والتدريس سنين كثيرة ، وانتفع به غالبُ طلبة دمشق[3] ، وصنف التصانيف المفيدة ، رحمه الله تعالى[4] .

وتوفى الأمير الطّواشى صفى الدين جوهر المَنْجَكى نائبُ مقدمِ المماليك السلطانية ، معزولا ، فى أول ذى الحجة . وَكان أولا من جماعة طَوَاشيّة الأطباق ،

(١) عن التبر المسبوك .
(٢) عرف بابن قاضى شهبة كأبيه وجده ، لأن والد جده أقام قاضيا بشهبة السوداء أربعين سنة (التبر المسبوك ص ١٨٩) .
(٣) انظر التبر المسبوك ص ١٨٩–١٩٠ .
(٤) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

أعنى أنه كان مقدمَ طبقة المقدم ، حتى ولاّه الملكُ الظاهرُ جقمق ، نائبَ مقدمِ المماليك ، بعد عزل فيروز الرُّكنى الرومى عنها ، فدام على ذلك سنين ، ثم عزل بجوهر السيفى نَوْروز ، إلى أن مات . وهو صاحبُ المدرسة التى أنشأها برأس سُوَيقة مُنعم[1] ، تجاه مُصلاة المؤمنى ، وأوقف عليها وقفا بحسب حاله .

وتوفى الشيخ المسند المعمر ، القاضى عز الدين عبد الرحيم [بن محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز][2] ، بن الفرات الحنفى ، أحدُ نواب الحـــكم ، فى يوم السبت سـادس عشرين[3] ذى الحجة . وكان له رواية وسند عال فى أشياء كثيرة سماعا وإجازة ، وحدّث سنين كثيرة ، وصار رحلةَ زمانه ، ولنـا منه إجازة بجميع سماعه ومَرْوِيّاته ، وقد استوعبنا ترجمته فى غير هذا الـكتاب[4] ، [رحمه الله][5] .

أمر النيل فى هذه السنة : المـاء القديم أحد عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة : تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا .

---

(١) فى ا (المنعم) .

(٢) من التبر المسبوك .

(٣) فى ا (عشر) ، والمثبت عن التبر المسبوك والضوء اللامع وطبعة كاليفورنيا .

(٤) المقصود بغير هذا الكتاب : كتاب «حوادث الدهور» وكتاب «المنهل الصافى» ، وكلاهما لابن تغرى بردى ، وتوجد ترجمة تفصيلية لابن الفرات فى «المنهل» جـ ٢ ورقة ٣١٥ وما بعدها ؛ وفى «الحوادث» جـ ١ ورقة ٦٣ ؛ كذلك توجد ترجمة وافية لابن الفرات فى التبر المسبوك (ص ١٩٢–١٩٤) وفى الضوء اللامع (جـ ٤ ص ١٨٦–١٨٨) .

(٥) من طبعة كاليفورنيا .

السنة الحادية عشرة من سلطنة الملك

الظاهر جقمق على مصر

وهى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

فيها توفى الشيخُ برهان الدين إبراهيم بن خِضْر العثمانى الشافعى ، أحدُ فقهاء الشافعية ، فى ليلة خامس عشر المحرم . وكان فاضلا فقيهاً ، تفقه بالقاضى شهاب الدين ابن حجر وبغيره ودرّس وأقرأ ، وعُدّ من الفضلاء ، إلا أنه كان دَنس الثياب ، غير ضوِى[1] الهيئة ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن عثمان ، [عرف بالكوم][2] الرِّيشىّ الشافعى ، فى يوم الأربعاء حادى عشرين المحرم . وكان له اشتغال قديم ، مع توقف فى ذهنه وفهمه ، ثم ترك الاشتغال ، وتردد إلى أرباب الدولة لطلب الرزق ، على أنه كان ديناً خيراً ، وعنده سلامة باطن ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الأميرُ سيف الدين آقْطُوه بن عبد الله للوساوى الظاهرى ، بَطّالا ، فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر صفر ، ودُفن من الغد .

وكان أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق ، وصار من جملة الدَّوادارية ، فى الدولة المؤيَّدية شيخ ، ثم تأمّر عشرةً ، [١٩٢] بعد موته ، ودام على ذلك دهراً طويلا ، وصار مَهْمَنْدارا [فى الأيام الأشرفية][3] ، ثم توجه فى الرسلية إلى القان مُعين الدين شاه رُخْ بن تيمور لنك[4] ، ثم عاد ودام على ما هو عليه ، إلى أن أنعم عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق بإمرة طبلخاناة ، ثم نفاه بعد سنين ، ثم أعاده ، وأنعم عليه

(١) فى ا (ضوى) .
(٢) من التبر المسبوك ، وكوم الريش من ضواحى القاهرة (راجع ما سبق) .
(٣) من التبر المسبوك .
(٤) راجع ما سبق (ص ١٧٨ حاشية ٩) .

بإمرة عشرة ، ثم نفاه ثانياً ، وشُفع فيه بعد مدة ، فعاد إلى القاهرة بطالا ، ودام بها إلى أن مات .

كان تركى الجنس ، ويتفقه ويشارك فى ظواهر مسائل ، على قاعدة غالب فقهاء الأتراك ، سألنى مرة سؤالا ، وابتدأ فى سؤاله بقوله : « بابٌ » ، فقبل أن يتم السؤالَ ، قلتُ له : « بابٌ مرفوع على أى وجه ؟ » ، فسكت ، ثم قال : « هذا شىء لم أسمعه منذ عمرى » ، فضحك جميع من حضر ، ولم يسألنى بعدها ، إلى أن مات . وكان عفيفاً عن الفواحش ، إلا أنه كان فيه البخل وسوء الخلق وتعبيس الشكالة ، رحمه الله .

وتوفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن [بن محمد بن محمد بن يحيى] السَّنْدَبِيسى[1] الشافعى ، أحدُ فقهاء الشافعية ، فى ليلة الأحد سابع عشر صفر ، ودفن من الغد[2] ، وكان معدوداً من فقهاء الشافعية ، رحمه الله تعالى[3] .

وتوفى الأميرُ سيف الدين أَسَنْبَاى بن عبد الله الظاهرى الزَّرَدْكَاش ، كان أحد أمراء العشرات ، فى العشر الأخير من صفر ، عن سِنٍّ عالٍ . وكان من أعيان مماليك الملك الظاهر برقوق ، وممن صار فى أيام أستاذه ، زَرَدْكَاشاً ، وأسر فى كائنة تيمور ، وحظى عنده ، وجعله تيمورلَنْك زَرَدْكَاشَهُ ، ودام عنده إلى أن مات ؛ فقدم القاهرةَ ، ودام بها إلى أن استقر فى دولة الملك المؤيد أميرَ عشرةٍ وزَرَدْكَاشاً كبيراً ، وصار مقرباً عند الملك المؤيد إلى الغاية ؛ ثم عُزل عن الزردكاشية بعد موت الملك المؤيد ، ودام على إمرةِ عشرةٍ ، وتولى نيابةَ دِمْياط غيرَ مرة ، إلى أن مات بالقاهرة على إمرته . وكان رجلا عاقلا عارفا بمداخلة الملوك وبصناعة الزَّرَدْخَاناة ، وكان حلو المحاضرة إِخْبَارِياً ، حافظا لما رأى من الوقائع والحروب وأحوال السلف ، وكان حسن السمت ، عليه أُنسٌ وخَفَر ، ولكلامه رونق ولذة فى السمع ؛ نقلتُ عنه كثيراً

(١) السندبيسى نسبة إلى بلدة سندبيس بالقليوبية ، وكان بها أوقاف على خدام الحجرة النبوية الشريفة منذ الدولة المملوكية الأولى (التحفة السنية ص ١١ ؛ السلوك ح ١ ص ٥٧) .
(٢) انظر ترجمة وافية له فى التبر المسبوك (ص ٢٤١-٢٤٢) .
(٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

فى « المنهل الصافى » وغيره من أخبار خُجْداشيته الظاهرية وغيرهم ، وكان بينى وبينه صحبة أكيدة . ولقد بلغنى بعد موته ، أنه كان سيدا شريفا من أشراف بغداد الأتراك ، ونُهِب منها فى سبى فى بعض السنين ، ولم أسأله أنا عن ذلك ، والله أعلم بصحة هذا القول[١] .

وتوفى الوزيرُ الصاحب كريمُ الدين عبد الكريم ابن [الوزير][٢] الصاحب تاج الدين عبد الرزاق ، بن شمس الدين عبد الله ، المعروف بابن كاتب المناخات ، بالقاهرة بطّالا ، بعد مرض طويل فى يوم الأحد ، لعشر بقين من جمادى الآخرة ، وسنه نيف على الخمسين . وكان لا بأس به بالنسبة لأبناء جنسه الكَتَبَة ، وقد تقدم أنه وَلِىَ نظرَ ديوان المُفْرَد ، ثم الوَزَرَ غيرَ مرة ، ثم الأستادّارية مرتين ، ثم كتابةَ السر ، ثم الوَزَرَ ، ونُكِب وصودر وضُرِب بالمقارع فى بعض تعطّله ، وتولى الكشفَ بالوجه القبلى ، ثم توجه إلى جُدة ، ثم أعيد إلى الوَزَر سنين ، ثم استعفى ، وتولى عوضَه الوَزَرَ الصاحبُ أمينُ الدين إبراهيم بن الهَيْصَم ، رحمه الله تعالى[٣] .

وتوفى الأميرُ سيف الدين شاهينُ بن عبد الله السيفى طُوغان الحسنى الدَّوَادار ، وهو على نيابة قلعة دمشق ، فى جمادى الأولى : وكان أصله من مماليك طُوغان الحسنى الدوادار ، واتصل [بعده][٤] بخدمة الملك الظاهر جَقْمَق ، فى أيام إمرته ، وصار دَوَادارَه ، ولما تسلطن ، جعله بعد مدة ، دوادارا ثالثا ، ثم ولاّه نيابةَ قلعة حلب ؛ فوقع له بحلب أمور وعُزِل منها[٥] ، ونُقِل إلى نيابة قلعة دمشق ، إلى أن مات . وكان يصبغ لحيتَه بالحناء مع بُخل وشُح ، حتى على نفسه ، عفا الله تعالى[٦] عنه .

وتوفى الناصرى محمد بن على بن شعبان ابن السلطان حسن ، بن محمد بن قلاوون ،

---

(١) انظر التبر المسبوك ص ٢٣٧ .

(٢) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) ، (٦) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (عنها) .

أحد الأجناد ، وندماء الملك الظاهر جَقْمَق فى حياة أبيه وأمه ، فى يوم الخميس سابع[١] جمادى الآخرة [ويعرف بابن السلطان حسن][٢] . وكان لا بأس به ، إلا أنه كان فى مبدإ أمره فقيراً ، وجاءته السعادة لصحبته الملك الظاهر جَقْمَق ، فجأة ، فكان حاله كقول القائل : [الطويل]

[ويا وَيْلَ][٣] من ذَاقَ الغنَا بعد حَاجَةٍ يَموتُ وقَلْبُه من الفقْرِ وَاجِسُ

فكان كذلك ، إلا أنه كان يشوشاً ، ويحسن رمىَ النُّشَّاب على قدر حاله ، ويجيد الغناء الموسيقى ، وفى الجملة ، كان له محاسن ، مع أصل وعراقة ، [رحمه الله][٤] .

[وتوفى][٥] الشيخ زين الدين رضوان بن محمد بن يوسف العُقْبى الشافعى ، مستملى الحديث ، فى يوم الاثنين ، ثالث شهر [١٩٣] رجب . وكان دينا فاضلا حسن السمت منور الشيبة ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الشيخ الإمام العالم المعتقد ، فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن الشيخ وفاء الإسكندرى الأصل ، المصرى المولد والمنشأ والوفاة ، المالكى الواعظ ، المعروف بابن أبى الوفا ، فى يوم الاثنين أول شعبان . وكانت جنازتُه مشهودة ودفن عند آبائه بتربتهم بالقرافة ، بعد أن صُلى عليه بجامع عَمرو بمصر القديمة . وكان أعلم بنى الوفاء قاطبة ، وأشعرهم فى زمانه ، ومات وسنه نيف على ستين سنة تخْميناً ، وكان له فضل غزير وشعر رائق كثير ، ذكرنا منه قطعة جيدة فى « الحوادث »[٦] ، ونذكر منه هنا قصيدة وهى التى أولها : [الكامل]

---

(١) فى ا (رابع) والمثبت من التبر المسبوك .
(٢) من التبر المسبوك .
(٣) (٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .
(٦) من شعره الذى أورده فى حوادث الشهور (حـ ١ ورقة ٨٠-٨٢) :

توجه نحوكم سرى وصبرى وجلت حماكم أسعى وأسرى
وألقيت الفؤاد لكم جميعا وغير العشق فيكم لست أدرى
عرفت الله حين عرفتكم يا حياة الحى عرفا دون نكر

الرُّوح مِنّى فى المحبة ذاهِبَهْ فاسْمَحْ بِوَصْلٍ لاعَدِمْتُكَ ذَا هِبَهْ
عُرِفَتْ أياديك الكرامُ بأنّها تأسو الجِرَاحَ من الخلائق قاطبَهْ
قد خَصَّكَ الرحمنُ منه خصائصاً فَحَلَلْتَ من أوْجِ الكَمالِ مَراتِبَهْ
وبِنُورِكَ الوضَّاح فى غَسَقِ الدُّجَى أطْلَعْتَ فى فَلَكِ الوفاء كَوا كِبَهْ
مازلتَ بالمعروف تُعْرَفُ دائماً وتُنيلُ مَن آوَى إليك مَطالِبَهْ
لم يبق فى قلبى سواك من الورى كلاَّ ، ولا فيه لغيرك شائبَهْ
بكَ يَمْنَحُ اللهُ الوُجُودَ بجُودِهِ ويَبُثُّ فيه عطاءه ومواهبَه
وتَطِيبُ منك أصولهُ وفروعُهُ وتَعِيشُ أرواحٌ لبُعْدِك ذائبهْ
رَجَع الوفاء بنورِ وَجْهِك عامِراً أغْذَيْتَ للوُرَّادِ منه مشارِبَهْ
وجَمِيلُ سِتْرِك بالوَفَا عَمَّ الورَى فمن احتمى فيه سَتَرْتَ معايبَهْ

وشعره كله فى هذا النسق[(١)] ، رحمه الله تعالى[(٢)] .

وتوفى الشهابى أحمدُ بن الأمير نَوْرُوز بن عبد الله الخضرى الظاهرى ، المعروف بشادّ الأغنام : فى يوم الأحد ، رابع عشر شعبان . وكان أبوه نَوْرُوز ، من مماليك الملك الظاهر برقوق ، وتولى حجوبيةَ حلب فى نيابة الوالد على حلب ، ثم نُقل بعد مدة طويلة إلى حجوبية دمشق ، أو إلى إمرةٍ بها ، فلم تطل مدته بها ، وقَبض عليه الأميرُ تَنَم الحسنى نائب الشام ، لما خرج عن الطاعة ، فى سنة اثنتين وثمانمائة ، ووسَّطه . ونشأ ولدُه هذا يتيماً على حالة رديئة من الفقر والإفلاس ، إلى أن خدم الملكَ الظاهر جَقْمَق فى أيام إمرته ، وطالت أيامه فى خدمته ، فلما تسلطن قرَّبه وأنعم عليه بإمرةٍ بالبلاد الشامية ، فلم يسكن الشامَ ، ودام بمصر ، حتى أنعم عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق[(٣)] أيضاً بإمرةِ عشرةٍ زيادة على ما بيده بالشام ، ثم جعله شادَّ الأغنامِ بالبلاد الشامية ، فنالته السعادة من ذلك ،

(١) أورد السخاوى فى التبر المسبوك (ص ٢٤٨) بعض شعره .
(٢) ، (٣) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

وصار له كلمة فى الدولة ، وترأس واقتنى المماليك والخيول ، وبقى له حاشية واسم فى المملكة ، فعند ذلك انتهز أحمد المذكور الفرصة ، وانهمك فى اللذات ، فما عفّ ولا كفّ ، وبينما هو فى ذلك ، طرقَه هادمُ اللذات ، ومات بعد مرض طويل ، وقد استقر أميرَ الركْب الأول من الحاج ، فاستقر الأميرُ قائم التاجر المؤيَّدى عوضه ، فى إمرة الركب .

وكان أحمدُ المذكور مهملا ، عاريا من كلّ علم وفن ، أجنبيا عن كل فضيلة ، وكان يتلفظ فى كلامه بألفاظ العامة السوقة ، مثل : « أقاتل على حسبى » و « أخذت رحلى » ، وأشياء مثل ذلك[1] من هذا النسق . وكان مع ذلك يلثغ بالسين ، ويُرْمَى بعظائم ، من : ترك الصلاة ، وأخذ الأموال ، وغير ذلك .

وتوفى الأمير سيف الدين تَغْرِى بَرْمَش بن عبد الله الجلالى الناصرى ، ثم المؤيَّدى الفقيه ، نائب قلعة الجبل ، بطالا بالقدس الشريف ، فى يوم الجمعة ثالث شهر رمضان ، وقد أناف على الخمسين سنة ، هكذا ذكر لى من لفظه ، وقال لى : إن أباه كان مسلما فى بلاده ، واشتراه بعض التجار ممن سرقه ، وابتاعه منه خواجا جلالُ الدين ، وقدم به إلى حلب ، فاشتراه الملكُ الظاهر جَقْمَق منه ، وقد توجه جقمق : وهو يوم ذاك خاصّكيًّا ، إلى الأمير جَكَم نائب حلب بكامليَّة الشتاء من السلطان على العادة فى كل سنة ، وقدم به جقمق إلى القاهرة ، [١٩٤] وقدَّمه إلى أخيه جارَكَس القاسمى المصارع ، فلما عصى جاركَس ، أخذه الملكُ الناصر فرج فيما أخذ لجاركَس .

ودام تغرى برْمَش بالطبقة بقلعة الجبل ، حتى ملكَ الملكُ المؤيَّدشيخ الديار المصرية فأخذه من جملة مماليك الملك الناصر فرج ، وأعتقه ، فادَّعاه الظاهرُ جَقْمَق ، وهو يومَ ذاك أميرُ طبلخاناة وخازندارٌ ، فدفع له الملك المؤيّد دراهمَ ومملوكاً يسمى قَارِى ، وأبقى تَغْرِى بَرْمَش على ملكه ، ثم صار تغرى برمش بعد موت الملك المؤيدخاصّكيًّا ، إلى أن أخرجه الملكُ الأشرفُ من الخاصكية مدة سنين ، ثم أعاده بعد مدة ، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملكُ الظاهرُ جَقْمَق ، فنفاه إلى قُوص ، لكونه خاشَنَه فى الكلام

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

بسبب الإمرة ، ثم شُفع فيه بعد مدة ، وأنعم عليه بإمرةِ عشرة ، واستقر به فى نيابة قلعة الجبل ، بعد موت تَمْجِق النَّوْرُوزى ، وقرّبه الملكُ الظاهر وأدناه ، واختص به إلى الغاية وصار له كلمة فى الدولة ، فلم يُحسِن العِشرة مع من هو أقرب منه إلى الملك ، وأطلق لسانَه فى سائر أمور المملكة ، حتى ألجأه ذلك إلى سفر الروم فى أمر من الأمور ، ثم عاد فدام على ما هو عليه ، ثم تكلم فى أمر المجاهدين وأنهم تراخوا فى أخذ رُودِس ، فعيّنه السلطانُ إلى غزوة رودس ، فسافر وعاد وهو على ماهو عليه ، فنفاه السلطانُ إلى القدس بطّالا ، فتوجه إليه ودام به إلى أن مات .

وكان تغرى بَرْمَش المذكور فاضلا عالمًا بالحديث ورجاله ، مفننًا فى أنواعه ، كثير الاطلاع ، جيد المذاكرة بالتاريخ والأدب وأيام الناس ، وله نظم باللغة العربية والتركية ويكتب المنسوب ، ويشارك فى فنون كثيرة ، وله محاضرة حسنة ومذاكرة حلوة ، هذا مع معرفته بفنونِ الفروسية المعرفةَ التامة كآحاد أعيان أمراء الدولة ، بل وأمثل منهم ؛ ولا أعلم فى عصرنا من يشابهه فى المماليك خاصة ، لما اشتمل عليه من الفضيلة التامة من الطرفين : من فنون الأتراك وعلوم الفقهاء ، ومن هو منهم فى هذه الرتبة ، اللهم إن كان الأمير يَشْكُتُمُرُ الشمدىَ فنعم ، وإن فاقه يشكتمر بأنواعِ العلاج والقوة ، فيزيده تغرى بَرْمَش هذا فى الكتابة ونظم الشعر والاطلاع الواسع .

وفى الجملة أنه كان من الأفراد فى عصره فى أبناء جنسه ، لولا زهو كان فيه وإعجاب بنفسه ، والتعاظم بفنونه ، والازدراء بغيره ، حتى أنه كان كثيراً ما يقول : « يأتى واحد من هؤلاء الجهلة يمسك كتاب فى الفقه فيحفظه فى أشهر قليلة ، ثم يقول فى نفسه : أنا بقيت فقيهاً ! الفقيه من يعرف العلم الفلانى ثم العلم الفلانى ، إيش هؤلاء الذين لا يعرفون معنى باسم الله الرحمن الرحيم ! » . فلهذا كان غالبُ من يتفقه من الأتراك يغض منه ويحط عليه ؛ وليس الأمرُ كذلك ، وأنا ، الحقّ أقوله ، وإن كان فيهم من هو أفقه منه ، فليس فيهم أحد يدانيه لكثرة فنونه ، ولاتساع باعه فى النظر والاطلاع والفصاحة والأدب ، وسوف أذكر من شعره ما يؤيد ماقلته ، فمن شعره فى مليح يُسمَّى شُقَيْر : [البسيط]

تُفَّاحُ خَدَّىْ شُقَيْرٍ فيه ... مِسْكِىٌّ لونٍ زَهَا وأزْهَرْ

قد بانَ منه النَّوَى فأضحى ... زَهْرِىٌّ لونٍ بِخَدٍّ مُشعَرْ

وقد ذكرنا من شعره أكثر من هذا فى تاريخنا « المنهل الصافى » (١) فى ترجمته ، وأما نظمه باللغة التركية ، فغاية لا تدرك ، له قصيدة واحدة عارض بها شيخى شاعر الروم، يعجز عنها فحول الشعراء ، وكان رحمه الله ، من عظم إعجابه بنفسه ، يقول : إن الأمر سيصير إليه ، مع وجود من هو أمثل منه بأطباق ، على أنه كان غير الجنس أيضاً ، ومن أصاغر الأمراء ، ومع هذا كله كان لا يرجع عما فيه ، قلت : هذه آفة معترضه للقول الصحيح ، سامحه الله تعالى .

وتوفى الأمير سيف الدين صَرْغَتَمُش بن عبدالله القَلَمْطَاوى ، أحد أمراء العشرات ، فى يوم السبت رابع شهر رمضان . وكان أصله من مماليك الأمير قَلَمْطَاى الدَّوادار ، وكان صَرْغَتَمُش المذكور ، لا للسيف ولا للضيف ، ولا ذات ولا أدوات .

وتوفى الأمير سيف الدين طُوغان بن عبد الله العثمانى ، نائب القدس ، ثم حاجب حلب ، ثم نائب غزة بها ، فى ذى القعدة . وأصله من مماليك الأتابك أَلْطُنْبُغَا العثمانى نائب الشام ؛ وكان شجاعاً مقداماً كريماً للسيف وللضيف ، رحمه الله تعالى .

وتوفى قاضى القضاة شيخُ الإسلام ، [١٩٥] حافظُ المشرق والمغرب ، أميرُ المؤمنين فى الحديث [علامة الدهر ، شيخ مشايخ الإسلام ، حامل لواء سنة الأنام ، قاضى القضاة ، أوحد الحفاظ والرواة ،] (٢) شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن الشيخ نورالدين على بن

---

(١) بالرجوع إلى المنهل الصافى (حـ ٢ ورقة ٤٠٤-٤٠٦) لم يجد المحقق مزيدا من الشعر لتغرى برمش ، كما أشار ابن تغرى بردى ، والذى وجد بالمنهل فى تلك الأوراق ، هو فقط البيتان اللذان أوردهما ابن تغرى بردى بالمتن هنا . أما الذى ذكر شعرا غير هذا لتغرى برمش ، فهو السخاوى (فى الضوء اللامع حـ ٣ ص ٣٠-٣٤ وفى التبر المسبوك ص ٢٣٨) ، من ذلك :

خذ القرآن والآثار حقا ... وتوفيقا وإجماعا بيانا

دع التقليد بالنص الصريح ... ولا تسمع قياسا أو فلانا

(٢) عن التبر المسبوك .

محمد بن محمد بن على بن أحمد [بن حَجَر] (١) ، المصرى المولد والمنشأ والدار والوفاة ، العَسْقلاَنى الأصل ، الشافعى ، قاضى قضاة الديار المصرية وعالمها وحافظها وشاعرها ، فى ليلة السبت ثامن عشرين ذى الحجة ، وصُلى عليه بمُصلاة المؤمنى ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه ، ودُفن بالقرافة . حتى قال بعض الأذكياء : أنه حَزَر مَن مشى فى جنازته نحو الخمسين ألف إنسان . وكان لموته يوم عظيم (٢) على المسلمين ، ومات ولم يخلِّف بعده مثله شرقًا ولا غربًا ، ولا نظر هو مثل نفسه فى علم الحديث .

وكان مولده بمصر القديمة فى ثانى عشرين شعبان ، سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وقد أوضحنا أمره فى ترجمته فى « المنهل الصافى » من ذكر سماعاته ومشايخه وأسماء مصنفاته (٣) وولاياته من ابتداء أمره إلى منتهاه ، فى أوراق كثيرة يطول الشرح فى ذكرها فى هذا المحل (٤) . وكان رحمه الله تعالى إماما عالما حافظا شاعراً أديبًا مصنفًا مليح الشكل منوَّر الشيبة ، حلو المحاضرة إلى الغاية والنهاية ، عذب المذاكرة مع وقار وأبهة وعقل وسكون وحلم وَسياسة ودربة بالأحكام ، ومداراة الناس ، قَلَّ أن كان يخاطب الرجلَ بما يكره ، بل كان يحسن إلى من يسىء إليه ، ويتجاوز عن قدر عليه ، هذا مع كثرة الصوم ولزوم العبادة والبر والصدقات ، وبالجملة فإنه أحد من أدركنا من الأفراد ولم يكن فيه مايعاب ، إلا تقريبُه لولده لجهلٍ كان فى ولده ، وسوء سيرته ، وما عساه كان يفعل معه ، وهو ولده لصلبه ، ولم يكن له غيره ؟

وأما شعره فكان فى غاية الحسن ، ومما أنشدنى من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى (٥) :

[الطويل]

خَليلَىّ ولَّى العمرُ منّا ولم نَتُبْ — ونَنْوِى فِعالَ الصالحاتِ ولَـكِنَّا

---

(١) عن طبعة كاليفورنيا .

(٢) فى ا (يوما عظيما) .

(٣) ، (٤) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

فحتّى متى نَبْنى بُيوتا مشيدَةً ... وأعمارُنا مِنّا تُهَدُّ وما تُبْنَى[1]

وله: [المنسرح]

سألتُ مَن لَحْظُه وحاجِبُه ... كالقَوْسِ والسّهمِ مَوْعِداً حَسَنَا

فقوّق السّهمَ من لواحِظه ... وانقَوَّسَ الحاجبان واقترَنَا

وله: [الطويل]

أتَى[2] من أحِبَّائى رسولٌ فقال لى: ... تَرَفّقْ وهُنْ واخْضَعْ تَفُزْ بِرِضَانَا

فكم عاشقٍ قاسى الهوانَ بِحُبِّنَا ... فصارَ عزيزاً حين ذاق هوانَا[3]

أمر النيل فى هذه السنة: الماء القديم ستة أذرع وثمانية عشر أصبعا؛ مبلغ الزيادة: ثمانية عشر ذراعًا وثلاثة وعشرون أصبعا.

---

(١) فى ا (نبنا).

(٢) فى ا (إلى).

(٣) أورد السخاوى فى الضوء اللامع (جـ ٢ ص ٣٦-٤٠) ترجمة وافية لابن حجر، إذ كان ابن حجر شيخ السخاوى، وكذلك ترجم له فى التبر المسبوك (ص ٢٣٠-٢٣٦)؛ انظر كذلك: الخطط جـ ٢ (ص ٣٢٩)؛ زيادة: المؤرخون فى مصر (ص ١٧-٢٠).

السنة الثانية عشرة من سلطنة الملك الظاهر جقمق

على مصر

وهى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

فيها فشا الطاعونُ بالديار المصرية وظواهرها ، وكان ابتدأ من أواخر سنة اثنتين وخمسين ، فى ذى الحجة ، وعظم إلى أن ارتفع فى شهر ربيع الأول ، ومات فيه عالم كثير من الأعيان ، من جملتهم ثلاثةُ أمراء مقدمى ألوف ، وهم : الأمير تِمْراز القُرْمُشى أمير سلاح ، والأمير قَرَاخُجَا الحسنى الأمير آخور ، وكلاهما كان مرشحًا [1] للسلطنة ، والأمير تَمُرْبَاى التَّمُرْبغَاوى ، رأس نوبة النوب ، [ومن يأتى ذكره من الأعيان وغيرهم ، رحمهم الله] [2] .

وفيها توفى الشهابى [أحمدُ بن على بن إبراهيم] [3] النهيتى [ثم الأزهرى] [4] ، أحد فقهاء الشافعية ، فى يوم الأحد رابع عشر المحرم ، وكان مجاوراً بجامع الأزهر .

وتوفى القاضى شهابُ الدين أحمدُ [بن على بن عاصر بن العقل نور الدين] [5] المسطيهى [ثم القاهرى] [6] الشافعى ، أحد نواب الحكم بالقاهرة ، فى يوم الاثنين [7] خامس عشر [8] المحرم .

وتوفى الشيخُ الإمام العالم علاءُ الدين [على] [9] الكِرْمانى الشافعى ، شيخ خانقاة سعيد السُّعَداء ، فى يوم الخميس ثانى صفر بالطاعون ، وكان ديناً فقيهاً صالحًا .

وتوفى القاضى برهانُ الدين إبراهيم [بن محمد بن إبراهيم] بن ظهير الحنفى ، ناظر

---

(١) فى ا (مرشح) .
(٢) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) ، (٩) الإضافات عن التبر المسبوك .
(٧) ، (٨) فى ا (الأحد خامس عشرين) ، والمثبت هو الصواب عن التبر المسبوك والضوء اللامع وطبعة كاليفورنيا .

الإسطبلات السلطانية ، فى يوم الاثنين سادس صفر بالطاعون ودفن من الغد . وكان أحدَ حواشى الملك الظاهر جَقْمَق ، وممن نشأ فى هذه الدولة .

وتوفى السيدُ الشريف على بن حسن بن عَجْلان [بن رُمَيْثَة] الحسنى[1] المكى، المعزول عن إمرة مكة قبل تاريخه ، فى ثغر دِمْياط بالطاعون ، فى أوائل صفر . وقد تقدم ذكر نسبه فى عدة أماكن من هذا الكتاب ، وكان أحذقَ بنى حسن بن عَجْلان ، وأفضلهم وأحسنهم محاضرة ، وله ذوق وفهم ومذاكرة ، رحمه الله [تعالى][2] .

وتوفى الأمير سيف الدين تِمْراز بن عبد الله القُرْمُشى الظاهرى أميرُ سلاح ، بالطاعون ، فى يوم الجمعة عاشر صفر ، ودفن من الغد .

وتولى وظيفةَ إمرةِ سلاح [١٩٦] من بعده الأميرُ جَرِباش الكريمى قاشق ، وكان تِمْراز من مماليك الملك الظاهر برقوق ، ووقع له أمور ، إلى أن تولى نيابةَ قلعة الروم .

ثم نُقل بعد مدة إلى نيابة غزة فى الدولة الأشرفية بَرْسباى ، فدام على نيابة غزة سنين ، ثم عُزل ، وطُلب إلى القاهرة على إمرةِ مائةٍ وتقدمة ألفٍ بها ، وتولى نيابةَ غزة من بعده الأميرُ إينال العلائى الناصرى .

ثم استقر بعد أشهر رأس نوبة النوب ، بعد أَرْكماس الظاهرى بحكم انتقال أركماس إلى الدوادارية الكبرى ، بعد خروج أَزْبَك الدوادار إلى القدس بطَّالا ، ودام تِمْراز رأسَ نوبة النُّوَب سنين كثيرة ، إلى أن نقله الملكُ الظاهر جَقْمَق إلى الأمير آخوريَّة الكبرى ، بعد مَسْك جانِم الأشرفى .

ثم صار أميرَ سلاح بعد أشهر ، عِوضاً عن يَشْبَك السُّودونى المُشِدّ ، بحكم انتقال يَشْبك إلى الأتابكية ، بعد توجُّه آقبغا التَّمرازى إلى نيابة الشام ، عوضا عن إينال الجكمى ، فدام تِمْراز على ذلك إلى أن مات .

---

(١) فى ا (الحسنى) ، والمثبت هو الصواب من التبر المسبوك وطبعة كاليفورنيا .

(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

وكان من محاسن الدنيا ، لولا إسرافه على نفسه ، وقد نسبه الشيخ تقى الدين المقريزى رحمه الله فى مواضع كثيرة ، إلى الأمير دقماق المحمدى[1] ، فقال : تمراز الدقماق ، وليس هو كذلك ، وإنما تمراز زوج الست أردباى أم ولد دقماق لاغير .

وتوفى قاضى القضاة بدرُ الدين محمد بن قاضى القضاة ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله بن عواض بن نجا بن أبى الثناء حمود بن نهار [الشمس][2] ابن مؤنس بن حاتم بن نيلى بن جابر بن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المعروف بابن التنسى المالكى ، قاضى قضاة الديار المصرية ، فى يوم الاثنين ثالث عشر صفر بالقاهرة ، وبها نشأ تحت كنف والده ، وحفظ عدة متون وتفقه بعلماء عصره وبرع وأفتى ودرّس وناب فى الحكم سنين .

ثم استقل بوظيفة القضاء ، بعد موت قاضى القضاة شمس الدين البساطى ، فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، ولما وَلِىَ القضاء أكبَّ عَلَى الاشتغال والإشغال ، وكان مفرط الذكاء ، جيد التصور ، مع الفصاحة وطلاقة اللسان وحسن السيرة إلى الغاية والنهاية ، والتحرى والتثبت فى أحكامه ، والحط عَلَى شهود الزور ، حتى أبادهم .

وكان يُحلّف حواشيه بالأيمان المغلظة عَلَى الأخذ من الناس عَلَى بابه ، ثم بعد ذلك يأخذ فى الفحص عليهم ، ويبذل جهده فى ذلك ، مع ذكاء وحذق ومعرفة ، لا يدخل عليه مع ذلك تنميقُ منمق ، ولا خديعة خادع . وكان يتأمل فى أحكامه ومستندات الأخصام الأيامَ الكثيرةَ ، وبالجملة أنه أعظم من رأينا من القضاة فى العفة وجودة سيرة حواشيه الذين هم عَلَى بابه بلا مدافعة ، مع علمى بأحوال مَن عاصره

(١) الأمير دقماق المحمدى هو الزوج الأول لزوجة السلطان الأشرف برسباى ، وهى خوند الكبرى فاطمة المتوفاة سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م ؛ ولذلك نسب إليه السلطان برسباى انظر ص ١٢٣ من هذا الجزء .

(٢) عن التبر المسبوك ص ٢٨٤ .

من القضاة وغزير علمهم ، ومع هذا كله ، ليس فيهم أحد يدانيه فى ذلك : غير قاضى القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادى الحنبلى ، وإن كانت بضاعته مُزجاةً من العلوم ، فهو أيضا كان من هذه المقولة ، وليس حسن السيرة متعلقة بكثرة العلم وإنما ذلك متعلق : بالتحرى ، والدين ، والعقل ، والحذق ، والعفة .

وقد حكى لى صاحبُنا محمد بن تلتى ، قال : غضب علىّ السلطان بسبب تعلقات الذخيرة من جهة ميراث ، ورسم أن أتوجه إلى القاضى الحنبلى ، وأن يُدَّعى علىّ عنده ، ويُرسّم علىّ ، فادُّعِىَ علىّ ، فأجبتُ بجواب مرضىّ ، فقال القاضى : اذهب إلى حال سبيلك ، ليس لأحد عندك شىء . فقلت : أخشى من سطوة السلطان ، لابد أن أقيم فى الترسيم ، فامتنع من ذلك ، فقلت : أقيم على باب القاضى كأننى فى الترسيم خشيةً من السلطان ، فأقمت نحو الشهر على بابه أحضر سماطَه فى طرفى النهار ، ورُسُل السلطان تترد إليه ، وهو يَرُدُّ الجواب بأن لاحقّ لم عندى ، فلما أعياهم أمرُه ، نقلونى من عنده إلى بيت بعض أعيان قضاة القضاة ، ففى اليوم المذكور غرمت لحاشيته ثلاثين ديناراً ، وقُرِّر علىّ نحو المائة ألف درهم للسلطان بغير وجه شرعى ، ولم أر وجه القاضى المذكور فى ذلك اليوم غيرَ مرة واحدة ، وإنما صرتُ بين أيدى حواشيه ، كالفريسة يتناهبونى من كل جهة ، حتى هان علىّ أنى أزن ، مهما أرادوا ، وأتخلص من أيديهم — انتهى .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود بذكر هذه الحكاية عن القاضى الحنبلى ، ووقع مثلُ هذا وأشباهُه لقاضى القضاة بدر الدين هذا غير مرة ، ومحصول الأمر : أنه كان عفيفا [١٩٧] ديِّناً حسنَ السيرة مشكور الطريقة ، بَرِيًّا عما يُرمى به قضاة السوء ، وكان رحمه الله ، له سماع كثير فى الحديث وإلمام بالأدب ، وله نظم جيد ، ومما نظمه فى النوم فى طاعون سنة سبع وأربعين وأنشدنيه[1] قاضى القضاة بدر الدين المذكور ، إجازةً إن لم يكن سماعا :

[الوافر]

(١) فى ا (، أنشدنى) .

إلهَ الخلْقِ قد عَظُمَتْ ذنوبي ... فسامِحْ، ما لعفوك من مُشارِكْ
أغِثْ(١) ياسيدي عبداً فقيراً ... أناخ ببابك العالي ودارِكْ

قلت: وهذا يشبه قولَ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، لنفسه، [رحمه الله]:(٢)

[البسيط]

سِرْتَ وَخَلَّفْتَنِي غَرِيباً ... في الدار أَصْلَى هوًى بِنَارِكْ
أَدْرِكْ حَشًا حُرِّقَتْ غَرامًا ... في رَبْعِك المُتْلِي ودَارِكْ

ومن شعر القاضي بدر الدين أيضا، فيما يُقرأ على قافيتين، مع استقامة الوزن:

[السريع]

جَفَوْتُ مَن أَهْوَاه لا عَن قِلىً ... فظَلَّ يَجْفُوني يرومُ الكِفَاحْ
ثم وَفَى لي زائراً بَعْدَه ... فطابَ نَشْرٌ مِن حبيبٍ وفاحْ

ومثل هذا أيضا للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني(٣) الشافعي: [السريع]

نسيمُكُمْ يُنْعِشُني في الدُّجَى ... طَالَ، فَمَنْ لي بِمَجِيء الصَّباحْ
ويَاصِبَاحَ الوجوه(٤) فارَقْتُكُمْ ... فَشِبْتُ هَمًّا إذْ فَقَدتُ الصَّبَاحْ

ومثله للشيخ شمس الدين محمد(٥) [بن الحسن بن علي](٦) النواجي(٧) [الشاعر

(١) في التبر المسبوك (أعط).
(٢) من طبعة كاليفورنيا.
(٣) ساقطة في طبعة كاليفورنيا.
(٤) في طبعة كاليفورنيا والتبر المسبوك (الوجه) بالمفرد والمثبت من ا.
(٥) ساقطة في طبعة كاليفورنيا.
(٦) من المنهل الصافي.
(٧) النواجي نسبة إلى قرية نواج بالغربية. ولم تزل بهذا الاسم (المنهل الصافي ؛ الدليل الجغرافي).

المشهور][1] : [الطويل]

خَلِيلَىَّ هــــذا رَبْعُ عَزَّةَ فاسْعَيَا إليه وإنْ سَالَتْ به[2] أدمعى طُوفَانْ
فَجَفْنِى جَفَا طيبَ المَنَام وجَفْنُها جفانى فيا لله من شَرَكِ الأَجْفَانْ

ومثل ذلك ، لقاضى القضاة صدر الدين على بن الأدمى[3] الحنفى ، وهو عندى مقدم على الجميع : [السريع]

يا مُتْهِمِى بالسُّقْمِ كُنْ مُنْجِدِى ولا تُطِلْ رَفْضِى فإنّى عَلِيلْ[4]
أنتَ خليلى فَبِحَقِّ الهَوَى كُنْ لِشُجونى راحِماً يا خليلْ[5]

وتوفى الأمير سيف الدين إينال بن عبد الله اليَشْبَكى ، أحد أمراء العشرات بالطاعون ، فى يوم الأربعاء خامس عشر صفر . وكان أصله من مماليك الأتابك يَشْبَك الشعبانى ، وكان من المهمَلين ، رحمه الله تعالى[6] .

---

(١) المعروف أن النواجى برع فى : الفقه والعربية والأدب ، وهو كما وصفه ابن تغرى بردى فى المنهل «صاحب كتب ومصنفات وشعره كثير وفضله غزير» .

والنواجى شعر فى مدح ابن تغرى بردى ، منه :

لك الله المهيمن كم أبانت حلاك اليوسفيةُ عن معالى
وسقت حديث فضلك عن يراع تسلسل عنه أخبارُ العوالى

ومدح ابن حجر العسقلانى بقوله :

أيا قاضى القضاة ومَن نداه تواتر بالأحاديث الصحاح
وحقك ما قصدت حماك إلا لآخذ عنه أخبار السماح
فأروى عن يديك حديث وهب وأسند عن عطاء بن أبى رباح

وله فى التفاؤل بحسن الخاتمة :

لئن فرّطتُ فى حسن ابتدائى ورمتُ تخلُّصى يوم الزحام
فبالمختار أرجــو عفو ربى ليرشدنى إلى حسن الختـام

إلخ ... (راجع المنهل الصافى جـ ٢ ورقة ٢٨٢-٢٨٣) .

(٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) توفى ابن الأدمى سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م (راجع بعض شعره وأخباره فى المنهل جـ ١ ورقة ٤٤٣-٤٤٤) .

(٤) فى ا (عل ل) .

(٥) فى ا (خل ل).

(٦) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

وتوفى القاضى ولى الدين أبو اليمن محمد بن قاسم بن [عبد الله بن][1] عبد الرحمن [بن محمد بن عبد القادر][2] الشيشينى الأصل ، المَحَلِّى ، الشافعى ، المعروف بابن قاسم ، فى يوم الجمعة سابع عشر صفر . وكان فيه خفة روح ودعابة ، ونادم الملكَ الأشرف بَرْسْباى ، ونالته السعادة ، وكان أولا يلى الحكمَ بالمحلة وغيرها ، فلما تسلطن الملكُ الأشرف ، قرّبه ونادمه للصحبة كانت بينهما قديمة ، ثم استقر شيخَ الخدام بالحرم النبوى ، إلى أن طلبه الملكُ الظاهر جَقْمَق ، وصادره ، ثم نادمه بعد ذلك ، إلى أن مات . وكان دينا خيرا ، إلا أنه كان مِسِّيكاً جَمّاعاً للأموالِ ، وكان سمينا جدا ، لا يحمله إلا الجياد من الخيل .

وتوفى الأمير سيف الدين قَرَا خُجا بن عبد الله الحسنى الظاهرى ، الأميرُ آخُور الكبير ، بالطاعون ، فى يوم السبت ثامن عشر صفر ، وتوفى ولدُه أيضا فى اليوم المذكور ، فجُهزا معا من الغد ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليهما بمُصلاة المؤمنى ، ودفنا بالصحراء ، وكان أصل قَرَاخُجا المذكور ، من مماليك الملك الظاهر برقوق ، وتأمّر بعد أمور وقعت له بعد موت الملك المؤيَّد شيخ ، وصار من جملة رؤوس النُّوَب ، ثم نقله الملكُ الأشرف بعد سنين ، إلى إمرة طبلخاناة ، ثم صار رأسَ نوبةٍ ثانياً ، ثم مقدمَ ألفٍ بالديار المصرية ، إلى أن نقله الملكُ الظاهر جَقْمَق ، وجعله رأسَ نوبةِ النُّوَب ، بعد الأمير تِمْراز القُرْمُشى ، بحكم انتقاله إلى الأمير آخُورِيّة ، ثم نقل [١٩٨] قَرَا خُجَابعد أشهر إلى الأمير آخورية بعد تمراز أيضا ، فدام على ذلك حتى مات .

وكان أميرا جليلا شجاعا مقداما معظما فى الدول ، عارفا بأنواع الفروسية ، رأسا فى ذلك ، مع العقل والديانة والصيانة والحشمة والوقار وكثرة الأدب ؛ وهو أحد من أدركنا من الملوك العقلاء الرؤساء ، رحمه الله تعالى ؛ وهو صاحب المدرسة بالقرب من قنطرة طُقُزْدَمُر خارجَ القاهرة .

---

(١) ، (٢) من التبر المسبوك .

وتوفى السيدُ الشريف أبو القاسم بن حسن بن عَجْلان الحسنى المَكّىّ المعزول عن إمرة مكة ، قبل تاريخه ، وكان قدم صُحبةَ الحاج ليسعى فى إمرة مكة ، فأدركته مَنِيَّتُه بالقاهرة ، بالطاعون ، فى ليلة الاثنين العشرين من صفر ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمُصلاة المؤمنى من تحت القلعة .

وتوفيت[1] زوجةُ السلطان الملك الظاهر جَقْمَق خَوَنْد نفيسة[2] بنت الأمير ناصر الدين بك بن دُلْغَادِر ، بالطاعون فى يوم الثلاثاء حادى عشرين صفر .

وتوفى الأمير سيف الدين بختك بن عبد الله الناصرى ، أحد أمراء العشرات [وصهر يشبك الفقيه][3] بالطاعون ، فى يوم الأربعاء ثانى عشرين صفر ؛ وكان لا بأس به .

وتوفى الأمير مُغُلْبَاى طاز بن عبد الله الساقى الظاهرى ، بعد أن تأمّر بنحو العشرة أيام ، فى يوم الأربعاء ثانى عشرين صفر ، وكان من مماليك الملك الظاهر جَقْمَق الأَجْلاَب وأحد خواصّه ، وكان لاذات ولا أدوات .

وتوفى الشيخ الإمام العالم المعتقد محمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن سلطان ، المعروف بالشيخ محمد بن سلطان الغَزّى الأصل ، المصرى الدار والوفاة ، الشافعى [الصوفى القادرى][4] ، فى يوم الأحد سادس عشرين صفر ؛ وكان الناسُ فيه على قسمين : مابين معتقد ومنتقد ، والأول أكثر ؛ وكان إماماً عالماً بفنون ، وله اشتغال قديم ، وله قدم فى العبادة والصلاح ، وكان لايتردد إلى أحد ، والناس تتردد إليه من السلطان إلى من دونه [حتى وصفه غير واحد بالمنقطع ببيته][5] ، وكان يتهمه بعض الناس بمعرفة الكيميا أو طرف منها ، لأنه عمر طويلا فى أرغد عيش

(١) فى ا (وتوفى) .
(٢) كانت متزوجة قبل السلطان من جانبك الصوفى الخارج على السلطنة ، وبعد أن فارقها ، قدم بها أبوها على السلطان فى سنة ٨٤٣ ﻫ / ١٤٣٩ م ومعها ابنتها من جانبك ، فتزوجها السلطان جقمق (التبر المسبوك ص ٢٩٣-٢٩٤) .
(٣) ، (٤) ، (٥) من التبر المسبوك .

ونعمة، ولم يقبل من أحد إلا نادراً، وكان شيخا منوّر الشيبة [عطر الرائحة] مُفَوّهاً فصيحا شاعراً عالما صوفيا، ومات وسنه أزيد من تسعين سنة فيما أظن، وهو متمتع بحواسه، رحمه الله تعالى.

وتوفى الأمير سيف الدين تَمُرْباى بن عبد الله التَّمُرْبغَاوى رأس نوبة النوب بالطاعون، فى يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر، وهو فى عشر الستين.

وكان أصله من مماليك الأمير تَمُرْبغَا المشطوب نائب حلب.

ثم خدم عند الأمير طَطَر، فلما تسلطن ططر جعله دواداراً ثالثا، فدام عَلَى ذلك مدة، إلى أن نقله الملكُ الأشرف إلى الدوادارية الثانية، بعد موت جَانِبك الدوادار الأشرفى، فباشر الدوادارية الثانيةَ على الجندية أياما.

ثم أنعم عليه بإمرة عشرة.

ثم بعد مدة طويلة، بإمرة طبلخاناة، ودام على ذلك، إلى أن أنعم عليه الملكُ العزيز يوسف[1] بن السلطان الملك الأشرف بَرْسباى[2]، بإمرة مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بالديار المصرية.

ثم صار نائبَ الإسكندرية مدة.

ثم عُزِل واستقر رأسَ نوبةِ النُّوب، بعد انتقال قَرَاخُجَا الحسنى إلى الأمير آخورية، فدام على ذلك إلى أن مات. وكان يعف عن المنكرات ويتصدق كثيراً، غير أنه كان عارياً من كل علم وفن، مع حدة خلق وبذاءة لسان، رحمه الله تعالى.

وتوفى الأمير سيف الدين أركَماس بن عبد الله المؤيدى الأشقر، المعروف بالبواب أحد أمراء العشرات ورأس نوبة فى يوم السبت سلخ شهر ربيع الآخر وكان مهملا [زائدَ الغفلة][3]، غيرَ متجمل فى ملبسه ومركبه، إلا أنه كان مشهوراً بالشجاعة والإقدام[4].

---

(١)، (٢) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا.

(٣) عن الضوء اللامع.

(٤) يعرف أركماس هذا كذلك باسم أركماس من صفر خجا المؤيدى (الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٦٨).

وتوفى الأمير سيف الدين سُودون بن عبد الله المؤيدى ، الأمير آخور الثانى ، المعروف بسُودون أتمكجى ، أى خَبَّاز ، فى يوم الاثنين ثانى عشر شهر رجب ، وهو فى عشر الخمسين أو أكثر . واستقر بعده [١٩٩] الأميرُ يَرْشْبِاى الإينالى ، الأمير آخور الثالث ، أمير آخور ثانيا . وكان سُودون المذكور شجاعا مقداما عارفا بأنواع الفروسية ، كريما حشما معظما فى الدوَل ، وعنده تواضع وأدب ، رحمه الله تعالى ، فإنه كان من محاسن أبناء جنسه .

وتوفى الأمير سَيف الدين يَشْبُك اليَشْبَكى نائب قلعة دمشق بها ، فى شعبان ، وكان من مماليك الأتابك يَشبك الشعبانى ، وتأمر فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق [خمسة ثم][1] عشرةً ، ثم ولاه نيابةَ ثغر دِمياط ، ثم نيابةَ قلعة صفد . ثم عَزَله وأنعم عليه أيضا بإمرةِ عشرةٍ بمصر ، [ثم ولاه نيابةَ دِمْياط][2] ثم ولاه نيابةَ قلعةِ دمشق بعد موت شاهين الطُّوغانى ، إلى أن مات . وَنِعْمَ الرجل ، كان [ذا][3] شجاعة وكرم وَعقل وتواضع ، لا أعرف فى اليَشْبَكِيَّةِ من يقاربه فى معناه ، رحمه الله تعالى .

وتوفى شرفُ الدين يحيى بن أحمد [بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر الشرف التنوخى الحموى الأصل الكركى المولد][4] الشهير بابن العطار ، الشاعر المشهور ، فى يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة ، ولم يكن يحيى المذكور من الأعيان ، ولا ممن له عراقة ورئاسة سابقة[5] لتُشكر أفعالُه أو تُذم ، وإنما كانت شهرتُه بصهارة أخيه ، الأمير ناصر الدين محمد بن العطار ، لبنى البارِزى ،

---

(١) ، (٢) عن ابن المسبوك .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) عن الضوء اللامع .
(٥) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

فعُرف لهذا المعنى (١) بين الناس . وكان له شعر ، ويكتب المنسوبَ بحسب الحال ، وكان أولا يتزيّا بزيّ الجند ، وخدم دواداراً عند الشهاب ، أُستادّار المَحَلّة ، ثم عند القاضى ناصر الدين بن البارزى ، فلم ينتج أمره ، وعُزل ، ثم بعد مدة ، ترك الجُندية ، وتزيّا بزيّ الفقهاء ، وخدم مُوَقِّعاً عند الزينى عبد الباسط ناظر الجيش ، فلاه سَبًّا وتوبيخاً منذ مباشرته عنده ، إلى أن مَلّ ذلك ، وترك التوقيع ، وانقطع إلى المقر الكمالى بن البارزى ، وصار يتردد إلى الأكابر ، ثم تردد فى الدولة الظاهرية ، لخدمة أبى الخير النحاس ، ومات وهو ملازم لصحبته .

وقد استوعبنا حاله بأوسع من هذا فى « المنهل الصافى » (٢) ، وذكرنا من شعره نبذة كبيرة ، ونذكر منه هنا نبذة يسيرة ، ليُعلم بذلك طبقتُه فى نظم القريض ، فإنه كان لا يحسن غيره ، فمن شعره قوله : [الخفيف]

أهلُ بدرٍ إن أحسَنُوا أو أساءوا ... أهلُ بدرٍ فَلْيَفْعلوا ماشاءوا (٣)
إن أفاضُوا (٤) دمعى فكم قد أفادوا ... منَّةً من وِدادِهم وأفاءوا
وعيُونى إنْ فجّرُوها عيُونًا ... بدموعٍ (٥) كأنهنَّ دِماء
لا تَلُمْهُمْ على احمرار دُموعى ... فلهم عندىَ اليدُ البيضاءُ
أنا راضٍ منهمْ وإن هُمْ رَضُونى ... فسواءٌ عندى القِلَى والقلاءُ
يا نُزُولاً بمُهجتى (٦) فى رياضٍ ... من وِدادٍ أغصانُها لَفّاءُ
كُلُّ غُصْنٍ عليه طائرُ قلبى ... صادحٌ تقتدى به الورْقاءُ
صَدْحُهُ كُلُّهُ حنينٌ وَوَجْدٌ ... واشتياقٌ ولَوْعَةٌ وبُكاءُ
منعَ السُّهْدُ طيفَكم ولحظى ... صارَ حتى مِنْ عندِىَ الرَّجاءُ
وعذُولى يرى سُلُوِّىَ فَرْضًا ... أنا من رأيه علىّ بَرَاءُ

(١) فى ا (له هذا المعنى) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) انظر حوادث الدهور حـ ١ ورقة ١١٥-١١٦ .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا (ما يشاءوا) .
(٤) فى ا (أفادوا) .
(٥) فى ا (بدمع) .
(٦) فى طبعة كاليفورنيا (فى مهجتى) .

يَدَّعِى فى الهوَى إخَائى ونُصْحى ليْتَ شِعرى من أيْنَ هذا الإخاء؟

عَيْنُهُ عن محاسن الحبِّ عميا ءُ وأُذْنى عن عَذْلِه صمّاءُ

وهى أطول من هذا ، تزيد على ستين بيتا ، كلها على هذا النسق (١)،(٢) عفا الله تعالى عنه (٣) :

[٢٠٠] وتوفى السيد الشريف سراج الدين عبد اللطيف الفاسى الأصل ، المكى المولد والمنشأ ، الحنبلى ، قاضى قضاة الحنابلة بمكة ، بها ، فى أواخر هذه السنة ، عن سن عال ، وكان سيداً كريماً متواضعاً ، رحل إلى بلاد الشرق غير مرة ، وأقبل عليه [القانُ معين الدين] شاه رخ بن تَيْمُور وابنُه أُلُوغ (٤) بك صاحب سَمَرْقَنْد ، وعاد إلى مكة بأموال كثيرة ، أتلفها فى مدة يسيرة ، لكرم كان فيه ، وهو (٥) أول حنبلى تولى القضاء بمكة استقلالا ، رحمه الله تعالى (٦) .

وتوفى قاضى القضاة أمين الدين أبو اليمن محمد [بن محمد بن على بن أحمد بن العزيز الهاشمى العُقيلى] (٧) النويرى الشافعى، قاضى قضاة مكة وخطيبها ، فى ذى القعدة عن نحو ستين سنة تخميناً ، وهو قاض ، وكان فاضلا دينا خيِّراً خطيبا فصيحا مفوها كثير الصوم والعبادة ، مشكور السيرة فى أحكامه ، فرداً فى معناه ، لم أر بمكة المشرفة فى مدة مجاورتى من يعانيه فى الطواف ، وفى كثرة العبادة ، رحمه الله تعالى (٨) .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر أصبعا ، مبلغ الزيادة : ثمانية عشر ذراعا وثلاثة أصابع .

---

(١) أورد البيخارى فى التبر المسبوك (ص ٢٩٤-٢٩٨) وفى الضوء اللامع (ح ١٠ ص ٢١٧-٢٢١) ترجمة وافية له ، فضلا عن كثير من شعره .

(٢) ، (٣) ما بين هذين الرقمين ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٤) فى ا (الفرع) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا وزمباور (ح ٢ ص ٤٠١) .

(٥) فى ا (وهنا) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا ، ولا فرق يذكر .

(٦) هذه الفقرة الخاصة بترجمة الشريف سراج الدين عبد اللطيف الفاسى هى التى ذكرت سهوا فى ا فى غير موضعها ، ومكانها الصحيح هو المثبتة به هنا بالمتن (راجع ما سبق ص ٥١٨ حاشية ٣) .

(٧) عن التبر المسبوك .

(٨) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

السنة الثالثة عشرة من سلطنة الملك الظاهر جقمق على مصر

وهى سنة أربع وخمسين وثمانمائة .

فيها كان الشراق العظيم[1] بمصر ، والغلاء المفرط المتداول إلى سنة سبع وخمسين، وكان ابتداء الغلاء من السنة الخالية ، لكنه عظم فى هذه السنة بوقع الشراق ، وتزايد ، وبلغ سعر القمح إلى ألفى درهم الأردب ، والحمل التبن إلى سبعمائة درهم ، وقس على ذلك حسبما نذكره فى وقته ، على طول السنين .

[فيها][2] توفى المسند[3] المعمر شمس الدين محمد بن الخطيب عبد الله الرشيدى ، الشافعى ، خطيب جامع الأمير حسين بحكر النوبى[4] خارج القاهرة ، فى يوم الجمعة حادى عشر شهر [ربيع الأول ، ومولده فى ليلة رابع عشر][5] شهر رجب سنة تسع وستين وسبعمائة ، وكانت له مسموعات كثيرة ، وحدث سنين وتفرد بأشياء كثيرة ، ولنا منه إجازة ، وكان شيخا منور الشيبة فصيحا مفوها خطيبا بليغا ، رحمه الله .

وتوفى الأمير سيف الدين شاد بك بن عبد الله الجكمى ، أحد مقدمى الألوف بديار مصر ، ثم نائب الرها ، ثم حماة ، بطالا بالقدس ، بعد مرض طويل ، فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول ؛ وكان أصله من مماليك الأمير جكم من عوض نائب حلب ، وتنقل فى الخدم من بعده ، إلى أن صار بخدمة الأمير ططر ، فلما تسلطن ططر ، قربه وأنعم عليه ، ثم تأمر عشرة بعد موته ، وصار من جملة رؤوس النوب ، ثم

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) فى ا (السيد) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٤) حكر النوبى منسوب لجوهر النوبى ، أحد أمراء الدولة الأيوبية (الخطط حـ ٢ ص ١١٩ ، السلوك حـ ١ ص ٥٠٥ حاشية ١) .

(٥) عن طبعة كاليفورنيا

صار أمير طبلخاناه ، ثم ثانىَ رأسِ نوبة ، ثم وَلِىَ نيابةَ الرُّهاَ ، ثم عُزل بعد سنين وصار بالقاهرة على طبلخاناته ، إلى أن أنعم عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق ، بإمرةِ مائةٍ وتقدمةِ ألفٍ بالديار المصرية ، فى أوائل دولته ، ثم نقله إلى نيابة حماة بعد سنين ، فلم تطل مدته على نيابة حماة وعُزل وتوجه إلى القدس بَطّالا ثم تُكُلِّم فيه ، فقبض عليه وحُبس مدة ثم أُطلق وأعيد إلى القدس بَطّالا ، إلى أن مات . وكان متوسط السيرة [غير أنه كان قصيراً جدا][1] وعنده سرعة حركة وإقدام ، [متوسط السيرة فى فروسيته وأفعاله][2] ، وله وجه فى الدول ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير سيف الدين على باى مِن دُولات باى العلائى الساقى الأشرفى ، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين شهر ربيع الأول ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمُصلاة المؤمنى . وكان أصله من مماليك الملك الأشرف بَرْسْباى ، اشتراه فى سلطنته ورَبّاه وأعتقه ، وجعله خاصَكِيًّا ، ثم ساقيًا ، ثم أمّره عشرةً ، وجعله خازنداراً كبيراً ، بعد إينال الأبو بكرى الأشرفى ، بحكم انتقاله إلى المُشدِّيَّة ، بعد قَراجا الأشرفى ، بحكم انتقاله إلى[3] تقدمةِ ألفٍ ، ودام علىّ باى علَى ذلك ، إلى أن أنعم عليه الملكُ العزيز يوسف بإمرة طبلخاناة وجعله شادَّ الشراب خاناة ، بعد إينال الأبو بكرى أيضًا ، بحكم انتقال [إينال][4] إلى الدوادارية الثانية ، بعد تَمُرْبَاى التَّمُرْبُغَاوى المنتقل إلى تقدمةِ ألفٍ ، فلم تطُل مدةُ على باى [بعد ذلك][5] ، وقُبض عليه مع من أُمسك من خُجْدَاشِيَّة الأشرفية وغيرهم[6] وحُبس سنين ، [٢٠١] ثم أطلق وأنعم عليه بإمرةٍ بالبلاد الشامية ، وقدم القاهرةَ ، [ثم][7] حج وعاد إلى دمشق ، ثم قدم القاهرةَ ثانيا ، ودام بها إلى أن أنعم عليه السلطانُ بإمرةِ عشرةٍ ، ودام على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المذكور . وكان

(١) من طبعة كاليفورنيا .

(٢) من الضوء اللامع .

(٣) فى طبعة كاليفورنيا (ق) .

(٤) ، (٥) ، (٧) من طبعة كاليفورنيا .

(٦) عند هذه الكلمة انتهى القسم الأول من المجلد السابع من المخطوطة ا .

شابا مليح الشكل طوالا عاقلا عارفا بأنواع الفروسية خصيصا عند أستاذه الملك الأشرف إلى الغاية ، لجمال صورته وحسن سيرته ، وأنعم السلطانُ بإقطاعه بعد موته على خُجْدَاشِه تِمْرَاز الأشرفى الزَّرَدْكَاش ، فما شاء الله كان .

وتوفى الشيخُ الإمام العلامة شهابُ الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم [ابن أبى نصر محمد][1] الدمشقى الحنفى المعروف بابن عَرَبْ شاه [وبالعجمى أيضا]،[2] فى القاهرة بخانقاه سعيد السعداء فى يوم الاثنين خامس عشر شهر رجب ، غريبًا عن أهله وأولاده . سألتُه عن مولده فقال : فى ليلة الجمعة داخل دمشق ، فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة . ونشأ بدمشق وطلب العلم ثم خرج إلى بلاد العجم فى كائنة تيمور وأقام بتلك البلاد سنين[3] كثيرة ، ثم رحل إلى الروم ، ثم قدم دمشقَ وتردد إلى القاهرة ، إلى أن مات بعد أن وَلِىَ عدةَ وظائف دينية ووَلِىَ قضاء حماة فى بعض الأحيان .

وكان إمامًا بارعا فى علوم كثيرة مفننا فى الفقه والعربية ، وعلى المعانى والبيان والأدب والتاريخ ، وله محاضرة حسنة ومذاكرة[4] لطيفة مع أدب وسكون وتواضع ، وله النظم الرائق الفائق الكثير المليح[5] ، وكان يقول الشعر الجيد باللغات الثلاث : العربية والعجمية والتركية ، وله مصنفات كثيرة مفيدة فى غاية الحسن ، ولما استجزتُه كتب لى بخطه بعد البسملة :

« الحمد لله الذى زيّن مصرَ الفضائلِ بجمالِ يوسفِها العزيز ، وجعل حقيقةَ مجازِ أهلِ الفضل ، فحلّى به كل مُجاز ومُجيز ، أحمده حمدَ من طلب إجازةَ كرمه فاجتاز ،[6] وأشكره شكراً أوضحَ لمزيدِ نعمِه علينا سبيلَ المجاز ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

---

(١) عن الضوء اللامع .

(٢) عن التبر المسبوك .

(٣) فى ا (سنينا) .

(٤) فى ا (مكاتبة) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (الملح) .

(٦) فى ا (فاجاز) .

لا شريك له ، إله يجيب سائله ويُثيب آمله ، ويطيب لراجيه نائله ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، سيد مَن رَوى عن ربه وَمَن[1] رُوِى عنه ، والمقتدى لكل من أخذ عن العلماء أُخذ منه ، صلى الله عليه ما رُوِيت الأخبار ، ورُوِيت الآثار ، وظهرت أذكار الأبرار ، فى صحائف الليل والنهار ، وتابعيه وأحزابه ، وسلم وكرّم وشرّف وعظّم . أما بعد ، فقد أجزتُ الجنابَ الكريمَ العالىَ ذا القدر المنيف الغالى ، والصدر الذى هو بالفضائل حال ، وعن الرذائل خال ، المَوْلَوِىَّ الأميرىَّ الكبيرىَّ العالىَّ العاملىَّ الأصيلىَّ العريقىَّ الفاضلىَّ المخدومىَّ الجمالىَّ ، أبا المحاسن ، الذى وِرْدُ فواضله وفضائله غِراس يوسف بن المرحوم المقر الأشرف الكريم العالى المولوى الأميرى الكبيرى الأتابكى [المالكى][2] المخدومى السيفيرى تَغْرِى[3] بَرْدى الملكى الظاهرى ، أعز الله جمالَه ، وبلّغه من المرام كمالَه ، وهو ممن تَغَذَّى بلبان الفضائل ، وتربى فى حجر قوابل الفواضل ، وجعل اقتناء العلوم دأبَه ، ووجّه إلى تدين الأحزاب ركابَه ، وفتح إلى دار الكمالات بابَه ، وصيّر أحرازها فى خزائن صدره اكتسابَه ، فحاز بحمد الله [تعالى][4] حُسنَ الصورة والسيرة ، وقَرَن بضياء الأسرّة صفاء السريرة ، وحَوى السماحةَ والحماسة والفروسية والفراسة ، ولطف العبارة والبراعة ، والعرابة واليراعة والشهامة والشجاعة ، فهو أمير الفقهاء ، وفقيه الأمراء ، وظريف الأدباء ، وأديب الظرفاء ، فمهما تَصِفه صِفْ وأكْثِرْ ، فإنه لأعْظَمُ مما قلت فيه وأكْثَر ، فأجزتُ له معوِّلا عليه ، أحسنَ الله إليه ، أن يروى عنى مالى من منظوم ومنثور ، ومسموع ومسطور ، بشروطه المعتبرة ، وقواعده المحررة عموماً » .

ثم ذكر ماله من تصنيف وتأليف وأسماء مشايخه ببلاد الشرق وبالبلاد[5] الشأمية ،

(١) هذا الضمير (من) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .
(٢) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .
(٣) فى طبعة كاليفورنيا . (تنكرى) ، والمثبت هو الصواب عن ا .
(٥) فى ا (والبلاد) .

وقد ذكرنا ذلك كله[1] برمته فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ،[2] أضربنا عن ذكره هنا خوفَ الإطالة ، فكان مما قاله [٢٠٢] فى أواخر هذه الإجازة ، من النظم ، أبيات مع ما[3] فى اسم يوسف : [الرمل]

وجهُك الزاهى كبَدْرٍ فوق غُصْنٍ طَلَعا
واسمُك الزَّاكى كَشكا ةٍ سنَـاها لمَعَا
فى بيـوت أذن الله لهـا أن تُرْفَعا
عَكْسُها صَحَّفهُ بلْقى الحُسْنُ فيه أجْمَعا

وتوفى الأميرُ سيف الدين جانِبَك بن عبد الله التَّوْرُوزى ، المعروف بنائب بيروت ، بعد أن ابتُلى وعزل عن نيابة صِهْيَوْن ، وعاد إلى القاهرة ، فمات بالعريش . وكان أصله من مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظى ، وممن تأمَّرَ — فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق — عشرةً ، ثم خرج إلى البلاد الشامية وصار من [جملة][4] أمراء طرابلس ، ثم وَلِىَ نيابة صِهْيَوْن ، فابتُلى بداء الأسد ، واستعفى . وأراد قدومَ القاهرة ، فمات فى طريقه ، وكان مشهورا بالشجاعة لا بأس به .

وتوفى الأمير سيف الدين سُودون السُّودونى الظاهرى الحاجب ، فى يوم الأحد العشرين من شعبان ، وهو فى عشر التسعين ، وأصله من مماليك [الملك][5] الظاهر برقوق ، ثم تأمَّر بعد موت [الملك][6] الناصر فرج ، وصار فى الدولة الأشرفية من جملة

(١) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .

(٢) أورد ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى (حـ ١ ورقة ١٣١–١٣٦) بعض شعر ابن عربشاه ، من ذلك قول ابن عربشاه فى علم العربية :

بدا بتاج جمال فى حلى أدب — تسربل الفضل بين العُجب والعَجب
طبعى وشعرى وأرزاقى يناط بها — علم العروض مناط الود بالنسب
حسنى وظرفى وآدابى قد انتظمت — نظم القوافى فخذ علمى وسل نسبى

إلخ ...

كذلك كتب السخاوى ترجمة وافية لابن عربشاه فى التبر المسبوك (ص ٣٢٥–٣٢٧) وفى الضوء اللامع (حـ ٢ ص ١٢٦–١٣١) ، انظر كذلك ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب حـ ٧ ص ٢٨٠–٢٨٤ .

(٣) فى ا (عبا) .

(٤) ، (٥) ، (٦) عن طبعة كاليفورنيا .

الحجاب؛ ثم صار حاجبا ثانيا فى الدولة الظاهرية جَقْمَق، ونُفى غيرَ مرة، وهو يعود إلى دونِ رتبتِه أولا، ولا زال يتقهقر إلى أن صار من جملة الحجاب الأجناد، وكان شيخاً مسرفاً على نفسه مهملا لم يُشهر بتدين ولا شجاعة ولا كرم، عفا الله عنه.

وتوفى القاضى زينُ الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدِّمَشْقى الأصل والمولد والمنشأ المصرى الدار والوفاة، ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية، بطالا، بها فى يوم الثلاثاء رابع شوال بداره. فى وقت المغرب بخُط الكافورى، ودُفن من الغد بتربته التى أنشأها بالصحراء خارج القاهرة [فى قبر عيّنه لنفسه وأسند وصيته قاضى الحنَابلة وغيره](١). ومولده بعد التسعين [وسبعمائة](٢) أو فى حدودها، ونشأ بدمشق، وخدم القاضىَ بدرَ الدين بن الشهاب محمود، وبه عرف بين الناس، ثم اتصل بخدمة [الملك](٣) المؤيد شيخ وهو على نيابة دمشق، ولازمه إلى أن قُتل الملكُ الناصر وقدم معه إلى القاهرة، وسكن بالقرب منّا بالسبع قاعات، وهو فقير مملق.

فلما تسلطن [الملك](٤) المؤيد شيخ، قرّبه وأدناه، وولاه نظرَ الخزانة، فانتقل من داره إلى دار أخرى بالقرب منها، ولما عظُم أمرُه، سألنا فى السُّكْنى فى بعض دورنا، فأجبناه إلى ذلك، فسكنها عدة سنين، ومن يومئذ أخذ أمرُه فى نمو وزيادة، وعظُم فى الدولة، وعمّر الأملاك الكثيرة، ثم أنشأ مدرستَه بخُط الكافورى تجاه داره، ثم وَلِىَ نظرَ الجيوش المنصورة [بالديار المصرية](٥) بعد عزل المقر الكمالى ابن البارِزى فى الدولة الظاهرية ططَر، ولما وَلى نظرَ الجيش، بعد ابن البارِزى، قال المقريزى، وتمثل بقول أبى العلاء المعرى: [الطويل]

---

(١) عن التبر المسبوك.
(٢) عن طبعة كاليفورنيا، وقد ذكر السخاوى فى التبر المسبوك أن مولده كان عام ٧٨٤ هـ.
(٣)، (٤)، (٥) عن طبعة كاليفورنيا.

* ويا[1] نفسُ جِدّى إن دهرَكِ هازلُ[2] *

ودام عبدُ الباسط في وظيفته نظرِ الجيش سنين ، وعظُم في أوائل الدولة الأشرفية ، ثم أخذ أمرُه في إدبار عند الأشرف ، وهو يُحسن سياستَه لا يظهر ذلك ، ويبذل الأموالَ في رضى الأشرف بكل ما تصل قدرته إليه ، يعرف قولي هذا مَن كان له رتبة تلك الأيام وملازمة بخدمة الملك الأشرف بَرْسباى ، مع أنه لم يَصْفُ له الدهرُ في خصوصيَّته عند الأشرف السنة الواحدة ، بل كان كلما زال عنه [واحد][3] انتشأ[4] له آخر ، فالأول جانِبَك الدوادار الأشرفي ، كان عبدُ الباسط وغيرُه بين يديه كالأغنام في حضرة الراعي ، ثم انتشأ[5] له البدرُ بن مزهر كاتبُ السر ، فحاشَرَه فيما هو فيه ، وضيَّق خناقه ، إلى أن مات .

ثم جاءه الصَفَوِيُّ جوهرُ القُنُقْبائي الخازندار ، فكان عليه أدهى وأمر ، ولا زال به حتى أوقعه في أمور وغرمات ، ثم حَلَّه الوَزَر ثم الأستادّاريَّة ، فلا زال يحجل في الأستادّارية مع ما يلزمه من الكلف مع ذلك ، إلى أن مات الأشرف ، وتسلطن ولدُه الملكُ العزيزُ يوسف ، فقاسى في الدولة العزيزية خطوباً من بهدلة المماليك الأشرفية له بكل

---

(1) في ا (فيا) وكذلك في طبعة كاليفورنيا ، والمثبت عن ديوان أبي العلاء .

(2) هذا السطر عبارة عن الشطر الثاني لبيت أبي العلاء المعري ، وهو :

فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ ويا نفسُ جِدّى إن دهرَكِ هازلُ

وهذا البيت هو الرابع والعشرون من قصيدة أبي العلاء المشهورة ومطلعها :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
أعندى وقد مارستُ كلَّ خفيَّةٍ يُصدَّقُ واشٍ أو يُخَيَّبُ سائلُ
أقل صدودى أنني لك مُبْغِضٌ وأيسرُ هجرى أنني عنك راحلُ

إلخ .. قوله :

فيا موت زر إن الحياةَ ذميمةٌ ويا نفس جدى إن دهرك هازل
وقد أغتدى والليل يبكى تأسُّفاً على نفسه والنجم في الغرب مائلُ
بريح أعيرت حافراً من زبرجد لها التبرُ جسم واللجينُ خلاخلُ

(راجع شروح سقط الزند – السفر الثاني ص ٥١٩ ، ٥٣٨ – ٥٣٩) .

(3) عن طبعة كاليفورنيا .

(4) ، (5) في ا (انشى) .

ما تصل قدرتهم إليه ، واستعفى فى تلك المدة غيرَ مرة ، إلى أن تسلطن الملكُ الظاهر جَقْمَق ، وقَبض عليه بعد أشهر وسجنه وصادره ، وأبرز ما كان عنده من الكوامن منه فى الأيام الأشرفية ، حسبما ذكرناه فى ترجمة الملك الظاهر جَقْمَق ، فكان ما[1] لَقيَه أولا كالمجاز بجنب هذه الحقيقة ، [٢٠٣] ولسان حاله ينشد : [الكامل]

ما إن وصلتُ إلى زمانٍ آخرٍ إلا بكيتُ على الزمانِ الأوّلِ

ثم أُطلق عبدُ الباسط بعد أن حُمِّل جملةً كبيرة من الذهب نحو الثلثمائة ألف دينار ، حررناها فى أصل الترجمة ، وتوجه إلى الحجاز ثم إلى دمشق ، ثم قدم إلى القاهرة مرة أولى وثانية ، استوطن فيها القاهرة ، إلى أن حج ثانياً ، ومات فى التاريخ المقدم ذكره .

وكان عبدُ الباسط مليح الشكل متجملا فى ملبسه ومركبه وحواشيه إلى الغاية ، وله مآثر وعمائر فى أقطار كثيرة معروفة به ، لاتلتبس بغيره[2] ، لأنّنا لا نعلم مَن سمى بهذا الاسم قبله ، ونالتْه السعادةُ ، [غيرَه] . وكان له كرم على أناس ، وبخل على غيرهم[3] ، وبالجملة أنه كان عُدّ بآخرةٍ من الرؤساء الأعيان على شراسة خلق كانت فيه ، وحدة ، مع طيش وخفة وجبروت وظلم على مماليكه وأتباعه ، مع بذاءة لسان ، وسفه زائد ، وشمم وجهل مفرط بكل علم وفن إلى الغاية ، رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير سيف الدين أزْكَماس بن عبد الله الظاهرى الدوادار الكبير بطَّالا ، بالقاهرة ، فى يوم الجمعة ثامن عشرين شوال ، وسنه زيادة على سبعين سنة ، وأصله من أصاغر مماليك الظاهر برقوق ، وترقى فى دولة [الملك][4] الظاهر ططَر ، وصار نائبَ قلعةِ دمشق ، إلى أن أنعم عليه الملكُ الأشرف بَرْسْباى [بإمرةِ مائةٍ][5] وتقدمةِ ألفٍ

(١) فى طبعة كاليفورنيا (من) .
(٢) ذكر السخاوى (التبر المسبوك ص ٣٣١) أن عبد الباسط هذا كان «ملجأ للناس ، متصلا إحسانه بمن يعرفه ومن لا يعرفه ، وما قصده أحد إلا ورجع بمأموله من غير تطلع منه لمال ونحوه» .
(٣) فى ا (وبخل عليهم وعلى غيرهم) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ، (٥) عن طبعة كاليفورنيا .

بالديار المصرية ، ثم ولاه رأسَ نوبة النُّوَب بعد القبض على الأمير تَغرى بَرْدى المحمودى ، ثم نقله إلى الدوادارية الكبرى بعد [مَسْك] (١) الأمير أَزْبَك المحمدى ونفيه إلى القدس بَطَّالا ، فدام فى الدوادارية إلى أن عَزَله الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم أخرجه بعد مدة إلى دِمْياط ، ثم استقدمه بعد سنين [إلى] (٢) مصر فأقام بها بَطَّالا إلى أن مات .

وكان ساكتاً عاقلا قليل الكلام فيما يعنيه وفيما لا يعنيه ، متوسط السيرة فى غالب أحواله ، كان لا يميل لخير ولا لشر ، ولا يتكرم على أحد ، ولا يطمع فى مال أحد ، ولا ينهر أحداً ، ولا يكرم أحداً ، وقِس على هذا فى غالب أموره ، وكان عارياً مهملا منقاداً فى أحكامه إلى دواداره ورأس نوبته ، وَمُوَقِّعه ، فمهما قالوه طاوعهم ، فإن قصدوا الجنةَ سار معهم ، وإن دخلوا النار دخل معهم ، ومهما أشاروا عليه به لا يخالفهم ، وكان إذا كلمه من لا يعرفه يظنه أنه قدم فى أمسه من بلاد الجاركس ، لعُجْمَة كانت فى لسانه باللغة التركية ، فلعمرى كيف يكون كلامُه باللغة العربية ! (٣) غير أنه كان متدينا وبعف عن المنكرات والفروج ، رحمه الله [تعالى] (٤)

وتوفى قاضى القضاة ولى الدين محمد بن أحمد بن يوسف [بن حجاج ولى الدين أبو عبد الله] (٥) السَّفطى الشافعى ، قاضى قضاة الديار المصرية ، وصاحب العظمة فى أوله والأهوال فى آخره ، فى يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة ودفن من الغد بعد أن مرض يوماً واحداً ؛ وقد تقدم من ذكره وما وقع له نبذةٌ كبيرة فى ترجمة الملك الظاهر جَقمق ، تُعرّف جميع أحواله بالقرائن ، ونذكر الآن من أحواله شيئا يسيراً من أوائل أمره إلى آخره على سبيل الاختصار :

---

(١) ، (٢) ، (٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٣) قال السخاوى فى الضوء اللامع (حـ ٧ ص ١١٨-١٢١) إنه كان لا يعرف اللغة التركية فضلا عن العربية .

(٥) عن المنهل الصافى حـ ٣ ورقة ١٢٠ا - ١٢٢ .

كان أصله من سَنْفط الحِنّاء[1] بالوجه البحرى من أعمال القاهرة ، ونشأ بالقاهرة ، وحفظ عدة متون ، وطلب العلم ، واشتغل فى مبادئ أمره .

وناب فى الحكم عن قاضى القضاة جلال الدين البُلْقينى مدة سنين .

ثم تنزه عن ذلك وتردد إلى الأكابر ، ومال إلى طلب الدنيا وتحصيل الدرهم ، واجتهد فى ذلك ، مع ما ورثه من أبيه ، حتى أثرى وكثر ماله ، وصار كلما كثر ماله عظم حرصه ؛ إلى أن جاوز الحد من زيادة المال وعظم البخل حتى على نفسه وعياله ، وكان دأبه الركوب على فرسه ، والتردد إلى الأكابر ، لشبع بطنه ، فكان من الناس من يأكل عنده ويتوجه إلى حال سبيله ، ومنهم من كان يأتى عنده ، ثم يأخذ بيده صحناً من الطعام ويرسله إلى عياله من غير أن يستقبح ذلك ، وشوهد أخذُه الطعامَ من بيتِ الصاحبِ بدر الدين بن نصر الله ناظر الخاص غير مرة .

فلما تسلطن الملكُ الظاهرُ جَقْمق ، ترك السَّفطى مَن دونه ، ولزمه ، حتى عظُم فى الدولة وصار له كلمة نافذة ، وعظمة زائدة ، وتردد الناس إلى بابه لقضاء حوائجهم فنال بذلك من الوجاهة وجمع المال مالم ينله [٢٠٤] غيره من أبناء جنسه ، كل ذلك وهو على ما هو عليه من الشح والطمع وسقوط النفس ، كما كان أولاً ، وزيادة ، فإنه كان أولاً لايتوصل إلى مقصوده من الأخذ إلا بالتملق والإطراء[2] وغير ذلك ، وقد صار الآن لايأخذ إلا بالسطوة والمهابة والتهديد ، هذا من أعيان الدولة وأكابرها ، وأما ما أخذه من الأصاغر ، فكان عَلَى شبه أخذ الجالية[3] .

ثم تولى من الوظائف عدةً كبيرة ، مثل نظر الكسوة ، ووكالة بيت المال ، عَلَى ما كان بيده من مشيخة الجمالية ، وغيرها من الوظائف الدينية .

---

(١) سفط الحناء أو صفط الحنة تتبع محافظة الشرقية حاليا مركز أبى حماد .

(٢) فى ا (الاطر) .

(٣) الجالية والجمع جوالى ، هى الجزية التى كانت تؤخذ من أهل الذمة .

ثم وَلِىَ نظرَ البيمارستان المنصورى[١] ، وتدريس قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه . ولما انتهى أمره ، تولى قضاء الشافعية بالديار المصرية . بعد عزل قاضى القضاة شهاب الدين أحمد[٢] بن حَجَر فى يوم الخميس رابع ذى القعدة من سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، فأساء السيرةَ فى ولايته ، لاسيما عَلَى الفقهاء ومباشرى الأوقاف ، فإنه زاد وأمعن فى أذاهم وبهدلتهم بالضرب والحبس والتراسيم ، وقطع مَعَالِيم[٣] جماعة كبيرة من الطلبة المرتبة عَلَى الأوقاف الجارية تحت نظره .

ولقى الناسُ منه شدائدَ كثيرة ، وصار لا يمكن المرضى من دخول البيمارستان للتمرُّض به ، إلا برسالة ، ثم يُخرِج المريضَ بعد أيام قليلة . وأظهر فى أيام عزه وولايته من شراسة الخلق وحدةِ المزاج والبطش وَبذاءات اللسان أموراً يُستقبح ذِكرها ، هذا مع التعبد والاجتهاد فى العبادة ليلا ونهاراً ، من تلاوة القرآن ، وقيام الليل والتعفف عن المنكرات والفروج ، حتى أنه كان فى شهر رمضان ، يختم القرآن الكريم كل ليلة فى ركعتين ، وأما سجودُه وَتضرعه فكان إليه المنتهى . وكانت له أوراد هائلة دواما ، فكان بمجرد فراغه من ورده يعود إلى تسليطه على خلق الله وعباده ، [و][٤] لا زال على ذلك حتى نفرت القلوب منه ، وكثر الدُّعاء عليه ، حتى لقد شاهدت بعض الناس يدعو عليه فى المُلتَزَم بالبيت العتيق فى هدوء[٥] الليل .

فلما زاد ذلك منه ، سلَّط اللهُ عليه أقلَّ خلقه ، أبا الخير النحاس ، مع توغر[٦]

---

(١) خلال نظارته للبيمارستان المنصورى ، ذكر السخاوى أنه : « ازداد وجاهة وعزا واجتهد فى عمارته – أى البيمارستان – وعمارة أوقافه ، والحث على تنمية مستأجراته وسائر جهاته حتى الأحكار ، مع التضييق على مباشريه والتحرى فى المريض المنزل فيه ، بحيث زاد عن الحد ، وقل من المرضى فيه العدد ، وتحامى الناس المجىء إليه بأنفسهم أو بمرضاهم ، فصار بذلك مكنوسا ممسوحا ، ومنع الناس من المشى فيه إلا حفاة » (انظر التبر المسبوك ص ٢٣٥-٢٣٦) .

(٢) ساقط فى طبعة كاليفورنيا .

(٣) معاليم جمع معلوم ، وهو الراتب أو المخصصات .

(٤) عن طبعة كاليفورنيا .

(٥) فى ا (داو) .

(٦) فى ا (دوطى) .

[خاطر][١] السلطان عليه فى الباطن ، فلا زال أبو الخير يذكر للسلطان مساوئه ، ويعرفه معايبَه ، إلى أن كان من أمره ماذكرناه فى أصل هذه الترجمة ، من العزل والمصادرة والحبس بالمَقْشَرَة ، والاختفاء المدةَ الطُّويلةَ ، ثم ظهوره بعد نكبة النحاس ، إلى أن مات ، عفا[٢] الله عنه . وقد ذكرنا أحواله فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » مفصلا باليوم والوقت[٣] ، وذكرناه أيضا فى « المنهل الصافى »[٤] ، بأطول من هذا ، فلينُظر هناك[٥] .

وتوفى العلامةُ قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الشيخ الإمام العلامة ضياء الدين محمد بن محمد بن سعيد بن عمر[٦] بن يوسف ابن إسماعيل الصَّاغانى الأصل ، المكى المولد والدار والوفاة ، الحنفى المذهب ، قاضى قضاة مكة وعالمها ومفتيها ومصنفها ، فى تاسع عشر ذى القعدة - وتولى أخوه أبو حامد القضاء من بعده ، وكان مولد القاضى بهاء الدين فى ليلة التاسع من محرم سنة تسع وثمانين وسبعمائة بمكة ، ونشأ بها وطلب العلم ، واشتغل حتى برعَ فى عدة علوم ، وأفتى ودرّس [وصنَّف][٧] وأفنى عمره فى الاشتغال والإشغال .

حكى لى الشيخُ أبو الخير بن عبد القوى ، قال : أعرف القاضىَ بهاء الدين نحو الخمسين سنة ، وأزيد ، ما دخلتُ إليه فيها إلا وجدته إما يكتب ، أو يطالعُ ، رحمه الله [تعالى][٨] .

وتوفى الأميرُ سيف الدين تَغْرِى[٩] بَرْمَش بن عبد الله الزَّرَدْكاش اليَشْبَكى ،

(١) عن طبعة كاليفورنيا .
(٢) فى ا (عن) .
(٣) أنظر حوادث الدهور حـ ١ ورقة ٩٢ .
(٤) راجع المنهل الصافى حـ ٢ ورقة ١٢٠-١٢٣ .
(٥) انظر كذلك التبر المسبوك ص ٣٣٤-٣٣٧ .
(٦) فى ا (عمرو) . والمثبت عن التبر المسبوك وطبعة كاليفورنيا .
(٧) ، (٨) عن طبعة كاليفورنيا .
(٩) فى ا (تغر) .

أحدُ أمراء الطبلخانات ، وزَرَدْكاشُ السلطانِ بمكة ، فى أواخر هذه السنة ، وسنُّه نيف على الثمانين سنة ، وخلَّف مالا كبيرا وأملاكا كثيرة ودورا[١] معروفة بأملاك الزَّرَدْكاش ، وكان توجَّه إلى مكة المشرفة مجاوراً ، وأصله من مماليك الأمير يَشْبَك ابن أزْدَمُر ، وترقى من بعده حتى صار أميرَ عشرة ، ثم زَرَدْكاشاً فى الدولة الأشرفية بَرْسْباى ، ودام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملكُ الظاهر جَقْمَق[٢] بزيادة على إقطاعه ، وجعله من [جملة][٣] أمراء الطَّبْلَخَانات ؛ إلى أن مات . وكان مُسْرِفاً على نفسه [ضخما مُثْرِيا بخيلا][٤] ، غير أن له غزوات كثيرة فى الفرنج ؛ ومات بتلك البُقعة الشريفة ، فلعل الله يغفر له ذنوبه بمنه وكرمه .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم : ستة أذرع وخمسة عشر [٢٠٥] أصبعا ؛ مبلغ الزيادة : خمسة عشر ذراعا وسبعة أصابع وهى سنة الشراقى المظيم[٥]

(تم الجزء الخامس عشر من كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى
ويليه الجزء السادس عشر من الكتاب)

---

(١) ، (٢) ساقطة فى طبعة كاليفورنيا .
(٣) عن طبعة كاليفورنيا .
(٤) ما بين الحاصرتين عن التبر المسبوك .
(٥) فى ا (العظيمة) ، والمثبت عن طبعة كاليفورنيا .

فهرس (*)

الجزء الخامس عشر

من

كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

(*) قام بعمل جميع الفهارس لهذا الجزء : مصطفى عبد المجيد صالح

الملوك والسلاطين الذين تولوا مصر

من سنة ٨٣٦ — ٨٥٤ هـ

١ — السلطان الملك الأشرف بَرسْباى الدُّقماق

وسنوات حكمه (من ٨٢٥ إلى ٨٤١ هـ)

٢ — السلطان الملك العزيز يوسف بن برسباى

وسنوات حكمه (من ٨٤١ إلى ٨٤٢ هـ)

٣ — السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جَقْمَق العَلائى

وسنوات حكمه (من ٨٤٢ إلى ٨٥٧ هـ)

* * *

الخلفاء العباسيون المعاصرون

١ — المعتضد بالله داود بن المتوكل على الله

وسنوات خلافته (من ٨١٥ إلى ٨٤٥ هـ)

٢ — المستكفى بالله سليمان بن المتوكل على الله

وسنوات خلافته (من ٨٤٥ إلى ٨٥٥ هـ)

٣ — القائم بأمر الله حمزة بن المتوكل على الله

وسنوات خلافته (من ٨٥٥ إلى ٨٥٩ هـ)

فهرس الأعلام

(*) ح = حاشية.

(ب)

(ظ)

(ع)

(ن)

فهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط والطوائف والجماعات

(*) ح = حاشية .

(ن)

(ى)

فهرس البلاد والأماكن والأنهار والجبال وغير ذلك

(*) ح = حاشية .

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الوظائف والرتب والألقاب التي كانت مستعملة في عصر المؤلف

(*) ح = حاشية

(ت)

(ح)

(ز)

(ص)

(ع)

(ل)

(م)

(ى)

فهرس وفاء النيل

من سنة ٨٢٥ هـ — ٨٥٤ هـ

فهرس أسماء الكتب الواردة بالمتن والهوامش

(خ)

(د)

(ذ)

(ع)

(ف)

المراجع التى اعتمد عليها المحقق

(أ) المراجع العربية :

١ – ابن أبى الفضائل (المفضل القبطى) :

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد

(ويشمل من سنة ٦٥٨ هـ إلى ٧٤١ هـ ، وله ترجمة فرنسية) – باريس ١٩١٢

٢ – إبن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد . ت ٩٣٠ هـ) :

١ – نشق الأزهار فى عجائب الأقطار – باريس ١٨٠٠

٢ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور

فى ثلاثة مجلدات – المطبعة الأميرية ١٣١١ هـ

٣ – ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف . ت ٨٧٤ هـ) :

١ – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

(ا) الأجزاء المطبوعة (إلى الجزء الثانى عشر) . نشر دار الكتب المصرية

(ب) نسخة كاليفورنيا : تحقيق وليام بوبر W. POPPER (كاليفورنيا ١٩٢٠ – ١٩٢٣ ، ١٩٢٦)

٢ – المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى

(ا) الجزء الأول . تحقيق الأستاذ أحمد يوسف نجاتى (نشر دار الكتب المصرية ١٣٧٥ / ١٩٥٦)

(ب) الأجزاء المخطوطة (ثلاثة أجزاء)

٣ – حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور (مخطوط)

(يبدأ من حوادث ٨٤٥ هـ وينتهى بحوادث ٨٦١ هـ وهو غير كامل)

(توجد نسخة مطبوعة نشرها بوبر W. POPPER لكنها غير كاملة ، فهى منتخبات من التراجم التى لم يذكرها المؤلف فى كتاب النجوم – فى أربعة أجزاء – طبعة كاليفورنيا ١٩٣٠)

٤ – ابن الجيعان (شرف الدين أبو البقاء يحيى . ت ٩٠٠ هـ) :

التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية

نشر ب . موريتز B. MORITZ (بولاق ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨)

٥ – ابن حبيب (الإمام الحسن بن عمر . ت ٧٧٩ ﻫ) :
درة الأسلاك في دولة الأتراك
(مخطوط في ثلاثة مجلدات)
٦ – ابن حجر (شهاب الدين أحمد . ت ٨٥٢ ﻫ) :
١ – إنباء الغمر بأبناء العمر (مخطوط في مجلدين)
٢ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (حيدر أباد ١٣٤٨ ﻫ)
٧ – ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن حزم . ت ٤٥٦ ﻫ) :
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، في خمسة أجزاء (مصر ١٣١٧ ﻫ)
٨ – ابن خلدون (عبد الرحمن . ت ٨٠٨ ﻫ) :
١ – تاريخه المعروف بالعبر وديوان المبتدأ والخبر ، في سبعة أجزاء (مصر ١٢٨٤ﻫ) ,
٢ – المقدمة (مصر ١٩٥٧)
٩ – ابن دقماق (غرس الدين إبراهيم بن محمد . ت ٨٠٩ ﻫ) :
١ – نزهة الأنام في تاريخ الإسلام (مخطوط في مجلدين)
٢ – الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين (مخطوط في مجلدين)
٣ – الانتصار لواسطة عقد الأمصار
المطبوع منه حـ ٤ ، حـ ٥ (مصر ١٣٠٩ ﻫ)
١٠ – ابن زنبل الرمال (أحمد بن على نور الدين المحلى الشافعي . ت ٩٦٠ ﻫ) :
تاريخ السلطان سليم خان وفتح مصر (مصر ١٢٧٨ ﻫ)
١١ – ابن شاهين (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري . ت ٨٧٢ ﻫ) :
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك في مجلد (باريس ١٨٩٤)
١٢ – ابن الشدياق (الشيخ ابن يوسف الشدياق الحدثي الماروني . ت ١٨٥٩) :
أخبار الأعيان في جبل لبنان (بيروت ١٨٥٩)
١٣ – ابن عبد الظاهر (محيي الدين عبد الله ت ٦٩٢ ﻫ) :
الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية .
(وهي سيرة السلطان خليل بن قلاوون) – (طبع ليبسك)
١٤ – ابن عربشاه (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الله . ت ٨٥٤ ﻫ) :
عجائب المقدور في أخبار تيمور (مصر ١٣٠٥ ﻫ)

١٥ — ابن العماد الحنبلى) أبو الفلاح عبد الحى . ت ١٠٨٩ هـ) :

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، فى ٨ مجلدات (مصر ١٣٥٠ هـ)

١٦ — ابن الفرات (ناصر الدين محمد . ت ٨٠٧ هـ) :

تاريخ الدول والملوك ، المجلد التاسع فى جزءين (نشر الدكتور قسطنطين بالجامعة الأمريكية ببيروت — بيروت ١٩٣٦)

١٧ — ابن القلانسى (أبو يعلى . ت ٥٥٥ هـ) ·

ذيل تاريخ دمشق (بيروت ١٩٠٨)

١٨ — ابن مماتى (الشافعى الوزير شرف الدين أبو المكارم بن أبى سعيد . ت ٦٠٦ هـ) :

قوانين الدواوين (نشر الدكتور عطية سوريال ، مصر ١٩٤٣)

١٩ — ابن نجيم (زين الدين إبراهيم . ت ٩٧٠ هـ) :

رسالة فى بيان الإقطاعات ومحلها ومن يستحقها (مخطوطة)

٢٠ — ابن يحى (الأمير صالح أمير الغرب من علماء القرن التاسع الهجرى) :

تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين

(نشره الأب لويس شيخو اليسوعى — بيروت ١٩٢٧)

٢١ — الجبرتى (عبد الرحمن . ت حوالى ١٢٣٧ هـ) :

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . فى أربعة مجلدات (مصر ١٣٢٢ هـ)

٢٢ — أحمد أمين :

١ — فجر الإسلام فى مجلد (مصر ١٩٢٨)

٢ — ضحى الإسلام فى ثلاثة مجلدات (مصر ١٩٣٦)

٢٣ — الخطيب :

شرح الخطيب المسمى الإقناع فى حل ألفاظ أبى شجاع

(فقه شافعى فى جزءين — مصر ١٣٤٤ هـ)

٢٤ — زيادة (الدكتور محمد مصطفى) :

١ — المحاولات الحربية للاستيلاء على رودس زمن سلاطين المماليك فى القرن الخامس عشر (ترجمة منصور وتشيالن — مجلة الجيش — مصر ١٩٤٦)

٢ — المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى (مصر ١٩٤٩)

٢٥ — السبكى (تاج الدين عبد الوهاب . ت ٧٧١ هـ) :

معيد النعم ومبيد النقم (مصر ١٣٤٩ هـ)

٢٦ — السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن . ت ٩٠٢ ﻫ) :
١ — التبر المسبوك فى ذيل السلوك فى مجلد (مصر ١٨٩٦)
٢ — الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع فى ١٢ مجلدا (مصر ١٩٥٤)
٢٧ — السيوطى (عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين . ت ٩١١ ﻫ) :
١ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة فى جزءين (مصر ١٣٢٧ ﻫ)
٢ — تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الله (مصر ١٣٥١ ﻫ — له ترجمة إنجليزية)
٢٨ — الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم . ت ٥٤٨ ﻫ) :
الملل والنحل — فى خمسة أجزاء (مصر ١٣١٧ ﻫ)
وبهامش ابن حزم ، ونشر محمد فتح الله بدران (مصر ١٩٤٧)
٢٩ — الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) :
نهاية الرتبة فى طلب الحسبة
نشر الدكتور الباز العرينى (مصر ١٩٤٦)
٣٠ — الصفتى (الشيخ عيسى) :
عطية الرحمن فى صحة إرصاد الجوامك والأطيان ، فى مجلد (مصر ١٣١٤ ﻫ)
٣١ — طرخان (الدكتور إبراهيم على) :
١ — الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى
(مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — العدد الثامن ، ١٩٥٩)
٢ — تاكيتوس Tacitus والشعوب الجرمانية (مصر ١٩٥٩)
٣ — مصر فى عصر السلاطين الجراكسة (١٣٨٢ — ١٥١٧ م) — مصر ١٩٥٩
٣٢ — العمرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت ٧٤٩ ﻫ) :
١ — مسالك الأبصار (الجزء الأول مطبوع بتحقيق أحمد زكى باشا ١٣٤٢ ﻫ — ١٩٢٤ م ، وبقية أجزائه لم تزل مخطوطة)
٢ — التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢ ﻫ)
٣٣ — العينى (بدر الدين محمود . ت ٨٥٥ ﻫ) :
عقد الجمان (مخطوط فى ٢٣ جزءاً ، ٦٩ مجلدا)
٣٤ — الغزالى (أبو حامد محمد بن محمد ت ٥٠٥ ﻫ) :
كتاب إحياء علوم الدين (فى مجلدين ، مصر ١٢٨٩ ﻫ)

٣٥ — ڤان ڤلوتن G .VAN VLOTEN :
السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية
(ترجمة الدكتور حسن إبراهيم ومحمد زكى إبراهيم — مصر ١٩٣٣)

٣٦ — القدسى (محمد أبو اسحاق : من علماء القرن التاسع الهجرى) :
دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لى من حكم الله الخفية فى جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية
(فرغ من تأليفه ٨٨١ هـ ورفعه إلى الأمير يشبك الدوادار زمن السلطان قايتباى) — مخطوط .

٣٧ — القرمانى (أبو العباس أحمد بن يوسف . ت ٩٣٩ هـ) :
أخبار الدول وآثار الأول (بغداد ١٢٨٢ هـ)

٣٨ — القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على. ت ٨٢١ هـ) :
صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (فى ١٤ مجلدا نشر دار الكتب المصرية ١٩١٣ — ١٩١٧)

٣٩ — الكرملى (الأب أنستاس) :
النقود العربية وعلم النميات (مصر ١٩٣٩)

٤٠ — المقريزى (تقى الدين أحمد بن على . ت ٨٤٥ هـ) :
١ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (فى مجلدين — بولاق ١٢٧٠ هـ)
٢ — النقود الإسلامية (ضمن ثلاث رسائل — القسطنطينية ١٢٩٨ هـ /١٨٨١ م)
٣ — الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (مصر ١٨٩٥ م)
٤ — البيان والإعراب عمن بأرض مصر من الأعراب (نشر إبراهيم رمزى — مصر ١٩١٦)
٥ — إغاثة الأمة بكشف الغمة (نشر زيادة والشيال — مصر ١٩٤٠)
٦ — السلوك لمعرفة دول الملوك
(نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة — وصل إلى نهاية الجزء الثانى فى ستة مجلدات، وصدر القسم الثالث من الجزء الثانى، وهو نهاية ذلك الجزء، عام ١٩٥٨ م، وينتهى هذا الجزء بحوادث السنة الخامسة والخمسين بعد السبعمائة من الهجرة)
٧ — الأجزاء المخطوطة من السلوك

٤١ — نظير (الدكتور نظير السعداوى) :
نظام البريد فى الدولة الإسلامية (مصر ١٩٥٣) .

٤٢ — النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب . ت ٧٣٣ هـ) :
نهاية الأرب فى فنون الأدب
(ويقع فى ثلاثين جزءا مخطوطة بدار الكتب ، نشرت منها الدار ١٨ جزءا)

(ب) المراجع الأجنبية :

1. ALASTRO, D., *Cyprus in History* (Lond., 1955)
2. ARTIN, Y., *Contribution à l'Etude du Blazon en Orient*. (Lond., 1902).
3. BARKER, E., *The Crusades* (Lond., 1925).
(له ترجمة عربية أخرجها الدكتور الباز العرينى — مصر ١٩٦٠)
4. BUDGE, Sir E.A.W., *A Hietory of Ethiopia, Nubia and Abyssinia* Vol. I (Lond., 1928).
5. GANSHOFF, F.L.. *Feudalism* (Lond., 1950).
6. KAMMERER, A., *Essai sur l'Histoire Antique d'Abyssinie* (Paris, 1926).
7. LA MONTE, J.L., *Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1291*. (Cambr. Mass., 1932).
8. LANE-POOLE, S., (1) *History of Egypt in the Middle Ages,* (Lond., 1925).
(2) *The Muhammadan Dynasties* (Paris, 1925).
9. MALCOLM, Sir J., *The History of Persia* (Oxf., 1933).
10. MAYER, L.A., *Saracenic Heraldry* (Oxf., 1933)
11. POLIAK, A.N., (1) *Les Révoltes Populaires en Egypte à l'Epoque des Mamlûkes et leurs Causes Economiques* (Extrait de la Revue des Etudes Islamiques, 1934).
(2) *Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and Lebanon, 1250-1900,* (Lond., 1939).
12. RUNCIMAN, S., *A History of the Crusades,* 3 Vols., (Cambr., 1951-54).
13. SYKES, Sir P.M., *History of Persia* (Lond., 1915).
14. TRIMMINGHAM, J.S., *Islam in Ethiopia* (Oxf., 1952).
15. WIET, G., *L'Egypte Arabe* (Histoire de la Nation Egyptienne, T. II) (Paris, 1937).

(ج) المعاجم :

١ — ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري) :
لسان العرب

٢ — البشاري (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد) :
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ١٨٧٧)

٣ — البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي . ت ٤٨٧ هـ) :
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع
(تحقيق الأستاذ مصطفى السقا — مصر ١٣٦٨ هـ /١٩٤٩ م)

٤ — دوزي (DOZY) :
الذيل على المعاجم العربية
Supplement aux Dictionnaires Arabes (Leyden, 1881)

٥ — ردهوس (J.W. REDHOUSE) :
القاموس التركي *Redhouse's Turkish Dictionary*

٦ — رمزي (محمد رمزي) :
القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م .
(نشر دار الكتب المصرية — مصر ١٩٥٣ /١٩٥٤)

٧ — زامباور (ZAMBAUR) :
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي
(ترجمة المرحوم الدكتور زكي محمد حسن، والدكتور حسن محمود والدكتورة سيدة الكاشف وآخرين) — في مجلدين (مصر ١٩٥١)

٨ — الزبيدي :
تاج العروس من شرح القاموس

٩ — الشرتوني (سعيد الخوري اللبناني) :
أقرب الموارد في فصح اللغة والشوارد

١٠ — الفيروز أبادي :
القاموس المحيط

١١ — كحالة (عمر رضا) :
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، في ثلاثة أجزاء (دمشق ١٣٦٨ هـ /١٩٤٩ م)

١٢ – (مصلحة المساحة) :
الدليل الجغرافى
١٣ – ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى . ت ٦٢٦ هـ) :
١ – معجم البلدان (مصر ١٣٢٣ هـ)
٢ – مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (ليدن ١٨٥٢ م)

(د) دواوين الشعر :

١ – ديوان أبى العلاء المعرى المعروف باسم « شروح سقط الزَّنْد » :
لأبى زكريا يحيى التبريزى (ت ٥٠٢ هـ)
وأبى محمد عبد الله البطليوسى (ت ٥٢١ هـ)
وأبى الفضل قاسم الخوارزمى (ت ٦١٧ هـ)
(السفر الثانى – نشر لجنة إحياء آثار أبى العلاء – مصر ١٩٤٦)
٢ – ديوان أبى نواس :
(نشر محمود أفندى ناصف – مصر ١٨٩٨ م)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

إصلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أخطاء مطبعية نوضحها هنا ليستدركها القارئ :

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٤	٧	ساكن	ساكناً
٦٠	١٠	خبر معرفة	معرفة خبر
٨٠	رأس الصفحة	سنة ٩٤٠	سنة ٨٤٠
١٨٠	٣	الجراوى	الجزاوى
١٩٨	١٧	القريزى	المقريزى
٢٠٣	٥	الملك عبد العزيز	الملك العزيز
٢٢٨	٣	وأكومه	وأكرمه
٢٥٠	٦	النواب	النوب
٢٥١	٥	التواب	التوب
٢٥١	٧	تأليف	تأليب
٢٧٣	٢	نواب	نوب
٢٧٨	٩	بن أبى	ابن أبى
٣٠٣	٧	اختفى	اختنق
٣٠٧	١٦	بارجل	بالرجل
٣٩١	١١	ايَشْبَكى	اليَشْبَكى

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٩٧	٦	الآمير	الأمير
٤٠٦	٤	بقامة	بقاعة
٤١٢	٥	حك	بك
٤١٢	٦	وبلقةً	حلقةً
٤١٢	١٥	السلطان	والسلطان
٤١٤	١٩	المنياوى	المناوى
٤٤٦	٢	الناصرى	الناصر
٥٣٦	١٦	أ كماس	أركماس


